سلسلة النصوص المحققة



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
مركز دراسات المخطوطات الإسلامية

ديوان رسائل الصابي

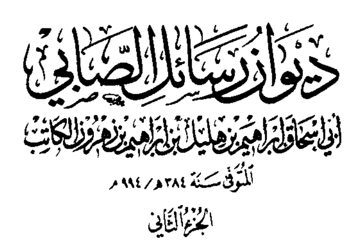
أبي إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الكاتب (٣٨٤هـ/٩٩٤م)



نسخة كتاب انشأه ابو اسحق ابراهيم بن هلال
الصابي عند فتح بغداد وانهزام الاتراك عنها في جمادى
الاولى سنة اربع وستين وثلثمئة يشرح الحال
ووصف الحال الى الامير ركن الدولة ابي علي
فان لله قضايا نافذة واقدارا ماضية فيهن النعم
السوابغ والنقم الدوامغ فاما النعم فيوتيها عباده
اجمعين بادية ثم يجزي بها الشاكرين منهم عايدة واما
النقم فلا تقع سلفا وابتداء لكن قصاصا وجزاء
بعد امهال وانظار وتحذير وانذار فاذا حلت بالقوم
الظالمين فقد طوى في اثنايها صنع لاخرين معتبرين
فلا تخلو اهل الطاعة من الثبات والاستبصار
واهل المعصية من الارتداع والازدجار ومن هناك
شهدت العقول الراجحة ودلت المناهج الواضحة
على ان اولى ما افتر به الناطق فمه وافتتح به كلمه
حمد الله اذ هو الجالب لرحمته ورضاه والذائد
لسخطه وسطاه والذريعة الموصلة الى جنته
والذخيرة النافعة في الممات والموئل الدائم من لجأ
اليه والمعقل العاصم من عول عليه والحمد لله رب العالمين

الجزء الثاني

جمع وتحقيق ودراسة
إحسان ذنون الثامري


ديوان رسائل الصابي
أبي إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الكاتب
المتوفى سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م
الجزء الثاني

سلسلة النصوص المحققة

ديوان رسائل الصابي

أبي إسحاق إبراهيم بن هليل بن إبراهيم بن زهرون الكاتب

المتوفى سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م

الجزء الثاني

جمع وتحقيق ودراسة

إحسان ذنون الثامري



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

مركز دراسات المخطوطات الإسلامية



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

مركز دراسات المخطوطات الإسلامية

22A Old Court Place

London W8 4PL, UK

Tel: + 44 (0) 203 130 1530

Fax: + 44 (0) 207 937 2540

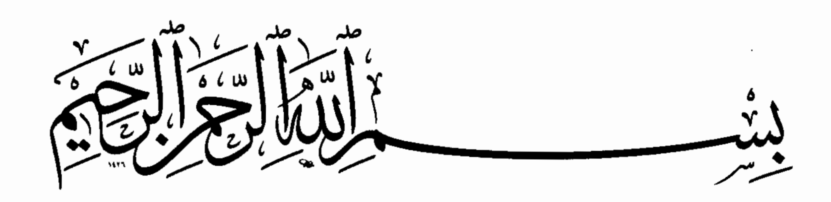
Email: info@al-furqan.com

Url: www.al-furqan.com

الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ /٢٠١٧ م

ردمك: رقم المجموعة: 978-1-78814-719-4

رقم الجزء: 978-1-78814-717-0


بسم الله الرحمن الرحيم

محتوى الجزء الثاني

رسائل إدارية عهودٌ وتقليداتٌ وأوامر

رسائل في الشفاعات

رسائل شخصية في المعاتبات والشكوى والشكر والتشوق والاعتذار وغيرها

رسائل متفرقة

الملاحق

الكشافات العامة

أبو إسحاق الصّابي

«أوحدُ العراق في البلاغة، ومَن به تُثنى الخناصرُ في الكتابة»

الثعالبي، يتيمة الدهر.

* * *

«ذاك رجلٌ له في كلِّ طِرازٍ نَسْج، وفي كلِّ فضاءٍ رَهْج، وفي كلِّ فلاةٍ رَكْب، وفي كلِّ غَمامةٍ سَكْب؛ الكتابةُ تدّعيه بأكثر مما يدّعيها، والبلاغةُ تتحلّى به بأكثر مما يتحلّى هو بها»

أبو الفتح ابن العميد في (أخلاق الوزيرين) لأبي حَيّان التَّوْحيدي.

* * *

«من فُرسان البلاغة الذين لا تكبو مَراكبهم، ولا تنبو مَضاربهم»

الروذراوري، ذيل تجارب الأمم.

* * *

«أوحدُ الدُّنيا في إنشاء الرَّسائل، والاشتمال على جهات الفَضائل»

ياقوت الحموي، معجم الأدباء.

* * *

«كيف أضعُ من الصّابي وعلمُ الكتابة قد رفعه، وهو إمامُ هذا الفنّ والواحدُ فيه؟!»

ابن الأثير، المثل السائر.

* * *

أعلمتَ مَنْ حَمَلوا على الأعوادِ   أرأيتَ كيف خَبا ضياءُ النّادي

جبلٌ هوى لو خرَّ في البحر اغتدى   من وَقْعِه مُتتابع الإزبادِ

ما كنتُ أعلمُ قبل دَفْنِك في الثرى   أنّ الثرى يعلو على الأطوادِ

بُعْداً ليومك في الزّمانِ فإنه   أقْذى العُيونَ وفتَّ في الأعضادِ

الشريف الرضي، ديوانه.





أبي إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الكاتب

الجزء الثاني

رسائل إدارية

عهودٌ وتقليداتٌ وأوامر



عُرِضَت على الصّابي كُتبٌ كُتبت عن المتّقي لله عند إفْضاءِ الخلافةِ إليه قليلةُ المعنى، كثيرةُ الحشْو واللَّغْو وسُئل أنْ يكتَب في مثلِ ذلك؛ فكَتَب في الوقْتِ على شبيه الارْتجال(١)

أمّا بعد، فإنّ الله تعالى جعلَ لكلِّ أجلٍ كتاباً، ولكلِّ مدّةٍ انقضاءً، ومن كلِّ هالكٍ خلفاً، وعن كلِّ فائتٍ عِوَضاً، وساوى(٢) بين البريّة في وُرودِ حَوْضِ المنيّة، وحَمَلَهم فيها

(١) فيض الله، راغب باشا، سيلي أوك. (شبيه في ف شبه).

أفضت الخلافة إلى المتقي لله بعد وفاة الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م. وبقي في الخلافة إلى سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م حينما أعماه توزون التركي وخلعه، ونصب مكانه المستكفي بالله. وكان الخليفة المتقي لله قد ولّى توزون إمرة الأمراء، ثم حصلت بينهما وحشة، فأصعد المتقي إلى الموصل عند بني حمدان، ومكث مدة، ثم ضجر من طول الإقامة عندهم، فراسل توزون في العود، وأنفذ إليه الحسن بن هارون وأبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي، فلقيهما توزون راغباً في الصلح. وبمحضر جمهور من القضاة والعدول والعباسيين والعلويين حلف الأيمان للخليفة، فكتب الرسل إليه بذلك، وكتب الناس أيضاً بما شاهدوا من تأكيد اليمين، فانحدر المتقي من الرقة إلى بغداد، وأرسل من يجدد اليمين على توزون، فجدَّدها وسار ليلتقي بمولاه، فتلاقيا بالسندية. وعند إقباله عليه ترجّل وقبّل الأرض وقال: ها أنذا وفيت بيميني والطاعة لك، ثم أنزله في مضرب مع حرمه فسمل عينيه، فارتفع الصياح وارتجّت الأرض، فأمر توزون بضرب الطبول لئلّا تسمع صيحاتهم، فخفيت أصواتهم وانحدر بهم والمتقي أعمى، وبايع المستكفي بالله. انظر تفصيلات ذلك عند: مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٧٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٣٣، ص١٥٦. وعن حقبة إمرة الأمراء. انظر: الدوري، عصر إمرة الأمراء في العراق، جامعة بغداد، ١٩٧٥.

ويبدو أن الصابي كتب هذه الرسالة في بداية حياته المهنية، حينما كان من صغار الكتّاب.

(٢) ر، س: سوى.

على عَدْلِ الحكومةِ والقَضيّة، فقال وقولُه الحقُّ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[1]، وذلك للمَصْلحة المنطويةِ[2] في أثنائه، والمنفعة المستترةِ[3] من ورائه، فلينظرْ كلّ أحدٍ منكمْ لنفسِهِ، وليعلمْ أنّه مستثمِرٌ ما أنبتَ في غَرْسه، وأنّه على شَفا رحْلةٍ وأوْفاز، وفي دارِ نُقْلةٍ ومجاز. ولو كان لأحدٍ من المخلوقينَ أنْ يجدَ عن ذلك معرّجاً، أو ينتهجَ إلى الخلودِ مَنْهجاً، لآثر اللهُ به أولاهم بأثرتِهِ، وأحقِّهمْ بمزيّته، رسولَه المصطفى، وأمينَه المرتضى، مُحمّداً صلّى الله عليه وسلَّم، وشَرّفَ خطرَه وعَظّم، لكنّهُ - عزّ وجلّ - اختارَ له الأعْود، وسلكَ به المسْلكَ الأقصد، وجعلَ لنا فيه أُسوة، وبه أفضل القُدْوة، فقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[4].

فالحمدُ لله الذي لا ينبغي البقاءُ إلّا له، ولا يمتنعُ[5] الفَناءُ إلّا منه، الذي أحْسَنَ إذ بَرانا، وأحْسَنَ إذ تَوفّانا، وصَنَعَ لنا بما أقرَّ[6] وارْتجَع، وخار لنا فيما أعطى وانتزع، ونَصَبَ لنا معالمَ الهدايةِ المقرّبةِ من الطّاعة[7] إلى دار القرار، ومتبوّأ[8] الأبْرار، وجنَّبنا مجاهلَ[9] الغوايةِ السّابقة، مَن عصاه إلى جحيم النّار، وحصيرِ الكُفّار.

---

(١) سورة آل عمران، من الآية ١٨٥.

(٢) ف، س: المنوطة.

(٣) ف، ر: المستسرة.

(٤) سورة الزمر، الآية ٣٠.

(٥) فوقها في س، وبخطّ مغاير وأدق: ينبغي.

(٦) ف: أقروا.

(٧) ف: للطاعة.

(٨) س: مبوىء.

(٩) ف، س: تجاهل.

وإنّ أمير المؤمنين فلاناً - رحمة الله عليه - كان عبداً استخلَصَهُ للخلافة، واختصَّهُ بالإمامة[١]، وحمّلَهُ ثقيلَ أعبائها، وأهّله[٢] لرفيعِ سنائها[٣]، فأطاعَ اللهَ في سِرِّهِ وجَهْرِهِ، وأدّى الأمانة في قوْلِهِ وفِعْله، وحمل الأمّة على فرائضِ كتابه الواضحِ برهانَهُ، وسنَّةِ رسولِه الرّاجحِ ميزانَهُ، لا يألوهمْ جَهْداً في ذبِّ عَدوِّهمْ، وصَوْن حُرَمهم، واجتلابِ حظِّهمْ، وحمايةِ سَرْبهم، وإعذاب شربِهمْ، وكفِّ ظلمِهمْ، وإنْصافِ مظلومِهمْ[٤]، وتقويم جائرهمْ، وتعديل مائلِهمْ. ثم صارَ إلى ربِّه مصيراً[٥] بآبائه الطّاهرينَ - صلوات الله عليهم أجمعين - ولحق بهم[٦] بعد أنْ قضى ما عليه، وقدَّم خيرَ الزّادِ بين يديه، واستحقَّ رحمةَ ربِّ العالمينَ، والثّناءِ الطَّيِّبِ من المسلمين، وقد قام أمير المؤمنين بالأمرِ قيامَهُ، وسدَّ مكانَهُ، وأقرّ الله الإمامةَ به في نِصابِها، وأضافَها منه إلى كفؤها، فنهضَ مضطلعاً، وحمل مُستقِلّاً، وقال سدداً، وفعل رُشْداً، وأصلحَ جاهداً، وأحسنَ رافداً، وسكنتْ بسياستِه الدَّهْماء، وشملتِ على يده النَّعْماء، ولذّ الهجوعُ، واطمأنّتِ الضّلوعُ، وعمَّ الأمنُ، وانجبر الوهنُ، وانتظمَ[٧] الشّملُ، واستحصفَ الحبلُ، واجتمعَ مَن بحضرتِه من أهلِ بَيْته وقُوّادِه ومَواليه وغلمانِه وجندِهِ وشاكريته على متابعتِه، وأعطَوْا صفقة أيْمانِهم بمُشايعتِه عن صُدورٍ نقيّةٍ[٨] مُنشرِحة، وآمالٍ مُنبسِطةٍ

---

(١) ف: بالأمانة.

(٢) س: أهاله.

(٣) ف: بنائها.

(٤) ف، ر: متظلمهم.

(٥) ف: مصيره.

(٦) (ولحق بهم) من ف.

(٧) ف: انضم.

(٨) س: نقيته.

مُنفسِحة، قد أيمنَ اللهُ طائرَهم، وأسعدَ طالعَهم، وقضى بالخير لهم، وجمع على الألفةِ كلمتهم، فما اكتأبوا للمنعيّ إليهم، حتى اغتبطُوا بالمُسْتخلَفِ عليهم، ولا أجهشَ باكيَهم عند الرّزيّة، حتى استهلَّ ضاحكاً للعطيّة، فلله على ذلك شكرٌ خالصٌ[١]، يبلغُ الحقَّ ويقضيه، ويَمْتري المزيدَ ويقتضيه، وأميرُ المؤمنين يرى أنّكَ[٢] أحقُّ مَن ضربَ في أيّامه بسَهْمِه، وأخذَ منها بوافِرِ نَصيبه[٣] وقسمِه، فأجابَ الدّاعيَ إلى بيعته، والمهيبَ إلى طاعتِه، ناظراً لدينِه ودُنياه، ومُصْلحاً لأُولاه وأُخراه، وهو يأمُركَ أنْ تأخذَ البيعةَ على نفسِكَ، وجميعِ أوليائه المقيمينَ قِبَلَك، ليكونوا لاحقينَ فيها بنُظرائهم، وجارين مجرى قُرنائِهم، ويعدكم بإدْرارِ العطاء، وإسْباغِ الحباء، وإقرارِ كلٍّ منكم بالمنزلةِ التي هو بها، ثم الإيفاءِ عليها، إذا استحقَّ التَّجاوز لها، فاعملْ على المحدودِ من ذلك لك مبادراً، واصْمد له مثابراً، وانهضْ إليه مُهْطِعاً، وقمْ به مُسرِعاً، واقرأْ هذا الكتابَ على مَن يليكَ من أولياءِ أمير المؤمنين، وأماثلِ المسلمين، ثم مُرْ به أنْ يُقرأ على منابرِ جَوامعِهم، ومُحْتَشدِ مجامِعهم[٤]، ومَحْفَلِ[٥] عوامِّهم، ليشتركُوا في عِلْمِه[٦]، ويتلاحقوا في فَهْمِه، ويستشعرُوا العزاءَ عن إمامِهمُ الرّاضي[٧]، والاغتباط بقائمهم الوالي، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك في إحكام ذلك وإبرامِه، والانتهاء إلى غايةِ استكمالِه وإتمامِه إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) ف: شكراً خالصاً.

(٢) ساقطة في ف.

(٣) س: نصبه.

(٤) ساقطة في س.

(٥) ر: محتفل.

(٦) (في علمه) ساقط في ف.

(٧) ف، ر: الماضي. الخليفة الراضي بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٤-٩٤٠م).

وكَتَب عن المطيع لله
إلى عَضُد الدَّوْلة أبي شُجاع باللَّقَب[١]

أما بعد، فإنّ أمير المؤمنين، إذا صنعَ صنيعاً راعاه، وإذا غرسَ غرساً أنْماه، وإذا أولى نعمةً أسْبغها، وإذا أسْدى عارفَةً تمَّمها، ولا سِيَّما في أعيانِ دَوْلته، وأنْصارِ دَعْوته الذين أنتَ - بحَمْد لله ومَنّه - غرّةٌ فيهم، وصَفْوةٌ منهم، بمشهور استقلالِكَ ووفائكَ، ومأثور كفايتك وغَنائك، وتأدّبك بآدابِ رُكْن الدَّوْلة أبي عليّ، ومُعزِّها أبي الحسين - تَولَّى الله كفايتهما - وتخلُّقكَ بأخلاقهما الحميدة، واسْتِمرارك على طرائقهما الرَّشيدة، التي أوْضَحَ اللهُ سَدادها، وأنارَ منهاجها، وعَرَّفَ يُمْنها، وعوّد البركة منها.

وأميرُ المؤمنين يسألُ الله الإمتاعَ بك، والدّفاعَ عنك، وحراسةَ ما وَهَب منك، والمعونةَ على المُعْتقدِ فيك، وحَسْبُ أمير المؤمنين الله ونِعْم الوكيل.

وقد كان أمير المؤمنين لما تخيّل فَضْلك، وتبيّن حزمك، وعوّل فيما يتولّاه من أعماله عليك، وفوّض تدبيرَ ذلك إليك، شَرَّفك بالتَّكْنية، ونزّهك عن التَّسْمية، رَفْعاً لدرجتِك، وإشادةً[٢] لذكرِك، ودلالةً على منزلتِك، وإبانةً عن موقعِك ؛ فما زالتْ آثارُك تبعثُ بصيرتَهُ على اختصاصِكَ، وأفْعالُك تحثّ عزيمتَه على اسْتِخلاصِكَ، حتى استحققتَ[٣] عنده النِّهاية، واسْتَوجبتَ من تَكْرِمتِه الغاية ؛ فلقّبك عَضُد الدَّوْلة،

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك.

كان قرار المطيع لله بتلقيبه بعَضُد الدَّوْلة سنة ٣٥١هـ. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٤١.

(٢) س: أشاد.

(٣) س: تحققت.

وأضافَ ذلك إلى الكُنية، وذكرَكَ بهما في مجلسِه، وبين خواصِّه وأهلِ حضرتِهِ، وحَباك بخلَعٍ أنفذها إليكَ، ولواءٍ جدّد به العهد لك، وفَرَسٍ مختارٍ من دَوابِّهِ بمركبٍ كامل من مراكبِهِ، ورأى أنْ يُظهرَ ذلك في الخاصّ والعامِّ؛ ليظهرَ في القُرْبِ والبُعْد، ويعلمَ الجماعةُ نيّةَ أمير المؤمنين في اصطفائك، وطوّيتهُ في اجتبائك، فتولّ ما أهّلك له من الإكرام، ووَسَمَك به من الإعظام، والجميعُ مَقْرونٌ بهذا الكتاب، وواصلٌ[1] مع أحد خَدَم أمير المؤمنين الخواصّ بإذن الله، فاعلمْ ذلك[2] - حَفظ الله النِّعْمة فيك - من رَأْي أمير المؤمنين وأمرِهِ، وقابلْ ما أصارَكَ إليه بواجبه وحقِّه، وثِقْ بتقدُّم مكانِكَ منه؛ وكاتِبْه فيما يُستأنفُ مُتَلقِّياً مُتَسمِّياً، وكاتِبْ مَن سِواه مُتَلقِّباً مُتكنِّياً، والْبس خِلَعه عليك، وابرز فيها لمن يَليك، سائراً على حُمْلانِه، وناشراً لإحسانِه، مُغتبطاً بمِنَّتِه، مُبتهجاً بمِنحتِه.

وأجِبْ عن هذا الكتاب بوُصولِه إليك، وموقع متضمَّنه لديك، إنْ شاء الله.

---

(١) ف: وهو واصل.

(٢) (فاعلم ذلك) ساقط في ف.

وكَتَب عن المطيع لله
إلى عَضُد الدَّوْلة أبي شجاع
فـي معنى خُواش ودَمِنْدان والتِّيز ومُكْران[١]

من عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين

إلى عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة أبي شجاع بن رُكْن الدَّوْلة أبي عليّ

مَوْلى أمير المؤمنين

سلامٌ عليك، فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، ويسأله أنْ يصلّي على مُحمّد عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلَّم. أما بعد:

أحسن الله حِفْظك وحِياطتك، فإنّ كتابك عُرض على أمير المؤمنين بما ذكرتَه من حال النّواحي المعروفة بخُواش ودَمِنْدان والتِّيز ومُكْران. وحاجتك إلى أنْ تعلم هل هي من أعمال كَرْمان، المعتمَد في تدبيرها إليك؛ فتتمسّك بها تمسُّكك بما فُوّض إليك، أو ليست منها؛ فتفرج عنها إفراجك عمّا ليس لك. واستثباتك في ذلك؛ لتكونَ على بصيرةٍ فيما تأتي وتذر، وبيّنةٍ ممّا تأخذ وتدع، وفهمه.

وأحمد أمير المؤمنين منك الوُقوف عند الشُّبهة لما دَخلتْ عليك حتى تنجلي، أو على اليد المجاورة لك حتى تتأمّل تنثني. ووقع ذلك منه أجلّ مَواقعه، ونزل أشرفَ مَنازله،

(١) طهران.

مُكْران إقليم على ساحل الخليج العربي، يحاذي إقليم كَرْمان. ومن مدنه: خُواش ودَمِنْدان والتِّيز. انظر: ابن الفقيه، البلدان، ص٤١٤؛ الإصطخري، المسالك والممالك، ص١٥٨؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤٧٥.

وأوجب به لك ما يجب لمثلك ممّن صَحّ رأيُه واختيارُه، وحَسُنت أفعالُه وآثارُه.

ولما كان أمير المؤمنين يعتقد أنّ وُلاة أعماله خُلفاؤه في البلاد، وأُمناؤه على العباد، ويرى أنْ يحوز[1] الكلّ منهم حدوده، وإن اتّفقت نيّاتُهم في الخدمة، ويحفظ عليه حقوقه، وإن ارتفعت بينهم المشاحة، رَسَم الرّجوع إلى شَواهد الدَّواوين ودَلائلها، وإخراج ما يثبت في الجماعات والحُسْبانات المرفوعة إليها، وكُتُب العُهود والتّقليدات المنشَأة فيها؛ ليكون الجواب صادراً إليك ببرهانٍ تحتذيه، وبيانٍ تقتضيه، فلا تقصر يدك عمّا جعله أمير المؤمنين لك، ولا تمتدّ إلى ما جعله لغيرك؛ فأخرج ما أوجب أنْ تكون هذه الأعمال كَرْمان غير متميزة عنها، ولا خارجة منها.

ورأى إنْفاذ الخرج مع هذا الجواب ؛ لتقف عليها، وتعمل في التمسُّك بهذه النّواحي بحسبها؛ فافعل - حفظ الله النِّعْمة فيك - ذلك، ودُمْ على ما أنت عليه من استئذان أمير المؤمنين فيما يشكل، والاهتداء برأيه فيما يعضل، ومطالعته لمجاري أمورك، ومُراعاته بما تحتاج إلى علمه من جهتك، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) (ويرى أن يحوز) مكررة في الأصل.

نُسْخة التوقيع الذي يخرج الخرج تحته[1]

أُنهي إلى أمير المؤمنين ما وَرَد به كتابُ عَضُد الدَّوْلة أبي شجاع ابن رُكْن الدَّوْلة أبي عليّ مَوْلى أمير المؤمنين - أحسن الله حِياطته - من حال النّواحي المعروفة بخُواش ودَمِنْدان والتِّيز ومُكْران، وحاجته إلى أنْ يعلم هل هي من أعمال كَرْمان المعهود فيها إليه؛ فيتمسّك بها، أو من غيرها؛ فيفرج عنها، محرزاً من أنْ يهملها وقد نيطت به، أو يستضيفها، وليست له.

ورأى أمير المؤمنين الاستثبات في ذلك ليصدرَ الجواب عن يقينٍ لا شكّ فيه، وبيانٍ لا شُبْهة معه، وليأمنَ أنْ يُعدلَ بالأمر عن جهته، أو يُزال عن طريقته ومحجّته، إذ كان يرى التَّسْوية بين أوليائه ووُلاة أعماله في حفظ حدودهم عليهم، وحراسة ما جعله منها لهم.

فلتخرج من الدَّواوين الحال في ذلك موضحةً دلائلها، مشروحةً شواهدها، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) طهران.

يتعلق هذا التوقيع بالرسالة السّابقة.

نُسْخة الجواب بالخرج[١]

رُجِع - أطال الله بقاء سَيِّدنا الوزير - إلى الدَّواوين؛ فوُجِد مُحمّد بن جعفر العبرتاني[٢]، وأحمد بن مُحمّد بن يحيى بن أبي البغل[٣]، وجعفر بن القاسم الكرخي[٤]، والقاسم بن دينار[٥]، وابن مأمون[٦] الإسكافي، وعليّ بن أحمد بن

---

(١) طهران.

يتعلّق هذا الجواب بالرسالتين السابقتين.

(٢) من رجال الإدارة في عهد الوزير ابن الفرات. ذكره الهمذاني في أحداث سنة ٢٩٧هـ. تكملة تاريخ الطبري، ص٨-٩.

(٣) في عام ٢٩٩هـ قلّد الخليفة المقتدر أبا عليّ مُحمّد بن عبيد الله بن خاقان الوزارة، وصرف ابن الفرات، فرتّب أصحاب الدَّواوين، وقلّد أبا الحسن ابن أبي البغل ديوان المصادَرين، وديوان الضِّياع العباسية، وديوان زمام الفراتية. مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص٧٣. وكُلّف بمناظرة الوزير المصروف ابن الفرات ومطالبته بالأموال، فاستخرج منه الكثير. الصابي، تحفة الأمراء، ص٢٨٦. تفصيلات أكثر عند ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٦١٢.

(٤) قال مسكويه: حينما صرف الوزير عليّ بن عيسى ابن أبي البغل عن أعماله بفارس سنة ٣١٠هـ؛ فإنه قلّدها أبا عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي. تجارب الأمم، ج٥، ص١٤٢. وقال الهمذاني في أحداث سنة ٣١١هـ: مات أبو النجم بدر الحمامي بشيراز، وكان يتولى أعمال الحرب والمعاون لفارس وكرمان، فكتب الوزير علي بن عيسى إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي بضبط تلك البلدان فضبطها. تكملة تاريخ الطبري، ص٣١.

(٥) في سنة ٣١٥هـ كتب الوزير عليّ بن عيسى إلى القاسم بن دينار بالمبادرة إلى فارس، وقلّده أعمال الخراج والضِّياع بها. مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٢٧، ص٢٦١، ص٢٦٢. وانظر: الصابي، تحفة الأمراء، ص٢٣١.

(٦) غير واضحة في الأصل، أقرب قراءة لها: ميمون. ولعلّ المقصود مأمون. وهو علي بن مأمون الإسكافي أحد رجال الإدارة في ذلك الوقت المشار إليه. انظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج٥،

بسطام[1]، وعليّ بن خَلَف بن طياب[2] قد أوردوا حُسْباناتهم لأعمال كَرْمان سنة خمس عشرة وثلاثمائة[3] ارتفاع ما يُنسب إلى خُواش ودَمِنْدان والتِّيز ومُكْران، ولم يوجد لهذه النّواحي ذكرٌ في غير حُسْبانات كَرْمان؛ فأوجب ذلك أنْ تكون منها، وغير خارجةٍ عنها. وسَيِّدنا الوزير - أطال الله بقاءه - أعلى عيناً وما يراه من ذلك إنْ شاء الله تعالى.

ص١٥٠؛ الصابي، تحفة الأمراء، ص٤٦، ص٥٠، ص٢٤٧؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص٤٢.

(١) في سنة ٣٠٣هـ ندبه الوزير عليّ بن عيسى في عدد من القادة ورجال الإدارة للخروج إلى الحسين بن حمدان حين خالف وخرج عن الطاعة لقمعه وإصلاح البلاد في ديار مضر والثغور الجزرية. مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص٩٠. وكان متولياً لأعمال فارس سنة ٣٠٦هـ. الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص٢١. وله أخبار في غزو الروم. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٦٥١.

(٢) في الأصل: طاب، مجودة. وهو أحد رجال الإدارة في الوقت المشار إليه، قُلّد أعمال الخراج والضياع بكور الأهواز وشيراز وغيرهما. أخباره كثيرة عند: مسكويه، تجارب الأمم؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ابن الأثير، الكامل. لكن محقق تجارب الأمم يضبطه أحياناً (طناب).

(٣) أي في عهد الخليفة المقتدر بالله، ووزارة عليّ بن عيسى.

نُسْخة توقيع الوزير
أبي الفضل العَبّاس بن الحسين الشِّيرازي [١]

ليمتثلْ جماعةُ أصحاب الدَّواوين ما خرج به الأمر العالي في .... [٢] إنْ شاء الله تعالى.

(١) طهران. (الشِّيرازي) إضافةٌ منّا.

يتعلّق هذا التوقيع بالرسائل الثلاث السّابقة.

(٢) كلمة غير مقروءة.

وكَتَب عن المطيع لله
إلى أبي تَغْلِب فَضْل الله بن ناصر الدَّوْلة
أبي مُحمّد الحسن بن عبدالله بن حَمْدان
بتَلْقيبه عُدّة الدَّوْلة[1]

أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين إذا تأمّل نِعَم[2] الله التي أسبغها عليه، وظاهرها لديه، واختصّهُ بجَليلها، وتوحّدَهُ بجَزيلها، وأهّله لادّراع ملابسها، واستحقاقِ نفائسها، رأى أنّ من أجلّها محلاً، وأبهاها أثراً، وأسناها خطراً، وأولاها بالعائدةِ عليه في نفسهِ وخاصّتِه، وأبناءِ دَوْلته ودَعْوتِه[3]، ما حمّله الله من أعباء خلافته في أرضِهِ، وألزمَهُ من تأديةِ حقّه فيها وفَرْضه، أنْ وفَّقَهُ جلّ وعزّ للإصابة في اصطفاءِ مَن يَصْطفي من ثقاته،

---

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك.

في سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م أطاح أبو تغلب فضل الله الغضنفر بأبيه، وجلس على عرش الحمْدانيين في الموصل. وكانت له علاقات متذبذبة بالدَّوْلة العَبّاسية، والدَّوْلة الفاطمية، والبويهيين والقوى المحلية المحيطة، تتراوح بين الود والعداء. قُتل سنة ٣٦٩هـ/ ٩٧٦م في الرملة، خلال صراعه مع آل جراح الطائيين حكامها. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢١٤، ص٢٤٨، ص٢٧٠، ص٣٦٦. وكان عز الدَّوْلة بَخْتِيار البويهي قد سأل الخليفة المطيع لمنحه لقب (عدّة الدَّوْلة) وفق صلح جرى بينهما في رجب سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م. انظر حيثياته وظروفه عند: مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٣٦٥. فصدر أمر المطيع باللقب والخِلَع، وخرج به أبو الحسن علي بن عمرو بن ميمون كاتب أبي تغلب. الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص٢١٤.

(٢) ف: نعمة.

(٣) ساقطة في س.

واجتباء مَن يجتبي من كُفاته، وإقرار[١] صَنائعه في المعارض الحافظة لأُصولها، المطيلةِ لفُروعها، وإلقاء عَوارفه في المنابت المنشئة لزُروعها، المزكيةِ لرُبوعها، وأنْ جعلَ رُكْن الدَّوْلة أبا عليٍّ مَوْلى أمير المؤمنين - أمتعه الله به - شيخ أوليائه المقدَّم عليهم، وكبيرهم المعظَّم فيهم، وسابقهم الذي يطوون عقبه، ويقْفون أثَرَهُ، ويُناطونَ برعايتهِ، ويُدبَّرون بسياسَتِهِ، وأنْ وَهَب لأمير المؤمنين وله عضده، وأتاهُ من عزّ الدَّوْلة أبي منصور مَوْلى أمير المؤمنين - حفظهُ اللهُ - الشَّهْم النَّدْبَ، والبطلَ النَّجْدَ، والشّهابَ الثّاقب، والسّهمَ الصّائب، والنّصيح المأمون، والنَّجيح الميمون[٢]. ومَنْ عَرّف الله أمير المؤمنين صَوابَ الفاتحة والخاتمة، فيما يُشير به ويرتئيه، وصَلاح العاجلة والآجلة فيما يقتضيه ويمضيه، فيما تقدَّمَ الابتهاجَ في جميعِ ما يسدي ويُلحمُ، ويَنْقضُ ويُبْرِم، ولا يخافُ النّدمَ في سائر ما يأتي ويذر، ويُوردُ ويُصْدِر.

والله يديمُ لأميرِ المؤمنين الهدايةَ والتَّسديد، ويمُدُّه بالعونِ والتّأييد، ويحرسُ عليه هذه الدَّوْحةَ النفيسَ جَوْهرها[٣]، المهذَّبَ عُنْصرُها، الطيِّبَ جَناها، الظَّليل[٤] ذُراها، التي شَرَّفَها بغَرْسِه، واستخلصها لنفسِه، وساقها بسَجْله[٥]، ورعاها بعينِه، مُسْتَثمراً بها البركة في أمورِه، والفُسْحة في تعميرِه، والنَّصْر لرايتِه، والإعلاءَ لكلمتِه، وسُكونَ الدَّهْماء للمسلمينَ في أيّامه، وتكافؤُهم في شمولِ إنعامِهِ، رفيعاً معاشُهم، أثيثاً رياشُهم،

(١) ف: إقراد (مجودة).

(٢) (والنجيح الميمون) ساقط في س.

(٣) ف: جواهرها.

(٤) ف: الجليل.

(٥) السَّجْل: الدلو المملوء. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٣٢٥ (سجل).

آمناً سِرْبهم[١]، صافياً شُرْبهم، ويريه في كلِّ ما يعتمده من حظٍّ وحَزْم، ويجتهده من رأيٍ وعَزْم، أحسن ما آتاه عبداً[٢] كلّفَهُ واستكفاه، وإماماً استحفظَهُ واسْتَرعاه، وما توفيقُ أمير المؤمنين إلّا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب[٣].

وقد علمتَ - كلأكَ الله - ما دأبَ فيه عِزّ الدَّوْلة أبو منصور مَوْلى أمير المؤمنين[٤] - أمتع الله ببقائه، ودافع عن حَوْبائه - من التّمهيدِ لمحلِّك، والتنجّز لاصطناعِك وتقليدِك، والمشورةِ بتقديمك وتقريبك، حتى جُمِعتْ لك الأعمالُ المردودةُ إليكَ[٥]، وعُوِّلَ في حَرْبها وخَراجها عليك، وشُرِّفتَ بالتَّكْنيةِ، ونُزِّهتَ عن التّسمية، وشُورف بكَ محلُّ أبيكَ، وقُدِّمتَ على كُبَراءِ أهلِكَ وذويك، وقُرِن لك سالفُ الإثرة بحادثها، ووُصل تالدُها بطارفها، وما نَزلَ على ممرّ الأوْقاتِ، وتكرُّرِ الحالاتِ أنْ كرّر خطاب أمير المؤمنين في أمْرِك، وفهم ما يُنْهيه إليه[٦] من كلِّ أثرٍ يكون لك، وأطنب في وَصْفِ ما ما أنت مُلتزمُه، ومُجرّدٌ له من حَمْل الأموال، وضَبْطِ الأعمال، وحراسةِ الدِّيار[٧]، ومجاهدةِ الكُفّار، وسدِّ الثُّغور، وزَمِّ الأمور، ودلَّ على أنّ مواقفك في الذّبِّ عن الحوْزة، والمراماة عن المِلّة، مُقتضيةٌ باتّصالها أنْ تتّصلَ لك المُجازاةُ عنها، والتَّكْرِمة القاضيةُ

---

(١) السِّرْب: النَّفْس، وكذلك أهل الرَّجل وماله. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٤٦٣ (سرب).

(٢) ف: عبدٌ، وبعدها: إمام.

(٣) س: أنيب. وقد تمثل الصابي بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ سورة هود، من الآية ٨٨.

(٤) (مَوْلى أمير المؤمنين) ساقط في ف.

(٥) ساقطة في ف.

(٦) س، ف: إليك.

(٧) ف: الدار.

حقّها، وأنّك بها أبان اللهُ من عَقْلِك وحِجاك، ورُشْدِك وهُداك، وغَنائك ووَفائك، وانقيادِك وإعفائك، وبُخوعِك وطاعتِك، وإخلاصِك ومُشايعتِك، ومُجاورتك مَن تجاور[1] من الكفر، وعُصَب الشرك، حقيقٌ بأنْ تُوفّى أقصى المنازلِ الشّريفةِ، وتُرقّى إلى أعلى المراتب[2] المنيفةِ، ليكونَ خطرُك في نفوس الأولياء المنوطين بك عظيماً، وذكرُك في صُدور الأعداء المحادّين[3] لك مَهيباً. وأنْ لا تُؤخَّر عن الغاية التي سَمَتْ إليها همَّتُك، وطمحَتْ نحوَها مقلتُك، وأوْجبها لك وَلاؤك ونُصْحُك، وكان لها ومن أجلها اجتهادُك وكَدْحُك[4].

وأميرُ المؤمنين يُرعيه فيما يُنهيه من ذلك سَمْع مَن قد تعوَّد منه نُصْحَ الحبيب، وسَلامة المغيب[5]، وقول الحقِّ، واعتماد الصِّدْق، و[6]عوَّدهُ قبول المشورة، والذّهاب مع مع الإرادةِ والإسعافِ بالمحبّة، والإجابةِ إلى الطلبة، ولا سِيَّما إذا كانت لمثلِك من أعيانِ الدَّوْلة، ونُجباء الجملةِ، قد برزت في أثرِكَ العظيم، وقرت بمقامِكَ الكريمِ فيما تمَّ بالأمسِ من أسْر الدُّمُسْتُق[7] بتدبيرِك السَّديد الموفَّقِ، هذا إلى ما يرعاه أمير المؤمنين من قديمك في الخِدْمة، وحديثكَ في العِصْمة، وأنْسابِكَ الوكيدة، وخلائقكَ الحميدة، الشّاهدة باستحباب ما يُلتمس لك، ولاستحقاقِ ما يَرْغَب ويُرْغَب فيه منك.

ولما انكفأ عِزّ الدَّوْلة - تولّاه الله - عن مُتوجّهِهِ - كان - إلى ناحيتكَ وأعمالكَ،

---

(١) س: تجاوزهم.

(٢) ف: المرتب.

(٣) ف: المحاذين.

(٤) ساقطة في ف.

(٥) ر: العيب، س: الغيب.

(٦) سقطت الواو في: ك، ف، س.

(٧) تقدّم الحديث عن أسْره في رسالةٍ سابقة، ج١، ص٢٤.

بعد إماطتِه شوائب المعاملة بينه وبينك، ونيابته عن أمير المؤمنين في عَقْدِ ما عَقَد معك، وأَخْذِ ما أَخَذهُ عليكَ، وتقرير ما قرَّرَه لك سأل أمير المؤمنين أنْ يَسِمَك[1] بلقبٍ يشفعُ الكُنية، ويُوصلَكَ إلى البُغْية، ويبينك عن الأصحاب والنُّظراء[2]، ويميزك عن الأترابِ والأكْفاء، ويُجدِّدُ لك عَقْد لواءٍ يُعلم به أنّك مستقرٌ على الوَلاية، معتلقٌ من أمير المؤمنين بحَبْل الرّعاية.

وكان ورودُ ذلك على مقدِّماتٍ عنده قدَّمها، وأسبابٍ لديه أحكمها، ومَنْزلةٍ في نَفْس أمير المؤمنين قد تمّهدتْ، ومزيّةٍ قد تخلّصتْ[3] وتحصّلتْ، فأجابهُ إليه إجابة المستصوب لك فيه، المهيب إليه بكَ، الموجب عليك استدامتَهُ بالولاءِ الصّحيح، والإخلاصِ الصّريح، والوَفاءِ بشُروطِ الطّاعة وحُدودِها، ومَواثيق البيعة وعُهودِها، وعَقَد لك لواءً بيدِه يلوي إليك الأعناقَ الآبية، ويعطفُ عليك القلوبَ النّابية، وأمر بحَمْله مع خِلَعٍ كاملةٍ تُفاضُ عليكَ، ومركوبٍ بمَرْكبه يُقادُ إليكَ، وطوقٍ وسوارٍ قد صيغا من خالصِ التِّبْر[4]، ورُصِّعا بفاخر[5] الدُّر، زادَكَ أمير المؤمنين إيّاهما على مَعْهودِ الرُّسوم، وجَعلَهما[6] جزاءً لك عن ذلك الأثر العظيم، ولقّبكَ (عُدَّة الدَّوْلة)، اشتقاقاً لذلك من إعدادِه إيّاك لكِفايةِ المهمِّ، واعتدادِه بكَ في دَفْعِ المُلِمِّ، وذكرك بهذا اللّقَبِ في مَجالسِ الحَفْلةِ، وخُلوات الأنسة، ورَسَم لأكابر أوليائه وأصاغِرِهم، وأقاصيهم

---

(١) ف: ينبزك.

(٢) ساقطة في ف

(٣) من: ف.

(٤) س: التبرء، وهو خطأ.

(٥) ف: بنفائس.

(٦) س، ف: جعلها.

وأدانيهم أنْ يتأسَّوْا من رُكْن دَوْلته أبي عليٍّ[١] بأكبرِ الأُسْوَة، ويقتدوا من عِزّ الدَّوْلة أبي منصور بأفضلِ القُدْوة، فيما يعرفانه من هذا الحَقِّ الذي جُعلَ لك في جاري المُفاوضاتِ والمُحاوراتِ، ومتردّدِ المُكاتباتِ والمُراسلات، فاشكره - حَفظك الله - على الرُّتبةِ التي نلتَها، والمحلَّةِ التي حَلَلْتَها[٢]، والمفْخَرِ الذي ارتديْتَ جمالَهُ، واللّباسِ الذي سحبتَ أذيالَهُ. وكاتِبْ أمير المؤمنين مُتَلقِّباً مُتَسمِّياً، ومَنْ سواه مُتلقِّباً مُتكنِّياً، وابرزْ للخاصّةِ والعامّة في خِلَعه، سائراً على حُمْلانِهِ، ناشراً لإحسانِهِ، مبيناً لمن قَرُب وشَطَّ، وعلى وَزْنُه وانحطّ، أنّك تناولْتَ أطرافَ مَعاليك، وأحرزْتَ غاياتِ أمانيك، بالطّاعة التي هي عزُّ مَن استشعرَها، وثِمالُ مَن انتمى إليها، وبالمساعي الصّالحةِ التي هي زادُ مَن ادّخرَها، ومَعْقِلُ مَن عوّل عليها، وبالسّبب الذي أوصَلكَ رُكْن[٣] الدَّوْلة أبي عليٍّ، وعِزّ الدَّوْلة أبي منصور - رعاهما اللهُ - إذ كانا الوسيلةَ عند أمير المؤمنين لكلِّ قَدَمٍ يُقدّمُها، والذّريعةَ في[٤] كلِّ صنيعةٍ يصنعها. واكتبْ إلى أمير المؤمنين كُتباً تجعلُ مصادرَها إلى عِزّ الدَّوْلة - تولّاه اللهُ - ليكونَ عرضُها من يدِهِ، ووُصولُها من جهتِهِ، مشتملةً على ما يراعيه من استقامةِ أحْوالك، وصَلاحِ أعمالِك، ومَوْقِعِ هذه النِّعْمة المُسْداةِ إليك، وأثرها في الرَّفْعِ منك، وما تلقّاها[٥] به من الاعتداد والنّشر، وتناله بها من الصِّيتِ والذِّكْر، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) (أبي علي) ساقط في ف.

(٢) س: حللها.

(٣) س: من ركن.

(٤) ك: من.

(٥) ف: تتلقاها.

نُسْخة عَهْدٍ عن المطيع لله
إلى أبي تَغْلِب الغَضَنْفَر بن ناصر الدَّوْلة أبي مُحمّد
الحسن بن عبدالله بن حَمْدان[١]

هذا ما عَهِدَ عبدُ الله الفَضْلُ الإمامُ المطيع لله أمير المؤمنين

إلى الغَضَنْفَر بن ناصر الدَّوْلة أبي مُحمّد حين تمكّنتْ حرماتُهُ، وتظاهرتْ مَواتُّه، واسْتحكمتْ أواصرُه، واشتهرت مآثرُه، وتأكَّدَتْ حُقوقُ أشياخِهِ في طاعةِ الخلفاءِ الرّاشدين[٢] الماضين - صلوات الله عليهم أجمعين - ونشأ في دَوْلةِ أمير المؤمنين على الخلالِ المحمودةِ في الدّنيا والدِّين، وأنْهى رُكْن الدَّوْلة أبو عليٍّ، وعِزّ الدَّوْلة أبو منصور بن مُعِزّ الدَّوْلة أبي الحسين[٣]، مَوْليا أمير المؤمنين - أحسن الله بهما الإمتاع، وتولّى عنهما الدّفاع - صورَته في الغَناء والاضطلاع، والنهوض بحقِّ الاصطناع[٤]، والاستقلالِ بضَليع[٥] الأثقال، والاستحقاق لسَنيّ[٦] الأعمالِ، وأشارا بالتفويضِ إليه، وحضّا على الاعتمادِ عليه، فوافق رأيُهما الذي ثقفه الإخلاص، وكنفه النّصح اختياره، وطابقتْ مشورتُهما الميمونةُ إيثارَهُ، ورأى العملَ عليهما من عَزْمِ الأمورِ، والأخْذ بهما من حزْمِ التّدْبير؛ لما اجتمع فيهما من أسباب الصَّلاح، واقترنَ بهما من لوائح النّجاحِ، فاستخار

---

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك.

(٢) ساقطة في ط.

(٣) ر: الحسن.

(٤) (والنهوض بحق الاصطناع) ساقط في ط.

(٥) ط: بمضلع، س: مضلع، ر: بضلع الأنفال.

(٦) ر: لسني.

الله تعالى معتصماً بتأييده، لاجئاً إلى إرشادِهِ وتَسْديدِهِ، وقلَّدهُ الصّلاة[1] وأعمالَ الحربِ والمعاونَ والأحداثَ والخراجَ والأعْشارَ والضِّياعَ والجَهْبَذة[2] والصَّدقاتِ[3]، وسائرَ وُجوهِ الجباياتِ والعرضَ والعطاءَ والنَّفقةَ في الأولياءِ والمظالمَ وأسواقَ الرَّقيقِ والعيارَ في دُور الضَّرْبِ والطّرزَ والحسبةَ بالموصل وقَرْدى وبَزَبْدى وبَهدرا[4] والرَّحْبة وديار

(١) س: والصّلاة، ولا يصح.

(٢) الجهبذة: مصطلح اقتصادي تطور مدلوله بمرور الزمن، وهو يتراوح بين: صرّاف، جابٍ، كاتب مالي، كاتب خراج. لكن عمل الجهبذ في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي استقر لينحصر بمهمة الإشراف على بيت المال؛ فمن عهدِ من الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) لجهبذ قم، احتفظ به القُمّي (وضعَ كتابه سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م) نعرف أن عمله يقوم على تسلم الواردات ووجوه الأموال، وإعطاء وصولات بذلك، وتقديم كشوفات بذلك إلى العامل. القمي، تاريخ قم، ص١٤٩، ويساعده في ذلك كُتّاب وحُسّاب. وقد ظهر في الإدارة العباسية أوائل القرن الرابع الهجري ديوانٌ مستقل للجهبذة، قبل سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٥م، ولعل عريباً صاحب كتاب صلة تاريخ الطبري هو أول مَن أشار إلى ذلك. صلة عريب، ص١١٨. وهناك نصٌّ ينقله القاضي التنوخي (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) فيه بعض التفصيلات عن ديوان الجهبذة، جاء فيه: «دخلت الدار مع الناس، فرأيت الصحن في نهاية العمارة والحسن وفيه مجلس كبير مفروش بفرش فاخرة، وفي صدره رجل شاب بين يديه كُتّاب وجهابذة وحساب يستوفيه عليهم. وفي صفاف الدار وبعض مجالسها جهابذة بين أيديهم الأموال والتخوت والشواهين يقبضون ويقبضون». الفرج بعد الشدة، ج٣، ص٣١٨.

(٣) تنقطع هنا ط بسبب فقدان الصفحة بأكملها من النسخة المصورة، ويبدو أنها مفقودة في الأصل.

(٤) بازبدى وردت في الأصول: بزيدي، وباهدرا وردت في ر، ف بدون نقط. وفي س: بهدوا.

باقَرْدى (وأهلها يقولون قَرْدى)، وبازَبْدى: قريتان متقابلتان في جزيرة ابن عمر، باقَرْدى شرقيّ دجلة، وبازَبْدى غربيّة. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٢١، ص٣٢٧؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص١٥٦. وقريب منهما باهدرا. وهي قرى كثيرة السكان والإنتاج الزراعي. ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص٢١٧-٢١٨. وانظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٧، ص٢٣٤.

ربيعة وديار مُضر وديار بكر والثُّغور الجزريّة والشاميّة وجُنْد قِنَّسْرين والعَواصِم، رعايةً لمترادفِ حُرماتِهِ وأواخيه، وتصديقاً لقول رُكْن الدَّوْلة أبي عليٍّ، وعَزِّها أبي منصور – تولّاهما الله – فيه، وثقةً منهُ بارتباطِ النِّعْمة، واستبقائها بحسن الخدمة، وإظهار الأثر الجميل في الكفاية، واستدعاء المزيد من الصَّنيعة، وارتقاء الرُّتب الرّفيعة بما يكون من قيامه بحقّ ما أسلفه، ونُهوضه بثقل[1] ما كلفه.

والله يعرّف أمير المؤمنين في ذلك الخبر والخيرة، ويقضي له في جميع أموره التّوفيق والعصمة، ويعينه على ما ينويه من حسن السّيرة، وإفاضة المعدلة، واختيار الوُلاة الصُّلحاء، والكُفاة النُّصحاء، وحَسبُ أمير المؤمنين الله ونِعْم الوكيل.

أَمَرهُ بتقوى الله وخيفَتِهِ مُسرّاً ومُعْلِناً، وخشْيته ومُراقبتِهِ مُظْهِراً ومُبْطناً، فإنّها شعارُ الأبرار الأتقياء، وسيماءُ الأخيارِ الأزْكياء، والمنبّهاتُ عند وَساوسِ المنَى، والمبصّراتُ عند هَواجسِ الهوَى، والمُرْشداتُ إلى سُبُل الهُدى، والمنقذاتُ من مُوبِقاتِ الرَّدى، والعِصْمةُ من فتنةِ النِّعَم، والأمان من سَطْوةِ النِّقَم، وأنْ يكون أميناً لله على نَفْسه، يخافُ مقامَهُ إذا غابتْ عنه أعينُ النّاظرين، ويراقبُه فيما يستسرُّ عن العالمين، ولا يطيعُ هواهُ في غوايةٍ، ولا ينقادُ له في[2] ضلالةٍ، قال الله جلّ اسمُه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[3].

وأنْ يتواضعَ لله عند سَخَطِه، ولا يبطشُ بطشةَ الجبّارين، ويغضبُ له عند رضاهُ، ويدرأ حدوده عن المجرمين، وأنْ يحضرَ ذهنَهُ ذكرَ الموتِ المكتوبِ على

---

(١) س، ر: بشمل.

(٢) ر، س: إلى.

(٣) سورة النّازعات، الآيتين ٤٠-٤١.

العباد، واستواء البشر يومَ المعاد، ويأخذَ نَفْسهُ بصدقِ اللِّسانِ، وغضِّ الطَّرْف، وكفِّ اليد، وعِفَّة الجوارحِ؛ فإنّه إذا صَلُحتْ خلائقُه صَلُح بها، وإذا استقامتْ طرائقُه حمل[١] النّاسَ عليها، إذ لسانُ القول وجميل الفعل أزجر من حسن الوَعْظ. وأنْ يعطي النَّصف من نَفْسِهِ، ويبذل السّويّة لمن دونَهُ، ويتلقّى الحقَّ بالاستكانةِ له، ويواجههُ بالانقياد إليه، ويضعُ الأُبّهة والنَّخْوةَ، ويُسقطُ الحِميّة والسَّطْوة، ويحلمُ لدى سَوْرةِ الغَضبِ، ويَكظُمُ على حَرَّة الغَيْظِ، ولا يحملُ حِقْداً، ولا يَضْمر ضَبّاً[٢]، ولا يُسرُّ ضَغينةً، ولا يَنْطوي على سَخيمةٍ، وأنْ يصيِّر سُلْطانهُ سُلْطان رأفةٍ، وقُدْرته قدرةَ مَعْدلةٍ؛ فيُحسن إلى المحسنين، ويتجاوز عن المسيئين، ويعنّف بالظّالمين، ويلطف بالمظلومين، ويسوّي بين أهلِ عَمَلِه، في قولِهِ وفعلِهِ، واهتمامِهِ ونظرِهِ؛ حتى يكون مَن دنا منه مثل مَن نَأى عنه، ومَن أدْلى بسببٍ إليه مثلَ الرّجل من عرض مَن يلي عليه، ويجعلُ أقواهم عنده الضّعيف حتى يأخذَ الحقّ له، وأضعفهم القَويّ حتى يأخذ الحقّ منه، ويَعْتقد أنّه مسؤولٌ محاسَبٌ، ومستودَعٌ مطالَبٌ، فيقدّم لذلك أُهبته ويعدله[٣] عدّته[٤]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[٥].

و أمَرهُ بأنْ يأتمَّ في أمرِهِ بالقرآنِ، ويستضيءَ فيه من التِّبْيانِ والبرهان[٦]، وألّا يُوردَ

---

(١) ف، س: حمد.

(٢) الضَّبّ: الغضب. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٣٩ (ضبب).

(٣) ساقطة في ف.

(٤) ساقطة في س.

(٥) سورة ص، من الآية ٢٦.

(٦) من: ف.

ولا يُصدرَ إلّا به، ولا ينقضُ ولا يبرمُ إلّا عنهُ، فإنّه الطريقُ المهيَعُ، والحكمُ المُقْنع، والحجّةُ الواضحةُ، والمحجّةُ اللّائحةُ، والبرهانُ الباهرُ، والدّليلُ القاطعُ، والمسلكُ النّافذ[١]، والسَّبيل الجَدَد[٢]، والبَشيرُ بالثواب[٣]، والنَّذيرُ بالعقابِ، والزَّعيم بالنّجاة، والأمانُ من الهلكة، والكاشفُ للشّبهة، والمنوِّر للظُّلم، والهادي للحقّ، والنّاطقُ بالصِّدْقِ، وبه يَعْلمُ الجاهل، ويعمل[٤] العالم، ويتنبه السّاهي، ويتذكَّرُ اللّاهي، ويتّعظُ المسْرف، ويَزْدجرُ الظّالم، ويتوبُ المخطىء، ويُقْلعُ المصرّ. وأوْلى النّاس باتّباع أوامرِهِ، والارتداعِ بزَواجرِهِ، وطاعتِه فيما ساء وسرّ، وتحكيمه فيما نَفَع وضرّ، مَن نفذ أمْرُه، وجازَ حكمُهُ؛ فأعطى الحقوقَ ومَنَعها، وأراقَ الدّماءَ وحَصّنها[٥]، وأباحَ الفروجَ وحَظَرها، وأقام الحدودَ ودَرَأها، وكان رأيهُ غيرَ معارَضٍ، وقولُهُ غيرَ مناقَضٍ، وفعَل ما أحبّ غيرَ ممنوعٍ، وأتى ما شاءَ غير مَدْفوع، فإنّ ذلك إنْ أُهمِلَ تأمُّله زلّ، وإنْ تُرِكَ الأخذُ به ضَلّ، وإذا جعله نصب عينه، وأقامَهُ تلقاءَ وَجْهِه، حَمَلهُ على نَهْجِ السَّداد، وأقامَهُ على سَبيل الرَّشادِ، فإنّه كتابُ عزيزٍ ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٦].

وأمَرهُ بأنْ يراعيَ الصَّلواتِ، ويدْخلَ فيها بالإخْباتِ، ويُحافظَ على مواقيتِها، ويُقيمَها على حُدُودِها، ولا يفكّر إذا حضرَ حينُها في غَيْرِها، ولا يُعلّق همَّهُ إذا ابتدأها

---

(١) ف، ر: الظاهر.

(٢) س: الوسيط.

(٣) س، ر: بالصواب.

(٤) س، ر: يعلّم.

(٥) س: فرغها، ف: أحصنها.

(٦) سورة فصلت، الآية ٤٢.

بسواها، ولا تقطعه القواطع عنها، ولا تعترضه العَوائق دونها، يُفرِغ لها قلبه، ويُشْغل بها لبَّهُ، ويَصْرِفُ إليها خاطِرَهُ، ويُقصرَ عليها هاجِسَهُ، ويُؤدّي السُّجودَ والرُّكوع، ويدّرع الاستكانةَ والخضوع، ويُناجي ربَّهُ ضارعاً، ويَسْألهُ العَفْو خاشعاً، ويقوم له طويلاً، ويُرتِّل القُرآنَ تَرْتيلاً، فإنّ الصّلاة حظُّ آخرة[1] المؤمنِ من أولاه، وعدّة مقرّه من[2] دُنياه، ومتى أضاعها وأهْمَلَها، وقَصَّرَ فيها وأغْفَلَها، قَطَعَ اللهُ عِصْمتَهُ، وحَرَمهُ حُرْمتَهُ، وأوْجَبَ له أليمَ العَذاب، وحتَّمَ عليه شديدَ العقاب، وقد قالَ اللهُ عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[3].

وأمَرهُ بأنْ يوصيَ عمّالَهُ، ويستوصي بحضورِ المساجدِ الجامعةِ، والمصلَّياتِ الضّاحية، في الأوقاتِ الذي يجب فيها السَّعْي إلى ذِكْرِ الله، بصدورٍ لعبادته مُنْشرحة، وآمالٍ في رحمتِهِ منْفسِحة، وقلوبٍ لوَعْدِهِ راجية، وأنْفسٍ لوعيدِهِ خاشية، وهممٍ على أمره موفورة، ونيّاتٍ على طاعتِهِ مقصورة، وأنْ يجْعلوا بروزهم إليها في أحْسنِ هيئةً، وأكْملِ دعةً، وأظْهر عُدّةً، وأوْقر سكينة، فإنّها بيوتُ الله التي شَرَّفها، ولا أحدٌ أوْلى بحسنِ السِّيرةِ فيها، والاحتذاء لرسُومها، ممّن جُعل قيّماً على استيفاء شُروطِها، آخذاً للنَّاس بأداء حقوقها. وأنْ يقيمَ الدَّعوةَ لأمير المؤمنين، على سائر المنابر في أعْمالِهِ حَسْب ما جرتْ العادةُ، قال الله جلّ من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[4].

---

(١) من: ر.

(٢) ساقطة في س.

(٣) سورة النساء، من الآية ١٠٣.

(٤) سورة الجمعة، من الآية ٩.

وأمَرَهُ أنْ يعرفَ لرُكْن الدَّوْلـة أبي عـليٍّ، وعِـزّ الدَّوْلـة أبي منصـور مَـوْلَيي[١] أمـير المؤمنين – تولّاهما اللهُ – حقّ منزلتِهَا من أمير المؤمنين، وغناءَهما عـن كافَّـةِ المسـلمين، وأنْ يكثر[٢] ذكْرهما في مجالس الحشدِ والحفلة، ومـواطن الأُنْـس والبذلـةِ، شـعاراً مـن الإكْبار والإعْظام، والإجلال والإكرام، ببيان[٣] عـن كافّـة الأوْليـاء، ويكـونُ مُضـاهياً لمكانِهما من الاجتباء، حَسَبَ ما يخاطبان بـه بحضْـرَةِ أمـير المـؤمنين وأطْـراف بـلادِهِ، ويذكران به في الكتبِ عنه وإليه، وأنْ يَرْفعَ من جهتهما أخْبارَ أعمالِه، وينهى على أيْـديهما ما يجبُ إنهاؤُهُ من أحوالِهِ، ويمتثل ما يخرجانه من أمْـرِ[٤] أمـير المـؤمنين ونهيـه، ويقـف عندما يعلمانه من رأي أمير[٥] المؤمنين وعَزْمِـهِ، وأنّهـما الوليّـانِ الصّـالحان، والظّهـيرانِ النّاصحان، ومَن لا يستظهرُ أمير المؤمنين عليه فيما يرفعُه إليه ويُنْهيه، ولا يُطْلقُ لأوليائِه التَّوقُّفَ عمّا يُسْندُهُ عنـه ويحكيـه، قـال الله عـزّ وجـلّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[٦].

وأمَرَهُ بأنْ يُحسِنَ السِّيرةَ فـيمَن قِبلَـهُ مـن أوليـاءِ أمـير المـؤمنين ومَواليـه، وجُنْـده وشاكريّته[٧]، وأنْ يُدرّ عليهم أرْزَاقَهم ويـزيح عِلَلهـم في أمْـوالِهم، ويسـتديمَ طـاعتَهُم ونَصيحتَهُم، ويَمْتري إخْلاصَهم ومُوالاتِهم، ويُثيب محسنِهم عـلى الإحسـان، ويتغمّـد

(١) ف: موليا. ر، س: مولى.

(٢) ر، س: يكسو.

(٣) بعدها في ر: به.

(٤) ساقطة في ر.

(٥) ساقطة في ر.

(٦) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(٧) ف: جاكريته.

مسيئهم بالغفران، ويشاور منهم ذوي السّنّ والحِنكة، وأهل العِلْم والتّجربة، فإنّ الشّورى لقاح المعرفة، والاستبداد داعي الهجنة، ويقدّم من قدّمته الكفاية دون العناية، ويُؤخِّر مَن أخَّرَهُ[١] الإنْصاف دونَ الانحرافِ، فإنّه إذا أطاع الهوى في إدْناء مَن يُدني، وإقصاء مَن يُقصي جَرَح البصائر، وقَدَح في الضَّمائر، وعادى مَن يُعدّ للعدوِّ، واستفسد[٢] مَن يُدّخرُ للاصْطلاح، وإذا جَعَل زيادتَهُ من زاد، ونَقص من نَقْص عن نظرٍ في قدرِ الاستحقاقِ، يقرّبُ إليه أهل العِلْم لغَنائهِم، ولم يَلُمْهُ أهلُ العَجْز على إقصائِهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾[٣].

وأمَرهُ أنْ يوكلَ بالثّغورِ مُراعاته، ويصرف[٤] إليها عنايتَهُ[٥]، وينوطَها من أنجاد الوُلاة، وبُسَلاء الكُفاة، ممّن يضطلع بتدبير الحروبِ، ويعرفُ وُجُوهَ الاحتراسِ، ويهتدي لنَصْبِ المكائد، ويتحرّزُ من اتّجاه الحيلِ، وأنْ يطرِقَها بنفسِهِ، ويُشرِفَ عليها بنظرِهِ، ويشحَنَها بالخيل والرّجل، ويستظهرَ لها بالآلة والسِّلاحِ، وأنْ[٦] يجعلَ مرابطة الرّجال بها نُوَباً، ولا يجمّر فيها بَعْثاً، فإنّ ذلك سنّةُ الأئمةِ المرتضاة[٧]، وعادتِهم المتبعةُ المحتذاة. وأنْ يوصي ولاتَهُ بالتّثبتِ والتّيقظِ، والتّحزُّم والتَّحفظ، والحذرِ من ركوبِ

---

(١) بعدها في س (واو) ولا داعي لها.

(٢) ر: استفسك.

(٣) سورة النجم، الآيات ٣٩-٤١.

(٤) س: يصون.

(٥) ف: عناياته.

(٦) ساقطة في ف.

(٧) ر: والمرتضاة.

غرّة، وإبداء عَوْرة، وألّا يمنحوا عدوَّهم ظَهْراً، ولا يولُّوه دُبُراً، ولا يحتموا عن مُناجزٍ، ولا يصدّوا عن مبارزٍ، ويبذلوا النُّفوس مع الحيطةِ، ويَسْمحوا بالمَوْتِ في غير إضاعةٍ، ولا يرغّبوا في الحياةِ الفانيةِ فيهنوا[١]، ولا يَصْدِفُوا عن الدّار الباقيةِ فيجبنوا[٢]، فمَن شرى نَفْسهُ فقد تاجرَ اللهَ التّجارةَ التي لا تخسرُ، ومَن باعَ دُنْياه فقد ضَمِن الوفاءَ الذي لا يُغدرُ، وقد قال اللهُ عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٤].

وأنْ يُزيحَ العلّةَ في جميعِ ما يحتاجُ إليه لنفقاتِ هذه الثُّغور، راتبها وحادثها، وقليلها وكثيرها، وبناءِ حصونِها ومَناظِرها، وابتياع كُراعها وأسْلِحتها، وإصلاح طُرقِها ومَسالِكها، وإقامة أنزالها وعلوفاتِها، وإرزاقِ رجالها ووُلاتِها، واتّخاذِ عُددِها وآلاتِها؛ حتى يستقيمَ أمْرها وينتظم، ويلتئم ضَبْطُها ويلتئم، من غير اعتلالٍ في ذلك ولا مدافعة، ولا احتجازٍ عنه ولا مراوغة، حسب ما شَرَطهُ عِزّ الدَّوْلة أبو منصور مَوْلى أمير المؤمنين - رعاهُ اللهُ - عليه، وضمنه أمير المؤمنين عَنْه، فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[٥].

---

(١) ساقطة في ف.

(٢) ساقطة في ف.

(٣) سورة البقرة، من الآية ١٩٥.

(٤) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٥) سورة المائدة، من الآية ١.

وأَمَرهُ أن يُعْطيَ الأمانَ لمن عاذ به، ويبذلَ السِّلْمَ لمن اتّقى بصفحته، وأنْ يعتقدَ الوفاءَ فيما يشرط، والقيامُ بما يعقد، والصّدقُ فيما يُجيزُ، والإنجاز لما يعِدُ، وأنْ يَخْفر ذمّته، ولا ينقضُ عهده، ولا يكذّبُ قولَهُ، ولا يجرح أمانتَهُ، وأنْ يقومَ بما يعقدُهُ الرجلُ من عرض المسلمين، فإنّ ذمته ذمةُ جميعِ المؤمنين، وقد قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم: «المسلمون يسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يدٌ واحدة على مَن سواهم»[1].

وفي حُسْنِ[2] الوفـاءِ تسـكينُ النّـافرِ، وإينـاسُ الشّـاردِ، وتـألّفُ الأعـداء، وجمْـعُ الأهواءِ، واستعطافُ القلوبِ، وتوددُ إلى النّفوسِ، وقد قال الله عزّ وجـلّ: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[3].

وأَمَرهُ بأنْ يُوْكـلَ بالطّرقـاتِ مـن الخيـلِ والرّجـالِ مَـن ينفضـها[4] لـيلاً ونهـاراً، ويستقرئها سَهْلاً وجَبَلاً، ويسيرُ في برِّها وبحرِها، ويتردّدُ بين جوادّها وعوادِها، ويُقلّـدُ عليهم أهلَ النّجدةِ والبَسالة، وذوي الشِّدّةِ والجَزالة، ويُوعزُ إلى مَن يوليـه بـأنْ يتتبّعـوا مظانَّ أهلِ الرِّيبِ فيشرّدوهم عنها، ومكامنَ أهلِ العَيْثِ فيبعدُوهم منها، وأنْ يقبضـوا على مَن يجدونَهُ من ذوي التُّهم، ومَن تتعلّقُ بهـم الظّـنُنُ، ويستقصـي أحـوالَهم بَحْثـاً، ويستبطنها علماً، فمَنْ صَحَّ عليه ما نُسب إليه أمْضى فيه حُكمَ الله العَدْل، وأجْرى عليـه قضاءه الفَضْل، ومَن كان بريئاً مما ظنّ به فما على المحسنين من سَبيل. وأنْ يسـيروا مـع

---

(١) نصّه: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يدٌ على مَن سواهم، يسعى بـذمّتهم أدنـاهم، ويـردّ عـلى أقصاهم». أخرجه ابن ماجه في سننه، ج٢، ص٨٩٥ (رقم ٢٦٨٣).

(٢) ر: أحسن.

(٣) سورة الأنفال، من الآية ٦١.

(٤) نفض الطريق: حفظه والتحقق من سلامته، وخلوّه من العدو وأسباب الخـوف والخطـر. ابـن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٢٤١ (نفض).

السّابلة، ويصحبوا مَن يسلك الطّرق من المارّة، ويحموا النُّفوس والأموال، ويحوطوا الذّراري والتّجارات، ويقفوا على مَن تخلّف، ويسيروا بمَسير[١] مَن ضَعُفَ حتى لا يلحق أحداً من السّالكين عَيْث، ولا يغوله دون مَقْصده غول، ولا يلزموا أحداً من المجتازين مؤونة ولا نائبة، ولا يحملونه ثقلاً ولا كلفة، لتؤمن السُّبُل، وتُحمى المسالك، وتدرّ للرّعيّةِ المتاجر، وتستقيم لها أسبابُ المعايش، وتكون الطّرقُ مضبوطة، والأموالُ محوطة، واللهُ خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين[٢].

وأمَرهُ أنْ يرتّب في مَسالح عمله أهل الجَلَد والشّهامة، والحَزْم والصَّرامة، ومَن يتنزَّهُ عن دنيِّ المكاسب، ويعفُّ عن لئيمِ المطاعمِ والمطالبِ، فإنّهم يخلونَ بابنِ السَّبيل، والشّاذِّ الفريد، ومَن لا يعصمُهُ منهم إلّا تورّعهم، ولا يحميه من معرّتهم إلّا كفّهم، ومتى كانوا أهْل إسْفافٍ وجشعٍ ودناءةٍ وطبعٍ، لم يؤمنْ تحكّمهم في مالِ الرَّجل الغريب والفذّ الوحيد، ومَنْ لا ناصرَ له من الغرباء، وفي مَن يُطمعُ في مثلِه من الضُّعفاء. وأنْ يُجري على كلِّ مَن يرتبه في هذه المسالحِ ما يكفه ويكفيهِ، ويلزمُهُ الحجّةَ عند تعدّيه، ويعرضهم عند الاستحقاقات، ويطالبهم بلُزوم مراكزهم على الأوقات، فإنْ وجدَ بعد ذلك منهم مَن أخلَّ بمكانه من غير عذرٍ، أو مدَّ يداً إلى شيءٍ من أموالِ المجتازينَ بغير حقّ، أمْضَى عليه من الحُكْم ما يوجبُه جُرْمُه، فإنّ عقاب المسيء استصلاحٌ ورَدْعٌ[٣] لِسواهُ عن مثل خطيئتِه، واللهُ تعالى يقول: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[٤].

---

(١) ف: بسير.

(٢) من قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ سورة يوسف، من الآية ٦٤.

(٣) في الأصول الخطية: استصلاحاً وردعاً

(٤) سورة النساء، من الآية ١٢٣.

وأمَرهُ بأنْ يوليَ الأحداثَ أهل العَقْلِ والرِّعة والضَّبْطِ والعِفَّة، وأنْ يوعزَ إليهم بتركِ المُحاباة والمراقبة، والإعْراضِ عن المسألة والشّفاعة، والتَّشدُّدِ على أهل الرّيبِ، حتى لا تَظهر منهم[1] منكرة، ولا يُوقفَ لهم على فاحشة، وأنْ يُبطل الحاناتِ والمواخير، ويحظرَ إبداء الملاهي والخُمور، ويَمْنَع من سائر المناكير، ويورعَ عنها بالحدود والتعازير[2]، لئلّا تُباحُ الحُرماتُ، وتُضاعُ الصَّلواتُ، وتُقترفُ السّيئاتُ، وتُرتكبُ المحظوراتُ، قال الله جلّ ثناؤه، وعلا ذكره وكبرياؤه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[3] وقال عزّ وجلّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[4]، وذمّ قوماً فقال: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[5]، واللهُ يقولُ الحقَّ، وهو يَهْدي السَّبيل.

وأمَرهُ أنْ يعرض مَن تحويه المحابس من المتّهمين والجُناة، ويستظهرَ بنظرِهِ على مَن يستنيبه من الولاة، فمَن استوجَب حدّاً أقامه عليه، ومَن اعترضتْ أمرَهُ شبهتُهُ درِءَ الحدَّ عنه، ومَن استحقَّ تعزيراً اجتهدَ في قدرِ ما يستصلحُه به، ومَن كان الحظُّ في حَبْسِهِ كفاهُ الحَبْسُ شرَّ نفسِهِ، ومَن كان بريءَ السّاحةِ خلَّى سَبيله، ولم يطلقْ يداً بظلم عليه. وأنْ يتعرّفْ أحوالَ مَن يضمّهُ الحبس، فمَن[6] كان من أهل المسْكَنةِ أزاح علَّتَهُ من قُوتِهِ وكسوتِهِ بالمعروفِ، وألّا يتجاوزَ في ذلك كلّه الحقَّ، ولا يتعدّى الرَّسمَ، فإنّ اللهَ هو

---

(١) من: ر.

(٢) هذا ما في ف، وفي ما دونها: التعزير.

(٣) سورة مريم، الآية ٥٩.

(٤) سورة آل عمران، من الآية ١١٠.

(٥) سورة المائدة، من الآية ٧٩.

(٦) ف: فإن.

أرحمُ الرّاحمينَ، وأعْرفُ بمصالح العالمينَ، بيّن في بعض الجرائم حدودَ الأحكامِ، ووكّل بعضَها إلى اجتهاد الحكّام، وعلى الوالي أنْ يتّبع[1] فيها ما أمر اللهُ، غير مطيعٍ هواهُ في لينٍ ولا خشونةٍ، ولا متصرّفٍ مع شهوتِهِ في رفقٍ ولا غلظة[2]، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3].

وأمَرهُ بالاحتياطِ على مَن يجدَهُ في نواحيهِ من العَبيد الأُبّاق، والأرقّاء الهرّاب، ويعرفُ أوطانَهم التي فارقوها، ويردُّهم إلى مُلّاكهم الذين أبقوا عليهم، والاحتفاظِ بالضّوال وإنشادها، وأنْ يمنعَ من امتطاء ظهورِها، وأكْلَ لحومِها، وحَلْبَ ألبانِها، واجْتِزازَ أوبارِها، واستباحةَ محارِمِها، وتناولَ منافِعها، وأنْ تكونَ على أصْحابِها مقصورةً، وعمّن سواهم محظورةً، وأنْ يعرّفَ اللُّقَطات ويستأني بها حضورَ أربابِها، فيسلِّمَها لمن يستحقَّها بأوصافِها فقد قال النبي صلّى الله عليه وسلَّم: «ضالّة المؤمن حرق النّار»[4]، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[5].

وأمَرهُ أنْ يوعزَ إلى أصحابِ المعاونِ في إقامةِ الأحْكام، وأنْ يَحْضُروا مجالسهم[6]

---

(١) ف: يتتبع.

(٢) (هواه....... غلظة) ساقط في ف.

(٣) سورة البقرة، من الآية ٢٢٩.

(٤) أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن النار جزاء من تعرض للبهائم الضالة. انظر تخريجه في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري، ج٣، ص٤٠٥.

(٥) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٦) س: مجالس.

العامّة، ويُطيعوهُم الطّاعة التّامة[1]، ويخّصوا إليهم مَنِ امتنعَ من المحاكمة لديْهم، ويَحْبِسُوا ويطلِقُوا بأقْوالِهم، ويثبّتوا الأيْدي في الأملاكِ، وينتزعُوها بأحكامِهم، وأنْ يوفُّوهم حقّ الإجْلال والإكْرام، وواجب التَّوقير والإعْظام، ولا يعصُوا لهم أمْراً ولا يخالفوا لهم حُكْماً، وأنْ يقووا أيْدي عُمّال الخَراجِ في استيفاءِ مالِ الفَيْءِ، ويبذلُوا لهم مطالبة مَن تَقاعَس عن الأداء، وأخلَّ بشرائِط الوفاء، ويَقْبلوا منهم الحوالاتِ بأمْوالِهم وأمْوالِ رجالِهم على الجهاتِ، التي يكونون على الاستيفاءِ منها أقدر، ولا يحتجّوا في شيءٍ من ذلك باستصعابٍ، ولا يمتنعُوا منه لبُعْد مرامٍ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2].

وأمَرهُ أنْ يعدل في الرّعيّة، ويَحْملَها على حُكْم السَّويّة، ولا يَجْعل في الحقِّ مزيّةً، بين مُسْلمٍ ومُعاهَدٍ، وقويٍّ وضَعيفٍ، ودنيٍّ وشَريفٍ، وخاصٍّ وعامٍّ، وقَريبٍ وبَعيدٍ، وعدوٍّ وصديقٍ، ولا يَفْضِلُ بين ذي آصرةٍ وعصْمةٍ، ولا يميلُ مع ذي ذِمامٍ وحرْمةٍ، وأنْ يفتحَ لهم بابه، ويَرْفع عنهم حجابه، ويمكِّنَهم من الوصولِ إليه، وعَرْض مظالمهم عليه، ويُبْسِطَ لهم وجهَهُ، ويلينَ لهم كنفه، ويبذل لهم[3] بِشْرَهُ، ويخفضَ جَناحَهُ. وأنْ يتفقّدَ الصّغيرَ والكبيرَ من أمورِهم، ويتكلّف الدّقيقَ والجليلَ من مَصالحهم، ويكفّهم عن التّظالم، ويقبضهم عن التغالب، ويُعزَّ ذليلَهُم بالحقِّ، ويُذلَّ عزيزَهُم للحُكْم، ويرفعَ من أمْثالِهم وحُلمائهم، ويأخذَ على أيْدي جُهّالِهم وسُفهائهم، ويَحْملهم على أحْسنِ الخلائق، ويقيمَهُم على أقصدِ الطَّرائق، قال الله تقدَّستْ أسماؤُه: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى

---

(١) (الطّاعة التامة) ساقط في ر

(٢) سورة المائدة، من الآية ٢.

(٣) ساقطة في ر.

ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1].

وأمَرهُ أنْ يرفعَ عن الرّعيّة ما شَرَعهُ أشرارُ العُمّال من سُنن الظُّلم، وسِيَر الغشم، وأحدثوهُ من الرُّسومِ الباطلةِ، وطرقوهُ من المُعاملاتِ الجائرةِ، ولا يستعمل عليهم عاملاً إلّا بأجرةٍ، ولا يُدْخِلَ لهم رَبْعاً إلّا بإذنٍ، ولا يُسخِّر حَمُولةً، ولا يحمي مرعىً، ولا يعترض حلباً، ولا يبيح سَواماً، ولا يكلّفَهُم علوفة، ولا يلزمَهُم مَغْرماً ولا ميرةً، ولا يُطالِبَهُم بضريبةٍ ولا مَكْسٍ، ولا يَجْبيهم عند مَأصِرٍ[2] ولا رَصَد، ولا يقتطعهم عن معيشةٍ ولا حِرْفةٍ، ولا يُشْغِلَهُم عن تجارةٍ ولا مِهْنةٍ، ولا يأخُذَ حاضراً بغائبٍ، ولا بريئاً بمتَّهمٍ، ولا يطالبَ صَحيحاً بسقيمٍ، ولا يكلّفَهُ جَريرةَ أخٍ ولا حميمٍ، قال اللهُ عزّ وجلّ: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[3].

وأمَرهُ أنْ يختارَ للخراج والأعْشارِ والضِّياعِ والجَهْبَذة والصَّدقاتِ والجَوالي[4] ذوي الغَناء والكفاية، وأهل النَّصيحة والأمانة، ومَن يُوثَق بدينِه، ويُسكن إلى حِنْكتِه، ومَن كشفَتْ المحنةُ أخبارَهُ، وأبدتْ التّجربةُ أسرارَهُ، حتى يأمنَ الإقدامَ منهم على غِرَّة، والتّعرّض لندامةٍ وهجنة.

وأنْ يُوعزَ إلى عُمّال الخَراج والأعْشار بالتَّلطُّفِ في الجباية، واستدرار الأموالِ

(١) سورة ص، من الآية ٢٦.

(٢) المأصِر: سلسلةٌ أو حبلٌ يُشدّ معترضاً في النهر، يمنع السفن عن المضيّ إلّا بعد دفع الرسوم. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٩٥. والمقصود هنا أماكن استيفاء تلك الضرائب والرسوم.

(٣) سورة النجم، الآيتان ٣٧-٣٨.

(٤) الجوالي: هي الجزية التي تفرض على أهل الذمة البالغين، يعفى منها غير البالغين والطاعنون في السن والنساء ورجال الدين والفقراء. انظر تفصيلاتها عند: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢١٨.

بالرِّفق والمياسرة، وأنْ يتجنَّبوا الشِّدَّة التي تُخرِجُ إلى العُنْف، واللِّين الذي يؤول إلى الضّعف، ويتّبعوا في سيرتهم مع الرّعيّة سَبيلاً وسطاً بين الإهراج والإحراجِ[١]، وحالاً أمماً[٢] فوق التفريطِ[٣] ودون الإفْراطِ، فبذلك يستغزرُ الفَيْءُ، ويعمُّ الصّلاحُ.

وإلى والي الضِّياعَ بإقامة العِمارِاتِ، والاحتياط على الغَلّات، والاحتراسِ من إتْواء حقّ أو تعديةٍ إلى حَيْفٍ. وإلى الجهابذة باستيفاءِ ما يقبضون، والاحتياطِ على ما يخزنون، والتّوفيةِ فيما يطلقون، وأنْ يجروا النّقد فيما يأخذون، ويُعطون على غايةِ الصّحة، ويُؤدّى فيها حقّ الأمانة. وإلى سُعاة الصَّدقات بأنْ يأخذوا الفرائض من مَواشي المسلمين السّائمةِ دون العاملة، على ما أوجبَهُ اللهُ فيها، واتِّباع سُنَنها، وترك تعدّيها، وألّا يَجْمعوا متفرِّقاً، ولا يُفرِّقُوا مُجتمعاً، ولا يأخذوا ما حُظر أخْذهُ من أكولة الرّاعي[٤] وفَحْل الإبل، وما جرى مجراهما من عَقائل الأموال، وحزائر السَّوام، حتى إذا اجتمعتْ من حلِّها فرَّقَها في سُبُلها، وصَرَفها إلى مَن ذكرهُ اللهُ في كتابِه إلّا سهم المؤلَّفة قلوبهم، الذي زال حكمه.

وإلى عُمّال الجوالي بأنْ يستخرجُوا في المحرَّم من كلِّ حولٍ من رجالِ أهلِ الذّمةِ البالغين الواجدينَ جزيةَ رؤوسهم على حسبِ احتمال أحوالهم في وجدهم وإعدامهم، وألّا يأخذوا شيئاً من النساء، ولا من الأطفالِ، ولا من ذوي العاهاتِ، ولا من الشَّيخِ

---

(١) جاءت الكلمتان مضطربتين في الأصول الخطية: الإهراج، الإخراج، الإحراج، الإمراج، بدون نقط.

(٢) ر، س: ممّا.

(٣) ر، س: التقصير.

(٤) هي الشاة التي يسمّنها الراعي ويعزلها لأكله، ويكره لعامل الصدقة أن يأخذها من الراعي. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٢٠ (أكل).

الفاني،ولا من الفقيرِ المُعْدم، وأنْ يراعيَهم حتى يمتثِلوا، ويمنَعهم أنْ يُغيِّروا أو يبدّلوا، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[١].

وأمَرهُ بأنْ يختارَ للعَرْض والعَطاءِ والنَّفقةِ والأولياءِ مَن يثق باضطلاعه، ويسكن إلى استقلاله، ويرسمَ له الاحتياطَ في أسماءِ الرِّجالِ وحُلاهم، وشياتِ خيلهم، وأنْ يعرضَهم بعد الاستحقاق، وعِنْد وُجُوب الإطْلاق، على الأسْماءِ والحُلَى الثّابتةِ عن الدَّواوين، وما تتضمّنه الجرائدُ لكلِّ حين؛ فإذا صحّ[٢] عرضهم ولم تبقَ شبهةٌ فيه، وأمِنتْ غيبةُ بعضِهُم عنه؛ أنْفق فيهم أموالهم على منازلِهم ورُتبهم، وما توجبُه الدَّعوةُ من تقديمِهم وتأخيرِهم. وأنْ يُوفّرَ أرزاق السّاقطينَ والمخلّينَ، ويطالبَ الرِّجال بإحضار الخَيْل الجيادِ، والشِّكَك[٣] التّامةِ على ما توجبُه أرزاقُهم، وتقتضيه أعطياتُهم[٤]، وإنْ أخّر أحدُهُم شيئاً يجبُ إحضاره، ألزمَهُ فيه القَصاصَ والغرمَ، على ما جَرَتْ به العادةُ والرَّسم ؛ فإنّ في تمامِ لاماتِهم[٥]، وانتظام آلاتِهم، قوةً لهم وعزّاً، ووهناً لعدوّهم وذلّاً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[٦].

وأمَرهُ أنْ ينوطَ المظالم، وأسواقَ الرَّقيقِ والعيارِ في دور الضَّرْبِ، والطّرْزِ، والحِسْبَةِ بمَنْ يجمعُ إلى ديانتِهِ فِقْهاً، ومع وَرعِهِ فَهْماً ؛ فإنّهنَّ أمورٌ[٧] كالحكم، لا يضطلع

---

(١) سورة المائدة، من الآية ٤٤.

(٢) من: ر.

(٣) الشكك : جمع شِكّة وهي ما يلبس من السلاح. الزبيدي، تاج العروس، (شكك).

(٤)س: عطاياتهم.

(٥) اللّامة : السلاح، وقيل إنها الدرع خاصة. ابن سيده، المخصص، ج٢، ص٤٨.

(٦) سورة الأنفال، من الآية ٦٠.

(٧) س: أموراً.

بها إلّا أهلُ العِلمُ. وأنْ يُوعزَ إلى وُلاةِ المظالم بأنْ يَبْرزوا للمتخاصمين، ويتمثلوا للمتنازعين، وينظروا فيما يُختلفُ فيه من الحقوق، على سَبيل البَحْثِ والكَشْف، وطريقِ التّعرُّفِ والفَحْص، فإنْ ظهرَ الحقُّ اتّبعوهُ، وإنْ أُشكلَ من هذه الجهةِ ردّوا الخُصوم إلى القُضاة؛ ليفصلوا المنازعات على صَريح الحُكْم. وإلى أسواقِ الرَّقيقِ، بالتّحفُّظِ فيما يُباعُ فيها؛ لئلّا يكون منهم مَن يلحقُ أمرَهُ شُبْهةٌ، أو تتعلّق به تُهْمةٌ، إذ كان ذلك أمر يعودَ فسادُه في الفُروجِ مع الأمْوالِ، ويَسْري ضَرَرُه إلى الأنْسابِ مع الأمْلاكِ. وإلى وُلاةِ العيار بتَصْفية عَيْن الدِّرْهَم والدِّينار من كلِّ خَبَث، وتخليصهما من كلِّ غشٍّ ودَنَسٍ، وضَرْبهما على الإمام الذي يُضرَبُ عليه العينُ والوَرِقُ بمدينة السَّلام، ومَنْع التُّجار الذين يوردونَ الذّهب والفضَّة إلى دُور الضَّرْب من تجاوزِ ذلك وتعدِّيه، وعقوبة مَن خالفَ بما يوجبُه جرمُهُ ويقتضيه، وإيقاع اسمِ أمير المؤمنين على ما يُضربُ من الصّنفينِ حسب ما جرتْ به العادةُ، وما يشاكل الرَّسْم[1] والحكاية. وإلى وُلاةِ الطَّرْز بأنْ يُشْرِفوا على الصُّناعِ فيما يتّخذونَهُ في المناسج، حتى يجوّدوه، وأخذهم بإثبات اسمِ أمير المؤمنين على ما يُصنَعُ من الأعْلامِ والبُنود، ويُنسَجُ من الكُسى والفُروش، وإلى وُلاة الحِسْبةِ بمُراعاةِ أمور العوامِّ، في المتاجر والصِّناعاتِ، ومنعهم من الغشِّ والتّدليسِ في سائر المعاملاتِ، وامتحان المكاييلِ والأوزانِ، وحياطتها من التّطفيفِ والنُّقصانِ، فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[2].

(١) ساقطة في ف.

(٢) سورة المطففين، الآيات ١-٣.

هذا عَهْدُ أمير المؤمنين إليك وتوقيفه، وتهذيبه وتثقيفه[١]، وتأديبه وتبصيره، وتنبيهه وتذكيره، قد هَداكَ به إلى الرُّشد، وأقامَكَ على القصْد، وأوْسَعك من مواد الحكمة، وأهابَ بكَ إلى دَواعي الرَّحمة، وبلَغَ العذْرَ فيما أوْجَبَ اللهُ على الأئمةِ الهادين، والخُلفاءِ الرّاشدين، مع الحضِّ على الاسْتعْداد، وأخْذ الأُهبةِ ليومِ الحِسابِ والمعاد، والتّحذيرِ من الاغْترارِ وسَقطاته، والنّسيانِ وفرْطاتِه، والسَّهْوِ وعَثَراتِه، واللَّهْوِ وغفلاتِه، والدّعاء إلى سَبيل الله وطُرُقه، والمُراماةِ عن أمرِ الله وحَقّه، والمُراعاةِ لشروط الدِّين وحُدودِه، والمُحافظة على مَواثيقه[٢] وعُهودِه، والتّرغيبِ في الثّوابِ العظيم، وجنّاتِ النّعيم، والتّخفيفِ من العِقابِ الأليم، ونيران الجحيم، وبه يُتِمُّ اللهُ عليكَ نعمتَهُ، ويُقيّض لك عِصْمَته، ويمدُّكَ بتوفيقِه، ويعينُكَ على حقوقِه؛ فتأمَّلْهُ تأمّل المُعْتبِر، وتدبّرْهُ تدبُّرَ المُسْتبصرِ، ووكّلْ به ذهنَك، واصرفْ نَحْوَه فهمَكَ، وأصِخْ إلى ما أمرَ به أمير المؤمنين إصاخة السّاعي لحظِّه، واصغِ إلى ما أمرَ به ورسَمَهُ إصغاءَ المُنتفعِ بوعْظِهِ.

واعلمْ أنّ أمير المؤمنين قد ملّكك عِنان دينِكَ، وأعلقك زِمام آخرتِك، ووقفك بين سَعَة العُذْرِ، وضِيق الملامةِ، وخيّرك فسحةَ النّجاةِ، وضنكَ الهلْكةِ، فظنّه بكَ ما كان أحمى للحَوْزة، وأذبَّ عن البَيْضة، وأنْظمَ للألفة[٣]، وأجْمَع للكلمة، وأسْكَنَ للدّهْماء، وآمنَ للرّعية، وأعْدلَ في القضيّة، وأظْهَر للمعروف، وأقْمَع للمُنْكر، وأولى لحفظِ[٤] الوَديعة، وأدْعَى إلى رَبِّ الصَّنيعة، وأكثرَ التّعهُّدِ لعَهْدِه، والتَّفهُّم لأمره ونَهْيه، واجْعلْ

(١) س: توفيقه.

(٢) س: موابيقه.

(٣) س: الألفة.

(٤) ف: بحفظ.

وَصيّتَهُ حُجّةً[١] لكَ، ودلالتَه شاهدةً بطاعتِكَ، وطالعْه بما أشكل، واستدلـله على ما استبهم، واعضد نفسك[٢] برأيهِ الأصيل، المكْنوفِ بالصُّنعِ الجميل. وليكن[٣] التجاؤُك إلى الله أولاً، وثقتكَ[٤] باطناً وظاهراً، وعملُكَ له سرّاً وجَهْراً، وأملكَ فيه بدْءاً وعوداً، فإنّ الله لا يسلم مُسْتجيراً، ولا يخذلُ مُسْتنصِراً، ولا يُضيعُ أجرَ عاملٍ، ولا يُخيّبُ رجاء آملٍ. وأمير المؤمنين يسأل الله أنْ يحسنَ عوْنكَ، ويُسدِّدَ رأيكَ، ويتولّى توفيقَكَ، ويعزَّ نَصْرَك، ويُصْلِحَ بك وعلى يدِك، ويعرفُه وكافة المسلمين يمن استكفائكَ بمنِّه وطَوْلِه، وقُدْرته وحَوْلِه[٥].

وكَتَب يوم الإثنين لعَشْرِ ليالٍ بقيْنَ من ذي القعدةِ سنة ستٍّ وستّين وثلاثمائة.

---

(١) س: وحجة.

(٢) ر، س: نغيك.

(٣) س: إليكن.

(٤) ف: تقيتك به.

(٥) ساقطة في ف.

نُسْخة مقاطعة عن المطيع لله بإقطاع أرضٍ إقطاع تمليك[1]

هذا كتابٌ من عبدالله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين

لفلان بن فلان

إنك رفعتَ قصّتك تذكر حالَ ضيعتَك المعروفة بكذا وكذا، من رُسْتاق كذا وكذا، من طَسُّوج كذا وكذا، وأنها أرضٌ رقيقةٌ قد تَوالى عليها الخراب، وانغلق أكثرُها بالسّدّ والدَّغْل، وأنّ أمير المؤمنين أمر بمقاطعتك عن هذه الضَّيْعة على كذا من الورق المرسل في كلِّ سنةٍ على استقبال سنة كذا وكذا الخراجية، مقاطعةً مؤبدةً، ماضيةً مقررةً نافذةً، يُستخرج مالها في أول المحرَّم من كلّ سنة، ولا تُتبع بنقضٍ ولا بتأوّل متأوّلٍ فيها، ولا يعترض معترضٌ في مستأنف الأيّام إن اجتهدتَ في عِمارتها، وتكلّفتَ الإنفاق عليها، واستخراج سُدودها، وقفل أراضيها، واحتفار سَواقيها، واجتلاب الأَكَرَة[2] إليها، وإطلاق البذور والتَّقاوي فيها، وإرغاب المزارعين بتخفيف

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٦، ص٣٣٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص١٣١؛ مآثر الإنافة، ج٣، ص٢١٢. تجدر الإشارة إلى أن بعض الجمل والكلمات في هذه الرسالة غير واضحة المعنى، بسبب سوء نشرات هذه المصادر الثلاثة.

(٢) إكّارو Ikkaru (m): فلّاح، كلمة مستعارة من السومرية LU.ENGAR: رجل المحراث، ويبدو أنها تعود إلى الشعوب التي سكنت جنوبي بلاد الرافدين قبل السومريين، بالعبرية «إكّار»، وبالسريانية «أكّارا»، وبالعربية «أكّار». بالعربية: الأكر: الأُكْرةُ بالضم: الحفرة في الأرض يجتمع فيها الماء فيُغرف صافياً. وأكر يأكر أكراً، وتأكَّر أكراً: حفر أُكْرةً، والأُكَرُ الحفر في الأرض، واحدتها أُكرة. والأكّار: الحرَّاث والزرَّاع، والجمع: أَكَرَة. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢٦ (أكر)؛ وانظر: مرعي، اللسان الأكادي، ص١٧٦.

طُسوقها[١] بحقّ الرقبة ومقاسماتها، وكان في ذلك توفيرٌ لحقّ بيت المال، وصَلاحٌ ظاهر لا يختلّ.

وسألتَ أمير المؤمنين الأمر والتقدّم بالإسجال لك به، وإثباته في ديوان السَّواد ودواوين الحضْرة وديوان الناحية، وتصييره ماضياً لك ولعقبك وأعقابهم، ولمن لعلّ هذه الضَّيْعة أو شيئاً منها ينتقل إليه ببيعٍ أو ميراثٍ أو صدقةٍ أو غير ذلك من ضُروب الانتقال، وإنّ أمير المؤمنين بإيثاره الصّلاح، واعتماده أسبابه، ورغبته فيما عاد بالتوفير على بيت المال والعِمارة للبلاد والترفيه للرّعية، أمر بالنظر فيما ذكرتَه، واستقصاء البحث عنه، ومعرفة وَجْه التدبير، وسَبيل الحظ فيه، والعمل بما يوافق الرّشد في جميعه؛ فرجع إلى الدِّيوان في تعرّف ما حكيتَه من أحوال هذه الضَّيْعة، فأُنفذ منه رَجُلٌ مختارٌ ثقةٌ مأمونٌ من أهل الخبرة بأمور السَّواد وأعمال الخراج، قد عرف أمير المؤمنين أمانته وديانته، وعلمه ومعرفته؛ وأمر بالمصير إلى هذه الناحية، وجمع أهلها من الأدلّاء والأكَرَة والمزارعين وثقات التُّنّاء[٢] والمجاورين، والوُقوف على هذه

---

(١) يبدو أن أول من استعمل هذه اللفظة في التاريخ الإسلامي عمر بن الخطاب، وذلك حينما فتح المسلمون أرض السواد، فقد قالوا لعمر: اقسمه بيننا، فإنا افتتحناه عَنوة. فأبى وقال: فما لمن جاء بعدكم من المسلمين؟ وأخاف إن قسمته أن تفاسدوا بينكم في المياه؛ فأقر أهل السواد في أرضيهم وضرب على رؤوسهم الجزية وعلى أرضيهم الطَّسْق. وكتب إليه عثمان بن حنيف في رجلين من أهل الذمّة أسلما، فردّ عليه: ارفع الجزية عن رؤوسهما وخذ الطَّسْق عن أرضيهما. ووضع القاسم بن سلام باباً في أرض العَنوة تقر بأيدي أهلها، ويوضع عليها الطَّسْق والخراج. كتاب الأموال، ص٧١، ص٨٦. وقال ابن منظور: الطَّسْق: ما يوضع على الأرض من خَراجٍ مُقرّر على الأرض. لسان العرب، ج١٠، ص٢٢٥ (طسق). وانظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٦٤؛ ابن الأثير، النِّهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص١٢٤؛ السبكي، فتاوى السبكي، ص٤٢٨.

(٢) تنأ بالبلد إذا أقام به، ومنه سُمّي التُّنّاء لأهل الضياع والمزارعين والمقيمين بالبلدان. العسكري، تصحيفات المحدثين، ج١، ص٢٤٤.

الأقْرِحة[١]، وإيقاع المساحة عليها، وكشف أحوال عامرها وغامرها، والمسير على حدودها، وأخذ أقوالهم وآرائهم في وَجْه صَلاح وعِمارة كلّ قراحٍ منها، وما يوجبه صَواب التّدبير فيما الْتمسته من المقاطعة بالمبلغ الذي بذلته، وذكرت أنّه زائدٌ على الارتفاع، والكتاب بجميع ذلك إلى الدِّيوان ليوقف عليه، ورسم ما يعمل عليه، وينهى إلى أمير المؤمنين فينظر فيه: فما صحّ عنده منه أمضاه، وما رأى الاستظهار على نظر الناظر فيه استظهر فيما يرى منه، حتى يقف على حقيقته، ويرسم على ما يعمل عليه.

فذكر ذلك الناظر أنّه وَقَف على هذه الضَّيْعة وعلى سائر أقرحتها وحُدودها، وطافها بمشهدٍ من أهل الخبرة بأحوالها من ثقات الأدلّاء والمجاورين، والأَكَرَة والمزارعين، والتُّنّاء الذين يرجع إلى أقوالهم، ويُعمل عليها ؛ فوجد مساحة بطون الأقْرِحة المزروعة من جميعها، دون سَواقيها ومُروزها[٢] وتلالها وجاريتها ومستنقعاتها، وما لا يعتمل من أراضيها بالجريب الهاشمي الذي تُمسح به الأرض في هذه الناحية كذا وكذا جريباً، منها جميع القَراح المعروف بكذا وكذا، ومنها موضع الحصن والبيوت والسّاحات والرّاحات والبراحات والخرابات، ووجد حالها في الخراب والانسداد وتعذّر العِمارة، والحاجة إلى عظيم المؤونة ومفرط النّفقة على ما حكيته وشكوته. ونظر في مقدار أصل هذه الجربان من هذه الضَّيْعة، وما يجب عليها، وكشف الحال في ذلك.

---

(١) يسمّي أهل بغداد البستان قَراحاً، وفي بغداد عُدّة محال تسمى بقَراح مضاف إلى رجل يعرف باسمه، لأنها كانت قديماً بساتين، ثم دخلت في عمارة بغداد. ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٠٧١

(٢) المرْز: الحباس الذي يحبس الماء،والجمع مروز. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٤٠٨ (مرز).

ونظر أمير المؤمنين في ما رفعه هذا المؤتمن المنفذ من الدِّيوان، واستظهر فيه بما رآه من الاستظهار، ووجب عنده من الاحتياط، فوجد ما رفعه صحيحاً صحّةً عرفها أمير المؤمنين وعلمها، وقامت في نفسه وثبتت عنده، ورأى إيقاع المقاطعة التي التمسها على حقّ بيت المال في هذه الضَّيْعة، فقاطَعَك عنه في كلّ سنةٍ هلالية، على استقبال سنة كذا وكذا الخراجية، على كذا وكذا دِرْهَماً براسم صحاحاً مرسلة بغير كسرٍ ولا كفاية[١] ولا حقّ حزْر[٢] ولا جَهْبَذة، ولا محاسبةٍ ولا زيادةٍ، ولا شيء من جميع المؤن وسائر التوابع والرّسوم، تؤدّى في أول المحرَّم من كلّ سنةٍ حسب ما تُؤدّى المقاطعات، مقاطعةً ماضيةً مؤبّدةً نافذةً ثابتةً على مضيّ الأيّام، وكُرور الأعوام، لا تُنقض ولا تُفسخ، ولا تتبع ولا يُتأوّل فيها ولا تغير. على أنْ يكون هذا المال، وهو من الورق المرسل، كذا وكذا في كلّ سنةٍ مؤدّىً إلى بيت المال، ومصحّحاً عند مَن يورد عليه إلينا في هذه الناحية أموال خراجهم ومقاطعاتهم وجباياتهم، لا يعتلّ فيه بآفةٍ تلحق الغَلّات، سماوية ولا أرضية، ولا بتعطيل أرض، ولا نقصان رَيْع، ولا بانحطاط سِعْر، ولا بتأخّر قَطْر، ولا بشوب غلّة، ولا بحَرْق ولا سَرَق، ولا بغير ذلك من الآفات، بوَجْهٍ من الوجوه، ولا سببٍ من الأسباب ؛ ولا يحتجّ في ذلك بحجّةٍ يحتجّ بها التُّنّاء والمزارعون وأرباب الخراج في الالتواء بما عليهم. وعلى أنْ لا تدخل عليك في هذه المقاطعة يدُ ماسحٍ ولا مخمِّنٍ ولا حازرٍ ولا مقدِّرٍ ولا أمينٍ ولا حاظرٍ[٣] ولا ناظرٍ ولا متتبّعٍ ولا متعرّفٍ لحال زراعة وعِمارة ولا كاشفٍ لأمر زرعٍ وغلّة، ماضياً ذلك لك ولعقبك من بعدك وأعقابهم، ووَرَثتك ووَرَثتهم، أبداً ما تناسلوا، ولمن عسى أنْ تنتقل هذه الأقْرِحة أو شيءٌ منها إليه

(١) صبح الأعشى: كعابه!

(٢) التذكرة الحمدونية: جزر، وفي نصي القلقشندي: حرب. والحزر هو تقدير غلّات الزروع. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٧.

(٣) التذكرة الحمدونية: خاطر.

بإرثٍ أو بيعٍ أو هبةٍ أو نَحْلٍ أو صَدَقةٍ أو وَقْفٍ أو مُناقلةٍ أو إجارة أو مهايأة أو تمليك أو إقرار أو بغير ذلك من الأسباب التي تنتقل بها الأملاك من يد إلى يد، ولا ينقض ذلك ولا شيءٌ منه ولا يغير ولا يفسخ، ولا يزال ولا يبدل ولا يتعقب، ولا يعترض فيه معترض بسبب زيادة عِمارة، ولا ارتفاع سعر، ولا وفور غلّة، ولا زكاء رَيْع، ولا إحياء مَوات، ولا اعتمال معطَّل، ولا عِمارة خَراب، ولا استخراج غامر، ولا إصلاح شرب، ولا استحداث غلّات، لم يجرِ الرسمُ باستحداثها وزراعتها، ولا يعد ولا يمسح ما عسى أنْ يغرس في هذه الأقْرِحة من النخل وأصناف الشجر المعدود والكروم، ولا يتأوّل عليك بما لعلّ أصناف المساحة أنْ يزيد به فيما يعمره ويستخرجه من الجبابين والمستنقعات، ومواضع المشارب المستغنى عنها، إذ كان أمير المؤمنين قد عرف ذلك، وجعل كلّ ما يجب على كلّ شيءٍ منه عند وُجوبه داخلاً في هذه المقاطعة، وجارياً معها. وعلى أنك فضلتَ شيئاً من مال هذه المقاطعة على بعض الأقْرِحة من جميع الضَّيْعة، وأفردتَ باقي مال المقاطعة بباقيها عند ملكٍ ينتقل منها عن يدك، أو فعل ذلك غيرك، ممّن جعل له في هذه المقاطعة ما جعل لك، من وَرَثتك ووَرَثتهم، وعقبك وأعقابهم، ومَن لعلّ هذه الضَّيْعة أو شيئاً من هذه الأقْرِحة ينتقل إليه بضَرْبٍ من ضُروب الانتقال قبل ذلك التفضيل منكم عند الرضا، والاعتراف ممّن تفضلون باسمه، وتحيلون عليه، وعوملتم على ذلك، ولم يتأوّل عليكم في شيءٍ منه. وعلى أنك إن التسمتَ أو التمس مَن يقوم مقامك ضرب منارٍ على هذه الضَّيْعة تعرف به رُسومها وطُسوقها وحُدودها، ضرب ذلك المنار أيّ وقتٍ التمستموه، ولم تمنعوا منه، وإنْ تأخر ضرب المنار لم يتأوّل عليكم به، ولم يجعل علّة في هذه المقاطعة، إذ كانت شهرةُ هذه الضَّيْعة وأقْرِحتها في أماكنها، ومعرفة مجاوريها بما ذكر من تسميتها ومساحتها، يغني عن تحديدها أو تحديد شيءٍ منها، ويقوم مقام المنار في إيضاح معالمها، والدّلالة على حُدودها وحُقوقها ورُسومها.

وقد سوّغك يا فلان بن فلان أمير المؤمنين وعقبك من بعدك وأعقابهم، ووَرَثتك وورثتهم أبداً ما تناسلوا، ومَن تنتقل هذه الأقْرِحة أو شيء منها إليه، جميع الفضل بين ما كان يلزم هذه الضَّيْعة أو أقْرِحتها من حقّ بيت المال وتوابعه، على الوضعيّة التّامة، وعلى الشروط القديمة، وبين ما يلزمها على هذه المقاطعة، وجعل ذلك خارجاً عن حاصل طَسُّوج كذا وكذا، وعمّا يرفعه المؤتمنون، ويوافق عليه المتضمّنون، على غابر الدّهور، ومرّ السِّنين، وتعاقب الأيّام والشهور، فلا يقبل في ذلك سِعاية ساع، ولا قَدْح قادح، ولا قَرْف قارف، ولا إغراء مُغْر، ولا قول مُعتب. ولا يرجع عليك فيما سوّغته ونظر إليك به بحالٍ من الأحوال، ولا برجوعٍ في التقديرات، ولا بنقضٍ للمعاملات ورَدِّها إلى قديم أصولها، ولا ضربٍ من ضُروب الحجج والتأويلات، والتي يتكلّم عليها أهل العدل على سَبيل الحكم والنظر، وأهل الجور على سَبيل العدوان والظلم.

ولم تُكلَّف يا فلان بن فلان، ولا عقبك من بعدك، ولا وَرَثَتك وأعقابهم، ولا أحد ممّن تخرج هذه الضَّيْعة أو هذه الأقْرِحة أو شيءٍ منها إليه على الوجوه والأسباب كلّها، إخراج توقيع ولا كتاب مجرد، ولا منشور بإنْفاذ شيءٍ من ذلك، ولا إحضار سجلٍّ به، ولا إقامة حجّةٍ فيه في وقتٍ من الأوقات. وعلى ألّا يلزمك ولا أحداً ممّن يقوم في هذه المقاطعة مقامك مؤونة ولا كلفة ولا ضريبة ولا زيادة ولا بقسط كَرْي[1] ولا مصلحة ولا عمل بزند[2]، ولا نفقة ولا مؤونة حماية ولا خفارة، ولا غير ذلك. ولا يلزم بوَجْهٍ

---

(١) كَرْيُ النهر: إخراج الطين المتراكم منه، وتنظيفه ممّا أُلقي فيه، وإزالة الأعشاب النابتة على جرفيه.

(٢) البزند هو البستان، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٩٥. قال الصّابي: كان أبو الحسن بن الفرات يستظهر في نفقات المصالح، ويستكثر من إعداد الآلات على الأماكن التي تخاف الحوادث منها، فلما ولى علي ابن عيسى العباس بن منصور على المصالح أظهر العفة وقلل النفقة، ونسب ابن الفرات فيما كان يفعله ألى التفريط والإضاعة. وقدر للنفقة على بزند من بزندات نهر الرفيل

من الوُجوه في هذه المقاطعة زيادة على المبلغ المذكور المحدود المؤدَّى في بيت المال في كلّ سنةٍ خراجية، وهو من الورق المرسل كذا وكذا، ولا يمنع من رَوْز[1] جَهْبَذ، أو حجّة كاتب، أو عامل بمال هذه المقاطعة إذا أدّيته وأدّيت شيئاً منه أولاً، حتى يتكامل الأداء وتحصل في يدك البراءة[2] كلّ سنةٍ بالوفاء لجميع المال لهذه المقاطعة، وعلى أنْ تعاونوا على أحوال العِمارة وصلاح الشرب، وتوفّر عليكم الصّيانة والحماية والذبّ والرّعاية.

ولا يتعقّب ما أمر به أمير المؤمنين أحدٌ من وُلاة العهود والأمور والوزراء وأصحاب الدَّواوين والكُتّاب والعُمّال والموفين والضُّمناء والمؤتمنين وأصحاب الخراج والمعاون وجميع طبقات المعاملين وسائر ضُروب المتصرّفين، لشيءٍ يبطله أو يزيله عن جهته، أو ينقضه أو يفسخه، أو يغيره أو يبدله، أو يوجب عليك أو على عقبك من بعدك وأعقابهم ووَرَثتهم أبداً ما تناسلوا، ومَن تخرج هذه الضَّيْعة أو شيءٌ منها إليه، حجّة على سائر طرق التأويلات، ولا يلزمكم شيئاً ولا يكلفكم عِوَضاً من إمضائه؛ ولا ينظر في ذلك أحدٌ منهم نظر تتبُّع ولا كَشْف ولا فَحْص ولا بَحْث.

وإنْ خالف أحدٌ منهم ما أمر به أمير المؤمنين، أو تعرّض لكشف هذه المقاطعة أو مساحتها أو تخمينها، أو اعتبارها أو الزيادة في مبلغ مالها، أو ثبت في الدَّواوين في وقتٍ

ثلاثون ديناراً، فلم يطلقها، وقال: نفقة هذا البزند واجبة على صاحب الضَّيْعة لأنها قطيعة. فأحدث فعله انفجار البثق المعروف بأبي الأسود في نهر الملك، فخرج إليه إبراهيم بن عيسى وأنفق عليه سبعمائة ألف درهم، وذهب من ارتفاع السلطان ببهرسير والرومقان وإيغار يقطين أضعاف ذلك، وكثرت البثوق والجبايات في نفقاتها والمضرة بحوادثها. تحفة الأمراء، ص٢٨٠.

(١) الرّوْز: التقدير والامتحان. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٥٨ (روز).

(٢) البراءة : حجّة يصدرها الجهبذ أو الخازن للمؤدي بما يؤديه إليه من مال. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٢.

من الأوقات شيءٌ يخالف ما رَسَمه أمير المؤمنين فيها، إما على طريق السَّهْو والغلَط أو العُدوان والظّلم والعناد والقَصْد، فذلك كلّه مردودٌ باطلٌ منفسخ، وغير جائزٍ ولا سائغ، ولا قادح في صحّة هذه المقاطعة وثُبوتها ووُجوبها، ولا معطّلاً لها، ولا مانعاً من تلافي السَّهْو واستدراك الغلَط في ذلك، ولا مغيراً لشيءٍ من شرائط هذه المقاطعة، ولا حجّة تقوم عليك يا فلان بن فلان، ولا على كلّ مَن يقوم مقامك في هذه المقاطعة بشيءٍ من ذلك، إذ كان يأمر به أمير المؤمنين في ذلك على وَجْهٍ من وجُوه الصَّلاح، وسَبيلٍ من سُبله، رآهما وأمضاهما، وقطع بهما كلّ اعتراضٍ ودعوى، واحتجاجٍ وقرف، وأزال معهما كلّ بحث صفح، وتبعة وعلاقة. وإنْ كان من الشرائط فيما سَلف من السنين، وخلا من الأزمان، ما هو أوكد وأتمّ وأحكم، وأحوط لك، ولعقبك ووَرثتك وأعقابهم ووَرثتهم، ومَن تنتقل هذه الأقْرِحة أو شيءٌ منها إليهم، ممّا شرط في هذا الكتاب، لحالٍ أوجبها الاحتياط على اختلاف مذاهب الفقهاء والكُتّاب وغيرهم ممّا للخلفاء أنْ يفعلوه وتنفذ فيه أمورهم، حملت وحملوا عليه، وهو لكم ومضافٌ إلى شروط هذا الكتاب التي قد أتى عليها الذكر، ودخلت تحت الحصر، ولم يكلف أحد منكم إخراج أمرٍ به.

وإن التمستَ أو أحدٌ من وَرَثتك وأعقابك، ومَن عسى أنْ تنتقل هذه الضَّيْعة أو هذه الأقْرِحة أو شيءٌ منها إليه في وقتٍ من الأوقات، تجديداً بذلك، أو مكاتبة عاملٍ أو مشرف، أو إخراج توقيعٍ أو منشور إلى الدِّيوان بمثل ما تضمّنه هذا الكتاب، أجبتم إليه ولم تمنعوا منه.

وأمر أمير المؤمنين بإثبات هذا الكتاب في الدَّواوين، وإقراره في يدك، حجّةً لك ولعقبك من بعدك وأعقابهم ووَرَثتك ووَرَثتهم، وثيقةً في أيديكم، وفي يد مَن عسى أنْ تنتقل هذه الضَّيْعة إليه، أو الأقْرِحة أو شيءٌ منها، بضربٍ من ضُروب الانتقال التي

ذُكرت في هذا الكتاب والتي لم تذكر فيه، وأنْ لا تكلفوا إيراد أمر بعده، ولا يتأوّل عليكم متأول فيه.

فمَن وَقَف على هذا الكتاب وقرأه أو قرئ عليه من جميع الأمراء ووُلاة العُهود والوُزراء والكُتّاب والعُمّال والمشرفين والمتصرّفين والناظرين في أمور الخراج وأصحاب السّيوف، على اختلاف طبقاتهم، وتبايُن منازلهم وأعمالهم، فليمتثلْ ما أمر به أمير المؤمنين فيه، ولينفذ لفلان بن فلان ولورثته ولورثتهم وعقبه وأعقابهم، ولمن تنتقل هذه الأقْرِحة أو شيءٌ منها إليه، بهذه المقاطعة، من غير مراجعةٍ فيها، ولا استئمارٍ عليها، ولا تكليف أحدٍ ممّن يقوم بأمرها إيراد حجّة بعد هذا لكتاب، وليعمل بمثل ذلك مَن وَقَف على نُسْخة من هذا الكتاب في ديوان من دواوين الحضْرة وأعمالها والناحية، وليقرّ في يد فلان بن فلان ويد مَن يورده ويحتجّ به ممّن يقوم مقامه، إنْ شاء الله تعالى.

وكَتَب عن المطيع لله إلى بعض وُلاة الأطراف عند طاعة عبد الملك بن نوح السّاماني[١]

أما بعد، فالحمد لله الوليّ بالاستحماد، المستحقّ لكُنْه الاعتباد، القدير على تأليف الأجساد، البصير بسُبل خفايا الأحقاد، ذي الحكمة في تبديل الضَّغْن والسَّخيمة ذمّة، والمنابذة عِصْمة، والقطيعة وُصْلة، والشّحناء خلّة، والحرج فُرجة، والشَّعَث نضارةً وبهجة . الذي جعل الصُّلحَ فَتْحاً هنياً، والسّلْمَ منجىً بهياً، والموادعة مَنّاً جزيلاً، والإرعاء أمناً جميلاً، والإقالة حرماً لا يضلّ هداه، ولا تحلّ قواه، ولا تخيب عواقبه، ولا تخفى مآثره ومناقبه، رأفةً منه بالخلق، وصيانةً لأهل الحقّ، وإمهالاً في العهد، ورخصةً في الاختصار دون الحدّ ؛ ليقرب فيئة المتأمّل، ويسهل رجعة المتحصّل، ويسرع رفاهية المستبصر، ويخفّ اجتهاد المزاول المشمر، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾[٢].

وهو المسؤول [عن] عِمارة الإسلام بالسَّلامة، والأنام بالاستقامة، والسُّلْطان بالطّاعة، والملك ببُخوع الجماعة، حتى تزال الفتنة مهيضة الجناح، مريشة الاجتياح، فليلة الشباة، قليلة الأدوات، فتكون النُّفوس واحدة، والأيدي مترافدة ؛ والمودّات صافية، والمآرب متكافيةٌ متضاهية، في الشكر الذي يُذاد به عن النفوس، ويُحمى به

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص٣٩٧.

عن السّامانيين وعلاقتهم بدولة الخلافة، انظر: الثامري، الحياة العلمية زمن السّامانيين؛ صدّيقي الخلافة والملكية في إيران، الفصل الخاص بالسّامانيين.

(٢) سورة النساء، من الآية ١٢٨.

حريم الدِّين ؛ ويُرجى معه التأييد، ويُبتغى بوَسيلته المزيد، فقد قال الله – وقوله الحق –: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[١] والله سميع مجيب . وحَسْب أمير المؤمنين الله ونِعْم الوكيل.

وقد علمتَ ما فرّط من نوح بن نصر في السّهو، ونقم منه في الهفو، الذي ألهاه عن التَّقْوى، وأنساه شيمة الرُّقْبى، فعدل عن سَنَن القَصْد، وزاغ عنه على عَمْد، وحال عن آداب آبائه – رحمهم الله – وهم القدوة، وسَجاياهم وبهم الأُسوة، وما كان ينتمي به من الولاء، ويعتزي إليه من الوفاء، وصار أدنى معنى ممّن يحسده على كرم الأصل، وينافسه في شرف المحلّ، ويدخل على عقله مدخل النّصيحة، ويطلع بظاهرها على آرائه الصّريحة، وكلّ ذلك إلحادٌ في أمير المؤمنين وعهدته، ومروقٌ عن أزمّته، وعقوقٌ بالبريّة يشقى به الباقي، ولن يشقى به النازح الماضي . فإنّ أمير المؤمنين ما زال واعياً لأوامر سَلفه، عارفاً بمآثر خلفه، متجافياً لأولئك عما ابتدعه، متنوياً لهذا التّجاوز عمّا صنعه، فقد كان نمي إلى أمير المؤمنين أنّ عبد الملك بن نوح، مَوْلى أمير المؤمنين، سليم السّريرة، سَديد البصيرة، يرجع إلى رأيه وتدبيره، ولم يجد وَشْمَگير بن زِيار، عاجله بالبوار، مساغاً إلى خَتْله، ولا احتيالاً في لَيِّه وفَتْله، وكان لعبد الملك رُكْن الدَّوْلة[٢] مَوْلى أمير المؤمنين ظَهير صدق، إنْ وَسَن أيقظه، وإنْ ماد أيّده، خلّة فضلٍ فطره الله عليها، وغريزة تمييزٍ أحسن الله إليه فيها، فإنّه لو قال أمير المؤمنين : إنّه لا مثل له، استحقّ هذا الوصف، ولأمن أمير المؤمنين فيه الخلف؛ ترك لباس أبيه فنزعه، واعتاض منه وخلعه، وتنصّل ممّا كان منه منتهكاً، فعاد عليه محتنكاً، وأتى الأمر من طريقه، ولجأ فيه إلى

(١) سورة إبراهيم، من الآية ٧.

(٢) بعدها في الأصل المطبوع: بن مالك.

فريقه، رُكْن الدَّوْلة أبي علي مَوْلى أمير المؤمنين، أحسن الله ولايته، ومُعِزّ الدَّوْلة أبي الحسين تولّى الله معونته، واستصلحهما وكفى، واستخلصهما وغنى، وراسل في الإنابة وإنْ لم يكن حائداً، والاستقالة وإنْ لم يكن جانياً، فما ترك رُكْن الدَّوْلة ومُعِزّ الدَّوْلة - كلأهما الله - إكبار قدره، وإجلال أمره، والقيام بخلاصه، والنُّطْق عن أمير المؤمنين بلسان مشاركته، وإذكار أمير المؤمنين بما لم ينسه من تلك الوثائق التي صَدَر بها كتابه، والعلائق التي وشح بها خطابه، إلى أنْ أجل أبا مُحَمّد نوحاً وترحم عليه، وقبل عبد الملك وأحسن إليه، وواصل رُسله، واستمع رسائله، وقلّده خُراسان ونواحيها، وسائر الأعمال الجارية فيها، وعهد إليه في ذلك عهداً وميّزه باللّواء، والخِلَع والحِباء، بعد أنْ كنّاه بلسانه، ووفاه حدود إحسانه ؛ وألحقه في ذلك بآبائه، ولم يقصر فيه بشَأوه .

وكتابُ أمير المؤمنين هذا، وقد اطّردت الحال واستوثقت، وامتزجت الأهواء واتفقت ؛ وخلا المشرق من الاضطراب الذي طال أمده، ولم يكد يرى أثره، وصارت العساكر الدّانية والنّائية فوضى لا تمتاز، ولا تنفرد وتنحاز، وذلك صُنْع الله لأمير المؤمنين في جمع الشَّتات، وتلافي الهنات، ولَمّ خَلَل التَّخاذل، ومُداواة نَغْل الدَّخائل ؛ لتتمّ الكلمة في ولايته، وتعم النِّعَم في طاعته، ولا يكون للشيطان سَبيل على شيعته، ولا طريق إلى مكيدة أبناء دَعْوته، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1] .

فاحمد الله على هذا النبإ الذي تطوّع به المقدار، والخبر الذي دلّت عليه الأخبار، من الفَتْح الذي لم ينغّصه تعب، ولم يكدّره عَناءَ ولا نَصَب، فإنّه تأتّى سهلاً، وأتى رسلاً؛ وابتدأ عفواً، وانتهى خالصاً صفواً، فقد قمع الله به العندة، وجمع بتهيئة العبدة، وآذن

(١) سورة الحديد، من الآية ٢١.

عقباه بالسَّعادة، وبشّر في سيماه باتصال المادة، وأنزل أبا الفَوارس عبد الملك بن نوح، مَوْلى أمير المؤمنين، منزلة مَن رآه أمير المؤمنين أهلاً للوديعة، وآمنه على الصَّنيعة، ورتّبه مرتبة المسبحة، واستحفظ الله حسن الموهبة به، وما قد تجدّد بين أبي الفَوارس وبينهما من الاتّحاد، المتولّد عن الاغتباط والاعتداد، فقلّ مَن شاقهما فلم يندم، وتمرّد عليهما فلم يكلم، وتمسّك بهما فلم يسعد، وارتبع أكنافهما فلم يوعد؛ وأجب عن هذا الكتاب بوُصوله إليك، وموقع متضمّنه لديك، وما يحدثه لك من الجذل، وانفساح الأمل؛ مُوَفَّقاً إنْ شاء الله تعالى.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة إلى مُحمّد بن سِيمْجور [١]

كتابي – أطال الله بقاء سَيِّدي ومَوْلاي صاحب الجيش، وأدام عزّه وتأييده، وسَعادته وسَلامته، وكِفايته وحِراسته، وأتمّ نِعْمته عليه، وزاد في إحسانه إليه، وفَضْله لديه، و....... [٢] مِنَحه عنده، وسَنيّ قِسَمه له – وحالُ مَوْلانا أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – في تواتر الآلاء لديه، وسُبوغ النِّعَم عليه، مستمرّةٌ على أفضل عادةٍ أجرى الله عليه خلفاءه في أرضه، المؤدِّين لفَرْضِه، القائمين بحقِّه، المستحقِّين لصُنْعه؛ فالعزُّ له شامل، والتَّمكينُ كامل، والعدوُّ مُذال، والوليُّ مُدال. وأنا ساكنٌ في ظلٍّ من مُشايعته ظَليل، متمسِّكٌ بحبلٍ من طاعته مَتين ...... [٣] بقدر ما ألْبَسنيه من الصَّنيعة، وأحلَّني به من المنزلة الرفيعة، مقابلٌ ذلك بالشكر الذي يلزمني أنْ أوفي فيه على جميع الشاكرين، وأتجاوز غايات المبالغين. والسَّلامة لي كانفةٌ في النفس والمال، وما نفذ فيه الأمر

---

(١) طهران.

أبو الحسن مُحمّد بن إبراهيم بن سِيمْجور، ناصر الدَّوْلة. قائد الجيش السَّاماني، وكان مقرّه – بحكم منصبه هذا – خُراسان، في حين كان الأمراء السّامانيون مستقرين في العاصمة بخارى ببلاد ما وراء النهر، وذلك لحفظ جناحي الدَّوْلة، وتولى عددٌ من أولاده وأحفاده قيادة الجيش السّاماني من بعده. عنه وعن السِّيْمجوريين، انظر: السمعاني، كتاب الأنساب، ج٣، ص٣٦٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٠٨؛ فون زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص٧٩.

(٢) كلمة غير مقروءة، أقرب قراءة لها: حربك (بدون نقط).

(٣) كلمة ضَبَّبها الحبر.

والنهي. وهذه منائح سَيِّدي فيها الشَّـريك المفـاوض، والقَسـيم المناصـف، بـالجوامع الجامِعة لنا، والوَشائج المؤلِّفة بيننا؛ فالحمد لله عليها حمداً يعمّنا نفعه وعائدتـه، ويظلّنـا خيره وبركته.

وقد تقدّمت ....[1] سَيِّدي أسلافٌ في المكاتَبة لم أذهب فيها إلى استئناف حقّ أوجبه وأقتضيه، بل إلى مُراعاة لازمٍ لي منه أذعن به وأؤديه. وعلمتُ أنها تَرِدُ منه على سَيِّدٍ كريم، ذي مَجْدٍ صَميم، لا يستجيز قَطيعة المواصلين، ولا الغَفْلة عن المواظبين، ولا سِيَّما إذا كانوا ممّن تثقل عنده مَوازين وُدّهم، و.......[2] في يده مَواثيق عَهْدهم، ويرى أنْ يستجرّهم إلى صِلة الحبل، لو تقاعسوا أو تأخّروا، فضلاً عن أنْ يساعدهم عليها إذا حرصوا وثابروا. وأتاني عنه عذرٌ في تأخُّر الجواب سالفاً، ووَعَد به مستأنفاً، كان مذهبُه فيهما أبرّ وأوْصل، ومركبُه فيهما أبرّ وأجْمل. وسألتُ الله مسألةً أفصحتُ بها عن نيّةٍ أخلصتُ فيها أنْ يطيل مدّة بقائه في الغامر السّابغ من نَعْمائه، وأنْ يصل ما بيننا من حقّ مَوْروثٍ تَليد، وحقٍّ مكتسبٍ طَريف، بأحسن ما اتّصلت به الوثائق، واستحكمت عليه العَلائق، وأعْوده بصفاء ذات بَيْن، وحظٍّ عمّ فريقَيْن، أنّه — جلّ ذكره — للدّعاء سَميع، وإلى إجابة صالحه وواجبه سَريع.

وندبتُ في هذا الوقت للشخوص إلى حضرة مَوْلاي فُلاناً، مجدّداً للعهد بها، وقاضياً عنّي بعض الحقّ فيها، ومرافقاً لأبي فلان في طريقه، ومجتمعاً معه على ما توجّه له. وأصْحبتُه تَذْكِرةً منتظمةً لما يُغني عن الإعادة، ويُريح عن الإطالة، ويستدعي لي من تفضُّل سَيِّدي مكاتبةً تستقرّ، ومواصلةً تستمرّ، وأُنساً يزيد، وانبساطاً يدوم، وإيجاباً في أمورٍ هي أعْلى شأناً، وأوْفى محلًّا ومكاناً، والله يسهّل سبيل ذلك، وييسّر أسبابه، ويفتح

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) كلمة غير مقروءة.

أبوابه، ويجعله سَليماً مما يَشوبه، منزَّهاً عمّا يَعيبه، محقوقاً بما يؤكّده، مكنوفاً بما يؤيّده، بمَنِّه وقُدْرته.

ورسمتُ لهما عند تَوْديعي إيّاهما رُسوماً في حاجاتٍ عرضت لا يستغنيان فيها عن نصيبٍ[1] يصل إليهما من العناية، وطُرفٍ تلحقهما من الاهتمام والرّعاية، فإنْ رأى أنْ يتطوّل في ذلك الأصل أولاً، ثم هذا الفرع ثانياً بما ......[2] به المِنّة مستغرقة، والعارفة مستوعبة، مقدِّماً إعلامي السّارّ من خبره وحاله؛ لأسكنَ إليه، والعالي من أمره ونَهْيه لأعملَ عليه، فعل إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) بسبب اضطراب هذه القطعة كما أشرت سابقاً، تنقطع الرسالة بانتهاء الصفحة. أما الصفحة المقابلة لها، فلا تعود لهذه الرسالة؛ لذلك قرأت أوراق المخطوط بإمعان نظر وروية، فتبيّن لي بعد صفحات كثيرة صفحةٌ تبدأ بتكملة الرسالة، فوضعتها هنا، مرجّحاً وجودها كجزء من هذه الرسالة.

(٢) كلمة غير مقروءة، أقرب قراءة لها: بحور (بدون نقط).

نُسْخة عَهْدٍ عن المطيع لله
إلى القاضي أبي بكر مُحمّد بن عبد الرحمن المعروف بابن قُرَيْعة
لما قَلّدَه القضاءَ بجُنْدَيْسابُور(١)

هذا ما عَهِد عبدُ الله الفَضْل الإمامُ المطيع لله أمير المؤمنين

إلى مُحمّد بن عبد الرحمن

حين عَرَف علمَهُ وديانَتهُ، وعَلِم نزاهتَهُ وصِيانتَهُ، وامتحنَهُ على الأيّام، واختَبَرَهُ في وِلايةِ

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك. وأورد الكلاعي نصّ هذا العهد، لكنه لم يذكر اسم القاضي. ويذكر (الأمير) بدلاً من (أمير المؤمنين). إحكام صنعة الكلام، ص٢١٦. كما أورد ابن حمدون جزءاً من هذا العهد في التذكرة الحمدونية، ج٣، ص٣٥٣ لكن اسم القاضي عنده أبو مُحمّد عبيد الله بن معروف. وهو قاضٍ معاصر لابن قريعة، وكانت تربطهما صداقة وصحبة. انظر: الصفدي، الوافي، ج٢١، ص٣٠٦.

وكان ابن قريعة من أصحاب أبي إسحاق الصابي، أورد الحمدوني روايةً طريفة عنه دارت في منزل أبي إسحاق، وهي خطبته الهزلية، ومنها: الحمد لله الذي تيّن فوزر، وعنّب فرزق، ورطب فسكر، وخوخ فشطب، وكمثر فختر، ومشمش فصفر، وبطخ فعسل، وتفح فعطر، وموز فأنضج، ودقق فجوز، وجردق فسمذ، وبورد فكثر، وسكرج فلوز، وملح فطيب، وخلل فسقنج، وخردل فحرف، وبقل فخضر، وقثا فدقق، وبورن فنعم، ومصص فحمض، وطجن فجفف، وسنبس فثلث، وسكبج فزعفر، وهرس فصولج، وبصل فعقد، وسبذج فصعد، وسمق فمزز، وطبهج فحرف، وبيض فعجج، وجدا فرضع، وبطط فسمن، ودجج فصدر، وفرخ فشام، وحبب فبرز، وجوذب فخشخش، ورزز فألبن، وخبص فلوز، وفلذج فحمر، وقطف فعرف، ولوزج فسكر.

أحمد على الضري الطحون، والفم الجروش، والحلق البلوع، والمعدة الهضوم، والسفل النثور، والذكر القؤوم، والغداء والعشاء، والفطور والسحور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده

الأحْكامِ، فوجدَهُ في كلِّ عملٍ وُكِل إليه، ومهمٍّ اعتمِدَ فيه عليه، نافذَ البصيرةِ، مستمرَّ المريرةِ، ناهضاً بالمعضِل، كاشفاً للمُشْكِل، سالكاً طرقَ الأبرار، مُنْتهِجاً سُبُل الأخيار، قيّماً بحقّ الله وأمره، مقدِّماً طاعتَهُ في قولِه وفعلِه، مترفّعاً عمّا يشينُ ويعيب، متورّعاً عمّا يُتّهمُ ويُريب، لم تُعرَفْ له زَلّةٌ، ولم تُذمم منه خَلّةٌ، ولم يفارقْ حميدَ السَّجيّة، ولم يحد عن المذاهبِ الرضيّة، فاعْتدّهُ أمير المؤمنين في ثقاةِ رجالِه، وكُفاة عُمّاله، فقلّدَه الحكم بجُنْدَيْسابور، مضافاً إلى ما يتقلّدُه من باقي كُوَرِ الأهْواز، متيقّناً لسَدادِه وكفايته، واثقاً بغَنائه ومُناصَحتِه، مُتحرياً الصّوابَ في إرشاده، باذلاً في الصّلاحِ غاية اجتهاده، واللهُ يُحسن لأمير المؤمنين الاختيار، ويمدُّه بالتّوفيق في مجاري الأقدار، ويجلي بآرائه عن الصّلاح، ويفضي بأنحائه إلى النّجاح، وما توفيقُ أمير المؤمنين إلّا بالله، عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

أمَرهُ بتقوى الله مُظْهراً ومُبطناً، وخيفته مُسرّاً ومُعْلِناً، فإنّهما الحصنُ الحصين، والملجأ الأمين، والعِصْمةُ من نَزَغاتِ الشّيطانْ المُرْدية، ودَواعي الأهواء المغوية، وأفضلُ العَتادِ في الأولى، وخيرُ الزّادِ في الأخرى، مَن تمسَّكَ بعلائقِهما، وتَشبَّثَ بوَثائقِهما، أقامتاه على سَبيل الهدى، ويمَّمَتا به المحجّة الوسطى، وسلكَتا به طريقَ النّجاة، واستنقذتاه في الحياةِ والوفاة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

لا شريك له، خالق السموات ومحلل الطيبات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، مبيح المحللات، وحاظر المحرمات وأن أبا إسحاق إبراهيم بن هلال، أرشده الله، أطعمنا فصدرنا، وماهنا فأثلجنا، وسقانا فروانا، ومد ستارته فأسمعنا وأطربنا، واستنشدناه فأنشدناه، واستحدثناه فحدثنا، فارفعوا أيديكم إلى الله عباد الله، فالدّعاء له بما يرد ثواب فعله إليه، ويسهل الدعوة الثانية عليه، أنّه قريب مجيب، وأستغفر الله لي لكم ولسائر المسلمين. التذكرة الحمدونية، ج٦، ص٣٠٨.

وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[١]، وقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٢].

وأمَرَهُ بأنْ يواظبَ على تلاوةِ القرآنِ، مُتفهِّماً آياته، ومُتعلِّماً بيّناتِه، متدبّراً حُججه الباهرة، متأمّلاً أدلَّتُه القاهرة[٣]، متّبعاً أوامرَه الرشيدة[٤]، مُعْتصماً بمواعِظَه السَّديدة، آخذاً بعزائمِهِ المُبْرمة، عاملاً على فَرائضِه المُحْكَمةِ، فإنّه عمود الحقِّ، ومنْهاجُ الصّدق، وبشيرُ الثّواب، ونذيرُ العقاب، والكاشفُ لما استُبْهِم، والمنوّرُ لما أُظلِم، والإمامُ المنجي من الضّلالِ، والخصْمُ الغالبُ عند الجدال، ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٥].

وأمَرَهُ بدراسةِ سُنَنِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم، منتهجاً[٦] ما أهاب بهم إليه[٧]، منتهياً إلى حكمِه ووَصاياه، مُقْتدِياً بخَلائقه وسَجاياه[٨]، فإنّه – عليه السَّلام – الذي يدعو إلى الهُدى، ولا ينطقُ عن الهَوى، فمَن ائتمَّ لأوامرِه غَنِم، ومَن ارتدع عن زواجره[٩] سَلِم، وقد قَرَن الله طاعتَه بطاعتِه، وجعلَ العملَ بقولِه كالعَملِ بكِتابِه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[١٠].

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(٢) سورة آل عمران، من الآية ١٠٢.

(٣) ف: الظاهرة.

(٤) س: الرثاء.

(٥) سورة فصلت، الآية ٤٢.

(٦) س: متهجاً.

(٧) س: أناب بهم إليه. ف، ر: أثاب إليه، وما هنا من التذكرة الحمدونية.

(٨) نسي ناسخ س الضمير في سجايا.

(٩) ر: مزاجره.

(١٠) سورة الحشر، الآية ٧.

وأَمَرهُ بمُجالسةِ أهلِ الدِّينِ والعِلْم، ومُدارسةِ أَهْلِ الفِقْه، ومُشاوَرتِهم فيما يُقرّره ويُمضيه، والأخذ بآرائهم فيما يُنيرُه ويُسديه؛ فإنّ الشّورى لُقاح العَقْل[1]، والمباحثةَ رائدُ رائدُ الصَّواب، واستظهارُ المرءِ على رأيه من عَزْم الأمور، واستنارَتُه بعقلِ أخيه من حَزْم التّدبير، وقد أمرَ اللهُ بالاستشارةِ أكملَ الخَلْقِ لُبابة، وأولى البشرُ بالإصابة، فقال لرسوله الكريمِ، في كتابه الحكيم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2].

وأَمَرهُ بفَتْحِ الباب، ورَفْعِ الحجابِ، وبالبروزِ للخُصومِ، وإيصالِهم إليه على العمومِ، وأنْ ينظرَ بين المتحاكمينَ بالسّويّةِ، ويعدلَ فيهم عند القضيّةِ، ويعطيهم من نفسِه أقساطاً متكافِئةً، وينزلهم[3] من مجلسه[4] منازلَ متساويةً، ولا يفضّل خصماً على صاحبه في لَفْظٍ ولا لَحْظ، ولا يقوّيه عليه بقولٍ ولا فِعلٍ، إذ كان الله - جلّ اسمُه - قد جعلَ هذا الحُكمَ سَننَ الحقِّ، وميزانَ القَسْط، وسَبيل العَدْلِ في القَبْضِ والبَسْطِ، فسوّى فيه بين الدّني[5] والشّريف، وأخذَ به من القويِّ للضَّعيف، ولم يجعلْ فيه مزيّةً لغنيٍّ على فقيرٍ، ولا لِكبيرٍ على صَغير، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[6].

وأَمَرهُ إذا ترافع إليه مُتحاكمان، وتَنازعَ لديه مُتَنازعان، أنْ يطلبَ الحكمَ في نصِّ

---

(١) ف: العقول.

(٢) سورة آل عمران، من الآية ١٥٩.

(٣) س: منزلهم.

(٤) ر، س: مجالسه.

(٥) ف: الذمي.

(٦) سورة النساء، الآية ١٠٥.

الكتاب، فإنْ عَدِمَهُ هناك التمسَهُ من سُنّةِ رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، وإنْ فقدَهُ من السّنّةِ القويمة، والآثارِ الصّحيحة السّليمة، ابتغاه في إجماعِ المسلمين، فإنْ لم يجدْ فيه إجماعاً، اجتهدَ رأيَه، وحكمَ في الحادثةِ أشبهَ الأحكام بالأصولِ عنده، بعد أنْ يبلغَ غاية الوُسْعِ في التّحري، ويستنفد الطّاقة في النّظرِ والتقصّي؛ فإنّه مَن أخذَ بالكتابِ اهتدى، ومَن اتّبعَ السنةَ نجا، ومَنْ تمسّكَ بالإجماعِ سَلِم، ومَن اجتهدَ رأيَه أُعذر، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[1].

وأمَرهُ بالتّثبتِ في الحُدود، والاسْتظهارِ عليها بالشُّهود، وأنْ يحترسَ من عَجَلٍ يزهق[2] الحكم[3] عن الموقعِ الصّحيحِ، أو رَيْثٍ يُرجئه عن الوُضوحِ حتى يقفَ عند الاشتباه، ويمضي لدى الاتّجاه، ويقومُ بالبيّنات، ويدْرأ بالشُّبهات، ولا تستخفُّه عَجَلةٌ إلى برئ، ولا تأخذُهُ رأفةٌ بمسيء، فإنّ الله - جلّ اسمُه - سمّى هذا الضّربَ من الأحكامِ حدوداً، تضييقاً فيه، وإكباراً لتعدّيه، وجعلَهُ من معالمِ الحكْمِ، ونسبَ مَن تجاوزَهُ إلى الظّلمِ، فقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4].

وأمَرهُ بأنْ يتصفّحَ أحوالَ مَن يشْهدُ عندَه؛ فيقبلَ منهم مَن ظَهرتْ منه العَدالة، وعُرِفت منه الأصالة، وكان وَرِعاً في دينه، حَصيفاً في عَقْلِه، ظاهرَ التّيقّظِ والحذَرِ، بعيداً من السَّهْوِ والزَّلَل[5]، طيّباً بين النّاس ذكرُه، مشهوراً فيهم سِتْرُه، منسوباً إلى العفّةِ

---

(١) سورة الأحزاب، من الآية ٤.

(٢) س: يريق.

(٣) ف: الحد.

(٤) سورة البقرة، من الآية ٢٢٩.

(٥) كتبها ناسخ س بالذال والصواب بالزاي.

والظَّلَف، مَعْروفاً بالنّزاهةِ والأنَفِ، سليماً من شائن[١] الطَمَع، بريئاً من الحرصِ والجشع، فإنّ هذه الطبقة هي حُجّةُ الحاكم فيما يحكمُ، وطريقُه إلى ما ينقضُ ويبرم، فمتى أعْذرَ في ارتيادِهم كان مَعذوراً في الحُكْمِ بشهاداتِهم وإنْ اختلفُوا[٢]، ومتى أعذر في انتقادهم[٣] كان مَلُوماً في سَماعِ أقاويلِهم وإنْ صدقوا؛ لأن على الحاكم أنْ يعتام أهل الثقة والأمانة، والعفّة والصّيانة، حَدْساً على باطنِهم من ظاهرهم، ومَخيلةً لخافيهم من باديهم، واللهُ وحدَه يبلو السّرائرَ، ويعلمُ الضّمائر، وقد قال جلّ اسمُه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾[٤]، وقال: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[٥].

وأمَرهُ أنْ يحتاطَ على أموالِ الأيْتام بالأمناء[٦]، ويكلَها إلى الحَفَظَةِ الأعفّاء، ويرْعيهم عيناً بصيرةً، ويكلأهم بهمّةٍ يَقْظى، حتى يسيروا في هذه الأموالِ سيرةً تثمّرها وتنميها، ويدّبرها تدبيراً يحرسُها ويزيدُ فيها، من غير أنْ يركبوا بها خطراً، ولا يجرّوا عليها غَرراً، وأنْ يُنْفقوا عليهم منها بالمعروف، ويسْلكوا فيها سُبُل القَصْد، حتى إذا بَلَغ أربابُها الحُلْمَ، وأنِسَ منهم الرُّشْدَ، سلَّمَ الأموالَ إليهم، وأشْهَد بقَبْضها عليهم[٧]، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ

---

(١) ف: شين.

(٢) (وإن اختلفوا) ساقط في ف.

(٣) س: استبعادهم.

(٤) سورة المائدة، من الآية ٨.

(٥) سورة الزخرف، من الآية ١٩.

(٦) س: بالدماء.

(٧) ساقطة في ف.

﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[١].

وأمَرهُ بأنْ يوليَ الوُقوف التي ينظرُ فيها الحكّامُ أمناء يُحْسِنونَ تَدْبيرَها، ويَضْبطُونَ القيامَ على مَصالِحِها، ويكونونَ مَأْمونينَ على أُصولِها وفُروعِها، حافظين لحدودِها وحقوقِها، يجنون ارْتفاعَها من حلِّهِ، ويَصْرِفونَه في سُبُلِه، وأنْ يوعِزَ إليهم باتّباعِ ما شَرَطهُ واقفوها في إجارتِها ومُزارعتِها، واحتذاءِ ما رَسَموه في استغلالِها وعِمارَاتِها، ولا يخليهم في ذلك من اقتفاءِ الأثَرِ، والإشْرافِ والنّظر، فيُقرّ مَن ارتضى مَذاهِبَه، ويستبدل مَن ذمَّ أمانتَه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[٢].

وأمَرهُ أنْ يستخلفَ على عَمَلِه إذا شاءَ مَن أحبَّ استخلافه من أهلِ الفَهْمِ والمعرفةِ، وذوي الدِّين والرِّعةِ، الفُقهاءِ في الحلالِ والحرام، العُلماء بمُشْكلِ الأحكام، المشهورينَ بالغَناءِ والكِفاية، الجامعينَ للدّراية والرّواية، الذين لا يألوا فيهم اختياراً وارتياداً، ولا يذخر في انتخابِهم وُسْعاً واجتهاداً، وأنْ يُوصيهم[٣] إذ ولّاهم خلافتَه، بمثْلِ وصايا أمير المؤمنين له[٤]، فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٥].

وأمَرهُ أنْ يختارَ كاتباً عالماً بالمحاضرِ والسِّجلّاتِ، مضطلعاً بعِلْمِ الدَّعاوى

---

(١) سورة النساء، الآية ٢. وقد سبقت في س بجملة: (يا أيها الذين آمنوا).

(٢) سورة النساء، الآية ١٠٧.

(٣) ر، س: يوصي إليهم.

(٤) ساقطة في ف.

(٥) سورة التوبة، الآية ١١٩.

والبيّنات، قيّماً على حِفْظِ الشُّروط، عارفاً[١] بكتب العقود، وحاجباً ينهي إليه ما دون بابِه، ويصدقُه عمَّن أمّه من الخُصومِ، فلا يتوى حقّ بإرجائه إيّاه، ولا ييأس خَصْمٌ باحتجابِه عنه، وأنْ يجعلَهما جميعاً، ممّن لا تلْحقُه استرابةٌ، ولا تُنسب إليه معابةٌ، ولا تناله ظِنّة[٢]، ولا تتعلَّق به تهمةٌ، فإنّ حاجِبَه وَجْهُه، وكاتبَهُ لسانُه، وهما من أقرب الظُّهراء، وأدنى النُّصحاء، أولى الأصحابِ بأنْ يَنْفعَ رشادُه، ويضرّ فسادُه، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣].

وأمَرهُ بأنْ يتسلّم ما يحويه ديوانُ الحكمِ من الوثائقِ والسِّجلّاتِ، والمحاضرِ والوَكالاتِ، وجميع الحُجَج التي تجري في دواوينِ الحُكّام، وتخلّدُ فيها على مرورِ الأيّام، على ثبتٍ لذلك جامع، وبمحْضَرٍ ممّن تضمّنَهُ البلدُ من الأماثل، وأنْ يُوكلَ بها من الخُزّان[٤] مَن يرتضيه، ويتوسَّمَ الخيرَ فيه، ويوصيه بالاحتياطِ عليها، واستعمالِ الحزم فيها، ويكون من وراءِ تتبُّعِه وامتحانِه، وتفقُّدِه وارتقابِه، فإنْ وقفَ منه على خيانة، وإخفار أمانة، صَرَفه ظاهراً، واستبدلَ به مُجاهراً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[٥].

وأمَرهُ أنْ يمضيَ الأحكامَ التي سبقَهُ بها الحكّامُ[٦]، ولا يردَّ قضيّةَ قاضٍ تقدّمَهُ، إلّا

---

(١) ف: عالماً.

(٢) (ولا تناله ظنة) ساقط في ر.

(٣) سورة المائدة، من الآية ٢.

(٤) س: الحزن.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٥٨.

(٦) س: الأحكام.

أنْ تكونَ خارجةً من الإجماع، غيرَ مرجوعٍ فيها إلى أثرٍ من الخِلافِ، فإنّ حكوماتِ قُضاةِ المسلمين جميعاً جائزةٌ ما احتملتِ التّأويل، وتعلَّقتْ بأحدِ الأقاويل، ويُنْقضُ ما خَرج عن أقوالِ المختلفينَ من أئمةِ الفُقهاءِ المتّبعين، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1].

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، والاحتياطُ لك وعليك، وهاديكَ إلى طريقِ الرّشاد، وحاديكَ في سَبيل[2] السَّداد، ومُقيمكَ على المحجّة الواضحة، وزعيمكَ بالحُجَّةِ اللّائحة، قد أعذرَ فيه أمير المؤمنين وأنذر[3]، وبَصّرَ فيه[4] وحذّر، لم يأْلُكَ فيه وَعْظاً، ولم ولم يدّخرْكَ[5] معه حظّاً، فكنْ عند ظنِّ أمير المؤمنين بكَ، وأوفِ على تقديرِهِ فيكَ، فإنّه اختارَكَ عن عِلْمٍ وبصيرةٍ، وقدّمَكَ عن فكرٍ ورويةٍ، فاجعلْ وصيّتَهَ إمامَك، وقدِّمْ هدايتَه أمامَك، واتّبعْ أمرَهُ في تدبيرِك، وانحُ قولَهُ في أمورِك، وطالعْهُ بما يشكلُ عليك مُطالعةَ المُسْتَعلم، وانْهَهُ إنهاءَ المُستفهِم ليصدرَ إليْكَ من رأيه ما تحتذيه، ويَرِدَ عليك من عَزْمِهِ ما تقتفيه إنْ شاء الله.

وكَتَب يوم الخميس للنّصْفِ من ذي الحجّة سنة ستٍّ وخَمْسين وثلاثمائة.

---

(١) سورة المائدة، من الآية ٤٤.

(٢) ف: سبل.

(٣) ساقطة في ف.

(٤) س، ر: به.

(٥) الأصول الخطية: يذخرك.

وكَتَب عن المطيع لله بتَقْليدِ أبي أحمد الحسين بن موسى العَلَويّ نقابةَ الطّالبيين[١]

أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين لما يَعرِفُه من تيقّضِك، وحزمِك وتحفّظِك، وما مهّده مُعِزّ الدَّوْلة أبو الحسين - أحسنَ اللهُ حياطتَهُ - عنده لكَ[٢] من الاستقلالِ والغَناء، والاضطلاع والوفاء، يرى أنْ ينوطَ بك من سَنِيّ الأعمالِ ما يستمتع[٣] فيه بكفايتك، وتستمرُّ معه المخيلة في دينكَ وأمانتِك، ويفرع بكَ من أعلى المراتب ما يضاهي رأيهُ في أمثالِكَ من أعيانِ دَوْلته، وذوي التَّحقُّقِ بدَعْوته، والاعْتصام بحَبْله، جَرْياً من أمير المؤمنين على شاكلتِهِ في الارتياد لمواقعَ مَعْروفه، وتخيُّر[٤] مَن يؤهّلُه لتكْرِمتِه وتَشْريفِه، حتى يلبسَ إنعامَهُ مَن يستحقُّ أنْ يكون التفضّل عليه، ويحملُ مِنَنه مَن يَبين أثر التّوفيق في الإحسان إليه، واللهُ يتولّى لأمير المؤمنين الاختيار، ويمدُّه بالصّنْعِ في مجاري الأقْدارِ،

---

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك. وأورد ابن حمدون بعضه في التذكرة الحمدونية، ج٣، ص٣٥٧. (العلوي) إضافةٌ منّا.

قال ابن الأثير في أحداث سنة ٣٥٤هـ: وفي رابع جُمادى الآخرة تقلّد الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى والد الرضي والمرتضى نقابة العلويين، وإمارة الحاج، وكتب له منشور من ديوان الخليفة. الكامل، ج٧، ص٢٥٨ وعن جهوده ونشاطاته رسولاً ومبعوثاً بين الأمراء، انظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٢٩٥، ص٤٠١، ص٤٠٢، ص٤٢٠؛ الكامل، ج٧، ص٤٦١. وتقدّم التعريف به في ج١، ص٢١٤.

(٢) ساقطة في ف.

(٣) ف: تستمع، س: تتمتع.

(٤) ر: تخيرا.

وما توفيْقُهُ إلّا بالله، عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

وإنّ أمير المؤمنين بنافذِ عزيمته، وثاقبِ بَصيرتِه، لا يُمهلُ من الاصْطلاحِ صغيراً ولا كبيراً، ولا يضيعُ من الإحسان[١] قليلاً ولا كثيراً؛ حتى يُنزلَ كلَّ امرىءٍ منزلَته، ويُرتِّبَهُ رتبتَه، ولا يجاوزُ مَوْضِعَه، ولا يُفاوتُ موقِعَه. ومن أجلِّ الأحوالِ عند أمير المؤمنين، وأوْلاها بالاهتمامِ والتقديم، حالُ اختصّتْ[٢] أهلَ بيتِهِ جلالها، وجَمَعَتْ لهم إلى كرم الأحسابِ والأعْراقِ شرفَ[٣] الآدابِ والأخلاق؛ أحسنَ اللهُ عونَ أمير المؤمنين على ما ينويه، ووفّقَهُ فيما يرتئيه، وخارَ له فيما يدبرُه ويمضيه، وينيرُه ويسديه، خِيرةً تجمعُ له[٤] الحظَّ في العاجلةِ والآجلةِ، والنّفعَ في الدّنيا والآخرة، ولذلك ما رأى أمير المؤمنين، أن يقلّدَكَ[٥] النّقابة على الطّالبيين أجمعين[٦]، مَن كان منهم بمدينةِ السَّلام، ومَن[٧] في غيرِها من النّواحي والأمْصار، على رَسْم مُحمّد بن الحسين[٨] العَلَويّ في تولّيها، ومَن كان قبله ناظراً فيها، ثقةً بأنّك تقعُ من النّهوضِ بالأعباءِ، بحيث تحقّقُ ظنَّ أمير المؤمنين بك، وتوافق تقديره[٩] فيك، وتظهرُ من الكفاية والغَناءِ ما يكون لمزيدِكَ من النِّعْمة[١٠] مقتضياً، ولمضاعفة الإحْسانِ إليك ممترياً، فتولّ ما وَلّاك أمير المؤمنين

---

(١) ساقطة في س، ومكانها فراغ في ر.

(٢) بعدها في س: به.

(٣) من هنا تبدأ في ط، بسبب اضطراب القطعة كما أشرت في المقدمة.

(٤) ساقطة في ط.

(٥) ط: قلدك.

(٦) ساقطة في ف.

(٧) من ف فقط.

(٨) ف، ر، ط: الحسن.

(٩) (بك وتوافق تقديره) من ط فقط.

(١٠) (من النِّعْمة) ساقط في ط.

مقدِّماً خيفةَ الله ومراقبتَه، مُسْتَشعراً تقواه وطاعتَه، وسلّط أمرَهُ على رأيِكَ وهواك، واجعلْ دينَه إمامَكَ ومنحاك، وأحسنِ الرّعاية لمن استرعيْتَه، والقيام بها استكفيتَه.

واعلمْ أنّ أمير المؤمنين قد فَضّلكَ[١] على أهلِ بيتكَ طرّاً، ورَفعَك فوقَهم جميعاً[٢]، فجعلَكَ واحدَهم بعد أنْ كنتَ واحداً منهم، واختصَّك[٣] دونَهم بعد مساواتِكَ لهم[٤]، فسِرْ فى تطبيقهم سيرَتَه، واسلك في ترتيبهم طريقَتَه، حتى إذا عَمَمْتَهم بالكرامةِ التي تُوجبها أنسابُهم، وتقتضيها قُرباهم، خصّصْتَ أكابرَهمْ بزيادةِ الإجلالِ والتّوقير، وإذا شَمِلْتَهم بالصّيانة التي يُؤْثرها أمير المؤمنين، وتوجبُها شرائطُ الدِّينِ، ميّزتَ أصاغرَهم بفضلِ الحنوِّ والعَطْفِ، وكنْ لأفعالِكَ على الفريقَيْن متحسّساً[٥]، وفي أعمالِهِمْ مُتَفرِّساً، فمتى وجدْتَهُ مُتوخّياً من جميلِ الخلائق، ومُسْتقيمَ الطّرائق مذهباً للشّرفِ مُوافقاً، وبسَجايا السّلَفِ لائقاً، فزده إحساناً تكافئه به عن مرضيّ آثاره[٦]، وتدعو غيرَهُ إلى مُشاركتِهِ في جميل[٧] اختيارِه. ومَن ركِبَ قبيحاً يعودُ على ديانتِهِ بجرح، وعلى أمانتِهِ بقَدْح، ما[٨] يستوجب حدّاً مَعْلوماً، ويستحقّ جزاءً مَحْتوماً، فلا تعجل عليه بالعِقاب، واستأن[٩] معاودته للصّوابِ، ونبّهْهُ بالذّكرى النّافعةِ للمُؤمنين، واعطفْهُ بالموعظة النّاجعةِ في الصّالحين، فإنْ راجعَ وتاب، وأقلعَ وأناب؛ فأعنْهُ على

---

(١) ف: رفعك.

(٢) هذا ما في ف، وفي ما دونها: جمعاً.

(٣) ف: أخلصك.

(٤) ط: إياهم.

(٥) ف، ر، س: مستحسناً

(٦) ر، س: إيثاره.

(٧) س، ف، ر: حميد.

(٨) بعدها في ط: لم، ولا مكان لها.

(٩) ف، ر: استأذن.

الأَوْبة، واقبلْ منه التوبة، وبوّئْهُ مَنْزِلَ مثله، ممّن جَهِل[١] ثم عَلِم، وأذنبَ ثم نَـدِم، وكـنْ له كونك لصالحي[٢] أهلِهِ، وأجرِهِ مجرى خِيار قومِهِ. ومَنْ ضرب عن الادِّكـار صَـفْحاً، وطوى دون الإنْـذارِ كَشْـحاً، ولم يُغـنِ فيـه التوقيـف دونَ التثقيـف، ولا التّعلـيمُ دونَ التّقويم، فحكِّمْ كتابَ الله – جلّ اسمُه – عليه ، وأطعْ سُنةَ نبيِّه - عليه السَّـلام – فيـه، وقابله عن إساءتِه[٣] مُقابلةَ مَن لا تصرفُهُ عن الحقِّ مراقبة، ولا تقصر به دون[٤] الواجب الواجب بقياً ولا بَقيّة[٥]، فإنّ أمير المؤمنين وإنْ أوسعَ كافّةَ أهلِهِ عطفاً، ولم يألُ بهم رفقـاً ولطفاً، لا يصلُ منهم مَن أوجبَ الدِّينُ قطيعتَهُ، ولا يرعى[٦] حقّ رَحْمٍ لم يكـن في ذاتِ الله قربته. وليكنْ لكَ عليهم عيونٌ من خيـارِهمْ، يَنْهـونَ إليـكَ مـا انطـوى عنـك مـن أخبارِهمْ، وأوْصِهمْ بحسنِ التأمّلِ لآثارِ الجماعة، وكفِّهمْ عمّا ينكـر[٧] بالهيبـةِ والطّاعـة، فإنْ انثنوا وارتدعُوا، وانتهَوْا واتزعُوا[٨]، وإلّا احتذيْتَ ما مثَّلَهُ أمير المؤمنين من[٩] جميـع جميع الفرق، ولم تجاوزْ ما فَصّلهُ من غلظةٍ وشفقٍ، واجعلْ في خطابِكَ إيّاهم، ومُحاورتِكَ لهم شعاراً من الإكرام، يبينون[١٠] به عن جُمْهورِ العَوامّ.

---

(١) ساقطة في ط.

(٢) ف: لضاحي.

(٣) (عن إساءته) ساقط في ف.

(٤) (مراقبة... دون) من ط.

(٥) ط: تقية.

(٦) س: يراعي.

(٧) س، ر: تلكن.

(٨) (وانتهوا واتزعوا) ساقط في ط.

(٩) ط: بين.

(١٠) ف: يتبينون.

ولا تقابل أحداً منهم بسَبّ[١]، ولا تغضُض منه في ذكرِ أمٍّ ولا أب، فإنّ أمير المؤمنين يصونُ سلفَهم لأنّه سلفُهُ، ويحمي نسبَهمْ لأنّه نسبُهُ، وقد نزّه اللهُ تعالى أسرتَهُ عن هُجنةِ العَيْب، وباعدَ خاصّتَهُ عن مُقارفةِ الرَّيْب، وإنّما جعلَكَ أمير المؤمنين أمينه فيهم، وعَيْنَه عليهم، لما ضربَهمْ عن الزَّلَل[٢] وصانَهمْ عن الغَيّ والخَطْلِ. ولتكن عنايتُكَ إلى حمايةِ المُناسبِ مَصْروفةً، وعلى حراستِها مَوْقوفةً، فإنها قُربى النُّبوّة، ولُحمة الخِلافة، والسَّببُ المتّصل يومَ تتقطع[٣] الأسباب، والنَّسب المعروف يوم تتناكر[٤] الأنساب[٥].

واثبت الجماعة ممّن بحضرتِكَ بأعيانِهم وأسْمائهم، واعزهم إلى آبائهم وأجدادهم. وليعملْ بمثلِ ذلك أصحابُكَ في الأطْرافِ، وخلفاؤك في البلاد[٦]، حتى تأمن غلطاً منك تشكّ به في سَليم، ولبساً تركن به إلى سَقيم. ثم إنْ وَجدْتَ مَن قد ادّعى نَسَباً لا يثبُتُ بالشّهادة، ولا يُعرَفُ معرفةً تزيلُ عنه التّهمة، فنله[٧] بغليظ العقوبة، ليرتدعَ غيرُه عن مثلِ دعواه، واشهره شهرةً يُؤْمَنُ معها اشتباهُ كذبه ثانية.

واحتَطْ في أمرِ المناكحِ حتى لا تصلَ أيّمٌ من الجماعة إلى دنيٍّ، ولا يقع عليها إلّا الكفوء الوفيّ. فإنْ تظلَّمَ إليكَ بعضُ رعيّة أمير المؤمنين، وشكا أحداً من الطّالبيين

---

(١) في الأصول: بسبب، والتصحيح من ابن حمدون.

(٢) س: الذلل.

(٣) ط: تقطع.

(٤) في الأصول: تتأكد. والتصحيح من ابن حمدون.

(٥) (والنسب... الأنساب) من ط فقط.

(٦) (وليعمل... البلاد) ساقط في ط.

(٧) س، ف، ر: قبله.

فخذه بمُساواة خَصْمِه، وامنعْهُ من الاسْتطالةِ عليه وهَضْمه، واعملْ في أمرِهما بما كـان مَـن[١] يتـولّى هـذه النّقابـة يعملـه قبلَـكَ، سـالكاً سَـبيلهم، غـير متجـاوزٍ رَسْـمهم، ليقعَ[٢] القضاءُ بينهم موقعَه، ويصل ذو الحقِّ إلى حقّه معه[٣]. وإذا أعلمك بعض حكّامِ المسلمين توجّه حقّ من أحدٍ ممن[٤] تـولّى النقابـةَ عليـه، فـانتزعْ ذلـك الحـقَّ لصـاحبِه، وأوصلْهُ وافياً إليه. وليكنْ مَن تختاره مـن خلفائـكَ في الـبلاد، ممّـن تثـقُ منـه بجميـلِ المذْهبِ والسَّداد، وأوْصِهم واستوصِ بـما أمـرَكَ أمـير المـؤمنين، فإنّـه مـنهجُ الرّشـاد، والسَّبيلُ المأمولة لتلافي الفَساد. وإذا أُرتـج[٥] دونَـكَ بـابٌ تعـذّرَ افتتاحُـه[٦]، والتـبسَ عليك أمرٌ بَعُد صَلاحُه، فأنْه إلى أمير المؤمنين ما أشكلَ، واستعنْهُ على ما أعْضَل، يَدلُلْك على الطريقةِ المثلى، ويقفـك عنـد المحجّـةِ الوسـطى، واسـتهد اللهَ أولاً وآخـراً يهـدِكَ، واستكفِهِ باطناً وظاهراً يَكفِكَ، واستمددْ منه العَوْنَ يمددْكَ[٧]، واشْكر نعمَـهُ يـزدْكَ إنْ شاء الله.

وكَتَب يومَ الأربعاء لأربع ليالٍ خلَـوْنَ مـن جُمـادى الآخـرةِ سـنةَ أرْبـعٍ وخمسـينَ وثلاثمائة.

---

(١) من: ف، ر.

(٢) ف: ليصل.

(٣) من: ط.

(٤) من: ط.

(٥) ف، ر: ارتتج.

(٦) ط، س: انفتاحه.

(٧) ف: يمدك.

وكَتَب عن المطيع لله
إلى أبي أحمد الحسين بن موسى الموسَويّ
بتقليد الحجّ مضافاً إلى نقابة الطّالبيين[١]

أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين برعايته الحرمات، ومحافظتِهِ على المواتّ، وإيجابه حقّ مَن تأكّدَتْ له العصمةُ، وارْتُضيَتْ منه الخِدْمةُ، وعُرِفَتْ في الطّاعة آثارُه، وتُليت في الموالاةِ أخبارُه، يعتقدُ[٢] رَبَّ صَنيعته عندك، ومُضاعفةَ نعمتِه عليك، والإنافةَ بك على أعلى رُتب ذوي الأسبابِ الواشجة، والأنساب الشّابكة، ولا سِيَّما وقد جمعتَ إلى[٣] القُربى اضطلاعاً بالأعباء، وإلى[٤] الموالاةِ قياماً بحقِّ الاستخدامِ والاستكفاء، فلنْ يعدمَ أمير المؤمنين فيما يكلُه إليْكَ، ويعتمدُ فيه عليْكَ، رعايةَ الحقِّ وصلةَ الرّحِمِ، وصَوابَ التّدبيرِ، وصَلاحَ[٥] المُهمِّ، واللهُ يُحسنُ لأميرِ المؤمنين الاختيار، ويمدُّه بالتوْفيق، والصّنعِ في مجاري الأقْدار.

---

(١) طهران والعنوان فيها: (وله بتقليده الحج)، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك، والعنوان فيها (وكتب بتَقْليد الحج عن المطيع لله رحمه الله). وأورد ابن حمدون جزءاً من هذه الرسالة تحت عنوان: (من تقليده الحج مضافاً إلى نقابة الطالبيين)، ج٣، ص٣٦٠. (لأبي أحمد ..... الموسوي) من ابن حمدون.

(٢) ر: يفتقد.

(٣) ف: مع.

(٤) ف: على.

(٥) ط: إصلاح.

ولمّا قلّدَكَ أمير المؤمنين النقابةَ على الطّالبيين، فبان له فيها محمودُ سيرَتَكَ، وظهر من أفعالك ما دلّه[١] على سَلامة سَريرتك، رأى أمير المؤمنين أنّ[٢] من حقّ العادة[٣] التي عوَّدهُ اللهُ تعالى فيها الصّلاح[٤]، وأجرى له فيها طائرَ النّجاح، أنْ يزيدَكَ[٥] فَضْلاً وإحساناً، ولا يألوكَ إنعاماً وامتناناً، ويَسْتأنفَ بكَ من إعلاء الدّرجة، ورَفْع الرتبة[٦]، ما يحمده رأيُكَ في الخِدْمةِ والاجتهاد، ويستمر معكَ[٧] على طريقتِك[٨] في الاسْتقامةِ والسَّداد[٩]؛ فأنهى مُعِزّ الدَّوْلة أبو الحسين مَوْلى أمير المؤمنين[١٠] - أحسنَ اللهُ حِياطتَه - أمرَ رفاقِ الحجيج الشّاخصة[١١] من العراقَيْن، وإيثار تَقْليدك[١٢] تسييرها إلى الحرمَيْن، والاعتمادِ عليكَ في حمايتها، وتوليتكَ الحربَ والأحداثَ فيها[١٣]؛ فوافق رأيُ مُعِزّ الدَّوْلة أبي الحسين - تولّى الله كفايتَهُ - الصّواب، ووقعَ عند

(١) ف، ر: يدل.

(٢) ساقطة في ط، ف.

(٣) بدل من (حق العادة) في س: (المعاملات).

(٤) (فيها الصلاح) ساقط في ط.

(٥) ط: يزدك.

(٦) س، ف، ر: المرتبة.

(٧) ط: معه.

(٨) ط: طريقك.

(٩) ينقطع النص هنا في التذكرة الحمدونية.

(١٠) (مولى أمر المؤمنين) من ط فقط.

(١١) ف: السائرة، وساقطة في ر.

(١٢) ط: وأشار بتقليدك. س، ر: (تقليد)، وساقطة في ف.

(١٣) ط: بها، وساقطة في ف.

أمـير المـؤمنين مَوْقِـعَ القبـول[١] والإيجـاب[٢]، فاسـتخارَ الله وأمضـاه، اسـتخارةَ لاجىءٍ إليه، ومعوّلٍ في سرِّهِ وجهرِهِ[٣] عليه، وقلّدَكَ أمرَ رفاقِ الحجيج الشّاخصـة مـن مدينة السَّلام والبصـرة والكوفةِ، واثقاً منك بما ترجعُ إليه مـن صـحّةِ الـدِّينِ، وثبـاتِ اليقينِ، وحُسْنِ[٤] الاستقلال، واستخفاف الأثْقال، فتولّ ما وَلّاك أمير المـؤمنين بصـدرٍ مُنشرِحٍ، وأمَلٍ فيه مُنْفسح، وهمّةٍ ماضيةٍ، وقمْ فيه قيامَ مثلِكَ، وتجرّدْ له تجـرُّدَ مَـن حـلّ من الغناء بمحلّك، وحُطِ الحاجَّ حياطةً تامّةً، وذدْ عنهم ذيادةً عامةً، ورفّههم في المَسـير رفاهيةً معتدلةً، ورامِ عنهم جميعاً مراماة متّصِلةً، وسَوِّ في ذلك بـين قَـوِيِّهم وضَـعيفهم، وشريفِهم ومشروفِهم[٥]؛ فـإنّهمْ لله مُتـاجرون، وفي طَلَـب ثَوابِـه مُسـافرون، وإلى بيتـه الحـرام سـائرون، ولقـبر نبيِّـهِ - عليـه السَّـلام - زائـرونَ، يتجشّـمون[٦] الشـقّة، ويكابدونَ[٧] شـدّةَ المشـقّة، ابتغـاءَ للثّـواب، والحظـوة في المـآب، فمعـاونتُهم واجبـة، ومعاضـدتهم مَفْروضـةٌ[٨] لازمـةٌ، حتـى تشـملهم السَّـلامة في الأجسـام والأحْـوال، والأمنةِ في الحلِّ والتّرحال، بادين وراجعـينَ، ومُقيمـينَ ومُنْصـرفين، بعـد أنْ يقضُـوا

---

(١) س، ر: القول.

(٢) ساقطة في ط.

(٣) ط: إعلانه.

(٤) تنقطع الرسالة هنا في ط بسبب الاضطراب في الأصل.

(٥) ف: مشروهم.

(٦) ف: يتجمشون.

(٧) ف: يتكلفون.

(٨) ف، ر: مفترضة.

تَفَثهم، ويوفوا نُذورَهم، ويؤدُّوا مَناسكَهم[١]، ورضا الله مَوْلاهم[٢] ومالكِهم.

وامنعهم مع ذلك الازْدحام، ورتّبْ قوافلَهم على النّظام، وأوْردهمُ المناهل، واحظر عليهم فيها التجاذب، واصدرْ بهم بعد الاكتفاء، وعند تكافئهم قاطبةً في الارتواء، وسيّر في أوائل القوافل مَن يصدُّ عن التسرّع، وفي حواشيها مَن يحجرُ عن مفارقَةِ المنهج. وليكن مَسيرُك على السّاقةِ لئلّا ينقطع منقطعٌ عن الجماعة.

واكتبْ إلى أمير المؤمنين من كلّ منزلٍ تنزله بما يهيّئُه اللهُ بك، ويسهّله من استتاب ما كلَّفَكَ إيّاه، واطّراده بما يؤثرُهُ ويهواه، ليعرفَ حَقيقةَ اجتهادِك، ويكون من وراءِ زيادتِكَ وإمدادِك إنْ شاء الله تعالى.

(١) ف: نسكهم.

(٢) ف: (ويرضوا الله مالكهم) فقط.

وكَتَب عن المطيع لله
إلى أبي أحمد الحسين بن موسى العَلَويّ
نُسْخة عَهْدٍ بتَقْليده المظالم في مدينة السَّلام[١]

هذا ما عَهِد عبدالله الفضلُ الإمام المطيع لله أمير المؤمنين

إلى الحسين بن موسى العَلَويّ

حين اجتمع فيه شرفُ الأعراق والأخلاق، وتكامل فيه يُمْن النقائب والضَّرائب، وعرف أمير المؤمنين فيه فَضْل الكفاية والغَناء، ورَشاد المقاصد والأنحاء، في سالف ما ولّاه إيّاه من أعماله الجليلة، واستنهاضه من أعبائه[٢] الثقيلة، التي لم يزل فيها محمود المقام، مستمرّاً على النظام، مصيب النَّقْض والإبرام، سَديد الإسْداء والإلحام، زائداً على المزايدين، راجحاً على الموازين[٣]، فائتاً للمجارين، مبرّزاً[٤] على المبارين؛ فقلّده النَّظَر في المظالم بمدينة السَّلام وسَوادها وأعمالها وما يجري معها، ثقةً بعِلْمه ودينه، واعتماداً على بَصيرته ويَقينه، وسُكوناً إلى أنّ الأيّام قد زادته تحليماً وتهذيباً، والسنّ قد تناهت به تحنيكاً وتجريباً، وأنّ صَنيعةَ أمير المؤمنين مستقرةٌ منه عند أكرم أكفائها، وأشرف أوليائها، برحمه الماسّة[٥] الدانية، وأرومته[٦] الشامخة العالية، ومعرفته الثاقبة

(١) طهران، وأورد نص هذا العهد القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٠، ص٢٥٢؛ مآثر الإنافة، ج٣، ص١٥١.

(٢) (الجليلة....... أعبائه) من: ط فقط.

(٣) ط: الموارنين.

(٤) صبح الأعشى: مبراً.

(٥) صبح الأعشى: المتاء!

(٦) في نصي القلقشندي: حرمته.

الدّاعية إلى التفويض إليه، الباعثة على التّعويل عليه. وأمير المؤمنين يستمدّ الله في ذلك أحسن ما عوّده من هدايةٍ وتَسديد، ومعونةٍ وتأييد، وما توفيقه إلّا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

أمَرهُ بتقوى الله التي هي الجنّة الحصينة، والعِصْمة المتينة، والسّبب المتّصل يوم انقطاع الأسباب، والزاد المبلّغ إلى دار الثواب، وأنْ يستشعرها فيما يُسرّ ويُعلن، ويعتمدها فيما يُظهر ويُبطن، ويجعلها إمامه الذي ينحوه، ورائده الذي يقفوه؛ إذ هي شيمة الأبرار والأخيار، وكان أولى مَن تعلّق بعلائقها، وتمسّك بوثائقها لمنصبه الكريم، ومفخره الصّميم، واستظلاله مع أمير المؤمنين بدوحة رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله التي يكتنّان في أفيائها، ويأويان إلى فنائها. وحقيقٌ على مَن كان منها[1] منزعه، وإليها مرجعه أنْ يكون طيباً زكياً طاهراً نقياً عفيفاً في قوله وفعله، نظيفاً في سرّه وجَهْره، قال الله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[2].

وأمَرهُ بتلاوة القرآن، وتأمُّل ما فيه من البرهان، وأنْ يجعله نصباً لناظره، ومألفاً لخاطره؛ فيأخذ به ويعطي، ويأتمر له وينتهي، فإنّه الحجّة الواضحة، والمحجّة اللّائحة، والمعجزة الباهرة، والبيّنة العادلة، والدّليل الذي مَن اتّبعه سَلِم ونجا، ومَن صَدَف عنه هَلَك وهوى، قال الله عزّ مَن قائل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۞ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[3].

وأمَرهُ أنْ يجلس للخُصوم جلوساً عاماً، ويُقبل عليهم إقبالاً تاماً، ويتصفّح ما يرفع

---

(١) من: ط فقط.

(٢) سورة الأحزاب، من الآية ٣٣.

(٣) سورة فصلت، من الآيتين ٤٢، ٤٣.

إليه من ظلاماتهم، وينعم النظر في أسباب مجاذباتهم[١]، فما كان طريقه طريق المنازعة المتعلّقة بنظر القُضاة وشهادات العُدول ردّه إلى المتولّي للحكم، وما كان طريقه الغصوب المحتاج فيها إلى الكشف والفحص، والاستشفاف والبحث نظر فيه نظر صاحب المظالم، وانتزع الحقّ ممّن غصب عليه، واستخلصه ممّن امتدّت له يد التعدّي والتغرّر إليه، وأعاده إلى مستحقّه، وأقرّه عند مستوجبه، غير مراقبٍ كبيراً لكبره، ولا خاصّاً لخصوصه، ولا شريفاً لشرفه، ولا متسلطناً[٢] لسُلْطانه، بل يقدم أمر الله - جلّ ذكره - في كلّ ما يأتي ويذر، ويتوخّى رضاه فيما يورد ويصدر، ويكون على الضّعيف المحقّ حَدباً رؤوفاً[٣] حتى ينتصر وينتصف، وعلى القويّ المبطل شديداً غليظاً حتى ينقاد ويذعن، قال الله جلّ وعزّ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[٤].

وأَمَرهُ أنْ يفتح بابه، ويسهل حجابه، ويبسط وجهه، ويلين كنفه، ويصبر على الخصوم الناقصين في بيانهم حتى تظهر حجّتهم، وينعم النظر في أقوال أهل اللَّسَن والبيان منهم، حتى يعلم مصيبهم، فربما استظهر العريض المبطل بفضل بيانه[٥] على العاجز المحقّ لعيّ لسانه، وهنالك يجب أنْ يقع التصفّح على القولَيْن، والاستظهار للأمرَيْن؛ ليؤمن أنْ يزول الحق عن سَننه، ويزور الحكم عن طريقه، قال الله عزّ وجلّ:

(١) في نصي القلقشندي: محادثاتهم.

(٢) ط: متسلطاً.

(٣) من نصي القلقشندي.

(٤) سورة ص، الآية ٢٦.

(٥) (بفضل بيانه) ساقط في ط.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾[1].

وأَمَرهُ بأنْ لا يردّ للقُضاة حكماً يمضونه، ولا سجلًّا ينفذونه، ولا يعقب ذلك بفَسْخ، ولا يطرق عليه النَّقْض، بل يكون لهم موافقاً مؤازراً، ولأحكامهم عاضداً ناصراً، إذ كان الحقّ واحداً وإن اختلفت المذاهب إليه، فإذا وَجَد القصة قد سبقت[2]، والحكومة قد وقعت، فليس هناك شكٌّ يوقف عنده، ولا رَيْبَ يحتاج إلى الكشف عنه. وإذا وجد الأمر مشتبهاً، والحقّ[3] ملتبساً، والتعزز مستعملاً، والتغلب مستجازاً نظر فيه نظر الناصر لحقّ المحقّين، الدّاحض لباطل المبطلين، المقوّي لأيدي المستضعفين، الآخذ على أيدي المعتدين، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[4].

وأَمَرهُ أنْ يستظهر على معرفته بمُشاورة القُضاة والفُقهاء، ومُباحثة الدَّيّانين[5] والعلماء. فإن اشتبه عليه أمرٌ استرشدهم، وإنْ عزب عنه صوابٌ استدلّ عليه بهم، فإنهم أزمّة الأحكام، وإليهم مرجع الحكام، وإذا اقتدى بهم في المشكلات، وعمل بأقوالهم في المعضلات، أمن من زلّة العاثر، وغلطة المستاثر، وكان خليقاً بالأصالة في

(١) سورة الحجرات، الآية ٦.

(٢) في نصي القلقشندي: سيقت.

(٣) ساقطة في ط.

(٤) سورة النساء، الآية ١٣٥.

(٥) في نصي القلقشندي: الربانيين.

رأيه، والإصابة في أنحائه[١]. وقد أمر الله - تقدّست أسماؤه - بالمشاورة فعرف النّاس فضلها، وأسلكهم سُبلها، بقوله لرسوله صلّى الله عليه وسلَّم وعلى آله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٢].

وأمَرَهُ أنْ يكتب لمن توجب له حقّ من الحقوق إلى صاحب المعونة[٣] بالشدّ على يده، والتمكين له منه، وقبض الأيدي عن منازعته، وحسم الأطماع في معارضته، إذ هو مندوبٌ لتنفيذ أحكامه، ومأمورٌ بإمضاء قضاياه. ومتى أجرى[٤] أحدٌ من الخصوم إلى المجاذبة[٥] في حقٍّ قد حكم عليه به أخذ على يده، وكفّه عن عدوانه، وردّه إلى حكم الله الذي لا معدل[٦] عنه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٧].

هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجّته عليك قد أرشدك وذكَّرك وهداك وبصّرك، فكن إليه منتهياً، وبه مقتدياً، واستعن بالله يعنك، واستكفه يكفك، إن شاء الله تعالى.

وكَتَب النّاصح أبو طاهر[٨] في تاريخ كذا.

---

(١) في نصي القلقشندي: أبحاثه.

(٢) سورة آل عمران، من الآية ١٥٩.

(٣) في نصي القلقشندي: الكوفة.

(٤) في نصي القلقشندي: أخذ.

(٥) في نصي القلقشندي: مكاذبة.

(٦) في نصي القلقشندي: يعدل.

(٧) سورة البقرة، من الآية ٢٢٩.

(٨) في كتابي القلقشندي: أبو الطاهر. وهو الوزير مُحمّد بن بَقيّة.

وكَتَب عن المطيع لله
إلى أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن زياد
صاحب اليمن
في أمرِ أبي الحمْد داود بن أحمد العَلَويّ الحسَني الحجازي[١]

أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين وإنْ عمَّ أهلَهُ برعايتِه، وشَمِلَهم بكَنافتِهِ، وسوّى[٢] بينهم بينهم فيما يمتدُّ عليهم من ظلِّه، وينزلهم[٣] به[٤] من إحسانِه وطَوْلِه، يرى أنْ يخصَّ أماثلَهُم بفَضْل التقديم والاجتباء، ويزيدَهم من الأثرة والاصطفاء، إنصافاً[٥] إلى

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك.

الزياديون أو بنو زياد سلالةٌ حكمت اليمن في المدة ٢٠٣-٤٠٩هـ/ ٨١٨-١٠١٩م، وذلك بعدما أرسل الخليفةُ المأمون مُحمّد بن عبد الله بن زياد والياً على اليمن، إثر حركةٍ مسلّحة قامت في منطقة عَكّ والأشاعر، وخروجها عن طاعة الدَّوْلة العَبّاسية وقد تمكن مُحمّد بن عبد الله من إخضاع كافة الأراضي اليمنية لسلطته، وبنى مدينة زَبيد، واتخذها عاصمةً له. وإسحاق بن إبراهيم يُعد رابع أمرائهم، حكم مدةً طويلة (٢٩١-٣٧١هـ/ ٩٠٣-٩٨١م). عنهم، انظر: ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٥١-٥٤؛ فون زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص١٧٩.

(٢) س: بسوى.

(٣) ف: نزلهم.

(٤) من: ر.

(٥) س: إتحافاً.

التطبيق بينهم، وعَدْلاً في التَّرتيب لهم[١]، وليعلموا أنّ غاياتِ المنازلِ عنده لا تُدْرك، ونهاياتِها لا تُبْلغُ إلّا باجتماع شَرفِ الأخلاقِ إلى شرف الأعْراق، وكَرِم الآدابِ إلى كرمِ الأنساب، فيتنافسوا من الفَخْر في أعلاه، ويحرصوا على السَّبْق إلى مَداه، واللهُ يهبُ لأمير المؤمنين في ذلك وفي سائرِ ما يأتي ويذرُ، ويُورد ويُصدر، توفيقاً يُجْريه فيه على أفضلِ العادة، وأحسن الشّاكلة، وحَسْبُ أمير المؤمنين الله ونِعْم الوكيل.

ولما وَرَد داودُ بنُ أحمد العَلَويّ حَضْرةَ أمير المؤمنين، تَصفّح أحوالَهُ فَعلم سَدادَها، وتأمَّلَ مذاهبَهُ فعَرَف رَشادها، ووَجَد فيه مُصطنعاً، ورآه للعارفة موضعاً، فرتَّبه مع أعيان أهله، وقدّمه إلى غايةِ مِثْله، وأبانَ عن رأيه في اختصاصِهِ، ومعتقدِهِ في استخلاصهِ، وأمَر له من جليل حِبائه، وجزيل عطائه، بما شاعَ خبره، وظَهَر أثرُه، صلةً لرحِمِهِ، وقضاءً لحقِّه، وقياماً بالواجب فيه وله.

وعَرَف أمير المؤمنين منه - في عُرْض المُفاوضة، وأضْعاف المباحثة - حالَكَ في مَساعيكَ الصّالحةِ، وآثاركَ الواضحة، ومذاهِبكَ المَحْمودةِ، ومواقفِك المشهودة، في نُصْرةِ الدِّين، وحياطةِ المسلمين، ومُجاهدةِ أهْل الشِّقاقِ، ومُعاندةِ ذوي النِّفاق، وتَطْهير تلك الأصقاع من الضّلال والمعرَّة، وتهذيبها من الفَسادِ والمضرّة؛ فوقَعَ ذلك من أمير المؤمنين موقعاً زادك من جميلِ رَأْيِهِ، وأفادَكَ الزُّلفى لَدَيه، ورأى أنْ يَذْكره لك؛ لتستمرَّ على ما اقْتَضاه، وتدوم على ما اسْتَدعاه، وتَعْرف لداودَ بن أحمد حقّ ثنائهِ عليك، كما عَرفَ أمير المؤمنين حقّ صِدْقِه عنك، وتسلكَ في الإيجابِ له سَبيله، وتحتذي[٢] فيه تمثيله، وتقومَ بما ألزمَكَ أمير المؤمنين القيامَ به من خلافتِهِ فيما غابَ[٣] عنه من أسبابِهِ

(١) ساقطة في ف.

(٢) س: تجتني.

(٣) ساقطة في ف.

وشؤونِه، وصيانتِه في علائقهِ وأمورِه، حتى يجري جميعُها أحسن مجاريه، وعلى أفْضَـلِ[1] ما يُؤْثرهُ أمير المؤمنين فيه.

فاعلمْ ذلك من رَأْي أمير المؤمنين، واعملْ به، وكنْ عند أحسن الظّنِّ بكَ وأجْمله، وأجبْهُ بما يأتيه، فإنّه يتطلّعهُ ويُراعَيه، واجْرِ على رَسْمك في إنهاءِ ما يحتاجُ إليه من جهتك، ويتشوّفُ علمَهُ من أحْوالِ عَمَلك إنْ شاء الله تعالى.

(١) ساقطة في ف.

وكَتَب عن المطيع لله
إلى أهل عُمان
عند إخراج مُعِزّ الدَّوْلة أبي الحسين إليها[١]

من عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين
إلى جماعة أهل عُمان وأعْمالها وأكْنافها وأطْرافها وجَزائرها وسَواحلها
وبَرّها وبَحْرها وسَهْلها وجَبَلها وما يجري معها، ويُنسب إليها
سلامٌ عليكم، فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو، ويصلّي على مُحمّدٍ عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلَّم.

أما بعد، فإنّ أمير المؤمنين لما ولّاه - جلّ وعزّ - إيّاه من حياطة بلاده، واسترعاه من سياسة عباده، يُواصل النَّظَر في مَصالح المسلمين، وتعهُّدها بأخلص البَصيرة واليقين، ويُطالع أحوال مَن بَعُد منهم ونأى، كما يُطالع ذلك ممّن قَرُب ودنا، ويرى أنّه مندوبٌ لحماية حريمهم، ومسؤولٌ عن[٢]

(١) طهران. (أبي) ساقطة في الأصل.

(٢) تنقطع الرسالة هنا؛ ففقدنا بقيتها وما فيها من مادة تاريخية مهمة.

وكَتَب عن المطيع لله
وهو يومئذٍ صاحب ديوان الرَّسائل
في نَقْل سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة
ونُقِلتْ سنة خمسين وثلاثمائة الخراجية إلى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة
في إمارة مُعِزّ الدَّوْلة، ووزارة أبي مُحمّد الحسن بن مُحمّد المهلَّبي
نُسْخَتُه[١]:

أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين لا يزالُ مجتهداً في مَصالح المسلمين، وباعثاً لهم على

---

(١) فيض الله، راغب باشا، سيلي أوك، وبعضها في طهران، والعنوان فيها كلها: (وكَتَب عن المطيع لله في أيّام أبي مُحمّد الحسن بن مُحمّد المهلَّبي في نَقْل سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ونُقِلتْ سنة خمسين وثلاثمائة الخراجية إلى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع لله)، وإمارة مُعِزّ الدَّوْلة، ووزارة أبي مُحمّد الحسن بن مُحمّد المهلَّبي بكتابٍ أنْشأهُ أبو إسحاقٍ وهو يومئذٍ صاحب ديوان الرَّسائل، نُسْخَتُه. (باستثناء خطأ وقع فيه ناسخ ف، وهو: ونقلت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة الخراجية، والصواب: سنة خمسين وثلاثمائة). حذفت منه بعض الكلمات المكررة كما يرى القارىء. وقد أورد القلقشندي نص هذا الكتاب، لكن التاريخ جاء خطأ (من النساخ في أغلب الظن)، فقد جاء: بنقل سنة ٣٠٦ إلى سنة ٣٠٧. صبح الأعشى، ج١٣، ص٦٩. كما أورد بعض نصوص هذا الكتاب: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٨، ص٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٣١.

قال مسكويه في أحداث سنة ٣٥١هـ: وفيها نقل الوزير أبو مُحمّد الحسن بن مُحمّد المهلبي سنة خمسين الخراجية إلى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة. تجارب الأمم، ج٦، ص٢٣١.

عندما استولى مُعز الدَّوْلة على العراق نظر في أسباب الأزمة الاقتصادية، ورأى أن إصلاح القنوات وسدّ البثوق هو ما يصلح الزراعة، وبالتالي زيادة الواردات. ويؤثر عنه قوله: «قد

مَراشدِ الدّنيا والدِّين، ومُهيياً بهم إلى أحْسَنِ الاختيار فيما يُوردون ويُصْدرون، وأصْوب الرّأي فيما يُبْرمون وينقضون، فلا تلوح له خَلّةٌ داخلةٌ على أُمورِهم إلّا سَدَّها وتَلافاها،

نذرت لله عند حضوري في هذه الحضْرة ألا أقدّم شيئاً على ذلك، ولو أنفقت فيه جميع ما أملك». عريب، صلة تاريخ الطبري، ص٣٦٢، واهتم بحل مشكلة موعد جبايةِ الخراج وعالجها؛ فنقل وزيره الحَسَن المهلبي سنة ٣٥٠هـ الخراجية إلى سنة ٣٥١هـ ليوفق بين السنة الخراجية وبين السنة الهلالية. (انظر: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٦٣) وذلك باعتبار كل ٣٣ سنة قمرية معادلة لـ٣٢ سنة شمسية، كما يتضح من هذا المرسوم الذي يتفرّد الصابي بإيراده.

وحكى أبو الحسين هلال بن المحسِّن بن أبي إسحاق إبراهيم الصابي عن أبيه أنّه قال: لما أراد الوزير أبو مُحمّد المهلبي نقل السنة أمر أبا إسحاق والدي وغيره من كتابه في الخراج والرسائل بإنشاء كتاب عن المطيع لله رحمة الله عليه في هذا المعنى فتبارى الكتّاب في ذلك، وكل منهم كتب، وعرضت النسخ على الوزير أبي مُحمّد، فاختار منها كتاب والدي، وتقدم بأن يكتب إلى أصحاب الأطراف. وقال لأبي الفرج ابن أبي هاشم خليفته: اكتب إلى العُمّال بذلك كتباً محققة، وانسخ في أواخرها هذا الكتاب السلطاني، فغاظ أبا الفرج وقوع التفضيل والاختيار لكتاب والدي، وقد كان عمل نُسْخة اطرحت في جملة ما اطرح، وكتب : قد رأينا نقل سنة خمسين إلى إحدى وخمسين فاعمل على ذلك. ولم ينسخ الكتاب السلطاني، وعرف الوزير أبو مُحمّد ما كتب به أبو الفرج، فقال له : لماذا أغفلت نسخ الكتاب السلطاني في آخر الكتاب إلى العُمّال وإثباته في الديوان؟ فأجاب جواباً علل فيه، فقال له يا أبا الفرج: ما تركتَ ذلك إلّا حسداً لأبي إسحاق على كتابه، وهو والله في هذا الفن أكتب أهل زمانه. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص٦٤. وقال الصفدي عن هذه الرسالة: «وهو كتابٌ مشهور في رسائل إبراهيم». الوافي، ج١، ص٣٣. وقد قدم شرحاً مفيداً وافياً عن السنين الكبيسة وكيفية تعامل الأمم معها وخاصة في الدولة الإسلامية. انظر مقدمته لكتاب الوافي. وانظر: الصّاحب بن عباد، المختار من رسائله، ص١٢٨.

ولا حالٌ[١] عائِدةٌ بحظٍّ عليهم إلّا اعتمدها وأتاها، ولا سُنّةٌ عادلةٌ إلّا أخذهم بإقامةِ رَسْمها، وإمضاء حُكْمها، والاقتداء بالسَّلفِ الصّالحِ في العملِ بها، والاتّباع لها.

وإذا عرضَ من ذلك ما تَعلمه الخاصّة بوُفور ألْبابها، وتجْهله العامّة بقصور أذْهانِها. وكانت أوامرُهُ فيه خارجةً إليك، وإلى أمْثالك من أعيانِ رجالِه، وأماثل عُمّالِه، الذين[٢] يكتفون بالإشارة، ويجتبرون بيَسير الإبانة والعبارة، لم يدعْ أن يَبْلغَ من تلخيص اللَّفظِ وإيضاح المعنى إلى الحدِّ الذي يُلْحِق المتأخِّرَ بالمتقدِّمِ، ويَجْمعُ بين العالمِ والمُتَعلِّم، ولا سِيَّما إذا كان ذلك ممّا يَتعلَّقُ بعَمالات[٣] الرّعيّة، ومَنْ لا يعرفُ إلّا الظّواهرَ الجليّة، دونَ البواطنِ الخفيَّة، ولا يَسْهُل عليه الانْتِقال عن العاداتِ المتكرِّرة إلى الرُّسومِ المتغيِّرة؛ ليكون القولُ المَشْروحُ لمن برّزَ في المَعْرفةِ مُذكّراً، ولمن تأخّر فيها مُبصّراً، ولأنّه ليس في الحقِّ أنْ تمنعَ هذه الطّبقةَ من بردِ اليقين في صُدورِها، ولا أنْ تقتصرَ على اللَّمْحَةِ الدّالةِ في مخاطبة جُمهورها، حتى إذا اسْتوتْ الأقْدام بطوائِفِ النّاس في فَهْم ما أُمروا به، وفِقْهِ ما دُعوا إليه، وصاروا فيه على كلمة سواء، لا يَعْترضَهُم شَكُّ الشّاكّين، ولا استرابة المستريبينَ، اطمأنّت قلوبهم، وانشرحت صُدورهم، وسقط الخلاف بينهم، واستمرّ الاتفاق فيهم، واستيقنوا[٤] أنَّهم مَسوسون[٥] على استقامةٍ من المنْهاجِ، ومحروسونَ من جَرائر الزَّيْغ والاعوجاج، فكان الانقياد منهم، وهم دارون عالمون، لا مُقلدون مسلّمون، وطائعون مُخْتارون لا مُكْرهُون مُجْبرون.

---

(١) س: حائل، ف: حالة.

(٢) ف، ر، س: والذين.

(٣) ف، ر: بعمالات، س: بعملات، وبهامشها في ف: لعله: بمعاملات.

(٤) ف: واستبينوا.

(٥) ف: مشسوسون، ر: مسبوسون، س: مستويون.

وأميرُ المؤمنين يستمدُّ اللهَ المعونة في جميع أغراضِهِ ومَراميه، ومَطالِبه ومَغازيه مادةً من صُنعِهِ تقِفُ به[١] على سَننِ الصَّلاح، وتَفْتحُ له أبوابَ النّجاح، وتُنْهضه لما أهّلَهُ لحمله من الأعباء التي لا يُدعى الاستقلالُ بها إلّا بتوفيقِه ومَعونته[٢]، ولا التّوجُّهُ فيها إلّا بدلالته وهدايته، وحَسْب أمير المؤمنين الله ونِعْم الوكيل.

وأمير المؤمنين يرى أنّ أولى الأقْوالِ أنْ تكونَ سَدَداً، وأجرأ الأفْعال أنْ تكون رَشَداً، ما وجد له في السّابق من حكمةِ الله أصولٌ وقواعد، وفي النّصِّ من كتابه آياتٌ وشَواهد، وكان مفضياً بالأمّة إلى قوامٍ من دينٍ أو دنيا[٣]، ووفاقٍ في آخرةٍ أو أولى، فذلك هو البناء الذي يثبت ويعلو، والغَرْس الذي ينبت ويزكو، والسَّعْي الذي تَنْجح مَساعيه وهَواديه[٤]، وتُبْهج عَواقبه وتَواليه، وتستنير[٥] سُبلُهِ لسالكيها، وتوردهم النَّحر[٦] والثّغر من مَقاصِدِهم فيها، غير ضالّين، ولا عادلين، ولا منحرفين، ولا زائلين[٧].

وقد جعل اللهُ - عزّ وجلّ - لعبادهِ من هذه الأفلاك الدّائرة، والنُّجوم السّائرة، فيما يتقلّب عليه من اتصالٍ وافتراق، ويتعاقب عليه من اختلافٍ واتِّفاقٍ، منافعُ تظهر في كُرورِ الشُّهور والأعوام، ومُرورِ اللّيالي والأيّام، وتناوبِ الضَّياءِ والظَّلام، واعْتِدال

(١) (اتفق به) ساقط في ف.

(٢) من صبح الأعشى.

(٣) تنقطع الرسالة هنا في ط، وبها تنقطع قطعة طهران.

(٤) هوادي الشيء أوائله. لسان العرب، ج١٥، ص٣٥٧ (هدي).

(٥) ف، ر: ينير.

(٦) س، ر: النحور.

(٧) ف، ر، س: ذليلين، وما أثبتناه من صبح الأعشى.

المساكن[١] والأوطان، وتغايرُ الفصول والأزمان، ونشوءِ النَّبات والحيوان، فما في نظام ذلك خلَل، ولا في صَنْعةِ صانعه زَلَل، بل هو مَنوطٌ بعضُه ببعضٍ، ومحوطٌ[٢] من كلِّ ثَلْمٍ ونَقْص، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[٣]، وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[٤]، وقال: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[٥]، وقال: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[٦]. ففضَّل تعالى في هذه الآيات بين الشَّمْس والقمر، وأنبأنا في الباهر من حكمه، والمعجز من كلمه أنّ لكلٍّ منها طريقاً سُخِّر فيها، وطبيعةً جُبِلَ عليها، وأنّ تلك المُباينة والمخالفةَ في المسير تؤدّيان إلى مُوافقةٍ ومُلائمةٍ في التَّدبير؛ فمن هُنالك زادتْ السَّنةُ الشَّمْسيَّةُ، فصارت[٧] ثلاثمائة وخمسة[٨] وستّين يوماً وربعاً بالتَّقريب المعمول عليه، وهي المدَّةُ التي تقطع الشَّمْس فيها الفلك مرَّةً واحدةً. ونقصتْ السَّنةُ الهلاليةُ، فصارت[٩]

---

(١) س: المساكين.

(٢) ف: محفوظ.

(٣) سورة يونس، من الآية ٥.

(٤) سورة لقمان، الآية من ٢٩.

(٥) سورة يس، الآية ٣٨.

(٦) سورة يس، الآية ٣٩.

(٧) ساقطة في ف.

(٨) س: خمس.

(٩) ساقطة في ف.

ثلاثمائة وأربعةً وخمسينَ يوماً وكَسْراً، وهي المدَّة التي يجامع فيها القمرُ الشَّمْس اثنتي عشرةَ مرةً. واحتيج إذا انساق هذا الفَضل إلى استعمال[١] النّقل الذي يُطابق إحدى السنتين بالأخرى إذا افترقتا، ويداني بينهما إذا تفاوتتا.

وما زالتْ الأممُ السّالفةُ تكبسُ زيادات السِّنين على افتنان[٢] من طُرقها ومذاهبِها[٣]، وفي كتاب الله شهادةٌ بذلك إذ يقول في قصّة أهل الكهف: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾[٤]، فكانت هذه الزّيادةُ بإزاء ذلك الفَضْل في السِّنين المذكورةِ على التّقريب[٥].

فأمّا الفرس[٦] فإنّهم أجروا مُعاملاتهم على السَّنةِ المعدَّلةِ التي شهورُها اثنا عشر شهراً، وأيّامها ثلاثمائةٍ وستّون يوماً، ولقَّبُوا الشُّهور اثني عشر لقباً، وسمّوا أيّام الشّهر منها ثلاثين اسماً، وأفردوا الأيّام الخمسة الزّائدة، وسَمُّوها المسترقة، فكبسوا الرُّبع في كلِّ مائةٍ وعشرين سنةً شَهْراً. فلمّا انقرض مُلْكُهم، بَطُل في كَبْس هذا الرُّبع تدبيرُهم، وزال نَوْروزُهم[٧] عن سَنَته، وانفرج ما بينه وبين حقيقةِ وقته انفراجاً هو زائدٌ لا يقف،

---

(١) ساقطة في ف.

(٢) س: حسابات.

(٣) في هذا انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٨٣؛ المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج١، ص١٢٨.

(٤) سورة الكهف، الآية ٢٥.

(٥) في صبح الأعشى: على تقريب التقريب.

(٦) س: الفرث.

(٧) النَّوروز أو النَّيروز عيدٌ عراقيٌّ قديم، تعود أصوله إلى الحضارات التي نشأت في العراق، السومريين والبابليين، وهو متصلٌ بالتقويم الزراعي، والاعتبارات الفلكية، فهو يوم الانقلاب الربيعي (٢١ آذار). تأثرت به الأمم المجاورة، ومنهم الفرس، فتمسكوا به حتى بعد

ودائرٌ لا يَنْقطع، حتى أنّ موضوعهم فيه[1] يقع في مَدْخل الصّيف، وسينتهي إلى أنْ يقعَ في مَدْخل الشَّتاء[2]، ويتجاوز ذلك. وكذلك موضوعهم في المِهْرَجان[3] أنْ يقعَ في مَدْخل الشِّتاء، وسينتهي إلى أنْ يقعَ في مدخل الصّيْف ويتجاوزه.

وأما الرُّوم فكانوا أتقَن منهم حكمةً، وأبْعد نظراً في عاقبة؛ لأنهم رتّبوا شهور السَّنَةِ على أرصادٍ رَصَدوها، وأنواءٍ عَرَفوها، وفضّوا الخمسة الأيّام الزّائدة على الشُّهور، وساقوها معها على الدُّهور، وكبسوا الرُّبع في كلّ أربع سنين يوماً، ورَسَموا أنْ يكون إلى شباط مضافاً، فقرّبوا ما بعَّده غيرهم، وسهّلوا على النّاس أنْ يقتفوا أثَرهم؛ لا جَرَم أنّ المعتضد بالله - صلوات الله عليه - على أصولهم بنى، ولمثالهم احتذى، في تصيير نَوْروزه[4] اليوم الحادي عشر من حُزَيران، حتى سَلِم ممّا لَحِقَ النَّواريز

إسلامهم، ولهم فيه طقوسٌ رسمية وشعبية. وكان له حضورٌ حتى في الدولتين العباسية والفاطمية. انظر على سبيل المثال : الغزالي، التبر المسبوك، ص٨٠؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص١٥٥. وعلى شبكة المعلومات العنكبوتية مقالٌ ضافٍ لطلعت ميشو يوثق تاريخه وجذوره وامتداداته وكثيراً مما يتعلق به بتوثيقٍ جيد، وهو بعنوان : أكيتو عيد الربيع البابلي - جذوره، أيّامه، عائديته.

(١) ساقطة في ر.

(٢) س: الشقاء.

(٣) في ج أينما ورد: المِهْرِجان، ضبطه السَّمْعاني بكسر الميم والراء وسكون الهاء (مِهْرِجان). الأنساب، ج٥، ص٤١٤. وضبطه البعلي (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) بكسر الميم وفتح الراء (مِهْرَجان) معتمداً على الزمخشري (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) في مقدمة الأدب، وقال: هو عيدٌ للكفار، يصادف اليوم السابع عشر من الخريف. المطلع على ألفاظ المقنع، ص١٩٢. وكذلك ضبطه الأحمد نكري (القرن ١٢هـ/ ١٨م) مِهْرَجان، وقال: إنّه أول يوم من نزول الشمس في الميزان. دستور العلماء، ج٣، ص٢٦٨. وهو من أعياد العراق القديم، وانتقل إلى الأقوام المجاورة.

(٤) في المحرم من سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م أمر الخليفة المعتضد بالله بتأجيل تحصيل الخراج من وقت

في سالِفِ الأزْمان، وتلافوا الأمرَ في عجوز[1] سِنيّ الهلال عن سِنيّ الشَّمْس بأنْ جبروها[2] بالكَبْس، فكلّما اجتمع من فضول سِنيّ الشَّمْس ما يفي بتمام شهرٍ، جعلوا السَّنة الهلالية التي يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالاً؛ فربَّما تمَّ الشهر الثّالث عشر في ثلاثِ سنين، وربّما تمّ في سنتين، بحَسْب ما يُوجبُهُ الحساب، فتصيرُ سنتا الشَّمْس والهلالِ عندهم مُتَقاربتين، أبداً، لا يتباعدُ ما بينهما.

وأما العربُ، فإنّ اللهَ - عزّ وجلّ - فَضّلها على الأمم[3] الماضية، وورّثها ثمرات مَساعيها المتعبة[4]، وأجْرى شهرَ صِيامها، ومَواقيتَ أعيادِها، وزكاةَ أهل ملّتها[5]، وجزيةَ أهْلِ ذمّتِها على السَّنةِ الهلالية، وتعبُّدها فيها برؤيةِ الأهلّةِ إرادةً منه أنْ تكونَ مَناهجُها واضحةً، وأعلامُها لائحةً، فتتكافأُ في مَعْرفةِ الفَرْضِ، ودخول الوقت الخاصُّ منهم والعامُّ، والنّاقِص الفطنة والتّامُّ، والأنثى والذّكر وذو الصِّغَر والكِبَر. فصاروا

النوروز (٢١ آذار) إلى الحادي عشر من حزيران؛ فسُمي ذلك النوروز المعتضدي. الطبري، تاريخه، ج٥، ص٦١٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص١٤٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٤٨٣. فقد كان الخراج يؤخذ سَلَفاً قبل إدراك الغلات. مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٤٥٦. ونهى النّاس أن يعملوا في يوم النوروز ما كانوا يتعاطونه من إيقاد النيران وصب الماء وغير ذلك من الأفعال المشابهة لأفعال المجوس، ومنع حمل هدايا الفلاحين إلى المقطعين. ابن كثير، البداية والنِّهاية، ج١٤، ص٦٥٩. ونص كتاب المعتضد أورده القلقشندي في صبح الأعشى، ج١٣، ص٦٧. وانظر عنه: ابن البهلول، كتاب الدلائل، ص٨٩، ص٩٦، ص١٠٤، ص١١١، ١١٩، ص١٢٧، ص١٤٤، ص١٥٣، ص١٦٨، ص١٧٤، ص١٨٥؛ البيروني: الآثار الباقية، ص٢٠٤، القانون المسعودي، ج١، ص١٤٢.

(١) العَجُز: المؤخرة. والمقصود نهايات سِنيّ الهلال.

(٢) س: جزؤها.

(٣) ساقطة في ر.

(٤) ساقطة في ر.

(٥) بهامشها في ف: مَلأتها، صح.

حينئذٍ يجبون[١] في سنة الشَّمْس: حاصلَ الغَلّات المقسومةِ، وخَراجَ الممسوحةِ. ويجبون[٢] في سنة الهلال: الجواليَ، والصَّدقاتِ، والأرحاء[٣]، والمقاطعاتِ، والمستغلّات، وسائر ما يجري على المشاهرات.

وحدث من التّداخُل والتّفاضُل بين السِّنين ما لو استمرَّ لقَبُح جداً، وازداد بُعْداً؛ إذ كانت الجبايةُ الخراجيةُ في السَّنةِ التي ينتهي إليها تُنسب في التَّسمية إلى ما قبلها، وواجبٌ مع هذا أنْ تُطَّرَحَ تلك التَّسمية[٤] وتُلغى، وتُتجاوز إلى ما بعدها وتُتخطّى، ولم يجز لهم أنْ يقتدوا بمُخالفيهم في كَبْس سنةِ الهلالِ بشهرٍ ثالثَ عَشَرَ، لأنهم لو فعلوا ذلك لتزحزحت[٥] الأشْهُرُ الحرُم عن مَواقعها، وانْحرفتِ المناسكُ عن حقائقها، ونقصتِ الجبايةُ عن سِنيِّ الأهلَّةِ[٦] بنقص[٧] ما استرقه[٨] الكَبْس منها، فانتظروا بذلك الفَضل إلى أنْ تتمّ سنة، وأوجب الحِساب المقرَّب أنْ يكون كلُّ اثنتين وثلاثين سنةٍ شَمْسيَّة ثلاثاً وثلاثين سنةٍ هلالية، فنقلوا المتقدِّمةَ إلى المتأخِّرةِ نقلاً لا يتجاوزُ الشَّمْسيَّة، وكانت هذه الكُلْفةُ في دُنياهم مستسهلة مع تلك النِّعْمة في دينهم.

وقد رأى أمير المؤمنين نَقْلَ سنة خمسينَ وثلاثمائةِ الخراجيّة إلى سنةِ إحدى وخمسينَ وثلاثمائة الهلاليَّة؛ جَمْعاً بَيْنهُما، ولزوماً لتلكَ السُّنّة فيهما؛ فاعمل بما وَرَد به أمر[٩] أمير

(١) س: يجتنبون، ف، ر: يجتبون.
(٢) س: يجتنبون، ف، ر: يجتبون.
(٣) س: الأرحام، ف، ر: الإرجاء.
(٤) في صبح الأعشى: السنة.
(٥) س: لخرجت.
(٦) في صبح الأعشى: الأهلة القبطية.
(٧) ف، ر: بقسط.
(٨) صبح الأعشى: استغرقه.
(٩) من صبح الأعشى.

المؤمنين عليك، وما تضَّمَنَهُ كتابه هذا إليكَ، وأمر الكُتّاب قِبلكَ أنْ يحتذوا رَسْمهُ فيما يكتبونَ به إلى عُمّال[١] نَواحيك، ويخلّدونه الدَّواوين من ذكورهم ورفوعهم، ويُقرُّونَهُ من دُروج[٢] الأموال، وينظمونه في الدَّفاتر والأعمال، ويبنون عليه الجماعاتِ والحُسْبانات، ويوعزونَ بكَتْبه من الرّوزات[٣] والبراءات[٤].

وليكنْ المنسوبُ - كان - من ذلك إلى سنة خمسين وثلاثمائة، التي وقع النّقل عنها معدولاً به إلى سنة إحدى وخمسين التي وقع النقل إليها. وأقمْ في نُفوسِ مَن بحَضْرتكَ من أصْنافِ الجُنْد والرّعيّة، وأهْل المِلّة والذِّمةِ أنّ هذا النَّقلَ لا يُغيِّر لهم رَسْماً، ولا يُلْحق بها ثَلْماً، ولا يَعُود على قابضي العطاءِ بنُقْصانٍ ممّا استحقُّوا قَبْضه، ولا على مؤدّي[٥] حقّ بيتِ المالِ بإغضاءِ ما وجب أداؤه؛ فإنّ قرائح أكثرهم فقيرةٌ إلى أفهام أمير المؤمنين الذي يؤثر أنْ تزاح فيه العلّة، وتُسَدَّ به منهم الخَلّة، إذ كان هذا الشَّأن لا يتجدّدُ إلّا في المدد الطِّوال التي في مِثْلها يحتاج إلى تعريف النّاشىء، وإذكار النّاسي. وأجبْ بما يكون منك جواباً يُحسن مَوْقِعَك لك.

وكَتَب الحسن بنُ مُحمّد مُوَفَّقاً[٦] إنْ شاء الله.

---

(١) ف: أعمال.

(٢) في الأصول الثلاثة: دهوج.

(٣) في صبح الأعشى: الروز نامجات. وكلاهما يؤديان المقصود، وهو اليوميّات.

(٤) البراءة: حجّة يصدرها الجهبذ أو الخازن للمؤدي بما يؤديه إليه من مال. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٢.

(٥) ف: يؤدي، س: ما أدى.

(٦) من: ف.

وكَتَب عن الطّائع لله
إلى أصْحاب الأطرافِ
بتكْرِمة عِزّ الدَّوْلة بَخْتِيار بن مُعِزّ الدَّوْلة
ووزيره مُحمّد بن بَقيّة[1]

أمّا بعد، فإنّ من سُنن العَدْل التي يُؤْثر أمير المؤمنين أنْ يحبيها، وآدابِ الله التي يرى أنْ يأخذَ بها ويقْتفيها، إثابةَ المحسن بإحسانِه، والإيفاءَ به على أقْرانِه، والمجازاةَ له

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك. (ووزيره مُحمّد بن بَقيّة) من ط فقط، وكذلك (عِزّ الدَّوْلة). وأورد نصها الصابي، رسوم دار الخلافة، ص١١٤؛ وأورد بعضها الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٩٦. وكان الخليفة الطائع لله قد لقّبه (عِزّ الدَّوْلة) سنة ٣٤٨هـ. مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٢١٦.

صدر هذا الكتاب سنة ٣٦٦هـ كما يتبين في خاتمته. وهذه الرسالة هي التي أغضبت عَضُد الدَّوْلة على أبي إسحاق الصابي كما بيّنّا في المقدّمة.

وعن الوزير محمد بن بقيّة قال ابن الأثير في أحداث سنة ٣٦٢هـ: وفيها عُزل الوزير أبو الفضل العَبّاس بن الحسين من وزارة عز الدَّوْلة بختار، واستُوزر مُحمّد بن بَقيّة، فعجب النّاس لذلك، لأنّه كان وضيعاً في نفسه، وأهل أوانا (قريته). وكان أبوه أحد الزراعين، لكنه كان قريباً من بَخْتِيار، وكان يتولى له المطبخ ويقدم إليه الطّعام ومنديل الخوان على كتفه، إلى أن استوزر. الكامل، ج٧، ص٣١١. ثم خدم عَضُد الدَّوْلة، وضمن منه مدينة واسط وأعمالها. فلما صار إليها خلع طاعة الدَّوْلة، وكاتَبَ عمران بن شاهين وطلب مساعدته؛ فأجابه إلى ما التمس. ج٧، ص٣٢٩. أخباره منتشرة في تجارب الأمم لمسكويه؛ وترجم له الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٢٠؛ الصفدي في كتابيه: نكت الهميان، ص٢٥٨، والوافي، ج١، ص٩٨.

عن أسدِّ مَساعيه، وصائبِ مَراميه، بما يكون قضاءً لما سَلَف[١] وقدم، وكفاءً لما أكَّدَ وألْزم، واضعاً ذلك مواضِعَهُ، وموقعاً له مواقعَهُ، مطيفاً به بين أولياءِ دَوْلته، وأنْصار دَعْوته، بحسب الذي عُرِفَ من بلائهم، وشُهر من مَواقِف غَنائهم، ولا يستكثر جزيلاً استحقَّهُ أكابرُهُم، ولا يحتقرُ قليلاً استوجبه[٢] أصاغرُهُم، شَحْذاً لبصائرهم في طلبِ الغايات، وبَعْثاً على إدْراك النِّهاياتِ، وتوفيةً لهم ما صار في ضِمْنِهِ من إطالة أيْديهم، إلى ما تصدّوا لنيله، وتَقْدِيم إقدامهم إلى حيث اجتهدوا في بلوغِهِ، كذاك أنْزَلَ ربُّ العالمين؛ إذ يقول: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾[٣].

وعلى مِثْلِهِ استَمرَّتْ سيرةُ السَّلفِ الصّالح من أُمراء المؤمنين، وأئمةِ المسلمين، الذين أمير المؤمنين مُتَّبعٌ لدليلِهم، وحاذٍ على تمثيلِهم، وذاهبٌ على آثارِهم في كلِّ غَرْسٍ غرسُوه، وبناءٍ أسّسوه[٤]، ومفخرةٍ أثّلوها، ومَكْرمةٍ أصَّلوها.

وأمير المؤمنين يستمدُّ[٥] الله في ذلك هدايةً تؤدِّيه إلى المَقْصَد، وتُوصلُهُ إلى المُعْتَمَد، وأصالةً تُؤمِّنه من غَلَط الرَّأي، وخَطَأ الاختيار، ومعونةً تُفْضي به إلى سَدادِ المنحى، وإصابة المغزى، وما توفيقُ أمير المؤمنين إلّا بالله، عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

وقد علمتَ، وعَلِم غيرُكَ بعيان ما أدْركتْهُ الأعمار، وسَماع ما نقلتْهُ الأخبار، أنّ الدَّوْلة العَبّاسيّة التي رفع اللهُ عمادَ الحقِّ بها، وخَفَض منازل[٦] الباطل لها، لم تَزْل على

---

(١) ط: أسلف.

(٢) ف، ر، س: صغيراً يستوجبه.

(٣) سورة الرحمن، الآية ٦٠.

(٤) س: شيدوه.

(٥) س: يستهد.

(٦) ط، ر، س: منار.

سالفِ الأيّام، ومُتَعاقبِ الأعوام، تعْتلُّ طوراً[١] وتصِحُّ أطواراً، وتلتاث مرّةً وتستقلُّ مراراً، من حيثُ أصلُها راسخٌ[٢] لا يَتزَعْزَع، وبنيانُها ثابتٌ لا يتَضَعْضَع، فإذا لَحِقها الالتياث[٣]، وحدثتْ فيها الأحْداث، كان ذلك على سَبيل التَّقْويم والتَّأديب، والإصلاح[٤] والتَّهذيب، لمعْشرٍ كالأنْعامِ رتعوا في أكلائها[٥] سائمين، ولهوا عن شُكر آلائها ذاهلينَ، فيوقظهُمُ اللهُ من تلك السِّنَةِ، ويُنْهضُهُم[٦] عن مَضْجع الغَفْلةِ، ويَجعلُ ما ما يحِلُّهُ بهم في خلالِ ما يُضْطرب من دَهْمائهم، ويشتدُّ من لأوائهم عِظةً لهم إذا امتدّت بهم السّنون، ولغيرهم إن اخترمتهم المنون، حتى إذا انتهتْ هذه الحال إلى حيثُ أرادَ اللهُ بهم من الكفِّ والرَّدْع، وسبَّبَهُ لهم من النَّفْعِ والصُّنْع، بعث لإقرار الأمْرِ في نصابِه، وحِفْظه على أصحابِه، وَليّاً نجيباً من أوليائهم، وعبداً مُخْلصاً من أصْفيائهم، فلا يلبثُ أنْ تعودَ الدَّوْلة على يدِهِ غَضّة العود، معتدلة العمود، جديدة اللّباس[٧]، متينة الأمراس[٨]، وهنالك يُكذِّب اللهُ آمالَ المعاندين، ويُخيِّب ظنون المحادّين، ويردُّهم بغُصَّة الصُّدور، وشجى النُّحور، ويكون النَّفرُ الذين[٩] تجري هذه المنقبة على أيديهم، وتتم النِّعْمة فيها بمَساعيهم، أعياناً على العصور، ووُلاةً على[١٠] الجُمْهور، وكالشركاءِ

(١) ط: طور.

(٢) مكانها فراغ في ف.

(٣) هذا ما في ط، وفي ما دونها: الاجتثاث.

(٤) ف، ر: الاضطلاع، س: الاطلاع.

(٥) هذا ما في ط، وفي ما دونها: كلائها.

(٦) س: يهضمهم، ط: ينههم.

(٧) ف: اللعب.

(٨) ف: المراس.

(٩) س، ر: الذي.

(١٠) ط: فيها على.

للأمّة المساهمين، وذوي اللُّحْمةِ المناسبين، وتلكَ كانت منزلةَ مُعِزّ الدَّوْلة أبي الحسين مَوْلى أمير المؤمنين - نفعَهُ اللهُ - بما توفّاه عليه من عزِّ الطّاعة، ونَظْمِ ألفةِ الجماعة، والاجتهاد فيما رَبَّ الدِّينَ ولَمّه، وتلافى نشرَه وضمّه، فإنّه لبسَ الأمْر وقد دبّ الفسادُ فيه، وصدئتْ بصائرُ أهليه، وصار حظُّهُم مُنْتَهَباً مُضاعاً[1]، وفيئهم مُقْتسماً شعاعاً، وآثارُ دِينِهم طامِسَةً، ومعالمه دارسةً، ورؤوسُ أوليائه ناكِسَةً، وعيونُ أعدائه مُتَشاوِسةً، فلم يدعْ - أحسنَ الله مكافأته - طرفاً مَأخوذاً إلّا ارتجعَهُ، ولا حقّاً مغلوباً عليه إلّا انتزَعَهُ، ولا عدوّاً باغياً إلّا قمعَهُ، ولا جبّاراً طاغياً[2] إلّا صرعَهُ، شاهراً سيفَهُ على كلِّ منتمٍ إلى الوَلايةِ بزَعْمه ودَعْواه، أجنبي منها بسرِّهِ ونَجْواه، إلى أنْ ذلَّلَ الرِّقابَ بعد استصعابها وإبائها، وأضرعَ[3] الخُدودَ بعد صَعَرِها والتوائها، ورَتَقَ[4] الفُتوقَ بعد تفاقمها واستفحالها، ودَمَل الجروح بعد إعيائِها وإعضالِها، وأعاد السُّلْطان على ما كان خُرق من هيبتِه، وصانَ ما انتُهك من حرمتِه، وصاحَبَ خِدْمَةَ المطيع لله - صلوات الله عليه - منذ أفضى اللهُ بخلافتِهِ إليه، مصاحبةً سلَكَ فيها سَبيل وفاقِهِ، وبَعُد عن غشِّهِ ونفاقِهِ، وأخْلَصَ له إخلاصاً ساوى فيه بين سرِّهُ وجَهْرَه، وألّف بين عالِنِه وباطِنِه، واستمرَّ على ذلك بَقيّة عمرِهِ وثميلة[5] مدَّتِه، إلى أنْ قبضَهُ اللهُ نقيَّ الصَّحيفةِ من دَرَن[6] العُيوب، خفيفَ الظَّهْرِ من محمل الذنوب، فأتْبعَهُ المطيع لله - صلوات الله عليه - الدّعاء الذي هو خيرُ الزّادِ، وأنْفَعُ العَتادِ، وأقربُ الوسائل إلى ربِّ العالمين، وأعْودها

---

(١) ف، ر: معاوناً.

(٢) س، ف، ر: باقياً.

(٣) ف: وأصعر وأضرع.

(٤) ف، ر: فتق.

(٥) الثميلة: البقية. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٩١ (ثمل).

(٦) س: ردن.

بأجر المأجورين. وجازاهُ بأنْ أقرَّ تلك الرُّتْبة العَليّة، والمحلّةَ السَّنيّة على وَلَـدِه وسَـليلِه، ونظيرِه في النَّجابة وعَديلِه، عِزّ الدَّوْلة أبي منصور بن مُعِزّ الدَّوْلة أبي الحسين، مَوْلى أمـير المؤمنين، لا إقرار المحابي له فيما لم يَسْتحقَّهُ، ولا السّامي به إلى مـا لـيس أهلـه، بـل عـن فضائل تكاثفتْ[1]، وآثارٍ تناصرتْ، لم يكنْ له في شيءٍ منها مقارِن يزاحمـه بمنكبـه، ولا مقارِب يجاريه بسعيِه، وذلك أنّه تقيّل خلائق مُعِزّ الدَّوْلة أبي الحسين وراثةً[2]، واشْـتملَ عليها حيازةً[3]، وتوقّل في هِضاب مَعاليه صاعداً، وفي صِعاب مَراقيه سـامياً. واسـتولى على شَرفِ الترتُّب والتأدُّب بين إمامٍ تلك صنائعُه، ووالدٍ هذه ذرائعُه. وقَرَنَ إلى[4] تلك تلك المناقب التي كَسَبه أيدها عَظِيم سعادتِهِ، وحَبَسها عليه كريم ولادتِهِ، مناقب توابـع استأنفها، ومحاسن شوافع اسْتَقْبلها، ومطالب لذوائبِ الفَخْر والمَجْدِ أدْركهـا وتناولهـا، ومغانم[5] من عَوائدِ الشُّكْر والحَمْد ملكها وتخوّلها.

ولم يزل للمطيع[6] لله – رحمة الله عليه – خير ظَهير حفظ سريـره، وأفضـل نصيـحٍ دبّر أموره، يدأب له وهو قارّ، ويحوطُ من ورائـه وهـو غـارّ، ويسـهد[7] عنـه إذا رقـد، ويهبّ معه إذا استيقظ، ويوليه في كلِّ ما يجتمعان فيه يداً له[8] من الطّاعة يلين له لمسـها،

(١) ف: تكلفت.

(٢) ساقطة في ف.

(٣) ساقطة في ف.

(٤) ط، س، ر: بين.

(٥) ساقطة في ف.

(٦) ف: المطيع.

(٧) ط: يسهر، ر: يشهد.

(٨) من ف.

ويخشن على أعدائه مسّها، إلى أن استوفى في الخلافة[١] أمداً لم يستوفِهِ أحدٌ من الخلفاء قَبْله، ناجياً فيه من الغوائلِ التي كانت تَغولُ أعمارَهم، وتقصر آجالهم[٢] وتجْرِي على أيدي السُّفهاء من خَواصّهم، والجهّال من جندهم، مُذوَّداً عنه[٣] في ذلك العُمْر المديد[٤] كلَّ عدوٍ، ممنوعاً منهُ كلَّ[٥] مكروهٍ وسوءٍ، مُمْتثلاً رأيَهُ في كلِّ مطلوبٍ، مبتغىً هواهُ في كلِّ محبوب. فلمّا صار – رضوانُ الله عليه – من السِّنِّ العليا، والعِلَّة العُظْمى، بحيث يحرجُ أنْ يُقيم معه على إمامةٍ[٦] قد كلَّ أنْ يحملها[٧]، وضَعُف على النُّهوضِ بعبئها[٨]، خَلَع ذلك السِّربال على أمير المؤمنين، خَلْع النّاصِّ عليه، المُسَلِّم إليه، خارجاً إلى ربِّ العالمينَ، وجماعة المسلمين، من الحقِّ في حُسْن إيالتهم وسياستهم، ما استقلّ واضطلع، وفي حُسْن الارتياد لهم، حين حَسُر وظلع.

وعِزّ الدَّوْلة أبو[٩] منصور – أمتع الله أمير المؤمنين[١٠] ببقائه، ودافَعَ عن حَوْبائه – متصرِّفٌ في جميع ذلك على حُكْمِ التَزَمهُ، وفرضٍ افترضَهُ في رِعاية ما أُسْلف من

---

(١) ف: أخلافه.

(٢) (وتقصر آجالهم) من ط.

(٣) ف: عنهم.

(٤) ر، س: السَّديد.

(٥) ف: منوعاً كل.

(٦) ط: إمامته.

(٧) ط: تحمل كلها.

(٨) كان الخليفة المطيع لله قد أصيب بعلّة الفالج فثقل لسانه وجانبه الأيمن، وذلك في صفر سنة ٣٦٠هـ. ثم تماثل وتماسك وعاش على هذه الحال إلى أن أرغمه سُبُكْتِكين على التنازل لابنه الذي لُقّب الطّائع لله سنة ٣٦٣هـ. مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٣٢٤.

(٩) س: أبي.

(١٠) (أمير المؤمنين) من ط فقط.

الصَّنيعة، واسْتُحفِظَ من الوديعة، لا يُخْرجه عن الطّاعـة هـوىً يميـل إليـه، ولا غـرورٌ يُعـرّج عليـه، لكنّـه فيهـا عـلى المـنهج الأوْضـح، والمتْجـر الأرْبـح، والسَّـنن الأقـوم، والمعتقد[١] الأسْلم، فكان فِعْله بعـد عَجْـز المطيـع لله – خصَّـه اللهُ بالرحمـة والصَّـلاة – ونصُّهُ على أمير المؤمنين – أنْهضهُ اللهُ بها أولاه واسترعاه – في قَوْد الأولياء إلى الرِّضا به، وجَمْع[٢] كلمتهم على الدّخول في بيعته[٣]، وإزالتهم عمّا كانوا عليـه مـن اخـتلال الآراء، وتشتّت الأهواء[٤]، جازياً لفعل المطيع لله – رضوان الله عليه – بعد وفـاة مُعِـزّ الدَّوْلـة أبي الحسين، إذ قرَّهُ مقـرَّه، ونصَّـبهُ مَنْصـبَهُ، وجـرى ذلـك مَجْـرى الـدُّيون المتقارضـة، والحقوق المتفاوضة، وإنْ كان كلٌّ من الفريقين قد أضافَ إلى الحقِّ فيها ابتـدأ وقضـى، إحراز الحظِّ للأمَّةِ فيها ارْتَأى وأتى. هذا على نوائبَ قاساها عِـزّ الدَّوْلـة أبـو[٥] منصـور وعاناها، وشدائدَ باشَرَها[٦] وصابرَها، وحوادثَ كانت فرَّقـتْ بـين دارِ أمـير المـؤمنين ودارِهِ، وباعدتَ جوارُهُ عن جوارِهِ، لم يكتب اللهُ في شيءٍ منها، استحالةً عن الولاء، ولا على أمير المؤمنين إخلالاً بالوفاء.

ولما كان أمير المؤمنين[٧] قد استفاد في زمان تلـك الفرقـة تجربـةً تثبـت لـه أنّ لعـز الدَّوْلة حَظّاً من كرم الضَّريبة لا يُدانى، وشأواً في يُمْن النَّقيبة لا يُجارى، ووجده وأهلـه

---

(١) س، ف، ر: المنعقد.

(٢) س: جميع.

(٣) (في بيعته) ساقط في ف.

(٤) ف: اختلال الروية وتشتيت الآراء، ر: اختلال الرويا وتشتت الآراء.

(٥) س: أبي.

(٦) س: بأثرها.

(٧) (أمير المؤمنين) ساقط في: ف، ر.

- أمتعَ اللهُ أمير المؤمنين بهم، وحرس عليه المواهب فيهم[١] - مُشرَّفين أولاً بالتَّكنية والتَّلقُّب لهم، وثانياً[٢] بإجابتهم، إلى مِثْلِ ذلك في اللّائذين، المتّصلين بهم، رأى أنّ من أوْجب الحقّ[٣] عنده، وألزم[٤] الأمر له، في أنْ يَبين عِزّ الدَّوْلة أبا[٥] منصور بشعارٍ من الإكرام، ومِيسَم من الإعظامِ، لا يساويه فيهما[٦] مُساوٍ، ولا يوازيه في إحرازهما مُوازٍ، إشارةً إلى موقعِهِ اللَّطيف، ودِلالةً على محلّه المُنيف، وتمييزاً له عن الأكفاء، وإيفاءً به عن النُّظراء إذا هو مستبدٌّ عليهم بأثرة مُغاداة مجالسِ أمير المؤمنين ومُراوحَتِها، والتّمكُّنِ منها في أوقاتِ حَشْدِها وخلواتِها، والاقْتِدار فيها على ترتيبِ[٧] الرُّتبِ وتأخيرها، وإقْرار النِّعَم وتخويلها؛ فجدّد له[٨] أمير المؤمنين مع[٩] هذه المساعي السَّوابق، والمعالي[١٠] السَّوامق التي تلْزم كلَّ دانٍ وقاصّ، وعامٍّ وخاصّ، أنْ يعْرف له حقّ ما كَرُم منها، ويتزحزح له عن رتبة[١١] المماثلةِ[١٢] فيها، مزايا ثلاثاً:

---

(١) (أمتع............ فيهم) ساقط في ط.

(٢) س، ف، ر: وشرفاً.

(٣) ط: الحقوق.

(٤) ف: أكرم.

(٥) س: أبي.

(٦) ط: فيها.

(٧) ط: تقديم.

(٨) من: ط.

(٩) هذا ما في ط، وفي ما دونها: به.

(١٠) ساقطة في ر.

(١١) س، ف، ر: سرير.

(١٢) هذه الفقرة هي التي أغضبت عَضُد الدَّوْلة وحفظها على الصابي.

أولاهُنَّ: أنْ شابكَهُ[١] في اللُّحْمةِ كما شاركه في النِّعْمة، وناط بينه وبينه بصِهْرٍ[٢] يتّصل سبَبُهُ يوم انقطاع الأسباب، ويستثمر[٣] غَرْسه في الولد والأعقابِ، فيكون الناشئ منهم في مُستقبل الأعمار، ومُسْتأْنف الأدْوار، ضارباً بعرقَيْه إلى أمير المؤمنين وإليه.

والثانية: أنْ أمَرَ في الدّعاء له[٤] في المكاتباتِ عنه بما لم يُكْتبْ به عن إمامٍ إلى وليٍّ[٥]، ولاماتٍّ بحقٍّ، واقفاً به في ذلك على حدٍّ سأل عِزّ الدَّوْلة الوُقوف عليه، واستعفى من التَّجاورِ له لزوماً لعادته في إعظام الإمامةِ، والإخْبات للخلافة، وخفض[٦] الجناح لها[٧]، وغضِّ الطَّرْف دونَها، والاستكثار للقليل من تَشْريفها، والاستعظام لليسيرِ من تكريمها.

وإنْ كان أمير المؤمنين مُوجِباً له من ذلك، استغراق الغايات، واستيعاب النِّهايات، وهو أنْ تُصَدَّر الكتب[٨] إليه بـ(أطال الله بقاءك، وأدام عزُّك وتأييدَك، وأمتع أمير المؤمنين بك، وبالنِّعْمة فيك). ويُدعى له عند ذِكْره في الكُتب إلى أمير المؤمنين بـ(أيّده الله).

---

(١) ط: مُشاركة.

(٢) تزوج الخليفة الطّائع لله ابنة بَخْتِيار، وزُفّت إليه سنة ٣٦٦هـ. مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٤٠١؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص٢٢٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٥٦.

(٣) ف: يثمر.

(٤) ف: أمره في الدّعاء له، ر: أمر بالدّعاء له.

(٥) ط: ولي عهد.

(٦) س، ر: إخفاض.

(٧) ساقطة في ف.

(٨) س، ف، ر: الكتاب.

والثّالثة: أنْ جمعَهُ أمير المؤمنين إلى نَفْسِهِ في استخدام الوزراء، وأشْرَكَهُ معه في تَقْليد الأولياءِ. وأنْ عَرَف لنصير الدَّوْلة النّاصح أبي طاهرٍ[١] حقّ تقدُّمه في الكفاية والغَناء، وإبـرازه في الاستقـلالِ والوفـاء، وقيامـه بكلِّ مُهمٍّ طرق، ودفاعه[٢] لكل ملمٍّ أرهق، وسدِّهِ من هذه الحضْرة التي هي قبةُ الإسلامِ وواسِطتُه، وسنامه وغاربه، مكاناً لم يسدده مثله، ولم يملأه[٣] غيرُهُ.

فعِزّ الدَّوْلة أبو[٤] منصور بن مُعِزّ الدَّوْلة أبي[٥] الحسين مَوْلى أمير المؤمنين – أيّده الله – الآن المُسْتَعْلي على الأقْرانِ، الفائتُ لغاياتِ أهل الزّمان، المتبوِّىء للرّتبة العُلْيا، المستقرُّ في غايتها القُصْوى، ونصير الدَّوْلة النّاصح أبو طاهرٍ الجامع لوزارتيهما، الحامل للأثقال دُونَهما، الحائزُ شرفَ المنابِ عنهما، الجاري مَجْرى واحدٍ مِنْهما.

وقد أمر أمير المؤمنين أنْ يُوفّى من الحقِّ أكْثر ما وفيه وزيرٌ وازرٌ، وظهـيرٌ ظـاهرٌ، في قديمٍ وحديثٍ، وبعيدٍ من العَهْدِ وقريب، وحظر على سائر الأوْليـاءِ والخَـدَمِ، مـن ذي سيفٍ وقلمٍ، أنْ يسموَ بنفسه إلى تسمٍّ باسمِهِ، وأنْ يُوسَمَ بوَسْمِهِ[٦]، لأنّه حقّ من حقوقِ حقوقِ الخلافةِ، لا ينحلُهُ أمير المؤمنين من صَنائعه أجمعينَ، وإن كَثُر عددهم، واختلفت مقـارّهـم[٧]، وتقـدّمتْ مـراتبُهُم، وتوجَّهـتْ وسـائِلُهم، إلّا مـن كـان مـاثلاً[٨] بـين

(١) هو مُحمّد بن بَقيّة.

(٢) ف: دفعه.

(٣) ف: ملأه.

(٤) س: أبي.

(٥) ر: أبو.

(٦) ط: وارتسام برسمه.

(٧) (واختلفت مقارهم) من ط.

(٨) ط: الأثر.

يديه، وعارضاً للأعمال عليه، وجارياً هذا المجرى في تمكين السَّببِ عنده، وحُسْـن البرِّ لديه.

فاعْرِفْ – كلأك الله[١] – لعِزّ الدَّوْلة أبي منصور – أيّده الله – قَدْر ما وُفرَ من النِّعَم عليه، ولنصير الدَّوْلة النّاصح أبي طاهرٍ ما خُصَّ به وأزل إليه، وقُمْ[٢] بذلك الحقِّ الأولِ بادِياً، وبهذا الحقِّ الثاني مثنياً موفياً.

وأجِبْ أمير المؤمنين بوصولِ كتابه إليك، وامتثالِكَ الأمْر الوارد فيه عليك، وتلقيك إيّاه بما يعِدُكَ في الأوْضحين سبيلاً، والأرْشدين دليلاً، إنْ شاء الله، والسَّلام عليكَ ورحمةُ الله وبركاته[٣].

وكَتَب نصيرُ الدَّوْلة النّاصحُ أبو طاهرٍ يومَ السَّبْت[٤] لاثنتي عشرة ليلة خَلَتْ من جُمادى الأُولى سنة ستٍّ وستّين وثلاثمائة.

---

(١) (كلأك الله) من ط فقط.

(٢) ف: أقم.

(٣) السَّلام ساقط في ط.

(٤) (يوم السبت) ساقط في ط.

وكَتَب نُسْخة كتابٍ إلى أبي تَغْلِب بن حَمْدان(١)

أمّا بعد، أحسنَ اللهُ توفيقَـكَ، وحِفْظَـكَ وحياطتَـكَ، وأمتـعَ أمـير المـؤمنين بـكَ، وبالنِّعْمة فيك، فقد عرفتَ خبرَ مسير(٢) أمير المؤمنين عن دارِه، للأمر الذي انتشر عليه، وظنّ أنّه لمباشرتِهِ إيّاه يعودُ إلى نظامِه، ويستقرُّ في نصابِه، وتنحسم عنه أسْباب الخلافِ والوَحْشَةِ، ودَواعي الشَّتات والفُرْقة، وقد علمتَ أنّ أمير المؤمنين لم يجشّـمْكَ إلى هـذه الغاية، معاونةً له على شيءٍ ممّا حَقَره وأرْهقهُ، وألَمَّ به وطرقَهُ، وقد كلّف ذلك غيرك ممّن لَيسَتْ له(٣) ما لك من المنزلة، وإنّما ذهب أمـير المـؤمنين في ذلـك إلى أنْ يتّخـذَكَ لأشـدِّ الشِّدَّة، ويعتقدك للعاقبة إن احتاج فيها إلى النَّجْدة، وقد انْتهتِ الحال به في الأمر الـذي أوْمأ إليه إلى ما اقْتضاهُ الرجـوعُ منـك إلى تلـك العُـدّةِ التـي اعتـدّها، والـذّخيرة التـي استظهرَ بها.

ورأى أنْ يهيبَ بك في الدّفع عن بَيْضةِ الإسـلام، ومدينـة السَّـلام، وأنْ تـدعوَ إلى ذلك كُلَّ مَن يَليك من جُنْد أمير المـؤمنين المرتَزِقـة(٤)، ورَعيّتـه المطَّوِّعـة، وهـو يـأمرك

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك.

لعلّ هذا الكتاب صدر سنة ٣٦١هـ حينما أغار الـروم عـلى الرُّهـا ونواحيهـا. انظـر: ابـن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٠٢.

(٢) ساقطة في ر، س.

(٣) بعدها في س: من، وفي ر: منه.

(٤) المرتَزِقة هم الجند الذين يأخذون رزقهم من بيت مال المسلمين، وليس كما هو معـروف في هـذه الأيّام، حيث تطلق هذه التسمية على مَن يؤجر نفسه ليحارب مقابل أجر مـادي دون التفريـق

بالعمل على ما رسمَهُ، وأنْ تُبلِّغَ هذه الطّوائف قولَهُ، وتخرجَ إليهم أمْرُهُ، وتبعثهم على أنْ يجيبوا نداءَهُ، ويُلبُّوا[1] دعاءه، ويجتمعوا معك على المسير إلى مستقرِّه، والمثول ببابِه، وإبلاء العُذْر معه، في هذه العظيمةِ التي هو مشفٍ عليها، وواقفٌ بإزائِها، فقد جعل اللهُ الطّاعة له، والجهادَ معه فريضةً، مَشْكوراً مَن أدّاها وسارَع إليها، مَذْموماً مَن أغْفلها وتثاقل[2] عنها[3].

فاعملْ – كلأك الله – بذلك ولا تُخالِفْه، وقدِّمْه ولا تُؤخرْهُ، وأجبْ عن هذا الكتابِ بوقوفِك عليه، وانتهائِكَ إليه، وبالوقتِ الذي يكون فيه مسيرُك، وبالعُدَّةِ التي تتكاملُ لك إنْ شاء الله.

والسَّلام عليكَ ورحمةُ الله وبركاته

وكَتَب يوم كذا.

بين جهات المتحاربين. وبيّن الماوردي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) صفة المجاهدين، وميّز بين ضربين هما المرتَزِقة والمطَّوِّعة. فأما المرتَزِقة فهم الذين فرغوا أنفسهم للجهاد، فلم ينشغلوا إلا به وثبتوا في الدِّيوان فصاروا جيشاً للمسلمين، ومقاتلةً للمشركين ، فهؤلاء يُرزقون من أربعة أخماس الفيء ولا حقّ لهم في الصدقات . وأما المطَّوِّعة فهم أرباب المعائش والصنائع، والأعراب الذين يتطوعون بالجهاد إن شاءوا ويقعدون عنه إن أحبوا ولم يثبتوا في الدِّيوان ولا جعل لهم رزق ، فهؤلاء يعطون من الصدقات من سهم سبيل الله ولا حقّ لهم في الفيء، ولهذا تميز أهل الصدقة عن أهل الفيء. وقد كان المتطوعة يسمون أعرابا ، ويسمى المقاتلة مهاجرين ؛ فتميزوا بهذين الاثنين لتميزهم في المالين. الحاوي، ج٨، ص١١١٨.

(١) ف: يجيبوا.

(٢) س: تناقل.

(٣) ساقطة في ف.

نُسْخة عَهْدٍ عن الطّائع لله إلى فَخْر الدَّوْلة أبي الحسن عليّ بن رُكْن الدَّوْلة أنشأه أبو إسحاق إبراهيم بن هِلّيل بن إبراهيم بن زَهْرون الكاتبُ الصّابي[١]

هذا ما عَهِد عبدالله عبد الكريم الإمامُ الطّائع لله أمير المؤمنين
إلى فَخْر الدَّوْلة أبي الحسن بن رُكْن الدَّوْلة أبي عليّ
مَوْلى أمير المؤمنين

حينَ عرفَ غَناءه وبَلاءه، واستصحّ[٢] دينَه ويقينَه، ورَعى قديمَه وحديثَه، واسْتنْجب عُودَه ونِجارَه، وأثْنى عِزّ الدَّوْلة أبو منصور بن مُعِزّ الدَّوْلة أبي الحسين مَوْلى أمير المؤمنين - أيّده الله - عليه[٣]، وأشار بالمزيد[٤] في الصَّنيعة إليه[٥]، وأعْلَم أمير المؤمنين اقتداءَه به في كلِّ مذهبٍ ذَهب فيه من الخدمة، وغرضٍ رمى إليه من النّصيحة، دُخولاً في جملة[٦]

---

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك (وفيها المقلب بدل الملقب)، كما أورد نصّ هذا العهد القلقشندي في كتابيه: صبح الأعشى، ج١٠، ص١٣؛ مآثر الإنافة، ج٣، ص١٤.
صدر هذا العهد في جُمادى الأولى سنة ٣٦٦هـ. وكان الخليفة الطائع لله قد لقّبه سابقاً (فَخْر الدَّوْلة) سنة ٣٦٣هـ. مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٤٠٠.

(٢) ف: استنصح، س: اتضح.

(٣) ساقطة في ف.

(٤) ساقطة في ف، ر.

(٥) ط: لديه.

(٦) ف، ط: زمرة.

الأولياءِ المنصورة، وخُروجاً عن جماعة الأعداءِ المدْحورة، وتصـرّفاً على موجبـات البَيْعـة، التي هي بعِزّ الدَّوْلة أبي منصور – أيّده الله – منوطـةٌ، وعـلى سـائرِ مَـن يتلـوه ويتبعُـه مأخوذةٌ مشـروطةٌ ؛ فقلَّـدَهُ الصّـلاةَ وأعـمالَ الحـربِ والمعـاونِ والأحـداثَ والخـراجَ والأعشارَ والضِّياعَ والجَهْبَذة والصَّدَقات والجوالي وسائرَ وُجوهِ الجباياتِ والعـرضَ[1] والعطاءَ والنّفقةَ في الأولياءِ والمظالمَ وأسواقَ الرّقيـقِ[2]، والعيـارَ في[3] دورِ[4] الضَّـربِ والطّرز والحسبة، بكُوَر: هَمَذان[5]، وأسد آباد[6]، والدِّينـوَر، وقَرْماسـين، والإيغـارَيْن، وأعـمال أذَرْبَيْجـان، وأرّان[7]، والسِّيسَـجان[8]، وموقـان، واثقـاً منـه باسـتبقاء النِّعْمـة واسـتدامتِها، والاسـتِدامةِ بالشُّـكْرِ منهـا، والتَّجنُّـبِ لغَمْطِهـا وجُحُودِهـا، والتنكُّـب لإيحاشها وتنفيرها، والتّعمد لمـا مكّـن لـه[9] الحظـوةَ والزُّلفـى، وحَـرَس عليـه الأثَـرةَ والقُرْبى، بما يُضْمرهُ ويُظْهرهُ من الوفاءِ الصّحيح، والولاءِ الصّـريح، والغَيْـب الأمـين، والصَّدْر السّليم، والمقاطعةِ لكلِّ مَن قَطعَ العِصْمة، وفارقَ الجُملةَ، والمواصَلة لكلِّ مَـن حَمى البَيْضة، وأخْلص النّيّة. والكونِ تحت ظلِّ أمير المؤمنين وذمّتِه، ومع عِزّ الدَّوْلـة أبي منصور – أيّده الله – وفي حَوْزته، واللهُ يُعرّف أمير المـؤمنين، حُسـنَ العُقْبـى فـيما أبْـرَم

---

(١) س: الفرض.

(٢) س، ر: الدقيق.

(٣) ط، ر: و.

(٤) س، ف، ر: دار.

(٥) ف: الأهواز، خطأ.

(٦) في صبح الأعشى: استراباذ، خطأ.

(٧) من: ط فقط.

(٨) ف: الشيخان، ط: السيسجانين.

(٩) من: ط.

ونَقَض، وسَدادَ الرّأي فيما رَفَع وخَفَض، وجَعَل عزائمَهُ مقرونـةً بالسَّـلامة، ومحجوبـةً عن مَواردِ النّدامة، وحَسْبُ أمير المؤمنين الله ونِعْم الوكيل.

أمَرهُ بتقوى الله التي هي العِصْمةُ المتينة، والجُنَّةُ الحصينة، والطَّوْدُ الأرفع، والمعاذُ الأمْنع، والجانبُ الأعزّ، والملجأُ الأحرز. وأنْ يَسْتَشْعرَها سِرّاً وجَهْراً، ويَسْتعملَها قَولاً وفِعلاً، ويتّخذَها رِدْءاً[1] دافعاً لنوائب القَدَر، وكهفاً حامياً من حَوادثِ الغِيَر، فإنّها أوْجهُ الوسائلُ، وأقْربُ الذّرائعِ، وأعودُها على العبد بمصالحِهِ، وأدْعاها إلى سُبُل مَناجحِهِ، وأوْلاها بالاسْتمرارِ على هِدايته، والنّجاة من غِوايته، والسَّلامة في دُنياه وآخرته، حيثُ تَروعُ رائعاتها، وتخيفُ مخيفاتها[2].

وأنْ يتأدَّبَ بأدبِ الله في التّواضع والإخباتِ[3]، والسّكينةِ والوقار، وصِدْقِ اللّهجةِ إذا نَطَق، وغضّ الطّرْفِ إذا رَمَق، وكَظْمِ الغَيْظِ إذا أحفظ، وضَبْطِ اللّسان إذا أُغْضب، وكفّ اليد عن المآثم، وصَوْنِ النّفس عن المحارمِ، وأنْ يذكرَ الموتَ الذي هو نازلٌ به، والموقفَ الذي هو صائرٌ إليه، ويَعْلَمَ أنّه مسؤولٌ عمّا كَسَب واكْتسب، ومُجزى عمّا تزمّل واحْتَقَبَ، ويتزوّدَ من هذا الممرّ لذاك المقرّ، ويستكثرَ من أفعالِ[4] الخير لتَنْفعَهُ، ومَساعيَ الرُّشْد لتنقذه، ويأتمرَ بالصّالحاتِ قبلَ أنْ يَأمرَ بها، ويزدجرَ عن السيّئاتِ قبل أنْ يزجرَ عنها، ويبتدىء بإصْلاح نَفْسِه ثم إصْلاحِ رعيّتِه، فلا يبعثُهُمْ على ما يأتي ضدّه، ولا ينهاهم عمّا يقترفُ مثلَهُ، ويَجعلَ دينَهُ رقيباً عليه في خلواتِه، ومُروءتَهُ

(١) ف: ردعاً.

(٢) س: منجياتها، ف، ر: محياتها.

(٣) الإخبات: الخشوع والتواضع والطاعة. ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٧١ (خشـع). قـال تعالى: ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ سورة الحج، من الآية ٥٤.

(٤) ط: أنواع.

مانعةً له من هفواته، فإنّ أحقَّ مَن قَمَع السُّلْطان الشّهوةُ، وأوْلى مَن صَرَع[١] خَدَّ الحميّة مَن مَلَك أزمّةَ الأُمورِ، واقْتدَر على سياسةِ الجُمْهور، وكان مطاعاً فيما يرى، متَّبعاً فيما يشاء، يلي على النّاس ولا يلون عليه، ويقتصّ منهم ولا يُقْتَصون منه، فإذا اطّلع اللهُ منه على نقاءِ جَيْبه، وطهارة ذَيْله، وصحَّةِ سَريرتِه، واستقامَةِ سيرتِه، أعانهُ على حفْظِ ما اسْتَحْفظه، وأنْهضَهُ بثِقَل ما حَمّلهُ، وجعلَ له مَخْلصاً من الشُّبْهة، ومَخْرجاً من الحَيْرة، فقد قال اللهُ عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣]، وقال: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٤] إلى آيٍ كثيرة، حضَّنا بها على أكْرَمِ الخُلق، ودَلّنا على[٥] أسْلمِ الطُّرقِ، فالسّعيدُ مَن نَصَبها إزاء ناظرِه، والشّقيُّ مَن نبذها وراءَ ظَهْرِه، وأشْقى منه مَن بُعِثَ عليها وهو صادفٌ عنها، وأهابَ إليها وهو بعيدٌ منها، وله ولأمثالِه يقولُ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٦].

وأمَرهُ أنْ يتّخذَ كتاب الله إماماً مُتّبعاً، وطريقاً مَهْيَعاً[٧]، ويُكثر من تلاوتِهِ إذا خَلا بذكرِه، ويملأ بتأمُّلِهِ أرْجاءَ صَدْرِه، فيذهبَ معه فيما أباحَ وحظرَ، ويقتدي به إذا نهى

---

(١) في الأصول الخطية: أضرع، آثرنا ما في مآثر الإنافة.

(٢) سورة الطلاق، من الآية ٢، ٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٤) سورة التوبة، من الآية ١١٩.

(٥) (دلنا على) من: ر فقط.

(٦) سورة البقرة، من الآية ٤٤.

(٧) المهيع: الطريق الواسع المنبسط. ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٣٧٩ (هيع).

وأمَر، ويستبين[١] ببيانه[٢] إذا استُغْلِقت دونه المُعْضلات، ويسْتضيءَ بمَصابيحه إذا غُمَّ عليه في[٣] المشْكلات؛ فإنّهُ عُروةُ الإسْلام الوُثْقى، وحجّتُهُ الوُسْطَى، ودليلُهُ المقنع، وبرهانُهُ الأسْطع، والكاشفُ لظُلم الخطوبِ، والشّافي من مَرضِ القُلوبِ، والهادي لمن ضلَّ، والمتلافي لمن زلّ، فمن لَهَجَ به فاز وسَلِم، ومَن لَهى عنه حارَ ونَدِم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٤].

وأمَرهُ أنْ يحافظَ على الصّلوات، ويدخلَ فيها في حقائق الأوْقات، قائماً على حُدودِها، ومتّبعاً لرُسومِها، جامعاً فيها بين نيّتِهِ ولفظِهِ، متوقّياً لمطامح سَهْوِهِ ولَحظِهِ، مُنْقطِعاً إليها عن كلِّ قاطعٍ لها[٥]، مَشْغولاً[٦] بها عن كلِّ شاغلٍ عنها، متثبتاً في رُكوعِها وسُجودِها، مُسْتوفياً عَدَد مَفْروضِها ومَسْنُونها، مُوْفِراً عليها ذهنَهُ، صارفاً[٧] إليها همّه، عالماً بأنّه واقفٌ بين يديّ خالقِه ورازقِه، ومُحْييهِ ومُميتهِ، ومُثيبه ومُعاقبه، ومَنْ لا تستسرُّ دونَهُ خائنةُ عَيْنِه، وخافيةُ صَدْرِه، ووَساوسُ نَفْسِه، وهَواجسُ فِكْرِه، فإذا قَضاها على هذه السَّبيل، منذ تكبيرة التّحريم إلى خاتمةِ التَّسليم، أتبعها بدعاءٍ يرتفعُ بارتفاعِها، ويُسْمعُ باستماعِها، لا يتعدّى فيه مسائلَ الأبرار، ورغباتِ الأخيار، من استصفاحٍ واسْتِغْفار، واستقالةٍ واسْتِرْحام، واسْتِدعاءٍ لمصالحِ الدِّين والدّنيا، وعَوائد الآخرةِ

---

(١) ط: يستنير.

(٢) ب، ر: بتبيانه.

(٣) ساقطة في ط.

(٤) سورة فصلت، من الآيتين ٤١، ٤٢.

(٥) ساقطة في ط.

(٦) ف: مشتغلاً.

(٧) ف: صادفاً.

والأُوْلى، فقد قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[1]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2].

وأمَرهُ بالسَّعي في أيّام الجُمُعة إلى المساجِدِ الجامعةِ وفي الأعيادِ إلى المُصَلَّياتِ الضّاحية، بعد التقدّم في فَرْشِها وكسْوتها، وجَمْعِ القُوّامِ والمؤذّنينَ والمكبِّرينَ فيها، واستسعاءِ النّاس إليها، وحضِّهم عليها، آخذينَ للأهبةَ، مُطنبين[3] في البزّة، مؤدّين لفَرائضِ الطّهارة، بالغينَ في ذلك أقْصى الاستطاعة، معتقدينَ خيفةَ الله وخَشيته، مُدّرَّعينَ تَقْواه ومُراقبته، مُكْثرينَ من دُعائِهِ وسُؤالِه، مُصلِّينَ على رَسولِه مُحمّد صلّى الله عليه وسلَّم وآله، بقلوبٍ على اليقين مَوْقوفة، وهممٍ إلى الدِّين مَصْروفة، وألْسُنٍ بالتّسْبيحِ والتَّقْديسِ فَصيحة، وآمالٍ بالمغفرة والرّحمةِ فَسيحة، فإنّ هذه المصلّياتِ والمجتمعاتِ بيوتُ الله التي فَضّلها، ومناسِكُه التي شَرَّفَها، وفيها يُتلى القرآن، ومنها ترتفع الأعمال، وبها يلوذُ اللاّئذون، ويعوذُ العائذون، ويتعبّدُ المتعبِّدون، ويتهجَّدُ المتهجِّدون، وحقيقٌ على المسلمين أجمعين من والٍ ومَوْلى عليه أنْ يَصُونُوها ويَعْمروها، ويُواصلوها ولا يَهْجروها. وأنْ يقيم الدّعوة على مَنابرِها لأميرِ المؤمنين، ثم لنفسِهِ على الرّسمِ الجاري فيها، قال الله في هذه الصّلاة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾[4]، وقال في عِمارة المساجد: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ

---

(١) سورة النساء، من الآية ١٠٣.

(٢) سورة العنكبوت، من الآية ٤٥.

(٣) ط: متنطفين، س: مطمئنين.

(٤) سورة الجمعة، من الآية ٩.

إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[١].

وأَمَرَهُ بأنْ يُراعي أحوالَ مَن يليه، من طَبَقات جُنْد أمير المؤمنين ومَواليه، ويطلق لهم الأرزاقَ في أوْقاتِ الوُجوبِ والاستحقاق، وأنْ يُحسنَ في مُعاملتهم، ويجمل في استخدامهم، ويتصرّف في سياستهم بين رفقٍ من غير ضَعْف[٢]، وخشونةٍ من غير عُنْف، مثيباً لمحسنهم ما زاد في الإبانةِ في حُسْنِ الأثر، وسلمَ معها من دَواعي الأثر، ومُتغمِّداً لمسيئهم ما كان التَّغمُّدُ له[٣] نافعاً، وفيه ناجعاً، فإنْ تكرّرتْ زَلّاتُه، وتتابعتْ عثراتُه، تناوله من عقوبتِه بما يكون له مصْلحاً، ولغيره واعظاً. وأنْ يخصّ أكابرَهُم وأماثلَهُم وأهل الرّأي والخطرِ منهم بالمشاورة في الملمّ، والاطّلاعِ على بعض المهمِّ، مُسْتخلصاً نخائل صُدورِهم بالبسطِ والإدناء، مُسْتشحذاً بصائر قلوبِهم بالإكرام والاحْتباء، فإنّ في مشاورةِ هذه الطّبقة[٤] اسْتِدلالاً على مَواقع الصّوابِ، وتحرّزاً من غلط الاستبداد، وأخْذاً بمجامعِ الحزامةِ، وأمناً من مفارقةِ الاسْتقامةِ، وقد حضّ اللهُ على الشُّورى في قوله عزّ وجلّ لرسوله عليه السَّلام: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٥].

وأَمَرَهُ بأنْ يعمد لما[٦] يتّصلُ بنواحيه من ثغورِ المسلمين ورباطات المرابطين، ويقسمَ لها قِسْماً وافراً من عنايتِه، ويُصرِفَ إليها طرفاً بل شَطْراً من رعايتِه، ويختارَ لها

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٨.

(٢) ف، ر: سياستهم بلين من غير ضعف.

(٣) من: ط، ف.

(٤) س، ر: الطبقات.

(٥) سورة آل عمران، من الآية ١٥٩.

(٦) ف، ر، س: يضم بها.

أَهْلَ الجلَدِ والشِّدَّةِ، وذَوي البأْس والنجدةِ، ممّن عَجَمْتهُ الخُطوبُ، وعَركَتْهُ الحروب، واكتسبَ دُربةً بخدع المتناوبين[١]، وتجربةً بمكائد المتقارعين، وأنْ يستظهرَ[٢] بتكثيفِ عَدَدهم، وانتخابِ خَيْلهم، واستجادة أسْلحتِهم، غيرَ مجمِّر[٣] بَعْثاً إذا بَعَثهُ، ولا مستكرهة إذا وجّهَهُ، بل مناوبٌ بين رجالِه مناوبةً تُريحهم ولا تميتُهم[٤]، وترفّهُهُم ولا تؤودهم؛ فإنّ في ذلك من فائدةِ الإجمام، والعَدْلِ في الاستخدام، وتنافس رجالِ النُّوَب فيما عاد عليهم بعزِّ الظّفَرِ والنَّصْر، وبُعْد الصِّيت والذّكْرِ، وإحرازَ النّفع والأجْر، ما يحقُّ على الولاةِ أنْ يكونوا به عاملين، وللنّاس عليه حاملين، وأنْ يكرِّر على أسماعِهم، ويثبت في قلوبِهم[٥] مواعيدَ الله لمن صابَر ورابَط، وسَمَحَ بالنّفْس وجاهَد، من حيثُ لا يُقْدمونَ على تورّط غرّةٍ، ولا يحجمون عن انتهاز فُرْصةٍ، ولا يُنْكصُونَ عن تورّد[٦] مَعْركةٍ، ولا يُلْقون بأيديهم إلى تهلكةٍ، فقد أخَذ اللهُ ذلك[٧] على خيرته، والمرامينَ عن دينه. وأنْ يُزيحَ العِلّةَ فيما يحتاجُ إليه من راتبِ نفقات هذه الثغور وحادثِها، وبناء حُصونِها ومَعاقِلها، واستطراق طُرقها ومَسالكها، وإفاضة الأقوات والعلوفة[٨] للمتردّدينَ بها والحامينَ[٩] لها، وأنْ يبذلَ أمانَهُ لمن طلَبَهُ، ويعرضَهُ على مَن لم يطلبْهُ،

(١) ف: المتناومين، ط: المتنازلين.

(٢) ف: يستكثر.

(٣) التجمير: إبقاء الجند في الخدمة وجبهات القتال مدة طويلة دون تبديلهم.

(٤) كذا في الأصول الخطية، وفي صبح الأعشى ومآثر الإنافة: تملهم.

(٥) (يثبت في قلوبهم) ساقط في ط.

(٦) ف، ر، س: يوم.

(٧) من: ط.

(٨) بعدها في ط: فيها.

(٩) ف، ر: المحامين، ط: الحاملين.

ويفي بالعَهْد إذا عاهَدَ، وبالعَقْد إذا عاقَدَ، غير خافرٍ ذمّة، ولا جارح أمانةٍ، فقد أمـر اللهُ بالوفاءِ فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾[1]. ونَهى عن النّكث فقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[2].

وأمَرهُ بعرض مَن في حُبوس[3] عملِهِ على جرائدهم، وإنْعـام[4] النّظـر في جنايـاتِهم وجرائمِهِم؛ فمَن كان إقرارُهُ واجباً أقرّهُ، ومَنْ كان إطلاقُهُ سـائغاً أطْلَقَـهُ، وأنْ ينظـرَ في الشّرطةِ والأحداثِ، نَظَرَ عَدْلٍ وإنْصافٍ، ويختارَ لها من الـوُلاة مَـن يخـافُ الله ويتّقيـه، ويُراقبه ولا يحابي ولا يراقبُ فيه، ويتقدّمُ إلـيهم بقمْـعِ الجُهّـالِ، ورَدع الضُّـلّالِ وتتّبـع الأشرار، وطلبَ الدُّعّار[5]، مُسْتدلّين على أمـاكِنِهم، متـوغِّلين إلى مكـامنهم، متـولّجين عليهم في مظانِّهِم، متوثِّقينَ[6] ممّن يجدونَهُ منهم، مُنَفِّذينَ أحكام الله فيهم، بحسْب الذي الذي يَبين من أمرهم، ويصحّ من فِعْلهم، في كبيرةٍ إن ارتكبوها، وعظيمةٍ إن احتقبوها، ومُهْجةٍ إنْ أفاضوها واسْتهلكوها، وحرمةٍ إن استباحوها وانتهكوها[7]، فَمَـنْ اسـتحقّ

---

(١) سورة المائدة، من الآية ١.

(٢) سورة الفتح، من الآية ١٠.

(٣) ف، ر، س: جيوش (مجودة).

(٤) ف: إمعان.

(٥) ترد أحياناً في بعض القطع الذعار، والأصح بالدال المهملة، والعامّة تقـول: الـذعار، وإنـما هـو بالدال. وهم قطّاع الطرق. وحدناها وفقاً لما جـاء عنـد ابـن الجـوزي، كشـف المشكل، ج١، ص٤٤٤ ؛ والمعاجم العربية. انظر على سبيل المثال: لسان العرب، ج١٥، ص٢٧ (عتـا)؛ تـاج العروس، ج١١، ص٣٠١ (دغـر)؛ دوزي، تكملـة المعـاجم العربيـة، ج٤، ص١٨٨؛ ج١١، ص٧٣.

(٦) ط، س: متوفقين.

(٧) (وحرمة.. وانتهكوها) من ط فقط.

حدّاً من حُدود الله المعلومة، أقاموه عليه، غير مخففين[١] منه، وأحلّوه به غير مقصّرين عنه، بعد ألّا يكون عليهم في الذي يأتونَ حجّة، ولا يعترضهم في وُجوبِهِ[٢] شُبْهَةً، فإنّ المستحَبّ في الحدود أنْ تُقام بالبيّنات، وأنْ تُدْرأ بالشبهات، وأولى ما توخّاه رُعاة الرّعايا فيها ألّا يقدموا عليها مع نُقصانِ اليقين، ولا يتوقّفوا عنها مع قيام الدّليل، ومَن وجَبَ عليه القَتْلُ احتاطَ عليه بما يُحتاطُ به[٣] على مثلِهِ من الحبْس الحصين، والتوثّق الشّديد. واكتب[٤] إلى أمير المؤمنين بخبره، وشرح جنايته، وثبوتها بإقرارٍ يكون منه، أو شهادةٍ تقوم[٥] عليه، وانتظر من جوابِهِ ما يكون عملُهُ بحسبه، فإنّ أمير المؤمنين لا يُطيقُ سَفْكَ دمٍ لُمْسْلم ولا مُعاهَدٍ إلّا ما أحاطَ به علماً، وأيقنهُ فهماً، وكان ما يُمضيه فيه عن بصيرةٍ لا يخالجها شكٌّ، ووثيقةٍ لا يشوبها ريبٌ. ومن ألَمَّ بصغيرةٍ من الصَّغائر، ويسيرٍ من الجرائرِ، من حيث لم يعرفْ له مِثْلها، ولم يتقدّمْ منه أُختَها وَعَظهُ وزَجَره، ونهاهُ[٦] وحذّرهُ، واستتابَهُ وأقالَهُ، ما لم يكنْ عليه في ذلك خَصْمٌ يطالبُ بقصاصٍ منه، وجزاء له، فإنْ عاودَ تناولَهُ من التّقويم والتّهذيب، والتّعزيرِ والتّأديب، بما يَرى أنْ قد كفى فيما اجترم، ووفّى بما قدَّمَ، فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٧].

---

(١) س، ط: محققين.

(٢) (في وجوبه) ساقط في ط.

(٣) من: ط.

(٤) في الأصول الخطية: وكتب.

(٥) ف، ر، س: تثبت.

(٦) ساقطة في ف.

(٧) سورة البقرة، من الآية ٢٢٩.

وأمَرهُ بأنْ يعطّل ما في أعماله من الحاناتِ والمواخير، ويُطهّرها من القبائح والمناكير، وأنْ يمنعَ من تجمّع أهل الخسارة فيها، وتآلف شملهم بها؛ فإنّه شملٌ يُصلحه التَّشتيت، وجمعٌ يحفظه التَّفريق. وما زالت هذه المواطن الذَّميمة والمطارح الدَّنيئة، داعيةً لمن يأوي إليها، ويعكف عليها إلى ترك الصلوات، وإهمالِ المفترضات، ورُكوب المنكرات، واقترافِ المحظورات، وهي بيوتُ الشيطان، التي عِمارتُها لله معصيةٌ، وفي إخرابها للخير مَجلبةٌ، والله يقول لنا معشر المؤمنين: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]، ويقول لغيرنا من المؤمنين: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[2].

وأمَرهُ بأنْ يولي الحماية في هذه الأعمال، أهل الكفاية والغَناء من الرّجال، وأنْ يَضُمَّ إليهم كلَّ مَن خفّ ركابُهُ، وأسرع عند الصَّريخ جوابُهُ، مُرتِّباً لهم في المسالح، وساداً بهم ثُغَر المسالِك، وأنْ يُوصيهم بالتيقُّظِ والتَّحفُّظ، ويُزيحَ عِلَلهم في علوفةِ خَيْلِهم، والمقدَّرِ من أزْوادهم ومِيَرهم؛ حتى لا تُثقلَ لهم على أهل[3] البلاد وَطْأةٌ، ولا تَدْعُوهم إلى تحيُّفهم وثلمهم حاجةٌ، وأنْ يحوطوا السّابلة باديةً وعائدة، ويُبذرقوا القوافل صادرةً وواردة، ويحْرسوا الطُّرق ليلاً ونهاراً، ويتقصّوها غدوّاً ورَواحاً، وينصبوا لأهل العَيْث الأرصاد، ويتكّمنوا لهم في كلِّ وادٍ، ويتفرّقوا عليهم حيثُ يكون التّفرُّقُ مُضيقاً لفضائهم، ومؤدِّياً إلى انفضاضهم، ويجتمعوا حيث يكون الاجْتماع مُطفئاً لجمرتهم، وصادعاً لمروءتهم، وألّا يخلوا هذه السُّبُل من حماةٍ لها، وسَيّارةٍ فيها، يتردَّدُون في

---

(١) سورة آل عمران، من الآية ١١٠.

(٢) سورة مريم، الآية ٥٩.

(٣) من: ط.

جَوادّها، ويتعسَّفونَ في عوادلها، حتى تكون الدِّماءُ محقونةً، والأموالُ مصونةً[١] والفتنُ محسومةً، والغاراتُ مأمونةً، ومَن حصل في أيديهم من لصٍّ خاتل[٢]، وصعلوكٍ خارب، ومخيفٍ لسبيل، ومُنْتهكٍ لحريم، امتثل فيه أمْر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

وأمَرهُ بوضْعِ الرَّصَدِ، على مَن يجتاز في عَمَله من أُبّاق العبيد[٤]، والاحتياط عليهم وعلى ما يكون مَعَهم، والبحث عن الأماكن التي فارقوها، والطّرق التي استطرقوها، ومَواليهم الذين أبِقُوا منهم، ونَشَزوا عليهم، وأنْ يردّوهم عليهم قَهْراً، ويعيدوهم إليهم صُفراً[٥]، وأنْ ينشدوا[٦] الضّالة ما أمكن أنْ تُنشد[٧]، ويحفظوها على ربِّها ما جاز أنْ تُحفظ، ويتجنّبوا الامتطاءَ لظهور ما يُمتطى منها ويُقتعَد[٨]، والانتفاع بأوْبار وألبان[٩] ما يجزُّ ويحتلبُ، وأنْ يعرفوا اللّقطة ويتبعوا أثرها، ويشيعوا خَبَرها، فإذا حَضَرَ صاحبُها، وعلم أنّه مُستوجِبُها، سُلّمت إليه، ولم يُعتَرَضْ فيها عليه، واللهُ تعالى

---

(١) ف، ر، س: مضمونة.

(٢) ف: خاتر، س: خاين.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣٣.

(٤) ف، ر، س: المسلمين.

(٥) ف: صغراً.

(٦) ف، س: ينشزوا.

(٧) ف، س: تنشز.

(٨) ر: يقتعك.

(٩) من: ط.

يقـول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[1]، ورسـولُه صـلّى الله عليـه وسـلَّم يقول: «ضالّة المؤمن حرق النّار»[2].

وأَمَرَهُ بأنْ يُوصيَ عمّالَهُ، ويستوصي بالشَّدِّ على أيدي الحكّام، وتنفيذِ ما يصْدرُ عنهم من الأحكام، وأنْ يحضروا مجالسَهُم حضورَ الموقّرين لها، الذّابين عنها، المُقيمين لرسومِ الهيبةِ، وحدودِ الطّاعة فيها، ومَن خرج عن ذلك من ذي عَقْلٍ ضَعيف، وحلمٍ سَخيف، نالُوه بما يردعُهُ، وأحلّوا به ما يزعَهُ، ومتى تقاعس متقاعسٌ عن حضورٍ مع خصمٍ يستدعيه، وأمرٍ يوجَّهُ الحاكمُ إليه فيه، والْتَوى ملتوٍ بحقٍّ يَحْصلُ عليه، ودَيْنٍ يستقرُّ في ذمَّتِه، قادُوهُ إلى ذلك بأزمّةِ الصَّغار، وخَزائم الاضطرار، وأنْ يُحبسوا ويُطلَقوا بأقوالهم، ويثبتوا الأيدي في الأمْلاكِ والفروجِ، ويَنْتزعوها بقضاياهم، فإنَّهم أمناءُ الله في فَصْلِ ما يفصلونَ، وبتِّ ما يبتّونَ، وعن كتابِهِ وسُنَّةِ رسوله صلّى الله عليه وسلَّم يُوردونَ ويُصْدِرُونَ، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾[3]، وأنْ يتوخّوا بمثل هذه المعاونةِ عُمّال الخراجِ في استيفاءِ حقوقِ ما اسْتُعمِلـوا عليـه[4] واستنطـاق[5] بقاياهـم فيـه، ورياضـة مَـن تسوءُ طاعتُهُ مـن معاملتهم، وإحضارِهم طائعينَ أو كارهينَ[6] بين أيْديهم، فمِنْ أوامرِ الله تعالى لعبادِهِ

---

(١) سورة النساء، من الآية ٥٨.

(٢) أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن النار جزاء من تعرض للبهائم الضالة. انظر تخريجه في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري، ج٣، ص٤٠٥.

(٣) سورة ص، الآية ٢٦.

(٤) ف: عليكم.

(٥) ف: واستنطاف.

(٦) بعدها في ط، س: إلى.

التي يحقُّ عليهم أنْ يتّخذوها أدباً[١]، ويجعلوها إلى رضاه سبباً لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٢].

وأمَرهُ بأنْ يجلسَ للرَّعيةِ جُلُوساً عامّاً، وينْظرَ في مطالبها نظراً تاماً، ويُساوي في الحقِّ بين خاصِّها وعامِّها، ويُوازِي في المجالِسِ بين عزيزها وذليلها، ويُنْصفَ المظلومَ من ظالِمِهِ[٣]، والمغصوبَ من غاصِبهِ بعد الفحصِ والتأمّلِ، والبَحْثِ والتَّبيُّن[٤]؛ حتى لا يَحْكُمَ إلّا بعدلٍ، ولا ينطق إلّا بفصلٍ، ولا يُثْبتَ يداً إلّا فيما وَجَب ثُبوتُها[٥] فيه، ولا يَقْبضَها إلّا عمّا وجَب قبْضُها عنه، وأنْ يسهلَ الإذْنَ لجماعَتِهم[٦]، ويرفعَ الحجابَ بينه وبَيْنهم[٧]، ويُوليهم من حصانة الكنف[٨]، ولين المنعطف، والإشبال والرّعاية، والصَّوْنَ والعِنَايَةَ، ما تتعادلُ فيه أقْسامُهم، وتتوازنُ مِنه أقْساطُهم، ولا يصلُ المكينُ منهم إلى استضامةِ مَن تأخّر عنه، ولا ذو السُّلْطان إلى هَضيمة[٩] مَن حلَّ دُونَه، وأنْ يَدْعُوهم إلى أحسنِ العاداتِ والخلائقِ، ويحضّهم على أجملِ المذاهبِ والطَّرائقِ، ويحملّ عنهم كلَّه، ويمدَّ عليهم ظلَّه، ولا يسومُهُم خَسْفاً، ولا يُلحقُ بهم

---

(١) ط، ر، س: آداباً.

(٢) سورة المائدة، من الآية ٢.

(٣) ر: مظالمه.

(٤) ف: التبيين.

(٥) ف، ر: تثبيتها.

(٦) ف: لجماعته.

(٧) ط: عنه وعنهم.

(٨) ف: المكنف.

(٩) س: هضم.

حيفاً، ولا يكلِّفُهم شَطَطاً، ولا يجشّمهم مَضْلعاً، ولا يثلم لهم معيشةً، ولا يداخلُهم في حرفةٍ، ولا يأخذُ بريئاً منهم بسقيم، ولا حاضراً بغائب، فإنّ الله نَهى أنْ تزِرَ وازرةٌ وِزْرَ أخرى[1]، وجعلَ كلَّ نفسٍ رهينةً بمكسبها[2]، بريئةً من مكاسب غيْرِها، ويرفعُ عن هذه الرّعيّة ما عساهُ أنْ يكون سُنّ عليها من سُنّةٍ ظالمة، وسُلِكَ بها من محجّة جائرة، ويستقرئُ آثارَ الوُلاةِ قبله عليها فيما أزلّوه من خيرٍ أو شرٍّ إليها، فيقرّ من ذلك ما طاب وحَسُن، ويزيلُ ما قَبُحَ وخَبُثَ، فإنّ مَن غَرَس الخيرَ يحظى بمَعْسول ثمرتِهِ، ومَن زَرَع الشرَّ يَصْلى بمرورِ رَيْعِهِ، واللهُ تعالى يقول: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[3].

وأمَرهُ بأنْ يصونَ مالَ الخراجِ، وأثمانَ الغلّات، ووجوهَ الجباياتِ موفَّراً، ويزيد ذلك مثمَّراً، بما يستعمله[4] من الإنصاف لأهلها، فإنّه مالُ الله الذي به قوّة[5] عباده، وحمايةُ بلادِهِ، ودُرورُ حَلْبه[6]، واتّصالُ مددِهِ، يُحاطُ الحريم، ويُدفعُ[7] العظيم، ويُحمى الذّمار، ويُذاد الأشرار. وأنْ يجعلَ افتتاحَهُ إيّاه بحسبِ إدْراك أصْنافِه، وعند حُضور مَواقيتِه وأحيانِه، غير مستسلفٍ شيئاً قبلها، ولا مؤخّرٍ له عنها، وأنْ يخصّ أهل الطّاعة

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ الوارد في أكثر من سورة، سورة الأنعام من الآية ١٦٤ على سبيل المثال.

(٢) إشارة لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، سورة المدثر، الآية ٣٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٨.

(٤) (بما يستعمله) ساقط في س.

(٥) ف: قوت.

(٦) ف: ويدور رحايه، ومضطربة في كل الأصول.

(٧) ر: يحفظ.

والسَّلامة بالترفيه لهم[١]، وأهل الاستصعاب والامتناع بالتّشدّدِ عليهم، لئلّا يقعَ إرهاقٌ لمذعن، وإهمالٌ لطامع، وعلى المتولّي لذلك أنْ يضعَ كلاً من الأمرَيْنِ موضعَهُ، ويوقعَهُ موقعَهُ، مُتجنّباً لإحلالِ الغلظة بمَنْ لا يستحقّها، وإعطاءِ الفُسْحة مَن ليس أهْلَها، واللهُ عزّ وجلّ يقول: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾[٢].

وأمَرهُ أنْ يتخيّر عمّالَهُ على الخراجِ والأعشارِ والضِّياعِ والجَهْبَذة والصّدقاتِ والجوالي من أهلِ الظَّلَف والنّزاهةِ والضّبطِ والشّهامةِ، وأنْ يستظهرَ مع ذلك عليهم بتَوْصيةٍ يوعيها أسماعَهم، وعُهودٍ يقلّدُها أعناقَهم بأنْ لا يضيّعوا حقّاً، ولا يأكلُوا سُحْتاً، ولا يستعملوا ظُلْماً، ولا يقارِفُوا غشْماً، وأنْ يُقيموا العَمارات، ويَحْتاطوا على[٣] الغَلّات، ويتحرّزوا من إتْواء حقّ، وتعطيلِ رسمٍ عادلٍ، مؤدّينَ في جميعِ ذلك الأمانة، متجنّبينَ الخيانة. وأنْ يأخذوا جَهابذتهم باستيفاءِ وزنِ المالِ على تَمامِه، واستجادةِ نَقْدِه على عياره، واستعمالِ الصحّة في قَبْضِ ما يقبضون، وإطلاقِ ما يطلقون، وأنْ يُوعزوا إلى سُعاة الصّدقات، بأخذ الفرائض من سائمةِ مواشي المسلمين دونَ عامِلَتها، وكذلك الواجب فيها، وألّا يجمعوا منها متفرّقاً، ولا يفرّقوا مُجْتمعاً، ولا يدخلوا فيها خارجاً عنها، ولا يُضيفوا إليها ما ليس منها، من فحْل إبلٍ، وأكولة راعٍ[٤]، وعقيلةُ مالٍ. وإذا

---

(١) ساقطة في ف.

(٢) سورة النجم، من الآيات ٣٩-٤١.

(٣) ساقطة في ف.

(٤) هي الشاة التي يسمّنها الراعي ويعزلها لأكله، ويكره لعامل الصدقة أن يأخذها من الراعي. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٢٠ (أكل).

اجتبوها على حقّها واستوفوها على رَسْمها أخرجوها في سبلها، وقسّموها على أهلها، الذين ذكرهم اللهُ في كتابه إلّا المؤلفة قلوبهم الذين سقط سهمهم، فإنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1]. وإلى جُباة جماجم أهل الذّمةِ[2]، بأنْ يأخذوا منهم الجزيةَ في المحرَّم من كلٍّ سنة، بحسب منازلهم في الأحوال، وذاتِ أيْديهم في الأموال، وعلى الطّبقاتِ المطيقة فيها والحدود المحدودة المعهودة لها، وألّا يأخذوها من النّساء، ولا ممّن لم يبلغ الحُلُم من الرجال، ومن ذي سنٍّ عالية، وذي عاهةٍ بادية، ولا فقيرٍ معدم، ولا مترهّبٍ متبتِّل. وأنْ يراعي جماعةَ هؤلاء العُمّال مراعاةً يُسرّها ويظهرُها، ويلاحظَهم ملاحظةً يخفيها ويبديها، لئلّا يزولوا عن الحقِّ الواجب، ويعدلوا عن السَّنَنِ اللّاحب[3]، فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[4].

وأمَرهُ بأنْ يندبَ لعرضِ الرّجال وإعْطائِهم، وحفْظِ جَرائدهم، وأوقات أطماعهم، مَن يعرفه بالثقة في تصرّفه، والأمانةِ فيما يجري على يَدِه، والبعد من الإسفافِ إلى الدنيّة، والاتّباع[5] للديّانة، وأنْ يبعثه على ضبط حلى الرّجال، وشياتِ الخيل، وتجديد العرض

(١) سورة التوبة، الآية ٦٠.

(٢) تسمى ضريبة الجوالي وهي التي تؤخذ من أهل الذمة في بعض البلدان مال الجماجم، جمع جمجمة وهي الرأس. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٥-٨٦.

(٣) (ويعدلوا....... اللاحب) ساقط في ط.

(٤) سورة الإسراء، من الآية ٣٤.

(٥) ط، ر: والإيتاغ (مجودة).

بعد الاستحقاقِ، وإيقاع الاحتياط في الإنفاق، فمَن صحّ عرضهم، ولم يبقَ في نَفْسِه شكٌّ مِنْهم، أطْلَق أموالَهم موفورةً، وجعلَها في أيْديهم غير مثلومةٍ، وأنْ يُردَّ على بيتِ المالِ أرزاقَ مَن سقط بالوفاة والإخلال، ناسباً ذلك إلى جهته، وموردًا له على حقيقته. وأنْ يطالبَ الرّجالَ بإحضار الخيلِ المختارةِ، واللّاماتِ[١] والشِّكِك[٢] المستكملة على ما يوجبه مبالغُ أرزاقهم، وبحسب منازلهم ومراتبهم، فإنْ أخّر أحدٌ[٣] شيئاً من ذلك، قاصّه به من رزقه، وأغرمه مثل قيمته، فإنّ المقصِّر فيه خائنٌ لأمير المؤمنين، ومخالفٌ لربِّ العالمين إذ يقولُ الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٤].

وأمَرهُ بأنْ يعتمدَ في أسواقِ الرّقيقِ ودور الضَرْب والطَّرْز والحِسْبة مَن تجْتمع[٥] فيه آلاتُ هذه الولايات من ثقةٍ ودراية، وعلمٍ ورواية، وتجربةٍ وحنكة، وحصافةٍ ومسكة، فإنّها أحوالٌ تُضارعُ الحكمَ وتناسبُهُ، وتدانيه وتقاربُه، وأنْ[٦] يتقدَّمَ إلى وُلاةِ أسواق الرَّقيق بالتّحفظِ فيمَن يطلقون بيعَه، ويمضون أمرَه، والتَّحرز من وقوع تجوّزٍ فيه، أو إهمالٍ له؛ إذ كان ذلك عائداً بتَحْصين الفُروجِ، وتَطْهيرِ الأنْساب، وأنْ يُبعدوا عنه أهلَ الرِّيبة، ويقرّوا أهل العفّة، ولا يُمضوا بَيْعاً على شبهةٍ، ولا عقداً على تهمة.

---

(١) اللّامة: السلاح، وقيل إنها الدرع خاصة. ابن سيده، المخصص، ج٢، ص٤٨.

(٢) الشكك: جمع شِكّة وهي ما يلبس من السلاح. الزبيدي، تاج العروس، (شكك).

(٣) ط: أحدهم.

(٤) سورة الأنفال، من الآية ٦٠.

(٥) ف: اجتمع.

(٦) من هنا إلى قوله تعالى: ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، ساقط في ط.

وإلى والي العِيار، بتخليص عين الدِّرْهَم والدِّينار، ليكونا مَضْروبين على البراءةِ من الغشّ، والتهذُّبِ من اللّبسِ، وبحسْبِ الإمام المقرّر بمدينة السَّلام، وحراسةِ السِّكَكِ، من أنْ تتداولَهَا الأيدي الدّغلة، أو تتناقلها الجهاتُ الضّنينةُ، وإثبات اسمِ أمير المؤمنين على ما يُضرب ذهباً وفضةً، وإجراء ذلك على الرّسْم والسّنّة.

وإلى وُلاة الأطراف بأنْ يجروا الاستعمال في جميع المناسج، على أتمّ النّيقة، وأسْلم الطريقةِ، وأحْكم الصَّنْعة، وأثبت الصحّة، وأنْ يثبتوا اسمَ أمير المؤمنين على طُرز الكُسى والفروش، والأعلام والبنود.

وإلى وُلاة الحِسْبةِ بتصفّح أحوالِ العَوامّ في حِرَفهم ومتاجِرهم، ومجتمع أسواقهم ومُعاملاتهم، وأنْ يُعيِّروا مَوازينَهم والمكاييلَ، ويقرّروها على التَّعديل والتكميل، ومَن اطّلعوا منه على حيلةٍ وتَلْبيس، أو غيلةٍ وتَدْليس، أو بَخْسٍ وتَخْييس[1] فيما يوفيه، واستفصالٍ فيما يستوفيه، نالوه بغليظِ العقوبةِ وعظيمها، وخصّوه بوجيعها وأليمها، واقفين به في ذلك عند الحدِّ الذي يَرَوْنَه لذنبِه مجازياً، وفي تأديبه كافياً، فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[2].

هذا عَهْدُ أمير المؤمنين، وحُجَّته عليك، قد وقفك به على سواءِ السَّبيل، وأرْشدَك منه إلى أوْضَح الدَّليل، وأوْسعكَ تعليماً وتحكيماً، وأقنعَك تعريفاً وتفهيماً، ولم يألك[3]

(١) من ف فقط. خاس بعهده: غدر وخان. ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٧٥ (خيس).

(٢) سورة المطففين، الآيات ١-٣.

(٣) ر: يأل.

جهداً فيما عَصمَك، وعَصم على يدك، ولم يدّخرْك ممكناً فيما أصلحَكَ[١]، وأصلحَ بك، ولا تركَ لك[٢] عذراً في غلطٍ تغلطه، ولا طريقاً إلى مُتورَّطٍ تتورّطه، بالغاً بك في الأوامر والزّواجر إلى حيث يلزمُ الأئمةَ أنْ يندبوا النّاسَ إليه، ويحثّوهم عليه، مُقيماً لك على مُنجيات المسالك، صادفاً بكَ عن مُرْدياتِ المهالك، مريداً فيك ما يسلمك في دينك ودُنياك، ويعودُ بالحظِّ عليك في آخرتِك وأولاكَ. فإنْ اعتدلْتَ وعدلْتَ، فقد فزْتَ وغنمْتَ، وإنْ تجانفْتَ واعوججْتَ فقد خَسِرْتَ وندِمْتَ.

والأوْلى بك عند أمير المؤمنين مع مغرسكَ الزّاكي، ومنبتكَ النّامي، وعودكَ الأنجب، وعنصركَ الأطيب، أنْ تكونَ لظنِّه بك محقّقاً، وبمخيلتِه فيك مُصدّقاً، وأنْ تستزيدَ بالأثر الجميلِ قُرْباً[٣] من ربِّ العالمين، وثواباً يومَ الدِّين[٤]، وزُلْفى عند أمير المؤمنين، وثناءً حَسَناً من المسلمين، فخذ ما نبذ إليك أمير المؤمنين من معاذيره، وأمسكَ بيدِك على ما أعطى من مَواثيقه. واجعل عهدَه هذا مثالاً تحتذيه، وإماماً تقتفيه، واستعِنْ بالله يُعِنْكَ، واستهدِه يهدِكَ، واخلص النيّة في طاعتِه يُخلصْ لكَ الحظَّ من معونَتِه. ومهما أُشْكِلَ عليكَ من خَطْب، أو أعْضِل بكَ من صَعْب، أو بهرَك من باهر، أو بهضَكَ من باهض، فاكتُبْ[٥] إلى أمير المؤمنين منهياً، وكن إلى ما يرد عليكَ من جَوابِه متطلّعاً[٦] إنْ شاء الله.

---

(١) (ولم....... أصلحك) ساقط في ط.

(٢) ر: بك.

(٣) ف: قربى، ر، س: ط: قربة.

(٤) (ثواباً يوم الدين) ساقط في ف.

(٥) س: اكسب.

(٦) ط: منتهياً.

والسَّلام عليك ورحمةُ الله وبركاتُه، وكن مع الفائزين إنْ شاء الله تعالى[١].

وكَتَب نَصير الدَّوْلة النّاصح[٢] أبو طاهر يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من جُمادى الأولى سنة ستٍّ وستّين وثلاثمائة[٣].

(١) (وكن....... تعالى) من س فقط.

(٢) ساقطة في ف.

(٣) ر: ستماية.

وكَتَب عن الطّائع لله
بتلقيب عِصْمةِ الدَّوْلة أبي دُلَف سَهْلان بن مُسافر[١]

أما بعد، فإنّ أمير المؤمنين يعتمدُ إسدادَ النِّعَم حيثُ تُسْتدامُ وتُرتبطُ، ويجْتَنبُ إيداعَها حيثُ تُكفرُ وتُغمط، ويتخيّر لها أطيبَ المغارسِ وأزكاها، وأولاها بأنْ يحلوْلي وأحراها، وإذا لاحتْ له من ناشئ في دَوْلته لوائح النَّجابة[٢]، وظهرتْ فيه أدلّةُ اللَّبابة، ووجدَهُ سالكاً منهاجَ الطّاعة، وداخلاً فيها مع الجماعة، ومتسربلاً سَرابيلَ[٣] الوَلاية،

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك. (ف: عن المطيع، خطأ. وفيها: بتَقْليد بدل بتلقيب).

يعبّر هذا الكتاب عن الصراع بين أبناء البيت البويهي؛ فخلال الصراع الدائر بينه وبين ابن عمه عَضُد الدَّوْلة، حاول عز الدَّوْلة بَخْتِيار استمالة فَخْر الدَّوْلة (أخي عَضُد الدَّوْلة) إلى جانبه، وكذلك سهلان بن مسافر، وهو من كبار قادة فَخْر الدَّوْلة، وحَسْنُوَيْه بن الحسين الكُرْدي، وكان مصاهراً له. وفي سَبيل ذلك، استحصل من الخليفة الطّائع لله تَقْليداً لكلٍّ من فَخْر الدَّوْلة وسهلان بن مسافر، مع لقب (عصمة الدَّوْلة) لسهلان، ووعد حَسْنُوَيْه بمثل ذلك، وأنفذ لهما الخِلَع. فلما وردت عليهما أحجما عن لبسها، ولم يتلقب سهلان باللقب، و«جرى الأمر على غاية الأخلوقة والفضيحة» كما قال مسكويه. تجارب الأمم، ج٦، ص٤١١. وقال الهمذاني: أخذ عز الدَّوْلة لسهلان بن مسافر خِلَعاً من الطّائع، ولقّبه عنه (عصمة الدَّوْلة) وأنفذها له، وأنفذ إلى فَخْر الدَّوْلة مثلها، فلم يلبساها، ولم يتلقب سهلان، مراقبةً لعَضُد الدَّوْلة. تكملة تاريخ الطبري، ص٢٢٨.

(٢) ساقطة في ف.

(٣) ف: بسرابيل.

ومتحلّياً بحلى الغَناءِ والكفاية، رفَعهُ[١] عن الوُقوف عند رُتبِ المتوسطين، وجذب بضبعه إلى غاياتِ السّابقينَ المتقدّمين، ولا سِيَّما إذا كانت له مع هذه الفضائل، موات من ذرائعَ أُخَر ووَسائل، وأنّ اجتماعَ هذه المجتمعاتِ لمن يجتمعْنَ له تمنعُ من ترجّحُ النيّة في اصطناعه واختصاصه، وتبعثُ على إمضاءِ العزيمةِ في اصطفائِه واستخلاصِهِ. وأميرُ المؤمنين يسألُ اللهَ أنْ يوفّقَهُ من السّعي لأحمدِهِ[٢] وأرشده، ومن الرأي لأحصفه وأسدّه، ويوليَهُ في الذي يبرمُ من ذلك، ويقدّمُ ويؤخّر، ويأتي ويذرُ أفضلَ ما عوّدَهُ خلفاءَهُ في بلادِهِ[٣]، وأمناءَه على عِباده، وما توفيقُ أمير المؤمنين إلّا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

وقد علمتَ – كلأكَ الله – أنّ عِزّ الدَّوْلة أبا منصور – أيّده الله – نازلٌ من أمير المؤمنين المنزلةَ التي يتفرّدُ بفضيلتها، ويستبدُّ بمزيّتها مشاورةً له في الأمورِ، ورجوعاً إليه في التدبير، وسَماعاً لشهادتِه، وذهاباً مع دَواعي نصيحَتِه[٤]، وأنّ القريبَ عند[٥] أمير المؤمنين مَن قَرَّبه، والبعيدَ مَن بعّدَه، والموثوقَ به مَن وثّقَهُ، والظَّنينُ مَن اتّهمه، والجائزَ في نَقْدِه مَن جَوَّزَهُ، والزّائفَ مَن زيّفه. ولم يزلْ على مرورِ الأوقاتِ بأميرِ المؤمنين وبه فيما يتفاوضانه، وتتابع المجلس منهما فيما يتحاورانه، يقرّر لك في نفسِه منزلةً أنشأها إنشاءَ التَّربية، وترقّى فيها من غايةٍ إلى غايةٍ، إذكاراً بحقوقِك، وحقوقِ أبيكَ في الخدْمة، واعتلاقكما واحداً بعد آخر علائق الذِّمّة، وحصول ما حصلَ له، ولك[٦] من الحقِّ

(١) في الأصول الأربعة: ورفعه.

(٢) س: الأحمده.

(٣) (في بلاده) ساقط في ف.

(٤) ف: نصحه.

(٥) س: من.

(٦) (له ولك) في ف: (لدولتك).

المحْفوظِ، والعهْد المحروسِ في وُرودكما[١] الحضْرة مرّةً بعد مرةٍ، ووطئكما بساطَها، وإجابتكما داعيَها، وإجمالِكُما الآثارَ[٢] فيها، إلى أنْ ثبتَ[٣] في نفسِ أمير المؤمنين أنكَ بالإخلاصِ والنّصيحةِ، والطّاعة الصّحيحةِ وتلك[٤] المواتّ القديمة والحديثة، والحرماتِ التّليدةِ والطّريفة، والمعاضدةِ لعِزّ الدَّوْلة أبي منصور أيّده الله، والمضافرةِ والمتابعة والمؤازرة التي لا يتقدّمُ الإقدامُ عند أمير المؤمنين عليه، ولا يترتّب بَعدَهُ إلّا به مستحقٌّ بأنْ تُلحقَ بأجلّة[٥] الأولياء وأكابرهم، وتُضافَ إلى أعيانهم وأماثلهم، فيما[٦] وُسِمُوا به من مِيسَم التكريم، وأشعروه من شِعار التّعظيم، ويلقُوهُ[٧] من النِّهاية التي أنت وهم فيها دون عِزّ الدَّوْلة أبي منصور - أيّده الله - وخالصةِ أمير المؤمنين من أهلِهِ - رعاهم اللهُ - فائقونَ، وعلى غيرهِمْ زائدونَ مُتقدّمونَ، وأنّ عِزّ الدَّوْلة أبا منصور - أيّده الله - بعد تمهيدِهِ من ذلك ما مَهَّدَ، وتوطيدِهِ ما وَطَّدَ، سألَ أمير المؤمنين أنْ يُحِلَّك محلَّ مَن تَعتصِم الدَّوْلة باجتبائه[٨]، وتزدانُ بازديانه، وأنْ يشرِّفَكَ بلقبٍ مشتقٍّ من ذلك ذلك ينضاف إلى التّكنية، ويُنوِّه بها[٩] عن التّسمية.

وأوْجب أمير المؤمنين له فيكَ ولكَ في نفسِكَ إنالةَ المأمول، والإسعافَ بالسُّؤل،

---

(١) س، ر: وردكما.

(٢) ف: الآراء.

(٣) ر: تثبت.

(٤) ساقطة في ف.

(٥) ر: بجلة، س: بجملة.

(٦) ف: ممّا.

(٧) ر: بلغوه.

(٨) ف: باعتصامه.

(٩) ف: بهما.

وذكرَك بالتَّكْنية، ولقّبك (عصمةَ الدَّوْلة)، وسُمع ذلك منهُ في مواقفِ الحَشْد والحَفْلة، ومجالس الأُنْس والخُلوة، وعَقَد لك[١] لواءً بتَقْليد أعمالِكَ، وعَهِدَ إليك عهداً ترجعُ إليه إليه بسيرتَك وأفعالِكَ، وأمرَ لك بخِلَعٍ تامة تُفاضُ عليك، ومركوبٍ بمركبه يُقادُ إليك؛ فتلقَّ - حَفِظَكَ اللهُ - ذلك أجمع بشكر الله تعالى على أنْ أحلَّكَ محلَّ مستحقِّيه، ورفعك إلى طبقةِ مُستوجبيه[٢]، وأهليه، على سَنَنِ الاسْتقامةِ التي هي الحِرْزُ الحريز، وبها وبها العزُّ العزيز، ومنها تنشأُ البَركات، وعنها تتمّ الصّالحات، واتبع مُوالاتِك أمير المؤمنين بمُوالاتك عِزّ الدَّوْلة أبا منصور أيّده الله.

واعلم أنك كلّما زدْتَ في ذلك رغْبةً، وعليه مثابرةً، استفدْتَ أثرَةً. والْبس خِلَعَ أمير المؤمنين عليكَ، وابرز لمن قِبلَك من أوليائِهِ ورعاياهُ[٣] على حُمْلانِهِ المقودِ إليك، وانصبْ لواءَهُ أمامَكَ، وكاتِبْه خاصةً مُتلقِّباً مُتَسمِّياً، وكاتِبْ مَن سواه مُتلقِّباً مُتكنِّياً، فبذاكَ جرتْ العادةُ؛ ولهُ علّةٌ إذا[٤] كنْتَ لا تعلمها، فأميرُ المؤمنين يعلمُكَ إيّاها، وغيرك ممن[٥] يقرأُ كتابَهُ هذا، دالاً لك ولهم على رسومِ الخلافةِ وآدابِها، المسلك المسلوك في مُفاوضاتِها ومُكاتباتِها، وهي أنّ اللّقبَ تكْرِمةٌ لا تُكتسب إلّا بأمير المؤمنين ومنه، فإذا انتهى الواصلُ إليها على عنوانات كتبهِ إليه[٦]، كان في ذلك

---

(١) ساقط في ف.

(٢) ف: مستجيبة.

(٣) ف: رعاته.

(٤) ر: إن.

(٥) ف: ممّا.

(٦) ساقطة في ف.

كالمُجَدِّدِ[١] للشّكر عليها، والمحدِّثِ بالنِّعْمة فيها، وقَبِلَها أمير المؤمنين قبولَ ما لم يُجز إلّا بأمرِهِ، ولم يُجز إلّا بإجازتِهِ، والتّكْنيةَ تَكْرِمةٌ يتعاطاها النّاس بينهم مُتَقارضين، ويتداولونها مُتفاوضين. فإذا شرّفَ أمير المؤمنين أحداً من خاصّته كان داخلاً مع النّاس فيها، واحتاج إلى تمييزٍ منهم، بأنْ يُقبلَ منه.

ولا تَرُدّ عليه وأجبْ عمّا كوتبتَ[٢] به جواباً يعلمُ معه أنّ الصَّنيعة استقرّتْ لديْكَ استقرارَ المطمئن القاطنِ، ولم تعرّس تعريس المسْتَوْفِزِ الظّاعن إنْ شاء الله.

وكَتَبَ نَصير الدَّوْلة النّاصحُ أبو[٣] طاهرٍ يومَ الإثنين لأربعَ عشرةَ لَيْلةً خلَتْ من جُمادى الأولى سنة ستٍّ وستّين وثلاثمائة[٤].

(١) ف: كالمحدود.

(٢) س، ف: كوتب.

(٣) س: أبي.

(٤) أورد مسكويه والهمذاني صدور هذا الكتاب باللقب في أحداث سنة خمس وستّين وثلاثمائة.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى سَهْلان بنِ مُسافر[1]

كتابُنا يا سَيِّدي وعُدَّتي، عن شُمولِ السَّلامة وعُمومِ الاستقامة، وجَرْيِ الأحوالِ بحضرتِنا على أفضلِ الإرادة، وأتّمِ المحبَّة، والحمدُ لله.

ووَصَل لكَ كتابانِ أحدُهما بخطِّك، وفَهِمناهما. وسَكنّا إلى ما شَهدا به، ودَلّا عليه من انتظامِ أُمورِكَ، وصَلاحِ شُؤونِك، وأعتَدَدْنا ذاك من مَواهب الله -جَلَّ ذكْرُه- التي يَلزَمُنا شُكرُها، ويَجِبُ عَلينا الحديثُ بها.

فأمّا ما حَمَّلتَهُ -أيّدك الله- فنحنُ نتوَقَّعُ وُرودَهُ أحدَ اليومَيْن، ونُصغي إلى ما يؤدِّيه، وأمّا ما اعتمَدْتَ على أبي الحسين في عَرْضِهِ عَلينا فقد صَحِبَهُ ولَخَّصَهُ، وشَرَحَهُ وأوضَحَهُ، وانتظَرْنا -بالإجابة عنهُ- وُرودَ أبي سَهْل، وحين يُوافي يَصدُرُ الجوابُ عن الجميع بإذن الله.

فأمّا أمضى بالرَّيِّ من التّدبير في القَبْض على عليِّ بنِ مُحمّد بنِ العَميد عندما ظَهَر منهُ ووَقَف عليه من تَعدِّيه طَوْرَهُ، فقد أحسَنَ الله التوفيق، وأرشَدَ إلى الرأيِ الوثيق، وسَرَّنا أنْ صَلِيَ بالنّارِ التي شَبَّها، وأنْ وقَعَ في البئرِ التي احتفَرَها، وبذاك عادةُ الله جاريةٌ في كلِّ غامطٍ للصَّنيعة، ومُضَيّعٍ للودِيعة، وكافرٍ للنِّعمة، ومسيِّرٍ للغَلبة.

وكُنّا نُحِبُّ أنْ تكونَ -أيّدك الله- ذكَرْتَ الصورةَ في ذلك، وهل هو عن أمرٍ وإذْنٍ من مَوْلانا المَلِكِ، أو لحالٍ أوْجبَتِ المعاجَلةَ، ومنعَتْ من المطالَعةِ والمشاورَة، وأنتَ وليٌّ

---

(١) ليدن. (العنوان فيها: وعنه إلى سهلان بن مسافر).

بأنْ تشرَحَ لنا ما صَحَّ عندَكَ في ذلك، وما يُستَأنَفُ من التدبيرِ والتقريرِ بعد الذي جَرَى، والدَّوامِ على عادتِكَ المشكورةِ في مُكاتَبتِنا ومُواصَلتِنا، والثقةِ بما نحن عليه من الرّعاية لحقِّك والمعرِفةِ بمَوْضعِك، والإيجابِ لكَ، والعناية بأمرِكَ إنْ شاء الله.

وكَتَب عن الوزير مُحمّد بن بَقيّة إلى سَهْلان بنِ مُسافر[١]

كتابي -أطال الله بقاء سَيِّدي- عن سَلامة مَوْلانا الأمير، وسَلامتي في ظلِّه -لا أفقَدَنيهُ الله- وانتظامِ الأمورِ التي أُلابِسُها، والأسبابِ التي أخدُمُ فيها، والحمدُ لله حمداً يُوجبُ بقاءَ النِّعْمة ودَوامَها، ويقتضي كمالها وتمامَها.

ووَصَل إليَّ كتابانِ من سَيِّدي أحَدُهُما بخطِّه. وفَهِمتُهما، وسَكَنْتُ إلى ما دَلّا عليه من سَلامتِهِ وجميلِ وَلايةِ الله إيّاه، وسَألتُه راغِباً إليه أنْ يُتَمِّمَ النِّعَم عليه، ويَزيدَ فيها لديْه، ويُوزِعَني فيه الكفايةَ الشّاملةَ لنفْسِهِ وحالِهِ، وما ضَمَّ كنَفُهُ وفِناؤُه بقُدْرته.

فأمّا ما عَوَّلَ سَيِّدي على أبي الحسين في عَرضهِ فقد عرَضَهُ، وأحَطْتُ عِلماً به، والانتظارُ واقِعٌ لوُرودِ أبي سَهْل ولا يتأخَّرُ إنْ شاء الله.

وأمّا الخبرُ الواردُ بالقَبْضِ على عَليِّ بنِ مُحمّد بن العَميد من عند سَيِّدي الأمير عند ظهورِ ما ظَهرَ من تجاوُزِهِ حدَّه، وتَعدِّيه طَورَه، فإذا كانت هذه صورَتُه في كُفرِ النِّعْمة التي يَلزَمُهُ شُكرُها، وإضاعةِ الصَّنيعة التي يحِقُّ عليه حِفظُها، فقد وفَّقَ الله -جَلَّ جَلالُهُ- لإحلالِهِ المحَلَّ الذي[٢] ساء اختيارُهُ إيّاه لنفْسِه. ولم تَزلْ عادَةُ الله - سبحانه- جاريةً عند مَوالينا بألّا ينصُرَ عدوَّهُم ولا يُمهِلَهُ، ولا يُسلِمَ وليَّهُم ولا يخذُله.

---

(١) ليدن. العنوان فيها (وعن الوزير إليه)، أضفتُ إليه ما يزيل الإبهام، معتمداً على الرسالة السابقة في فَهْم (إليه). وكان ابن بَقيّة وزيراً لعِزّ الدَّوْلة في هذه الأثناء.

(٢) إضافةٌ للتوضيح.

وقد أجابَ مَوْلانا عن الكتُب الواردةِ عليه من مَوْلانا الأمير فَخْر الدَّوْلة، ومن سَيِّدي الأمير، في هذا المعنى، بما استَغْنى عن إعادتِهِ، واستزادَ - أيّده الله- في الشَّرح استزادَةَ التّطلُّع واقِعٌ إلى ورودِ الجواب عنها.

وسَيِّدي وليُّ ما يَراهُ في ذلك، وفي إيناسي بكُتُبِهِ، ومُواصَلتي بأخبارِهِ وأحْوالِهِ، والثّقةِ بما أنا عليه من مُشاركتِه ومُخالصَتِه، والاجتهادِ في تعجيلِ رَدِّ أبي الحسين على أتّمِ إيثارِه ومحبّتِه إنْ شاء الله.

وكَتَب عن الطّائع لله
عند غَلَبةِ عَضُد الدَّوْلة على الأمورِ وذهابِ عِزّ الدَّوْلة
إلى كلِّ واحدٍ من وُلاةِ الأطْراف[١]

من عبدالله عبد الكريم الإمام الطّائع لله[٢] أمير المؤمنين

إلى فُلانٍ، سلامٌ عليْكَ، فإنّ أمير المؤمنين يَحْمدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلّا هو[٣]، ويسألُهُ أنْ يصلّي[٤] على مُحمّدٍ عبْده ورسولِهِ صلّى الله عليه وسلَّم.

أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين للذي[٥] ناط اللهُ به من الإمامة، وحمّله من أعباءِ السّياسة، واصطفاهُ له من القيامِ بأمرِ الأمّة، والصّوْنِ لحريم المِلّة، يتصرّفُ على الأصْلَحِ فيما يتجدّد من عزائمه، ويعنُّ من آرائهِ بحسبِ أوقاتِ ذلك التي تصدرُ فيها عنه، ويخرج الأمرُ به منه، سالكاً أفضلَ مذاهب أمناء الله في أرضِهِ، المؤدّين فيها لفرْضِه، حمايةً للبيْضة، وحياطةً للحوْزَة، وتجشماً لكلفٍ في ذلك تَسْتَسِرُّ كثيراً عن جماهير النّاس الذين لا تدركُ عيانهم[٦] إلّا الظواهر دون البواطن، ولا تحيطُ درايتهم إلّا بالبوادي دون الكوامِن.

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك.
لعلّ هذا الكتاب صدر سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م.

(٢) ك: المطيع لله.

(٣) س: لا ملجأ له إلا هو.

(٤) س: يصل.

(٥) ف: الذي.

(٦) س، ف: أعيانهم.

ومَن تَقلّد ما تُقلِّد له، وانتصب لما نُصب لـه، أدّتـه ممارسـةُ الأشـياء وملابسـتُها، واضطرّته حياطة هذه الدَّهْماء وحراستِها إلى أنْ يُقدم في بعـض الأحيـانِ العمـلَ بـما لا يعتقدُهُ ولا يؤثرُه، وأنْ يؤخّر في بعضـها مـا يستصـلحُهُ ويسـتوفقُهُ إلى أنْ يـتمكّن كـلّ التمكُّن منه، فإذا بَدَتْ من أفعالِ أمير المؤمنين باديةٌ لا يَرْتَضيها، فإنّه سائقُها إلى الزّوال والاضْمحلال، وإذا اكْتَنّتْ في نفسِه خافيةٌ يرى أنّ الصّـواب فيهـا، فإنّـه صـائرٌ بهـا إلى التمام والاسْتكمال. ولو شاءَ مع ما أوجدَهُ الله[1] من القُدْرة، وكنفهُ به من أسـبابِ العـزِّ والنُّصْرة أنْ يقودَ المستصعبات عليـه بخـزائم الإهانـة والصَّـغار، ويتناولهـا بجـواذب الإكراه والاقْتسار، لمدّ إلى ذلك يداً أطال الله باعَهـا، ومكّـن في الأرضِ لهـا، لكـن رُبَّ مكيدةٍ هي أوجأ وأحدُّ من المبادأة، وخبيئةٍ هي أنكأ وأشدُّ مـن المفاجـأة. ولـولا فَضْـلُ الرُّعاة[2] على الرّعايا في بعد مطرح النّظرةِ، واستشْفاف غيْبِ العاقبة، لاستوتِ الأقدام، وتقاربتِ[3] الأفهام، واستغنى المأمومُ عن الإمام، وهذا مذهبُ أمير المؤمنين، وعذرُه في الصَّبْر على شوائبَ دُفع منذ وَلي الأمر إليهـا، إلى أنْ أزاحَهـا، وأقـذاءٍ صَـمَد لهـا إلى أنْ أزالها، وأيدٍ كانت مُحيطةً بسَريرِه، ومستوليةً على تدبير أمورِهِ. لم يزلْ يرصدُها يـداً يـداً، ويبتُّ منها ساعِداً، تخلُّصاً منها إلى اليدِ التي هي عتـادُه وعدّتُـه، وبهـا بَطْشُـه وقبْضـتُه، وإليها حقيقة إشارتِه وإيمائه، ومعها وثائقُ طاعتِه وولائه، حتى إذا صرّحَ المخـضُ عـن زُبْدتِه[4]، وأدّى إلى المحْض من صَفْوتِه، وخرج أمير المؤمنين خـروج القِـدْحِ المعـلّى إلى

---

(١) بدل لفظ الجلالة في ف: فيه.

(٢) بدل الرعاة في س: الله. وما أثبتناه هو المراد ها هنا.

(٣) س: تقاربة.

(٤) من أمثال العرب. الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٦٢.

إرادتِه، وانتهى إلى الغاية القصوى من أمنيتِه، أظهرَ للنّاسِ ما كان مطويّاً عنهم[١]، ومخبوءً في أثناء تدبيرِه لنفسِه ولهم، ليشركوه في المحلَوْلى من ثمرتِه، والمعسول من مذاقته، ويشملَهم بذلك رفيعُ المعاش، وأثيث الرياش، وصَلاحَ الحال، ورَخاءَ البال.

وأميرُ المؤمنين يسألُ اللهَ أنْ يجعله في جميعِ الذي استرعاهُ واستكفاهُ من الأوضحينَ سبيلاً، والأرشدينَ دليلاً، والأنجحينَ سَعْياً، والأربحينَ مَتْجراً، وأنْ لا يخليه في معاقدِ آرائه، ومَواقعِ أغراضِهِ، ومَرامي أوطارِهِ، ومَطامح أفكارِهِ من إعزاز يتولّاه به، وتأييدٍ يزله إليه، ومعونةٍ تدرُّ عليه أخْلافُها، وتُوطأ له أكنافُها، وما توفيقُ أمير المؤمنين إلّا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

وقد علمتَ - كلأكَ الله - أنّ المطيع لله - صلواتُ الله عليه - منذ أفضى اللهُ بالخلافةِ إليه، قَلَّدَ أزمّة أمورِه عماد الدَّوْلة أبا[٢] الحسن مَوْلى أمير المؤمنين، وأقرَّهُ من التّشْريفِ والتنويه، والإعلاءِ والتّنبيهِ بالمقرِّ[٣] الذي قصُرتْ دونَهُ خُطَى المجارينَ، وغُضّتْ عنه لَواحظُ المبارينَ، ونزّل أخويه رُكْن الدَّوْلة أبا عليٍّ، ومُعِزّ الدَّوْلة أبا الحسين مَوْليي[٤] أمير المؤمنين بعدَه المنازلَ السّنيّةَ التي أوجبها لهما النّسبُ إليه، واقتضاها فيهما السّببُ منهُ؛ فلم يزلْ نصيحاً في متصرّفاتِه، نجيحاً في مُتوجّهاتِه، إلى أنْ حضرتهُ الوفاة. وصادف ذلك منه بلوغَ عَضُد الدَّوْلة أبي شُجاع بن رُكْن الدَّوْلة أبي عليٍّ مَوْلى أمير المؤمنين - أيّده الله - مبالغَ الرّجالِ، وانتهاهُ في الفَضْل إلى حدِّ الكمالِ. فلمّا أونسَ منهُ رُشْدُهُ، وورى في الخيراتِ زندُهُ، وظهرت فيه شواهدُ النَّجابة، وأعلامُ اللَّبابة، ومخائلُ

---

(١) ساقطة في ر.

(٢) س: أبي.

(٣) ر: بالمحل.

(٤) ر: موليا.

الاستقلال والوفاء، ودلائلِ الاضطلاعِ والغَناء، رأى أنّه أهْلٌ لموضعه منه، وأحقّ بوراثة ذلك المحلِّ عنْهُ، فنصَّ عليه فيما جعلَهُ المطيع لله - رحمة الله عليه - النصَّ فيه عليه، وسلَّم أعمالَهُ ومقرَّهُ، وما نفذَ فيه أمرُهُ ونهيُه إليه. ثم مضى لسبيلِه رشيداً في مساعيه، مصيباً في مراميه، وقد أحسنَ الارتياد، وأخلصَ في الاجتهاد، واستحقّ من الله وخليفتِه، وجماعةِ عِباده وخليقته أصلحَ الدّعاء وأطيبَ الثّناءِ. فلمّا استقرَّ عَضُد الدَّوْلة أبو شُجاع - أيّده الله - في تلك الأثرة، وأحرز منها قَصَب السَّبْقِ والمفخرةِ، اقتضاه حُسْنُ أدبِهِ، وكَرَمُ نِجارِهِ ومركبِهِ، أنْ ذهب بنفسه عن انتحال الرِّياسةِ على أبيه، وكَرِهَ أنْ يَسْتبدَّ عليه بما حصل له من المحلِّ النّبيه، فخفض له جناحَ الأبناءِ، ووفّاه حقوقَ الآباء، ونبذ إليه مقاليدَ الأمر، وتطأطأ له عن ذلك القَدْرِ. وقابل ذلك رُكْن الدَّوْلة أبو علي بأنْ قبلَهُ منهُ ظاهراً، وتوخّاه بالإنصافِ باطناً؛ فكان لا يوردُ ولا يصدرُ إلّا عن مشاورتِهِ، ولا يحلُّ ولا يعْقدُ إلّا عن مطالعتِهِ، لكبره وإنْ كان ولَدُهْ في نفسِهِ، وعظمِهِ، وإنْ كان سَليلُه[1] في صدرِهِ. ولما اجتمعَ له من اللُّبِّ والتّحصيلِ، والرأْي الأصيلِ، والنصّ الحاضر، والعزّ القاهر، وأوْجبَ المطيع لله - صلواتُ الله عليه - لرُكْن الدَّوْلة أبي عليٍّ الحقَّ الذي تمهّدَ له بين ذلك الأخِ[2] الكبير، وهذا الولدِ الخطير، متابعاً في كلِّ رأيٍ يراهُ، وغير مضايقٍ في هوىً يهواهُ، حتى انتهى في[3] مساعدتِه، وبلغَ من مسامحتِهِ، إلى أنْ أمضى[4] له في مُعِزّ الدَّوْلة أبي الحسين أخيه إيثارَهُ، ومحبّتَهُ فيه

---

(١) ر: سبيله.

(٢) ف: الأب، خطأ.

(٣) س: إلى، ر: في.

(٤) ر: مضى.

واستخلافِه[١] على هذه الحضْرة التي إليها دعوةُ الـدّاعين ومنهـا تعقـدُ رايـاتُ الـدِّين، وجرتِ الأمورُ عند ذلك بوساطته[٢]، على ما المحمود منه منسوبٌ إلى رُكْـن الدَّوْلـة أبي عليّ ومعروفٌ له، والمذمومُ محتملٌ بسببه ومغضيّ عنهُ، من أجله إلى أنْ قُبِضَ مُعِزّ الدَّوْلة والأحوالُ ماضيةٌ على الأكثرِ من سَدادِها، والأقلّ من فَسادِها.

وكان المطيع لله - رحمةُ الله عليه - يـرى أنّ الأضـمَّ للنشـر، والأوصـلَ للحبْـل، والأعودَ في العاقبة، والأجمعَ للكلمة، مُتابعةُ رُكْن الدَّوْلة أبي عليٍّ مَوْلاه، على ما يعتمـدُهُ ويتوخّاهُ، غير مُسْتكثرٍ ذلك له مع الوَكيد[٣] من سَبَبه، والجميلِ من أثـرهِ، والعـالي مـن قَدْرهِ، والواجب من حقِّهِ، ثم إنّ هواهُ ترامى به إلى إقرار بَخْتِيار بن مُعِزّ الدَّوْلة، على مـا كان أبوه مَرْسوماً به، ومُسْتخدماً فيه، على أصولٍ قدِّر فيه، أنْ يتمسّكَ بها، ويبنى عليها، وشروطٍ ظنّ به أنْ يلتزمَها، وينتهي إليها، من تعظـيمِ مـا عَظّـم اللهُ مـن حـقّ الخِلافـةِ، والنّزول منها على أحكام الطّاعة، والانتسابِ إلى مُوالاة[٤] رُكْن الدَّوْلة أبي عليٍّ، وعَضُد الدَّوْلة أبي شُجاع أيّده الله. وأنْ يكون إصدارُه وإيـرادُه عـن رأيهـما وأمرِهمـا، وانـتماؤه واعتزاؤه إلى مجدِهما وفخرهما؛ فما زال بَخْتِيـار يسـيء الاختيـار، ويتنكّـب الصّـواب، ويتجنّب الصّلاح، ويمزّق الأموال، ويعرّضُ الدَّوْلـة للـزوالِ، ويهـرجُ الأوليـاءَ أشـدَّ الإهراجِ[٥]، ويحملُهمْ على أعوجِ المنهاجِ، ويخرّبُ الأوطـان، ويشـتت الأقـران، ويَقْتُـل الكُفاة، ويستكفي الغُواة، إلى أنْ بلغَ من فاسدِ سيرته، وضال طريقتـه؛ إلى أنْ اسـتكتبَ مُحمّد بن بَقيّة، المحيط بكلِّ خلّةٍ دنيّة، وهو صَغيرٌ حقير، ناقصٌ مغرور، ليس له نصـيبٌ

---

(١) ف، ر: من استخلافه.

(٢) ف: بواساطته.

(٣) ف: الوكيدة.

(٤) ساقطة في ف.

(٥) ف: ويحرج الأولياء أشد الإحراج.

من صناعةٍ ولا كفاية، ولا حظٌّ من فَهْمٍ ودرايـةٍ، فجـذبَ بضبْعه مـن أخسّ مطـارح الأتباع، وأخفض منازل الرعاع، إلى معالي الأمور التي ليس كفؤاً لها، ولا حقيقاً بشيءٍ منها، فما تمّ لعمر[1] الله لبَخْتِيار أنْ يرفعَهُ، لكن تمّ عليه أن اتّضع معـه؛ فكانـت آثـارُهُ كآثارِ صاحبِهِ في إخراب البلاد، وظُلم العباد، واجتثـاث الفـروعِ، واقـتلاع الأصـول، وإنشاء الملاحمَ بين الدَّيْلَم والأتـراك مـن عسـاكر أمـير المـؤمنين، واسـتثارة العَيّـارين والأوغاد[2]، فبلغ الجهدُ من المسلمين أقصى مَبالغه، وسَلَكَ الضرُّ منهم أبعـد مَسـالكه، وعند ذاك أحسّ[3] المطيع لله – صلوات الله عليه – من نفسـه بـالكبر والوَهَـل، وكثـرة الأوصاب والعِلَل، فنظر لدينه وللمسلمين، بأنْ يُسلِّمَ الأمرَ إلى أمير المؤمنين[4]، فلبسـه على حين النِّهاية من اختلاله وانحلاله، وبعده عن سَنن نظامَـه واعتدالِـه، وفَـزِعَ رُكْـن الدَّوْلة أبو عليٍّ في تلك الخُطوبِ الجليلة، والجُروح الرّغيبة إلى عَضُد الدَّوْلـة أبي شُـجاع مَوْلى أمير المؤمنين – أيّده الله – إذ هو سيفُ الله القاصل، وسِنانُه العامل، والـذخيرةُ في الملمّات، والعُدّة للحادثات، ومَنْ ليس له إذا شَهِدَ عديلٌ، ولا منه إذا غـابَ بـديلٌ، ولا يقاربُه في مناقِبه مقاربٌ، ولا يجاذبُهُ مجـاذبٌ، فاسـتدركَ الدَّوْلـة واستخلصـها، وحـاطَ عليها وحصَّنَها، وأقْشعتْ على يده تلك الـزَّلازل، وانْحسـمَتْ بيمينـه تلـك النَّـوازل، وعرَفَ إذ ذاك بَخْتِيار قدر نفسِهِ، فانحطَّ إليه[5]، وعلم عجـزَهُ، فـاعترفَ بـه واسـتجار

(١) ف: لأمر.

(٢) قال مسكويه: «فزادت ضراوة العيارين وعاد الفساد وخاف التجـار عـلى أنفسـهم وأمـوالهم». تجارب الأمم، ج٦، ص٤٠١.

(٣) س: أحسن.

(٤) كان ذلك سنة ٣٦٣هـ. انظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٣٢٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣١٨.

(٥) سقطت الواو في: ف، ر.

بعَضُد الدَّوْلة - أيّده الله - من ضعفه عمّا حُمِلَهُ، وقصورِه عمّا أهلّ لـه، وبـرئ إليـه مـن التّدبير براءةً ابتدأها، وأعْطى صَفْقة يمينه بها، وأشْـهَد عـلى نفسـه بوجوبهـا ولزومهـا، راغباً في ذلك غير مرغوب إليه، ومُتبرّعاً غير مكرهٍ عليه، وشرقت الحال بينه وبينَ الجُنْد المرسومين[1]، كانوا به شروقاً تناهى إلى استيحاشه مِنْهم، ومصيره إلى عَضُـد الدَّوْلـة - أيّده الله - مستعدياً عليهم، فضافه عَضُد الدَّوْلة - أيّده الله - في دارِه، وحمـاهُ في نفسِـهِ ومالِه، وحريمِهِ وحالِه. وقد كان أمير المؤمنين في ذلك الوقتِ عـلى جُمْلـةٍ وحشـته منـه ونفارِه، منزعجاً من أجله عن موطنِه ودارِه، للأسباب التي نستغني عـن شَرْحهـا مـع قُرْب العَهْد بها[2].

فلمّـا وقع ظلُّ عَضُد الدَّوْلة أبي شُجاع - أيّده الله - على هذه الـبلاد، أنِـس أمـير المؤمنين بالعَوْد عليها، وثنى عنانَهُ نحوها، وأيقن أنْ سينحسر به عنها الـدَّرَن، ويتطهّـر منها[3] الدَّنَس، واجْتمعَ معه اجتماعاً سكنَ له الجَـأش، وارتفَـعَ معـه الإيحـاش. ثـم إنّ عَضُد الدَّوْلة - أيّده الله - عطفتْهُ على بَخْتِيار عواطفُ الآباءِ والأعـمام، وأطّـت بـه إلى الأخذ بيدِه شَواجر الأنساب والأرحام، وذَهب مع إيثار شيخه رُكْن الدَّوْلة في تنفـيس خناقه، والإمساك من رماقِهِ، فقادَ تلك البنوّة الواقعةَ بينـه وبـينَ الرِّجـال إلى الأسـفار، وصارت بتلك الثّورة منهم إلى الاستقرار، واستخلفه على ما كان بَعِل بـه مـن التّـدبير، ورَسَم له رسوماً رجعَ إليها في الأمور، وأعاده إلى مَنْزله مخلوعـاً عليـه مجْبـوراً، مُكْرّمـاً موفوراً، فلم يرمْ أنْ جازاه عن هذه النِّعْمة السّابغةِ، والمنّة الضّافية، بما أظهره مـن خلـع

---

(١) ف: الموسومين.

(٢) انظرها في أحداث سنة ٣٦٤هـ عنـد: مسـكويه، تجـارب الأمـم، ج٦، ص٣٧٣؛ ابـن الأثـير، الكامل، ج٧، ص٣٢٧.

(٣) ف: به.

طاعتِهِ، والنَّكثِ بمعاهدته، والارتكاس في قديم غوايته، والتّتابع في سالف عمايتِهِ، بعد أيْمانٍ مغلَّظةٍ، عاد وقد حنث في جميعها، وفسخ عَقْد مَواثيقها، مجترئاً على الله ذي الجلالِ والإكرام، بريئاً منه ومن رسولِهِ مُحمّد عليه السَّلام، مطلقاً للنّساء، معتقاً للإماء، محرماً[١] للحلال، خارجاً عن كلِّ مِلْكٍ ومال. وانْصرف عَضُد الدَّوْلة أبو شُجاع – أيّده الله – إلى أعمال فارس، مُلْقياً حَبْل بَخْتِيار على غاربِهِ، متيقّناً[٢] لـوَخيم مَصائره وعَواقبه.

وأميرُ المؤمنين متألمٌ من فراقه، متلهفٌ على مقامه، عالمٌ أنّ الضّرورةَ قائدةٌ إلى عودتِهِ، وأنّ حضرتَهُ فقيرةٌ إلى نُصْرتِه، وأنّ هذه الكلوم الأليمة لا يَأْسوها إلّا مثله من ذوي الحزم والصَّريمة. وكانَ رحيلُه عنه على موافقاتٍ بينهما مكتومةٍ مصونةٍ، ومعاهداتٍ محفوظةٍ مخزونة، واتّصلتْ بينهما مكاتباتٌ ومراسلاتٌ، باطناتٌ[٣] خافياتٌ، لم ينقطعْ تراجعُهما إيّاها، إلى أنْ أغْناهما اللهُ بالاجتماع عنها، وحدث الحادث في رُكْن الدَّوْلة أبي علي – رحمة الله عليه – بعد أنْ عَهِدَ إلى عَضُد الدَّوْلة – أيّده الله – عهداً جرى مجرى الردِّ لوَديعتِهِ، والنُّزول له عن منزلته، في اعتناق ما كان به[٤] معتنقاً، وتدبير ما كان بنظرِهِ مُنتظماً مُسْتَوْسِقاً[٥]، والرئاسةُ على أهله ووَلدِهِ، وجُيوشِه وعَساكرِه، وأُخِذت له بأمرِ أمير المؤمنين وإذنِه أيْمانٌ كأيْمانِ البَيْعةِ على كلِّ عامٍّ من البطانةِ وخاصٍّ، ودانٍ من أهلِ الدَّوْلة وقاصٍ، فما راع أمير المؤمنين إلّا نزوة من

---

(١) ف: مجرما.

(٢) ر: مستيقناً.

(٣) ف: وبطانات.

(٤) س، ر: له.

(٥) ف: مستوثقاً.

بَخْتِيار، ووزيره[١] الحامل للأوْزار، إلى الخِلافِ عليه، ومنازعته المحلّ الـذي أفـردَهُ اللهُ به، وترامتْ بالرّجلينِ الشِّقوة إلى المسـيرِ إلى الأهْـواز، دُلوفـاً إلى مقارعتِـهِ، وتقـديراً[٢] لمقاومتِهِ، من حيث لم يجعل الله لهما إليه نسبةً في خطرٍ ولا قَدَرٍ، ولا صيتٍ ولا ذكْـرٍ، ولا عُدّة ولا عُدّةٍ، ولا بأسٍ ولا نجدَةٍ، ولا مالٍ ولا حالٍ، ولا هيبةٍ[٣] ولا همّـةٍ، ولا نهضـةٍ ولا استطاعة، وسألا عند ذلك أمير المؤمنين تشريفهما، والتّفـويضَ إلـيهما، والمسـاعدةَ لهما، والمسيرَ معهما، ما كان الحظُّ عنده في الوقتِ إظهـارَ الإجابـةِ إليـه، والعمـل عليـه، وإسرارَ النّقضِ له، والفَسْخ لعقدِهِ، تصـوّناً عـن جَريـرة[٤] مخـالفتَهما، واستِخْناناً مـن هجمةِ مجاهرتِهما، وما تركَ، مع ذاك إنّ أودع مسامع خواصِّهِ، وأهل الثقةِ عنده، حقيقـة رأيه في إنْكارِ ما أُظْهرَ عنه، وإكْبارِ ما حُمِلَ عليه. فلمّـا انتهى أمير المـؤمنين إلى الأهْـواز، ورأى أنّ الحربَ آخذةٌ أهبتها، ومشمِّرةٌ عن ساقِها، وكان حاصلاً منها في الجانبِ الذي يأْباه ويجتويه، ومحولاً بينه وبينَ الجانبِ الذي يؤثِرُهُ ويصـطفيهِ، انقلـب إلى دارِهِ، وخـلّى بين بَخْتِيار وبينَ ما شاء من اختيارِهِ؛ فلم يلبثْ أنْ دارتْ عليه الـدّائرةُ، وصَـلى بالنّـائرة التي يداه أوكتاها، وفُوهُ نَفَخ لها، وأجفل عن متوجّهِهِ الذي قال فيه رأيَهُ، وموقفه الذي ضلّ فيه سعيَهُ، هزيماً كليـماً، مغلوبـاً[٥] مسـلوباً محروبـاً، مفلـولَ الأصـحابِ، مفلـولَ الأحزابِ، هارباً من إطلال عَضُد الدَّوْلة – أيّده الله – عليـه، وإحاطتـه بـه ناجيـاً مـن ذُبابِ سيفِهِ، وسرعان خيله، فلولا إبقاؤُهُ عليه، وحَبْسُـه الأعنّـة عنـه، وتذمّمـه مـن أنْ تفيضَ نفسُهُ بيدِهِ فتكونَ عليه غميزةً قد باعدَهُ اللهُ عنها، ونزّهَهُ عن السّـعي لهـا، لكـانَ

---

(١) محمد بن بقية.

(٢) س، ر: قديراً.

(٣) ساقطة في ر.

(٤) ف، ر: نتيجة.

(٥) ساقطة في ر.

ذلك المصرعُ منقضيَ أجلِهِ، ومنقطعَ أمله[1]. فلمْ يَزَلْ يرحلُ متراجعاً عن مقرٍّ بعد مقرٍّ، ومقامٍ بعد مقامٍ، وهو يراسلُ ويكاتبُ عَضُدَ الدَّوْلة أبا شُجاع – أيّده الله – بالاستعطافِ والاسترحام، ويناشده ويذاكرُهُ بماسّة الأنساب والأرحام، وقبضَ على مُحمّد بن بَقيّة، وسملَ عينيه[2]، وأنفذَه إلى عَضُد الدَّوْلة أبي شُجاع – أيّده الله – تقرّباً به

(١) (ومنقطع أمله) ساقط في ف.

(٢) وذلك سنة ٣٦٧هـ، قال مسكويه: كان بهرام رسول عَضُد الدَّوْلة يخاطب بَخْتِيار في تسليم ابن بَقيّة إليه ليحمله إلى عَضُد الدَّوْلة ويعوضه عنه مالاً من خزانته. واتصل ذلك بالقُوّاد فحضروا عند بَخْتِيار وأقنعوه أنّه إن سلّمه إليه صحيحاً لم يؤمن أن يصطنعه ويبقي عليه فيكون قد حصل له بحضرته عدوّ من قبله، وكثر المشيرون بقتله والراحة منه؛ فتقرر الرأي على سَمْله وتسليمه مَسْمولاً، فسُمل ليلة الجمعة رابع ربيع الأول سنة ٣٦٧هـ. انظر تفصيلات القبض عليه وسمله عند: مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٤١٥ وما بعدها، وقد ألقى به عَضُد الدَّوْلة تحت أرجل الفيلة، فمات ميتة مأساوية؛ ثم صُلب وعلّق على جسر بغداد. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٥٨. فرثاه أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري بقصيدةٍ تُعدّ من عيون الرثاء في تاريخ الأدب العربي، منها:

عُلُوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ ... لَحَقًّا أنتَ إحْدَى المعْجِزاتِ

كأنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حينَ قامُوا ... وُفُودُ نَداكَ أيّام الصِّلاتِ

كَأنّكَ قائمٌ فِيهِم خَطيبًا ... وكُلُّهُمُ قِيامٌ للصَّلاةِ

مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ احْتِفاءً ... كَمَدِّهِما إلَيْهِمْ بِالهِباتِ

ولمّا ضاقَ بَطْنُ الأرْضِ عن أنْ ... يَضُمَّ عُلاكَ مِنْ بَعْدِ المَماتِ

أصارُوا الجَوَّ قَبْرَكَ واستعاضوا ... عَنِ الأكْفانِ ثَوْبَ السّافياتِ

الثعالبي، أحسن ما سمعت، ص١٠١؛ الصفدي، نكت الهميان، ص٢٥٩.

وقال ابن خلكان: كان في مدة وزارته يبلغ عَضُد الدَّوْلة عنه أمورٌ يسوءه سماعها، منها أنه كان يسميه أبا بكر الغددي تشبيهاً له برجل أشقر أزرق أنمش يسمى أبا بكر كان يبيع الغدد برسم السنانير ببغداد. وفيات الأعيان، ج٥، ص١١٩.

إليه، وإحالةً بالذّنوبِ السّابقة عليه، وتطوّع بيمينٍ غَموسٍ، حلف بها لحاجتِهِ[١]، إلى أنْ يعلقَ بعصمتِها، ويأوي إلى ذمّتِها مشتملةً على أنْ يواليَ عَضُد الدَّوْلة - أيّده الله - في ظاهر أمرِهِ وباطنه، وشاهِدِهِ وغائبِهِ، وسألَهُ أنْ يخلّي بينه وبينَ الرّحيل إلى أعمالِ الشّامِ متحلّياً بلباسِ طاعتِهِ، نازعاً لسِرْبالِ مقاطعتِهِ، متشرفاً بخِلَعٍ يُفيضها عليه، ويزيل بها معرّة العصيانِ عنهُ، فعاودَ عَضُد الدَّوْلة - أيّده الله - أحسنَ عاداتِهِ في كَظْمِ غيظِهِ، ومغالبةِ غضبِهِ، وقَبِل منهُ التّوبةَ والإنابة، وأسعفَهُ في هذه الطلبةِ بالإجابةِ، وأنعمَ عليه بالخلعةِ، فالتحف بجمالها، وسحبَ[٢] فَضْل أذيالها، وأمهله حتى صارَ إلى الجهةِ التي اختارَها، وعندَ ذلك ما أشاعَ أمير المؤمنين[٣] خفايا سرِّهِ، وأذاعَ كوامن صدرِهِ، من جميلِ رأيِهِ في عَضُد الدَّوْلة أبي شُجاع مَوْلاه - أيّده الله - الذي هو وليُّ أمرِه، وحامي حَريمه، وكافي[٤] مُهمّه، ودافعُ مُلمّه، وتلقّاهُ عند قربه من مدينةِ السَّلام، بالتّرحيبِ والإكْرامِ، والتّقديم والإعْظامِ، فأعطاه من المراتب أعلاها، ومن المنازلِ أسناها، وأنفذ أمْرَهُ في شرقِ البلادِ وغربها، وما قَرُب وبَعُد منها، وفوّضَ إليه التَقْليدَ والصّرْفَ، والحلَّ والعقْدَ، والرّفعَ والخفض، والإبرامَ والنّقض، ولم يؤهّلْ أحداً منْ خلق الله لأن يساويَهُ في رتبة، ولا يوازيَهُ في منزلة، ولا يخرجُ عن طاعتِهِ المقرونةِ بطاعةِ أمير المؤمنين، في كلّ منحىً ينحوه، ومغزىً يغزوه.

ورأى أمير المؤمنين لما جمعَ اللهُ به شملَ الأمّة، وأحصفَ به حبل المِلّة، وسدّ بكفايتِهِ خللَ الدَّوْلة، وشدَّ بصرامتِهِ أركانَ الدَّوْلة، أنْ يُبيّنَهُ عن سائرِ من كُنّي ولُقّبَ، وشُرِّف

---

(١) ساقطة في ف.

(٢) ف: والتحف، مرة أخرى.

(٣) (أمير المؤمنين) ساقطة في ف.

(٤) ف: كالىء.

وقُدِّم بمِيسَم من مَياسِم التفخيم تتأخّر الغاياتُ عنهُ، وتتنزّل الهممُ دونه؛ فأضافَ إلى ما كان مُتَلقِّباً به من (عَضُد الدَّوْلة)[1] اللّقب: بـ(تاج المِلّة)[2]، وأفاضَ عليه خِلَعاً نفيسة، وحباهُ بتاج ذهبٍ، وسوارٍ وطوقٍ مرصّعة كلِّها بالجواهرِ الفاخرةِ، وبحُمْلان رائع من خيله بمركبٍ ثقيلٍ من مراكبه، وعَقَد له بيدهِ لواءً على جميعِ ما نفذ فيه أمرُ أمير المؤمنين، ونُودي وأُعلن فيه بشعارِ المسلمين من برِّ الأرضِ وبحرِها، وسهلِها وجبلها، وبَدْوِها وحضرِها، وقاصيها ودانيها، وصارت حَضْرةُ أمير المؤمنين منه بعد الطّوائفِ التي ساءتْ[3] فيها آثارُها، وعظُمت عليها مضارّها، في الحرمِ[4] الأمنع، والظلِّ الأمتع، والعزِّ الأقْعس، والحِمَى الأشْوس، وأعادَها اللهُ إلى أفْضل ما كانت عليه في قديم الأيّام وحديثها، وسابِق الأوْقات ولاحقها، من قُدْرةٍ ومكاثرة، وثروةٍ ومفاخرة، واستصعابٍ على المحاولة، وارْتفاعٍ عن المطاولة، فاعْلم - رعاك الله - ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمرِهِ، واقْدر ما أنعم اللهُ به منه بقدره، واعرف لتاج المِلّة، وعَضُد الدَّوْلة أبي شُجاع مَوْلى أمير المؤمنين - أيّده الله - محلّه المنيف ومكانه الشّريف، ومنزلته التي

---

(١) كان ذلك سنة ٣٥١هـ، وقد لقّبه به الخليفة المطيع لله. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٤١.

(٢) لُقِّب به سنة ٣٦٧هـ، قال حفيد أبي إسحاق الصابي: حدثني إبراهيم بن هِلِّيل جدي قال: لما ورد عَضُد الدَّوْلة في سنة ٣٦٤هـ للمعاونة على الأتراك، قال لي في بعض ما تجاذبنيه: قد عرفتَ يا أبا إسحاق ما كان من العم مُعِزّ الدَّوْلة في منعنا من اللقب بـ(تاج الدَّوْلة) وردّنا عنه، ولو جئنا نتلقب الآن به لقبح أن يقال عَضُد الدَّوْلة وتاج الدَّوْلة. فقلتُ: ولم لا يقال: و(تاج الملة) سيجمع في اللقبين بين الدَّوْلة والمِلّة ؟ قال: صدقت، فاكتم هذا الأمر إلى أن يحضر وقته. فلما عاد في سنة ٣٦٧هـ تلقب به، وصارت الألقاب مثناة بعد ذلك. الصابي، رسوم دار الخلافة، ص١٣١؛ ومنه اشتق الصّابي عنوان كتابه (التاجي).

(٣) ساقطة في ف، س: صارت.

(٤) ف: الحزم.

جلّت عن مزاحمة القُرناء، وعلت عن مضارعة النُّظراء، ووفِّهِ هذا الحقّ كاملاً، وكُنْ له بحسبه معاملاً في المحاورة والمخاطبة، والمناجزة[1] والمكاتَبة، والطّاعة والمشايعة، والموافقةِ والمتابعةِ، إنْ شاء الله، والسَّلام عليك.

(١) ر، س: المناجاة.

وكَتَب عن الطّائع لله
إلى جماعة أهل البصرة[١]

أما بعد، فقد عَلِم فاضِلُكم بما سمعَ، ودعى ونقل ورَوَى، ومفضولُكم بما بالغ فيه واجْتهد، وسلّم له وقلّد أنّ الطّاعة مَفْروضةٌ على الجُمْهور، وبها قوام الأمور، وأنّ الله حضَّ عليها، وأرْشَدَ إليها في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[٢].

وأنّ من الآدابِ التي أُدِّبْنا بها مَعْشر المسلمين أنْ نتفاوضَ الأُلفة، ونتجنَّبَ الفرقة، وتتّفق منّا الكلمة، وتجمعنا العِصْمة بقول الله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[٣]، وبالأثر عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم إذ يقول: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يَدٌ على مَن سواهم»[٤]. وأنّ الخارجَ عن هذا الإجْماع فاسِقٌ مارق، حَقيقٌ بأنْ يُوعظَ ويُرشد، ويُوقّفَ ويُسَد، فإنْ أطاعَ وإلّا جوهد حتى يرجعَ إلى عَمودِ الطّاعة، وزمرةِ الجماعة.

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك. (عن الطائع لله) إضافةٌ منّا.
صدر هذا الكتاب عن الخليفة الطائع لله خلال الصراع الدائر بين عَضُد الدَّوْلة وعِزّ الدَّوْلة.

(٢) سورة النساء، من الآية ٥٩.

(٣) سورة الشورى، من الآية ١٣.

(٤) نصّه: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يدٌ على مَن سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويردّ على أقصاهم». أخرجه ابن ماجه في سننه، ج٢، ص٨٩٥ (حديث رقم ٢٦٨٣).

وغير ذاهبٍ عَنْكم أنّ الأئمة إنّما تَقتدرُ[١] على سياسةِ الأمّة، وتستقلّ بالأعباء[٢] المضاعة بأعوانِها وكُفاتها ورجالها الحاملينَ عنها، وأنها لو رامتْ أنْ تلي كلَّ الأمورِ بنفوسها فيما جلَّ ودقَّ في شُؤونها، وقَرُب وشَطَّ[٣] من أعمالها، لأعجزها ذاك إعجازاً يَدْخلُ معه الخَلَل، ويعود بالوَهْنِ والشَّلَلِ، لكنّها لم تَزَلْ ترتِّبُ رجالها مراتبهم، وتحمِّلُهم طاقتهم، وتقسم الولايات بيْنهم، وتنقلها عن واحدٍ إلى واحدٍ منهم وليس لهم أنْ يعتاصوا ولا يمتنعوا ولا يخالفوا ولا يعارضوا.

وقد سبق من أمير المؤمنين ما سبقَ ممّا حَفِظَ عنه الشّاهد بمَشْهده، والغائب بما تَواترَ إليه، وصَحَّ عنده أنّ فلان بن فلان سيفُه ومجنُّه، ونابُه وعُدّته. وأنّ المُوافقَ له مُطيعٌ مَحْمود، والمُخالِفَ عليه عاصٍ مَذْموم، وأولياء أمير المؤمنين جميعاً بَعْدَهُ مرتّبون مراتبهم، مقرّون على أمورهم، لا يُرَاد منهم إلّا الطّاعة والانقياد، وإجراء[٤] الأمورِ على النِّظام والسَّداد.

وقد كان فلانٌ على معرفةٍ بحقِّ فلانٍ، وإيجابٍ له ورعايةٍ لما بينه وبينه، وكان أمير المؤمنين يتبع إيثاره، وموجبات الرَّأي عنده في حَمْلِهِ على ظاهرِ الطّاعة، واستدامةِ ما يُبْديه من المجالة، إلى أنْ انحرف وخالَفَ، وجاهرَ وكاشَفَ؛ فبدأهُ أمير المؤمنين وفلانٌ بالملاطفةِ، ودعواهُ إلى المواصَلة، ونهياه عن المقاطعةِ، وعَرّفاهُ ما في عاقبةِ العِصْيان من سخط الله - جلّ جلاله - ورسوله - عليه صلواته وسلامه - وأهابا به إلى التمسُّكِ بالعِصْمة، والمقام على شروط البَيْعة التي هي كالأطْواقِ في الأعْناقِ، والجوامع في

(١) س: نعتذر.

(٢) س: ويتنقل بالأعداء.

(٣) ف: شطن.

(٤) س: أجر.

المعاصم؛ فأبى إلّا المغالطةَ في المراسلة، والغفلةَ عن الإجابة، والتَّوثُّب على البلادِ، والانتهاكَ للعباد، وضَرْب وَجْهِ السُّلْطان بالقوّةِ التي أعطاهُ، والسَّيفِ الذي قلَّدَهُ إيّاه.

ولمّا رأى أمير المؤمنين ذلكَ، سار بنفْسِـهِ ولم يَكِلِ الأمـرَ إلى غـيرِه، وأمِـل فيـه أنْ يُوجب له، ويُصْغي إليه، ويُقْبِلَ منه، وينتهي إلى أمْرِهِ، فكان على جُملته في سياقَةِ الجيشِ إلى الأعْمال، مُتَوثِّباً عليها، ومُسْتَحلًّا لدماءِ وأمْـوالِ أهْلِهـا، بغـير عَهْـدٍ ولا عقْـدٍ، ولا حُجَّة ولا وثيقةٍ، بل على بصيرةٍ من المخالفةِ في ذلك لأمير المؤمنين، والخروج عن إجماع المسلمين. فما ترك أنْ كاتَبه بما يجب عليه، وراسلَه بما لم يحـكِ فيـه، فحينئـذٍ خـاف أمـير المؤمنين على حُشاشةِ نفسِهِ التي حفظها عائـدٌ عليـه خصوصـاً، وعـلى الأمّـة عمومـاً، فنصَّب فلاناً للمقارعة، وندبَهُ للممانعةِ، وانحاز إلى حيثُ يأْمنُ فيـه مـن بـادرة الفتنـة، وفاجئة الوقعة، وكان منه ما كان ممّا قد عرفتموه وتحقّقتموه مـن الإيقـاعِ بعسْـكَرِ أمـير المؤمنين، وسفك دِماءِ المسلمين، حتى كأنّـه مجاهـدٌ في سَبيل الله، أو مُبْـلٍ في ثَغْـرٍ مـن الثغور، وقد قذيت عينُ أمير المؤمنين بهذا القادح العظيم، والرّزء الأليم، وأمّل مـنكم، يا مَعْشر أهل البصرة، الغَناء والنُّصْرة، وكذلك ما مال إليكم وقَرُب منكم.

وكُتِبَ هذا الكتاب ليُقْرأ عليكم، وأمير المؤمنين يُعْلِمكم أنّ عِزّ الدَّوْلة يدُه التي يبطش بها، وعُدَّتُه التي يُعوِّل عليها، ويأمركم بالجهاد معه، والنَّصْر له، والكون على كلِّ مخالفٍ عليه، ومنازع له.

وقد قَرَن أمير المؤمنين العَهْد في ذلك عليْكُمْ، بعهدِ البيعة الحاصلةِ في أعناقِكُم، وجَعَلكُم في أضْيقِ حرجٍ من التَّقْصير والتَّعذير، والمراقبةِ والمخاتلة، وليس لكم صلاةٌ ولا زكاةٌ، ولا عقدٌ ولا مناحكةٌ، ولا معاملةٌ إلّا مع طاعتِه، والإخلاص له سرّاً وجَهْراً، وقولاً وفِعْلاً، فاعلموا ذلك من رَأْي أمير المؤمنين، واعملوا عليه واعتمدوه، وانتهوا إليه إنْ شاء الله.

وكَتَب عن الطّائع لله
إلى رَعيّةٍ قد خَرَجت عن الطّاعة[١]

أمّا بعد، أحسنَ اللهُ توفيقكم فإنّ الشّيطانَ لا يزالُ يكسو الخِدَع والشُّبهات سَرابيلَ الحُجَج والبيّنات، ليستفلَّ[٢] بها الأحلام، ويستزلّ بها الأقدام، وتتّجهُ له المداخل على عُقولٍ ربّما استركّها واستضعفَهَا، ومال بها إلى مواردِ غوايتها، وأزالها عن سَنَن هدايتها، وأراها الحقَّ مُحالاً، والرّشدَ ضلالاً، والخطأ إصابةً، والخَطَل أصالةً[٣]، بذلك جرتْ منه العادةُ، وقامت عليه الشَّهادةُ[٤]، واستحقَّ أنْ تُعْصَب عليه اللّعنة، وتُتوقّى منه الفتنة. وإذا كان ذلك كذلك فحقيقٌ على كلِّ ناظرٍ لنفسِهِ، وحافظٍ لدينِهِ؛ أنْ يتحرّزَ من الوقوعِ في أشراكِهِ المبثوثة، وحبائلِهِ المنصوبة، وخطاطيفه الحُجْن، التي تجتذُبُ القلوبَ، وتغتال الألباب، وتوردُ الموارِدَ التي لا صدر عنها، ولا انفكاك منها، وأنْ يتّهمَ هواجِسَ فكره، ووَساوِسَ صَدْره، ويُعرضها على نظرِهِ وفَحْصِه، وتأمّلِهِ وبحثه، فإذا خَلُصَتْ من الشّوائب، وسلمتْ من المعائب، وضاقتْ على الشّيطان فيها حِيَلُه، وانْحسَمَتْ عنها غِيَلُه، وخُولف فيها الهوى الذي قليلٌ ما يشاكلها ويضاهيها، وكثيرٌ ما يُخالفها وينافيها، كان إتيانه ما يأتيه منها عن نيّةٍ لا شكَّ معها، ووثيقةٍ لا طَعْنَ عليها، ويقينٍ من السَّلامة في أُولاها وأُخراها، والسَّعادة بفاتحتها وعُقْباها.

---

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك.

(٢) ف: ليستقل. الفل: الثلم في أي شيء كان. وفي حديث علي بن أبي طالب: يستزلّ لُبّك، ويستفلّ غربك. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٥٣٠ (فلل).

(٣) (الخطل أصالة) ساقط في ر، و(الخطل) ساقط في ف.

(٤) (عليه الشهادة) ساقط في ر.

وقد علمتم - رحمكم الله - أنّ هذا الشَّيطانَ اللَّعين، نازغٌ لكم منذ حين، وأنّكم على ثَبَجٍ من خُطّةِ فتنةٍ قد لمعتْ بَوارقُها، وزمجرتْ رَواعدُها، وجَرَّتْ على المسلمين الفُرْقة التي لا شيءَ أضرُّ منها، ولا أنْفعُ من تجنّبها، والنزوع عنها، قال الله، وهو أصدق القائلين، وأكرم المنعمين: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1].

ومَن خالف آدابَهُ وسننَهُ، وتنكَّب مناهجَهُ وسُبلَهُ، فقد خسر دُنْياه وآخرتهُ، وأضاع عاجلَته وآجلَته، وتبوَّء مَقْعدهُ من النّار، واستحقّها استحقاق الكُفّار الفُجّار، والله يُضلّ مَن يشاء، ويهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم[2].

وتواترت إلى أمير المؤمنين أخبارٌ أهمّته، وأبناءٌ أرْمَضته من اجتماع طوائف من أحداثكم على أمرٍ خرجوا فيه عن طاعته، ونكثوا بيعته ممّا أظْهروه من مُشايعِهِ، مَن لم يجعلْ أمير المؤمنين له وَلايةً عليكم، ولا سبيلاً إلى تَقلُّد شيءٍ من أموركُم، بل هو مُقيمٌ من عنادِه، والعَيْث في بلادِه، على مركبٍ سيَسْتوعرُه، وموردٍ[3] سيستمرئه، وهذه حالٌ لا ينتظمُ لكُمْ معها نظامُ صلاةٍ ولا زكاةٍ، ولا مناكحةٍ ولا محاكمةٍ، إذ كان ذلك إنّما يصحُّ بأنْ يتولّاهُ أمير المؤمنين أو مَن يُقلّدُهُ إيّاه، ويستخلفه عليه من أوليائه الرّاشدينَ. وأمّا إذا اقتديتُمْ فيه بيدٍ قد خرجت عن عِصْمتِهِ، وسقطتْ من جُمْلتهِ، وبرئتْ ذمّتهُ منها، وانبتَّتْ الأسْبابُ بينه وبيْنها، فأنتم في هذا الفِعل خارجُون[4] آثمون، غاوون ضالّون،

---

(١) سورة آل عمران، من الآية ١٠٣.

(٢) من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ سورة فاطر، من الآية ٨.

(٣) ف: ومشرب.

(٤) ف، ر: حرجون، وبهامشها في ف: «لعله خارجون».

وكلُّ راضٍ مِنكم به فقد أسْخَطَ إلهـهُ ونبيَّـه وإمامَـه بـالنصِّ مـن قـولِ الله عـزّ وجـلّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[1].

فما عُذْرُ أحدِكم غداً[2] يوم يُجزى المحسن عن حسناتِه، والمسيءُ عن سيّئاتِه، إذا لقي ربَّه، وقد خالَفَ أوامرَهُ مفرّطاً، وقارف[3] نواهيه متورِّطاً، وسَمِع آياته فتعدّاها، وتجاوز حدودَهُ وتخطّاها؟

وأمير المؤمنين يَستعيذُ بالله لنفسه ولكم من زلّةِ القَدَم، وعاقبة النّدم، ويَسْألهُ أنْ يردَّكم إلى الأولى، ويلهمَكُم التقوى، ويَصْدف بكم عن المناهجِ المغوية، والمواردِ المخزي، بحَوْلِه وطَوْلِه.

ولو كنتم – والله يعصمكم – كُفّاراً، لأوجبَ أمير المؤمنين على نفسه أنْ يَبْدأكم في الدّعاء إلى الحقِّ بالقَوْل الأحسن، والطّريقِ الألْيَن، رجاء أنْ يَعْطفَ اللهُ بكم إلى الهُدَى، ويشعرَكُم شعارَ أهلِ الحجى من حيث لا يُسْفكُ لكم دمٌ، ولا يُنْتهكُ محرمٌ. فأمّا وأنتم مُسْلمونَ مؤمنون، لكنكم مخطئون غالطون، فأحرى وأولى أنْ يصبرَ عليكم لتنزعُوا، ويتأنّاكم لترجعوا، ويقيمَ في أنفسكم الحجّة، ويردَّكُم إلى سواء المحجةِ، لكنْ قد جعل اللهُ لذلك حدّاً محدوداً، وأمداً معلوماً.

ومتى قلَّ انتفاع أمير المؤمنين فيكم، وأطلتم عناءه فيه، ورآكم على المعصية مصرِّين، وللنّقمةِ مستجرّين، فهلْ يجدُّ بُدّاً من تسريب العساكر إليكم، وإطلاق أعنّتها عليكم، وهل يُماز لها حينئذٍ[4] بريئكم من سقيمكُم؟ وبرّكم من أثيمكم؟ ألا ترون إلى

---

(١) سورة النساء، من الآية ٥٩.

(٢) ساقطة في ر.

(٣) س: فارق.

(٤) ساقطة في ف.

قَوْلِ الله: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾[1].

وأيُّ فتنةٍ هي أعْظمُ من طاعةِ الشيطان، ومعصيةِ السُّلْطان، والعَيْث في الدِّماء والدِّيار، واتّباع السُّفهاء الأغْمار، الذين يحملونَكُم على أشْنعِ خُطّة، ويلجئونكم إلى أضيقِ ورطةٍ، هيهات ما أضلَّ ذلك من رأيٍ، وأسوأه من اختيار، وأبعدَهُ من سَدادٍ وصَوابٍ، وأخلقه بعائدةِ نكالٍ ووَبالٍ.

وأميرُ المؤمنين يُعذِرُ ويُنذِر، ويَعظُ ويَزْجر، ويُخوِّفُ ويحذِّر، ويعيدُ ويكرِّر؛ إبقاءً عليكم، ورعايةً للحقِّ الذي يوجبُه فيكم، فمَنْ رجع القَهْقهرى، ونزع وارعوى فالتَّوبةُ تَنْفعه، والإنابة تُنْعشه، والعَفْوُ يَسَعه، والحُلْمُ يَغْمرُه. ومَنْ دام على لجَاجه، وأصرَّ على اعوجاجِه، فجيوشُ أمير المؤمنين تَطْرقُه، وعَساكرُه تُرْهقُه، والمعاصِمُ تلفظُه، والمعاقلُ تُسلمه، والشّقيّ مَن كان معه، والسَّعيد مَن برئ منه.

---

(١) سورة الأنفال، من الآية ٢٥.

وكَتَب عن الطّائع لله
نُسْخة كتاب إلى عَضُد الدَّوْلة بالتّشريف المذكور وزيادة التّلقيب له بتاج المِلّة[1]

من عبدالله عبد الكريم الإمام الطّائع لله أمير المؤمنين
إلى عَضُد الدَّوْلة أبي شُجاع بن رُكْن الدَّوْلة أبي عليٍّ
مَوْلى أمير المؤمنين

سلامٌ عليك، فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، ويسأله أنْ يُصلّي على مُحمّدٍ عبده ورسوله[2] صلّى الله عليه وسلَّم.

أما بعد، أطال الله بقاءك، وأدام عزَّك، وأمْتع أمير المؤمنين بك، وبالنِّعْمة فيك، فإنّ أمير المؤمنين إذا سبغتْ مَواهب الله عليه فيما يُزلّه من خيرٍ إلى كافّة المسلمين وإليه، رأى

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك.
وافت الدَّوْلة البويهية أيّام المطيع لله والأمرُ جارٍ على التلقيب بالإضافة للدولة، فافتُتحت ألقاب الملوك بالإضافة إلى الدَّوْلة، فكان أول مَن لُقب بذلك من الملوك بنو بويه الثلاثة، فلُقب أبو الحسن علي بن بويه بعماد الدَّوْلة، ولُقب أخوه أبو علي الحسن برُكْن الدَّوْلة، وأخوهما أبو الحسين أحمد بمعز الدَّوْلة. ثم وافى عَضُد الدَّوْلة من بعدهم فاقترح أن يلقب بتاج الدَّوْلة فلم يجب إليه وعدل به إلى عَضُد الدَّوْلة. فلما بذل نفسه للمعاونة على الأتراك اختار له أبو إسحاق الصابي صاحب ديوان الإنشاء تاج المِلّة مضافاً إلى عَضُد الدَّوْلة؛ فكان يقال عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤١٥-٤١٦. وانظر: الصّابي، رسوم دار الخلافة، ص١٣١.

(٢) (عبده ورسوله) ساقط في ف.

أنْ يتأدّبَ بأدبه سبحانَهُ في الحديثِ بها، والنَّشْر لها، حَسَب الذي فرضَهُ اللهُ في مُحكم كتابِهِ إذ يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١].

ولما كان مبينُ النِّعْمة ومُشيعها، ومُظْهرها ومذيعها، مؤدياً من هذا الغَرض ما لا يسعُ إغفالُه، ومُمْتثلاً من الأمر ما لا يحلُّ إهمالُه، وكان فاعلوه من عِباد الله يتنجّزون بالشُّكْر زيادةً قد سَبَقَ الوَعْدُ لهم بها، وغلقَ عندهم رَهْنُها[٢]، فكلَّما نشر النّاشِر، وشكر الشّاكِر، تضاعفتْ له تلك الزِّيادة، ودرّتْ عليه أخْلاف المادَّة، وكانَ من الأربحينَ أعمالاً، والأرْشَدين أفْعالاً، وهذا رأي أمير المؤمنين وعقدُهُ ومعتمدُه وقصدُهُ، وهو من مذاهب الصّلاحِ، وأنحاء الصواب، التي يَسْأل الله أنْ يُحسنَ دلالتهُ عليها، وإرشاده إليها، وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله، عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

وإنّ أمير المؤمنين – أيّدك الله – لما جمع الله شمْلكَ إليه، ووَصَل حبلكَ به، وأناله أمنيتهُ في اشتمالك على أموره، واكتنافك لسريرِه، وحَمْلِكَ الأعباءَ عَنْهُ، ونهوضك بالملِمّاتِ دونَهُ، آثَرَ طالباً للأصْلح، وسالكاً للمذهبِ الأوْضح، أنْ ينيلَكَ من شرف المكانةِ عنده، وكرمِ الزُّلْفةِ لديه، غايةً لم ينلْها من أولياء السُّلْطان نائل، ولا بَلَغ إلى إدراكِ أثرتها وحيازة مفخرتِها بالغ، وأوجب أنْ يقدّم أمامَ ذلك نبذاً[٣] من مناقِبكَ التي استحققتَ بها ما أهلَكَ له، وذرواً من مساعيكَ التي استَوْجَبتَ معها ما أهابَ به إليكَ؛ لتعْلَمَ أنّه ما حاباكَ فيما حَباكَ، ولا ركبَ الهوى فيما أعْطاك، وليتبيّن[٤] للنّاس جميعاً من

(١) سورة الضحى، الآية ١١.

(٢) غلق الرهن بما فيه: مثلٌ يُضرب لمن وقع في أمرٍ لا يرجو انتياشاً منه. الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٦١. أغلق الرهن: أوجبه. ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢٩٣ (غلق).

(٣) س: نجزاً.

(٤) ف: وليبين.

ناقصٍ وراجحٍ، ودانٍ ونازحٍ، أنّ المساعي عند أمير المؤمنين مقوّمةٌ، والمراتبَ بحسبِها مرتّبةٌ، وأنّ هذه المعالي الطّامحةَ إنّما استبددتَ بها لاستبدادك بالخلالِ الصّالحة، فيصمدُ الأولياء وإنْ قَصُرتْ بهم الهممُ عن مجاراتِكَ، وأخّرتهم القُدَرُ عن مداناتِكَ، لإحرازِ أكثر ما يستطيعونَهُ من الأمد الذي يجري إليه العامل المجتهد.

وقد عَلِمتَ - أيّدك الله - أنَّ أمير المؤمنين، حين تجلببَ جلبابَ الخِلافةِ، وادّرع شِعار الإمامة، قاسى كلَّ صَيْلَمٍ صمّاء، وداهيةٍ دَهْياء، من الفتن المشبوبة بين الدَّيْلَم والأتراك، والحروب النّاشئةِ بين الخواصِّ والعَوامِّ، وأنّ أمير المؤمنين لو خلا من إفسادِ المفسدينَ، وإثارة المُثيرين، لما تمكّنَ من إطفاءِ ما اضْطُرم[1]، ولا استقل بإخماد ما احتدم، مع انْفرادِهِ من الإخْوان، وخلوِّه من نُصحاءِ السُّلْطان، فكيف وقد كان الأمْرُ معكوساً، بغَيْبةِ مَن يحمل عنه، وحضورِ مَن يُجنى عليه.

ولو شَرَعَ أمير المؤمنين في عدِّ مقاماتِكَ المحمودةِ قبلَ خلافتِهِ، ومواقفِكَ المشكورةِ قبل إفضاء الأمر إليه، من بلادٍ كانت منغلقةً ففتحتها، وأمورٍ كانت مختلّةً فنَظمتها، وأعداءٍ كانوا مُتصاعرينَ مستكبرينَ فأذللتهم، وأولياءٍ كانوا مَغْمورين مَقْهورينَ فأعزَزْتَهُم، وأطرافٍ كانوا أرباً بها مُسْتوحشينَ فآنستَهُم، ونافرين فتألفتهم، ومصارمين فوصلتهم، ومُنابذِينَ فاستملتهم، لطالَ القَوْلُ وتضاعَفَ، وتواترَ إلينا وترادفَ، لكنَّ أمير المؤمنين يكلُ ذلك السّالف إلى المُتَعالم منه المُتعارف، ويقتصرُ على شرح ما جرى في أيّامه؛ ليوفّى المذموم ممّن[2] استولى على أمرِه حقَّهُ من الذمِّ والطَّعن، والمحمود ممن[3] حسم داءه واجبه من الشُّكْرِ والحمْد.

---

(١) ك: إطفائها اضطرم.

(٢) ر: فمن.

(٣) ر: فمن.

وظاهرٌ أنّ بَخْتِيار ابن مُعِزّ الدَّوْلة هو كان الجاني على هذه الحضْرة بسوءِ سيرتِه، ولـؤمِ مِلْكتِـه، وبُعْده عـن فَلاح المفْلحيـن، ونَجاح المنْجحِين، وطرائق أهلِه أجمعين، واستهلاكـه الأمـوال، وإخرابـه الأعمال[١]، وإثارته تلك الشحناء بين طبقات العوامّ والأولياء، حتى تغصَّصُوا بالرّزايا، وتساقَوْا كؤوسَ المنايا، وشَملَهُم البَلاءُ، وعمَّهُم الجلاءُ، وأنّ كاتبهُ مُحمّد بن بَقيّة المجتمع معه في كلِّ مخزيةٍ دنيَّةٍ، ضامَّهُ في هذا الإفساد وضافرهُ، وعاونَهُ عليه ووازرَهُ، وأنّ أمير المؤمنين لم يزلْ نافراً منهما، وحرباً لهما، وبعيداً من الأُنْس بهما، والسُّكون إليهما، إلى أنْ وَرَدْت – أيّدك الله – مدينةَ السَّلام في سنةِ أرْبعٍ وستّين وثلاثمائة، وقد شخص أمير المؤمنين عنها، عاملاً على أنْ يستوطن بلاداً غيرَها، وأنْ لا يثنيَ وجهَهُ عنها. فلمّـا أتاهُ خبرُك في الاشتمال عليها، ووَرَدتْ كُتبُكَ عليه بمسألة العَوْد إليها، واستكانَ بَخْتِيار لك، واسْتكنّ تحت ظلِّك، وعَلِم أمير المؤمنين أنْ لا أمر له مع حضورِكَ، وظنّ أنّه لا خِلَافَ عليك منه[٢] في مغيبكَ عنه، عاد إلى دياره، واطمأنَّ على سَريرِه، ووَجَدك قد حصدْتَ بسَيْفك أعداء الدَّوْلة، واستنقذتها من بين أظْفارِ المحنةِ، وطمستَ آثارَ الجور، ونَصبتَ أعلامَ العَدْلِ، ودَعَوْت إلى طاعةِ الله – جلّ ذكره – وطاعة رسول الله – صلّى الله عليه وسلَّم – المصطفى، وخليفتِهِ في أرضِهِ المرتضى، وأقررتَ المضاجعَ بعد نبوها، وسكنتَ الأفئدةَ بعد وَجيبها[٣]، فكانَ العيشُ ما أقمتَ رغيْداً، والجنابُ خصيباً، والحقُّ منصوراً، والباطلُ مقْهوراً، إلى أنْ عنّ منك الرأيُ الذي عن في مُتابعةِ شيخك رُكْن الدَّوْلة أبي عليٍّ مَوْلى أمير المؤمنين – تجاوزَ اللهُ عن فرطاتِهِ، وأقاله من عثراته – في التخليةِ بين بَخْتِيار وهذه الدِّيار، لا جَرَم أنّه بدأ

---

(١) (وأخرابه الأعمال) ساقط في ر.

(٢) ساقطة في ف.

(٣) س، ر: وجبهـا. والوَجيـب: تحـرك القلـب. ابـن منظـور، لسـان العـرب، ج٤، ص٨٣ (بهر).

بعُقوقِه، وثنى بعُقوقِك، وذهب عن واجب حُقوقِه وحُقوقِكَ، ورَدَّ حَضْرة أمير المؤمنين إلى أسوأ حالاتِها، وشنَّ عليها أنكر غاراتِها، وكان الله في ذلك سرٌّ قد ظهر الآن في إبانة النّفع في إقبالِكَ إليها، والضّرَر في انْصرافِكَ عنها.

ولم يجدْ أمير المؤمنين إذ ذاك مفزعاً إلّا إليكَ، ولا مَطْلباً للصّلاح إلّا من جهتكَ، فكاتبَك واستقدمك، واستدعاك وأعجلك، حتى إذا بلَغَ الكتابُ أجَلَهُ[1]، حيَّن اللهُ بَخْتِيار لتنجُّز[2] البَوار بأنْ بتَّ حباله منك، وقَطَع عِصْمتَهُ عنك، وفارق العزّ بمُفارقتِكَ، وارتدى رداءَ الذُّلِ بمنابذتِكَ، وأفضت الحال بينكما إلى ما أفضت إليه من الوقعة التي كشفَتْ عن غرّتِهِ وعارِهِ، وفضيحته وشنارِهِ، وأقْبلتَ أنتَ – أيّدك الله – إلى حَضْرة أمير المؤمنين طارداً له منها، ومائطاً دَرَنه عنها، ومُوقعاً ظِلَّكَ الظليل علَيْها، وجالباً يُمْنك ورُشْدكَ إليها، فأقشعتْ الكربةُ، وأفرجت اللّزبةُ، وأقبلتْ النِّعْمةُ، وشمِلَتْ الموهبةُ، وثبتَتْ وَلايةُ أمير المؤمنين منك في نصابِها، وأُضيفتْ إلى كُفْئها، وتحصَّلَتْ لأحقّ النّاس بها، وأقدمهم سبباً فيها، وأولاهم بتقدّم الرتبة لديْها، واقْتضَتْ هذه النَّعْماء المتمهّدةُ، والسَّرّاء المتجدّدةُ، أنْ يتحدّثَ أمير المؤمنين بها، ويوضِّحَ للناسِ ما ثلج في صَدْرِهِ منها، وأنْ يقابلَكَ – أيّدك الله – بأفضلِ ما قُوبلَ به الوليُّ المباركُ، والظهيرُ المشاركُ، بَسْطاً ليدِكَ، وإعلاءً لكلمتِكَ، وإشادةً لذكرك، وإعظاماً لخطرك، وتَقْليداً لك ما نفذ أمرَهُ فيه من شرقِ الأرْض وغربها، وأقاصيها وأدانيها، وبَرِّها وبَحْرِها، وسَهْلِها وجَبلِها.

---

(١) تأثر من الصابي بأسلوب القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾، سورة البقرة، من الآية ٢٣٥.

(٢) ف: لتنحيز.

وعَقَد أمير المؤمنين بذلك لواءً لك، وجعل كتابةُ هذا عَهْداً في يدِكَ، وأكبرَكَ عن المخاطبةِ بوَصايا العُهود ورُسومِها، وأوامرها ونَواهيها، لارتفاع طبقتك عنده عن ذلك[١]، وعلمهُ بأنّ لك من نفسكَ باعثاً على المصَالِح، ودليلاً إلى المراشدِ والمناجِح، وأمَر لك بخِلَعٍ سُلْطانية، وحُمْلانٍ رائع بمركبٍ ثقيلٍ، وتاجٍ وطوقٍ وسوارٍ مُرصَّعة بالجَوْهر الثّمين، وأضاف لك[٢] إلى اللّقب بـ(عَضُد الدَّوْلة) اللقب بـ(تاج المِلّة)؛ إذ كانت آثارُكَ الجميلَةُ، وأياديْكَ الصّالحةُ موجبةً ذلك، وداعيةً إليه، ومُقْتضيةً له، وباعثةً عليه. وخرجَ أمرُهُ بأنْ تُوفى هذا الحقّ في محاوراتِكَ ومكاتباتِكَ، إفراداً لك باللّقبين، عمّن لقّبَهُ باللّقبِ الواحد، وإنافةً بك عن غاياتِ الباقي منهم والبائِد، فتلقَّ تاج المِلّة وعَضُد الدَّوْلة أبا[٣] شُجاع – أطال الله بقاءكَ – ذلك أجمع بالحيازة له، والاشتمال عليه، وكُنْ عاملاً بحسبِهِ فيما يَسْتوفيه من هذا الحقِّ من المكاتبات الصّادرةِ عَنْك[٤]، والواردةِ عليك، واستعِنْ بالله يُعنْكَ، واسْترشدْهُ يُرشدْكَ، واعتضد[٥] به يَعْضدْكَ، واشْكُرْهُ يزدْكَ إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) (عن ذلك) ساقط في ف.

(٢) ساقطة في ف.

(٣) س: أبي.

(٤) ساقطة في ف.

(٥) ف: واستعضده.

وكَتَب عن الطّائع لله
عهداً إلى شرف الدَّوْلة شيرزيل بن عَضُد الدَّوْلة[١]

من عبدالله عبد الكريم الإمام الطّائع لله أمير المؤمنين
إلى شيرزيل بن عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة أبي شُجاع
مَوْلى أمير المؤمنين

أمّا بعد أطال الله بقاءك، وأدام عزّك وتأييدك، وسَعادتك ونِعْمتك، وأمتع أمير المؤمنين بك، وبالموهبة فيك وعندك، فإنّ أمير المؤمنين يرى أنْ يحفظ على كلّ وليٍّ أحمد مَذاهبه، وأرضى ضَرائبه، وانصرف عن الدّنيا متمسّكاً بطاعته، متديّناً بمشايعته حقوقه المتوحّدة، وحرماته المتمهّدة، فيمَن يخلفه بعده من ولدٍ أمل فيه أنْ يرث عنه محلّه، ويقوم فيه مقامه، وفاءً لأهل الولاية، وتصرّفاً على أحكام الرّعاية، وسياقةً للصَّنيعة من سالفٍ إلى خالف، وإمضائها من تالدٍ إلى طارف. هذا على الأمر الجامع، والعموم الشامل. فإذا اتّفق أنْ تنتهي وراثة القرب إليه، والمنازل لديه إلى النّجباء الأفاضل، والحصفاء الأماثل الذين يستحبّون استئناف الاصطناع لهم، واستقبال التفويض إليهم،

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٠، ص٧٥؛ مآثر الإنافة، ج٣، ص٧٧.

لما توفي عَضُد الدَّوْلة اجتمع القُوّاد والأمراء على ولده أبي كاليجار، فبايعوه وولوه الإمارة، ولقبوه صَمْصام الدَّوْلة. فلما ولي أقطع أخويه أبي الحسين أحمد وأبي طاهر فيروزشاه فارس، وأمرهما بالمسير إلى شيراز مقر حكم فارس، لكن أخاهما شرف الدَّوْلة وصل إلى شيراز قبلهما وملكها وخرج على أخيه صَمْصام الدَّوْلة، وذلك سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م. وفي سنة ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م دخل العراق وقبض على أخيه صَمْصام الدَّوْلة.

توفي شرف الدَّوْلة سنة ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٩٢، ص٤١٤ ص٤٢٦.

بالمناقب الموجودة فيهم لو انفردت عما حازوه عن آبائهم وأوليائهم أجرى أمير المؤمنين ما يفيضه عليهم من الأيادي، ويرقيهم إليه من هضبات المعالي مجرى الأمر الواجب الذي كثرت الدواعي إليه.

واتّفق الرأي والهدى عليه، وتطابق الإيثار والاختيار فيه، واقترن الصَّواب والسَّداد به، واشترك المسلمون في استثمار فائدته وعائدته، والانتفاع بتأديته وعاقبته، والله يخير لأمير المؤمنين فيما يمضيه من العَزائم، ويبنيه من الدَّعائم، ويعتمده من المصالح، ويتوخّاه من المناجح، إنّه على ذلك قدير، وبه جدير، وهو حسْبُ أمير المؤمنين ونِعْم الوكيل.

وقد علمتَ - أدام الله عزك، وأمتع أمير المؤمنين بك - أنّ شجرةَ بيتك التي تمكّنت من الخدمة أصولُها، ونشأت على الطّاعة فروعُها، شجرةٌ لم تزل النَّجابة صاحبةً لها، والفضيلةُ منوطةً بها، وأسبابُ التّمام والدّوام مجتمعةً فيها. فلذلك سبغت النِّعْمة عليكم، وامتدّ ظلها إليكم، وتقلّب فيها قداحكم، وتوفّرت منها حظوظكم؛ فتداولتموها بينكم كابراً عن كابر بمَساعيكم الصّالحة، ومَناهجكم الواضحة، وتعاضدكم على ما لم شعث الدَّوْلة الجامعة، وطرف عنها الأعين الحاسدة.

وكان شيخُك عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة أبو شُجاع - رضوان الله عليه - صاحبَ الرّتبة العظمى عند أمير المؤمنين وهُمامها، والمتطي غاربها وسَنامها، فعاش ما عاش مشكوراً محموداً، ثم انقلب إلى لقاء ربّه سَعيداً رَشيداً، وأوجب أمير المؤمنين لك وله فيك الحلول بمكانه، وحيازة خطره وشأنه، إذ كنتَ أظفر ولده، وأوّل المستحقّين لوراثته، وكانت فيك مع ذلك الأدوات المقتضيات لأن يفوّض الأمور إليك، ويعتمد فيها عليك، من كفايةٍ وغَناء، واستقلالٍ ووَفاء، وسياسةٍ وتدبير، وشهامةٍ وتشمير، وتصرّفٍ على طاعة أمير المؤمنين، وإشبالٍ على إخوتك أجمعين، وحُسْنِ أثرٍ فيما أنفذ

أمرك فيه، وإفاضةِ أمنٍ فيمَن مضت ولايتك عليه، وإحاطـةٍ بـدلائل الجزالـة، ومخايـل الأصالة، بمثلها تُنال الغايات الأقـاصي، وتُفـترع الـذوائب والنـواصي، فنولّـك أمـير المؤمنين تلك الأثرة، وخوّلك تلك المفخرة، وجعل أخاك صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة أبا كاليجار - أمتع الله أمير المؤمنين بك - ثانيـك وتاليـك، والمتقـدّم بعـدك عـلى وَلَـد أبيك، وأجراكما في التطبيق بينكما، والتقرير لمنازلكما على مثل ما جرى الأمـر عليـه بـين رُكْن الدَّوْلة أبي عليّ ومُعِزّ الدَّوْلة أبي الحسين سالفاً، ثم بين عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّـة أبي شُجاع ومؤيِّد الدَّوْلة أبي منصور آنفاً، تولّاهم الله بالرحمة، ونفعهم بما قبضهم عليه مـن وثائق العِصْمة.

وخصّك أمير المؤمنين بعد ذلك بما يخصّ به ذا القـدر الشـامخ، والفخـر البـاذخ، والقدم السّابقة، والمحلة السامية؛ فذكرك بالتَّكْنية، ورفعك عن التَّسْمية، ولقبك لقبَيْن: أحدهما شرف الدَّوْلة، لتشريفه بك أولياءه الذين أوطأهم عقبـك، وأعلقهـم سَـبيلك. والآخر زَيْن المِلّة، لزينة أيّامه بمعاليك، وتضاعف جمالها بمسـاعيك، وعقـد لـك بيـده لواءين يلويان إليك الأعناق بالطَّوْع ممّن سراه وأبهجاه، والكره ممّـن راعـاه فأزعجـاه، وأمَر بأنْ تقام لك الدّعوة على منابر مدينة السَّلام ومـا يجـري معهـا مـن الأعـمال بـين الدّعوة لأمير المؤمنين وبين الدعّوة لصَمْصـام الدَّوْلـة وشَـمْس المِلّـة - أمتـع الله أمـير المؤمنين بكما، وأحسن الدّفاع له عنكما - إلحاقاً لك وله بعدك بأبيكما فيما كان شُرّف بـه من هذه الحال التي لم ينلها غيره، ولا أهّـل لهـا أحـدٌ قبلـه. وأنْ يثبـت ذكـرك باللّقـب والكُنية فيما يُنقش من سكك العين والـورق في دور الضَّــرْب بادِيـاً، وذكـر صَمْصـام الدَّوْلة - كلأكما الله - تالياً، وحباك أمير المؤمنين مع ذلك بخِلَـعٍ تامّـةٍ تُفـاض عليـك، وفرسَيْن من جياد خيله يُقادان إليك بمركبَيْ ذهب من خاصّ مَراكبـه، وسـيفٍ مـاضٍ من خيار أسيافه، يعزّ الله منكبَيْك بنجادَيْه، ويـذلّ مناكـب أعـدائك بغراريْـه، وطـوقٍ

وسوارَيْن، وأنْ تجري في المكاتَبة عنه إلى الغاية التي أجرى أبوك - رحمه الله - إليها، وهذا الكتاب ناطقٌ بها، ودالٌّ عليها.

وندب لإيصال الجميع إليك: عليّ بن الحسين الهاشمي الزينبي، وأحمد بن نَصْر العَبّاسي حاجبه، ودجى خادمه؛ فتلقّ شرف الدَّوْلة وزين المِلّة وأبا الفَوارس - أدام الله عزك - بما يحقّ عليك من تقوى الله في سِرّك وجَهْرك، ومراقبته في قولك وعملك، وابتغاء رضاه في مختلج خطراتك وفكرك، واتّباع طاعته في مخارج أمرك ونَهْيك. وقابلْ ما أنعم به عليك، وأحسن فيه إليك بالشكر الذي موقعه من النِّعْمة موقع القِرى من أمير المؤمنين الضيف إنْ وجده لم يذم، وإنْ فقده لم يقم. وامدد على مَن وليت عليه من الخاصّة والعامّة ظلّك، ووَطِئ لهم كنفك، واغمرهم بطولك. وسُسْهم سياسةً يكون بها صَلاحُهم مَضْموناً، وحَريمُهم مَصوناً، وبلادُهم معمورةً، ومنافعُهم موفورةً، وحلبُهم دارّاً، وعيشهم رغداً، وثغورُهم مسدودةً، وأعاديهم مذودةً، ومسالكُهم محميةً، ومساكنهُم مرعية. ومُرْهم بالمعروف، وانْهم عن المنكر، وابعثهم على الحسنات، واكففهم عن السّيئات. وساو في الحقّ بين شريفهم ومشروفهم، وقويّهم وضعيفهم، وقريبهم وغريبهم، ومِلّيهم وذِمّيهم. وقوّم سُفهاءهم وجُهالهم، وانفِ دُعّارهم وخُرّابهم، وأكرم صُلحاءهم وحُلماءهم، وشاور فُضلاءهم وعُقلاءهم، وجالس أدنياءهم وأعلياءهم، ورتّبهم مراتبهم، ونزّلهم منازلهم، وأرهم تمسّكك بالدِّين؛ ليقتدوا بك فيه، ورغبتك في الخير؛ ليتقربوا إليك به. وخذ الحق وأعطه، وابسط العدل وقل به، وادرأ الحدود بالشبهات واقمعها، وأمضها بالبيِّنات؛ لتكون الرغبة إليك في رهب، والرهبة منك في رغب. وبالجملة فاحمل النّاس على كتاب الله - جلّ وعزّ - وآدابه وسُنّة الرسول وما جاء به.

واعلم أنّ أمير المؤمنين قد جعل كتابه هذا عَهْداً إليك، وحجّةً لك وعليك، وأنّ الأوامر والنواهي في العهود تكون كثيرة، وإنما قصر فيه عن استيفائها لارتفاع طبقتك عن الحاجة إلى استقصائها، وللخروج إلى الله من الحق في تضمينه هذه الجمل منها. فإذا وَصَل ذلك إليك مع كرامات أمير المؤمنين المقدّم ذكرها لك، فالبسْ خِلَعه، وتقلّد سيفه، وتحلّ بحلاه، وابرز لمن يليك على حُمْلانه، وأظهر لهم ضُروب إحسانه وامتنانه، وانصبْ أمامك اللّواءين، وتكنّ وتلقّب اللّقبَيْن، وكاتب من طبقات النّاس مُتَلقِّباً بهما مُتكنِّياً إلّا أمير المؤمنين، فإنّ الأدب أنْ لا تكاتبه مُتلقِّباً، بل مُتَسمِّياً وليس ذلك ناقصاً لك فيما أعطيته، ولا مرتجعاً شيئا ممّا حبيته، ولكنه الأمر بالمعروف، والرسم المألوف.

وصِلْ ما بينك وبين أخيك صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة - أدام الله الإمتاع بكما - بالمَودّة كما وَصَله الله بالأخوّة، وكونا جميعاً يداً في طاعة أمير المؤمنين، واستقيما على كلمةٍ سواء في رعاية المسلمين، واتّفقا[1] على مسالمة المسالمين، وتعاضدا في محاربة المحاربين، فإنّ ذلك أرأب للصدع، وأضمّ للنشر، وأنظم للشمل، وأليق بالأهل.

وأقم الدّعوة لنفسك على منابر الممالك بعد إقامتها لأمير المؤمنين، وكاتب أمير المؤمنين بأخبارك، وطالعه بآثارك، واستدع أمره فأمَرهُ فيما استعجم من التدبير عليك، ورأيه فيما استبهم من الأمور دونك، واسترشده إلى الحظ يرشدك، واستهده في الخطوب يهدك، واستمده من المعونة يمددك، واشكر آلاءه يزدك إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) مآثر الإناقة: افتقا.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى أبي الفَوارس حَسْنُوَيْه بن الحسين الكُرْدي[1]

كتابُنا -أطال الله بقاءك- وأمورُنا جاريةٌ على أحسنِ ما عوَّدَ الله فيها استقامةً وانتظاماً، واطِّراداً والتئاماً، والحمدُ لله حَمداً يقضي حَقَّه، ويقتضي مزيدَه.

وقد عَرَفْتَ ما أجرَى إليه سُبُكْتِكين حاجبُنا من العِصْيانِ والغَدْر، وغَمْطِ النِّعْمة

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة. (بن الحسين الكُرْدي) من ج فقط.

حَسْنُوَيْه بن الحسين البرزيكاني، كان أميراً على جيش من الأكراد البرزيكان يسمون البرزينية. وكان خالاه ونداد وغانم ابنا أحمد أميرين على صنف آخر منهم يسمون العيشانية، وغلبا على أطراف نواحي الدينور، وهمذان، ونهاوند، والصامغان، وبعض أطراف أذْرَبَيْجان إلى حد شهرزور نحو خمسين سنة. وكان يقود كل واحد منهما عدة ألوف، فتوفي غانم سنة ٣٥٠هـ، فكان ابنه أبو سالم ديسم بن غانم مكانه بقلعته قسان، إلى أن أزاله أبو الفتح بن العميد، واستصفى قلاعه. وتوفي ونداد بن أحمد سنة ٣٤٩هـ، فقام مقامه ابنه أبو الغنائم عبد الوهاب إلى أن أسره الشاذنخان (صنف من الأكراد) وسلموه إلى حَسْنُوَيْه، فأخذ قلاعه وأملاكه. وكان حَسْنُوَيْه، حسن السياسة والسيرة، ضابطاً لأمره، منع أصحابه من التلصص، وبنى قلعة سرماج. افترق أولاده من بعده، فبعضهم انحاز إلى فَخْر الدَّوْلة، وبعضهم إلى عَضُد الدَّوْلة، وهم أبو العلاء، وعبد الرزاق، وأبو النجم بدرٌ، وعاصم، وأبو عدنان، وبَخْتِيار، وعبد الملك. وكان بَخْتِيار بقلعة سرماج ومعه الأموال والذخائر، فكاتب عَضُد الدَّوْلة ورغب في طاعته، ثم تلون عنه وتغير، فسير عَضُد الدَّوْلة إليه جيشاً فحصره وأخذ قلعته، وكذلك قلاع غيره من إخوته، واصطنع من بينهم أبا النجم بدر ابن حَسْنُوَيْه، وقوّاه بالرجال، فضبط تلك النواحي، وكف عادية من بها من الأكراد، واستقام أمره. توفي حَسْنُوَيْه سنة ٣٦٩هـ بسَرْماج. انظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٣٠٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٧٠.

تتعلّق هذه الرسالة بعصيان سُبُكْتِكين الحاجب على عِزّ الدَّوْلة سنة ٣٦٣هـ، وتقليد حَسْنُوَيْه ما كان بيد سُبُكْتِكين.

والكُفر، ومُجازاةِ ذلك الصَّنيع من مَوْلانا الأمير السَّيِّد رُكْن الدَّوْلة، والأمير السَّعيد مُعِزّ الدَّوْلة -أحسَنَ الله مثواهُ- ومنّا باطِّراحِ الحقوق، والمبالغَةِ في العُقوق، وتَسْويلِهِ لنفْسِهِ الأمرَ، الذي دُونَ حصُولِهِ له واستقرارِهِ، فيه سُخطُ الله المشتمِلُ عليه، وجُيوشُنا المحيطَةُ به. وكان انتهَزَ الفُرصَة في بُعدِنا إلى الأهْواز، وتَغنَّمَ وَحْشةً جَرَتْ بين الدَّيْلَم والأتراكِ، وأظهَرَ المخالفة، وأبدَى صَفْحةَ المكاشَفة، وتوثَّبَ على مَواليهِ وُثوبَ مِثْلِه ممّن لم يَرْعَ عَهْداً ولم يحفَظْ ذِماماً، ولم يَرهَبْ عاقِبةً تُرْدِيه ولا مقاماً يُـخْزيه، فأحرَقَ المنـازِلَ، وتتبَّعَ الأسبـابَ، وأثَّرَ الآثارَ التـي نحنُ -بإذنِ الله- نَستدرِكُهـا ونَتلافاها، ونُعَفّي عليها حتى لا يبقَى منها إلّا القَباحَةُ العَائدةُ عليه، والعارُ المنسوبُ إليه، وبالله نستعينُ وعليه نعتمِد، وإليه نلجَأُ وبه نعتضِد، وهو حَسْبُنا ونِعْم الوكيل والظَّهير، والمولَى والنَّصير.

ولما عرَفْنا خَبرَهُ في عَظيمِ ما ارتكب، ووَخيمِ ما احتَقَب، سِرْنا إلى واسِط، وكتَبْنا إلى مَوْلانا الأمير السَّيِّد رُكْن الدَّوْلة، والأميرَيْن: عَضُدِها ومؤيِّدِها، بشَرْحِ الصّورة، والْتِماسِ العُدَدِ والمعونة، استظهاراً في الأمر، وأخْذاً بالحَزْم، وإبانةً للعَدُوِّ والوليِّ ما نحنُ عليه من التّصافي والتّآلف، والتّوازُر والتّكانُف، وأنّ بعضَنا لا يَقْعُد عن بعض عند كلّ مُلِمَّةٍ تُلِمُّ، وإنْ أغناهُ فيها التفرُّد، وكُلِّ نائبةٍ تَنُوبُ وإنْ كفاهُ في دَفعِها التوحُّد، فتَوافَتِ الأجوبَةُ بأنّهم لنُصرتِنا ثائرون، وإلى ما قَبِلْنا سائرون.

وأوْجَسَ هذا المغرورُ خِيفةً في نفْسِهِ، وأيقَنَ بالإشفاءِ على حَتْفِه، وانتقَضَتْ مَرائرُ أمرِه، وخانَتْهُ عَزائمُ صَبرِهِ، ونَبتْ به مَواطِنُ أمرِه، وهَزَّتْه مَضاجِعُ سُكونِه، وصار بين ثَباتٍ لما أظلَّهُ يُورِدُهُ حِياضَ المنيَّة، أو هَرَبٍ منهُ يُفْضي إلى مَطارِح الذِّلة، ولله الإذنُ والمشيئةُ، وبه الحَوْلُ والقوَّة.

وقد أتانا ما أنتَ - أيّدك الله - عليه من الحمِيَّةِ والامتعاض، والاهتمامِ والارتماض، والتمسُّكِ بوثائقِ عُهودِنا، وعَلائقِ عقودِنا، والمنابَذةِ لعدُوِّ الله وعَدوِّنا، والبراءةِ منه لنا ومن أجلِنا. وفَعَل أبو القاسم عبد الرزّاق فَتاكَ مِثلَ ما فَعلْتَ، وأظهَر ما أظهَرْتَ، وبَذَل المصيرَ إلينا، والمُسابقَةَ إلى خِدْمتِنا، والكونِ في جُملةِ أوليائنا وأنصارِنا. وشاكَلَ ذلك ثِقتَنا بكما، وبَصيرتَنا في سَدادِكُما، وما[1] أبنْتُما به من الأُصولِ الطَّيِّبة، والأعراقِ النجيبة، والأديانِ المتقَنة، والمروءاتِ الحسَنة، واعتقَدْنا لكما وفيكما المجازاةَ الجميلةَ التي نحن نَسألُ الله التمكينَ منها، والإنهاضَ بها بمَنِّه.

وقد رَدَدْنا إليكَ عاجلاً جميعَ ما كان لنا في يد هذا الخائن، وقَلَّدناكَ من حَدِّ ماسَبَذان[2] وإلى حُلْوان، وفوَّضْنا إلى تَدبيرِكَ كُلَّ ما كان مُفَوَّضاً إليه ومُعتدًّا به عليه، وجَعَلْنا لكَ أنْ تَطرُقَهُ بنفسِكَ وخَيلكَ ورَجْلِكَ، ورَسَمْنا أنْ نُطلِقَ لكَ ولأصحابِكَ الذين تَستعينُ بهم على ضَبْطِ النّواحي، ولمن تُنفِذُه منهم إلى حَضرتِنا للخدْمَةِ ثلاثمائة ألفِ دِرْهَم من عُرْضِ الارتفاع، ونحنُ نُنفذُ على إثرِ كتابِنا هذا عامِلاً يُوَفِّيكَ ذلك، ويتصَرَّفُ في تدبيرِ الأعمالِ وتوفيرِ الأموالِ على تصرِيفِكَ، ويتَدبَّرُ في ذلك بتدبيرِكَ، إذ كُنّا مُعَوِّلينَ فيه على نظَرِكَ وتسديدِك، وتَوقيفِكَ وتعريفِك، ومُعاونتِكَ ومُعَاضَدتِكَ، فرأيُكَ في العملِ بما حَدَّدْناه، والانتهاءِ إلى ما رسَمْناهُ، والسُّكونِ إلى ما نحنُ عليه من الإحْمادِ والشُّكرِ لفعلِكَ، والثقة بِك، والميلِ إليكَ، ومُكاتَبتِنا بأخبارِكَ ومَجاري أُمورِك، وما يكون في هذا الأمرِ منك، وسائرِ ما نُراعي عِلْمَهُ من جِهتِك، مُوَفَّقاً إنْ شاء الله.

---

(١) إضافة لازمة.

(٢) كورةٌ ببلاد الجبل. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٤١.

وكَتَب عن الطّائع لله بتقليد أبي الفَوارس حَسْنُوَيْه بن الحسين الكُرْدي الرئاسة على جميع الأكراد الشوهجان وغيرهم في سائر الأمصار والبلدان في شعبان سنة ستٍّ وستّين وثلاثمائة[1]

من عبدالله عبد الكريم الإمام الطّائع لله أمير المؤمنين

إلى حَسْنُوَيْه بن الحسين

سلامٌ عليك، وأنّ أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، ويسأله أنْ يصلّي على عبده ورسولِه مُحمّدٍ صلّى الله عليه وسلَّم. أما بعد،

فإنّ أمير المؤمنين إذا تصفّح مذاهب نظرائك من أوليائه الذين تعلّقوا بالأطراف، واستوطنوا في الأكناف، وكانت مراكز استقرارهم، ومواضع استخدامهم بحيث تبعد عن الرؤية، وتعترض ....[2] الشُّقة وحدك، أحمدهم أمراً، وأطيبهم ذكراً، وأسدّهم فعلاً، وأحسنهم اختياراً. لا نقيسك في ذلك بباقٍ منهم موجود، ولا بسابقٍ

(١) طهران. (ست وستّين قراءة اجتهادية، فقد كتبها الناسخ في الأصل بشكل لا يمكن قراءتها، وحتى ثلاثمائة كتبها لمماية).

حينما سار عَضُد الدَّوْلة إلى العراق لمحاربة ابن عمه عِزّ الدَّوْلة، حاول عِزّ الدَّوْلة استمالة الأقطاب السياسية المحيطة، ومنهم حَسْنُوَيْه الكُرْدي، فكاتبه. انظر تفصيلات ذلك عند: مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٤١٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٤٥ وما بعدها.

(٢) كلمة غير مقروءة.

مفقود، إلّا كنتَ أسلم دَخيلة، وأجمل سيرة، وأطيب طُعمة، وأعفّ سريرة، وأوفر حظّاً من نزاهةٍ وظَلَف[١]، وأطهر جَيْباً من دناءةٍ ونَطَف[٢]، وأقوم بحفظ الوَديعة، وأنهض بحمل الصَّنيعة، وأولى بأنْ يُسدى العرفُ إليه، وتعذب ثمرةُ غَرْسه لديه.

وكان لا يزال مع ذلك عِزّ الدَّوْلة أبو منصور ابن مُعِزّ الدَّوْلة أبي الحسين مَوْلى أمير المؤمنين، ووزير أمير المؤمنين ووزيره نَصير الدَّوْلة النّاصح أبو طاهر يُنهيان إلى أمير المؤمنين تحلِّيك بالطّاعة، واختلاطك بها مع الجماعة، وذهابك بنَفْسك ودينك عن الدّخول في جملة الأعداء، والخروج من زمرة الأولياء؛ حتى استحققتَ بتلك المخيلة السابقة، وأمير المؤمنين فيك وبهذه التمهيدات الممكنة لأسبابِك وأواخيك....... [٣] بك على الأضراب والأبرار، على الأتراب وتقدّم القدم على كلّ مَن كان من الأكراد نسبُه، ومن شحمتهم ولحمتهم مركبُهُ.

ورأى أمير المؤمنين تقليدَك رئاسة أفاريق الشوهجان على أصنافها، وطبقات الأكراد كلّها على اختلافها، وأنْ يجعلك لهم عظيماً، وبأمرهم زعيماً، وعلى جماعتهم مهيمِناً، ولأمورهم مُدبِّراً، ليكون المطيعُ[٤] لك فيهم مطيعاً لله تعالى ولرسولِه صلّى الله عليه وسلَّم، ولخليفته في أرضه. والمخالفُ عليك مخالفاً لهم، وخارجاً عن عِصْمتهم، وبريئاً من ذمّتهم.

وأمر عِزّ الدَّوْلة أبا منصور مَوْلى أمير المؤمنين – أمتع الله به – أنْ يتناولك بضُروب

---

(١) ظَلَف الرجل نفسه: منعها عن هواها، فهو رجلٌ ظَلَف. ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٣١ (ظَلَف).

(٢) النَّطَف: العيب والريب. ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٣٣٤ (نطف).

(٣) كلمة غير مقروءة.

(٤) في الأصل: المطع.

التَّكْرِمة خاصّاً لك بها، ومتابعاً إليك مددها، وأنْ يعتمدك لهم الخدمة، ويستنهضك المراماة عن الحوزة، ويجريك مجرى أكابر مَن تُحمى به البَيْضة، وتُستمدّ منه المعونة، ويُهاب به إلى الاستكفاء ممّا يعرض، والاستدفاع لما ينوب.

واعتقد أمير المؤمنين إذا ازداد بصيرةً فيك بزيادة ما يظهر له من جميل مَساعيك أنْ يَشفع ذلك بكراماتٍ تكون .... [1] عنه، .... [2] منه؛ فتولَّ ما ولّاك أمير المؤمنين من ذلك بصدرٍ منشرح، وأملٍ في استمراره منفسح، واعتنقه اعتناقاً يبين به أثرك في الأخذ على يد الدّاعر، والتنكيل بالفاجر، واقفاً في حكم الله وحدوده في .... [3] على عباده، والمفسدين في بلاده. واحْمِ السّابلة المارّة، والرّعيّة القارّة، وجماعة مَن شملته ولايتُك، وضَمّته كَنافتك، حمايةً تعود عليك بنباهة الذكر، ونجابة القدر، واستحقاق الجزاء من رَبّ العالمين، والتقدّم في نفس أمير المؤمنين. ولتكن همّتك[4] إلى أوامر عِزّ الدَّوْلة أبي منصور ونَواهيه مَصْروفة، وعَزائمك على مُوالاته ومُشايعته مَوْقوفة، فالمحمودُ عند أمير المؤمنين مَن أحمده، والمذمومُ مَن ذمّه، والقريبُ مَن قرّبه، والبعيدُ مَن بعّده، والسلام عليك.

وكَتَب نَصير الدَّوْلة النّاصح أبو طاهر يوم الخميس لثلاث ليالٍ بقين من شعبان سنة ستٍّ وستّين وثلاثمائة[5].

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) كلمة غير مقروءة.

(٣) كلمة غير مقروءة.

(٤) في الأصل: هتك.

(٥) التاريخ في الأصل في غاية الصعوبة ولا يمكن قراءته.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى حَسْنُوَيْه بن الحسين[١]

كتابُنا عن سَلامةٍ والحمد لله حقّ حمده، والأحوالُ بيننا وبينك فيما مكّن الله من أسبابها، وثبّت من أطنابها، وقرّر من أُصولها، وأطال من فُروعها موجبةٌ لأن يكون محلُّك من السُّلْطان المحلّ الأجلّ الأسنى، وحظُّك من الدَّوْلة الحظّ الأجزل الأوفى، وأنْ يبين معهما لمن قَرُب وبَعُد أثر المزيد لك، والعزّ والنِّعْمة، والبَسطة والقُدرة، والله يعيننا على ما نعتقده من ذلك، ونسأله الإنهاض به، وأنْ يصل ما بيننا وبينك بأحسن ما اتّصلت به الأسباب، واجتمعت عليه القُلوب، بقُدْرته.

وكنّا ذكرنا لأمير المؤمنين في عرض ما ننهيه ونطالعه به موقعك من الطّاعة والبصيرة، والإخلاص والنّصيحة، وإنافة قُدرتك على الأكراد جميعاً، واستحقاقك أنْ تكون عليهم متولّياً بتلك الفَضائل المجتمعة لك، وبالوَصائل المستحدَثة بيننا وبينك، وسألناه تقليدَك أزمّة أمور أحيائهم وصَعاليكهم، وكلّ مَن تفخّذ وتفرّق من قبائلهم وشُعوبهم في مَشارق الأرض ومغاربها، وسَهْلها وجَبلها غير مُستثنى شيءٌ من ذلك عليك، ولا معدول به عنك؛ فتطوّل - لا سَلَبني الله ظلّه - بالإجابة إلى مُلتمسنا، والإسعاف بسؤالنا، وخرج أمره العالي بذلك خروجاً امتثلناه واحتذيناه، وكُتب لك من ديوان الرّسائل بما هو الحجّة والوثيقة، وأضفنا هذا الكتاب إليه ليعلم معه أنّا مُولُّوك ما تَولّيت، ومُمْضون لك ما تقلّدت، فرأيك في علم ذلك، والعمل بحسبه، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) طهران.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى أبي الفَوارس حَسْنُوَيْه[١]

كتابُنا، وأحوالُنا جاريةٌ في الانتظام، وعلى أجمل العادة، ولله على ذلك حَمْدٌ يقتضي المزيد والإدامة، وأنت معروفٌ بالحزم والتّحصيل، والرّأي الصّحيح الأصيل، مشهورٌ بإيثار ما جملك في زمانك، وحرسك عند سُلْطانك، خليقٌ بأخلاق ذوي التّجربة والحِنْكة، بعيدٌ من مذاهب أهل الرفع والغرارة.

وقد سبقت للأمير رُكْن الدَّوْلة عندك الصَّنيعة الجسيمة، وتوكّدت لك عنده العِصَم القديمة، وصرتَ معدوداً في خَواصّ هذه الدَّوْلة - حرسها الله - وأوليائها، ومحسوباً من ثِقاتها وأصفيائها. وواجبٌ على مثلك أنْ يتحرّز من معابٍ تتطرّق عليه، ويتحفّظ من شناعةٍ تُنسب إليه، إذ كانت المعابة لك إذا جَرَرْتَها على نفسك، واسْتَحْقَقْتَها بتقصيرك، إنّما تقع بحسب موقعك، وتتناهى إلى حدّ منزلتك، لأنّ مَن توفّر لُبّه توفّر التكليف له، ومَن أونس رشده أوحش المنكر منه.

ونرجوا أنْ تكون محامياً على ذكرك أنْ يدنس، وجاهك أنْ ينقص، وحالك عندنا أنْ يتشعّث مَلْمومها، أو يعوجّ مُستقيمها، والله يحسن توفيقك، ويسهّل إلى الصّواب طريقك، بقُدْرته.

وكان كتابك وَرَد علينا جواباً عمّا كاتَبْناك به في أمور أعمالِ أخينا أبي نَصْر سُبُكْتِكين الحاجب الإسْفَهْسَلار[٢]، وبعثناك عليه من المناب عنه فيها، والتقرُّب إلينا

---

(١) طهران. (العنوان فيها: وله عنه إلى أبي الفوارس بن حسنويه) خطأ.
هذه الرسالة صدرت قبل فتنة سُبُكْتِكين.

(٢) في الأصل: الاصفهسلار.

وإليه بترفيهها، وأنْ تكفّ ولدك وأهلك وعشيرتك، ومَن تحويه جهتك، وتحوزه جنبتك، عن تطرُّف حُدودها، وتطرُّق سُبُلها، أو التعرُّض لأهلها من بين قاطنٍ نازل، ومجتازٍ سابل، تنكر فيه كلّ فعلٍ خالف إرادته، وفارق طاعته، وتعتدّ بكلّ جميلٍ يحظى لديه، ويزلف عنده، وتصف ما لا تزال مستعمله من الذَّبّ عن الأعمال، والوُقوف عند الحدود، وحُسْن العشرة والمجاورة، وصَوْن الرّعيّة القارّة والمارّة، وتعدنا بالمزيد من كلّ ما يُحمد ويُشكر، والتجنّب لكلّ ما يُذمّ ويُنكر، وتسأل ألّا نصغي فيك إلى طَعْن طاعن، ولا غَمْز غامز، وألّا نفارق الثقة بك التي أنت متمسِّكٌ بعَلائقها، وملتزمٌ بشَرائطها، فأجبناك عن ذلك الجواب بالتّصديق والقبول منك، وقررنا في نفسك أنّ رضا أخينا أبي نَصْر الإسْفَهْسَلار[١] يُرضينا، وسُخْطه يُسخطنا، وإحْماده واستبطاءه يجرّ استبطاءنا، وأنّا لا نُغضي على ما يؤلمه، ولا نصفح عمّا يتوجد منه. فبَيْنا نحن نتوقّع أثراً في هذه الخدمة، يُحقّق قيلك، وتلافياً لسالف الشكوى يُصحّح دليلك، إذ عرّفنا أخونا أبو نَصْر الحاجب الإسْفَهْسَلار وُرود الصَّريخ، واتّصال الضَّجيج، من مُفارقتك أعمالَك إلى أعماله، وتجاوزك حُدودَك إلى حُدوده، وتعرّضك لمعامليه من الأكراد الشّاذنجان واللّريّة والبشاورة وغيرهم من أهل إقطاعاته، وأنّ بَدْراً فَتاك - وَهَب الله لك صَلاحه ورَشاده - أقدم على قَتْل قاضي السِّيرَوان[٢] وجماعةٍ من أهلها، ونَهْب داره ودُورهم، واستباح حريمه وحريمهم، واستجاز فيهم ما لا يستجيزه المؤمن في الكافر؛ فساءنا ذاك وأهمّنا، وأقلقنا وأزعجنا، وأفضى بنا إلى نهاية الامتعاض، وأصارَنا إلى غاية الارتماض، لما فيه من عظيم الوِزْر، وشَنيع الذكر، وانخراق الهَيْبة، واستمرار المضرّة. فلو لم تنكر الفَساد

(١) في الأصل: الاصفهسلار.

(٢) من كور الجبل. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٩٦.

الدّاخل على أخينا أبي نَصْر، والمعرّة اللّاحقة لنواحيه، لَوَجب أنْ تنكره لله - تقدّست أسماؤه، وجلّت كبرياؤه - إذ كان تمهيدُه لنا في الأرض، وتمكينُه إيّانا من البَسْط والقَبْض يسألنا غداً عن هذه الدِّماء المسكوبة، والرّعيّة المسلوبة، والمحارم المرتكَبة، والمآثم المحتقَبة.

ومثلُك مَن حاسَب نفسَه وناقشَها، وأعطى الحقّ منها كما يطلبه لها، وتأمّل عَواقب أموره ومَباديها، وجمع في نظره بين تَواليها وهَواديها، وعَلِم أنّه لا مخلص له في دينٍ ولا دُنيا، ولا آخرةٍ ولا أولى، من أيسر ما حُكي عنه، وأدنى ما شُكي منه، وأنّ صبرَ مَوْلانا الأمير رُكْن الدَّوْلة وصَبْرنا يقلّان على أنْ يتأذّى ولده وأخونا الحاجب الإسْفَهْسَلار[1] هذا التأذّي المتّصل، ولا بد من أنْ نشرع في حَسْمه بالكُتب ما انتفع بها، وبالكتائب إن احتيج إليها، ونعود بك من أنْ تجنح بك مركبُ هَواك، وتخرجك نُصْرة فَتاك إلى حالٍ تُهْجنك عندنا، وتزيلك عن ثقتنا، وتقتضينا فيك ما نؤثر غيره، ونعتقد ضدّه.

وقد جعلنا هذا الكتاب عُذراً بيننا وبينك، وأنفذنا به أبا فلان وأملنا أنْ تنتبه من الغَفْلة التي غشيت غواشيها، وكانت الدالّة أقوى الأسباب فيها؛ فترجع إلى ما أنت أحرى بالرّجوع إليه من خدمة الأمير رُكْن الدَّوْلة وخدمتنا، وخدمة أخينا الحاجب الإسْفَهْسَلار في هذه الأعمال التي تضرّك عندنا، بأنْ تفسد وتشغر، وينفعك أنْ تصلح وتعمر، وأنْ تُبادر إلى رَدّ المأخوذ من دار القاضي المقتول، ودُور غيره من أهل ناحيته عن آخره، وتنْتزع ما حصل في ذِمّة كلّ قريبٍ وغَريب منه، وتعيده إلى أبْدى مُستحقّيه، إعادةً يقف عليها أبو فلان، وترد كُتب العُمّال بها، وتنتقل إلى عَمَلك عن المواضع التي دلفتَ إليها، وهجمتَ عليها، وتأخذ على وَلدك أخْذاً يزينك ويؤمنك من مقارفته ذنباً

---

(١) في الأصل: الاصفهسلار.

آخر يشينك، ويستأنف الكفّ عن الحدود، وتعود من سَدادك وجميل اختيارك إلى المعهود، فإنّ كتابنا نفذ إلى حضرة الأمير رُكْن الدَّوْلة بما يوجب أنْ يكتب بمثل ما كتبنا، وتكون نيّته في هذا الأمر مثل نيّتنا، فرأيك في العمل بذلك، مُوَفَّقاً إنْ شاء الله تعالى.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى أبي الفَوارس حَسْنُوَيْه[١]

كتابُنا يومَ كذا ووقتَ كذا، وفي غَداتِه سِرْنا عن موضِع كذا بمَسيرِ أمير المؤمنين، على أفضلِ أحوالِ السَّلامة الشّاملِة، والاستقامةِ المتكاملِة، والله المشكورُ على جميع الأُمورِ، والمسؤولُ حُسْنَ الاختيارِ لنا فيما تتصرَّفُ الأقدارُ فيه.

وقد صَدرَتْ كتبُنا إليكَ بمُفاوضاتٍ شافية، ومُطالعاتٍ مشروحة، ولم نترُكْ شيئاً تقتضي الحال بيننا وبينَك الخروجَ به إليكَ، والتعويلَ فيه عليك، إلّا ذكَرْناهُ ولخَّصناهُ، ونرجوا أنْ يكون ذلك قد وَصَل، وألّا يتأخَّرَ الجوابُ عنه بإذن الله.

ولما وَرَدتِ الأخبارُ بما يوجِبُ المسيرَ، سارَ مَوْلانا أميرُ المؤمنين، وسِرْنا أمامَهُ في العساكِرِ المتكاثفةِ، والجيوشِ المتوافِرة، وجعَلْنا شِعارَنا تَقْوى الله وإيثارَ طاعَتِهِ، واجتنابَ البغْيِ، وتنكُّبَ محَجَّتِه، وتنجُّزَ عادتِه، في نُصرةِ هذه الرّاية، التي لا عِصْمةَ من فارَقَها، ولا ديانَةَ لمن تحزَّبَ عَليها، وفي إنزالِ رحمتِه على مَن كان عن حريمِ المسلمين دِفاعُه، وفي طاعةِ إمامِهِمُ اجتهادُه.

وكنّا منذ وَصَل إلى مَوضِع كذا نُجاريهِ ذكْرَك، ونَصِفُ له ما تأكَّدَ بيننا وبينك، وأنكَ بالدِّيانة التي نعتقِدُها، والمعرفةِ التي تَرجِعُ إليها، نابٌ من أنيابِهِ، وكافٍ من كُفاتِه، وأنّ بَصيرتَك وبصيرةَ أحِبّائكَ وذوي طاعتِك ثاقبةٌ في الذبِّ عن الدَّوْلة،

---

(١) طهران، ليدن.

لعلّ هذه الرسالة صدرت خلال الصراع بين عِزّ الدَّوْلة وعَضُد الدَّوْلة. وكان عِزّ الدَّوْلة يخطب ود القوى السياسية المحيطة، ومنهم حسنويه، وذلك سنة ٣٦٦هـ. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٤٥.

والمحاماةِ عن الحوْزة، واستدعَيْنا لك تَقْليداً على الأكرادِ جميعاً، في مشارقِ الأرضِ ومَغارِبها، يصيرُ به الدّاخِلُ في جُملتِكَ سعيداً رشيداً، والخارِجُ عنها عاصياً خالِعاً؛ فتفَضَّلَ بذلك، وشَرَّفَكَ به، وأهلَّكَ لهُ، وكاتَبكَ في معناهُ بما يَصحَبُهُ كتابنا هذا، وهو مُقَدِّمةٌ لما يَتْلوهُ من تمكينِكَ وتعظِيمِك، وتفخيمِ قَدرِك، والإنافةِ بمحلِّك، وأضَفْنا إليه من مَبارِّنا ما سَلْكنا فيه سَبيل المُلاطفةِ التي لا تعمُّلَ معَها، ولا تصنُّعَ فيها.

وأورَدْنا إليكَ فلاناً كاتبَكَ، وأخرَجْنا معه ثقتَنا فلاناً، وحمَّلناهما ما يَذكُرانهِ ويُؤدِّيانه، ومثلُكَ -أيّدك الله- مَن حافظ على دِينهِ وأمانتِهِ وعَهْدِه، ولم تأخُذْهُ في طاعةِ الله ورَسُولِهِ وإمامِهِ لومَةُ لائم، ولم تقِفْ فيها مَوقِفَ مُقَصِّرٍ ولا مُعذِر، وقد شَدَدْنا أيدَينا عليك، وأحكَمْنا العلائقَ والوثائقَ بيننا وبينَك، وصارَت الخُلْطةُ تجمَعُكَ إلينا، والدَّوْلة تصِلُكَ بنا.

والواجب، مع مسِيرِ أمير المؤمنين ومَسيرِنا، أنْ تكونَ أوّلَ ناهضٍ بنفسِكَ، وباذلٍ وُسْعَك، فلا شيءَ أفضلُ من هذا السّعي، ولا أقربُ إلى الله جلّ وعزّ، وأنّه لجَارٍ مجرى الجهادِ، وإنّ الله لمُضْعِفٌ به حسَناتِك وحسَناتِ مَن ينهَدُ بنهُودِك، ويَسيرُ بمَسِيرِك.

فرأيك في المبادَرةِ ما أمكنَكَ واستطَعْتَ، مُقدِّماً لها غيرَ مُؤخِّرٍ ومجتهداً غيرَ مُقصِّر، فقد ضَاق الوقتُ، وأزِفَتِ المُناجَزةُ، وتقارَبتِ الجيوشُ. ومتى تأخَّرتَ -والعِياذُ بالله- عن ساعةِ الحاجَةِ إليك، حتى تكونَ مُوافاتُكَ بعد جوازِها، كان في ذلك ما تعلَمُهُ، والإجابةُ بما تَسكُنُ إليه من ذكْرِ حَركتِكَ، وصِدقِ بصيرتِكَ، ومَوقعِ ما أصدَرْناهُ إليك، وتنَجَّزناهُ لك، ومُكاتبةِ فلانٍ عاجلاً بالمَسِيرِ فيمَن معه حسَبَ ما كاتَبْناهُ به، والْتمسنا منك ومنهُ، مُوَفَّقاً إنْ شاء الله.

نُسْخة كتاب عن الطّائع لله
إلى صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة
عند القبض على أسْفار بن كَرْدُوَيْه الكُرْدي الخارج عن الطّاعة
شاكراً همّته في ذلك
في ربيع الأول سنة خمسٍ وسبعين وثلاثمائة[1]

من عبدالله عبد الكريم الإمام الطّائع لله أمير المؤمنين

إلى صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة أبي كاليجار بن عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة

مَوْلى أمير المؤمنين

سلامٌ عليك، فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، ويسأله أنْ يصلّي على مُحمّدٍ عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلَّم.

أما بعد أطال الله بقاءك، فإنّ أمير المؤمنين وإنْ كان قد بوّأك المنزلة العليا، وأنالك من أثرته الغاية القصوى، وجعل لك ما كان لأبيك عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة – رحمة الله عليه – من القدر والمحلّ، والموضع الأرفع الأجلّ، فإنّه يوجب لك عند بَذْلك أثراً يكون لك في الخدمة، ومقامَ حَمْدٍ تقومه في حماية البَيْضة، إنعاماً يظاهره، وإكراماً يتابعه ويواتره، والله يؤيّدك من تَوْفيقه وتَسْديده، ويمدّك بمعونته وتأييده، ويخير لأمير

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص٣٨٢، ج٨، ص٣٤٢؛ مآثر الإنافة، ج٣، ص٢٥٤. وعلّق عليه في صبح الأعشى قائلاً: «وليس فيه تكنية للخليفة». لكن الاسم ورد في كتابَيْ القلقشندي: كردويه دون (أسْفار بن)! انظر تفصيلات خروج أسْفار بن كردويه عند ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٠٨.

المؤمنين فيما رأيه مستمرٌّ عليه من مزيدك وتمكينك، والإبقاء بك وتعظيمك، وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله، عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

وقد عرفتَ - أدام الله عزك - ما كان من أمر أسْفار بن كَرْدُوَيْه كافر نعمة أمير المؤمنين ونعمتك، وجاحد صَنيعته وصَنيعتك، في الوثبة التي وثبها، والكبيرة التي ارتكبها، وتقريره أنْ ينتهز الفرصة التي لم يمكنه الله منها، بل كان من وراء ذلك دفعه وردّه عنها، ومعاجلتك إيّاه الحربَ التي أصلاه الله نارها، وقنّعه عارها وشَنارها، حتى انهزم والأوغاد الذين شركوه في إثارة الفتنة على أقبح أحوال الذلّة والقلّة، بعد القتل الذَّريع، والإثخان الوَجيع؛ فالحمد لله على هذه النِّعْمة التي جلّ موقعُها، وبان على الخاصّة والعامّة أثرها، ولزم أمير المؤمنين خصوصاً والمسلمين عموماً نشرها والحديث بها، وهو المسؤول إقامتها وإدامتها برحمته.

وقد رأى أمير المؤمنين أنْ يجازيك عن هذا الفَتْح العظيم، والمقام المجيد الكريم، بخِلَعٍ تامّة، ودابّتَيْن ومركبَيْن ذهباً من مراكبه، وسيفٍ وطوقٍ وسوارٍ مُرصَّع؛ فتلقّ ذلك بالشكر عليه، والاعتداد بنعمته فيه، والْبس خِلَع أمير المؤمنين وتكرمته، وسِرْ من بابه على حُمْلانه، وأظهر ما حباك به لأهل حضرته؛ ليعزّ الله بذلك وليّه ووليك ويذلّ عدوّه وعدوّك إنْ شاء الله تعالى والسَّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكَتَب أحمد بن مُحمّد لثمانٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلثمائة. أطال الله بقاءك، وأدام عزّك، وأحسن حفظك وحياطتك، وأمتع أمير المؤمنين بك، وبالنِّعْمة فيك وعندك[1].

---

(١) (وكتب........ وعندك) من صبح الأعشى فقط.

نُسْخة عَهْدٍ عن الطّائع لله
لعليّ بن أحمد بن الفضل الهاشمي
بتَقْليد الصّلاة بحاضرة بغداد
في ربيع الأول سنة أربعٍ وستّين وثلاثمائة[١]

هذا ما عَهِد عبدالله ووليّه[٢] عبد الكريم الإمامُ الطّائع لله أمير المؤمنين
لعليّ بن أحمد بن الفَضْل بن عبد الملك الهاشميّ

حين قلّده جميع ما كان يتقلّده أخوه عبد الواحد بن الفَضْل[٣] من الصّلاة بجانبي مدينة السَّلام وما يتّصل بهما من الأعمال بسَقْي الفرات[٤] والنَّهْرَوانات وسائر ما كان داخلاً في تَقْليده من النّواحي والأمصار القريبة والبعيدة وطريق خُراسان والرّاذانَيْن وقرّر أمْره[٥]، سُكوناً إلى دينه وأمانته، وثقةً بنزاهته وصيانته[٦]، وصلةً لرحمه[٧] ونسبه، ورجاءً لاستقلاله ووفائه، وتقريراً لاضطلاعه وغَنائه. وأمير المؤمنين يسأل حُسْن تَسْديده في ذلك في جميع آرائه التي يرتئيها، وعَزائمه التي يمضيها، وأنْ يقرنها

(١) طهران، القلقشندي، مآثر الإنافة، ج٣، ص١٧٠.

(٢) ليست في ط.

(٣) (بن الفضل) ساقط في ط.

(٤) سَقْي الفرات ودجيل في مناطق غربي دجلة. انظر تقسيماتها عند: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٣٨٣؛ قدامة، الخراج، ص١٦١.

(٥) (وقرر أمره) ساقط في ط.

(٦) ط: وطهارته.

(٧) تنقطع هنا ط.

بالصَّلاح، ويتولّاها بالنجاح، وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

أمَرهُ بتقوى الله في سرّه وجَهْره، والمراقبة له في قوله وفعله، وأنْ يجعل ذلك خلقاً له ودَيْدَناً، ويتّخذه منهاجاً وسَبباً، ويتحلّى لـه بالسَّكينة والوقـار، فـإنهما شـعار الأخيـار الأبرار الذين هم حقيقٌ بأنْ تُتَقبّل فِعالُهم، ويُحتذى مِثالُهم بما أسهم الله فيه مـن النّسـب الشّريف، وأهله من المفخر المنيف، الذي استحقّ به أمير المؤمنين ما فوّض إليه واعتمـد فيه عليه، فإنّ الله - جلّ ذكره - حضّ النّـاس عـلى التقـوى، ووَعَـدهم عليهـا القُربـة والزُّلفى.

وإنّها لحريّةٌ بالمؤمنين، خليقةٌ بعباد الله الصّالحين، ولا سِيَّما مَن رقى المنابر تمطياً لها، وافترعها خطيباً عليها، وكان إلى الله داعياً، وعن عبـاده مناجيـاً. وإذا اطّلـع الله - جـلّ وعزّ - منه على نقاء الصّدر، وسَلامة السـرّ، واسـتقامة الـدِّين، وصـحّة اليقـين، قَبِـل صَلاته، واستجاب دُعاءه، وأنهضه بما استُكفيه، وأعانه على أداء الأمانة فيه، وجمع بينـه وبين من صلّى خلفه، وقفا أثره، في فائض رحمته، وسـابغ مغفرتـه، وأحلّـه محلـة عبـاده الصديّقين، وأوليائه الصالحين، والله تعالى يقول، وقوله الحـق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

وأمَرهُ أنْ يسعى إلى ذكر الله عند وُجوب الصّلاة، ويـدخلها في حقـائق الأوقـات، ويقيمها على حُدودها وشُروطها، ويستوفيها على الواجب مـن مَفْروضـها ومَسْـنونها، مرتّلاً لقرآنه، مترسّلاً في تلاوته، جامعاً بـين نيّتـه ولَفْظـه، محترسـاً مـن مطـامح فكـره ولَحَظه، متجنّباً لجرائر غفلته وسَهْوه، متحرّزاً من عَوارض هَجْره ولَغْوه، مستظهراً على نفسه في طهارة جَوارحه، وتهذيب ما بين جَوانحـه. فـإنّ أفضـل التأهّـب للصّـلاة مـا

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

استوى باطنه وعالنه، وتوازن غائبه وشاهده، وليس بالطاهر عند الله مَن أفاض الماء على أطرافه، وجعل النجاسة حشو شغافه، ولكنه الجامع بين الأمرين، والفائز بكلتا الحسنيين، وأحقّ مَن قصد ذلك ونحاه، واعتمده وتوخّاه مَن اتّخذه المسلمون إماماً، وقدموه أماماً، وصار بينهم وبين الله وسيطاً، وعلى ما فوّضوه إليه من الصّلاة بهم أميناً، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾(٣).

وأمَرهُ أنْ يقيمَ الدّعوة على منابر حضرة أمير المؤمنين له خاصّة، وأنْ يقيمها على منابر باقي الأعمال النازحة عن مقرّه له، ثم لحامل الأعباء عنه، والوسيط بين جماعة الأولياء، وبين عزّ الدَّوْلة أبي منصور بن أحمد مُعِزّ الدَّوْلة(٤) أبي الحسين مَوْلى أمير المؤمنين ولوُلاة الأعمال بعده، الذين يُدعى لهم على منابر ما يتقلّدونه منها على العادة الجارية فيها، وإنّ هذه الدّعوة لازمة، والسّنة فيها مؤكدة، وهي فرعٌ مطّرد على أصل الطّاعة الواجبة على المسلمين جميعاً، إذ يقول جلّ اسمُه لهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٥)، والعائدة فيهم لأن الله تعالى إذا أصلح الولاة عليهم

---

(١) سورة الجمعة، الآية ٩.

(٢) سورة النساء، من الآية ١٠٣.

(٣) سورة العنكبوت، من الآية ٤٥.

(٤) في الأصل: أبي المنصور أحمد بن مُعِزّ الدَّوْلة.

(٥) سورة النساء، من الآية ٥٩.

أصلح المسرّة فيهم، وأنهضهم بما استرعاهم من أمورهم، وكذلك يفعل الله، أنّه سَميع الدّعاء، لطيفٌ لما يشاء.

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، وحجّتُه عليك، فاعمل به منتهياً إلى حدوده، ومتّبعاً لرُسومه، ومتأدِّباً بآدابه، وسالكاً على منهاجه، واستعنْ بالله يعنْك ويسدّدك، واستهده يهدك ويرشدك إنْ شاء الله تعالى.

نُسْخة عَهْدٍ عن الطّائع لله
لأبي الحارث مُحمّد بن موسى العَلَويّ الموسَويّ
بتَقْليد الصّلاة في جميع النّواحي والأمصار والأطراف[1]

هذا ما عَهِد عبدالله عبد الكريم الإمام الطّائع لله أمير المؤمنين
إلى مُحمّد بن موسى العَلَويّ

لما استكفاه النظر في نقابة الطّالبيين فكفاه، وتحمّل ذلك العبء فأغناه، وفات النّظراء في الاستقلال والوفاء، وبذّ الأمثال في الاضطلاع والغَناء، جامعاً إلى شرف الأحساب والأعراق شرف الآداب والأخلاق، وإلى كرائم المفاخر والمناقب مكارم الطّباع والضّرائب، على الحداثة من سِنّه، والغَضاضة من عُوده، مستولياً من البَراعة والنَّجابة، والفَراهة واللَّبابة، على التي لا يبلغها الشّيب المفارق، فضلاً عن البالغ المراهق، وغايات تنقطع دونها أنفاس المنافسين، وتتضرّم عليها أحشاء الحاسدين؛ لا سِيَّما وقد أطّت بأمير المؤمنين إليه شَواجن الأرحام، وعطفته على اصطناعه عَواطف الآباء والأعمام، واقتضت آثاره المحمودة، وطرائقه الرّشيدة، أنْ يناوبه على رتبةٍ لم يبلغها أحدٌ من ولد أبيه، ولم يفترع ذوائبها رجلٌ دونه؛ فقلّده الصّلاة بمدينة السَّلام في خمسة جوامعها: فأوّلها الجامع الداخل في حريم أمير المؤمنين، وجامع الرّصافة، وجامع المنصور، وجامع بُراثى، وجامع الكفّ الذى تولّى أبوه إشادته وعِمارته، وحسنت آثاره في إنشائه وإعلائه ؛ وحيث سَمَت همّته إليه، وبذل المجهود في إنفاق الأموال الدّثرة عليه ؛ واستنزل بذلك من الله أجزل إثابة المثابين، وأوفر أجر المأجورين، وجميع المنابر

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص٢٦٤.

في شرق الأرض وغربها، وبعيد الأقطار وقريبها. وأمير المؤمنين يسأل الله حُسْن التَّسديد في ذلك وسائر مَراميه، وجميع مطالبه ومَغازيه، وجواري هِمَمه التي يمضيها، وسرايا عَزماته التي ينويها، وأنْ يجعل النجاح قائدها وسائقها، والصّلاح أوّلها وآخرها؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

أمَرهُ بتقوى الله التي هي أحرز المعاقل، وأحصن الجنن عند النّوازل، وأعظم ملجأ يلجأ إليه، وآمن موئل يعوّل عليه، وأنْ يعتقدها في خلوته وحفلته، ويعتمدها في سرّه وعلانيته، ويجعلها سبباً يتّبعه، ولباساً يدّرعه، فينازع بها من نازعه، ويوادع بها مَن وادعه؛ فإنها أوكد الأسباب، وأوصل القرب والأنساب، وأولى النّاس بالتمسّك بحبلها، والاشتمال بظلّها، مَن كان بأجلّ المناسب تعلّقه، وبأشرف الخلائق تخلّقه؛ قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١].

وأمَرهُ بتلاوة القرآن، والمواظبة عليه والإدمان، والائتمار بما فيه من الأوامر، والازدجار عما تضمّن من الزّواجر، وأنْ يجعله الإمام المتّبع فيقفوه، والطريق المهيَع فيقصده وينحوه، فإنّه العلم المنجي من الغِواية، والدّليل القائد إلى الهداية، والنور السّاطع للظلام إذا أشكل مشكل، والحاكم القاضي بالحقّ إذا أعضل معضل، قال الله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢].

وأمَرهُ بتهذيب لبّه من جوامح الوَساوس، وتطهير قلبه من مطامح الهواجس، وأنْ يتوقّى اللّحظة العارمة، ويتجنّب اللّفظة المؤلمة، عاصياً جواذب الخلاعة، ومطيعاً أوامر النّزاهة، حتى يستوي خافيه وعالنه، ويتّفق ظاهره وباطنه فعال مَن جعله إمام

---

(١) سورة الأحزاب، من الآية ٣٣.

(٢) سورة فصلت، من الآيتين ٤١-٤٢.

المسلمين إماماً، وقدّمته الرّعيّة أماماً، وكان إلى الله داعياً، وله عن عباده مناجياً، وبينهم وبين خالقهم وسيطاً، وعلى ما قلّده من الصّلاة بهم أميناً، لتصحّ شروط صلاته، ويقبل مرفوع دعواته؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(١).

وأمَرهُ بالمحافظة على الصّلوات، وانتهاز فرصها من الأوقات، والدّخول فيها بالرّقّة والخشوع، والتوفّر بالإخبات والخضوع؛ وحقيقٌ على كلّ مُستشعرٍ شعار الإسلام، ومُتجَلْبِبٍ جلباب الإيمان، أنْ يفعل ذلك مُسْتوفياً شروطه، ومُسْتقصياً حُدوده ورُسومه، فكيف بمَن أقامه أمير المؤمنين مقامه في امتطاء غوارب المنابر وذراها، ونصبه منصبه في أَمّ الرّعيّة أدناها وأقصاها، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾(٢)، وقال: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٣).

وأمَرهُ بالسّعي في الجمع إلى المساجد الجامعة، وفي الأعياد إلى المصلّيات الضّاحية، وأنْ يخصّ أحدها بصلاته فيه وقصده له، ويأمر خلفاءه على الصّلاة بالافتراق في سائر الجوامع وباقي المنابر، بعد الأمر بجمع المؤذّنين والمكبّرين، وإحضار القوّام والمرتّبين، في أتمّ أهبة وأجمل هيئة، بقلوبٍ مستشعرة للخشوع، متصدّيةٍ للدّموع، وألسنٍ بالتّسبيح والتّقديس منطلقة، وآمالٍ في حُسْن الجزاء وجزيل الثّواب منفسحة، حتى تعبّر ألسنتهم إذا افترعوا الخطب وافتتحوا الكلم عن مكنون ضمائرهم، ومضمون

---

(١) سورة فصلت، الآية ٣٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٧٠.

(٣) سورة آل عمران، من الآية ١٠٢.

سَرائرهم، فتجيء المواعظ بالغة، والزواجر ناجعة؛ قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١).

وأمَرهُ بمراعاة المساجد، وتعهّد الجوامع؛ وسدّ خللها، ولمّ شعثها، فإنها مقاوم عزّه وفخره، ومحاضر صيته وذكره، ومراكز أعلام الدِّين الخافقة، ومطالع شموس الإسلام الشارقة، ومواقف الحق المشهودة، وقواعد الإيمان الموطودة، ممّا لا يتضعضع أحدُها إلّا تضعضع من أركان الإسلام له ركن، ولا التاث بعضُها إلّا التاث من أعضاء الدّين عضو، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾(٢).

وأمَرهُ في خطبته بكثرة التحفّظ، وعند افتتاحه واختتامه بطول التيقّظ، فإنّ العيون به منوطة، والأعناق إليه ممدودة، والمسامع فاغرة تتلقّف ما يقوله، والقلوب فارغة لحفظ ما يبديء وما يعيد؛ فقليلُ الزّلل في ذلك الموقف كثير، وصغيرُ الخطلَ في ذلك المقام كبير؛ والله تعالى يسدّده إلى المحجّة الوسطى، ويقف به على الطريقة المثلى، بمَنّه.

وأمَرهُ بالسّكينة في انتصابه للصّلاة الجامعة، وتقدّمه لقضاء الفروض اللّازمة، وأنْ يسكن في كلّ حدٍّ من حُدودها في الرّكوع والسّجود، والقيام والقعود، فإنه عليها محاسَب، وبما يلحق مَن يأتمّ به في جميعها مطالَب، وأنْ يفرّغ قلبه لما يتلوه من البيان، ويرفع صوته بما يمرّ به من قَوارع القرآن، مرتّلاً لقراءته، ومسترسلاً في تلاوته؛ ليشترك في سماعها الأقرب والأقصى، وينتفع بمواعظها الأبعد والأدنى، بعد إخلاص سرّه

---

(١) سورة البقرة، الآية ٤٤.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٨.

وانتزاعه، وتسويته في الطهور بين باديه وخافيه، وغائبه وحاضره، فليس بالطّاهر عند الله تعالى مَن يصيب بالماء أطرافه، وأدرن بالخبائث شغافه؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾[1]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[2].

وأمَرهُ أنْ يقيم الدّعوة على منابر أعماله القاصية والدّانية، والغائبة والحاضرة لأمير المؤمنين، ثم للناهض عنه بالأعباء، والقائم دونه في البأساء والضّرّاء، الذي غذّي بلِبان الطّاعة، وانقاد بزمام المتابعة: بهاء الدَّوْلة، ولوُلاة الأعمال من بعده الذين يُدعى لهم على المنابر، ما يكون منها على العادة الجارية فيها، فإنها دعوةٌ تلزم إقامتها، وكلمةٌ تجب إشادتها، إذ كانت متعلّقة بطاعة الله عزّ وجلّ، وقد أوجبها الله تبارك وتعالى على كافّة المسلمين، وجميع المعاهَدين، إذ يقول [وهو] أصدق القائلين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[3]؛ وعائدتها تعمّهم، وفائدتها تشملهم، إذ كان صَلاح الرّعيّة مقروناً بصَلاح راعيها، وفَساد الأمّة منوطاً بفساد واليها.

وأمَرهُ باستخلاف مَن يرى استخلافه على الصّلاة في الأقطار والأطراف والنّواحي والبلدان، وأنْ يختار من الرّجال كلّ حسن البيان، مصقع اللّسان، بليل الرّيق إذا خطب، بليغ القول إذا وعظ.

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، وحجّتُه لك وعليك؛ قد أعذر فيه وأنذر، وهدى من الضّلالة وبصّر، وأعلقك زمام رشدك وغيّك، وقلّدك عنان هلكك وفوزك، وخيّرك في

---

(١) سورة الجمعة، من الآية ٩.

(٢) سورة النساء، من الآية ١٠٣.

(٣) سورة النساء، من الآية ٥٩.

كلا الأمرين، ووقفك إزاء الطريقين؛ فإنْ سلكتَ أهدا هما لم تلبث أنْ تعود غانماً، وإنْ ولجتَ أضلّهما فغير بعيدٍ أنْ تؤوب نادماً. واستعن بالله يعنك، واستزده من الكفاية يزدك، واستلبسه الهداية يلبسك، واستدله على نجاح المطالب يدللك، إنْ شاء الله، والحمد لله وحده.

نُسْخة عَهْدٍ عن الطّائع لله
للشريف أبي الحسن مُحمّد بن الحسين بن موسى العَلَويّ الموسَويّ
بنقابة الطّالبيين بمدينة السَّلام وسائر الأعمال والأمصار
مضافاً إليها النظر في المساجد وعِمارتها
واستخلافه لوالده الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى
على النظر في المظالم والحجّ بالناس
سنة ثمانين وثلاثمائة(١)

هذا ما عَهِد عبد الله عبد الكريم الطّائع لله أمير المؤمنين

إلى مُحمّد بن الحسين بن موسى العَلَويّ الموسَويّ

حين وَصَلته به الأنساب، وتأكّدت له الأسباب، وظهرت دلائل عَقله ولَبابته، ووَضحت مخايل فَضله ونَجابته، ومهّد له بهاء الدَّوْلة وضياء المِلّة أبو نصر بن عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة مَوْلى أمير المؤمنين – أدام الله تأييده – ما مهّد له عند أمير المؤمنين من المحلّ المكين، ووَصَفه به من الحِلْم الرَّزين، وأشار به فيه من رفع المنزلة، وتقديم المرتبة، والتأهيل لوِلاية الأعمال، وتحمّل الأعباء والأثقال، وحيث رُعيت فيه سابقةُ الحسين أبيه في الخدْمة والنّصيحة، والمشايعة الصّحيحة، والمواقف المحمودة، والمقامات المشهودة، التي طابت بها أخباره، وحسنت فيها آثاره، وكان مُحمّد متخلّقاً بخلائقه، وذاهباً على طرائقه، عِلْماً ودِيانة، ووَرَعاً وصيانة، وعفّةً وأمانة، وشهامةً وصَرامة،

(١) طهران، وأورد نص هذا العهد القلقشندي في كتابيه: صبح الأعشى، ج١٠، ص٢٥٦؛ مآثر الإنافة، ج٣، ص١٥٨. لكن النصّ فيهما يعتوره كثيرٌ من السقط والخطأ في القراءة.

وتفرّد بالحظّ الجزيل من الفضل، والجميل من الأدب الجزل، والتوجّه في الأهل، والإيفاء بالمناقب على لداته وأترابه، والإبرار على قُرنائه وأضرابه؛ فقلّده ما كان داخلاً في أعمال أبيه من نقابة نقباء الطّالبيين أجمعين بمدينة السَّلام وسائر الأعمال والأمصار شرقاً وغرباً، وبُعداً وقُرباً، واختصّه بذلك جذباً بضَبْعه، وإنافةً بقدره، وقضاءً لحقّ رحمه، وتَرْفيهاً لأبيه، وإسْعافاً بإيثاره فيه إلى ما أمر أمير المؤمنين أباه باستخلافه عليه من النظر في المظالم، وتَسْيير الحجيج في أيّام المواسم، والله يعرّف أمير المؤمنين الخيرة فيما أمر ودبّر، وحُسن العاقبة فيما قضى وأمضى، وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

أمَرهُ بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين وسيما الصّالحين، وعِصْمة عباد الله أجمعين، وأنْ يعتقدها سِرّاً وجَهْراً، ويعتمدها قولاً وفعلاً، فيأخذ بها ويعطي، ويسرّ بها وينوي، ويأتي ويذر، ويورد ويصدر؛ فإنها السّبب المتين، والمعقل الحصين، والزّاد النّافع يوم الحساب، والمسلك المفضي إلى دار الثواب، وقد حضّ الله أولياءه عليها، وهداهم في محكم كتابه إليها، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2].

وأمَرهُ بتلاوة كتاب الله مواظباً، وتصفّحه مداوماً ملازماً، والرّجوع إلى أحكامه فيما أحَلَّ وحَرَّم، ونَقَض وأبْرم، وأثاب وعاقَب، وباعَد وقارَب، فقد صحّح الله برهانه وحجّته، وأوضح منهاجه ومحجّته، وجعله فجراً في الظلمات طالعاً، ونوراً في المشكلات ساطعاً، فمَن أخذ به نجا وسَلِم، ومَن عَدَل عنه هوى ونَدِم، قال الله عزّ من

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١٩ .

(٢) سورة آل عمران، من الآية ١٠٢.

قائـــــــل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].

وأَمَرهُ بتنزيه نفسه عمّا تدعو إليه الشهوات، وتتطلّع إليه النزوات، وأنْ يضبطها ضبط الحليم، ويكفّها كفّ الحكيم، ويجعل عَقْله سُلْطاناً عليها، وتمييزه أمراً ناهياً لها، فلا يخلع لها أعذاراً إلى صَبْوةٍ ولا هَفْوة، ولا يطلق منها عناناً عند ثورةٍ لا فورة، فإنها أمّارةٌ بالسّوء، منصبّةٌ إلى الغيّ، فمَن رَفضَها نجا، ومَن اتّبعها هوى[2]، فالحازم يتّهمها عند تحرّك وَطَره وأربه، واهتياج غيظه، ولا يدع أنْ يعضها بالشكيم، ويعركها عرك الأديم، ويقودها إلى مصالحها بالخزائم، ويعتقلها من مقارفة المحارم والمآثم، كيما يعزّ بتذليلها وتأديبها، ويجلّ برياضتها وتقويمها. والمفرّط في أمرٍ يطمح به إذا طمحت، ويجمح معها إذا جمحت، ولا يلبث أنْ تورده حيث لا يصدر، وتلجئه إلى أنْ يعتذر، وتقيمه مقام النادم الواجم، وتتنكّب به سَبيل الرّاشد السّالم. وأحقّ مَن تحلّى بالمحاسن، وتصدّى لاكتساب المحامد مَن ضرب بمثل سَهْمه في نسب أمير المؤمنين الشريف، ومنصبه المنيف، واجتمع معه في ذؤابة العترة الطّاهرة واستظلّ بأوراق الدَّوْحة الفاخرة، فذلك الذي تتضاعف له المآثر إنْ آثرها، والمثالب إنْ أسفَ إليها، ولا سِيَّما مَن كان مندوباً بالسّياسة غيره، ومرشّحاً للتقلّد على أهله، إذ ليس يفي بالصَّلاح لمن ولي عليه[3]، ولا يفي بإصلاح ما بين جنبيه. ومن أعظم الهجنة عليه، أنْ يأمر ولا يأتمر، ويزجر ولا يزدجر، قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ

---

(١) سورة فصلت، من الآيتين ٤١-٤٢.

(٢) (ومن اتبعها هوى) من: ط فقط.

(٣) (يفي بالصلاح لمن ولي عليه) من: ط فقط.

ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[١].

وأمَرهُ بتصفّح أحوال مَن ولي عليهم واستقراء مذاهبهم، والبحث عن بَواطنهم ودَخائلهم، وأنْ يعرف لمن تقدّمت قدمُه منهم، وتظاهر فضلُه فيهم منزلَته، ويوفيه حقّه ورتبته، وينتهي في إكرام جماعتهم إلى الحدود التي توجبها أنسابهم وأقدارهم، وتقتضيها مواقعهم وأخطارهم، فإنّ ذلك يلزمه لسَببين: أحدهما يخصّه وهو النسب بينه وبينهم، والآخر يعمّه والمسلمين جميعاً، وهو قول الله جلّ ثناؤه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[٢]، فالموَدّة لهم الإعظام لأكابرهم، والإشبال على أصاغرهم، واجب[٣] متضاعف الوجوب عليه، متأكد اللّزوم له. ومَن كان منهم في دون تلك الطبقة من أحداثٍ لم يحتنكوا، وجذعان لم يقرحوا، ومجرين إلى ما يزري بأنسابهم، ويغضّ من أحسابهم، عَذَلهم وأنّبهم، ونَهاهم ووَعظهم. فإنْ نزعوا وأقلعوا فذلك المراد بهم، والمقصود إليه فيهم. وإنْ أصرّوا وتتابعوا أناهم من العقوبة بقدر ما يكفّ ويردع، فإنْ نفع وإلّا تجاوزه إلى ما يوجع ويلذع، من غير تطرفٍ لأعراضهم، وانتهاكٍ لأحسابهم، فإنّ الغرض فيها الصّيانة لا الإهانة، والإدالة لا الإذالة.

وإذا وجبت عليهم الحقوق، أو تعلّقت لهم دَعاوى الخصوم، قادهم إلى الإعفاء بما يصحّ منها ويجب، والخروج إلى سَنَن الحقّ فيما يشتبه ويلتبس. ومتى لزمتهم الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمرَ الله به فيها، بعد أنْ تثبت الجرائم، وتصحّ وتبين، وتتّضح وتتجرّد عن الشكّ والشبهة، وتتجلّى من الظنّ والتّهمة، فإنّ الذي يُستحبّ في حدود

---

(١) سورة البقرة، الآية ٤٤.

(٢) سورة الشورى، من الآية ٢٣.

(٣) من: ط فقط.

الله - عزّ وجلّ - أنْ تُدرأ عن عباده مع نقصان اليقين والصحّة، وأنْ تُمضى عليهم مع قيام الدّليل والبيّنة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

وأمَرهُ بحياطة هذا النسب الأطهر، والشرف الأفخر عن أنْ يدّعيه الأدعياء، أو يدخل فيه الدّخلاء. ومَن انتمى إليه كاذباً، وانتحله باطلاً، ولم يوجد له ثبتٌ في الشّجرة، ولا مصداقٌ عند النّسّابين المهرة، أوقع به من العقوبة ما يستحقّه، ووَسمه بما يُعلم به كذبُه وفِسْقُه، وشهره شهرةً ينكشف بها غشّه ولبسُه، وينزع بها[2] غيره ممّن تُسوّل له مثل ذلك نفسُه. وأنْ يحصّن الفُروج عن مناكحة مَن ليس كفئاً لها، ولا مشاركاً في شَرَفها وفَخْرها، حتى لا يطمع في المرأة الحسيبة النسيبة إلّا مَن كان مثلاً لها، مساوياً ونظيراً موازياً، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3].

وأمَرهُ بمُراعاة مُتبتّلي أهله ومُتهجّديهم وصُلحائهم ومُجاوريهم وأراملهم وأصاغرهم، حتى تستدّ الخلّة من أحوالهم، وتدرّ المواد عليهم، وتتعادل أقساطهم فيما يصل إليهم من وُجوه أموالهم، وأنْ يزوّج الأيامى، ويربي اليتامى، ويلزمهم المكاتب ليتلقّنوا القرآن، ويعرفوا فرائض الإيمان، ويتأدّبوا بالآداب اللّائقة بذوي الأحساب، فإنّ شرف الأعراق محتاجٌ إلى شرف الأخلاق، ولا حمدَ لمن شرف حسبه وسخف أدبه، إذ كان لم يكتسب الفخر الحاصل بفَضْل سَعْيٍ ولا طلب، ولا اجتهاد ولا دأب، بل بصنع الله له، ومزيد المِنّة عليه، وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على

---

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٢٩.

(٢) ط: يتزلها.

(٣) سورة الأحزاب، من الآية ٣٣.

هذه العطية، والاعتداد بها فيها من المزية، وإعمال النّفس في حيازة الفضائل والمناقب، والترفّع عن الرذائل والمثالب.

وأمَرَهُ بإجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمَرَهُ أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر في المظالم، والأخذ للمظلوم من الظالم، وأنْ يجلس للمترافعين إليه جلوساً عاماً، ويتأمّل ظلاماتهم تأمّلاً تاماً، فما كان منها متعلّقاً بالحكم ردّه إليه ليحمل الخصوم عليه، وما كان طريقه طريق الغشم والظلم، والتغلّب والغصب، قبض عنه اليد[1] المبطلة، وثبت فيه اليد المستحقّة، وتحرّى في قضاياه أنْ تكون موافقةً للعدل، ومجانبةً للخذل؛ فإنّ غايتي الحاكم وصاحب المظالم واحدة، وهي إقامة الحقّ ونُصرته، وإبانته وإثارته، وإنها يختلف سبيلاهما في النظر إذ الحاكم يعمل بما ثبت وظهر، وصاحب المظالم يفحص عمّا غمض واستتر. وليس له مع ذلك أنْ يردّ لحاكمٍ حكومةً، ولا يعلّ له قضيّةً، ولا يتعقب ما ينفذه ويمضيه، ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه، والله يهديه ويسدّده، ويوفقه ويرشده.

وأمَرَهُ أنْ يسيّر حجيج بيت الله إلى مقصدهم، ويحميهم في بدأتهم وعودتهم، ويرتبهم في مسيرهم ومسلكهم، ويرعاهم في ليلهم ونهارهم، حتى لا تنالهم شدّة، ولا تصل إليهم مضرّة، وأنْ يريحهم في المنازل، ويوردهم في المناهل، ويناوب بينهم في النهل والعلل، ويمكّنهم من الارتواء والاكتفاء، مجتهداً في الصِّيانة لهم، ومعذراً في الذبّ عنهم، ومتلوّماً على متأخّرهم ومتخلّفهم، ومنهضاً لضعيفهم ومهيضهم، فإنّهم حجّاج بيت الله الحرام، وزوّار قبر رسوله عليه الصلاة والسلام، قد هاجروا الأهل والأوطان، وفارقوا الجيرة والإخوان، وتجشّموا المغارم الثقال، وتعسّفوا السّهول والجبال، يلبّون

(١) من: ط فقط.

دعاء الله، ويطيعون أمرَهُ، ويؤدّون فرضه، ويرجون ثوابه. وحقيقٌ على المسلم المؤمن أنْ يحرسهم متبرّعاً، ويحوطهم متطوّعاً، فكيف مَن تولّى ذلك وضمنه، وتقلّده واعتنقه، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1].

وأمَرَهُ بأنْ يراعي أمور المساجد بمدينة السَّلام وأطرافها؛ وأقطارها وأكنافها، وأنْ يجبي أموال وُقوفها، ويستقصي جميع حُقوقها، وأنْ يلمّ شعثها، ويسدّ خللها بما يتحصّل من هذه الوُجوه قبله حتى لا يتعطّل رَسْمٌ جرى فيها، ولا تنتقض عادةٌ كانت لها، وأنْ يكتبَ اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها، ويذكر اسمه بعده بأنّ عِمارتها جرت على يده، وصَلاحها أدّاه قول أمير المؤمنين إلى فعله، فقد فسح أمير المؤمنين في ذلك تنويهاً باسمه، وإشادةً بذكره. وأنْ يولي من قبله مَن حسنت أمانته، وظهرت عفّته وصيانته، فقد قال الله جلّ مَن قائل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[2].

وأمَرَهُ أنْ يستخلف على ما يرى الاستخلاف عليه من هذه الأعمال في الأمصار الدانية والنائية، والبلاد القريبة والبعيدة مَن يثق به من صُلحاء الرّجال، ذوي الوفاء والاستقلال، وأنْ يعهد إليهم مثل ما عهد إليه، ويعتمد عليهم مثل ما اعتمد عليه، ويستقرىء مع ذلك آثارهم، ويتعرّف أخبارهم. فمنَ وجده محموداً أقرّه ولم يزله، ومَن وجده مذموماً صرفه ولم يمهله، واعتاض مَن تُرجى الأمانة عنده، وتكون الثقة معهودةً منه. وأنْ يختار لكتابته وحجبتة والتصرّف فيما قرب منه وبعد عنه مَن يزينه ولا

(١) سورة آل عمران، من الآية ٩٧.
(٢) سورة التوبة، الآية ١٨.

يشينه، وينصح له ولا يغشّه، ويجمله ولا يهجنه، من الطبقة المعروفة بـالظَّلَف المتصـوّنة عن النَّطَف، ويجعل لهم من الأرزاق الكافية، والأجرة الوافية، ما يصدّهم عن المكاسب الذَّميمة، والمآكل الوَخيمة، فليس تجب عليهم الحجّة إلّا مـع إعطـاء الحاجـة، قـال الله تعـــــالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾[1].

وأمَرهُ أنْ يكتب لمن تقوم بيّنته عنده ؛ وتنكشف حجّته له، إلى أصحاب المعاون بالشّد على يده، واتّصال حقّه إليه، وحسم الطمع الكاذب فيه، وقَبْض اليد الظالمة عنه، إذ هم مندوبون للتصرّف بين أمرَهُ ونَهْيه، والوُقوف عند رَسْمه وحدّه.

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، وحجّته لك وعليك، قد أنار فيه سَبيلك، وأوضح دليلك، وهداك لرشدك، وجعلت على بيّنةٍ من أمرك؛ فاعمل به ولا تخالفه، وانته إليه ولا تتجاوزه. وإنْ عرض لك أمرٌ يعجزك الوفاء به، ويشتبه عليك وَجْه الخروج منه، أنهيتَه إلى أمير المؤمنين مبادراً، وكنتَ إلى ما يأمرك به صائراً، إنْ شاء الله تعالى.

وكَتَب في مستهلّ شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة.

---

(١) سورة النجم، الآيات ٣٩-٤١.

نُسْخة عَهْدٍ عن الطّائع لله للشريف أبي أحمد الحسين بن موسى العَلَويّ الوُقوف بمدينة السَّلام وسَوادها[١]

هذا ما عَهِد عبدالله عبد الكريم الإمام الطّائع لله أمير المؤمنين

إلى الحسين بن موسى العَلَويّ

حين طابت منه العناصر، ووَصَلته بأمير المؤمنين الأواصر؛ وجمع إلى شرف العرق الذي ورثه، شرف الخلق الذي اكتسبه ؛ ووضحت آثار دينه وأمانته، وبانت أدلّة فضله وكفايته، في جميع ما أسنده أمير المؤمنين إليه من الأعمال، وحمّله إيّاه من الأثقال، فأضاف إلى ما كان وَلّاه من ذلك النظر في الوُقوف بالبصرة وأعمالها النظر في الوُقوف[٢] التي كانت في يد مُحمّد بن بَقيّة[٣] فيها بالحضْرة وسَوادها، ثقةً بسَداده، وسُكوناً إلى رَشاده، وعلماً بأنّه يعرف حقّ الصَّنيعة، ويرعى ما يُستحفظ من الوديعة، ويجري في المنهاج[٤] الذي أحمده أمير المؤمنين منه في كلّ ما فُوّض ووُكل إليه، والله يمدّ أمير المؤمنين[٥] بصَواب الرّأي فيما نحاه وتوخّاه، ويؤمنه في عاقبة الندم فيما قضاه وأمضاه؛

---

(١) طهران، وأورد نص هذا العهد القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٠، ص٢٦٩؛ مآثر الإنافة، ج٣، ص١٧٥. في صبح الأعشى بدون عنوان، وفي مآثر الإنافة (بتقليد النظر في الأوقاف بحاضرة بغداد وسوادها).

(٢) (بالبصرة........ الوقوف) من: ط فقط.

(٣) في نصي القلقشندي: فلان.

(٤) في نصي القلقشندي: المنهل.

(٥) (منه .... أمير المؤمنين) ساقط في نصي القلقشندي.

وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

أمَرهُ بتقوى الله التي هي عماد الدِّين، وشعار المؤمنين، وأنْ يعتقدها في سِرّه ونَجْواه، ويجعلها الذخيرة لأُولاه وأُخراه، ويتجنّب المواقع الموبية، ويتوقّى الموارد المردية، ويغضّ طرفه عن المطامح المغوية، ويذهب بنفسه عن المطارح المخزية؛ فإنّه أحقّ مَن فَعَل ذاك وآثره، وأولى مَن اعتمده واستشعره، بنسبه الشريف، ومفخره المنيف، وعادته المشهورة، وشاكلته المأثورة، وتلاوته كتاب الله الذي هو وعترة رسول الله الثقلان المخلَّفان في الأمّة. وقد جمعته وأحدهما[1] الأنساب، وجمعته والثاني عصمة أولي الألباب، وتوجّهت حجّة الله عليه بما يرجع من هذه الفضائل إليه، وأنّه غصنٌ من دَوْحة أمير المؤمنين، التي تحدّاها الله بالإنذار قبل الخلائق أجمعين، إذ يقول لرسوله محمّد صلى الله عليه وعلى آله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[2]. وقد حضّ تبارك وتعالى على التقوى، ووَعَد عباده عليها الزُّلفى، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[3].

وأمَرهُ بالاشتمال على ما أسنده إليه أمير المؤمنين من هذه الوُقوف مستنفداً طَوْقه في عِمارتها، مستفرغاً وُسْعه في مصلحتها، دائباً في استغلالها وتثميرها، مجتهداً في تدبيرها وتوفيرها، وأنْ يصرف فاضل ارتفاع[4] كلّ وَقْفٍ منها بعد الذي يخرج منه للنفقة على حفظ أصله، واستدرار حلبه، والمؤونة الراتبة للقُوّام عليه، والحَفَظة له، إلى أربابه الذين

---

(١) في صبح الأعشى: وآخرهما.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

(٣) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(٤) ساقطة في صبح الأعشى. والارتفاع: الأموال المحصَّلة.

يعود ذلك عليهم في وُجوهه التي سُبّل لها، ووُقف عليها، واضعاً جميع ذلك مواضعه، وموقعاً له مواقعه، خارجاً إلى الله من الحقّ فيه، مؤدّياً الأمانة إليه. وأنْ يُشهد على القابضين بما يقبضونه من وُقوفهم، ويكتب البراءات[١] عليهم بما يستوفونه من أموالهم، ويستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلّة على ما ينفقه من أموال هذه الوُقوف على مَصالحها، ويصرفه منها إلى أهلها، ويخرجه منها في حقوقها وأبواب بِرّها، وسائر سُبلها ووُجوهها، سالكاً في جميع[٢] ذلك مذهبه المعروف في أداء الأمانة، واستعمال الظَّلَف والنزاهة، معفياً[٣] على آثار[٤] مَن كان ناظراً فيها من الخونة الذين لم يرعوا عهداً، ولم يحفظوا حقّاً[٥]، ولم يتصوّنوا عن سُحْت المطاعم، وظُلم المآثم.

وأمَرهُ باستكتاب كاتبٍ معروفٍ بالسَّداد، مشهورٍ بالرَّشاد، معلوم منه نصيحة الأصحاب، والضَّبْط للحساب، وتَفْويض تدبير ديوان الوُقوف إليه، وتوصيته بصيانة ما يشتمل عليه من أصول الأعمال وفروعها، وقليل الحجج وكثيرها، وأنْ يحتاط لأربابها في حفظ رُسومها ومُعاملاتها، وحراسة طُسوقها[٦] ومُقاسماتها، حتى لا يستمرّ عليها حَيْفٌ يبقى أثره، ولا يتغير فيها رَسْمٌ يُخاف ضرره. وأنْ ينصفَ الأَكَرَة[٧] فيها والمزارعين، وسائر المخالَطين والمعامَلين، ولا يجشّمهم حَيْفاً، ولا يسومهم خَسْفاً، ولا

---

(١) البراءة : حجّة يصدرها الجهبذ أو الخازن للمؤدي بها يؤديه إليه من مال. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٢.

(٢) ساقطة في صبح الأعشى.

(٣) في نصي القلقشندي: معقباً.

(٤) ساقطة في نصي القلقشندي.

(٥) (ولم يحفظوا حقاً) ساقط في نصي القلقشندي.

(٦) تقدّم تعريف الطَّسْق، ج٢، ص٤٤.

(٧) تقدّم تعريف الأكَرَة، ج٢، ص٤٣.

يغضي لهم عن حقّ، ولا يسمح لهم بواجب، خلا ما عادت السّماحة به بزيادة عِماراتهم، وتألّف نيّاتهم، واجتلاب الفائدة منهم، والعائدة لهم؛ فإنّه مؤتمن في ذلك كلّه أمانةً عليه أنْ يؤدّيها، ويخرج عن الحقّ فيها.

وأمَرهُ باختيار خازنٍ حَصيف، قؤومٍ أمين، يخزن حُجج هذه الوُقوف وسجلّاتها، وسائر دفاترها وحُسْباناتها؛ فإنّها ودائع أربابها عنده، وواجبٌ أنْ يحتاط عليها جهده؛ فمتى شكّ في شرطٍ من الشروط، أو حدٍّ من الحدود، أو عارض معارض، أو شاغب مشاغب، في أيّام نظره وأيّام مَن عسى أنْ تنتقل وِلاية هذه الوُقوف إليه، ويُناط تدبيرها به، دفع ما يحدث من ذلك بهذه الحجج التي هي معادن[1] البرهان، وقواعد البنيان، وإليها المرجع في كلّ بينةٍ تُنصر وتُقام، وشبهةٍ تُدحض وتُضام.

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، ووثيقته الحاصلة في يديك؛ فاتّبع آثار أوامره، وازدجر عن نَواهيه وزَواجره، واستمْسك به تنجُ وتسلم، واعملْ عليه تُفز وتغنم، واسترشد الله يرشدك، واستهده يهدك، واستعنْ به ينصرك، وفوِّض إليه يعصمك؛ إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) في صبح الأعشى: معارف.

وكَتَب عن الطّائع لله
بتقليد الشريف أبي أحمد الموسَويّ
الوُقوف بالبصرة وكُوَر دجلة[١]

هذا ما عَهِد عبد الله عبد الكريم الطّائع لله أمير المؤمنين
إلى الحسين بن موسى العَلَويّ

حين قَرُبت منه الأنساب، وضمّته إليه الأسباب، واستحكم في سَداده الاستبصار، وتكرّر عليه الامتحان والاختبار، وأحْمده في كلّ عَملٍ تقلّده، ومُتصرَّفٍ تصرّفه، وكان سالكاً مَسالك أفاضل العترة، وأعيان الأسرة الذين طهّرهم الله تطهيراً، وفضّلهم على الخلق كثيراً؛ فقلَّده وِلاية الوُقوف بالبصرة وكُوَر دجلة التي كان العَبّاس بن الحسين مدّ يده إليها، واحتقب المآثم فيها، وعدل بارتفاعها عن سَبيلها، وظَلم وتحيّف أهلَها، حتى ساءت أحوالُهم، ونقصت أموالُهم، وتقلّصت الموادّ عنهم، وكثُرت الظُّلامة فيهم[٢]، سُكوناً إلى دينه وأمانته، وثقةً بعفّته ونَزاهته، وعلماً بأنّه أقوم بذلك من كلّ مَن يسند إليه، ويعتمد فيه عليه، وأحراهم بأنْ يعفّي آثار الجور ويَمْحوها، ويُجدّد سُنن العدل ويُحييها.

---

(١) طهران. اعتمد الصّابي في كتابة هذا العهد على عهدٍ سابق كان قد كتبه عن الخليفة المطيع لله إلى القاضي أبي بكر مُحمّد بن عبد الرحمن. (أحمد ورد في الأصل: حمد).
عرَّف ياقوت كُوَر دجلة قائلاً: إذا أُطلق هذا الاسم، فإنما يُراد به أعمال البصرة ما بين ميسان إلى البحر. معجم البلدان، ج٤، ص٤٨٩.

(٢) في الأصل: منهم.

وأمير المؤمنين يسأل الله مخلصاً، ويرغب إليه مجتهداً في تعريفه صَلاح العاجلة والآجلة في كلّ ما قضى وأمضى، وارتأى وارتضى، وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله، عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

أمَرهُ بتقوى الله التي هي خير الزّاد، وأفضل العتاد، وأنْ يستشعرها ديناً، ويعتقدها يقيناً، ويتّخذها منهاجاً وسَنناً، ويجعلها خليقةً ودَيْدَناً، فقد أمَر الله عباده بها، وحضّهم عليها، فقال - تقدّست أسماؤه -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

وأنْ ينظر في هذه الوُقوف، ويتعمّد توفير أموالها، وتثمير ارتفاعها، وإحياء رُسومها، واستيفاء حُقوقها، وإقامة حُدودها، ويخرج ما يتحصّل من استغلالها بعد أداء حقّ بيت المال فيما يجب ذلك فيه منها، وبعد النّفقات الرّاتبة والحادثة، العائدة لمصالحها، الدّاعية إلى تضاعُف دَخْلها، وإرزاق الوكلاء فيها، والقُوّام عليها، في سُبلها الثابتة في كُتب وُقوفها، محتذياً في ذلك أمثلة الواقفين والمتصدِّقين بها؛ فإنّها أمانةٌ واجبٌ على الأوصياء والوُلاة اتِّباعها، واقتفاء رُسومها، غير محابٍ أحدٍ بمزيدٍ على حقّه، ولا حائفٍ عليه بنقيصةٍ من قِسْطه، والإشهاد على صاحبه في لَحْظٍ ولا لَفْظٍ، ولا تقوية عليه بقولٍ ولا فعل، إذ كان الله - جل اسمه - قد جعل هذا الحكم سَنن الحقّ، وميزان القِسْط، وسبيل العَدْل، في القَبْض والبَسْط؛ فسوّى فيه بين الدّنيء والشريف، وأخذ به من القويّ للضعيف، ولم يجعل به مزيّةً لغنيٍّ على فقير، ولا لكبيرٍ على صغير، قال الله جل ذكره: ﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[١].

وأمَرهُ إذا ترافع إليه مُتحاكمان، وتَنازعَ لديه متخاصمان، أنْ يطلبَ الحكمَ بينهما في نصِّ الكتاب، فإنْ عَدِمَهُ هناك، الْتمسَهُ من سُنّةِ الرسول عليه السلام، فإنْ فقدَهُ من السُّنّةِ القَويمة، والآثارِ الصَّحيحة السَّليمة، ابتغاه في إجْماع المسلمين، وإنْ لم يجدْ فيه إجماعاً[٢]، اجتهدَ رأيه، وحكمَ في الحادثةِ أشبهَ الأحكام بالأصولِ عنده، بعد أنْ يبلغَ غاية الوُسْعِ في التّحري، ويستنفدَ الطّاقة في النّظرِ والتقصّي؛ فإنّه مَن أخذَ بالكتابِ اهتدى، ومَن اتّبعَ السُّنةَ نجا، ومَن تمسّكَ بالإجماعِ سَلِم، ومَن اجتهدَ رأيه أُعذر، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾[٣].

وأمَرهُ بالتّثبتِ في الحُدودِ، والاسْتظهارِ فيها بتعديل الشهود، وأنْ يحترسَ من عَجَلٍ يرهق الحكم عن الموقعِ الصّحيحِ، أو رَيْثٍ يرجئه عند الوُضوحِ، حتى يقفَ عند الاشتباه، ويمضي لدى الاتّجاه، ويقومُ بالبيّنات، ويدْرأ بالشُّبهات، ولا تستخفُّه عَجَلةٌ إلى برئ، ولا تأخذُهُ رأفةٌ بمسيءٍ، فإنّ الله - جلّ وعزّ - سمّى هذا الضربَ من الأحكام حدوداً، تشدّداً فيه، وإكباراً لتعدّيه، وجعلَهُ من معالمِ الحكْمِ، ونسبَ مَن تجاوزَهُ إلى الظّلمِ، فقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٤].

وأمَرهُ بأنْ يتصفّحَ أحوالَ مَن يشْهدُ عندَه؛ فيقبلَ منهم مَن ظَهرت مِنه العَدالةُ، وعُرِفتْ منه الأصالةُ، وكان وَرِعاً في دينه، حَصيفاً في عَقْله، ظاهرَ التّيقّظِ والحَذَر، بعيداً

---

(١) سورة النساء، من الآية ١٣٥.

(٢) في الأصل: اجتماعاً.

(٣) سورة الأحزاب، من الآية ٤.

(٤) سورة البقرة، من الآية ٢٢٩.

من السَّهْوِ والزَّلَل، طيّباً بين النّاس ذكرُه، مشهوراً فيهم سِتْرُه، منسوباً إلى العفّةِ والظَّلَف، مَعْروفاً بالنّزاهةِ والأنَفِ، سليماً من شائن الطَّمَع، بريئاً من الحِرْصِ والجشَع، فإنّ هذه الطبقة هي حُجّةُ الحاكم فيما يحكمُ، وطريقُه إلى ما ينقضُ ويُبرم؛ فمتى أعْذرَ في ارتيادِهم كان مَعذوراً في الحُكْمِ بشهادتِهم وإنْ اختلفُوا، ومتى عذر في انتقائهم كان مَلُوماً في سماعِ أقوالهم وإنْ صدقوا؛ لأنّ على الحاكم أنْ يعتام أهل الثقة والأمانة، والعفّة والصّيانة، حَدْساً[1] على باطنِهم من ظاهرهم، ومَخيلةً لخافيهم من باديهم، واللهُ وحدَه يبلو السّرائر، ويعلمُ[2] الضّمائر، وقد قال - جلّ اسمُه - للحكّام ممّن يرضون من الشّهداء، وقال في الشّهود: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾[3].

وأمَرهُ أنْ يحتاطَ على أموالِ الأيْتام بثقات الأمناء، ويكلَها إلى الحفَظَةِ الأعفّاء، ويرْعيهم عيناً بصيرةً، ويكلأهم بهمّةٍ يَقْظى، حتى يسيروا في هذه الأموالِ سيرةً تثمّرها وتنمّيها، ويدبّروها تدبيراً يحرسُها ويزيدُ فيها، من غير أنْ يركبوا بها خطراً، ولا يجرّوا عليها غَرَراً، وأنْ يُنْفقوا عليهم منها بالمعروفِ، ويسْلكوا فيها سَبيل القَصْد، حتى إذا بَلَغ أربابُها الحُلُمَ، وأونس منهم الرُّشْد، سُلّمت الأموالُ إليهم، وأشْهَد بقَبْضها عليهم، قال الله: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[4].

وأمَرهُ بأنْ يوليَ الوُقوف ما يجري في عمله من الوُقوف التي ينظرُ فيها الحكّامُ أمناء

---

(١) ويمكن أن تقرأ: حرصاً.

(٢) في الأصل: ويعلموا.

(٣) سورة الزخرف، من الآية ١٩.

(٤) سورة النساء، الآية ٦.

يُحسِنون تَدْبيرَها، ويَضبطُونَ القيامَ على مَصالِحِها، ويكونونَ مَأمونينَ على أُصولِها وفُروعِها، حافظين حدودها وحقوقها، يجبون ارْتفاعَها من حلِّهِ، ويَصْرِفونَهُ في سُبُلِه. وأنْ يوعِزَ إليهم باتّباعِ ما شَرَطهُ واقفوها في إجازاتها ومُراعاتِها[1]، واحتذاء[2] ما رَسَموه في استغلالِها وعِماراتِها، ولا يخليهم في ذلك من اقتفاءِ الأثَرِ، والإشْرافِ والنّظرِ، فيُقرَّ مَن ارتضى مَذهبه، ويستبدل مَن ذمَّ أمانتَهُ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

وأمَرهُ أنْ يستخلفَ على ما غاب عنه من عملِه مَن أحبَّ استخلافه من أهلِ الفَهْمِ والمعرفة، وذوي الدِّين والدَّعة[4] من الفُقهاءِ في الحلال والحرام، العُلماء بمُشْكلِ الأحكام، المشهورينَ بالغَناءِ والكِفاية، الجامعينَ للرّواية والدّراية، الذين لا يألوا فيهم اختياراً وارتياداً، ولا يدّخر في انتخابهم[5] وُسْعاً واجتهاداً. وأنْ يُوصي إليهم إذا ولّاهم خلافتَه، بمثْلِ وصايا أمير المؤمنين له، فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[6].

وأمَرهُ أنْ يَخْتارَ كاتباً عالماً بالمحاضر والسِّجلّاتِ، مُضطلعاً بعِلْم الدَّعاوى والبيّنات، قيّماً على حِفْظِ الشُّروط، عارفاً بكَتْب العقود. وحاجباً ينهي إليه ما دون بابه

---

(١) في الأصل: مرارعاتها.

(٢) في الأصل: واحذا.

(٣) سورة الأعراف، من الآية ٨٥.

(٤) الدَّعة: السُّكون والوقار. ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٣٨٢ (ودع).

(٥) في الأصل: إشجاعهم.

(٦) سورة التوبة، الآية ١١٩.

من الأمور، ويصدقُه عمّن أمّه من الخُصومِ، فلا يُتوى حقّ بإرجائِه إيّاه، ولا ييأس خَصْمٌ بإحجامه عنه، وأنْ يجعلَهما جميعاً، ممّن لا تلحقه استرابةٌ، ولا تُنسَب إليه مَعابةٌ، ولا تناله ظنّة، ولا تتعلّق به تهمةٌ، فإنّ حاجبَه وجهُه، وكاتبَه لسانُه، وهما من أقرب الظُّهراء، وأدنى النُّصحاء وأولى الأصحابِ بأنْ يَنْفعَ رشادُه، ويضرّ فَسادُه، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

وأمَرهُ بأنْ يتسلّم ما خصّ أعماله من ديوان القضاء، المحضر من الشّهود والأُمناء، على ما ثبتٍ لما فيه من الوثائق والسِّجلّات، والمحاضر والوكالات[2]، وجميع الكُتب التي تجري في دواوينِ الحُكّام، وتخلّدُ فيها على مرورِ الأيّام، وأنْ يوكل بها من الخزّان مَن يرتضيه، ويتوسَّمَ الخيرَ فيه، ويوصيه بالاحتياطِ عليها، واستعمالِ الحزم فيها، ويكون من وراءِ تتبُّعِه وامتحانِه، وتفقُّدِه وارتقابِه، فإنْ وقفَ منه على خيانةٍ، أو إخفار أمانة، صَرَفه ظاهراً، واستبدلَ به مُجاهراً، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[3].

وأمَرهُ أنْ يمضيَ الأحكامَ التي سبقَهُ بها الحكّامُ، ولا يردَّ قضيّةَ قاضٍ تقدّمَهُ، إلّا أنْ تكونَ خارجةً عن الإجْماع، غيرَ مرجوعٍ فيها إلى أثَرٍ من الخِلاف، فإنّ حكوماتِ قُضاةِ المسلمين جميعاً جائزةٌ على سُبلها، ماضيةٌ على ما أنفذوه منها، إلّا أن يخرج عن سائر

(١) سورة المائدة، من الآية ٢.

(٢) في الأصل: الوكلات.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٥٨.

أقوالِ المختلفينَ من أئمةِ الفُقهاءِ المتَّبعين، وتنقض منها ما أجمع أهل الفُتيا على خلافه، ولم يكن فيها[١] – على تباين مذاهبهم – قائلٌ به، قال الله جلّ اسمه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[٢].

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، والاحتياطُ لك وعليك، وهاديكَ إلى طريقِ الرّشادِ، وحاديكَ في سَبيل السَّداد، ومُقيمكَ على المحجّة الواضحة، وكفيلك بالحُجَّةِ الصّالحة. وقد أعذرَ أمير المؤمنين فيه وأنذرَ، وبَصّرَ به وحذّرَ، ولم يأْلُكَ فيه وَعْظاً، ولم يدّخرْكَ معه حظّاً، فكن عند ظنِّ أمير المؤمنين بك، وأوفِ على تقديرِهِ فيك، فإنّه اختارَكَ عن علمٍ وبصيرة، وقَدَّمك عن فكرٍ ورويّة. واجعل وَصيّته إمامَك، وقدّمَ هدايته أمامَك، واتّبعْ أمرَهُ في تدبيرِك، وانحُ قولَهُ في أمورِك، وطالعْهُ بما يشكلُ عليك مطالعةَ المسْتَعلِم، وانْهَهُ إنهاءَ المُستفهِم؛ ليصدرَ إليك من رأيه ما تحتذيه، ويردَ عليك من عزمِه ما تقتفيه.

وقدِّمْ التوكّل على الله وحده، والثقة بما عنده، واستمداد التوفيق منه، واستدعاء النِّعَم بشكره، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) في الأصل: منها.

(٢) سورة المائدة، من الآية ٤٤.

........................[1]

..... القابضين بما يقبضونه، وإقامة البراهين على ما يستوفونه، وأنْ يحفظ في ديوان هذه الوُقوف كُتبَ أُصولها وفُروعها، وحِيازاتها ورُسومها، وحُججها وسِجلّاتها، ويستكتب عليها كاتباً سَديداً في صياغته، وثيقاً في ديانته، مبالغاً في استقصاء كلّ حقّ وجد لها معروفاً بإقامة العِمارة، وأداء الأمانة، واستفراغ الوُسْع في النَّصيحة. وخازناً سالكاً هذه السَّبيل في حِفْظ ما يسترعاه، وضَبْط ما يستكفاه، واتّخاذ ثبتٍ لما يتسلّمه[2] من الأعمال، وما يرد وينضاف إليها في مستأنَف الأحوال، على نسختَيْن تكون إحداهما[3] في الدِّيوان عتيدةً لأرباب الوُقوف، والأخرى في يده زِماماً على ذلك، واستظهاراً لنفسه في الاحتياط على ما حصل في ضمنه، فقد قال الله جل من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[4].

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، وحجّته عليك، قد نهج لك فيه سَنَن الهداية المنتهج، وحذّرك من مَسْلك الغِواية الأعوج؛ فاجعله إماماً لك متَّبعاً، وطريقاً مَهْيَعاً. فإنْ أشكل من أمرك مُشكل، أو أعضل عليك مُعضل، أو وقفتَ عند شُبهةٍ تحبّ معها الاستثبات، وتكره الاستبداد والافتئات، رفعتَ ذلك إلى أمير المؤمنين منهياً، وكنتَ فيه برأيه مقتدياً، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) طهران.

هذا عهدٌ بتَقْليد الأوقاف، لكنه مبتور البداية.

(٢) في الأصل: يتسمله.

(٣) في الأصل: أحدهما.

(٤) سورة النساء، من الآية ٥٨.

نُسْخة عَهْدٍ عن الطّائع لله إلى قاضي القُضاة أبي الحسين مُحمّد ابن قاضي القُضاة أبي مُحمّد عُبيدالله بن أحمد بن مَعْروف حين وَلاّه القضاء بسُرّ مَن رأى وغيرها وما أضيف إلى ذلك من أعمال الجزيرة[١]

هذا ما عَهِدَ عبدالله عبدُ الكريم الإمامُ الطّائع لله أمير المؤمنين

إلى مُحمّد ابن قاضي القُضاة عُبيد الله بن أحمد بن مَعْروف[٢]

حين عُرفت الفضيلةُ فيه، وتَقيّل مذاهب أبيه، ونشأ في حضنه في المنْشأ الأمين، وتبوّأ من سببِهِ ونَسبهِ المتبوأ المصون، ووجدَهُ أمير المؤمنين مُسْتحقاً لأنْ يُوسمَ بالصَّنيعة، والمنْزِلةِ الرَّفيعة، على الحداثة من سنِّه، والغَضاضة[٣] من عُوده[٤]، سامياً به في ذلك إلى مراتبِ أعْيانِ الرِّجالِ، التي لا تُدرَك إلّا مع الكمالِ والاكتهال، لما آنَسَ من رُشْدِهِ ونَجابتِهِ، واستوضَح من عَقلِهِ ولَبابته، واسْترجَحَ من وقارِهِ وحلمِه، واستغزر من

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك. العنوان في ط: (عهد إلى القاضي أبي الحسين بن معروف). وأورد القلقشندي هذا العهد في صبح الأعشى، ج١٠، ص٢٨٦. (عن الطّائع لله) و(حين ولاه القضاء ..... أعمال الجزيرة) إضافة من القلقشندي. وأورد الثعالبي فقرة من هذا العهد، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٩٦، ص٣٠٠.

(٢) (ابن معروف) ساقط في ط.

(٣) ط: العصافة.

(٤) (من عودة) ساقط في س.

درايتِهِ وعلمِه، وللّذي عليه شيخُهُ[١] قاضي القُضاة عبيدُ الله بنُ أحمدٍ من حصافة الدِّين، وخُلوصِ اليَقين، والتقدُّم على المتحلِّينَ بحليتِه، والمنتحلين لصناعتِه، والاستبدادِ عليهم بالعِلْمِ الجمِّ، والمعنى الفَخْم، والافتنانِ في المساعي الصّالحة التي تَسودُ أحدهم بأحدِها، وتستحقّ[٢] التجاوزُ لهم مَن استوعَبَها بأسْرِها، وبالثِّقةِ والأمانة، والعفَّة والنَّزاهة، التي صارَ بها عَلَماً فرداً، وواحداً فذاً، حتى تكلَّفَها من أجله مَن ليست في[٣] طَبْعه ولا سِنْخه، فهو المحمودُ بأفعالِهِ التي اختصَّ بها وبأفْعال غيرِه، ممّن حَذاهُ فيها، وبها نَفَق[٤] من بضائع الخير بعد كسادِها، وللسَّابقةِ التي له في خدمةِ المطيع لله صلوات الله عليه أولاً، ثم في خدمة[٥] أمير المؤمنين ثانياً، فإنّها سابقةٌ شائعٌ خَبَرها، جميلٌ أثَرُها، قويةٌ دَواعيها، ممكّنةٌ أواخيها، وللمكانة التي خُصّ بها من أمير المؤمنين، ومن عِزّ الدَّوْلة أبي منصور مَوْلى أمير المؤمنين - أيّده الله - ومن نَصير الدَّوْلة النّاصح[٦] أبي طاهر - رعاهُ اللهُ - من عظماء أهْلِ حَوْزتِهم، وأفاريق عوامّهم ورعيّتهم. فلمّا صَدَق[٧] محمّد[٨] فراسة[٩] أمير المؤمنين ومخايله، واحتذى سَجايا أبيه وشمائلِهِ، وحصلَ له ما حَصلَ من الحرمات المتأثلة، والموات المتّصلة، أحرَزَ من الأثَرَة على قُرب

---

(١) بهامشها في ف: «لعلّه سنخه»، وفي ر: «سجية».

(٢) س: يحق.

(٣) ط: من.

(٤) ط: اتفق.

(٥) (المطيع........ خدمة) من ط فقط.

(٦) ساقطة في ط.

(٧) س: صدف.

(٨) ط: فلان.

(٩) في الأصول الخطية: فراسته، آثرنا ما في صبح الأعشى.

المدى ما لا يُحرِزُهُ[١] غيرُهُ على بعد المرمى، واستَغْنى أمير المؤمنين فيه[٢] عن طولِ التّجربة والاختبار، وتكرّر[٣] الامتحانِ والاعتبار؛ فقلّده[٤] الحُكم بين أهْل: سُرّ مَن رَأى، وتَكْريت، والطّيْرَهان[٥]، والسِّن، والبَوازيج، ودَقوقا، وخانيجار[٦]، والبَنْدَنيجَيْن[٧]، وبُزُرْجَسابور[٨]، والرّاذانَيْن، ومَسْكِن، وقُطْرَبُّل[٩]، ونهر بُوق، والذيبين[١٠]، وجميع الأعمالِ المُضافة إلى ذلك، و[١١]المنسوبة إليه، وشَرَّفَهُ بالخِلَع والحمْلان، وضُروبِ الإنْعام والإحسان.

وكان فيما أعطاهُ من هذا المنصب[١٢] والمجد، ونَحلَهُ إيّاه من مَفْخرة العدّ، مُبْتغياً ما كَسِبَهُ من[١٣] الله من الرِّضا والزّلفى، والسَّلامة في[١٤] الفاتحة والعُقْبى، وراعياً لما يوجبُهُ

(١) ط: بحرز.

(٢) من ط فقط.

(٣) س: تلون.

(٤) من ط فقط.

(٥) ر: الطبرهان.

(٦) ف: خانجار.

(٧) ف: البريخين، ر: البرنحين، س: الترنحين.

(٨) ف، ر: نرحسابور، س: زحسابور.

(٩) من قرى بغداد. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٧١.

(١٠) ف، س: الدبين، ر: الدين. انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٥.

(١١) من: ط.

(١٢) س، ف، ر: الصيت.

(١٣) من: ط.

(١٤) من: ط.

لقاضي القُضاة عُبيد الله بن أَحْمَد[١] من الحُقوقِ، التي أَخْفى منها أكثر ممّا أَبْدَى، وأَمْسَك وأَمْسَك عن أضعاف ما أحصى، وذاهباً على آثارِ الأئمةِ المَهْديّين[٢]، والوُلاة المجتهدين في إقرارِ وَدائعِهم عند المرشَّحين لِحفْظها، المضطلعين بحمْلِها، من أولادِ أوليائهم، وذريّةِ نُصَحائهم، إذ كان لا بدَّ للأسْلافِ أنْ تمضي، وللأخلافِ أنْ تنمى كالشّجر الذي يُغرس لَدِناً فيصيرُ عظيماً، والنّبات التي يَنْجمُ رَطباً فيصيرُ هشيماً، فالمُصيب مَن تخيّر الغَرس من حيثُ استنجب الشَّجر، واستحلى الثّمر، وتعمّد بالعُرْفِ مَن طاب مِنه الخبر، وحَسُنَ منه الأثَر.

وأميرُ المؤمنين يَسْألُ الله تسديداً تُحمدُ[٣] عائدتهُ، وتدرُّ عليه مادتُهُ، ويتولّاه به[٤] في العزائم التي يعزمُها[٥]، والأمور التي يُبرمها، والعقودُ التي يعقدُها، والأغراضُ التي التي يعتمدُها، وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله، عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

أمَرهُ باعتقادِ التَّقْوى، فإنّها شعارُ أهلِ الهدى، وأنْ يُراقب اللهَ مراقبةَ المتحرّزِ من وَعيدِهِ، المتنجّز لمواعيدِهِ، ويطهّر قَلْبَهُ من مُوبقاتِ الوَساوسِ، ويُهذِّبهُ من مُرديات الهواجِسِ، ويأخْذ نَفْسه بمَأخذ[٦] أهل الدِّين، ويُكلِّفَها كَلف الأبرار المؤمنين، ويمنعَها من أباطيل الهوى وأضاليل المُنى، فإنّها أمّارةٌ بالسُّوءِ، صَبّةٌ إلى الغي، صادّةٌ عن الخَيْر، صادفةٌ عن الرُّشدِ، لا ترجعُ عن مضارِّها إلّا بالشكائم، ولا ينقادُ إلى منافِعها إلا

---

(١) (بن أحمد) ساقط في ط.

(٢) ف: المهذبين.

(٣) ف، ر، س: يحمده.

(٤) من: ط.

(٥) ط: يعرفها.

(٦) س، ف، ر: بها أخذ.

بالخزائم، فَمَن كبحها وثناها نجّاها، ومَنْ أطْلَقها وأهرجها[١] أرْدَاها، وأوْلَى مَن جعل تقوى الله دأبه ودينُه، والخيفةُ منه مِنْهاجَه وسَنَنُه، مَن ارتدى رِداء الحكّام، وأمر ونهى في الأحكام، وتصدَّى[٢] لكفِّ الظالم، وردِّ[٣] المظالِمِ، وإيجابِ الحدودِ ودرئها، وتحليل الفُروج وحظرها، وأخْذِ الحقوقِ وأعطائها، وتَنْفيذِ القضايا وإمضائها، إذ ليس له أنْ يأمر ولا يأتمر، ويزْجُرَ ولا يزْدجِرَ، ويأتي مثل[٤] ما ينْهى عنه، ويَنْهى عمّا يأتي مثلَهُ، بل هو محقوقٌ بأنْ يصلحَ ما بين جنبيه قبل أنْ يصلح مَن رُدّ أمرَهُ إليه، وأنْ يهذّبَ من نَبْته ما يحاولُ أنْ يهذّب من نيّته، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٥]، وقال ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٦].

وأمَرهُ بالإكثار من تلاوةِ القرآن الواضح سَبيلُه، الرّاشد دَليلُه، الذي مَن استضاء بمَصابيحه أبصر ونجا، ومَن أعْرض عنها زلّ وغوى، وأنْ يتّخذَهُ إماماً يُهتدى بآياته، ويُقتدى ببيّناتِه، ومثالاً يَحْذو عليه، وتُردّ الأصولُ والفروعُ إليه، فقد جعله حجّتَهُ الثّابتة الواجِبة، ومحجّتَهُ المستبينة[٧] اللّاحبة، ونورَهُ الغالب السّاطع، وبُرْهانَهُ الباهرَ النّاصع،

(١) ف: أرهجها.

(٢) ط: تصدر.

(٣) (الظالم ورد) ساقط في: ر، ف.

(٤) ساقطة في ط.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٦) سورة البقرة، من الآية ٢٤.

(٧) ط، ر: المستتبة، وساقطة في س.

وإذا وَرَد عليه معضلٌ، أو غُمَّ عليه مُشْكِلٌ، اعتصَمَ[١] به عائذاً، وعَطَف عليه لائذاً، فبه يُكْشَف الخَطْب، ويُذلّل الصَّعْب، ويُنالُ المأرَب، ويُدرك المطْلَب، وهو أحدُ الثقلين اللّذين خلّفهما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم فينا، ونصبهما معلماً[٢] بعْدَه لنا، قال اللهُ عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[٣]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٤].

وأمَرهُ بالمحافظة على الصَّلوات، وإقامتِها في حقائق الأوْقات، وأنْ يدخلَ فيها أوان[٥] حُلولِها، بإخلاصٍ من قلبِهِ، وحضورٍ من لبِّهِ، وجَمْعٍ بين لفظِهِ ونيّتِهِ، ومطابقةٍ بين قولِه وعملِه، مرتّلاً للقراءة فيها، مفصحاً بالإبانة لها، متثبتاً في رُكُوعها وسُجودِها، مُسْتوفياً لشُروطِها وحُدودِها، متجنِّباً لجرائر الخطأ والسّهو، وعَوارض الخطل واللّغو؛ فإنّه واقفٌ بين يديّ جبّار السَّمواتِ والأرضِ، ومالكِ البَسْط والقَبْض، والمطَّلعِ على خائنةِ كلِّ عَيْنٍ، وخافيةِ كلِّ صَدْر، الذي لا تَحْتجبُ دونَهُ طويّة، ولا تستعجم عليه خبية، ولا يُضيعُ أجرَ مُحْسِنٍ، ولا يُصلح عمل مُفسدٍ، وهو القائلُ عزّ وجلّ: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[٦].

وأمَرهُ بالجلوسِ للخصوم، وفَتْح بابه لهم على العموم، وأنْ يوازيَ بين الفريقينِ إذا

---

(١) ف: واعتصم.

(٢) س، ف، ر: ونصبه علماً.

(٣) سورة النساء، الآية ١٠٥.

(٤) سورة فصلت، الآيتان ٤١-٤٢.

(٥) ف، ر، س: أوقات.

(٦) سورة النساء، من الآية ١٠٣.

تقدّما إليه، ويُحاذي بينهما في الجلوسِ بين يديه[١]، ويُقسمَ لهما أقساماً متماثلةً من نظره، وأقساطاً متعادلة من كلمه؛ فإنّه مقامُ توازن الأقدام، وتكافؤ الخواصّ والعَوام، ولا يُقْبِل على ذي هيئةٍ لهيئته، ولا يُعرِضُ عن دَميمٍ لدمامتِهِ، ولا يزيدُ شريفاً على مشروف، ولا قويّاً على ضعيف، ولا قريباً على أجنبيٍّ، ولا مِلِّياً على ذميٍّ، ما جَمَعَها التّخاصم، وضمّهما التّحاكم. ومَنْ أحسّ منه بنُقْصان[٢] بَيان، وعَجْزٍ عن بُرْهان، وقُصورٍ عن عِلْم، وتأخّر في فَهْم، صَبَرَ عليه؛ حتى يستنبطَ ما عنده، ويستشفّ ضميرَه، وينقع بالإقناع غلَّتَه، ويزيح بالإيضاحِ[٣] علَّتَه[٤]. ومَنْ أحسّ منه بلسانٍ وعبارة، وفضلٍ من بلاغة، أعمَلَ فيما يسمعه[٥] منه فكرَه، وأحضره ذهنَه، وقابله بسدّ[٦] خلّة خَصْمه، والإبانة لكلٍّ منهما عن صاحبه، ثم سلّط على أقوالهما ودعاويهما تأمّله، وأوْقَعَ على بيّناتهما وحُجَجِهما تدبُّرَهُ، وأنْفَذ حينئذٍ الحكومَةَ إنْفاذاً، يعلمان به أنّ الحقَّ مستقرٌّ مقرّه، وأنّ الحكمَ[٧] موضوعٌ موضعَهُ، فلا يبقى للمحكوم له استزادة، ولا للمحكومِ عليه استرابة.

وأنْ يأخذ نفسَهُ مع ذلك بأطْهرِ الخلائقِ وأحْمدِها، وأهْذبِ السَّجايا وأرْشدَها، وأنْ يقْصدَ في مشيتِهِ ويغضّ من صوتِهِ، ويحْذفَ الفُضول من لحظِهِ ولفظِهِ، ويُخفِّفَ من

(١) ف: بينهما، مكررة.
(٢) ط: فيه نقصان.
(٣) ط: بالإفصاح.
(٤) ف: شبهته.
(٥) س: يستحقه.
(٦) س: بنشر.
(٧) ف: الحق، مكررة.

حركاتِهِ ولفتاتِهِ، ويتوقّرَ من سائرِ جنباتِه وجهاتِه، ويتجنّبَ الخُرْق والحِدّة[١]، ويتوقّى الفَظاظَةَ والشِّدَّة، ويليّن كنفه من غَيرِ مهانةٍ، ويربّ هيبتَهُ[٢] من غيرِ غلظةٍ، ويتوخّى في ذلك وقوفاً بين غايتَيْه، وتوسُّطاً بين طرفَيْه، فإنّه يُخاطِبُ أخلاطاً من النّاس مُخْتلفين، وضُروباً غير متّفقين، ولا يَخْلو فيهم من الجاهلِ الأهْوجِ، والمظْلومِ المُحْرجِ، والشَّيخ الهمّ، والنَّاشِئ الغرِّ، والمرأةَ الرَّكيكة، والرَّجلِ الضّعيف النَّحيزة. وواجبٌ عليه أنْ يَغمرَهم بعَقْلِه، ويَشْملَهم بعدلِه، ويقيمَهُم على الاستقامةِ بسياستِه، ويعطفَ عليهم بحِلْمِه ورياستِه.

وأنْ يجلسَ وقد نالَ من المَطْعم والمَشْربِ طرفاً يقفُ به[٣] عند أوّل الكفاية، ولا يبلغَ منه إلى آخر النِّهاية، وأنْ يعرضَ نفسَهُ على أسباب الحاجة كلِّها، وعَوارض البشريّة بأسْرها[٤]، لئِلَّا يُلمَّ بـه مـن ذلـك ملمٌّ، أو يطيفَ به طائفٌ، فيُحيلانه عن جَلَده، ويحولانِ بينه وبين سَدده. وليكن[٥] همُّه[٦] إلى ما قال ويقال له مَصْروفاً، وخاطرُهُ على ما يَرِدُ عليه ويصدر عنه[٧] مَوْقوفاً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[٨].

---

(١) ساقطة في ف.

(٢) ف: هيئته.

(٣) ط: فيه.

(٤) ساقطة في ف.

(٥) ط: لتكون.

(٦) ط، س: همته.

(٧) (ويصدر عنه) من: ط.

(٨) سورة ص، الآية ٢٦.

وأمَرهُ إذا ثبتَ عنده حقّ من الحقوقِ لأحدٍ من الخُصومِ أنْ يَكْتبَ له متى التمسَ ذلك إلى صاحبِ المعونةِ في عملِه، بأنْ يمكّنَهُ منه ويحسم المعارضات فيه عنهُ، ويقبض كلِّ يدٍ تمتدُّ إلى مُنازعتِه، أو تتعدّى إلى مُجاذبتِه، فقد نَدَب الله النّاس إلى مُعاونة المحقّ على المُبْطل، والمظلوم على الظّالم؛ إذ يقولُ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1].

وأمَرهُ بأنْ يسْتَصْحِبَ كاتباً دربـاً[2] بالمحاضر والسِّجلاتِ، ماهراً في القَضايا والحكوماتِ، عالماً بالشُّروط والحُدودِ، عارفاً[3] بما يجوزُ وما لا يجوزُ، غَيْر مقصّرٍ عن[4] القُضاة المستورينَ، والشّهودِ المقبولينَ، في طهارةِ ذيله، ونقاء جَيْبه، وتصوّنه عن خُبث المأْكلِ والمطْعم[5]، ومفارقةِ الرِّيَب والتُّهم؛ فإنّ الكاتبَ زمامُ[6] الحاكمِ الذي إليه إليه مرجعَهُ، وعليه معوّله، وبه يحترسُ من دَواهي الحِيلِ، وكوامن الغِيَل. وحاجباً سديداً رشيداً، أديباً لبيباً، لا يُسفُّ إلى دنيّة، ولا يلمُّ بمنكرةٍ، ولا يقبلُ رِشْوةً، ولا يلتمسُ جُعْلاً، ولا يحجبُ عنه أحداً يحاولُ لقاءَهُ في وقتِهِ، والوصولُ إليه في حينه. وخلفاء يردّ إليهم ما بعد من العمل عن مقرّه، وأعجزه أنْ يتولّى النّظرَ فيه بنفسِهِ، ينتخبهم من الأفاضلِ، ويتخيّرهم من الأماثلِ، ويعهد إليهم في كلِّ ما عهد فيه إليه[7]،

(١) سورة المائدة، من الآية ٢.

(٢) ط: عارفاً.

(٣) س، ر: عالماً، ف: عاملاً.

(٤) س: مقتصر من.

(٥) س، ر: المطاعم.

(٦) ط، ف: ذمام.

(٧) ساقطة في ط.

ويأخذُهم بمثلِ ما أخذ به، ويجعلُ لكلٍّ من هذه الطوائفِ رزْقاً يكفّه ويكفيه، وقُوتاً يحجزُه ويغنيه[١]، فليسَ تلزمهم الحجّةُ إلّا بعد إعطائِهم الحاجة، ولا يُؤخذ عليهم بالوثيقة إلّا مع إزاحةِ العلَّة، فقد قال اللهُ تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾[٢].

وأمَرهُ بإقرار الشُّهودِ الموسومينَ[٣] بالعَدالةِ على تعديلهم، وحَمْلِهم على ظاهر السَّلامة وإمضاءِ القَضايا بأقوالهم وبشِعار الاستقامة[٤]، وأنْ يعتمد مع هذه الحال للبحث عن أدْيانِهم، والفَحْصِ عن أماناتِهم، والإصغاءِ إلى[٥] الأحاديثِ عَنْهم، من ثناءٍ يتكرَّر، أو قَدْحٍ يتردَّدُ[٦]، فإذا تواتر[٧] عنده أحدُ الأمرينِ، ركن إلى المُزكَّى الأمين، ونبا عن المُتّهمِ الظَّنين، فإنّه إذا فعلَ ذلك[٨]، اغتبط[٩] أهْلُ الأماناتِ بأماناتِهم، ونَزَع أهلُ الخيانةِ عن خياناتِهم، وتقرَّبوا إليه بما ينفق في سوقِهِ، ويستحقُّ به التوجّه عنده، واستمرَّ شهودُه وأمناؤه وأتْباعُه وخُلفاؤه[١٠] على المَنْهجِ الأوْضحِ، والمَسْلكِ الأنْجح،

---

(١) ف: يقيه.

(٢) سورة النجم، الآيات ٣٩-٤١.

(٣) ط، ر، س: المرسومين.

(٤) (وإمضاء........ الاستقامة) ساقط في ط.

(٥) ف: عن.

(٦) ف: يتزرر.

(٧) س، ر، ف: تم.

(٨) (فعل ذلك) ساقط في ف.

(٩) ط: ارتبط.

(١٠) ف: خلفاء.

وتحصَّنتِ الأموالُ والحقوق، وصينتِ الحُرمات والفُروج. ومتى وقف لأحدٍ منهم على هَفْوةٍ لا تُغفر ، وعَثْرةٍ لا تُقالُ أسْقطهُ من عددِهم، وأخْرجهُ عن جُملتِهم، واعتاضَ منه[١] مَن يرتضي دينَهُ وأمانتَهُ، قالَ اللهُ عزّ وجلّ[٢]: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[٣]، وقال في الشهادة: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾[٤].

وأمَرهُ بالضّبطِ لما يجري[٥] في عملِه، من الوُقوف الثّابتة في ديوانِ حُكْمِهِ، والتّعويلِ فيها على الأُمناءِ الثِّقات، والحُصفاءِ الكُفاة، المَعْروفينَ بالظَّلَف، المتنزِّهينَ[٦] عن الجشع[٧] والنَّطَف، والتَّقدُّمِ إليهم في حِفْظ أُصولِها وتوفير فروعها، وتثمير غلالِها[٨] وارتفاعِها[٩]، وصَرْفِها إلى أهْلِها[١٠] ومستحقِّيها، وفي وُجوهِها[١١] وسُبلِها، ومطالبتهم بحسابِ ما يَجْري على أيْدِيهم، والاستقراءِ لآثارِهم فيه وأفعالِهم، وأنْ يحمِدَ منهم مَن كفى وكفَّ، ويذمَّ مَن أضاعَ وأسفَّ، ويُنزلَ كلًّا منهم منزلتَهُ التي استحقَّها بعملِهِ،

---

(١) ف، ر، س: منهم.
(٢) (قال الله عزّ وجلّ) ساقط في ط.
(٣) سورة الطلاق، الآية ٢.
(٤) سورة النساء، من الآية ٥٨.
(٥) ف، س: جرى.
(٦) ر: المنزهين.
(٧) ساقطة في ط.
(٨) ف، ر، س: اغتلالها.
(٩) الارتفاع: الأموال المحصَّلة.
(١٠) ساقطة في ف.
(١١) ف: وجهها.

واستوجبها بأثرِه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[١].

وأمَرهُ بالاحتياطِ على أمْوالِ الأيتامِ، وإسْنادِها إلى أعفّ وأوْثقِ القُوّام، والتَّقدُّمِ إلى كلِّ طائفةٍ منهم بأنْ يُجريَهم مجْرى ولدِه، ويُقيمَهم مقامَ سُلالتِهِ في[٢] الشّفقةِ عليهم، والإصلاح لشؤُونِهم، والإشْرافِ على تأديبهم[٣]، وتلقّنهم ما لا يَسَعُ لمسْلمٍ[٤] جَهلَهُ من الفَرائضِ المفْترضةِ[٥]، والسُّنَنِ المُؤكّدةِ، ويخرّجهم في أبْوابِ معايشِهِم، وأسبابِ مَصالحِهم، والإنفاقِ عليهم[٦] من عرضِ أمْوالِهم بالمعْروفِ، الذي لا شططَ فيه ولا تبذيرَ، ولا تَضْييق ولا تَقْتير، فإذا بَلَغُوا مَبالغَ كَمالِهم، وأونَس منهم الرُّشْد في متصرَّفاتِهم، أطْلَق لهم أمْوَالهم، وأشْهد بذلك عليهم، فقد جعلَهُ اللهُ بما تقلده من الحُكْم، خَلفاً من الآباءِ لذَوي اليُتْم[٧]، وصارَ بهذه الوِلاية عليهم مَسْؤوْلاً عنهم، و[٨]مُجْزياً عما سار به فِيهم، وأوصله[٩] من خَيْرٍ أو[١٠] شرٍّ إليهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٨.
(٢) ط: و.
(٣) ف، ر، س: دينهم.
(٤) ساقطة في ط.
(٥) ط: المكتوبة.
(٦) ساقطة في ط.
(٧) س: اليتيم.
(٨) من: ط.
(٩) ف، ر، س: وواصله.
(١٠) ط: و.

﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[١].

وأمَرهُ بحفظِ ما في ديوانِه من الوثائق والسِّجلّات، والحُججِ والبيِّنات، والوَصايا والإقرارات، فإنّها ودائعُ الرّعيّة عنده، وواجبٌ أنْ يحرسَها جهْده، وأنْ يكِلَها إلى الخُزّانِ المأمونين، والحفظةِ المتيقّظين، وأنْ يُوعِزَ[٢] إليهم بأنْ لا يُخرجوا شيئاً منها عن مَوْضعِه، ولا يُضيفوا إليها ما لم يكنْ بعِلْمِه، وأنْ يتّخذ لها ثبتاً[٣] يَحْصُرها به، ويجعلُه بحيث يَأْمنُ[٤] عليه، ليرجع متى احتاج إلى الرُّجوعِ إليه، فقد قرَّظ الله عزّ وجلّ الذين: ﴿هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٥].

وأمَرهُ إنْ وَرَد عليه أمرٌ يُعييه فصلُهُ، ويشتَبِهُ عليه وجهُ الحُكْم فيه؛ أنْ يردَّهُ إلى كتابِ الله تعالى ويطلبَ فيه[٦] سَبيل المخلص منه، فإنْ وجدَهُ وإلّا ففي سُنَّةِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم، فإنْ أدْركهُ وإلّا استفتى فيه مَن يليهُ من ذوي الفِقهِ والفَهْم، وأهْل الدِّراية والعِلْم، فما زالتْ الأئمةُ والحُكّام من السَّلف الصّالح، وطُرّاق السَّنَنِ الواضِح، يَسْتَفْتي واحدٌ منهم واحداً، ويَسْتَرْشِدُ[٧] بعض بعضاً، لزوماً للاجتهاد، وطَلَباً

(١) سورة النساء، الآيتين ٩، ١٠.

(٢) ط، ر: ويوعز.

(٣) ف، ر، س: بيتاً.

(٤) ف: يومين.

(٥) سورة المعارج، الآية ٣٢.

(٦) ف، ر، س: منه.

(٧) ف: يرشد.

للصَّواب[١]، وتحرُّزاً من الغَلَطِ، وتوقّياً من العثار. قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٢].

وأمَرهُ ألّا يَنْقضَ حُكْماً حَكَم به مَن كان قَبْلَهُ، ولا يَفْسخَهُ، وأنْ يعملَ به[٣] ولا يعدلَ عنه ما كان داخلاً في إجْماعِ المسلمين، وسائغاً في أوضاع المؤمنين[٤]، فإنْ خرجَ عن الإجْماعِ، أوْضح الحال[٥] فيه لمن بحضرتِهِ[٦] من الفُقهاءِ والعُلماء، حتى يصيروا مِثْلهُ في إنْكاره[٧]، ويجمعوا معه على إيجابِ ردِّهِ، ثم يَنْقضُهُ حينئذٍ[٨] نَقْضاً يَشيع ويذيع، ويَعُود[٩] الأمْرُ به[١٠] إلى واجبه، ويستقرُّ معه الحقُّ في نصابِهِ، قال اللهُ عزّ وجلّ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[١١].

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليكَ، وحجّتُه عليك، قد شَرَحَ به صَدْركَ، وأوْضَحَ سُبلك، وأقامَ أعلامَ الهداية لك، ولم يَأْلُكَ تَبْصيراً وتذكيراً، ولم يذخرك تعريفاً وتوقيفاً،

---

(١) ف: للثواب.

(٢) سورة النساء، من الآية ٥٩.

(٣) ط، ر، س: عليه.

(٤) ط، ر، س: الدين.

(٥) س، ف: الحل.

(٦) ط: يحضره.

(٧) س، ر، ف: أذكاره.

(٨) ساقطة في ط.

(٩) بعدها في: س، ف، ر: معه.

(١٠) من: ط.

(١١) سورة المائدة، من الآية ٤٧.

ولم يجعلْك في شيءٍ من أمْرِكَ على شُبْهةٍ تَعْترُضكَ، ولا حَيْرةٍ تعتاقك، واللهُ شاهدٌ له بخروجه عن[١] الحقّ، فيما وصَّى وعَهِد، وعليكَ بقبولكَ ما قَبِلت ممّا ولّى[٢] وقيّد. فإنْ عَدلتَ واعْتدلتَ - و[٣]ذلك خليقٌ بكَ - فقد فازَ وفزتَ معه. وإنْ تجانفت[٤] وزَللتَ - وذلك بعيدٌ منك - فقد ربح وخسرتَ دونه؛ فلتكن التَّقوى زادَك، والاحتراسُ[٥] شعارَك، واستعِنْ بالله يُعنْك، واستهدِهِ يَهدْك[٦]، واعتضدْ به يعضدْك، واستمددْ من توفيقه يمددك[٧] إنْ شاء الله تعالى.

وكَتَب نصيرُ الدَّوْلة النّاصِح أبو طاهر يوم[٨]..... من[٩] رجب سنة ستٍّ وستّين وثلاثمائة.

---

(١) ف، س: من.

(٢) ساقطة في ط.

(٣) ف، ر، س: كان.

(٤) ف، ر، س: تخلفت.

(٥) ف: الاحتراز.

(٦) س: يهديك.

(٧) س: توفيقك.

(٨) من ر فقط؛ وبعدها فراغ.

(٩) ط: في.

وكَتَب عن الطّائع لله
بتقليد أبي بكر أحمد بن مُحمّد بن هاشم
الصّلاة والمظالم ونقابة العَبّاسيين
بسُرّ مَن رأى وطريق الموصل[(١)]

أما بعد، فإنّ أمير المؤمنين بما خصّه الله - تعالى - به من شرف الولادة، وحازه له من إرْث النبوّة، وبوّأه من محلّ الخلافة، واسترعاه من أمر الأمّة، يرى أنّ من أجلّ نِعَم الله - تعالى - عليه، وأسْنى مَواهبه المسوقة إليه اعتقاده رعاية الحرمات، واعتماده العطف على ذوي الموات، وتصفّحه أحوال مَن يضمّه إليه شريف النَّسَب، وتحنوه عليه السُّهْمة في الحَسَب، وإنزال كلّ ذي فضلٍ منهم في دينٍ ومروءة، أو علمٍ وحُسْن رِعة، المنزلة التي يستحقّها بخلاله، ويدعو مَن كان مثله من ذوي القُربى من أمير المؤمنين إلى التحلّي بمثل خِصاله؛ ليعمّهم فضل الخلق بالاكتساب، كما يشملهم كرم السِّنْخ[(٢)] في الانتساب، ويحلّوا من الفضل في العلم والدِّين المحلّ المشاكل لموقعهم من أمير المؤمنين، وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله، عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

ولم يزل أمير المؤمنين بفرط مُراعاته لأحوال كافّة بني هاشم يعرف من حُسْن طَرائقك، وجَميل خَلائقك، وسُلوكك في طلب العلم، والتحلّي بحلى أهل الدِّين سَبيل

---

(١) طهران (العنوان فيها: وله عنه بتقليد ......).

توفي القاضي أحمد بن مُحمّد بن أبي موسى الهاشمي سنة ٣٩٠هـ. الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ص٤٠٧.

(٢) السِّنْخ: الأصل من كل شيء. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢٦ (سنخ).

جدّك وأبيك، إلى ما لك عند أمير المؤمنين من مُحكم الأواصر، ومُبرم المرائر، وقويّ الحرمة، وقديم الخدمة، ما أحبّ أمير المؤمنين معه الرّفع منك، وآثر له التّنويه بك، ورأى - أجلّه الله - أنّ من حقّك أنْ يسمو بك إلى المنازل التي أهّل آباؤه خُلفاء الله الرّاشدون - صلوات عليهم - أسلافَك لها، ويفرع بك المراتب التي رَقّوهم إليها، ويسمك من جَليل الأعمال بما يلوح عليك جمالُه، ويبقى في أعقابك ذكرُه وفخرُه.

وقد رأى أمير المؤمنين أنْ يقلّدك ما كان الحسن بن مُحمّد الهاشمي[1] يتقلّده من الصّلاة والمظالم ونقابة العَبّاسيين، بسُرّ مَن رأى وطريق الموصل؛ لما رجاه عندك من الكفاية، وتخيّله فيك من حُسْن الحمْل للنِّعْمة؛ فتولَّ ما وَلّاك أمير المؤمنين، مقدِّماً تقوى الله - عز وجل - في سِرّك وعَلانيتك، مُسْتشعراً خيفته في قولك وفعلك، مُؤثراً طاعته، مُجْتنباً معصيته، آخذاً بعزائم أمره، مُسْتمسكاً في سيرتك بعُرى فرائضه، سالكاً في ولايتك سُبل الأبرار، مُتَشبِّهاً في سيرتك بالأخيار.

ومُرْ خُلفائك على ذلك، وائتمر بإقامة الصّلاة لأوقاتها، ومُراعاة أحيانها وساعاتها، وتَوْفيتها حقّها من السّجود والرّكوع، والاستكانة والخضوع، وترتيل القرآن إذا قرأوا، وإبلاغ الموعظة إذا خطبوا، والبروز إلى الجوامع والمصلّيات في العيدَيْن والجمعات، وإقامة الدّعوة لأمير المؤمنين على رَسْمها، وذكر رُكْن الدَّوْلة أبي عليّ، ومُعزّها أبي الحسين، وعِزّها أبي منصور - أحسن الله حياطَتهم - بعده. والنَّظَر في مظالم الرّعيّة بإنْصافٍ شامل، وحُكْمٍ عادل، وتَسْويةٍ بين القويّ والضّعيف، وأخذٍ للمظلوم من الظّالم، وتثبُّتٍ فيما أشكل من الحكم، ومُشاورةٍ لأهل الفقه والعلم، وتوقُّفٍ عن

---

(١) عنه، انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السّلام، ج٧، ص٧٦١؛ الحصري، جمع الجواهر، ص١٢٧؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص١٦٦؛ القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص٢٠٣.

البتّ إلّا بعد اليقين والتثبُّت، وتوقٍّ للعَجلة قبل وضوح الحقّ، والحذر من مُحاباةٍ في قضية، أو مراقبةٍ لذي عُلوٍّ ورفعة، والتصفُّح لأحوال العَبّاسيين في سيرهم، والبحث عن أفعالهم وطَرائقهم، والأخذ على يد مَن ظهر منهم سَفاهٌ أو خُرْق، وتقويم مَن أُنكر منه عملٌ أو خلق؛ حتى تستقيم جماعتُهم على المحجّة الواضحة، ويسلكوا النَّهْج العادل.

واختر لوِلاية ذلك من قِبَلك مَن قد خبرتَ دينه، ووثقتَ بعلمه، وكان مشهوراً بالوَرع والصِّيانة، منسوباً إلى العفّة والدِّيانة، مبرّأً من المطاعن التي توقع الأمانة، سليماً من العُيوب التي تغضّ من المروءة. وشارف أحوالهم على الأوقات، واستشفِ سيرهم في سائر الأحيان والسّاعات. فإنْ عرفتَ من أحدهم ما تنكره، عجلتَ الاستبدال به، ولم تكن شريكه في مأثمٍ ارتكبه.

واعلم أنّ أمير المؤمنين أخذ فيك بمثل وَصيّته لك، ومتعرّفٌ من مذاهبك ما أمرك بتتبُّعه من خُلفائك، فإنْ كنتَ عند ظنّه بك أوفى على عِدّته لك، وإنْ أخلفتَ تعرّضتَ لارتجاع ما أعارك.

وأمير المؤمنين يرجو أنْ تكون النِّعمةُ واقعةً عندك موقعها، والصَّنيعةُ مودعةً منك مودعها؛ فالدّلائل صادقةٌ فيك، والمخايل مؤذنةٌ بصحّة المأمول منك، وحَسْب أمير المؤمنين الله ونِعْم الوكيل.

وقد كَتَب أمير المؤمنين إلى الحسن بن مُحمّد كتاباً يقترن بهذا الكتاب، أعلمه فيه ما رآه من التّعويل عليك في هذا العمل، وأمره بتسليم جميعه إليك؛ فأوصل الكتاب، وتسلَّم الأعمال، وطالع أمير المؤمنين بأخبارك في ما فوّضه إليك، واستمدد أمره فيما أشكل عليك، يرشدك إلى ما يهديه الله له بتوفيقه، ويقفك على ما يلهمه الله إيّاه بلطيف صُنعه، إنْ شاء الله.

وكَتَب بتقليد القاضي أبي القاسم عُمر بن حَسّان الجوامع بمدينة السَّلام[1]

أما بعد، فإنّ أمير المؤمنين مُنصرف الاهتمام إلى ما وَكّله الله تعالى إليه من أمور الإسلام، حتى تستمرَّ على السَّداد، وتَسْتوِ على الاستقامة والاطّراد. ولذلك، لا يزال يتطلّب لها ثقات الأعوان، وكُفاة أهل الزّمان الذين أنتَ - بحمد الله - فيهم مبرِّز، وممّا أَخَّرك عنهم متحرِّز، بمذهبك الذي استشفَّه أمير المؤمنين وخَبِره، واستبرأه وسَبَره، ووَجَده سَليماً من العَيْب، بريئاً من الرَّيْب، خالياً من القَدْح، مشتملاً على الأمانة والنُّصْح.

ولما كنتَ عند أمير المؤمنين بهذا النَّعْت الجميل، وكانت الجوامعُ بمدينة السَّلام المهمّ الجليل، رأى تفويضَها إليك، والاعتماد فيها عليك؛ لما تخيّله في ذلك من الصَّلاح، وأمّله من عائدة النَّجاح والفَلاح، والله يَخير لأمير المؤمنين فيما دَبَّر، ويجري أمر هذه المساجد بنظرك على ما قدَّر منه؛ فتولَّ ما رآك أمير المؤمنين له أهلاً، ويرجو أنْ تكون أكثر منه مستقلًّا. وادخلْ فيه بجدٍّ لا يهجنه فُتور، واجتهادٍ لا يتَخوّفه تقصير، وتقوى بعيدةٍ من الفشل، وتقرُّبٍ إلى الله وإلى أمير المؤمنين بحسن العمل.

واشرفْ بنفسك على الجوامع، وبثقاتك إنْ عَرَض لك عارضٌ قاطع، إشرافاً

---

(١) طهران.

أبو القاسم هذا نقل عنه القاضي التنوخي بعض الروايات، وعرّفه بقوله: «حدثنا أبو القاسم وقد تولّى القضاء بديار مضر من قبل قاضي القضاة». نشوار المحاضرة، ج٣، ص٢٥٢، ج٨، ص٢٣٥.

يحميها من الاضطراب، ويحرسها من الخراب، ويصونها عن جُموع الجدال، ويصدّ عنها أهل الدّناءة والضّلال، ويعمرها بالأفاضل والأخيار، ويعين على إقامة فُروض الله فيها باللَّيل والنَّهار؛ فإنّها بيوتُ الله عزّ وجلّ، يجب تطهيرها من الدَّنَس، وتهذيبها من شوائب الرِّجْس والنَّجَس، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1].

وراعِ أمر المصابيح؛ حتى لا يلحقها اختلال، ولا يقع بالاستكثار منها إخلال، فإنّ فيها أُنْس المتهجِّدين.

وابحث عن خفايا القُوّام عليها، وذوي الخدمة فيها؛ فمَن أحْمَدْتَه أقررْتَه، ومَن ذَممْتَه استبدلْتَ به وصَرَفْتَه. وخذهم بتنظيفها في كلّ الأوقات، وحذِّرْهم مدَّ الأيدي إلى ما فيها من سائر الآلات؛ فإنّ المساجد تُرفق ولا تَرفق، وقد أقيم لهم من الرِّزْق ما أنتَ له متنجِّزُه، ومُفرِّقه عليهم، وفيه بلاغٌ يُغنيهم، ومَقنعٌ يكفيهم.

وأوعز إليهم بتعهُّد ما في خزائنها من الأجزاء والمصاحف، لئلّا يجري عليها أو على شيءٍ منها آفات المتالف.

ومتى احتاج محتاجٌ إلى الدّراسة نظراً، أو شكَّ شاكٌّ فيما يتلوه ظاهراً؛ أخرَجوا إليهْ منها ما يلتمسه، وراعوه حتى يردُّوه إلى موضعه الذي كان فيه، ويتحرَّزوا من إغفاله أو تَناسيه.

واستطلقْ ما لا بُدّ منه وما لا غنى بهذه المساجد عنه، لمرمَّة مُسترمِّها، وبناء مُستهدَمها، وضَبْط نَواحيها، وتجديد ما يخلق من الآلات فيها، وثمن الماء والزيت لها،

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٨.

وجاري[1] المؤذّنين والمكبّرين بها؛ ليخرجَ الأمر في ذلك بـما يُمتثـل، ويُقـدَّم ولا يُهمـل؛ وتسلّم جرايات المرتَزِقة[2] في الجوامع الأربعة[3]، واعرضهم عليها .... [4] مُستوفىً، تاماً مُستقصىً ؛ لتزولَ عنك الشُّبهة، وتكـون مـن شـبهتهم أو شـقّهم عـلى بَيِّنـة. وفي رُجوعك في أمورهم إلى الأئمة استظهارٌ يُنجيك من دَرْك اللّائمة.

وارغبْ إلى الله تعالى أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً في معونتك، وتوكّلْ عليه - جلّ اسمُه - في إرشادك وهدايتك، فإنّ ذلك أدْعى لك إلى المحبّة، وأجْدى عليك في المغبّة، إنْ شاء الله.

---

(١) الجاري : هو ما يُعرف اليوم بالمعاش أو الراتب.

(٢) أي الذين يُصرف لهم الرزق من بيت مال المسلمين. تقدّم التعليق على هذا في ج٢، ص١٠٨.

(٣) تقدّم ذكر جوامع بغداد الخمسة في عهد الخليفة الطائع لله لمحمد بن موسى العلوي الموسوي بتقليده الصلاة، وهي: الجامع الداخل في حريم أمير المؤمنين، وجامع الرّصافة، وجامع المنصور، وجامع بُراثى، وجامع الكفّ. ج٢ ، ص١٩٠.

(٤) كلمة ضَبَّبها الحبر.

تَقْليدٌ للقاضي أبي القاسم عُمر بن حَسّان بجُنْدَيْسابور[١]

أمَرَهُ بتقوى الله وخشيته، ومراقبته وخيفته، وأنْ يسوّي في طاعته بين ما استسرّ من رأيه وعلن، ويخلص العمل له ما ظهر من أمرَهُ وبطن، تلك مَوادّ العِصْمة، ودَواعي الرّحمة، والمقيمات على سُبُل الهداية، والمنجيات من أعقاب الغِواية، وأنفع ما قدم من زاد، وأحصن ما ادّخر من عتاد. فمَن أصلح سَجاياه، وجعل لهنّ سِرّه ونَجْواه، أتمّ الله عليه نِعْمته، وكفاه عاجلته، وقد أدّب الله بهنّ أمير المؤمنين، وفرضهنّ على العالمين، فقال جلّ من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[٢].

وأمَرَهُ أنْ يكثر تلاوة القرآن، والاستنارة بما فيه من البيان، وأنْ يصرف إليه فكره، ويشغل به قلبه، ويكرّره اعتباراً وتذكّراً، ويتأمّله استدلالاً وتدبّراً، وأنْ يملكه عنانه وزمامه، ويجري عليه نقضه وإبرامه، ويتصرّف معه في ما أحبّه وكَرهه، ويطيع أمرَهُ في ما سَرّه وساءه، فإنّه حُجّةُ الله وعَهدُه، ووَعْدُه ووَعيدُه، وبُرهانُه الباهر، ودَليلُه القاهر، وسَبيلُه الوسط، وطريقُه الجدد، والمؤدّي إلى رحمته وثوابه، والمنجي من سَطْوته وعقابه. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ * لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[٣].

وأمَرَهُ أنْ يبرز للرّعيّة، ويحملهم على حكم السّويّة، ويفتح لهم بابه، ويرفع عنهم

---

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٣، ص٣٦١.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٣) سورة فصلت، من الآيتين ٤١-٤٢.

حجابه، ويجعل لهم مجالس للحكم في المساجد الجامعة، والمواضع الضّاحية، وبحيث يصل إليه القَويّ والضّعيف، ويبلغه الدّني والشريف. وإذا أفضى إليه الخصمان عدل بينهما في لَحْظه[١] ولَفْظه، وسوّى تقاسمهما في قوله وفعله، حتى لا يتسلّط الهوى على حكمه، ولا يعترض الميل دون عدله. وأنْ يبسط للمتظلّمين وَجْهه، ويوطئ لهم كنفه، ويبذل لهم بِشْره، ويرعيهم سَمْعه، ويمكّنهم من استقصاء[٢] حُججهم، والإبانة عن حُقوقهم، وأنْ لا يخلو بأحدٍ من الخصماء دون صاحبه، ولا يمنعه ما يطعيه خصمه. قال الله جل ذكره: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[٣].

وأمَرهُ أنْ يخصّ[٤] الخصوم خاطره، ويجمع لهم رأيه، ويصرف إليهم باله، ويفرغ لأحكامهم ذهنه، فإذا ترافعوا إليه في خصومةٍ طلب حكمها في نصّ الكتاب، أو ثبت السّنة وإجماع المسلمين واجتهاد الرأي، فإنّ تلك وُجوه النظر في الحكم، وطريق إصابة الحقّ. ومَن أخذ بالقرآن اهتدى، ومَن اتّبع السنّة نجا، ومَن تمسّك بالإجماع سلم، ومَن بذل الوُسْع أعذر. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا * وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٥].

منه[٦]: هذا عَهْدُ أمير المؤمنين إليك، والحجّة لك وعليك، قد أعذر أمير المؤمنين

---

(١) في الأصل: لظه.

(٢) في الأصل: استقصار.

(٣) سورة ص، الآية ٢٦.

(٤) في الأصل: يحض.

(٥) سورة النساء، الآيتين ١٠٥-١٠٦.

(٦) أي: ومن التقليد.

فيه وأنذر، وبصر وحذر، ولم يألك وعظاً، ولم يدّخرك حظاً، وأقامك على سَبيل القَصْد، وبذل في تَسْديدك غاية الجهد، وظنّه بك الإصغاء إلى التذكر، والاقتداء بالتبصّر، والعمل في ولايتك لآخرتك، والأخذ من عاجلتك لآجلتك. فكنْ عند ظنّ أمير المؤمنين بك، وقفْ عند مخيلته فيك، واجعلْ عهده إماماً تقتفيه، ومثالاً تحتذيه، وناجِ بوَصيّته نفسَك، واعمر بتأديبه قلبَك، وانْه إليه أخبارك، واعرض عليه آثارك، واستدلله على ما يعضلك، واسترشده إلى ما يشكل عليك ليرشدك، ويرد عليك من ثاقب رأيه، وصائب أنحائه ما يرشد به سعيك، ويفوز به قدحك. وثق بالله أولاً وآخراً، وتوكّل عليه باطناً وظاهراً، واستكفه المهم بكفك، واستوهبه السَّداد يهدك، واسترشده الصَّواب يرشدك، واشكر نعمه يزدك.

وكَتَب بتقليد
المواريث الحَشْريّة [1]

أما بعد، فإنّ أمير المؤمنين لما تخيّله من دينك وأمانتِك، وتصوّره من حَزْمِك وشهامتِك، وقرّره عنده مُعِزّ الدَّوْلة أبو الحسين مَوْلى أمير المؤمنين من حَميد خَلائقك، وقَويم طَرائقك، يعدُّك في كُفاة عُمّاله، ويعدّك لمهمّ أعماله، ويرى أنْ يَكِلَ إليك ما يصلحه الاعتماد فيك عليك، مقدِّراً الرَّشاد فيما تأتي وتذر، والسَّداد فيما تُورد وتصدر، والحراسة لما أمكنته لك الأيّام من الحرمة، والاستدامة لما سبغ عليك فيها من النِّعْمة، والموصل إلى الازدياد من الإحسان والاصطناع، والتصدّي لحيازتها فيما تُظهره من الغَناء والاضطلاع، والله يَخيرُ لأمير المؤمنين من اختياره، ويمدّه بالصنع في مجاري أقداره، وحَسْبُ أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل.

وإنّ أمير المؤمنين بما قلّده الله من أزمَّة المسلمين يجتهد الرأيَ في مَصالح أحوالهم، ويستفرغ الوُسْع في حياطة أموالهم، حتى تدرَّ أخلافُها عليهم، وتتّصلَ مَواردُها إليهم، ويُراعيهم مع ذلك في سيرهم، ويُطالعهم في مُعاملاتهم؛ لئلّا يُفارقوا المعروف المأمورَ

---

(١) طهران. وبسبب سوء ترتيب هذه القطعة واضطرابها كما أشرتُ في المقدمة، فإن هذه الرسالة تنقطع بعد كلمة (المؤمنين) في السطر الثاني. وبإعمال النظر وجدتُ تكملتها في موضع آخر، وتأكد لي من ذلك من سياق الكلام. العنوان وأول سطرين في الورقة ١٣٨ وتكملة الرسالة في الورقة ٢٣٧.

المواريث الحشرية هي تركات مَن يموت ولا وارث له، ولها فقهٌ خاصٌّ بها. أفردت لها بعض الدول في التاريخ الإسلامي ديواناً خاصّاً بها. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٣٢.

به، ويُفارقوا المنكر المنهيّ عنه، لتجتمعَ لهم ....[1] الـدّنيا والآخـرة، والعاجلـة والآجلة، لا يألوهم في ذلك ......[2] الإمكانِ والاستطاعة، ولا يلمّ في شيءٍ منه بإهمالٍ ولا إضاعة؛ ولذلك ما رأى أمير المؤمنين أنْ يقلِّدَك المواريث الحشـريّة بمدينـة السَّـلام والسَّواد وواسط والبصرة وكُوَر دجلة والأهواز وما يجري مع ذلك، والحسـبة بمدينـة السَّلام خاصّة على رَسْم وُلاة هذه الأعمال في تولِّيها ومَن كان قَبلك ناظراً فيهـا؛ فتـولَّ ما وَلّاك أمير المؤمنين مُصدِّقاً ظنَّه بك، مُحقِّقاً مخيلته فيك، مُعتصماً بتقـوى الله وطاعتـه، مُستشعراً لخيفته ومراقبته.

وابحثْ عن هذه المواريث فيما قَرُب ودنا، وبَعُد ونأى، وابثثْ عُمّالـك في مُراعاتهـا وعُيونك وأرصادك في تتبُّعها؛ حتى لا يشـذّ منهـا شيءٌ عنـك، ولا تـتمّ حيلـةٌ في طَيِّـه دونك. وحَصِّل مـا تشـتمل عليـه مـن صُـنوف الأمـوال والأمـلاك، مُحتاطـاً في ذلـك تَوْفيرها، مُجتهداً في تَثْميرها.

ووَكِّلْ مَن تَثِقُ فيه بالأمانة، وتعرفه بالعفَّة والصِّيانة، في بَيْع ما ترى بَيْعَه من الأملاك والعقارات بالأثمان التي ترى بَيْعَ ذلك بها صواباً، وتجده حظّاً وصَلاحاً، وكالةً تثبتُ عند الحُكّام لتنفذَ معها منهم الأحكام، وتقدَّمْ إلى مَن توكله بالإشهاد بالأملاك المبيعة، وتسليمها إلى المساكين وضمان دَرْك أموالهم في بيت مال المسلمين، واحظرْ عليهم أنْ يُمضوا بَيْعاً فيما قَلَّ وجلَّ، إلّا ما أذنتَ لهم في إمْضائه، وعلمتَ أنّ العائدة في إمراره، ؛فإنّ أمير المؤمنين لا يقبل منك إحالةً عليهم، ولا يعرف غيرك فيما يجري على أيديهم.

وتصفَّحْ أمر مَن يُذكر لك مَماتُه، وتُرفع إليك وفاتُه، فـإنْ ألْفيتَـه فَريـداً، وصـادفتَه وحيداً، حصَّلْتَ تُراثه حائزاً، واحتويتَ عليه مستبدّاً، وإنْ عرفتَ استحقاق حـاضرٍ أو

(١) كلمة غير مقروءة، أقرب قراءة لها: الحطان.

(٢) كلمة غير مقروءة.

غائب، أو قاصٍ أو دان، أو ذي رَحِم مشهورة، أو قُربى معروفة، أو وصّى بثبت الوَصيّة التي ولي التركة بها، وتسلَّم من الحكم ممّا يفسدها ويفسخها، وفَّيْتَه قِسْطه، ولم تبخسه حقَّه، واشتملتَ على ما بعد ذلك غير مُسامحٍ فيه، ولا مُغْضٍ عن شيءٍ منه، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[1].

وإنْ بَلَغك تفريطٌ جرى ممّن كان والياً على هذه المواريث قَبلك لغفلةٍ وقعتْ منه، أو شبهةٍ دخلتْ عليه، حتى ترك واجباً، أو أضاع حقّاً، استدركتَ ذلك منه بالغاً ما بلغ، وتَلافيتَه بنهاية تَلافيه، متحرِّياً العدل والإنصاف.

وانظرْ في أمر الحسبة بمدينة السَّلام حقّ نَظَرِك، وهذِّب المعاملات بغاية قُدْرتك، وخذ الرّعيّة فيها بالتّناصُف، وامنعها في التَّظالُم وتتبَّع العِيار في النقود والأموال، لتخلصَ من الغشّ، وفي المكاييل والأوزان، لتسلمَ من البَخْس، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[2].

وإنْ ظهرتْ من أحدٍ في ذلك أدْغال[3]، أو وقفتَ منه على احتيال، أو ضعف أمانة، أو استجازة خيانة، دَعْوته إلى التَّوْبة مُعذِراً، أو خَوَّفْتَه العقوبةَ مُنذِراً. فإنْ نَجَع فيه تَحْذيرُك، ونفع فيه تَبْصيرُك، وإلّا نِلْتَه من التّأديب بما يكون إلى الصَّلاح داعياً، وفي حَسْم الفَساد كافياً.

وقمْ بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قيامَ مِثْلِك ممّن عرف واستبصر؛ حتى لا تُخفر ذِمّة، ولا تُنتهك حُرْمة، ولا تُرتكب كَبيرة، ولا تُحتقب جَريرة. واحذرْ أنْ تأمر بما

(١) سورة الأنفال، من الآية ٧٥.

(٢) سورة المطففين، الآيات ١-٣.

(٣) في الأصل: على أدغال.

تُجانب فعلَه، وتنهى عمّا تأتي مثلَه، فقد قال الله تبارك اسمه: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(١).

واستعملْ في جميع ما تتولّاه مَن تتخيّره من العُمّال والوُلاة؛ ليكونوا ممّن يجمع إلى الصحّة(٢) الصَّرامة، وإلى العِفّة الشهامة؛ فلا يضيعوا ولا يضعفوا، ولا يحيفوا ولا يسرفوا. واستقر آثارهم، واستبن أحوالهم، وجازِ المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وإنْ وقفتَ من أحدٍ منهم على سُوء سيرة، أو فَساد سَريرة، استبدلتَ به مَن هو أحمدُ مذهباً، وأشدُّ تهذُّباً. وأجْرِهم على رُسوم أمثالهم فيما تطلق لهم من معونةٍ تكفيهم(٣)، ومادّةٍ تغنيهم؛ لتصدَّهم عن النَّطَف(٤)، وتبعثهم على الظَّلَف، واجرِ(٥) ذلك من عرض ما تُجري على يدك، واحتسب به فيما ترفعه من حسابك، واحملْ ما سواه إلى بيت المال، مصوناً ممّا يثلمه، محوطاً ممّا ينقصه. واستهدِ الله أولاً وآخراً، وتوكَّلْ عليه باطناً وظاهراً، والجأ إليه سِرّاً وجَهْراً، وأطعْه قولاً وفعلاً؛ فإنّ المعتصمين بالله أولياؤه وحزبُه، والعاندين عنه أعداؤه وحَربُه. ومَن كان الله ضامناً لحياطته نَجا، ومَن وكله إلى نفسه هَلَك وهَوَى.

وراعِ أمير المؤمنين بأخبارك، وأطْلعه على آثارك؛ ليحمدَ فيك موضع اختياره، ويزيدَك من عنايته وإيثاره، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٤٤.

(٢) ويمكن أن تقرأ: الصحبة.

(٣) في الأصل: تكفهم.

(٤) في الأصل: الطف. والنَّطَف: العيب والريب. ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٣٣٤ (نطف).

(٥) في الأصل: اجرح.

نُسْخة منشورٍ
كُتِب للصّابئين المقيمينَ بحَرّان والرَّقّة وديارِ مُضَر [١]

هذا كتابُ منشورٍ من عبدالله عبد الكريم الإمام الطّائع لله أمير المؤمنين [٢]
لجماعةِ الصّابئينَ المقيمينَ بحرّانَ والرَّقَّةِ وديارِ مُضر

إنّ أمير المؤمنين يأمُر بصِيانتِكم وحِراستِكم، والذَّبِّ عن حَريمِكُم، والحِياطةِ من ورائكم، ودَفْعِ الظلمِ والضَّيْم عنكُم، وتوفيتِكُم ما يوجِبُه العَهدُ والذمَّةُ لكم، وإنصافِكم فيما يُجتَبى من جَواليكم، وحَمْلِكُم فيها على عادِلِ رُسومِكُم، والتخليةِ بينكُم وبين مَوارِيثِكم: الحَشْرِيَّة [٣] وغيرِها، أُصولِها وفُصولِها، وكثيرِها وقليلِها، وتَرْكِ مُداخلتِكم فيها، ومُشاركتِكُم في شيءٍ منها، على الوُجوهِ والأسباب كُلِّها، إذ كان أمير المؤمنين يَرى فيها وفي مَواريثِ المخالِفينَ بأسرِها رأيَ رسولِ الله -صَلّى الله عليه وآله- في الأثَرِ الثّابتِ عنهُ، إذ يقول: «لا يَتوارَثُ أهلُ مِلَّتَيْن» [٤]. وتمكينِكم من حضورِ مُصَلَّياتِكم ومَساجِدِكم، ومَجامِعِكم ومَشاهِدِكم؛ لإقامةِ فَرائضِ دينِكُم على ما جَرَتْ به عاداتُكم من غيرِ مَنْعٍ لكُم، ولا إلحاقِ أذِيَّةٍ ولا هَضيمةٍ بكم.

فَلْيُعلَمْ ذلك من رأيِ أمير المؤمنين وأمْرِه، ولْيَعمَلْ به جميعُ مَن عُرِضَ هذا الكتابُ عليه من وُلاةِ الخراجِ والمعونةِ والأحكام والمواريثِ والحِسْبةِ وغيرِها من الأعمال، ومن خاصّةِ المسلمين وعامّتهم، ليَحذَروا من مُخالفَتِه، والتجاوُز له، إنْ شاء الله.

---

(١) ليدن.

(٢) (الإمام الطّائع لله أمير المؤمنين) إضافةٌ منّا على نسق ما كتبه الصابي في رسائله المشابهة.

(٣) تقدّم تعريف المواريث الحشرية في الرسالة السابقة.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، ج٢، ص٩١٢ (رقم ٢٧٣١).

وكَتَب في ظُلامة[١]

أما بعد، أحسن الله حِفْظك وحِياطتك، وأمتع أمير المؤمنين بك، وبالنِّعْمة فيك، فإنّ أمير المؤمنين لما يتوخّاه من إنْصاف الرّعيّة........ [٢] الله أزمّة أمورها، واستخلفه على ابتغاء المصالح لها، يُواصل النظر في ظُلامات المتظلِّمين، ومَطالب السّائلين. فإذا وَجَد الرّافع لشيءٍ من ذلك يلتمس واجباً، ويستدعي عَدْلاً، أسعفه لمراده، وأوصله إلى اعتماده؛ ورَدّ عليه ظُلامته في أيّ جهةٍ حصلت، وبأيّ ذمّةٍ تعلّقت، بادئاً في ذلك بنفسه، ثم بمَن .... [٣] عليه من الأمّة التي هو مسؤولٌ غداً عنها .... [٤] ثناؤه، وعَظُمت كبرياؤه .... [٥] سائر أحواله ومُتصرّفاته، مؤثراً للحقّ .... [٦]، مغتبطاً بما يُحييه من سُننه، مستغفراً الله من زلّة العُدول عنه، أو المفارقة له ...... [٧] أمير المؤمنين في كلّ ما يأتي ويذر، ويورد ويصدر، لمعونةٍ تُنهضه في الدّنيا والآخرة، وتُزلفه في العاجلة والآجلة، وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله، عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

---

(١) طهران.

(٢) كلمة ضَبَّبها الحبر.

(٣) كلمة ضَبَّبها الحبر.

(٤) كلمة غير مقروءة، وأخرى ضَبَّبها الحبر، وبعدهما نصف سطر مسحه شخص ما متعمداً فيما يبدو.

(٥) نصف سطر لا يمكن قراءته من أثر محاولة الإخفاء.

(٦) كلمة غير مقروءة.

(٧) كلمة ضَبَّبها الحبر.

وأُنهي إلى أمير المؤمنين – أمتعه الله ببقائك – أنّ أيدي العُمّال بواسِط وأعمالها امتدّت إلى ضِياع الحسن بن مُحمّد القنائي[١]، مُستضيفين لها إلى الضِّياعَ المبتاعة من أخيه الحسين بن مُحمّد، ومُجرين لها مَجراها من حيث لم يحلّ الله لهم سبيلاً ولا طريقاً إلى معارضةٍ فيها، إذ لم يقع عليها ابتياعٌ منه، ولا خرج أمرٌ بقبضها عنه؛ فأنكر أمير المؤمنين ذلك وأكبره، واستقال الله من التبعة في فعل هؤلاء العُمّال واستغفره. ورأى أنْ يُرَدّ على الحسن بن مُحمّد جميعُ ضِياعه، ويُخلّى بينه وبين سائرها، ويُعاوَن على مَصالحها، وتُمضى له رُسومه فيها، ويُزال عنها ....[٢] القبض والمعارضة اللذين لم يكونا باعتمادٍ ولا إرادة، وأنْ يُنكر على العُمّال ما أجروا إليه، ويُؤمروا بالاقتصار على ما اشتمل الابتياع من الحسين بن مُحمّد أخيه.

فاعملْ – أحسن الله بك الإمتاع – بما رَسَم أمير المؤمنين لك، ووكِّد إيعازك به، ووفِّر مراعاتك عليه؛ ليجري الأمر مجراه، ويستقرّ مقرّه، ويُؤمن أنْ يُعاود التحيُّف لأحدٍ من الرّعيّة في أصل مالٍ أو فرعه، قليله وكثيره؛ فإنّ أمير المؤمنين يجري التَّسْوية بين مذهبيه في استيفاء الحقّ غير مغضٍ عنه، وتجنُّب الظلم غير مقارفٍ له، إنْ شاء الله تعالى. والسلام عليك ورحمة الله.

وكَتَب نصير الدَّوْلة النّاصح أبو طاهر للنصف من شهر شوال سنة خمسٍ وستّين وثلاثمائة.

(١) لعلّه صاحب خزانة عِزّ الدَّوْلة سنة ٣٦٠هـ. انظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٣٢٥.

(٢) كلمة غير مقروءة، أقرب قراءة لها: ميسم.

وكَتَب عن مُعِزّ الدَّوْلة
إلى أهلِ عُمان[1]

أنتُم -أكرمَكُم الله- بما تَرجِعونَ إليه من صحَّةِ الأفهامِ، ورُجْحانِ الأحلام، تَعلَمونَ ما يجبُ على الرّعيّة من طاعةِ راعيها، ويَلزَمُها من مُشايعَةِ واليها، وتَفترِضونَ ذلك على نُفوسِكم، وتعرِفونَ ما فيه من الحظِّ لكُم، إذ كان عائداً عليكم بالسَّلامة في العاجلةِ والآجلةِ، والنجاةِ في الدّنيا والآخرَة، والله يوفِّقُكم وَيُسدِّدُكم، ويَهدِيكم ويُرشِدُكُم، ويُعينُ على ما نعتقِدُهُ فيكم ولكُم، ونَعتمِدُهُ من مَصْلحتِكم ومُوافقتِكم، بمَنِّهِ وقُدْرته.

ولم يَزلْ -أكرمَكُمُ الله- مَوْلانا أمير المؤمنين يتَطلّعُ أخبارَكُم، ويتَعـرَّفُ أحـوالَكم، ويَرى فيكُم ما يَراهُ في كافَّةِ المسـلمين مـن حمايـةِ حَـريمِكم، وصِـيانةِ جَميعِكم، ونَظْـمِ شُؤُونِكم، وتهذيبِ مُعاملاتِكم، وقَبْضِ أيدي العُصاةِ عنكُم، وإزالةِ طَمَعِهم فـيكُم وفي بلادِكُم. ويُجارِينا -أعزَّهُ الله- ذلك من نيَّته، ويَبعَثُنـا فيـه عـلى خِدْمتـه، ويُهيـبُ بنـا إلى الذَّبِّ عـن ديـارِكُم، والاسـتخلاصِ لنَـواحِيكم، والاسـتنقاذِ لهـا ممّـن غلَـبَ عليهـا،

---

(١) ليدن.

في سنة ٣٥٤هـ سيّر مِعزّ الدَّوْلة عسكراً إلى عُمان فلقوا أميرها وهو نافع مولى يوسف بن وجيه، وكان يوسف قد مات وملك نافع البلد بعده، فدخل نافع في طاعة مُعِزّ الدَّوْلة وخطب له وضرب له اسمه على الدينار والدرهم، فلما عاد العسكر عنه وثب به أهل عُمان فأخرجوه عنهم، وأدخلوا القرامطة إليهم، وتسلموا البلد، فكانوا يقيمون فيه نهاراً، ويخرجون ليلاً إلى معسكرهم، وكتبوا إلى أصحابهم بهجر يعرفونهم الخبر ليأمروهم بما يفعلون. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٥٨. والرسالة اللاحقة متصلة بهذه الرسالة.

وانتزاعِها ممّن نازَعَ فيها، حتى نتولَّى السِّيرةَ بكم، والسِّياسةَ لَكُم، والإقامةَ لفرائضِكم، والتنفيذَ لأحكامِكم، مَن يَعقِدُ له - أيّده الله- لواءَ التقليدِ، ويكونُ في طاعتِهِ على سَواءِ السَّبيل، والله يُطيلُ بَقاءهُ، ويَكْبِتُ أعداءه، ويَمُدُّ ظِلَّهُ على المسلمين والمعاهَدين، ويُوفِّقُنا للقيامِ بحقِّهِ أجمعين.

ولما رَدَّدَ في أمرِكُم فِكْرَه، وأتعبَ فيما عادَ بالحظِّ عليكُم نفْسَه، اختارَ لكُم عِزَّ الدَّوْلة والياً ورَاءه فيما أهمَّهُ من أحوالِكم كافياً، فعَقَد له على عُمان وأعمالِها، وسُهولِها وجِبالِها، وجَزائرِها وسَواحِلِها، وأكنافِها وأطرافِها، ونَدَبَ - أيّده الله- ونَدَبْنا أبا الفَرَج مُحمّد بنَ العَبّاس نائباً عنه في الشخوصِ إليكم والخلافةِ له في الوِلايةِ عَليكُم[1]، لرفيعِ مَحلِّه وخَصيصِ مَوقعِه، وتأكُّدِ سَبَبِه، وتقادُمِ حُرمتِه، وما له من المقاماتِ المحمودَة، والآثارِ المُرتَضاة، ففوَّضَ - أيّده الله- إليه ما عَوَّل مَوْلانا أمير المؤمنين فيه عليه، وشَخَص إليكُم في جيشٍ يَلينُ كنَفُهُ لكُم، ويَخْشُنُ مَسُّهُ في الدفعِ عَنكُم، وتَخِفُّ وَطأتُهُ عليكُم، وتَثقُلُ في مُقارَعةِ عَدُوِّكُم.

وكتَبَ مَوْلانا إليكُم بما جعَلهُ الحُجَّةَ عليكُم في الانقياد لهُ، وقَرَن - أيّده الله- طاعتكُم له بطاعتِه، ومُشايعَتكم إيّاه بمشايعتِه، إذ كان من قِبَلِنا وقِبَلِ عِزِّ الدَّوْلة بعدَهُ، وفوَّضَ إليه مُسالمَةَ مَن تَجِبُ مُسالمَتُه ومُحارَبَةَ من تَجِبُ مُحارَبتُه، وجَعَل إليه أمانَ مَن

---

(١) في سنة ٣٥٦هـ وصل خبر موت معزّ الدَّوْلة إلى كاتبه أبي الفرج مُحمّد بن العَبّاس وهو متولي أمر عُمان، فسلمها إلى نواب عَضُد الدَّوْلة وسار نحو بغداد. وكان سبب تسليمها إلى عَضُد الدَّوْلة أن بَخْتِيار لما ملك بعد موت أبيه تفرد أبو الفضل بالنظر في الأمور، فخاف أبو الفرج أن يستمر انفراده عنه، فسلم عُمان إلى عَضُد الدَّوْلة لئلا يؤمر بالمقام فيها لحفظها وإصلاحها، وسار إلى بغداد، فلم يتمكن من الذي أراد، وتفرد أبو الفضل بالوزارة. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٦٨.

يَستحِقُّ الأمانَ بالطّاعةِ والموافقة، والإيقاعَ بمَن يَستوجِبُ النَّكالَ بالخلافِ والمُشاقَّة، فاعلَموا ذلك من رأْيِ أمير المؤمنين ورَأيِنا، واعمَلُوا عليه وامتَثِلوهُ، وانتَهُوا إليه، وبايعوا أبا الفَرَج على ما نَفَذ لهُ، مُبايعَةَ مَن يَسعى لصلاحِ شأنِه، وعِمارةِ بلادِه، وطاعةِ إمامِه، وسَلامة دِينه، وكاتبونا وعِزّ الدَّوْلة بما نَتَطلَّعُ إلى عِلْمه من جهتِكم، ونُراعيه من مجاري أمورِكُم إنْ شاء الله.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى أهلِ عُمان[١]

قد وَهَب الله لكُم -أعـزَّكُم الله- مـن خُلـوصِ الأديـان، وثِقَـلِ الأوزان، وحَميـدِ الخلائق، ورَشيدِ الطَّرائق، ما تجبُ به عليكُمُ الحُجَّـةُ، ويلـزَمُكم معـه الاسـتمرارُ عـلى سواءِ المحجَّةِ، وعَلِمتُم ما هو مُفتَرَضٌ على المسـلمين مـن طاعـةِ سُـلْطانهم، ومُشـايعَةِ الوُلاةِ عليهم، والانقياد في ذاتِ الله -عزّ وجـلّ- لهـم. وأنـتُم أحـقُّ مَـن عـرَفَ الحـقَّ والتزَمَهُ، وأوْلى مَن آثرَ الواجب واتَّبعَهُ، ولا سِيَّما فيما كان عائداً بمصالِحكم، وداعِيـاً إلى وِفاقِكم، ومُنتهِياً إلى انتظامِ شُؤُونِكم، ومُؤَدِّياً إلى استقامَةِ أحوالِكُم، والله -جلّ وعـزّ- يوفِّقُنا وإيّاكم لما يُقرِّبُ منهُ ويُزلِفُ عنده، بقُدْرته.

وقد عَقد لنا مَوْلانا أمير المؤمنين عـلى عُـمانَ وأعمالِهـا، وسُـهولِها وجبالِهـا، وبَرِّهـا وبحرِها، وسائرِ ما يَجري معها، ويُنسَبُ إليها، وفوَّضَ إلينا تدبيرَها وعِمارَتَها، وتهـذيبَها وإصلاحَها، وعهِدَ إلينا عَهداً نحنُ به عامِلون، وله متَّبِعـون، في إجمـالِ السِّـيرةِ فـيكُم، وإفاضَةِ العَدلِ بينكُم، ودَفْعِ العُصاةِ عنكم، ومَنْعِ الغُواةِ مِـنكم، وتَطْهـير بلادِكـم ممّـن غَلَب عليها، وادّعَى ما ليس له فيها.

واختارَ - أيّده الله- وسيِّدُنا الأمير مُعِـزّ الدَّوْلـة -أعـزَّهُ الله- واختَرْنـا أبـا الفَـرَج خليفةً لنا على ما وَلّاناهُ مَوْلانا منها، وأقَمْناهُ في جميعِ ذلك مَقامَنا لما هو عليه مـن الغَنـاءِ

---

(١) ليدن. (العنوان في الأصل: وعن عِزّ الدَّوْلة إليهم).

والكِفايةِ، والسَّدادِ والأمانةِ، والنزاهَةِ والصِّيانَةِ، هذا إلى منزلتِه المتقدِّمَةِ لدَينا، ونيَّته المتمهِّدةِ عندنا، ومَوقعِهِ اللطيفِ منّا. فرأيُكم -رعاكُمُ الله- في السَّمعِ والطّاعة لهُ، والكونِ في كلِّ حالٍ معه، والثقةِ بما تُصادِفونَهُ عنده، من إجمالِ السِّيرةِ والإنصافِ في المعاملة، وسُلوكِ سَبيلنا في الرِّفقِ بالرّعيّة والإحسانِ إليها، وصيانتِها والذبِّ عنها إنْ شاء الله.

وكَتَب عن الطّائع لله
إلى مَن بِصُحار وسَوادها وجبال عُمان وأعمالها وحاضرتها وباديتها بالاجتماع على الطّاعة(١)

أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين للذي حمّله الله من أعباء الإمامة، وأهّله له من شرف الخلافة، واستودعه من الأمانة في حياطةِ المسلمين، والاجتهادِ لهم في مَصالح الدّنيا والدِّين، يرى أنْ يراعي مَن بَعُدَ منهم ونأى، كما يراعي من قَرُب ودنا، وأنْ يلاحظ جماعتهم بالعَيْن الكالية، ويطلبهم بالعَيْن الوافية، ويتصفّح ظَواهر أمورهم، وبَواطن دَواخلهم، فيحمد مَن سَلَك نهج السَّلامة، ويُرشِدَ مَن عَدَل من الاستقامة، وينظم شَمْل الجماعة على الألفة التي أمر الله بها، وحضّ عليها ويزيلهم عن الفُرْقة التي ذمّها

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص٤٠٠.

في سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م استولى أبو القاسم المطَهَّر بن مُحمّد وزير عَضُد الدَّوْلة على جبال عُمان ومن بها من الشُّراة في ربيع الأول، وسبب ذلك أن مُعِز الدَّوْلة لما توفي وبعُمان أبو الفرج بن العَبّاس، وقد فارقها فتولى أمرها عمر بن نبهان الطائي، ثم أن الزنج غلبت على البلد، وقتلوا ابن نبهان، وأمروا عليهم إنساناً يعرف بابن حلاج، فسير عَضُد الدَّوْلة جيشاً من كَرْمان واستعمل عليهم أبا حَرْب طغان فاقتتلوا قتالاً شديداً في البر والبحر فظفر أبو حَرْب واستولى على صحار، وانهزم أهلها، وكان ذلك سنة ٣٦٢هـ، واجتمع خلق كثير من الشراة في جبال عمان، وجعلوا لهم أميراً اسمه ورد بن زياد، وجعلوا لهم خليفة اسمه حفص بن راشد، فاشتدّت شوكتهم، فسيّر عَضُد الدَّوْلة المطَهَّر بن عبدالله في البحر أيضاً فبلغ نواحي حرفان من أعمال عمان فأوقع بأهلها، ثم سار إلى دما فقاتل من بها، انهزم على إثرها أميرهم ورد، وإمامهم حفص، وقد قتل بعدها ورد، وانهزم حفص إلى اليمن فصار معلماً، وبذلك استقامت البلاد ودانت بالطّاعة، ولم يبق فيها مخالف. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٢٥.

ونهى عنها إذ يقول جلّ من قائل: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[١]، ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[٢]، فلا يزال أمير المؤمنين يُعرِّفُهم ما افترض الله عليهم من طاعة الأئمة وأولي الأمر، الذين لا عِصْمة لمخالفهم، ولا ذمّة لمعاندهم، ولا عذر لمسلم ولا معاهَدِ نأى بجانبه عنهم وضلَّ بوجهه عن سَبيلهم إذ كان الإمام حجَّة الله على خلقه، وخليفته في أرضه، وكانت الطّاعة واجبةً له، ولمن قلّده أزمّة أموره واستنابه في حمل الأعباء عنه. فمَن آنس منه الهداية أحمده، ومَن أنكر منه الغواية أرشده بالوعظ ما اكتفى به أو بالبسط إنْ أحوج إليه، وإنّ أمير المؤمنين يسأل الله أنْ يوفِّقَه للرأي السَّديد، ويُمدَّهُ بالصُّنْع والتأييد، ويتولّاه بالمعونة على كلِّ ما لمّ الشعث، وسدّ الخلَل، وقوّم الأوْد، وعَدْل الميل، وأحسن العائدة على المسلمين جميعاً في شرق الأرض وغربها وسهلها وَحَزينها، أنّه بذلك جدير، وعليه قدير، وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله، عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

وقد علمتم أنّ أمير المؤمنين أحسن إلى الرّعيّة بما كان فوّضه إلى عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة - رحمة الله عليه - من سياستهم بادِياً، ثم أحسن باستخلاف عَدِيله وسَليله صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة ثانياً، إذ كان خيرة أمير المؤمنين وصَفْوته وحُسامه ومجَنّه والمورد الـمُصدِر عنه بالعهدَيْن المستمرَّيْن من أمير المؤمنين بالنصّ عليه، ومن الوالد - رحمه الله - بالوصيّة إليه. وأنّ هذه العقود المؤكدة، والعهود المشدّدة موجبةٌ على الكافّة طاعة مَن حصلت له، أو استقرّت بوثائقها في يده، إذ لا يصحّ من حاكمٍ حُكْم، ولا من عاقدٍ عَقْد، ولا من والٍ إقامة حدّ، ولا من مسلمٍ تأدية فَرْض حتى يكون ذلك مبنياً

---

(١) سورة الأنفال، من الآية ٤٦.

(٢) سورة آل عمران، من الآية ١٠٣.

على هذا الأصل، ومداراً على هذا القُطْب. وإنْ كان خارجاً[1] عنهما، وراضٍ بخلافهما خرج من دِينه، وأثم بربّه، وبرىء من عِصْمته.

وأنتم من بين الرّعيّة فقد خُصِصْتُم سالفاً بحُسنِ النَّظر لكم، وعُرِفَتْ الطَّاعةُ الحسنة منكم ؛ فتقابلت النِّعْمة والشكر تقابلاً طاب به الذكر، وانتظم به الأمر. ثم حدثت الهَفْوة المعترضة قَبْلُ، فكان أمير المؤمنين موجباً للمعاقبة الموجبة على الجاهل الموضع في الفتنة، والمعاتبة الـمُمِضّة على الحكيم منكم القاعد عن النُّصْرة، إلى أنْ وَرَدت كُتب أستاذ هُرمز بن الحسن حاجب صَمْصام الدَّوْلة باستمراركم على كلمةٍ سواء في نُصْرة الأولياء والمحاماة دونهم ومدافعة الأعداء والمراماة لهم؛ فوقع ذلك من أمير المؤمنين أحسن مَواقعه، ونزل لديه ألطف منازله، وأوجب لكم به رضاه المقترن برضا الله سبحانه الموجب للقُرْبة والزُّلْفى عنده.

وأمير المؤمنين يأمركم بالدَّوام على ما أنتم، والثَّبات على ما استأنفتم، والمبادرة إلى كلّ ما يأمركم به فلان الوالي عليكم من صَمْصام الدَّوْلة بالاستخلاف والتفويض، ومن أمير المؤمنين بالإمضاء لما أمضاه، والرّضا بما يرضاه، فاعلموا ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره، وانتهُوا فيه إلى حدّه ورَسْمه، وكونوا لفلان الوالي خير رعية يكن لكم خير راع، فقد أُمر فيكم بحسن السيرة، وإجمال المعاملة، وتخفيف الوطأة، ورفع المؤونة، وجُعل إليه عقاب المسيء، وثواب المحسن، ومُسالمة المسالم، ومُحاربة المحارب، وأمان المستأمن، وإقالة المستقيل، وحمل الجماعة على سواء السَّبيل، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) في الأصل: خارج.

نُسْخة تَقْليد بحماية الكوفة لأبي طريف عليان العُقَيْلي[1]

قد رأينا تقليدك - أطال الله بقائك - الحماية على الكوفة وأعمالها وما يجري معها، ثقةً بشهامتك وغَنائك، وسُكوناً إلى استقلالك ووفائك، واعتقاداً لاصطناعك، وحُسْنَ ظنٍّ بك في شكرك ما يُسدى إليك، ومقابلته بما يحقّ عليك من الأثر الجميل فيما تتولّاه[2]، والمقام الحميد فيما تستكفاه؛ فتولَّ - أيّدك الله - ذلك مقدِّماً تقوى الله ومراقبته، ومستمدِّاً توفيقه ومعونته، واحرس الرّعيّة في مَساكنها، والسّابلة في مَسالكها، وادفع عن عَمَلك ونَواحيه أهل العَيْث جميعاً، واطلب طلباً شديداً، واطرقهم في مكامنهم، وتولج عليهم في مكانهم، وتكل بمَن تظفر به اتكالاً، ليقيم حكم الله عليه وحُدوده في أحكامهم، وامنع قويّهم من تحيّف المضعوف، وشريفهم من استضافة المشروف، وأوْلهم عدلَك وحُسْنَ سيرتك، واستقامةَ ما يصل عليه شكرك، ويطيب به ذكرك، ويقتضي لك دوام الوِلاية، وتضاعف العناية.

واعلم بأنك فيما وُلّيتَه من هذا الأمر متضمنٌ للمال والدم، ومأخوذٌ بكلّ ما يهمّك من ذمّة ومحرم؛ فليكن اجتهادك في الضبط والحماية، واحتراسك من الإهمال والإضاعة بحسب ذلك، واكتب بأخبارك على سياقها، وآثارك بأوقاتها، ليظلّ لك الإحماد عليها، والمجازاة عنها، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص٢٧٢. (عنده: لأبي طريف بن عليان......).

قال ابن الأثير في أحداث سنة ٣٧٤هـ: وفيها قُلّد أبو طريف عليان بن ثُمال الخفاجي حماية الكوفة، وهي أول إمارة بني ثُمال. الكامل، ج٧، ص٤٠٦؛ ابن الوردي، تاريخه، ج١، ص٢٩٦. وعن إمارة بني ثُمال، انظر: فون زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص٢١٠.

(٢) في الأصل:تولاه.

وكَتَب[١]

كتابُنا، وظلُّ السَّلامة علينا مَمدودٌ، والله على ذلك مشكورٌ محمود. ووَصَل كتابُكَ من يدِ أبي الطريفِ[٢]. وفَهِمناهُ، وأبْهَجَنا بما دَلَّ عليه من سَلامتِك، وشُمولِ الكفاية لك، وحَسُنَ منّا موقعُ ما أَفَضْتَ فيه وأعرَبْتَ عنه من خُلوصِ نيَّتِك، وصِدْقِ طَوِيّتِك، وصحَّةِ مُعتقدِكَ ومعتقَدِ أثيرنا وشَيْخِك أبي محُمّد في ردِّ الأمورِ إلى التئامِها، وإمْرارِها على نظامِها، وحراستِها ممّا يُكدّرُ صَفاءَها وصيانَتها عما يَشُوبُ نقاءَها، وبذاك جَرَتْ منكما العادةُ في السّالِفِ الماضي على مثلِه يجِبُ أنْ يجريَ في المستقبَلِ الآتي.

والله العالِمُ أننا ما زِلنا لذلك مُؤْثِرين، وفيه مُخلِصين، ولكِلّ ما خالَفَهُ كارِهين، والآنَ فالأوْلَى بنا وبسادَتي أنْ تكونَ المَودّة ثابتةً على أصلِها، ومُستقيمةً على سَنَنِها، وأنْ نتعاطى بيننا من المزيدِ فيها، والتصحيحِ لدَواعيها ما يُعِفّي على تلك الحال المُلمَّةِ بها، والنَّبْوةِ الطّارئةِ عليها، حتى تعودَ كالعظمِ الذي يُجبَرُ من كَسْرِه، فتَتَضاعَفُ قوَّتُه بعد جَبْرِه.

وهذه جملةٌ من رأينا قد أشَعْناها وأذَعْناها، وسُمِعَ منّا ما يقرِّرُها في القلوبِ ويُمكنُها في النفوسِ، واطَّلعَ عليها أبو بكرٍ على طُولِ المفاوضَةِ بيننا وبينَهُ، ورسَمْنا له ما يَبْني الأمرَ عليه ويُكاتِبُ سادَتي بشَرْحِه، وأعلَمْناهُ أنّ النُّفوس متَمازِجة، والخزائنَ مشتركة، وأنّ قضاءَ الحقوقِ يكون على قدرِ الأوقات، وتصاريفِ الحالات، والله المعينُ برحمته.

---

(١) ليدن.

(٢) لعلّه المذكور في الرسالة السابقة.

وقد رَدَدْنا أبا طريفٍ إلى الكوفةِ ليجريَ على رَسمِهِ في الخدمةِ بعد أنْ مَثُل بحضرتِنا، وعَرَفْنا منهُ ما احتيجَ إلى معرِفتهِ وكَتَبْنا بأن يُعرَفَ حَقُّه، وتُقضَى حَوائجُه، ويُصانَ في نفْسِه، وفي كُلِّ لائذٍ به. فرأيُكَ في الثقةِ بما عرَّفْناكَ من مُعتقَدِنا، وأظهرناهُ من نيّتنا، والانبساطِ في مكاتبتنا، والسُّكون إلى حُسْنِ مَوقِعها منّا، مُوَفَّقاً إنْ شاء الله.

نُسْخة تَقْليد أبي الحسن الشُّرطةَ بواسِط[١]

أمَر مَوْلانا الأمير عِزّ الدَّوْلة، وسَيّدُنا الوزير تَقْليد أبي الحسن المعُونةَ بواسِط، والنّداء في جانبَيْها ببَراءةِ الذِّمَّةِ من كُلِّ أحدٍ جَرَى إلى مُنكَر، وسَلَكَ سَبيل الدَّعارة، وأثار الفِتنة، وشَهَر السِّلاح، واستعمَلَ التجمُّعَ والتحزُّب، والعَصَبيَّة والكلامَ في أمر المذهَب. ومَن فعَلَ ذلك فقد طرَّقَ على نفْسِه، وأوْجَدَ السَّبيل إليها، وأنزَل العقوبةَ بها.

وأمَر -أعلى الله أمرَهُ- والوزير -بَسَط الله أمرَهُ- أبا الحسن بطَلَبِ هؤلاء القومِ وتتبُّعِهم، والقَبْضِ على مَن يُوجَدُ منهم، وإيداعِهِم الحُبوس، والمبالغةِ في تأديبِهم وتقويمِهم، وإقامةِ الحدودِ عليهم والتّنكيلِ بهم، وإلْزامِ أهلِ كُلِّ محَلَّةٍ من محَالِّ واسِط طلبَ مَن فيها من هذه الطَّوائفِ والدِّلالةَ عليه والإرشادَ إلى مَوضعِه، ليُؤخَذ ويُعمَل في أمرِهِ بالواجب الذي تنحسِمُ معه الفتنَةُ. فلْيَعلَمْ جماعةُ الخاصّة والعامّة ذلك، وليُعمَلْ عليه وبحسَبِه، وليُبلِّغِ الشّاهدُ الغائبَ إنْ شاء الله.

(١) ليدن.

رقعةٌ من الدِّيوان(١)

قـاضي القُضـاة -أطـال الله بقـاءه- يَعلَـمُ أنّ أبـا فـلانٍ مـن المشـيخةِ الموسـومينَ بالعدالةِ، والمعروفينَ بالسِّترِ والصِّيانة، وله مـع ذلـك خصـوصٌ بنـا، ومَكانـةٌ عنـدنا، وحُرمَةٌ وكيدةٌ لَدينا. وقد أخرَجْنا توقيعَ مَوْلانا أمير المؤمنين إلى قاضي القُضـاة في أمـرِهِ بما توقيعُنا هذا مقرونٌ به، وتابعٌ له، ووقوفُهُ - أيّده الله- عليه يُغْني عن إعادةِ متضمَّنة.

وقاضي القُضاة حقيقٌ بالمسارَعةِ إلى امتثالِه، وإجزائهِ في قَبـولِ الشـهادةِ، وحُضـورِ مجلسِه على رَسْمِهِ، والإبانةِ عن حُسنِ رأينا فيه بما يَستظهِرُهُ من الإقبالِ عليه والمَيْلِ إليه، حتى نكْسوَهُ بذلك شِعاراً من الجمالِ يوافقُ استحقاقَهُ وإيثارَنا فيه، والتقـدُّمِ بمثـلِ هـذا إلى سائرِ خُلَفائه النّائبين عنه -أيّدهمُ الله- إنْ شاء الله.

(١) ليدن.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى عَضُد الدَّوْلة
في مخاطبة سُبُكْتِكِين بالإسْفَهْسَلار [١]

كتابي - أطال الله بقاء سَيِّدي الأمير عَضُد الدَّوْلة - وأحوال ونيّات أوْليائه على الطّاعة مجتمعةٌ متّفقة، وأمورُ حضرتِهِ الجليلة مستقيمةٌ صالحة، وأنعُمُ[٢] اللهُ عنده غادِيةٌ ورائحةٌ، وأنا في حِرْزٍ حريزٍ من حِماه، وظلٍّ ظليلٍ من ذُراه، والحمد لله ربِّ العالمين.

وأشرف سُبلنا - أدام الله تأييد سَيِّدي الأمير عَضُد الدَّوْلة - منْهجاً، وأكرمها مَعْدلاً ومعرجاً، ما كان مَوْلانا الأمير السَّيِّد رُكْن الدَّوْلة، ومَوْلانا الأمير السَّعيد مُعِزّ الدَّوْلة - بردّ الله مضجعَهُ، وروّى ثراه - دليلنا[٣] عليه، وقائدنا إليه؛ لأنهما جماعُ الفَضْل ومعْدِنُه، ومقرُّ النّبْلِ ومَوْطنُه، وكنّا عَنْهما نأخذ ونمتري، وبهما نأتمُّ ونهْتدي، وإلى دَرَجةِ عليائهما نَنْتَسِبُ ونَعْتزِي، وبظليل أفيائهما نَدّرع ونَرْتدي[٤]. ومِنْ أحْسن وَصاياهما،

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب (وفيها: وعن عِزّ الدَّوْلة أبي مُحمّد الدَّوْلة)، عاشر أفندي، سيلي أوك (وهي فيها بدون عنوان). (في مخاطبة سُبُكْتِكين بالإسْفَهْسَلار) إضافةٌ منّا للتوضيح.

في سنة ٣٦٠هـ وخلال الفتنة التي اشتعلت في الأحواز (الأهواز) كان عِزّ الدَّوْلة يناور ليكسب أطراف الصراع. فلما عاد إلى بغداد زاد في منزلة سُبُكْتِكين وأمر بأن يخاطب بالإسْفَهْسَلار. مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٣٣٤.

(٢) ف، ر: نعم.

(٣) ر: دليلينا، وبعدها: قائدينا.

(٤) ر: نتردى.

وأعْدلِ قضاياهما، وأشْهر مفاخرهما، وأظْهر مآثرهما: مجازاةُ النّاصحِ عن نصيحتِه، ومكافأةُ الكافي عن الكفاية، وتناولُ النجيب بالاسْتخلاص؛ ونَحْنُ باتّباع ذلك، والانتهاء إليه حقيقان، والامتثال له والعَمل عليه خليقان؛ ليكونَ أولياؤنا محمولينَ على قَدَرِ استحْقاقِهم في ترتيب المراتبِ، وموَفِّينَ مَبْلَغ استيجابهم من تنزيلِ المنازلِ[1]، وتكونَ ودائعُنا فيهم مَرْبوبةً محفوظةً، وصَنائعُنا إليهم بعَيْنِ الرّعاية مَحْروسةً مَلْحوظةً، وأياديناً لديهم بيضاً ناصعةً، موضوعةً مَوْضعُها، وعَوارفُنا عندهم غرّاء لامعةً، واقعةً مَوْقعها، وليَغْتبطَ المتَقدِّمُ منهم بأنْ صارَ سابقاً، ويجتهد التّالي في أنْ يكون لاحقاً، ولا يتطرَّقَ علَيْنا في الحُقوقِ بَخْسٌ[2] لمسْتَحقِّيها، ولا نقصٌ مّما تقتضيه دواعيها، واللهُ يمدُّ في عُمُرِ الباقي، ويُجْزِلُ ثوابَ الماضي من هذين السَيِّدينِ اللّذين سَنّا الفضائل وأصّلاها، وثبّتا المناقب وأثّلاها، ويُفْسحُ لسَيِّدي الأمير عَضُد الدَّوْلة المدّةِ، ويمتّعُه، بالنِّعْمة، ويَحْرس على المْوهبةِ فيه، والجمال بمعاليه بجُودِه ومجْدِه، وحَوْلِه وطَوْلِه.

وأخي أبو نَصْر سُبُكْتِكين الحاجِب[3] مَن قد عَرَف سَيِّدي الأمير عَضُد الدَّوْلة مالَهُ من الأسبابِ المُسْتحكمة، والأواصر المُتمكِّنة، والمنزِلَة العَليَّة، والمحلَّة السَّنية، وأنّه نَسيجُ وَحْدِه[4] في أبْناءِ دَوْلتنا، وقَريعُ دَهْرِهِ في خَواصّ جُمْلتِنا، وشيْخُ الأولياء، والمتقدِّمُ

---

(١) ساقطة في ف.

(٢) ساقطة في ف.

(٣) بعدها في ر: الاسفهسلار.

(٤) تقال للرجل المحمود، ومعناه أن الثوب إذا كان كريماً لم يُنسج على منواله غيرُه، لدقّته. وإذا لم يكن كريماً نفيساً دقيقاً عُمل على منواله سَدى عدة أثواب. وتضرب مثلاً لكل من بولغ في مدحه، وهو كقولك: فلان واحد عصره، وقريع قومه، فنسيج وحده، أي: لا نظير له في علم أو غيره. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٧٦ (نسج).

لهم بِفَضْلِه، الزّائدُ عليهم بسابقتِهِ، النّازِلِ من مَوْلانا السَّيِّد رُكْن الدَّوْلة – أطال الله بقاءه – الآنَ، ومن مَوْلانا الأمير السَّعيد مُعِزّ الدَّوْلة – كرَّم الله مثواهُ كان، مَنْزِلَةُ الولد[١] الأثير، وعِلْق المضنّة الخطير، الجاري له مجرى الأخِ الشَّقيق، والعَضُد الوثيق، الذي شهِدتْ له الآثارُ الحميدة، والمواقِفُ الرَّشيدة، وعُلِمت منه الخلائقُ الكريمة، والطرائق الرَّضِيَّة، أنّ كُلَّ واحدٍ من سَيِّدِنا الباقي – أطال الله بقاءه – وسَيِّدِنا الماضي – نَضّر الله وَجْهه – قاد الجيوشَ به، وأوْطَأَهُم عقبَهُ، وناطَ تدبيرهم[٢] بنَظَره، وعوَّل فيهم على سياسته، وجمع إلى رئاسة الحجبة في دارِهِ رئاسةَ الإسْفَهْسَلاريّة[٣] في عَسْكرِهِ، غيرُ مُحبٍ له فيما وَلّاهُ، ولا مائلٍ بالهوَى فيما استكفَاهُ، بَل مُطيعاً للرَّأي الصّائب، قاضياً للحقِّ الواجب، وأننا سَلَكْنا سَبيلهما، واحتذيْنا تمثيلهما في إقرار هذه المنزلةِ عليه، والمزيد فيها لديه.

ولم تَزلْ الأيّام تزيدُ بصيرةً في نُصْحِهِ ووفائه، ويَقيناً في استقلالِه وغَنائِه، إلى أنْ بزّ الأكفاء، وفات النظراء، وبلغ النِّهاية، وأحْرز الغاية، واقتضى ذاك أنْ خَصَصْتُه بشعارٍ من الإكْرام، ومِيسَم من الإعْظام، يزيدانِهِ إنافةً وعُلوّاً، ورِفْعةً وسُموّاً، وأمرْتُ بأنْ يُضافَ إلى مُخاطبتِهِ بالحجبة المخاطبةِ بالإسْفَهْسَلاريّة[٤] إبانةً عن قَدْرِهِ، وإشادةً لِذِكْرِهِ، وتقديماً لِقِدَمِه، وتَنْبيهاً على موقعِهِ.

وألْزمتُ سائرَ الأولياءِ والعُمّال، والمتصرّفين في الأعمال، اتِّباع هذا الرَّسْمِ في المفاوضات، واحتذاءَهُ في المكاتبات، وتوفيتهُ الحقَّ الذي أوجبناه، والأمْرَ الذي

(١) ر: الوالد.

(٢) ف: تدبرهم.

(٣) ر: الاصفهسلارية.

(٤) ر: بالاصفهسلارية.

جدَّدْناه، وجَدّدتُ عنده من الخِلَعِ والحُمْلان، وأسنيتُ له من الحِباء والإحْسان، ما أردتُ به الإظهارَ والإشاعة، ونحوتُ فيه الاشتهارَ والإذاعة. وأنا في كُلِّ ذلك، وفي كُلِّ ما آتي وأذر، وأوردُ وأُصْدر متصرّفٌ مع أمرِ مَوْلانا الأمير السَّيِّد رُكْن الدَّوْلة – أطال الله بقاءه – ونَهْيه، بانٍ على تقريره وتأسيسه إذ كان الإمام العادلة سيرتَهُ، والعَلَم الهاديةَ دلالتُهُ. فإنْ رأى سَيِّدي الأمير عَضُد الدَّوْلة – أطال الله بقاءه – أنْ يتطوَّلَ ويوعز بإبداء ما ذكرتُهُ، وإعلان ما شَرَحْتهُ، والكون معي في إقرارِه لأخينا الحاجِبِ الإسْفَهْسَلار(١) أبي نَصْر – أدام الله تأييدَه – وإحْكامِه، وإحْصادِه وإبْرامِه، على عادتِه السّابقةِ في مُشاركتي(٢) المرتهنةِ لشُكري، المستغرقة لاعتدادي، المستوعبةِ لنَشْرِي فَعَل إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) ر: الاصفهسلار.

(٢) ف: مسابقتي.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى رُكْن الدَّوْلة
فـي مُخاطبة سُبُكْتِكين الحاجب بالإسْفَهْسَلاريّة[١]

أنا مُذ أحلَّني مَوْلانا الأمير السَّيِّد رُكْن الدَّوْلة – أطال الله بقاءه – والأمير السَّعيد مُعِزّ الدَّوْلة – كرَّم اللهُ مَثْواهُ – المحلَّ الذي تبوّأتُه من حَمْلِ نِعْمتِهما، ولباسِ كرامَتِهما، ورأياني موضعاً له في سياستِهِ المنوط بي من ممالكهما، وتَدْبيرِ جيوشهما، مُتَأَدِّبٌ بأدبِهما، ومتقيّلٌ لمذْهبِهما، وواقفٌ عند حَدِّهما، في حِفْظِ ما لهما عند الأَوْلياءِ من الودائعِ، ورَبِّ ما أسْلفاهم من الصّنائعِ، ومقابلةِ المُحْسِنِ منهم بما يستحقُّهُ، ومُجازاتِهِ بما يَسْتَوْجبُه حتى يدومَ سائرُ وُلاتهم[٢]، ونخائلُ صُدورَهُم، وتتظَاهرَ عليهم فوائدُ الطّاعة، وتَتوافى إليهم عَوائد المُشايعة، ويستقرُّ كلٌّ منهم في المنْزِلَةِ التي استدعاها لنَفْسِهِ، وتصدَّى لها بمَشْكورِ سَعْيِهِ، ولا يلحقُهُ نقصٌ ممّا أمّلَهُ، ولا بخسٌ فيما استوجبَهُ، ولا يتعلَّقُ بنا ظنٌّ بالغَفْلةِ عن أمرِهِ، ولا التَّأْخيرُ له عن مُنْتَهى قَدْرِهِ، وكلُّ ما أجراهُ في ذلك من صَواب، واقتضى[٣] له من صَلاحٍ، فمَوْلانا الأمير رُكْن الدَّوْلة – أدام الله تأييدَه – الحادي عليه، والقائِدُ إليه؛ لأنّه أوْضحَ سُبُلَ السِّياسةِ فسَلَكْناها، ونَصَب أعْلامَها فاتّبعْناها، وذلَّل صِعابَ مراكِبِها

---

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، عاشر أفندي، سيلي أوك. (العنوان في ف: وعن عـز الدَّوْلـة إلى ركنها...).

(٢) ف: ولاياتهم.

(٣) ف: أفضى.

فامتطيْناها، فبسيرتِهِ العادِلةِ نُقاتِلُ ونجازي، وعن رعايتِه التّامّة نُثيب ونُعْطي، وبهمّتِه نَريشُ ونَبْري، وإلى غايته النّائيةِ نَصْمد ونَجْرِي، واللهُ تعالى يُطيلُ بَقاءَهُ، ويُديمُ سَناءَهُ، ويتمِّمُ نعماءَهُ، ويكبتُ أعداءَهُ، ولا يخليه في مُلْكِهِ من دُرورِ أخلافِ المزيد، وفي سُلْطانهِ من شمولِ العزِّ والتَّأييد، ويَهِبُ لي توفيقاً لما قَرُب إليه[1]، وإرشاداً لما أحْظى إليه، بقُدْرته وعَوْنِه، وإحسانِه ومَنِّه.

وعبدُ مَوْلانا الأمير رُكْن الدَّوْلة - أطال الله بقاءه - وأخي أبو نصر سُبُكْتِكين الحاجِبُ - أدام الله تأييدَه - مَن قد عَلِمَ - أدام الله سُلْطانه - سابقتَهُ في الدَّوْلة، ومَوْضعَهُ من الجُمْلة، وحُلولَهُ منه - أطال الله بقاءه - الآن، ومن الأمير مُعِزّ الدَّوْلة - برَّدَ اللهُ مضجعَهُ - كان، محلَّ الولدِ الأثير، وعِلْق المظنَّةِ الخطير، وأنهما لم يزالا[2] منذ اصطنعناهُ يرتقيان به مُتدرِّجين إلى مَنْزلةٍ بعد منزلةٍ، وأثرةٍ بعد أثرةٍ، وممّا يريانِهِ في كلِّ واحدةٍ منها يستحقُّ الإيفاءَ عليها، ويستوجِبُ التجاوزَ لها[3] بالكِفايةِ الظّاهرة، والفضيلةِ الباهرةِ، والنيّةِ الخالصة، والطَّويَّةِ الصّادقة، إلى أنْ تنجّز لنفسِهِ بالتنقُّل في المساعي، والتوقُّلِ في المعالي، فَرَفعاهُ على الأضراب والأكفاء، وقدَّماهُ على الأقْرانِ والنُّظراء، وجعلاه شريكاً في الحال، وزعيماً في الرِّجال، وجمعا له إلى الحُجبة التي اشتمل عليها رئاسةَ المرتَسمينَ بالإسْفَهْسَلاريّة[4] التي حَسُنَ تدبيره لها، وأُحمِدَتْ مقاماتُهُ فيها، غير محابينَ له فيما ولّياه، ولا مائلينَ بالهَوَى فيما أعطياه، مُطيعين فيه صائبَ الرأي،

---

(١) ساقطة في ف.

(٢) (لم يزالا) ساقط في ف.

(٣) ساقطة في ف.

(٤) ف، ر: بالإصفهسلارية.

ومُجيبين داعيَ الفَضْل.

ولما طرقَ الأمير السَّعيد طارقُ المِقْدار، واختارَ له دارَ القرار، وَصّاني وصيةً، أمرني مَوْلانا الأمير السَّيِّد رُكْن الدَّوْلة بإمضائِها، وحضَّني على تَنْفيذها، وطبقت مفصَلَ الحزْمِ، وأصابتْ عندي عَرْضَ العَزْم، من إعزازِ تلك[1] المنازِل عليه، والمزيد فيها لديه، والاعتدادِ به أخاً شَقيقاً، وعَضُداً وَثيقاً، وشَريكاً مفاوضاً، وظَهيراً مُكانفاً، يُؤثَر ولا يُسْتأْثر دونه، ويُقدَّم ولا يُقدَّم أحدٌ عليه، ويُرجع منه إلى ما هو مبرّ فيه على كلِّ كافٍ، وموفٍّ على كلِّ وافٍ، من شُكْر النِّعْمة، وصِدْق الخدْمة، والمراماةِ عن الحوْزة، والمُحاماةِ عن البَيْضة.

ولم تزلْ حقوقُهُ – أطال الله بقاءه – تَتَضاعف على مرور الأيّام وجوباً، وكُرور الأعْوام لزوماً، بالجيب النَّقي، والفعْل الرَّضي، والنَّهْجِ القويم، والغيب السَّليم، والقيامِ بالمهمِّ، والدّفاع للملمِّ. فلمّا تجاوزَ في ذلك الغاياتِ، وأرْبَى على النِّهاياتِ، استحقَّ منِّي أفضلَ ما قُوبِلَ به المُحْسنُ، وأعْلى ما جُوزِي به المُجْمِلُ؛ فأمرْتُ بأنْ يُضافَ له إلى الحجبة: المخاطبة بالإسْفَهْسَلاريّة[2]، إنافةً له وإبانةً عن قَدْره، وإشادةً لِذِكْرِهِ، ودَلالةً على خَطرِه، وتَقْديماً لقدمِهِ على جميع أولياءِ هذه العساكر، الأصاغِر والأكابِر، إذ كنّا ندبِّرهم به، ونُجْري على سياستِهم على يدِه، وألْزمتُهُم وسائر الوُلاةِ والعُمّال، والمتصرّفين في الأعْمال اتِّباعَ هذا الرّسم في مُفاوضاتِه، واحتذاءَهُ في مُكاتباتِه، وتوفيته بها ما جعلناهُ له من شِعار الإكْرام، ومِيسَم الإعظام. وجدَّدْتُ عنده – أيّده الله – من الخِلَعِ والحُمْلان، والحباءِ والإحْسان ما اعتمدتُ به الإظهار، ونحوتُ به الاشتهار؛

(١) ساقطة في ف.

(٢) ف، ر: بالإصفهسلارية.

ليستويَ الخواصّ والعَوامّ في عِلْمه، والعمل عليه، وتتلاحق الأقاصي والأداني في مَعْرفتِه، والانتهاء إليه. وأنا في ذلك وفي كلِّ ما آتي وأذر، وأُوردُ وأُصدر متصرِّفٌ مع أمْر مَوْلانا الأمير السَّيِّد رُكْن الدَّوْلة – أطال الله بقاءه – ونَهْيه بانٍ على تقريرِهِ وتأسيسِهِ، وهذه النِّعْمة اللَّابِسةُ لعَبْدِه وأخي الحاجبَ الإسْفَهْسَلار[1] أبي نَصْر – أدام الله عِزّه – نتيجة ما مهَّدهُ، وثَمرَهُ ما وطَّدهُ، وشُكْرُهُ عنها لازمٌ له؛ إذ أهّله لها، وأهابَ به إليها، وليٌّ؛ إذ سَهْل إليها سَبيلي، وأوْضَح عليها دليلي. ومَوْلانا الأمير السَّيِّد رُكْن السَّيِّد – أطال الله بقاءه – وليُّ ما يراه فيها، وفي الإيعاز بما يُؤَيِّدُها، ويقوّيها؛ لتستمرّ على الغاية من إحْكامها، والنِّهاية من إبْرامها إنْ شاء الله تعالى.

(١) ر، ف: الإصفهسلار.

وكَتَب عن مُحمّد بن بَقيّة إلى عِزّ الدَّوْلة[1]

كتابي -أطال الله بقاء مَوْلانا- وقد كتَبْتُ إلى مَوْلانا بشرحٍ طَويلٍ نَفَذ مع الرِّكابِيَّيْن، وأرجو وُصُوله. وذكَرْتُ اجتهادِي في الخروجِ وما أقاسِيه من الاضطرابِ والتوكُّع وبمُداراةِ الرِّجال، ولو لم يَمُرَّ بي إلّا ما أُقاسيه مع رجالي لكان عظيماً من التحكُّم والتمرّعِ والمطالبةِ بالمحال. وبها لم يَجِبْ، إلى أنْ أطلَقْتُ لهم النفَقاتِ لثلاثةِ أشهر.

وأنا - أيّد الله مَوْلانا- خارِجٌ في آخرِ نهارِ يومِنا إلى قُطْرَبُّل[2] لينجذِبَ النّاس معي، وقد تكامَل معي ألفُ رَجُلٍ يَخرُجونَ من هاهنا، ممّن يكون معنا منهم نحوُ ستّمائةِ تُرْس من الخاصّة، وخاصَّةِ سَيِّدي عُمْدة الدَّوْلة والدَّيْلَم، برسْمي ورَسْمِ أبي سَهْل وفلانٍ وفلانٍ ورجالِها، والباقونَ أتراكٌ وأعراب.

فأمّا الحاجِبُ والقُوّادُ، فهم حريصونَ على الانكفاء، عامِلونَ عليه، وما ثبَّطَهم إلّا أمرُ الرجالِ برُسومِهم، وقد انقادوا الآن وأذْعَنوا بعد رِياضَةٍ شَديدة، وبعدَ أنْ مَشَّوْا أمورَهُم في نفَقاتِهم. والمسيرُ يكون في الجانبِ الغربيِّ، لأنَّ طريقَ الشرقيِّ مُتعذَّرُ[3] السُّلوكِ بسَبَبِ الرَّوابي والقَواطيل[4]، وأنّها تحتاجُ إلى جُسورةٍ ومُؤَنٍ ومرورِ أيّام. والله يُنهِضُ ويُعينُ، ويُريني غُرَّة مَوْلانا في خيرٍ وعَافيةٍ وسَلامة وكِفَاية، بقُدْرته.

---

(١) ليدن.

(٢) من قرى بغداد. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٧١.

(٣) في الأصل: معتذر.

(٤) القواطيل: الجداول والأنهار الصغيرة التي تأخذ من النهر الكبير.

وما تهيّأ لي -أيّد الله سيِّدَنا- أوفِّرُ شَيئاً من بركةِ تحكُّمٍ على الحِمْلِ معي، لعظيمِ ما لَزِمَني من المؤن للغِلْمانِ الأتراكِ الخارجينَ من الأكابر، ومن الذين رسم نقابة أبي منصور، وللرِّجالِ الدَّيْلَم، فإنّ مالَ أصحاب أبي فلانٍ كان خاصَّةً نحوَ مائةِ ألْفِ دِرْهَم، وللأبياتِ من العَربِ وللعَوارض والمُؤن. ومع هذا، فأنا أجتهدُ في شيءٍ أحتالُهُ وأحمِلُه معي قَلَّ أم كَثُرَ إنْ شاء الله.

وقد وافى سُبُكْتِكين، ووقَفْتُ على ما تحمَّلَهُ من الكتُبِ، وأوصَلْتُها، والأجوِبةُ تَنفُذُ عنها بما يقفُ مَوْلانا عليه، وأنا سائرٌ طائرٌ على وَجْهي، مجتهدٌ في جَذْبِ النّاس معي، ولا أحتاجُ أنْ أتلوّمَ عليهم.

وكتابي يَصدُرُ إلى حَضْرة مَوْلانا في كلِّ وقتٍ بما يُراعي معرفتَهُ إنْ شاء الله.

وكَتَب عن الطّائع لله
إلى أهل البصرة
أيّام عصيان المَرْزُبان بن عِزّ الدَّوْلة
على عَضُد الدَّوْلة أبي شجاع[1]

من عبد الله عبد الكريم الطّائع لله أمير المؤمنين

إلى جماعة الأشراف والقُضاة والوُجوه

من أهل البصرة وأعمالها

سلامٌ عليكم، فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو، ويسأله أنْ يصلّي على مُحمّدٍ عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلَّم.

أما بعد، فإنّ أمير المؤمنين بما اختصّه الله به من أثرة الخلافة، وأزلّه إليه من شرف الأمانة، واسترعاه من سياسة الأمّة، ووكله إليه من حياطة البَيْضة يرى أنْ يدأب في مَصالح الرّعايا وهم وادعون، ويستيقظ وهم هاجعون، وينصب وهم قارّون، ويتحفّظ وهم غارّون، ويجهد نفسه في كلّ ما عاد عليهم بسُكون الدَّهْماء، وشُمول النَّعْماء، واتّفاق الآراء، وتألّف الأهواء، غير وانٍ عن حزمٍ يستطيعه، ولا مخلدٍ إلى حظٍّ

(١) طهران.

كان عِزّ الدَّوْلة قد قلّد ابنه المَرْزُبان البصرة سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م، وكان عمره ثمان سنين. وخلال الصراع الدائر بين عَضُد الدَّوْلة وابن عمه عِزّ الدَّوْلة، رفض المَرْزُبان ما كان أبوه قبله بعد صلحه مع ابن عمه، وأعلن عصيانه على عَضُد الدَّوْلة. انظر تفصيلات ذلك عند: مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٢٨٦، ص٣٩٠.

يضيعه، ولا واقفٍ دون النِّهاية التي لا يجدون لها مَزيداً لراغب، ....[1] لطالب ....[2] إلى رضا الله سبحانه الذي والله العالم منه بخلوص ما يخلصه في ذلك من نيّة، وصفاء ما يصفيه من طويّة، يمدّه بالإرشاد والتَّسديد، ويتوخّاه بالإنهاض والتأييد، ويتوجّده بمعونةٍ يَحْلَوْلَى له وللمسلمين جَناها، ويجمعه وإيّاهم حُسْن بُغيتها وعُقباها، وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله، عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

وقد علمتم - مدّ الله عليكم ظلّ رحمته، وجعلكم في حماه وكَنافته - أنّ أمير المؤمنين، وليكم، وانتصب لسياستكم على حين حادثةٍ من فتنةٍ صَمّاء، وغارةٍ شَعْواء، واختلافٍ من كلمةٍ كانت متّفقة، وتبايُنٍ من أيّد كانت مجتمعة. وأنّه وَرَد من ذلك مَوارد لم يكن ليصدر عنها واصلاً إلى إرادة، ولا ظافراً بأمنية، لولا ما وهبه الله من وَلِيَّيْه وصَفِيَّيْه وظَهيرَيْه وأمينَيْه: رُكْن الدَّوْلة أبي عليّ، وعَضُدها أبي شجاع، أدام الله بهما الإمتاع، اللّذين هما الملاذ، وبهما المعاذ. وقد عوّد الله - تعالى - الإسلام منهما أنْ يكلآه ويرعياه، ويحوطاه ويحمياه؛ فهما سَيْفاه القاطعان، وسِناناه المشرَعان، وناصراه في كلّ حينٍ وأوان.

ولما أعضل الخطْب الحادث، وأشكل الملمّ الكارث، جعل رُكْن الدَّوْلة أبو عليّ أمتع الله ببقائه - عَضُد الدَّوْلة أبا شجاع - دافع الله عن حَوْبائه - المفزع في حَسْم دائهما، وكَشْف غمائهما، لما سَبَق من مَقاماته المحمودة، وسَلَف من مَواقفه المشهودة، وحَصّن به من اضطلاعٍ وغَناء، واستقلالٍ واستظهار، بمالٍ مدخور، وعسكرٍ موفور، وعُدّةٍ وعَتاد، واحتفالٍ واحتشاد؛ فانتهت إليه الرّغبات، وأحدقت

(١) كلمتان ضَبَّبهما الحبر.

(٢) كلمات غير مقروءة.

به الطّلبات، وصار العَلَمَ المشار إليه، والعماد المعوَّل عليه، وظهر لكلّ بادٍ وحاضر

....

....[1]

إلى العراق نفذا ....[2] الغُواة، وأصناف البُغاة، الوقعة التي شفت الصّدور، ونقعت الغليل، وجلتِ غَواشي المِحَن، ونقَضت مَرائر الفِتَن، وبان فيها أنّ كلّ فاضلٍ من أولياء أمير المؤمنين مفضولٌ في قياسه، وأنّ كلّ سابقٍ مسبوقٌ في مضماره.

وأمير المؤمنين يستغني عن شرح أثره لكم لاستواء النّازح والدّاني في معرفته، واتّفاقهما في استثمار فائدته ....[3] ما سكن إليه أمير المؤمنين سُكوناً لم يكن غيره أهلاً له عنده، ولا حقيقاً به فيه، فعاد إلى داره مطمئنّاً، ونزلها مستقرّاً، ووَجَده أحقّ من أوثر وعظم، وأولى مَن شرف وكرم؛ فولّاه أزمّة أموره، واستخلصه لإمضاء تدبيره، ونصبه أميراً على أوليائه، وحاملاً لأثقاله وأعبائه، وأمر أهل طاعته من المسلمين والمعاهَدين في مَشارق الأرض ومَغاربها، وأقاصيها وأدانيها، أنْ يأتمروا لأمره، ويزدجروا لزجره. فمَن فَعَل ذلك فقد أطاع أمير المؤمنين، فاستحقّ الزُّلْفى عنده وعند ربّ العالمين، ومَن خالفه فقد باء بإثمه وأوجب على نفسه لعنة الله ولعنة اللّاعنين.

وأنتم - رعاكم الله - بما لكم من البَصيرة واليَقين، والتفقّه في الدِّين، والأحلام الراجحة، والمناهج الواضحة حقيقيون بأنْ تختاروا أرشد الأمرَيْن وأهداهما، وأعودهما وأجداهما، وأنْ تتمسّكوا بالعُروة الوُثقى من هذه الطّاعة، التي لا عِصْمة لمن .....[4]

---

(١) سطران ممحيان.

(٢) كلمات ضَبَّبها الحبر.

(٣) كلمة غير مقروءة.

(٤) كلمة ضَبَّبها الحبر.

منها، ولا ذِمّة لمن شَذّ عنها.

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين .... [١] بالبصرة وارتداؤهم رداء الخسارة والشقوة؛ فأهمّه ذلك هَمّاً طويلاً تصرّف فيه بين إبقاء على غاوٍ، وجهرٍ بالمعْصية، وتعرض لأن تزلّ قدمُه، ويطول ندمُه، وبين إشفاقٍ على ابتداء سر .... [٢] الطّاعة وهو على شفا ما لم يَجْرِره على نفسه، ولم يَجْنه بيده، والله تعالى يقول: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾[٣]، وكذلك ما كَتَب أمير المؤمنين به .... [٤] ومَن يليكم فيه من أصاغر وأحداث استوسقها، وأعمار .... [٥] العام لكم ولهم نَفْعها، العائد عليكم وعليهم حَظّها .... [٦] جيوشه قد توجّهت نحوكم بَرّاً وبَحْراً، مشحونةً بأوليائه، وحَمَلة أيْمانه، والذّابّين عن دَعْوته، والمعلنين بشعاره، وأنّ السُّعداء منكم هم المستأمنون إليها، الدّاخلون في سِلْمها، المتمسّكون بذِمامها...... [٧] على أمير المؤمنين إذا فعلوا ذلك أنْ يحسن إليهم، ويفضل عليهم، ويوعز بإنْصافهم في مُعاملاتهم، وإرفاقهم في مَعايشهم، وإجرائهم على رُسومهم. وأنّ الأشقياء منهم العاندون عن هذه الجماعة، المشاقّون لها، المظهرون لمنابذتها.

وأمير المؤمنين يوجب عليهم متى أصرّوا على ذلك ما أوجبه الله على السّاعين في

---

(١) كلمتان ضَبَّبهما الحبر.

(٢) كلمتان ضَبَّبهما الحبر.

(٣) سورة الأنفال، من الآية ٢٥.

(٤) كلمات ممحية.

(٥) كلمات ممحية.

(٦) كلمات ممحية.

(٧) كلمة غير مقروءة.

الأرض فَساداً من إباحة دمائهم، وإحلال النَّكال بهم، وتصييرهم عظةً لغيرهم، وأدباً لمن سواهم؛ فاعملوا على ذلك وبحسبه، وانظروا لأنفسكم ولمن وراءكم نظراً تكونون به من الأرشدين دليلاً، لا من الأضلّين سَبيلاً، إنْ شاء الله تعالى.

وكَتَب في شعبان سنة ....[1] وثلاثمائة.

(١) كلمة واحدة قصيرة غير مقروءة تماماً.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى عمران بن شاهين[١]

كتابُنا، وقد صَدَرت كُتبنا إليك ابتداءً وجواباً بما نرجوا وُصوله، وأحلناك في أكثرها على ما يورده فلان وفلان عنّا، ويؤدّيانه من رَسائلنا، وأوجب الاهتمام بذلك أنْ أصدرنا هذا الكتاب مع الموصل له، وأنت تعرف ما عامَلْناك به من إتمام الجميل، ورَبّ الصَّنيع، والوفاء بكلّ عَهْدٍ، والانحياز لكلّ وَعْدٍ، حتى بلغتَ مُنيتك، ونلتَ بُغيتك، وثبتت في نواحيك يدك، واستقلّت من تلك العثرة قدمك، وأقرّ الله جأشك، وآنس استيحاشك، وأخرجك من الضِّيق إلى السّعة، ومن الانزعاج إلى الدّعة.

وإنّا صَبَرنا على تأخير المواقفة على أوقات وُجوبه، واندفاعه عن أحيان حُلوله، مُياسرةً لك، وتَنفيساً عنك، وإرخاءً من ......[٢]، وذهاباً مع محبّتك. ولأنّا رأيناك

---

(١) طهران. (العنوان فيها: وله عنه إلى عمران بن شاهين).

عمران بن شاهين أصله من الجامدة من أعمال واسط. مجهول النسب، ادّعى النسب إلى بني سُليم. جنى جناية فهرب من العامل وأقام بين القصب والآجام في البطيحة يقتات على صيد السمك والطيور، ثم اجتمع عليه جماعة من الصيادين واللصوص، فصار يعترض من يسلك البطيحة، واستأمن البريديين فقلّدوه الجامدة والأحواز (الأهواز)، واستفحل أمره؛ فجهز مُعِزّ الدَّوْلة جيشاً من بغداد سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م لكنه هزم أمام قوات عمران. وظل مُعِزّ الدَّوْلة ومن بعده ابنه عز الدَّوْلة يحاولان إخضاعه دون جدوى، فاضطرا لمصالحته بعض الوقت. واستمر في منعته إلى أن توفي سنة ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م. وتوارث أولاده ما كان له. انظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص١٥٠، ص٤٤٦؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص١٦٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٨٦. وانظر الرسالة التي كتبها أبو القاسم الشيرازي، رسائله، ص١٦٣

(٢) كلمة غير مقروءة.

بصورة المحامي عن أمانته، المتمسِّك بديانته، المراعي لوَكيد إيمانه، المحافظ على وَثيق عُقوده، النّاظر في عَواقب أموره، الحازم في مَواقع تدبيره. وأخذنا منك الأقلّ، وأنظرناك بالأكثر، ورفعنا عنك ثقل الاستيفاء، ورفهناك عن مَضَض الاستقصاء، وتوقّعنا أنْ تبتدىء بالاعتذار، وحَمْل المال، واستدعاء الموافقة على ....[1] في النّواحي والأعمال؛ فلم يكن منك إلى هذه الغاية ما ....[2] أنْ نكون حتى احتجنا إلى مُكاتبتك، واضطررنا إلى تحريكك.

ومثلُك مَن حاسَب نفسَه قبل أنْ يُحاسَب، وطالَبها قبل أنْ يُطالَب، وعرف الحقّ عليها، وأعطى المقادة فيها منها. وعلينا مُؤن هي غير خافيةٍ عنك، ولا ذاهبةٍ عليك. وحقيقٌ على أوليائنا وضُمنائنا الذين أنتَ - بحَمْد الله - من أماثلهم عندنا، وثقالهم في نُفوسنا أنْ يتبرّعوا بحمْل ما لم يحلّ، ويتقرّبوا ببَذْل ما لم يجب، فضلاً عن أداء ما قد تَراخَت الأيّام به، وأزمت الحجّة فيه. ولم يبقَ سَببٌ تعتلّ به في المدافعة عنه، ولا عذرٌ تعوّل عليه في المماطلة به. وسَبيلُك أنْ تُنفذ إلى حَضْرتنا عند وُصول كتابنا هذا إليك كاتبَك فلاناً، لينوبَ عنك في الموافقة على ما بيننا، ويصحّح الباقي من المال، ويقرّر أمر الأعمال، ويكون من وراء الوفاء بذلك كلّه، والالتزام بشَرائطه، والتحرُّز من اعتراض ما يقدح فيه، ويطرق عليه، أو يزيله عن سَنَنه، أو يعدل به عن استقامته. فرأيك في العمل بذلك، والمبادرة بأبي فلان، وتَرْك تأخيره عن حضرتنا، مُوَفَّقاً إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) كلمة غير مقروءة.

نُسْخة تَذْكِرة عن مُحمّد بن بَقيّة
إلى عمران بن شاهين بن عمران[١]

قد تقدَّم من القول في مُكاتباتي ومُراسلاتي أنّ الوحشة التي سَبقت، والنَّفْرة التي سَلَفت إنّما كان السّبب فيها إدْغال المتوسِّطين وسوء رأي الوزراء المدبّرين. وأنّني منذ توليت الأمور آخذٌ في خِلاف طَريقهم، ومختارٌ ضدّ اختيارهم في إصلاح ما أفسدوا، ولمّ ما شَعَثوا، وتمهيد الحال عند مَوْلانا الأمير عِزّ الدَّوْلة، وترغيبه في اصْطناع أبي الحسن[٢] الذي هو اليوم شيخٌ من مشايخ الدَّوْلة، وكبيرٌ من كبراء الجملة، وجارٍ عند مَوالينا - أدام الله عِزّهم - مجرى أخصّ ذوي اللُّحمة، ونازلٌ لديّ منزلة الأخ في المُشاركة. وما يدفعني عن اجتهادٍ في قضاء حقّه، وتجميل أمره، وعَطْفِ قلبِ مَوْلانا الأمير عليه، واستخلاص رأيه له، وأنا أرجو أن أبلغ من ذلك إلى الحدّ الذي ليس عليه مزيدٌ لزائد، ولا غايةٌ لطالب بمَعونة الله.

وكانت البَلْوى بالأتراك عظيمة في تبسُّطهم وتسحُّبهم، واستئكالهم الأموال، وثقْل وَطأتهم على الأعمال، وخَرْقهم للهَيْبة، وظلمهم للرعيّة. ومَوْلانا - أطال الله بقاءه - يحفظ فيهم حُرمة العَبيد وهم لا يحفظون له حقّ الموالي، إلى أنْ عيل الصَّبْر، وضاقَ الصّدر، وصار الإغضاءُ عنهم ضعفاً، والإبقاء عليهم عَجْزاً.

---

(١) جستربتي.
لم أجد فيما اطّلعت عليه من مصادر مَن ذكر اسم جدّه. وقد تقدّم التعريف به في الرسالة السابقة.

(٢) كنية عمران بن شاهين

واتّفقت منهم مشاورةٌ لبعض الدَّيْلَم أسرفوا فيها وطَغَوا، وعتوا وبَغَوا؛ فانتهت بهم الحال إلى ما رآه من القَبْض على كُبرائهم وقُوّادهم، والتّشريد بأصاغرهم وباقيهم، فمَن صلح منهم في المستأنف، وعاد إلى قيمته، ووقف عند حدّه، فهو ينعطف له ولا يخليه من كفاية مثله. ومَن أقام على جَهْله، وتمادى في غَيّه، فإنّه مطلوبٌ أين سَلَك، مأخوذٌ أين قصد بإذن الله.

وجيوشُ الدَّيْلَم - نصرها الله - الآن مطلّةٌ عليهم من سائر أعمالنا وبلادنا، وقد جرّد مَوْلانا الأمير السَّيِّد رُكْن الدَّوْلة عَسْكراً، نحن نتوقّعه لطلبهم. وكُوتب عُدّة الدَّوْلة أبو تَغْلِب وهو اليوم من أولياء الدَّوْلة وأعضادها، والمتحقّقين بها، والمخلصين لها، بإنْفاذ جيشٍ؛ ففعل ذلك وجرّد عَسْكراً مع أحد إخوته، وكتب يستأذن في مَسيرة، وقد كتبنا إليه بالإذن، ولا شك في أنّه سائرٌ إلى حُدود مدينة السَّلام للخِدْمة والمعاونة، ونريد من أبي الحسن أنْ يكون سابقاً للنّاس كلِّهم إلى الخدمة والطّاعة، والمؤازرة والمضافرة، وأنْ يعملَ بما سبقت به الرِّسالة مع أبي الحسين عَليكا[1] في تلقُّط كلِّ مَن يجتاز في أعماله من هؤلاء الغِلْمان والقبضُ عليهم، والتوثُّق منهم وإنْفاذهم مع مَن يُسلِّمهم. وأنْ يوعز بتَجْريد مائة زَوْرق فيها رجالها وملّاحوها مع أحد الوَلَد أو مَن يجري مجراهم في المناب عنه، والقيام مقامه للمَسير مع عَسْكر الماء إلى مدينة السَّلام في الوقت الذي يُحتاج إلى ذلك فيه والتصرُّف على ما يرسمه مَوْلانا الأمير عِزّ الدَّوْلة ويحده، وهو وليُّ ما يراه في ذلك وفي تقديمه، والجري فيه على أحسن عاداته ورُسومه إنْ شاء الله.

---

(١) لعلّه المذكور في رسالة التطفيل في ج٢، ص٦٦٣. وقد قال عنه التنوخي: «كان في نقباء الأمير عِزّ الدَّوْلة رجلٌ يُسمّى عليكا، وكان كثير التَّطْفيل على جميع أهل العسكر من الحجّاب والقُوّاد والكُتّاب ووُجوه الخاصّة والغِلْمان». نشوار المحاضرة، ج٧، ص١٥٥.

وقد كان المعروف بالكارُويّ[١] أفسد في أعمال الأهْواز، ونَهَب وقَتل وسَلَب، وأمكن الله من فَلِّ جَمْعِه، وتَشْتيت شَمْلِه، ونجا بحُشاشة نفسه إلى البطائح، والأحوالُ بيننا موجبةٌ لأن يكون الخائفُ عندنا خائفاً عنده، والمطلوبُ من جِهَتنا مطلوباً من جهته، إلّا أننا نعلم كراهيته للإفراج عمّن يلجأ إليه. وكُنّا راسَلْناه بأنْ يكون محصناً عنده، ممنوعاً من مفارقة مَوْضعه، متوثِّقاً منه في ترك العَوْد إلى الأعمال. وهو - أيّده الله - وليّ ما يراه في ذلك، والعمل فيه بما يعود بالإحْماد والقربة، والسُّكون والثقة، إنْ شاء الله.

وقد أجرى خاقان بن أحمد[٢] في هذا الوقت إلى ما عرفه أبو الحسن - أدام الله عِزّه - عن الفَتْك ببعض الأتباع، ونَقَض بذلك العهد، وأخْفر الذّمّة، وتنجّز لنفسه الصَّيْلَم، وليس يُؤمن أنْ يكاتبه، أو يخرق عليه، أو يتعلّق إذا طُلِب بأطراف أعماله. ومَوْلانا - أطال الله بقاءه - يُلزمه ويُريد منه أنْ يغضبَ بغضبه، ويرضى برضاه، وأنْ يمنعَ هذا الغلامَ العِصْمةَ من جِهَته، ويويْئسه منها، وأنْ يكون عَوْناً على طلبه، فإنّه عدوٌّ لله ولنا وله، حقيقٌ بأنْ تحلَّ به النِّقْمة، وتُعاجله العقوبة إنْ شاء الله.

---

(١) انظر: رسائل الشيرازي، ص١٦٤؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٤١٥.

(٢) أورد مسكويه خبراً عن أحمد بن خاقان الذي كان متغلباً على أسافل واسِط، وهي أعمال: نهر الصلة ونهر الفضل، مجاوراً لعمران بن شاهين. واستولى على تلك النواحي. وكان يقاطع عنها السلطان كما يريد، ولا يمكن الاستيفاء عليه، وله حالٌ قوية ونعمة عظيمة. وكان له ولدٌ اسمه خاقان، احتمل غلات أبيه وأمواله، ودخل إلى مضائق البطيحة. تفصيلات ذلك عند مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٣٠٧.

وهذا وقتٌ تتضاعف فيه الحاجةُ إلى المال، وقد حلّ منه ما هو يعرفه، ولو أضاف إليه شيئاً آخر لما كان مستنكراً ولا مستكثراً. وأبو الحسن مُحمّد بن أحمد يعرف الحساب، وأنا أسأل الحَمْل على النّفس - صانها الله - بحَمْل جميع ما وجب وأكثر ما يمكن إضافته إليه ممّا تأتي المحاسبة عليه إنْ شاء الله.

تَذْكِرة عن مُحمّد بن بَقيّة إلى عمران بن شاهين[١]

ليورد القاضي - أطال الله بقاءه - ما سَمِعه مني، وشاهده من أثـري في رَبِّ حـال أبي الحسـن عمـران بـن شـاهين - أدام الله عِـزّه - والسّـعي لتأكيـدها، والاجتهـاد في تمكينها. وإنني - يعلم الله - مخلصٌ في مودّته، معتقدٌ لمشـاركته، مـؤثرٌ لكـلِّ مـا هـذّب الحال بين مَوْلانا الأمير عِزّ الدَّوْلة وبينه، وحرس عليـه رأيـه، واقتضـى لـه بتشـريفه وتَكْرِمته، وسُـكونه وطمأنينتـه. وقـد علـم - أيّـده الله - أنني دبّـرتُ الأمـور وهـو مستوحشٌ فآنستُه، ومحتَشـمٌ فبسـطته، ومطالَـبٌ فرفهتـه، ومعامَـلٌ في مـالٍ مضـمون فأبطلتُه. وبدأت بأنْ أسقطتُ عنه على يد إبراهيم بن هِلِّيل[٢] مـا بقـي إلى وقـت نفـوذه إليه، وهو خمسون ألـف دينـار، ومـا اسـتكثرتُ - والله - إخـراجَ ذلـك مـن مـالي لـو أخرجتُه، فَضْلاً عن تَرْكه عليه لـو تركتُـه، مـع حُصـول العِـوَض الجليـل مـن صـفائه وإخائه، وزَوال انقباضه والتوائه. وكنّا بَيَّنّـا المراسـلات إليـه - أيّـده الله - عـلى هـذه الأصول المتقرِّرة، والقواعد المتمكِّنة، وسـعيتُ معـه في أمـورٍ إنْ سـاعَدَني عـلى تمامهـا جميعها أو ما شاء ورأى منها تبيّن المصلحةَ العظيمة في عافيتها، والفائدة الجسـيمة عنـد مغبّتها. وقد شافهتُ القاضي بها، وعرف ما عند مَوْلانا الأمير عِزّ الدَّوْلة وعندي فيهـا، وهو يُورد ذلك إيراداً يغني عن الإطالة بإذن الله.

وكان أبو الحسن - أدام الله عِزّه - وَعَد من الاجتماع معي، والإصعاد إليّ بعض

---

(١) چستربتي.

(٢) الضبط من الأصل، وهو ما يؤكد رأينا في أن اسم أبيه هِلِّيل وليس هلال.

الطريق لأنحدرَ إليه بما لم أسأله إيّاه مبتدئاً، لكنه بذله بارّاً متبرّعاً؛ فسكنتْ إليه نَفْسي، وتناهى سُروري وأُنسي، واعتقدتُ أنْ أنحدرَ وألقاه كيف أحبّ ورأى، وآثر واشتهى. ثم عَقّب ذاك بالدّفع عنه، والامتناع منه، فلم أراجعه اعتماداً مني لأن يجري كلّ ما بيننا على مُراده دون مُرادي، واختياره دون اختياري. وظننتُ أنّه فكّر في المؤونة التي تلزمه عليّ، واستثقل أنْ يصبر عليها لي. ولو لم يكن عَلَماً يُشار إليه في الفُتوّة والمروءة، والتوسُّع في المؤاكلة والمراضعة لداعيتُه في استعفائه من اجتماعنا مداعبةً، لعلّها كانت تثقل عليه. لكنّي أعرف من فَضْله ونَفاسته، ونُبْله وسَماحته ما لا تطّرد تلك المداعبةُ معه. إلّا أنّ العذر يزيد ضيقاً في امتناعه من حالٍ هو البادئ بها، والباذل لها. وكنتُ - والله - مسروراً باتّفاقها، قريرَ العين بتيسُّرها. والخيرة الآن فيما قضاه الله، وما أتنجّزه - أيّده الله - اللّقاءَ في هذا الوقت مع شوقي إليه، وحِرْصي عليه، إلى أنْ يترقّى الأنس إلى غايته، ويتزايد السُّكون إلى نهايته، فيكون ذلك في وقتٍ آخر، وعلى حالٍ أخرى، هي أجمعُ للشمْل، وأوصلُ للحبْل وأشرحُ لصَدْر الوَليّ، وأفتُّ في عَضُد العدوّ، إنْ شاء الله.

وإذا أورد القاضي - أيّده الله - عن مَوْلانا الأمير عِزّ الدَّوْلة ما يورده، واستوفى تلخيصه على ما حُدّ ومُثّل له، أدّى هذه الرِّسالة مني، وقرّر في نفس أبي الحسن أنّه عند مَوْلانا الأمير عِزّ الدَّوْلة الشيخُ الكبير، وعندي الأخ الأثير. وأنّا نريد منه أنْ يغضبَ لنا، ويتعصّبَ معنا، وألّا يتوقفَ عن مُساعدتنا على هذا الجهاد الذي نحن بصَدَده، والرّباط الذي نحن بإزائه، إذ كان هذا العبدُ الغامِط للنِّعْمة، والجاحدُ للصَّنيعة عدوّاً لأهل بيت رسول الله صلّى الله عليهم ؛ يُقرّب الفِرَق النّاصبة[1] الخبيثة، ويُباعد الفِرَق

---

(١) النصب: مناصبة آل البيت العداء. واستعمال هذا المصطلح هنا من قَبيل الحرب الإعلامية، والدعاية السياسية.

الطّاهرة الطيّبة. وقد محا ما كان الأمير مُعِزّ الدَّوْلة - نَضّر الله وَجْهه - والأمير عِزّ الدَّوْلة - أعزّ الله نصره - أثبتاه على مساجد مدينة السَّلام من التفضيل لأمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه، والإظهار لشعاره، والإعزاز لأوليائه، والبراءة من أعدائه[1]، وأثبت ضدّ ذلك ممّا لا تنطلق الألسن بذكره، ولا تحتمل النُّفوس الإغضاء عنه، ولا الصَّبْر عليه، وإنّما هو عبدٌ نشز عن مَواليه، وخان مُصطنِعيه، في بقعةٍ متوسّطة لديارهم، ومُحاط بها في مَمالكهم، فجيوشُهم به مُحدِقة، ووُلاةُ أطرافهم عليه مُطبِقة، والنّاسُ جميعاً أمّةٌ واحدةٌ في الذمّ له، والغيظ منه، والإكْباب عليه، والقَصْد إليه. وليس معه إلّا شِرْذِمةٌ هي في كلّ يومٍ ناقصةُ العَدَد، مَمْحوقةُ الأمد، مؤذنةٌ بالإدبار، صائرةٌ إلى البَوار، بإذن الله.

ولا تقنع منه إلّا بقبول رأيي، والعمل بمشورتي في إنْفاذ جيشٍ للماء قويٍّ كثيف، يحسن منظره، ويُحمد مخبره، ويبقى ذكره وأثره. وتُعلمه أنّه بَلَغني عنه أنّه قال عند استدعائنا ذلك منه، فما العوض وبأيّ شيء أثق ! وأنّ جوابي عن ذلك: أنّا لو كنّا من شَرِّ بريّة الله لما استجزنا في دِينٍ ولا مروءة أنْ نخون رَجُلاً مثله قد أعاننا في الشدّة، وأنجدنا عند الضَّغْطة، وأسعفنا بالطِّلْبة، وساعَدَنا على الإرادة، وأنّ عَليَّ عَهْدَ الله وميثاقَه، وما أخذه على ملائكته وأصفيائه، وأنبيائه وأوليائه أنني أحفظ عسكره له، وأردّه عليه، وأُحسن إليهم، وأقضي حقوقهم. وقد حلف مَوْلانا على مثل ذلك، وهو

---

(١) في سنة ٣٥١هـ أمر مُعِزّ الدَّوْلة بكتابة (لعن الله بن معاوية بن أبي سفيان ولعن مَن غصب فاطمة فدك ومن أخرج العباس من الشورى) على مساجد بغداد. وكان الخليفة ضعيفاً لا يقدر على المنع. فلما كان الليل حكّه بعض الناس، فأراد مُعِزّ الدَّوْلة إعادته، فأشار عليه الوزير أبو محمد المهلبي بأن يكتب مكان ما محي : لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يذكر أحداً باللّعن إلا معاوية، ففعل ذلك. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٣٩.

وأنا بعده نرصد أبا الحسن بأجمل المجازاة، ونوجب له أفضل المكافأة، ولا ننسى لـه مـا يعمله أبداً، ما نفذ لنا أمرٌ ومُدّ لنا في عمر؛ فليثق - أيّده الله - بذلك، وليعمل بحَسَـبه، وليكن منه ما هو الأولى به، والأليق بفضله، إنْ شاء الله.

نُسْخة تَذْكِرة عن عِزّ الدَّوْلة إلى عمران بن شاهين[1]

ليقصد القاضي - أطال الله بقاءه - أبا الحسن عمران بن شاهين - أيّده الله - وليعرّفه ما نحن عليه من الرّغبة في تَسْكين نفسه، وتَحْصيل أُنسه، وإفْضاء ما بيننا وبينه إلى غاية صفائه ونقائه ونهاية اعتداله واستوائه، وأننا كنّا بدأناه بمُراسلاتٍ شافية، ومُكاتباتٍ وَكيدة، ندعوه فيها إلى ما تتناهى به المشاركة، وتتكامل معه المشابكة. وأنزلنا به حاجاتٍ لنا كباراً وصغاراً، توقَّف عندها توقّف مَن لم ينشرح لها صدرُه، ولم يَصْفُ لقضاء شيءٍ منها سرُّه. وأنّ ذلك أحشَمَنا وخالَفَ ظنّنا، وما تركنا أنْ أقمْنا له وُجوهَ الحجّة، وفَسَحنا له في سُبُل المعذرة. ولم نسمح مع ذلك بأنْ نُجريه مجرى مَن نقنع منه بعض[2] الخدمة، ونرضى فيه بظاهر المساعدة، دون أنْ نطالبه بالاجتهاد والمبالغة، وبذل الوُسْع والطّاقة؛ فأنفذنا القاضي لهذه الحال ولنزيله عن بَقيّة إنْ كانت بقيت من

---

(١) چستربتي. (بن شاهين) إضافةٌ منّا.

في سنة ٣٤٠هـ تم الصلح بين مُعِز الدَّوْلة وعمران بن شاهين، وقلّده مُعِز الدَّوْلة البطائح، وأطلق إخوته وعياله. وأطلق عمران بن شاهين من استأسر من القواد وغيرهم. مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص١٧٧.

وفي سنة ٣٦٣هـ صالح عِزّ الدَّوْلة عمران بن شاهين ليأمن جانبه خلال الفتنة التي اتّقدت بين الأتراك والدَّيْلم بالأحواز وعمّت العراق، فراسله وأرسل إليه خلعاً وأسقط عنه باقي المال الذي اصطلحا عليه وخطب إليه إحدى بناته، وطلب منه أن يُسيّر إليه عسكراً. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٢٢.

(٢) غير واضحة، هذه أقرب قراءة لها.

الاستيحاش، وننتهي به إلى أقصى منازل الاستئناس. وإنْ كانت الأسباب التي جرت قديماً قد أثّرت في ثقته بنا، وقَدَحت في بصيرته بها عندنا، فليعلم أنها لم تكن بقصدٍ منّا لما يؤلمه ولا عن عزيمةٍ على ما يثلمه، وإنما جرت بتفويضنا - كان - إلى مَن أراد بإفساد الأمور صَلاحَ أمرِه، وبتوغُّر الصُّدفة شفاءَ صدرِه. وإننا قد استدركنا ذاك بالرجوع عليه، والإساءة إليه، والاستبدال منه بالنّاصح أبي طاهر[1] الذي هو منذ نَظَر لنا ودَبَّر، وأمر عنّا ونهى سالكُ السَّبيل المستقيمة في خدمتنا، وجاذبٌ كلّ جهةٍ إلى طاعتنا، وخاصّةً جهة أبي الحسن - أيّده الله - فإنّه زائدُ الحرص على توطيدها لنا، متضاعِفُ السّعي لتقريبها منّا. لا جَرَم إنا قد أغضينا عمّا كنّا نطلبه، وسمحنا بما كنّا نستوجبه، وعفّينا آثار النبوّة، ونهجنا طرق الصّفوة. ولم يكن ذلك منّا في هذا الوقت وعند عصيان سُبُكْتِكين حاجبِنا المركوس في غيّه، المتردّي في بغيه، فنظنّ أنّا استملناه لسببٍ عَرَض، وحادثٍ طَرَق، بل نحن منذ مدّةٍ آخذون في أنْ نخاطبَه بنفوسنا، ونوطىءَ له جنباتنا، ونجعله بمنزلة الشّريك المفاوض لنا، ونحلّه محلّ القريب الممتزج بنا. ولو كان توقّف عن بعض مَطالبنا، ولا سَمَح بالبعض، لقبلنا المتيسّر، وعذرناه في المتعذّر، لكنه حملنا على المنْع للكثير والقليل، والدّفْع عن الدّقيق والجليل؛ فلم نَطِب نفساً عنه، ولم نجد بدّاً من إيراد هذه الألفاظ عليه، وقد كان بدأ بالجميل في خدمتنا، وإظهار التحقّق بنا، وأنفذ من الأصحاب والآلات إلينا؛ فوقع ذاك ألطف وأحسن مَواقعه منّا؛ وجزيناه الخير، وأردنا منه المزيد، واقترحنا عليه تكثيف العِدّة، وتقوية العُدّة فما راعنا إلّا صرفه مَن كان أنفذه، ورُجوعَه عمّا اعتقده، وإعداده لكلّ حاجةٍ نستدعيها، ومعونةٍ نرغب فيها، قولاً يصدّ عنها، وعذراً يمنع منها، حتى قوي في نفوسنا أنّ هذا العبدَ الخائن،

---

(١) الوزير مُحمّد بن بَقيّة.

والمغرى الخائن كاتَبَه بتمويهاتـه، واختدعـه بمخاريقـه، وأراه أنّ قدمَـه ثابتـة، ونجاتـه مأمولة، وهيهات. مـا أبعـد ذاك منـه، وأخلقـه بضـدّه ! وكيـف يكـون أمـرُه مسـفراً، وصَلاحُه مرجواً، والله جلّ وعزّ ورسوله صلّى الله عليه وسلَّم وأهل بيته عليهم السَّلام أعداؤه ! إذ قد افتتح أمره بإعزاز النَّصْب[1] ورَفْع مناره، وإذلال التشيّع وخَفْض عماده، وإبعاد أهل الشّرف والفخر، وتقريب أهل الزّيغ والكفر. هذا إلى جَحْده صَنيع مَواليه، وخَلْعه طاعة مُصْطنعيه. ومَن هو هذا الوغد حتى يؤثَر علينا، ويراقَب دوننا ! ألا يعلـم أبو الحسن أنّه عبدٌ آبق، وخادمٌ عاصٍ، وأنّ جيوشَـنا متوافيـةٌ لقَمْعـه، وأسـيافَنا مجـرّدةٌ لحصده !

وقد أنفذ الأمير السَّيِّد رُكْن الدَّوْلة من الرَّيّ الأمير أبا الحسن ابنه، وأبا الحسن عليّ بن كامه، وأبا دُلَف سَهْلان بن مُسافر في سبعة آلاف رجل، وسار الأمير عَضُد الدَّوْلة عن فارس في عشرة آلاف رجل، وما منهم ومنّا إلّا مَن قد آلى على نفسه ألّا يَرُدَّ عِنانه، ولا يغمدَ حُسامه إلّا بعد الأخذ بناصيته بإذن الله ومشيئته.

وأقبل عُدّة الدَّوْلة أبو تَغلِب ومعـه إخوتـه، وجماهير جيشـه سـائرين لنصـرنا، ومتعضين لنا، وحصلت أوائلهم بتكْريت. ووَرَد الشّريف أبو الحسن مُحمّد بن عمر إلى حضرتنا في عددٍ جَمّ، وعسكرٍ ضخم. ولم يبقَ أحدٌ من رئيس فرقـةٍ، ووَجيـه ناحيـةٍ إلّا صار إلينا، ومثل لدينا من أكابر وأصاغر ليست بنا حاجـةٌ إلى ذكـرهم، إذ لم يخـف عـن أبي الحسن أمرُهم.

وكان ممّن راسله الخائن أبو الفَوارس حَسْنُوَيْه بن الحسين يخطب إليه المصاهرة،

---

(١) النصب: مناصبة آل البيت العداء. واستعمال هذا المصطلح هنـا مـن قَبيـل الحـرب الإعلاميـة، والدعاية السياسية. كما تقدم.

ويسأله المؤازرة، وأهدى إليه هدايا ظنّ أنّه يقبلها ويبيع ما بيننا وبينه، فردّها عليه، واستخفّ به، وقَطَع حَبْله، وخَيَّب ظنّه، وكاتَبَنا بالسّمْع والطّاعة، وبَذَل المجاهدة والمقارعة، وأنفذ مَدداً قوياً من الرّجال هم اليوم بين أيدينا، وفي جُملة مَوالينا، أفَيَحْسُن بأبي الحسن أنْ يخرقَ الإجماع، ويكون مخالفاً لهؤلاء الرؤساء والأتباع ! فإنْ يظهر عنه أنّه توقّف عن مساعدتنا، وقعد عند حاجتنا نعوذ بالله من هذه الحال التي هو أرجحُ منها عَقْلاً، وأكملُ فَضْلاً، وأفْصَحُ رأياً، وأحسنُ اختياراً، وأنظرُ لِدِينه ومُروءته، وعاجلته وآجلته.

وإذا أدّى القاضي هذه الرِّسالةَ، وثّق له عنّا كلّ التوثقة بأننا نُجازيه عمّا يفعله، ونكافئه بما يستعمله. ولا ننسى له كلَّ حالٍ تكون منه في خدمتنا وطاعتنا، والكون لنا ومعنا، وأنّ علينا عَهْدَ الله وميثاقَه، وما اتّخذه على أنبيائه ورُسله، وأننا نفي له ونرعى حقّه، ونحفظ غَيْبه ونحمي جنباته، ونردّ إليه مَن ينفذه من أصحابه وما يكون معهم من آلاته، موفَّقين محروسين، محوطين مصونين، بعد الإحسان إليهم والإفضال، إذ ليس من الجميل في مذهبٍ من المذاهب، واعتقادٍ من الاعتقادات أنْ نفعلَ غير ذلك معه، وقد أحسن وأجمل، وأسعد وأسعف، ولعلّ هذا أنْ يجرّ حالاً أخرى في تأكيد الأسباب الجارية في الأعقاب، والحُرْمة التي تتمكّن بها العِصْمة، ولا يعود بها خلافٌ ولا وَحْشة، إنْ شاء الله.

نُسْخة كتابٍ قُرِىء على مِنْبر واسِط أيّام عصيان الأتراك ببغداد[1]

من عِزّ الدَّوْلة أبي منصور ابن مُعِزّ الدَّوْلة أبي الحُسين

مَوْلى أمير المؤمنين

إلى جماعةِ مَن بواسِط من الأشْرافِ والعَوامِّ والخواصِّ والأتْباع

سلامٌ عليكم: فإنّا نحْمدُ[2] إليكم اللهَ الذي لا إله إلّا هو، ونَسْألهُ أنْ يُصلِّيَ على مُحمّد عَبْده ورسولِهِ صلّى الله عليه وسلَّم أمّا بعد:

أحْسن اللهُ لكم الرّعاية، وتولّاكم بالصَّوْن والكِفاية، فقد علمتم أنّ سُبُكْتِكين مَوْلى مُعِزّ الدَّوْلة عبدٌ من عبيدنا نستحقُّ رِقَّهُ مملوكاً، وولاءه معتَقاً، وقد فرضَ اللهُ لنا عليه طاعةً، لم يَقْتصِر على تركها حتى خرجَ إلى الغاية من ضدِّها، وأوْجبَ له علينا إمساكاً بمعروفٍ لم نقف به عند حَدِّه، حتى تجاوزناه إلى نهاية شَطَطِه وسَرَفِه، وأنّه كما حازَ من صَنيعتنا ما لم يحزه نظيرٌ له في قديمٍ ولا حديثٍ، ولا سابقٌ ولا[3] لاحق، نَزَت به البِطْنة، وأدركتهُ الشِّقْوة؛ فكَشَف القِناع، وقطَع العِصْمةَ، واستجاز المحظورَ، وارْتكبَ العظيمَ، واستَغْوى من غِلْماننا أهْلَ الغَدْر والجَهْل، حتى غَلَب بهم على أهْل الوفاء والفَضْل، ووَثَب وَثْبة اللِّصِ الكامِن، والذّئب الخاتل، وأحْرقَ المنازل، وهَتَك

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك، القاهرة،.
انظر تفصيلات ذلك العصيان الذي قاده سُبُكْتِكين في أحداث سنة ٣٦٣هـ عند ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣١٤.

(٢) س: محمد.

(٣) ساقطة في س.

الأحْرارَ، وسبى الرَّقيقَ، ونهب المال، واستحلَّ الحرامَ، واحتقب الآثام، وعَطّل السُّـنن، وأضاع الفرائض، وأظْهَرَ البِدَع، وقَمَع الشِّيَع، وبخسَ أهْل البيتِ – علـيهم السَّـلام – حقوقَهُم، وآثر عليهم أضدادهم، إلْحاداً في الدِّين، وإسْخاطاً لـربِّ العـالمينَ، واغْـتراراً بجَوْلةٍ جالتْ له، إنّما هي:

سحابةُ صَيْفٍ عن قليلٍ تقشع[١]

وكذلك يفْعلُ الأخْرَقُ الجاهلُ، والغافلُ الذّاهلُ، والخائنُ الذي قد أذن اللهُ في قَطْع أكْلِهِ، وأدْناه من حاضِر أجَلِهِ.

ونحن نتوكّلُ على الله كثيراً في حَسْم الدّاء، ومقابلتِه بأنْجع الدَّواء، والصَّمْد لعدوِّ الله وعدوِّنا هذا بالجيوشِ الحاضِرَة، والأمداد المتوقّعة، حتى نُدْرك منه منيم الثأر[٢]، ولله الإذْنُ والمشيئةُ، ومنه النَّصْر والمعونةُ.

وتأدّى إلينا – رعاكم اللهُ – أنّ هذا الملعونَ المأفون اسْتمال طائفةً من رعيّتنا، وحَمَلهم على مُشاركتِهِ. فلمّـا فعلوا ذلك، وحصلوا منه تحت غلطٍ يحذرون غائلتَهُ، وخطأ يتّقون بائقتَهُ، مكَّنَ في نفوسِهِم أنّا عليهم حاقدُونَ، وللانتقام منهم معتقدون، إيحاشاً لهم منّا وتنفيراً، وحيلةً عليهم وتَدْبيراً، ولكي يَصيروا زيادةً في لَفيفِهِ، وجُنّةً من مخوفِهِ، فيتهوَّكوا[٣] ولا يزْدجروا، ويردوا ولا يصدروا، واللهُ على ذلك حَسيبُه[٤]، وبه طَليبُه.

---

(١) عجز بيتٍ، صَدْرُه: فإن كانت الدّنيا تُحبُّ فإنها. ويُنسب لغير واحد.

(٢) الثأر المنيم: الثأر الذي فيه وفاء طلبته. ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٥٩٧ (نوم).

(٣) التَّهَوُّك: السقوط في الرّدى، وقيل: هو مثل التَّهوُّر. لسان العرب، ج١٠، ص٥٠٨ (هوك).

(٤) س، ر: حسبه.

ومعاذَ الله – كلأكم اللهُ – أنْ نكون نحنُ[١] أو أحَدٌ من أوليائنا اعتقدنا في هؤلاء النّفرِ الجناة، والسُّفهاءِ الغُواة إلّا الصَّفْح والغُفْران، والمنَّ والإحسان. وكيف نستجيز أنْ نحلَّ بهم مكروهاً، ونحنُ نعلمُ أنهم لا يُمازُونَ[٢] عن أضعافٍ لهم كثيرةٍ من المسلمين المؤمنين، القارّين المستورين، وأنّ السُّوءَ لا يَخْلصُ إلى الواحد من أولئك الفجّار، إلّا بعد إتيانِهِ على العَدَد الجمِّ من هؤلاء الأبرار ! لكنّا نقولُ قولاً قد عَلِم الله استواء باطنه وعالنه، واتّفاقَ سِرِّه وجَهْرِهِ، أنّا قد صَفحْنا عن أحْداثِ رعيّتنا في مدينة السَّلام، وعَفَوْنا وحلمْنا وكظمنا، ووَهَبْنا جناياتهم لشيوخِهِم وأماثلِهِم، وأخْلَصْنا النيَّةَ في أنْ لا نُؤاخذهم بجَريرةٍ، ولا نُقابلهُم عن كبيرةٍ أتوْها ولا صغيرةٍ، ولا نَقطع عنهم عصمةً، ولا نَنْقضُ لهم ذمّةً[٣]، ولا نُطْلق عليهم يداً بانتصافٍ ولا انتصارٍ، ولا مطالبةٍ بذَحْلٍ ولا ثأرٍ ما كانوا عن الغَلط نازِعينَ راجعينَ، وللتّوبة منه مُعْتقِدِينَ مُخْلصين.

وقد سمحنا لهم بعد تغمُّدِ الجرائمِ، وهبة العظائم بالضَّرائبِ المأخوذةِ من الأغنام، ومن كلِّ ما يحْمِلهُ تُجّار الحَجيج من بَزٍّ[٤] وغيره، فإنّ تلك الضَّرائبَ كانت واصلةً إلى الأتْراك، ولم نكنْ نَستطيعُ إزالتها، ولا نتسِعُ لتعويضِهِم عنها؛ لأنّهم تبسَّطوا[٥] في المطالب، وضاقت بنا في كفِّهم المذاهبِ، وعجز الارتفاع عن إقْناعهم، وانْقطعَتِ الحيلُ في إرضائهم[٦].

وكان هذا العبدُ الخبيثُ يبعثهم على سوء الأدب، والاشتطاط في الطّلب، وينْقُلُهم

(١) ساقطة في ف.

(٢) بمعنى التمييز.

(٣) (ولا نقطع... ذمة) ساقط في ف.

(٤) ر: بر.

(٥) ف: توسطوا.

(٦) (وانقطعت الحيل في إرضائهم) ساقط في س.

عن العاداتِ الجميلةِ التي نشؤوا عليها، وأخذوا بها إسْراراً لما أظْهرَهُ من النَّكْث، وسياقةً لهم إلى ما أجْرى إليه من الغَدْر، واللهُ حقيقٌ بأنْ يرفعَ عنه حِلْمَهُ، ويُسلمهُ إلينا بذنبه، ويُمكِّنُنا من ناصيتِه التي نحن نملكها وإنْ أبَقَ، وعنده نستحقُّها وإنْ أنْكر وجَحَد.

وقد كُنّا لما مَلَكْنا الاختيار[١] بالأهْواز أزلنا[٢] عن الرّعيّة بها مُؤَناً مُجْحفةً، وكُلَفاً باهِظةً[٣]، وسَمَحْنا لأهل عَسْكَر مُكْرم بجملةٍ عظيمةٍ عن ضرائبِ الدَّقيق والأقْوات، وأزلنا رَسْمَ ذلك وحَسَمْناه، ومحوناه وعفّيناه، وكذلك نفعلُ بكم وبالرّعيّة في ممالكنا، واللهُ الشّاهدُ علينا بما نَنْويه، ونَخْلصُ فيه من الرِّفق والأناةِ، والإفْضال والإنعام، ومدِّ الظلِّ الظَّليل على كلِّ لائذٍ بنا، وحاصلٍ في كَنَفِنا، وهو جلَّ وعلا، المعينُ المرشِدُ، والموفِّقُ المُسدِّدُ[٤].

وأهْلُ مدينةِ السَّلام إخوانُكم في الإيمان، وخُلَطاؤكم في المعايش، وقد أحببنا أنْ يعْرفوا من جهتِكُم ما سمعتم من قَوْلنا، وعرفتم من رأينا؛ ليثقوا به[٥]، ولا يشكّوا، ويسكنوا إليه ولا يرتابوا ولا ينزعجوا، فاعملوا حفظكم الله على تأدية ذلك إليهم مكاتبةً ومراسلةً، وتقريره في نفوسهم سِرّاً وعلانية، وكونوا وهم إليه مُطْمئنين، وبحسبه عاملين، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) ر: الأخيار.

(٢) ر: لنا.

(٣) س: باهضة.

(٤) س: السدد.

(٥) ساقطة في ف.

وكَتَب إلى أهلِ مدينةِ السَّلام[١]

كتبنا -أعزَّكُم الله- من واسِط يومَ النَّحْرِ، نَسألُ الله لأنفُسِنا ولكم وللمسلمينَ جميعاً بَركَتَهُ وسعادَتَه، وبَلاغاً إلى مِثلِهِ في خيرٍ وعافية، وسَلامةٍ عاجلةٍ وآجلة، ونحنُ[٢] وأحوالُنا جارِيَةٌ على الانتظامِ والسدادِ، والاستقامةِ والاطِّرادِ، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

وللدّهرِ -عافانا الله وإيّاكم- نوائبُ تَنُوبُ وتتَطَرَّف، ثم إنّ غَمَراتِها تَنْجلي[٣] وتتكشّف، ولله في أثنائها الصُّنعُ الجزيلُ، والفَرَجُ القريبُ.

وبَلَغَنا أنّ الجاحدَ لنِعْمتِنا، المُضَيّعَ لحقِّنا، المُخالفَ لما أمَرَهُ الله به من طاعتِنا، وشُكْرِ صَنيعتِنا، جَذَبَ بعضَ أحداثِكُم إلى مشاركتِه في الفتنَةِ التي أثارَها، والقبائحِ التي

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة.

هذه الرسالة تتعلّق بأحداث عصيان سُبُكْتِكين سنة ٣٦٣هـ، وقد صارت بغداد حزبين، فالسنة تنادي بشعار سُبُكْتِكين، والشيعة تنادي بشعار عِزّ الدَّوْلة. الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص٢١٥. وبرز من العيارين قُوّاد، وأشهرهم: ابن كبرويه، وأبو الدود، وأبو الذباب، وأسود الزبد، وأبو الأرضة، وأبو النوابح. وشنت الغارة، واتصل النهب، وتوالى الحريق حتى منعوا الماء أن يصل من دجلة إلى الكرخ. وكان فيهم أسود الزبد، وكان عبداً يأوي إلى قنطرة الزبد ويلتقط النوى ويستطعم من حضر ذلك المكان بلهوٍ ولعب، وهو عريان لا يتوارى إلا بخرقة، ولا يؤبه له، ولا يبالي به، ومضى على هذا دهر، فلما وقعت الفتنة، وفشا الهرج والمرج، ورأى هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف وأعمله، طلب سيفاً وشحذه، ونهب وأغار وسلب، وظهر منه شيطانٌ في جلد إنسان. التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص٣٧٨.

(٢) ساقطة في ل، ق.

(٣) ج: تتجلّى.

استجازَها، وأنّه جَعَل ذلك طَريقاً إلى إيحاشِكم، وسبباً لإخافتِكم، ومَكَّنَ في نفوسِكم أنّنا لكُم مُتَنكِّرونَ، وعلى الإساءة بكم مُضِبُّون، وحَكَى لكُم عَنّا قولاً مكذوباً به علينا في الإباحةِ لدمائكم وأموالِكم، وشَنِّ الغارَةِ على ديارِكم وأوطانِكم، ومَعاذَ الله أنْ يكون الأمرُ كذلك، أو أنْ يكون هذا الرأيُ الفاسِدُ دارَ في خَلَدِنا، أو هجَسَ في نفوسِنا، فكيف نَستجيزُ أنْ نُوقِعَ العُقوبَةَ على رعيَّتِنا وأغْذِياءِ نِعْمتِنا، والناشئينَ في أيّامنا وأيّام الأمير السَّعيد مُعِزّ الدَّوْلة -نَضَّر الله وَجْهه- قبْلَنا، وهم أُمَّةٌ لا يَحصُرُها العدَدُ، مسلمونَ مؤمنون، أكثرُهم غارٌّ قارّ، لا صُنْعَ له فيما فَعَل، ولا مَدْخَلَ يدٍ[1] فيما عَمِل ! ولا يمكِنُ إيصالُ الأذَى والمكروهِ إلى أحدٍ[2] من الجانبين إلّا بإمرارِهما على العدَدِ الكثيرِ من المستورين.

والأمرُ -يشهَدُ الله- عندنا بضدِّ ما ادَّعى، وخِلافِ ما حَكى، إذ كنّا نَنْطَوي على الرأفةِ والرحمةِ، والشفقَةِ والصَّفْحِ والإغضاءِ، والمسامحةِ والإبقاءِ، وقد وهَبْنا ذنْبَ الجاهِلِ منكُم للحَليم، ومَننّا على البَريءِ بتَرْكِ مؤاخَذةِ السَّقيم، وبذلك نرجوا الظهورَ والقَهْر، ونثِقُ من الله بالمعونةِ والنَّصْر. وقد عَلِمتُم ما كان من سُفَهائكم قديماً في أيّام الأمير مُعِزّ الدَّوْلة -رضيَ الله عنهُ- وأنّه لما ظَفِرَ أبْقَى وحَلُم، وصَفح وكَظَم، ومَنَع الأولياءَ الموتورينَ من الوُلوغِ في دمائكم، والانتهاكِ لحريمِكُم. وكذلك نعتقِدُ ونفعَلُ نحن وسائرُ مَن معنا من أصنافِ أوليائنا، وعليهِ وَقَع التعاهُدُ والتَّواصي بحَضْرتِنا، ولَسْنا نقنَعُ لكم مع التوبةِ بالعفوِ والغُفْرانِ، حتى نتَجاوزَهُما إلى الإفضالِ والإنعام.

---

(١) ساقطة في ج.

(٢) ج: الواحد.

وقد سمَحْنا لكم بضرائبِ الغنمِ التي كانت تَصِلُ إلى الأتراكِ دُونَنا، وضَرائبِ ما كان الحَجيجُ يَحمِلونَهُ من بَزٍّ وغيرِه بادئينَ وعائدين، وأخلَصْنا النيَّةَ في تركِ ذلك عليكم، وإزالةِ رَسْمِهِ عنكُم، والإحسانِ إلى الجُمهور، والنظرِ في ظُلامةِ الصَّغير والكبير، ومَدِّ ظلِّ الأمانِ على الجماعةِ حتى لا يُستباحَ لهم حَريمٌ، ولا يَنتقِضُ لهم ذِمامٌ، ولا يُؤاخَذوا بزَلَّةٍ، ولا يُعاقَبوا عن جنايةٍ، ولا يُطالَبوا بثأر، ولا تُطلَقُ عليهم يَدٌ بسوءٍ، والله الشّاهِدُ بذلكَ عَلينا وأنبياؤُه ومَلائكتُه صَلّى الله عليهم وسَلَّم.

وقد فعَلْنا بالأهوازِ أفعالاً ظَهَرَتْ واشتُهِرت من تَسْكينِ النّاس، والرِّفقِ بالعَوامّ، وإزالةِ ما كان الأتراكُ سَببَهُ والعلَّةَ فيه من المُؤَنِ التي أُلْزِموها، ورفَعْنا عن أهلِ عَسْكَرِ مُكرَم جُملةً وافرةً كانت تؤخَذُ منهم من ضَرائبِ الدَّقيق وغيرِهِ من الأقواتِ، وكان ذلك مُنصرِفاً إلى هؤلاء الأتراكِ، ولم نكنْ نتمكَّنُ من إزالتِهِ ولا إزالةِ ما يجري مَجْراهُ من أجلِهم وبسببِهم، ولأنَّ أموالَ المِلكِ[1] لم تكُنْ تسَعُهم ولا تُقنِعُهم.

وكان هذا العَبدُ الخارِجُ عن عِصْمةِ الله وعِصْمةِ مَواليه يَبعَثُهم على المُطالَباتِ، ويُسَهِّلُ عليهم ارتكابَ المنكَراتِ، ويَنقُلُهم عن الآدابِ التي نَشأوا عليها، والمذاهبِ الجميلةِ التي أُخِذوا بها، حتى جَرَّأهُم وأضْراهُم على كُلِّ فعلٍ شَنيع، ومركبٍ فَظيع، وهو الآنَ يوحِشُهم ويُوحِشُكم ليستجيشَ بهم وبكُم، وليجعَلَ نفسَهُ حِزباً منهم ومنكم.

وما نعتَدُّ عليهم ولا عليكُم بذَنْبٍ، ولا نَنْطوي لهم ولا لكُم على ضَبٍّ، ولا نَطلُبُ بالسُّوءِ أحداً سِواهُ، ولا نَنتَحي بجيوشِنا وبأسِنا إلّا إيّاه، والناسُ جميعاً دونَهُ آمنونَ

---

(١) ج: الممالك.

بأمانِ الله وأمانِنا من كلِّ مؤاخَذَةٍ ومُعاقَبة، ومجازاةٍ ومُطالبة. ومَن غَضِبَ لنا ممّا جَرَى على منازِلِنا وأهلِنا وأوليائنا فقد أحسَنَ وأجمَل، ودَلَّ على خُلوصِ دِينه وصحّة يَقينه، ونحنُ من وراءِ الإحسانِ إليه والإحمادِ لهُ. ومَن جَهِلَ وغَلِطَ فقد عَفَوْنا وغَفَرْنا، ومَنَنّا وأبقَيْنا.

وعمّا قليلٍ تتَوافى الجيوشُ من كُلِّ جِهةٍ، ويُحاطُ بهذا المَغْرور، ويُدِيلُ الله منهُ ويُظفِر به، ويقنِّعُه قِناعَ خِزْيِهِ، ويَصرَعُهُ مَصْرَع بَغْيه، ويكونُ البريءُ منهُ مَغتبِطاً بحُسنِ العاقبة، ومُفْضِياً إلى ظِلِّ السَّلامة بإذنِ الله.

فثِقوا بما ذَكرْناهُ، واسكُنوا إلى ما بذَلْناهُ، واعلَموا أنكم آمِنونَ محمولونَ على عادتِنا ومَذهبِنا في إحمادِ المحمودِ ومُجازاتِه، والعَفوِ عن المتنصِّلِ ومُسامحتِه إنْ شاء الله.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة إلى فَخْر الدَّوْلة[1]

كتابي -أطال الله بقاء سَيِّدي الأميرِ- ومَوْلانا أمير المؤمنين على أفضلِ ما عوَّدَهُ وعوَّدَ خَدَمَهُ فيه، نَفاذَ أمْرٍ ونهي، وتمامَ عزٍّ وتمكين، وشُمولَ كِفايةٍ ووقاية، ونَيْلَ إرادةٍ وبُغْية. وأنا كما يُحبُّ سَيِّدي في السَّلامة، وأحوالي جاريةٌ على الاستقامةِ، وبنعمةِ الله في ذلك أُحَدِّثُ، ومنها بالشكرِ أستَزيد.

ووَرَد أبو سَهْل وأبو منصور وأوْصَلا ما استخدَمَهما سَيِّدي في تحمُّلِه تَذْكِرة وكتاباً ورسالةً وخَطّاً، وأعادَ أبو سَهْل ما شافَهَهُ به سَيِّدي وأوضَحَهُ، ولخَّصَ جميعَهُ وشَرحَهُ، وأحَطْتُ عِلماً بِمَعانيه، وابتهَجْتُ بصُنوفِ مَواهب الله -عَزَّ اسمُهُ- فيه، وتَناهَى اغتباطِي بما دَلَّ عليه من صحَّةِ عَهدِهِ وحَصافةِ عَقْدِه، وصادفَ ذلك منّي ثقةً لا يعترِضُها شَكٌّ، ويقيناً لا يَطُورُ به رَيْبٌ، وصار ما نَتعاطى بيننا من القولِ فيه بمنزِلةِ الفَضْل الذي لا يُحتاجُ إليه، وأسألُ الله أنْ يَصِلَ الحَبْل ويجمَعَ الشَّملَ، ويجعَلَ ما أخلَصَهُ بيننا، وهَذَّبهُ من وُدِّنا، مَرعِيًّا بعَينِهِ، ومحروساً في ضمنِه، ومُفْضِياً إلى غايةِ تَمامِه، ونهايةِ انتظامِه، بقُدْرته.

وأمّا الاعتقادُ في الاجتماعِ -يسَّرَ الله أسبابه، وسَهَّل سَبيله، وخارَ فيه لنا وأقرَّ به عُيونَنا- فما زالتْ نيّتي مقرَّرةً عليه منذ وَرَد عليَّ خبَرُ الحادث بالأميرِ السَّعيد، وبرَزْتُ عن مدينةِ السَّلام لذلك لا لغيره، فلمّا صِرْتُ على مَرحلةٍ من جِسْرِ النَّهْروان، أتَتْني الرُّسُلُ بخبرِ سَيرِ سَيِّدي إلى هَمَذان، فأظهَرْتُ حينَئذٍ غيرَ ما كنتُ أضمَرْتُ، وعدَلْتُ إلى

---

(١) ليدن.

وَجهٍ غيرِ الذي يمَّمْتُ، وطابتِ النّفس منّي بذلك لما وقَفْتُ على خَبرِ السَّلامة والاستقامةِ، وجَريِ الأمورِ على الإرادةِ والمحبَّةِ، وما خَلَوْتُ مع ذلك من تَطلُّعٍ إلى أخبارِ سَيِّدي الأمير، وأخبارِ أخِينا أبي دُلَف سَهْلان، إذ كان واحداً مِنّا، وشقيقاً لنا، وخَليقاً بأنْ يَتوفَّرَ اهتمامُنا عليه، وينصرِفَ فِكرُنا إليه، إلى أنْ حضَرَني أبو سَهْل وأبو منصور يُبَشِّراني[1] باستمرارِ تلك الجملةِ المتأدِّيةِ إليَّ من عمومِ الكِفاية، واكتنافِ الوقاية، وجدَّدْتُ لله حمداً دائماً، وشكراً لازماً، على صالِح بلائه، وجَزيلِ عَطائه، واستدَمْتُهُ ذلك استدامةَ المكرِّرِ لسؤالِهِ، المجتهدِ في ابتهالِه، المتَصدِّي لأن تُسمَعَ دَعْوته، وتجابَ طَلِبتُه.

وأمّا ما ذكَرَ سَيِّدي من المسيرِ بعد مُضيِّ عشَرةِ أيّام من بَهْمَن ماه[2]، أو في الوقتِ الذي يَقعُ الاتفاقُ بيني وبينه عليه، لاجتماعِ الذي يَعلَمُ الله شدَّةَ نِزاعي إليه، فأنا -أيّدَ الله سَيِّدي الأميرَ- في وقتي هذا، عامِلٌ على الشُّخوصِ إلى واسِط لأُمورٍ أحتاجُ إلى مُراعَاتِها، ومُهمَّاتٍ يقتضي الحزمُ أنْ أُباشِرَها، وأبو سَهْل يصيرُ إلى حضْرتِهِ -أجَلَّها الله- حسَبَ ما ذكَرَهُ من انتظارِهِ، وعَوْدِهِ ليُورِدَ في ذلك ما يَجِبُ وتكونَ الحرَكتانِ منا جميعاً في الميقاتِ الذي يتَقرَّرُ بيننا إنْ شاء الله.

وأمّا ما عَوَّلَ سَيِّدي على أبي سَهْل في ذكرِه شَفاهاً، فقد ذَكرَهُ ووَصَف ما أنعَم به، من التوثقةِ التّاليةِ للأُولى، وقابَلْتُها بمثلِها عن صَدْرٍ مُنشرِح، ونفسٍ طيِّبة، وثقةٍ مُستحكِمة، وبصيرةٍ ثاقِبة، وأبو سَهْل يُنفِذُ ذلك، ويَكتُبُ أبو[3] منصور بما جَرَى فيه، وجميعُه قاصِرٌ عمّا في نَفْسي، وواقفٌ دونَ الحقِّ عندي. وما ذكَرَ - أيّده الله- شيئاً ممّا يُضمِرُه، ولا لفَظَ بمعتقد له إلّا وفي قلبي شهادةٌ به ومثالٌ له، وستكشِفُ له - أيّده الله-

---

(١) كذا وَرَد بحذف نون الوقاية.

(٢) الشهر الحادي عشر من السنة الشَّمْسية الفارسية. انظر: البيروني، الآثار الباقية، ص٧٠.

(٣) في الأصل: وأبو.

الأيّام منِّي عن أصحِّ مَودَّة، وأخلصَ أُخوَّة، بإذن الله ومشيئته.

وأمّا ما أبانَ - أيّده الله- من المسامحةِ بالمُهْجة، والبَذْلِ للقُدرة في كُلِّ ما عادَ على دولتِنا بعزٍّ ونَصْرٍ، وعلى عَدُوِّنا بكبْتٍ وقَهْر، فبَصيرتي على ذلك مَقصورة، وعَزيمتي فيه مَشحوذة، والسُّكونُ مِنّا إلى نَقاءِ القلبَيْن، وصَفاءِ ذاتِ البيْن، يُغني عن تكلُّفِ الشرح، ويَجِلُّ عن تجشُّمِ الوَصف.

وأمّا ما ذكَرَ سَيِّدي اجتماعَهُ[1] له من الخَيْلِ الكثيفةِ، والجيوشِ المنصورة، وأنّ عُدّة الدَّيْلَم بحضرتهِ تَزيدُ على ألفَيْ رَجُل، سِوى ما يتبَعُهم من أصنافِ الرجالِ، فإنّ الجماعَة لأمري مطيعَة ونحوَهُ سَريعة، والله يُكثِرُ مَدَدهُ، ويُوفِّرُ عَدَدهُ، ويُعلي شأنهُ، ويُقَوِّي يدَهُ، دعوةٌ هي لي، وعائدةٌ بالحظِّ عليَّ، لزَوالِ الفَرْق وارتفاعِ الفصل، ولسَيِّدي هاهُنا - والحمدُ لله- من العساكرِ العَميمة، والعُدَدِ العظيمة ما يَزيدُ على ذلك أضعافاً، وأمرُهُ النّافذُ فيه.

وأمّا الفصْلُ في تنجُّزِ الودِيعَةِ -حرَسَها الله- فقد كنتُ عامِلاً على نقْلِها إذا رسَمَ سَيِّدي ذاك، والآنَ فإذا أنفذَ أبو سَهْل إلى حضرتهِ، وصار - أيّده الله- إلى حيثُ يقصِدُه من أعمالِهِ هذه، كان النقْلُ في ذلك الوقتِ -قرنَهُ الله بالخِيرَةِ ومحمودِ العاقبةِ- ولهُ في الأحوالِ كُلِّها المشيئة.

وأمّا كتابي الذي كان إلى أبي سَهْل، واحتفاظُ سَيِّدي به توثُّقاً منّي في مستودَعِهِ، ولأجمعَ بين قولي وفعلي في متضمَّنه، فأعوذُ بالله من أن أكونَ كتَبْتُ إلّا بما الصحَّةُ معه والوفاء يَتبَعَهُ، وهذه الأعمالُ له ومَن بها طَوعُه، وسائرُ ما تَحويهِ يدي وَقْفٌ على خدمتهِ،

---

(١) كذا.

ومَبذولٌ في محبَّتِه، وَصَل الله الحال بأحسنِها، وصانَها عن شوائبِ هُجَنِها، وجعَلها باقيةً على الأحقاب، ومستمرَّةً في الأعقاب، ومَأموناً عليها الحَدَثان، ومطروفةً عنها عينُ الزّمان بمَنّه.

فأمّا شُكرُ سَيِّدي بَذْلي ما بذَلْتُه من مُعاونتِهِ بالرّجالِ: الدَّيْلَم والأعْرابِ والأكرادِ وغيرِهم، فما كان ممّا أحمَدُ نَفْسي عليه، ولا ألْتمِسُ لها اعْتداداً به، لأنّ نفوسَنا ممتزِجَة، وممالِكَنا مشتركة. ولو أرادَ - أيّده الله- جميعَ مَن تَضُمُّهُ جُمْلتي، وتَحويهِ قُدْرتي، من هذه العَساكرِ التي في يدِي، لأصدَرْتُهُ إليه إصْدارَ مَن أدّى إليه أمانةً ورَدَّ عليه وَديعة، إذ هي لهُ، ونافذٌ فيها حُكمُه.

وأمّا ما ذكَرَهُ من أنّ ارتفاعَ أعمالِهِ ضَيِّقٌ عن نَفقتهِ، وقاصِرٌ عن حاجتهِ، وفِكْرُهُ في قصدِ أذَرْبَيْجان مُستضيفاً لها إلى ما في يدِه من البُلدانِ، فالذي أُراهُ له - أيّده الله- التوقُّفُ عن ذلك في هذا الوقتِ، ولا تخلو أعمالُهُ منهُ، إذ حِفْظُ الأصْلِ أوْلى من طلبِ الفَرْع. ولهذا العَزْمِ وقتٌ آخرُ يكون فيه، ويُبلِغُ الله المأمولَ منه. وهو - أيّده الله- وليُّ ما يَراهُ في تأمُّلِ ما أشَرْتُ به، والعَملِ بحسَبِهِ، فإنّ وَجْهَ الصَّوابِ عندي فيه لائحٌ لا يُخيل، وواضحٌ لا يشتبهُ إنْ شاء الله.

وأمّا ما رَسَمهُ من مُكاتَبةِ أبي الهيجاءِ الرَّواديِّ[1] بـما يُشـجِّعُ قلبَـهُ، ويقـوِّي نفْسَـهُ، ومن مُكاتَبةِ عُدّة الدَّوْلة، فأنا أفعَلُ ذلك وأُقدِّمُهُ وأُؤكدُ مـا يَصـدُرُ عنّـي، وأحْكِمُـهُ إنْ شاء الله.

وأمّا شدَّةُ مراعاتِهِ لما يوجِبُ الاستظهارُ أنْ يُراعِيَهُ، ويَستشِفَّ الحال فيه، فما أشُكُّ في أنّه آخذٌ بالحزمِ والحِيطة، مُجانِبٌ للتفريطِ والإضاعة، وأنا أسألُهُ أنْ يجعَلَني على عِلمِ

---

(١) صاحب أذَرْبَيْجان، وقد تقدّم ذكره في ج١، ص٤٦٣.

بما يَبلُغُهُ لأوقاتِه وأحيانِه، وما جَرَى الأمرُ عليه بعد القبضِ على عليٍّ بنِ العَميد، وما آلتْ إليه حالُهُ، وما جَرَى في أمرِ أبي مَخْلَد، وصَحَّ عنده من خَبَرِه، والمكاتَبة في كلِّ وقتٍ لسَيِّدي مؤيِّد الدَّوْلة بما يؤدِّي إلى خلاصِهِ وصَلاحِه، ويُسهِّلُ سَبيل فِكاكِهِ وسَراحِه، وهو وليُّ ما يَراهُ في ذلك.

وأما أبو دُلَف فأنا أعتقِدُ فيه ما يُعتقَدُ في الأخِ النفيس، وعِلْقِ المضِنَّةِ الخطير، ولا تقصيرَ عندي في إيجابِ حَقِّه ومعرفةِ قَدرِه، والضنِّ به والشُّحِّ عليه. والمكاتَبة بيني وبينه متَّصِلةٌ بما تقتضيه هذه الأسبابُ له، والنيَّةُ منِّي فيها زائدَةٌ متضاعِفة.

وأمّا ما استَصْوبهُ سَيِّدي من فعلي في أمرِ أبي الفَوارس ومُواصَلتِه ومُؤالفَته، فما سلكْتُ في ذلك السَّبيل إلّا التي رآها وأشارَ بها، والله يَخِيرُ فيها ويُحسِنُ عُقباها، والذي رَآهُ وعمِلَ عليه، من إخراجِ أبي الحسن إليه، للزيادةِ في تسكينِه وتأنيسِه، عينُ الصَّواب، تَمَّمَ الله توفيقَهُ وأدامَ تسديدَهُ، ولا أخْلاهُ من الرُّشْدِ في مَسالكِه، والنُّجْحِ في مَقاصِدِه.

وأمّا تعويلُ سَيِّدي على أبي سَهْل في النِّيابةِ عنه، فهو عبدُهُ وخادِمُه، وما وَضَع ثقتَهُ به إلّا في مَوضعِها، ولا أقرَّها منهُ إلّا عند مُستحقِّها، وهو يمتثلُ أمرَهُ ويُراعي ما يرِدُ منهُ، ويقومُ بواجِب الخدمَةِ فيه.

وأمّا تفضُّلُ سَيِّدي باتّباعِ إيثارِي في مَزيدِ أبي منصور من التقديم والاصطفاء، والتقريبِ والاجتباء، فتلكَ عادتُهُ عندي فيما أُحاوِلُه منه، وأرغَبُ فيه إليه، وقد شَكَرْتُ فعلَهُ لا أخْلاني الله منه، ولا سَلَبَني النِّعْمة فيه. وكُتُبُ سَيِّدي تَسُرُّني وتُؤْنسُني وتَحُلُّ محلاًّ وموقعاً لديَّ، وهو وليُّ ما يَراهُ في إمدادي بها، واعتمادِ مَبرَّتي بالانبساطِ فيها إنْ شاء الله.

وكَتَب عن الملِك صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة
إلى صاحب الجيش أبي حَرْب زِيار بن شَهْراكُوَيْه
عندَ يوم الخَلْع على أبي الرَّيّان حَمْدِ بن مُحمّد
في جُمادى الآخرة سنة خمسٍ وسبعين وثلاثمائة[١]

أنتَ يا أخانا وعدَّتَنا ذاكرٌ ما كنتَ غَرَسْتَه لأبي الرَّيّان عندنا من الغَرْس الذي أشكُرُ له الرأيَ الجميل، وأدّاه إلى غاية المحلِّ الجليل، وعالمٌ بما تستحقُّه في نَفْسِه من الأَثَرة والاجتباء، والاصطناع والاصطفاء، بكفايتِه المشهورة، ومُناصحتِه المأثورة، وقَدَمِه في خدمةِ الماضي المتقدِّمة، ومحِلّتِه منه ومنّا بعدَه المتقرِّرة المتمهِّدة.

وكانت كُتُبك وَرَدت متواترةً تُشيرُ فيها بإنْفاذ أمرِه، وإمضاءِ تدبيرِه، ومُظاهرةِ الإنعام عليه، وإبانةِ الرَّفْع منه. ولمّا اجتمعَتْ له هذه الأسباب، وحَسُنت آثارُه على الأيّام، رأيْنا أن يُعرَّفَ الكافةُ قَدْرَه لدينا، ونمكِّنَ في نفوس الخاصّة والعامّة استيلاءه على تدبيرِ أمورِنا؛ فشرَّفْناه بخِلَعٍ تامّة أُفيضَتْ عليه، ودَواة ذهَبٍ جُعلَتْ بين يدَيْه وحُمْلانٍ بمركَب ذهب أُعليَ به كعبه، وآخرَيْن قِيدا[٢] أمامه، إلى غير هذا من ضُروبِ الكرامات التي أُهِّل لها، وزيدَ في محلِّه بها، ونسألُ اللهَ خِيرةً في ذلك، تُجرينا[٣] على أحسنِ الشّاكلة وأفضل العادة، بقُدْرته.

---

(١) باريس، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، وجاءت في سيلي أوك مضطربة العنوان، متداخلة مع رسالة أخرى.

(٢) مكررة في ف.

(٣) ف: بجرسنا (مجوّدة).

طالَعْناك بذلك لتعلمَ أنّ مَشُورتَك[١] – كانت[٢] – في أمرِه صادَفَتْ منّا إمضاءً لها، وإيثاراً للعمل بها، ورعايةً لحقوقِه الدّاعية إليها، وحُرُماتِه الموجبةِ لها، ولتتقدَّم بمثل ما تقدَّمْنا به من مزيدهِ في الإكرام والإعظام مخاطبةً ومُكاتبة، فإنّ فعلَكَ به ذلك واجبٌ من طريق الاقتداءِ بنا، والاتّباع لنا، ومن طريق الإتمامِ لما قدَّمتُ، والتأكيدِ لما أسلَفْتُ، إنْ شاء الله.

---

(١) ف: مشورتنا.

(٢) ساقطة في ف.

وكَتَب عن أبي الرَّيّان حَمْد بن مُحمّد إلى صاحبِ الجيش أبي حَرْب زِيار بن شَهْراكُوَيْه يومَ الثلاثاء لليلتَيْنِ خَلَتا من جُمادى الآخِرة سنةَ خمسٍ وسبعينَ وثلاثمائة[١]

في هذا اليوم - أطال الله بقاء سَيِّدنا صاحبِ الجيش الأجلّ - اجتنَيْتُ ثمرةَ الغَرْس الذي غَرَسَه، وافتَرَعْتُ شَرفَ البناءِ الذي أسَّسَه، ولبِستُ خِلَعَ مَوْلانا الملِك صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة الشّريفة، وحَوَيْتُ كراماتِه الكثيرة، وانصرَفْتُ من دارِه المعمورة على حُمْلانِه إلى مجلس خِدمتِه، وتدبير أمورِ مملكتِه، بعد أنْ خاطَبَني بما قَوَّى نَفْسي، وأنهَضَ مُنّتي، وشرَحَ صدري، وفَسَحَ في أملي، وكان جامعاً في ذلك بين إتمام صَنيعِه عندي، واتّباع رأي سَيِّدنا صاحبِ الجيش فيّ، ورعايةِ ما سَلَفَ من حُرُماتي ومَواتّي.

وأنا أحمَدُ اللهَ على أنْ بلَّغَني من هذه الحال فوقَ ما سَمَتْ به إليه الآمال، وأسألُه أنْ يُوزعَني شُكرَها، ويَهديَني إلى طُرُق استبقائها، ويعصِمَني من التّعرج عنها، ويُنهضَني بالمُقابلة لها، بما يقابِلُ به العبدُ مَوْلاه، والمستكفي مَن استكْفاه، من الإخلاصِ والنّصيحة، والطّاعة الصّحيحة، بقُدْرته.

(١) باريس.

وكَتَب فيمَن رُضي عنه وأُعيد إلى الخِدْمة[١]

وأنت – أيّدك الله – عارِفٌ بما لأبي الرَّيّان حَمْد بن مُحمّد من السّابقةِ في دَوْلتنا، والقَدَم المُتقدِّمة في خِدْمتنا، والمواقف المحمودة في المناصحة لنا قديماً في أيّام الماضي خصَّهُ اللهُ بالرحمة، وحديثاً في أيّامنا وَصَلها اللهُ بالسَّعادة.

ولما أحْسنَ اللهُ التّوفيق بإعادتِهِ إلى تدبير أمُورِنا، وإبعاد مَن كان سَبّب بُعْدَه عنّا، ظهَرَتْ على الأيّام آثارِ خِدْمتِهِ، ووضِحَتْ دلائل[٢] مُناصحته، واقْتضى ذلك أنْ يبلَّغَ من الرُّتبِ العلَيَّة[٣] غايتَها، ومن المنازل السّنيَّةِ نهايتَها.

وأمَرْنا له بخِلَعٍ تامَّةٍ ضاهتْ محلَّهُ، ودواةٍ[٤] مُحلّاةٍ بذهبٍ شُرِّف بها مجلسُه، وحُمْلان بمَرْكب ذهبٍ حُمل عليه، وآخرَيْن قِيدا بين يديه، إلى غير ذلك من ضُروب الكراماتِ التي خُوطِبَ بها، وأُهّل لها، ونَسْألُ اللهُ خيرَةً في ذلك يجرينا فيها على أحْسن ما عوّد وأوْلى، وأفضل ما عرّف وأسدى[٥]، بقُدْرته.

طالَعْناك – أيّدك الله – بذلك لتضربَ فيه بسَهْم مُوالاتِكَ لنا، واخْتِصاصك بأمورِنا، ولتُوَفِّي أبا الرَّيّان الحقّ الذي يجب لمثْلِه ممّن نَفَذَ أمْرُهُ، وعلا قَدْرُهُ، وتعالى قِدْحُهُ، وتوفَّرَ حَظُّه، إنْ شاء الله.

---

(١) باريس، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، سيلي أوك.

(٢) ف، ر، ع، س: آيات.

(٣) ف: العليا.

(٤) ف: أدوات.

(٥) ف، ر، ع، س: أسلف.

وكَتَب عن الحضْرة
عندَ القبضِ على أبي الرَّيّان حَمْد بن مُحمّد
إلى كلِّ واحدٍ من عُمّال السَّواد
في شَوّال سنة خمسٍ وسبعين وثلاثمائة [١]

كان حَمْدُ بنُ مُحمّد، المُكنَّى أبا الرَّيّان، أجْرَى إلى أمورٍ مُنكَرَة، وسَلَك في الخدْمةِ خلافَ سَبيل النّصيحةِ، وكافأَ عفْوَنا عن قديمِ جَرائمِه، واستئنافَنا الاصطناعَ لهُ، بضدِّ الذي يجبُ عليه ويَلزمُه. واقتضَى الرأيُ القبضَ عليه.

ورَأينا أنْ نُطالعَ تدبيرَ أُمورِنا، وأنْ تكونَ المكاتَباتُ صادرةً عن حَضْرتنا، فرأْيُكَ في

---

(١) باريس، ليدن.

حَمْد بن مُحمّد، أصْبهاني. كان خاله أبو القاسم الواذاري أستاذ دار الملك عَضُد الدَّوْلة أبي شجاع. فلما توفي قلَّده عَضُد الدَّوْلة ما كان إليه. فلما أخرج عَضُد الدَّوْلة أبا القاسم المطهَّر بن عبد الله وزيره إلى البطائح لأخذها عند وفاة عمران بن شاهين، استخلف له أبا الرَّيّان بحضرته. ولم يكن له بضاعة في الكتابة، ولا دربة بالأعمال، ولكن دبَّر ذلك بعقله. فلما توفي عَضُد الدَّوْلة، قبض عليه الغد من موته. ثم استدعاه صَمْصام الدَّوْلة أبو كاليجار ابن عضد الدَّوْلة، وقلَّده الوزارة وخلع عليه. فدبَّر الأمور سبعة أشهر وتسعة أيّام. ثم قبض عليه وسلَّمه إلى أبي الفضل المظفَّر بن محمود الحاجب وهو عدوه فقتله. ولما ورد شرف الدَّوْلة أبو الفوارس ابن عَضُد الدَّوْلة، بحث عن أمره فأخرجه بقيوده مدفوناً في دار الحاجب، فسلَّمه إلى أهله. وكانت قتله سنة خمس وسبعين وثلاثمائة؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٤٥٩؛ الصفدي، الوافي، ج١٣، ص٩٩

الاستمرار[١] على ما كنتَ عليه في تدبيرِ أعمالِكَ، والخِدْمةِ المنوطَةِ بك في التصنُّعِ عندنا، وإبانةِ الآثارِ الجميلةِ لنا، ليكونَ ذلك سَبباً إلى زيادتِكَ من الإحسان، ومتابعةِ[٢] كُتبِك بما نُراعي معرِفتَهُ من جِهَتِك، مُوَفَّقاً إنْ شاء الله.

(١) ل: الأمر.

(٢) ب: مراعات.

وكَتَب عن الحضْرة الجليلة
إلى أبي مسلم عامل عُكْبَرا
عند القَبْض على أبي الرَّيّان حَمْد بن مُحمّد[1]

أُنْهيَ إلينا أنّك – أيّدك الله – منقبضٌ عن أمْرك، زائلٌ عن سُنَن انبساطِكَ وانْشراح صَدْرِكَ، من أجل ظنٍّ ظنَنْتَه، وإرجافٍ أُرْجِفَ عندكَ به، من تغيُّر[2] رَأينا فيك، واستحالتنا عن العنايةِ بك، وأنّ ذلك شيءٌ حدث منذ وَقَع القَبضُ على أبي الرَّيّان؛ فأنْكرنا ذلك لارتفاعِ أسبابِهِ، وعَدَمِ عِلَلِه، وأنّه أمرٌ ما اعتلَجَ في صُدورِنا، ولا دار في خَلَدِنا، ولا اعْتقَدْناهُ، ولا هَمَمْنا به، ولا زِلْنا عن العِنايةَ بك، والرّعاية لحرمتِك، والمحافظةِ على خِدْمتكَ للماضي – نَضَّر الله وَجْهه – سالفاً، ولنا بعدَهُ آنفاً.

وأيّةُ علاقةٍ بينك وبين أبي الرَّيّان في الأمْرِ المُنْكَرِ منه، والرَّأْي الدّاعي إلى ما جَرَى عليه ! وقد جعلَك اللهُ بمَعْزِلٍ[3] عن ذلك، وعلى بعد منه، وسَبيلُكَ – أيّدك الله – أنْ تحسِمَ هذا الاستشعار، وتَذُودَ عن نَفْسِكَ سوءَ الأفْكار، فإنّ ذلك يُضْعِفُ قَلْبَك،

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، سيلي أوك.

عُكْبَرا: بليدة من نواحي دجيل، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٤٢

(٢) س، ف: تغيير.

(٣) ف: أعزل.

ويُوهنُ في خِدْمتنا يدك، وتثقُ الثّقة كلَّها بأنكَ حَظيٌّ عندنا، محمودٌ لدينا، وأنّ رَأينا الجميلَ الذي عَهِدته ثابِتٌ لم يزلْ، وصحيحٌ لم يَسْتَحلّ.

وإنْ كان أحَدٌ من النّاس أرْجفَ بذلك ممّن قِبلكَ قوّمْتَه، أو ممّن بحضرتنا ذَكَرْتَ لنا اسمَه؛ لنتقدَّمَ بمعاقبتِه. فرأيك - أيّدك الله - في العملِ على ما ذكرناهُ، واطِّراحُ كلّ ما سِواه، والإجابةُ عن هذا الكِتاب بما تَبْلغُهُ من تسْكينِ نَفْسِك، واستعادَةِ أُنسِكَ، وجَرْيكَ في الانبساط على رَسْمِك، وانْصِراف الحذر المُعْترضِ لك، مُوَفَّقاً إنْ شاء الله.

وكَتَب عن مُحمّد بنِ بَقيّة إلى ابن العَميد[1]

كتابي -أطال الله بقاء سَيِّدي ومَوْلايَ الأُستاذ الجليل ذي الكِفايتَيْن- والسَّلامةُ لمولانا الأمير عِزّ الدَّوْلة شاملة، وموادُّ الصُّنعِ إليه متواصلة، ونِعَمُ الله عندي في ذلك، وفيما يتولّاني به من مَعُونةٍ على طاعتِه، وإنْهاضٍ بفَريضةِ خِدْمته، مُستدامةٌ بالشكر، ومُستزادٌ فيها بالنَّشْر.

ووَصَل كتابُ مَوْلاي مَقروناً بالكتابِ إلى مَوْلانا الأمير عِزّ الدَّوْلة من مَوْلانا الأمير مؤيِّد الدَّوْلة، ومنهُ أيّده الله، وفَهِمتُ الجميعَ، وأكثَرْتُ حمدَ الله عزّ وجلّ على ما تضمَّنَ من تمامِ السَّلامة، وعُمومِ الاستقامة، وسألتُهُ مُخلِصاً في السُّؤال، مجتهِداً في الابتهال، أنْ يَزيدَ في ذلك ويُتمِّمَهُ، ويُمِرَّ أسبابَهُ ويُبرِمَه.

فأمّا ما سَبَق من كتُبِ مَوْلاي فقد كنتُ أجَبْتُ عنه بما نَفذ، وواصَلْتُه - أيّده الله- بعدّةِ مُواصَلاتٍ أرجو أنْ تكونَ وقَعَتْ مَوقعَها، لكنّ كُتبَهُ تأخَّرتْ مُدةً من الزّمان، فأوحَشَتْني وقسَّمْتُ فِكري، وهو حقيقٌ بألّا يَسلبَني عادةَ بِرِّه وتفَضُّلِهِ، وإحسانِه وتَطوُّله، في تواتُرِها وترادُفِها، وتَصْريفي بين الأمرِ والنَّهي فيها، إنْ شاء الله.

وأمّا ما أعْلَمَنيهُ وأذكَرَني به من مُوالاتي الأُستاذ ذا الكِفايتَيْن من لُزومِ ما يَلزَمُنا، ويحِقُّ علينا في حِفظِ الأُلفَةِ على مَوالينا، وحراسةِ ذاتِ بينهم من أنْ يَعلَق بها الدَّنَسُ أو يَشُوبَها الدَّرَنُ، أو يتسلَّطَ على صَفائها ما يُكدِّرُه، وعلى نَقائها ما يغيِّرُه، فأنا بذلك عالم، وله ملازِم، وما تركْتُ أنْ سَعَيْتُ له سعيَ المجتهِدِ في الصَّلاحِ، المستفرِغِ وُسْعَهُ في

(١) ليدن. (إلى ابن العميد) إضافةٌ منّا.

دَواعي الاتّفاق، وأنْ كتَبْتُ في ذلك الكُتُبَ الطِّوال قبْلَ الحادثَةِ وبَعدَها، وكان أقربَها عهداً الكُتُب والرَّسائل، والتَّذْكِرةُ الصّادرةُ إلى الحضْرة بالرَّيّ مع أبي الفَوارس، وأمثالُها الصّادرةُ إلى الحضْرة بشِيراز مع أحدِ الدَّيْلَم الخَواصّ، ولقد أكثَرْتُ وأطنَبْتُ حتى خِفْتُ أنْ أكونَ تجاوَزْتُ حدَّ القَصْد، وخَرجْتُ إلى طَرَف السَّرَف، كُلُّ ذلك سُلوكاً للسّبيلِ التي تحُضُّ مَوْلاي على الذهابِ فيها، وعلماً بأنّه يَستَصْوِبُ رأيي، ويحمَدُ اختياري في الثباتِ عليها، فأنا لا أعدَمُ في إضعافِ ما أقِرُّ له وأعمَلُهُ أخباراً ترِدُ، وآثاراً تظهَرُ، تُضَعضِعُ ما أبْنيهِ وأُوطِّدُه، وتُزَعزِعُ ما أُقرِّرُهُ وأُمهِّدُه.

ومَوْلايَ يعلَمُ أنّ مَوْلانا سَليمُ النيَّة، نقيُّ الطويَّة، أمينُ الغَيب، بعيدٌ من الرَّيْب، ملتزِمُ الحقوقِ من سائرِ جِهاتِها وجميع جَنَباتِها، مُعطِفٌ نفسَهُ قِيادَ المُسمِح فيها، الطِّيبِ النّفس بها، معترِفٌ لمولانا الملِكِ بالفَضْلِ، مُقيمٌ له مقامَ الوالِدِ، نازِلٌ في مخاطبته ومُعاملته وإعظامِه وإكرامِه، بحيثُ لم يدَعْ لأحدٍ من أولياءِ الدَّوْلة مَزيداً عليه، ولا مُجاوِزاً لهُ. وما الْتمَسَ على ذلك جَزاءً ولا شُكوراً، ولاَ ثمناً ولا عِوَضاً، ولا يُريدُ الآن إلّا أنْ يكون مَعْروفاً حَقُّه، مَحميًّا جانبُه، مُستشعَراً فيه الإعفاءُ والتّوفير، وتركُ التحيُّفِ والتشذُّب. وقد أجابَ - أيّده الله- عن الكتُبِ الواردةِ عليه بما مَوْلاي صائرٌ إلى عِلمِه وحِلْمه.

ومَوْلانا الأمير مؤيِّد الدَّوْلة وَثِقَ منهما بالإنصافِ فيه، وليس هو مبتدئاً بشيءٍ يُنكَر، وإنّما هو مُراصِدٌ لأمرٍ يُحذَر، وإذا عَدَل مَوْلاي إلى أنْ يَسألَ مَوْلانا الملِكَ تَرْكَ إيجادِ المرجِفينَ سبيلاً إلى الإرْجاف، وسَدِّ المذاهبِ عليهم في التحدُّثِ بالخلاف، وظهَرَتْ منهُ - أيّده الله- آياتُ الشفَقةِ على أخيهِ وعبدِه، ووَليّهِ وَطْوعِه، وأعطاهُ من نفْسِه ما يُريدُهُ الصغيرُ من كَبيرِه، والمُصَلّي من سابقِه، وعَلِمَ أنّ أطرافَهُ محَميَّة، والأطرافُ فيها مَحْسُومة، فقد تمَّمَ الله عزّ وجلّ فيها بصَلاحٍ وأزال الفَساد.

وأنا أسألُ مَوْلاي أنْ يتتبَّعَ ما مَضَى ويتَدبَّرَهُ، فإنْ وجَدَ فيه خَلَلاً سَدَّهُ، أو وَهْناً جَبَرَهُ، أو مُنكَراً رَسَم في تلافيهِ ما لا يُخالَفُ فيه، فلم أقُلْ ذاك وأنا أتخوَّفُ رُجوعَ شيءٍ علينا مِنهُ، لكنّي بذَلْتُ ما يُوجِبُ الطّاعة بَذْلُه، واشترَطْتُ ما اشتُرِطَ على جهَتِنا مثلُه، ويُراعي - أيّده الله- المُستأنِفَ مُراعاةَ المتوكِّل لكُلِّ جنَبَةٍ ممّا يلي صاحِبَها، المستوفي ناحيةً على مَواريثها، ويكفيني ما هناك لأسكُنَ إليه، ويستكفيني ما ها هنا لأقومَ به.

فإنْ رأى مَوْلاي أنْ يأتيَ في ذلك ما هو أهلُهُ ووليُّه، وحَقيقٌ باعتمادِه وإيثارِه، وإعْلامي ما يكون منهُ، لأحذوَ فيه تمثيلَهُ، وأتبعَ دليلَهُ، فَعَل إنْ شاء الله.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى أبي الحسن عُبيدالله بنِ مُحمّد
بشأن القبض على أبي الفَتْح بن العَميد(١)

كتابُنا -أطال الله بقاءك- عن سَلامةٍ نحمَدُ الله عليها حَمْدَ مَن عَرَف قَدْرَها، وتَعلَّقَ وتمسَّكَ بها، واستحَقَّ تَمامَها ودَوامَها، وطولَ ثَوابِها وبقائها.

ووَصَل كتابُك، وفَهِمناهُ، وازدَدْنا به بصيرةً في سَدادِ رأيك، ورَشادِ أنحائك، واستحقاقِكَ الأَثَرةَ التي بُلِّغتَها، والمنزِلةَ التي أُحلِلْتَ فيها. وقابَلْنا رغبتَكَ في خدمتِنا، واستدعاءك -بالمكاتَبة- إجابتَنا، بالقَبولِ التّامِّ الذي أدّاكَ إلى إيثارِك، وأوْصلَكَ إلى مُرادِك. ووقَفْنا على ما ذكرتَهُ من حالِ عليٍّ بنِ العَميد في سُوءِ سيرته، وخُبْثِ سَريرته،

(١) ليدن. (بشأن .... العَميد) إضافةٌ منّا.

قبض عَضُد الدَّوْلة على أبي الفتح سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م، وهو وزير أبيه، وسمل عينه وقطع أنفه. وكان سبب ذلك أن أبا الفتح لما كان ببغداد مع عَضُد الدَّوْلة، وسار عَضُد الدَّوْلة نحو فارس، تقدم إلى أبي الفتح بتعجيل المسير عن بغداد إلى الرَّيّ، فخالفه وأقام، وأعجبه المقام ببغداد، وشرب مع بَخْتِيار، ومال في هواه، واقتنى ببغداد أملاكاً ودوراً على عزم العود إليها إذا مات رُكْن الدَّوْلة. ثم صار يكاتب بَخْتِيار بأشياء يكرهها عَضُد الدَّوْلة. وكان له نائب يعرضها على بَخْتِيار، فكان ذلك النائب يكاتب بها عَضُد الدَّوْلة ساعة فساعة. فلما ملك عَضُد الدَّوْلة بعد موت أبيه، كتب إلى أخيه فَخْر الدَّوْلة بالري يأمره بالقبض عليه وعلى أهله وأصحابه، ففعل ذلك، وانقلع بيت العميد على يده كما ظنه أبوه الفضل. انظر تفصيلات ذلك عند: ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٤٣. ولعز الدَّوْلة كتاب شفاعة فيه إلى مؤيد الدَّوْلة، سيأتي في رسائل الشفاعات.

واختيارِه لِنفْسِه ما حَلّ به من القَبْضِ عليه، وارتجاعِ النِّعْمة عنه التي لم يُحسِن جِوارَها، ولا اهتدَى لارتباطِها.

وقد كَتَب سَيِّدي الأمير فَخْر الدَّوْلة إلينا في ذلك بما أجَبنا عنه جواباً أنتَ صائرٌ إلى مَعرِفتِه، ونحنُ نحمَدُ الله على أنْ جَعَل وَليَّنا منصوراً، وعدوَّنا مقهوراً، والشاكِرَ لنِعمتِنا مُتَرقّياً إلى مزيد، والغامِطَ لها مُفضِياً إلى سقوط. ونسألُه إجراءنا في ذلك على أفضَلِ ما عَوَّد وأوْلى، وأجْزَلِ ما مَنَح وأعطى، بقُدْرته.

فرأْيُكَ في الدّوامِ على ما افتتحتَهُ من المكاتَبة، والاستمرار على ما نهجتَهُ من محمودِ الخدْمةِ، مُوَفَّقاً إنْ شاء الله.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة إلى فَخْر الدَّوْلة[1]

كتابي، والسَّلامةُ لمولانا أمير المؤمنين شاملَة، والنِّعمُ لديهِ متكاملَة، وأحوالُ حضْرتِهِ الجليلةِ وأحوالي فيها جارِيةٌ على الاستقامة، ومستمرّةٌ على الإرادة، والحمدُ لله حمداً يقضي حقَّهُ، ويقتضي مزيدَه.

ووَصَل كتابُ سَيِّدي، المؤرَّخُ باثنتَيْ عشْرةَ ليلَةً خَلَتْ من شهرِنا، وفهِمتُه.

فأمّا ما دَلَّ عليه من أخبارِ سلامتِه - وَصَل الله منها مَزيدَهُ وأحسَنَ بها إمتاعَه وتخويلَه -فقد سَكَنْتُ إليه وأضفْتُهُ إلى نَظائرِهِ من نِعم الله عزّ وجلّ عنده، الواجب شُكرُها عليَّ، وسألتُه من الإنافةِ والزيادةِ ما هو - جلّ ذكْرُهُ - حَقيقٌ فيه بالإجابة، والإجراءِ على أجمَلِ العادةِ، بقُدْرته.

فأمّا ما وَرَد به على سَيِّدي الأمير كتابُ مؤيِّد الدَّوْلة -أيّدهما الله - من قَبْضِهِ على عليِّ بنِ محُمّد بنِ العَميد[2] عندما اطّلعَ عليه من سُوءِ نيَّتهِ، وخُبثِ طَوِيَّتهِ، وخُروجِهِ عن مذاهبِ الخَدَم، وعُدولهِ عن مَسالكِ الحشَمِ، فقد وفَّقَ الله -سُبحانه - في ذلك رأيهُ، وأرشدَ سعيَهُ، وهَداهُ إلى الصَّلاحِ، ووَقَف به على السَّدادِ والصَّواب.

وكنتُ أُحِبُّ أنْ يكون سَيِّدي قد ذكَرَ لي: هَل يَجري ذلك عن رأي مَوْلانا المَلِكِ أم بغيرِ رأيه؟ وأنا أسألهُ التقدُّمَ بالإجابةِ عن الفَصْلِ، وإعْلامي ما تستقرُّ عليه الأمورُ

---

(١) ليدن. (العنوان فيها: وعنه إلى فَخْر الدَّوْلة).

(٢) تقدّم التعليق على هذا الموضوع في الرسالة السابقة.

بالرَّيِّ بعد الذي جَرَى، وسَيِّدي وَلِيُّ ما يَراهُ في ذلك، وفي إيناسي بذكْرِ أخبارِه وأحوالِهِ، والانبساطِ إليَّ في عَوارضهِ ومُهمّاتِه، وحِراستي من أنْ يتأخَّرَ عنّي أو تَتراخَى دُوني أخبارُه، إذ كان انقطاعُ المادّةِ منها يُهِمُّني ويُشغلُ قلبي، واتّصالها ودُرورُها يُبهِجُني ويُغبِطُني إنْ شاء الله.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى رُكْن الدَّوْلة[١]

كتابي -أطال الله بقاء مَوْلانا- عن سَلامةٍ شاملة، وأحوالٍ مستقيمة، قد أجرى الله فيها على ما ظاهَرَ قديماً من إحسانِه، وأستعينُ سالفاً من إنعامِه، فلهُ الحَمْد ربِّ العالمين.

وقد أجَبْتُ مَوْلانا عن كتابِهِ الوارِدِ مع الرّكابيَّيْنِ الواردَيْنِ إلى حَضرتِهِ الجليلةِ بما صَدَر عن المَوْصِل، وشَرحْتُ الحال في عَودي إليها من الحديثَة[٢]، وإجفالِ أبي تَغْلِب وأصحابِهِ عنها، ووُقوع الأولياءِ المرتَّبينَ في المقدَّمةِ على عَسكرِه، وأسْرِهمُ ابْنَيْ عمٍّ لهُ، وقتْلِهم جَماعةً كانوا معهما، وأن السَّبَب في هذه العَودةِ بعد استجابتي له إلى ما سأل، وقَبولي منهُ ما ضمِنَ وبذل، جنايةُ أصحابِهِ عليه بتَسَرُّعِهم إلى المَوْصِل بعد رَحيلي عنها، وتلفُّفِهم مع غُواةِ عَوامِّها على التعرُّضِ لنفَرٍ من أتباعِ العسكرِ عوَّلوا على الصُّلحِ الذي أمضَيْناه، والذِّمامِ الذي أبرَمْناهُ، فتلوَّموا للتزوُّدِ، وتأخَّروا على التسوُّق.

وإنّ السّياسَةَ أوْجبَتِ الامتعاضَ ممّا جَرَى، واستعمالَ ما يَحْرُسُ الهيْبَةَ في الصُّدور، ومن وَهْنٍ يعترِضُها أو غَضٍّ يَقدَحُ فيها. ولمّا وَصَلتُ إليها -أيّدَ الله مَوْلانا- وجَدْتُ الرّعيّة مستوحِشينَ فآنَسْتُهم، وخائفينَ فأمَّنتُهم، وصفَحْتُ لأماثِلِهم عن كلِّ جانٍ منهم جَنا، وسَفيهٍ هَفا، ومنَعْتُ الأولياءَ من أنْ يَشْفُوا منهم صَدْراً، أو يَطلُبوا عندهم وِتْراً، أو أنْ يُنزِلوا داراً، أو يُسيؤوا ملَكةً وجِواراً، فسَمِعوا وأطاعوا، وكظموا وحَلُموا، وكثُرَ

---

(١) ليدن.

(٢) بليدة في الجانب الشرقي من دجلة، قرب الزاب الأعلى. وهي حَديثة الموصل، لا حَديثة الأنبار. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٣٠.

من هذه الرّعيّة الدّعاء، واتّصل الثناءُ، لأنهم ظَفِروا بالعَفْوِ بعد أنْ أُوحِشوا من السَّطْوِ، ووَصَلوا إلى الإبقاءِ بعد أنْ يَئسُوا من الإغضاء، ولم أَلبَثْ بعد أنْ تتابَعَتْ رسائلُ أبي تَغْلِب وكُتبه من المنزلِ المعروف.........[1] بين المَوْصِل وبين سِنجار يَسألُني فيها إقالةَ العَثْرةِ واغتفارَ الزلَّة، ويَبذُلُ تسليمَ الجُناةِ من أصحابِهِ إلى مَن أرسُمُه ليُمضِيَ عليهم حُكمي ويُنفِذَ فيهم أمري، ورَغِبَ إليَّ في إمرارِ العَقدِ وحراسةِ العَهدِ، وألّا أجعَلَ غَلطَ هؤلاء الجُهَّالِ حجَّةً وإنْ وَضَحَتْ في حلِّ نظامِها أوِ التوقُّفِ عن اتّمامِها، إذ ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2] ولا تجِبُ العقوبةُ على من اتّقاها بالإنكار، واستَدفَعها بالاعتذار.

فرجَعْتُ إلى ما أدَّبني به مَوْلانا من استعمالِ الإباءِ مع المخاشَنة، وتجنُّبِه عند المُلاينة، وإلى ما رآهُ - أيّده الله- لي وتابَعَ الكُتُبَ في معناهُ إليَّ من استيفاءِ الصَّنيعة عند أبي تَغْلِب، وَرَد أعمالِهِ إليه، والاعتمادِ فيها عليه، ورَفعِ اليَدِ عنهُ، وإمرارِ العَقدِ لَهُ، وتوفيرِهِ على ما هو بإزائهِ من حفظِ الثغورِ، ومجاهَدةِ الرُّوم، وإلّا أُلزِمَهُ إلْزاماً يبهُره، ولا أحمِّلُه ثِقلاً يبهَضُه. وأجَبْتُهُ إلى سُؤالِهِ، وعَفَوْتُ له عن جُهّالِه، وجَعَلْتُ سائرَ ما بيني وبينه من الوُصلةِ التي أعلَقَتْهُ بسَببي، والتّقريراتِ الواقعة مِنّي، ماضياً لا يفسَخُهُ فاسِخ، ولا ينسَخُهُ ناسِخ، واستنبَتُّ عليه بنَواحي أخيه وأخرَجتُها عن الضَّمان، وأصلَحْتُ ظاهرَ ما بينهما حتى عادَ كلٌّ منهُما إلى عَملِه، ووَصَل إلى أملِه.

وسَألني بعد ذلك أبو تَغْلِب الرغبةَ إلى مَوْلانا أمير المؤمنين في تشريفِهِ بلقَبٍ يَبعُد به صِيتُه وذِكْرُه[3]، ويتفخَّمُ معه شأنه وأمرُه، ويُكسِبُه جَمالاً عند مُجاوِريه من أُمَمِ الكُفرِ

---

(١) تضبيب بمقدار كلمة.

(٢) سورة فاطر، من الآية ١٨.

(٣) في سنة ٣٦٣هـ سأل أبو تغلب الحمداني عِزّ الدَّوْلة لقباً من الخليفة المطيع، فلُقِّب (عُدّة الدَّوْلة). مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٣٦٥.

التي هو نائبٌ عَنّا في مُجاهَدتِها، وخليفَةٌ لنا في مقارَعتِها، وحقيقٌ منّا بإعطائِهِ من الإكرام كلَّ غايةٍ تُظهِرُهُ عليهِم، وتوصِلُ الغَيْظَ من جهتِهِ إليهم، فوعَدْتُهُ بالتكفُّلِ بهذه الحال، حتى أبلِّغَهُ منها سُؤلَه، وأُنيلَهُ مَأمُولَهُ بإذنِ الله.

وكان رَحيلي -أيّدَ الله مَوْلانا- عن المَوْصِل في يومِ الاثنينِ الذي يومُنا هذا رابعُه، وقد سلَّمتُها إلى أبي تَغْلِب تسليمَ المعيدِ لها إليه، المعوِّلِ فيها عليه، المتّبعِ في ذلك رأيَ مَوْلانا لا زال اليُمنُ به مَقروناً، والنُّجحُ له مَضموناً، فالحمدُ لله على ضُروبِ نِعَمِهِ السّابغةِ علينا، وصُنوفِ مِنَحِهِ المُتَوافيةِ إلينا، وتَصْييرِهِ الغَلبةَ في محاربةِ المحاربِ لنا، والخِيَرَةَ في مُسالمةِ المسالمِ معنا، وهو المرجُوُّ لإتمامِ ما أولَى، وحراسةِ ما أعطى، وإجراءِ مَوْلانا وإجرائي في ظلِّه الظَّليل، وكنَفِهِ الحَصين، على أحسَنِ عادةٍ عوَّدَناها، وشاكِلةٍ أسْلَفناها، وإلهامِنا الشُّكرَ ناطقةً به ألْسنتُنا، خالصةً فيه ضَمائرُنا، بقُدْرته.

طالَعْتُ مَوْلانا بذلك تالياً لما كنتُ قدَّمتُهُ من الشَّرح السّابقِ له، ليسكُنَ إلى علمِ ما استقرَّتِ الحال عليه، وانتهَى أمرُنا في الحرَكةِ المباركةِ إليه، وإذا أتمَّ الله نِعمَهُ بوُصولي إلى دارِ مَوْلانا التي أسكُنُها بمدينةِ السَّلام، واظَبْتُ على مُكاتبتِهِ في كلِّ نَوْبةٍ، وأدَّيتُ في ذلك فريضةَ الخِدْمةِ إنْ شاء الله.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة إلى أخيهِ عُمْدة الدَّوْلة[1]

سَيِّدي عُمْدة الدَّوْلة -أطال الله بقاءه- يَعرِفُ مَوضِعَ القاضي من الفَضْل في نفْسِهِ، ومن التقدُّمِ عندي، وأنّه يتَجاوزُ كلَّ أحدٍ قُرْبةً مِنّي، ولُطفَ محَلَّةٍ لدَيَّ. وقد أذِنْتُ له في المصير إلى مدينة السَّلام لعظيمِ ما أرجوهُ من النفْعِ بكونهِ فيها، ومَقامِه بها، وليكونَ أُذُناً لي سَميعةً، وعَيْناً بصيرة، وواسِطةً لكِلِّ صغيرٍ من الأمورِ وكبير. فإنْ رأى سَيِّدي أنْ يَبْسُطَهُ نهايةَ البَسْطِ، ويَخلِطَهُ بنَفْسِهِ غايةَ الخَلْطِ، ويُجريَهُ المَجْرى الذي يَستحِقُّه بهذه المنزِلةِ العالية، والقَدمِ المتقدِّمَة، والأسبابِ المتأكِّدَة، حتى يكون أوَّلَ داخلٍ إليه، وآخِرَ خارجٍ من بين يدَيْه، ووَسيطاً بينه وبينَ الخواصِّ والعَوامِّ، وإشاعةَ ذلك وإذاعتَهُ ليظهَر ويشتهِر، ويَشيعَ وينتشِر، فَعَل إنْ شاء الله.

(١) ليدن.
عُمْدة الدَّوْلة هو أبو إسحاق إبراهيم ابن مُعِزّ الدَّوْلة.

وكَتَب عن مُحمّد بنِ بَقيّة
إلى الشريفِ أبي الحسن مُحمّد بنِ عُمَر[1]

كتابي يا سَيِّدي ومَوْلاي، وكبيري وجَليلي، ومَن أنا عبدُهُ أيها الشريف، والحالُ بيني وبينك، بما وكَّدَهُ الله من قَديمها وحَديثها، ومَكنَّهُ من أسبابِها وأواخيها، يقتضي أنْ تُشرِكَني في كلِّ ما يَنُوبُني ويَهمُّني، وألّا تخلوَ فيه من مُعاونةٍ ومُعاضَدةٍ لي.

وقد وَجَدْتُ أمراً ذكَرْتُه لأبي الغَنائم أخيكَ ليكتُبَ به، وحاجتي معه ماسَّةٌ إلى اجتذابِ المالِ من كُلِّ جهةٍ -وما أزيدُكَ عِلماً- أُعانيهِ من الإضاقةِ إذا انضافَ إليها تضاعُفُ المُؤَن، لم أجِدْ بُدًّا من تَحْميلِك بعض الثِّقَلِ، إذ كنتَ الشَّريكَ المُقارض، والخليطَ المُساهِم، والحقيقَ بالمُسارعةِ إلى ما أنهضَني، والمساعَدةِ على ما يُخفِّفُ عَنِّي.

وأنا أسألُكَ أنْ تَدخُلَ كلَّ مَدخَلٍ في حَمْلِ مائتَيْ ألفِ دِرْهَمٍ إليَّ عاجلةً لا تتأخَّرْ، فقد شَخَص مَوْلانا الأمير إلى النَّهْرَوان، وهو منتظِرٌ لَحاقي به، وإنّما يَلومُني على وُصولِ هذا المالِ إليَّ، إذ ليس تُمكِنِّي الحَركةُ إلّا به، ولا ينتظمُ لنا الكَثيرُ من مُهمّاتِنا إلّا بعد حُصوله.

ولستُ أُخالفُكَ في الردِّ والتّعويضِ من أيّ جهةٍ اخترتَها وآثرْتَها، وإنْ رَغِبْتَ في أنْ تبتاعَ شيئاً من الضِّياعَ والأملاكِ بإزائه أشهدُ لك به، وإنْ رغِبتَ في ضِياعِ ابن

---

(١) ليدن.

السَّرّاج بنهرِ الملكِ كانت من جُملتهِ ولم يُخالَفْ فيما يُحبّه وَيُؤْثرُهُ من جميعِ ذلكَ، على أنْ لا يتأخَّرَ المال.

فإنْ رأيتَ أنْ تتأمَّلَ ما كتَبْتُ به، وما يُضمِّنُهُ أبو الغَنائم كتابَهُ ممّا سِمعَهُ منِّي، وتحكيه عنِّي، وتأتيَ في الإسْعافِ بهذه الجُملةِ ما أنتَ حَقيْقٌ به، ووَليٌّ بتركِ التقصيرِ فيه، والإجابةِ بها أشكرُه وأعتَدُّه، وتَعْريفي أخبارَك أطابَها الله، في النّفس وَقاها الله، والجسمِ عافاهُ الله، وسائرَ ما أُراعيه من جهتِك، وأتطلَّعُهُ من أمورِك، فعَلْتَ إنْ شاء الله.

وكَتَب[١]

وأدَّى إليَّ أبو العــلاءِ ما كُوتِبَ به وأُمِرَ بتأديتـه، وفَهِمتُ الجميعَ، وحَمِدْتُ الله كثيراً، وشكرْتُه طويلاً على ما دَلَّ عليه من سَلامتِه وعافيته، وانتظامِ أحوالِ حَضْرتِه ومملكتِه، ومن إيثارِهِ ما جَمَع الشملَ، ووَصَل الحَبْل، ووَكَّدَ الأُلفةَ وحَسَم الفُرْقَة، وأخذ وأيّد مَن بقى فيه بالرّأي الرّاجِح، وأدبِ السَّلفَ الصّالح - رحِمَ الله منهم مَن مَضَى وأيّد مَن بقِي - وحَفِظَ هذه الحوْزة بدَوامِ عزِّ مَوْلانا وطُولِ بقائه، وتضـاعُفِ رِفْعتِه وعَلائه، وسَألته - جلَّ من مسؤولٍ - أنْ يَـحرُسَهُ والنِّعْمة فيه وعندَهُ من غِيَرِ الدّهور، ومن كلِّ سوءٍ ومحذور، بمَنِّه.

والله العالِمُ - أيّد الله مَوْلانا - أنّ ضميري في الأمورِ كُلِّها مُنْطَوٍ على السَّلامة، وعقد نيّتي طلبُ الاستقامة، وأنني ما أُوْثِرُ شيئاً على ما حَمَى حَرِيمَنا، وصان دَولتَنا، وطَرَف أعيُنَ الحسّادِ عنها، وأرغَمَ أنوفَهم دُونها، ولا أرجعُ إلى نَفْسي في شيءٍ ممّا أومِيَ إليه بمَلامة، ولا أجِدُها مالَتْ إلّا إلى ما عادَ بالمصلحةِ العامّة.

وقد شَكَرْتُ ما بذَلَهُ لي من مُعاضَدتهِ، ووَقَفهُ عليَّ من مُرافدته، وتلقَّيْتُ ذاك بما يـحُقُّ عليَّ من شُكرِ نِعمته، والإغراقِ في طاعته، والإخلاصِ في مُوالاته، وأجَبْتُ أبا العلاءِ عن جميع ما أدّاهُ وتضمَّنَه الكتابُ بما هو يكتُبُ به مشروحاً، ويستوفيه مُلخَّصاً، وأكتفي به من مَقالٍ يكثُرُ، وإطالةٍ تُضجِر.

---

(١) ليدن.

فإنْ رأى مَوْلانا أنْ يُنعمَ بالإصغاءِ إلى ما أشرَحُهُ كِتاباً، ويَـخدُمُنا فيه مُناباً، والثقةُ منّي بأنّني -على تصَرُّفِ الأحوالِ- عبدُه المعتمِدُ عليه، وولدُهُ المنتسِبُ إليه؛ ويأمُرَ بإجابتي بما أحتَذيه، وأمتثِلُ أمرَهُ فيه، وأتصرَّفُ من عَوارض خِدْمتِه عليه، وأسكُنُ من خَبرِ سَلامتِهِ إليه، فَعَل إنْ شاء الله.

منشور أمان
عن صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة
لجماعةٍ من عرب الـمُنْـتَفق[١]

هذا كتاب منشور من صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة أبي كاليجار
ابن عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة أبي شُجاع بن رُكْن الدَّوْلة أبي عليّ
مَوْلى أمير المؤمنين
لجماعةٍ من العرب من المُنْـتَفق الرّاغبين في الطّاعة والدّاخلين فيها مع أولياء الدَّوْلة

إنّ مُحمّد بن المَسَيَّب سأل في أمركم، وذكر رغبتكم في الخدمة، والانحياز إلى الجملة، وألْتمس أمانكم على نُفوسكم وأموالكم، وأهلكم وعَشيرتكم، على أنْ تلزموا الاستقامة، وتسلكوا سَبيل السَّلامة، ولا تُخيفوا سبيلاً، ولا تسعوا في الأرض فَساداً، ولا تخالفوا للسُّلْطان ووُلاة أعماله أمراً، ولا تؤوا له عدوّاً، ولا تعادوا له وَليّاً، ولا تُجيروا أحداً خرج عن طاعته، ولا تذمّوا لأحدٍ طلبه، ولا تخونوه في سرٍّ ولا جَهْر، ولا

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص٣٣٦.
مَلَك صَمْصام الدَّوْلة سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٣م، وسمله أخوه شرف الدَّوْلة سنة ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م، ثم قتله ابنا عِزّ الدَّوْلة سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٨٨، ص٤٢٦، ص٥٠٦.
المُنْتَفق وعُبادة وخفاجة بطون بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وكانت مساكن بني المُنْتَفق البصرة وجهاتها إلى الكوفة. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٦٩؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص١٢٠، ص١٣١.

قولٍ ولا عمل؛ فرأينا قبولَ ذلك منكم، وإجابة مُحمّد إلى ما رغب فيه عنكم، وتضمّنته العُهدة فيما عقد من هذا الأمان لكم على شرائطه المأخوذة عليكم في الكفّ عن الرّعيّة والسّابلة وأهل السَّواد والحاضرة، وترك التعرّض للمال والدّم، أو الانتهاك لذمّةٍ أو محرم[1]، أو الارتكاب لمنكرٍ أو مأثم.

فكونوا على هذه الحدود قائمين، وللصحّة والاستقامة معتقدين، ولأحداثكم ضابطين، وعلى أيدي سُفهائكم آخذين، وأنتم مع ذلك آمنونَ بأمان الله جلّ جلاله، وأمان رسوله، وأمان مَوْلانا أمير المؤمنين، وأماننا على نُفوسكم وأموالكم وأحوالكم وكلّ داخلٍ في هذا الأمان وشرائطه معكم من أهلكم وعَشيرتكم وأتباعكم ومَن ضمّته حوزتكم.

ومَن قرأ هذا الكتاب من عُمّال الخراج والمعاون والمتصرّفين في الحمّارة والسَّيّارة وغيرهم من جميع الأسباب، فليعملْ بمتضمّنه، وليحمل جماعة هؤلاء القوم على موجبه إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) في الأصل: مجرم.

نُسْخة أمان
عن صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة
لبعض مَن كان متخوّفاً منه(١)

هذا كتابٌ من صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة أبي كاليجار
ابن عَضُد الدَّوْلة وتاجِ المِلّة أبي شُجاع بن رُكْن الدَّوْلة أبي عليٍّ
مَوْلى أمير المؤمنين
لفُلانٍ بن فلان

إنّك ذكرتَ رغبتَكَ في الانحيازِ إلى جُمْلَتِنا، والمصيرِ إلى حَضْرتِنا، والسُّكونِ في ظلِّنا، والسَّكْنى في كنفنا، والتمسْتَ التوثقة مِنّا بما تطيب به نَفْسُك، ويطمئنُّ إليه قلبُك؛ فتقبّلنا ذلك منك، وأوْجبنا به الحقَّ والذِّمام لك، وأمّنّاك بأمانِ الله جلَّ ثناؤه وأمانِ رَسُولِه مُحمّد صلّى الله عليه وسلَّم، وأمانِ أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – وأمانِنا على نَفْسِك وجَوارحك، وشعْرِك وبشرِك، وأهْلِكَ وولدِك، ومالِكَ وذاتِ(٢) يدِك، أماناً صَحيحاً ماضياً نافِذاً، واجباً لازماً، ولك علينا بالوفاء به إذ صرتَ إلينا عَهْد الله وميثاقِه، من غيرِ نقضٍ له، ولا فَسْخٍ لشيءٍ منه، ولا تأوّل عليك فيه على كُلِّ وَجْهٍ وسَبَبٍ.

---

(١) باريس، طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، سيلي أوك. والعنوان فيها كلها: (نُسْخة أمان)، وأورد نصّ هذا الأمان القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص٣٣٥، والإضافات منه.

(٢) ف، ر، ع، س: ذوات.

ثم إنّا نتناولك إذا حضرتَ بالإحْسانِ والإجْمال، والاصْطناع والإفْضال، موفينَ بك على أمَلِك، ومُتجاوزين حدَّ ظنِّك وتقديرك، فاسكنْ إلى ذلك، وثقْ به، وتيقّنْ أنك محمولٌ عليه، ومُفْضٍ إليه.

ومَن قرأ كتابنا هذا من عُمّال الخراجِ والمعاونِ، وسائر طبقات الأولياء، والمتصرّفين في جميعِ أعْمالِنا، فَلْيعملْ بما فيه، وليحذرْ[1] من تجاوُزه أو تعدّيه إنْ شاء الله.

---

(١) س: وليتخذه.

نُسْخة أمان[1]

قد أمّنّا فلانَ بنَ فلان بأمانِ الله وأمانِ رَسُولِهِ صَلّى الله عليه وآلِهِ، وأمانِ مَوْلانا أمير المؤمنين، وأمانِنا، على نفسِه وأهلِهِ وولَدِهِ وحُرَمِهِ، ومَن يَضُمُّه كنَفُهُ من الأسبابِ والأصحابِ والكُتّاب، والوُكلاءِ والأتْباعِ، المتحقّقينَ به، والمتصرّفين معه، فيما يخُصُّه على نفْسِهِ ونُفوسِهم، وجَوارِحِه وجَوارِحِهم، وأموالِه وأموالِهم، وضِياعِه وضِياعِهم، ودُورِه ودُورِهم، وسائرِ أملاكِهِ وأملاكِهم، ووُقوفِهِ ووُقوفِهم، وصَدَقاتِهِ، وصَدَقاتهم، إلى جميع ذلك، بمدينة السَّلام وسَوادِها، وغيرِها من سائرِ الأمصارِ والأعمالِ، أماناً صَحيحاً، ماضياً جائزاً، يَلزَمُنا الوفاءُ به، والصَّبْر على شَرائطِه، والنزولُ على حُكمِه، من غيرِ تأوُّلٍ فيه، ولا احتيالٍ في النقضِ له، ولا استعمالِ مُواربةٍ ولا مخاتلةٍ في شيءٍ منه.

وأعطَيْناهُ بذلك عهدَ الله وميثاقَه، وصَفقةَ أيْمانِنا، وخالصَ نيّاتِنا، وصَفَحْنا له ولجميعِ مَن تقدَّمَ ذِكْرُه، عن كُلِّ جنايةٍ وجَريرة، وصَغيرةٍ أو كَبيرةٍ، ممّا تقدَّمَ وممّا تأخَّر، إلى غايةِ تاريخ هذا الأمان، وجَعَلْناهُ في حِلٍّ وسَعَةٍ من كُلِّ مالٍ أنفقَهُ واستهلكَه، ومن كلِّ جُرمٍ اجترَمَهُ واقترَفَه، ومن كلِّ ما كنّا نَنقُمُه عليه، ونَطلبُه به، وأوْجَبْنا له -مع حُصولِ هذا العَهْد والذِّمامِ بيننا وبينه- ما نُوجِبُه لمن أظلَّهُ كنَفُنا وشَمِلتْه جُملتُنا، من الإقطاعِ الكافي والمادّةِ الدّارّة، وأمضَيْنا جميعَ ذلك له على القُربِ والبُعد، ومع حُضورِه إنْ حضَر، وغَيْبتِه إنْ غاب، على أنْ يكون مالكاً لاختيارِه في ذلك، لا يُطالَبُ فيه بشيءٍ يَكرَهُه، ولا يُكرَهُ على ما يُؤْثره.

---

(١) ليدن.

ونحن نقول: والله الذي لا إلهَ إلّا هُو، الطّالِب الغالِب، الضّارّ النّافِع، المُدرِك المُهلِك، العالم بخائنةِ الأعيُنِ وما تُخفي الصّدور، القائم على كُلِّ نفسٍ بما كسبَتْ، والمُجازي لها عمّا احتقبَتْ، ووحقِّ مُحمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم[1]، وحقِّ أمير المؤمنين عليّ بنِ أبي طالبٍ صَلَواتُ الله عليه، ووحقِّ القرآن العظيم ومَن أنزلَه وأُنزِلَ عليه، ووحقّ كلِّ حقّ أعظَمَهُ الله، وكُلِّ قَسَمٍ أقسَمَ به، وكلِّ عَهدٍ وميثاقٍ اتّخَذهُ على مَلائكتِه ورُسُلِه لَنَفِيَنَّ لفُلانِ بنِ فلان، ولجميعِ مَن ذُكِرَ في هذا الكتابِ من أهلِه وأسبابِه، بما تضمَّنَهُ هذا الأمانُ، ولا نقَضْناهُ ولا فسَخْناهُ، ولا تأوّلْناه فيه تأويلاً يُبطِلُه أو يُبطِلُ شيئاً منهُ على كُلِّ وَجْهٍ وسَبَبٍ، فإنْ فعَلْنا أو خالَفْنا مُوجباتِ هذه العقودِ وهذه الشرائطِ، المذكورةِ في هذا الكتاب، أو شيئاً منها، فكلُّ مالٍ لنا صَدقَةٌ مُحَرَّمةٌ خارجَةٌ عن مِلْكِنا، وكُلُّ مملوكٍ ومملوكةٍ لنا أحرارٌ لوَجْهِ الله، وكُلُّ فَرسٍ لنا حَبِيسٌ في سَبيل الله، وبرِئْنا من الله -عزّ وجلّ- ومـن رسُولِه -صلّى الله عليه وسلّم- ومن دينِ الإسلامِ الذي نَعتقِدُه، وعلينا ثلاثونَ حَجَّةً إلى بيتِهِ الحَرامِ العتيقِ الذي بمَكَّة، لا يَقبَلُ الله منّا إلّا الوفاءَ بذلك كلِّه.

وهذه اليمينُ يمينُنا، وقد سُمِعَ لفظُنا بها، وشَهِدَ الله على إخلاصِنا فيها، والنيَّةُ في جميعِها كنيَّةِ فلانِ بنِ فلان، وذلك في يومِ كذا من شهرِ كذا من سنةٍ كذا.

---

(١) كعادة النُّسّاخ قديماً في الاختصار، سقطت (وسَلّم) هنا وبعد سبعة أسطر.

نُسْخة أمان[١]

كتابُنا عن سَلامةٍ نحمدُ الله عليها، ونستديمُه إيّاها، ونسألُه توفير حقّك منها، وتوفيقنا وإيّاك لشُكرها. ووَصَل كتابك، وأدّى فلان وفلان ما تحمّلاه، وفهمنا الجميع. ولسنا نحتاج إلى الإطالة في ذكر ما نحن عليه من الإيثار لك، وجميل الرّأي فيك، والانعطاف إلى ما توجبه أسبابُك وأواخيك؛ لأن القول في ذلك قد تقدّم وتكرّر، واستغنيتَ عن مزيدٍ عليه، وإعادةٍ له، ووجدتَ في قلبك شاهداً بصحّته، ودليلاً على خُلوصه، وما يندفع ولا تدفع أن كلّ .... [٢] في علم الله كائنٌ لا شكّ فيه، ونازلٌ لا مردّ له، ولا نزيدك علماً بمذهبنا في العَفْو عمّن لا يستحقّه، فَضْلاً عنك، ولك المزيّة عندنا، والتقدُّم في نُفوسنا.

وأولى ما رجعنا إليه، وعملنا عليه أنْ نتذكّر القديم، ونَتناسى الحادث، وأنْ نعود إلى ذلك الرّأي الجميل فيك، وتعود إلى تلك الخدمة المعهودة منك.

وقد سمع أميرك وأبو علي من سَيِّدي الملك الجليل ما قنعا به، وزاد على القناعة. ونحن نقول قولاً يعلم الله صدقه وصحّته، واستواء باطنه وظاهره، إنك إذا صرتَ إلى حضرتنا، آمنٌ بأمان الله، وأمان رسوله صلّى الله عليه وسلَّم، على نَفسك وجَوارحك، ومالك وحالك، لا نؤاخذك بشيءٍ ممّا مضى، ولا نعاملك عليه إلّا بالغفران والصَّفْح، والإقالة والعَفْو، ولك بذلك عهدُ الله وميثاقُه، وما اتّخذه على أنبيائه المرسلين، وملائكته المقرّبين، صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) طهران. (العنوان في الأصل: وله عنه إليه). لكن الكتاب السابق له مباشرة في الأصل لا يدل على شخص المرسل والمرسل إليه.

هذا كتاب أمان، أرجّح أن يكون قد صدر عن عَضُد الدَّوْلة.

(٢) كلمة غير مقروءة.

وإنّ هذا الأمان صحيحٌ لا شُبهة فيه، ولا تأوّل في فَسْخه، ولا طريق إلى نَقْضه، وهو أمانُنا، والنيّة نيّتك. وقد استوفاه علينا فلان وفلان بشَرائطه وحُدوده، وصالحناهما على الثَّبات عليه، بمشهدٍ من فلان وفلان، وسبيلك أنْ تصير إلينا واثقاً بذلك، ساكناً إليه، محصلاً له، معولاً عليه، وتعتمد المبادرة؛ فإنّ حضورك اليوم خيرٌ منه غداً، وغداً خيرٌ من بعده، لأنك تحصل الذِّكْر الجميل، والسَّبْق إلى الواجب، ويكون انجذاب مَن ينجذب بعدك إلى الطّاعة منسوباً إليك، ومثنى به عليك. وإنْ تأخّرتَ - والعياذُ بالله - كان ذلك قادحاً في الثقة، وخارجاً عن الصواب.

وقد أضفنا إلى هذا الكتاب والأمان من رَسائلنا ما يؤدّيه فلان وفلان، وذكرنا لهما في أمر الغلام الذي يذكرانه ما تسمعه منهما، وتعمل به، وفي بعضه ما كفى وأغنى. فرأيك في العمل به والسُّكون إليه، والإسراع ما استطعت، فإنّك ترد بإذن الله على أفضل ما أملت وقدرت، مُوَفَّقاً إنْ شاء الله.

فأمّا جماعة القُوّاد والغِلْمان، فسبيلُهم أنْ يحضروا آمنين بأمان الله، وأمان رسوله صلّى الله عليه وسلَّم، على نُفوسهم وأحوالهم وأسبابهم على أنّا نبذل الشيء [الذي] نستطيعه، ويمكننا بذله. فمَن قنع به استقرّ واطمأن، ومَن لم يقنع به ودبّر أمره بما يراه، وكان مالكاً لاختياره، ومتصرِّفاً على إيثاره، ولم يعرض له أحدٌ من خَلْق الله بسوء لا في نفسٍ، ولا في وَلدٍ، ولا في حُرمة، ولا فيما بقي له وفي يده من مالٍ وحال. وأنت وليٌّ بأنْ تذكر ذلك لهم، وتمكّنه في نُفوسهم؛ ليعملوا عليه. فإننا قد بذلنا الإمساك بالمعروف أو التَّسْريح بالإحسان(١) من غير طمعٍ ولا تحكّم، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) من قوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾، سورة البقرة، من الآية ٢٢٩.

وكَتَب[١]

قد ألزَمْنا جماعةَ مَن يقفُ على هذا المنشور، من عُمّال الخراج والحَرْب، فيما قَرُبَ وبَعُد من نَواحي الحضْرة وسَوادِها، والمتصرّفين معهم والنّاظرينَ في المآصِير[٢] وحَفَظةِ المراكز والجوازات[٣] في سائرِ الطُّرُقات، ووُكلاءِ المقطعين وغِلْمانهم وأسبابِهم: البحثَ عن غِلمانٍ لأبي بكرٍ مُحمّد بن عليٍّ بن شاهُوَيْه هَرَبوا منه، واشتملوا على مالِه، وما كان في دارِه، والتتبُّعَ لهم وقصَّ آثارِهم[٤]، والتفتيشَ عن أخبارِهم، وإذكاءَ العيونِ عليهم، والتوصُّلَ إلى تحصيلِهم، والتوثُّقَ منهم وممّا يوجَدُ معَهم، والاحتياطَ في جميع ذلك بغاية ما يُحتاطُ في مثلِه؛ فلْيعمَلوا على ما رَسَمْناه، ولْيَستفرِغوا فيه الوُسْعَ والطاقة، ولْيَبْلُغوا غايةَ الإمكانِ والاستطاعة، ولْيكتُبْ كلُّ واحدٍ منهم بخبَرِ مَن عسى أنْ يَظفَر به من هؤلاء الغِلْمان، أو يقفَ على مَوْضعِه، أو ينتهيَ إليه من خبرِه، ولْيَحذَروا من التقصير في ذلك، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) باريس.

هذا منشورٌ إلى رجال الإدارة فيه بعض الأوامر والتعليمات بخصوص غلمان لمحمد بن علي بن شاهويه، وهو نائب القرامطة ببغداد، تقدّم ذكره في كتابٍ عن صَمْصام الدَّوْلة إلى إسحاق وجعفر القرمطيين حينما احتلّا الكوفة، ج١، ص٣٩٣، ص٤٠٠.

(٢) كتبها الناسخ: الماصير. والمأصِر: سلسلةٌ أو حبلٌ يُشدّ معترضاً في النهر، يمنع السفن عن المضيّ إلّا بعد دفع الرسوم. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٩٥. والمقصود هنا أماكن استيفاء تلك الضرائب والرسوم.

(٣) في الأصل: الحوازات (بالحاء). ولعلّ الصواب ما أثبتناه. والمقصود بها المراكز الحدودية، حيث كانت تطلب إذناً بالجواز. قال المقدسي عن حدود بخارى: وأما الضرائب فهيّنة...... ولا يعبّرون غلاماً إلّا بجوازٍ من السلطان ويأخذون مع الجواز...... أحسن التقاسيم، ص٣٤٠.

(٤) كتبها النّاسخ: آثاهم، أسقط الرّاء.

وكَتَبَ إلى أبي الحسين يحيى بن منصور
في جُمادى الآخرة سنة ستٍّ وسبعين وثلاثمائة[١]

كَتَبْتُ - أطال الله بقاء سَيِّدي - عن سَلامةٍ، أَحْمَدُ اللهَ عليها، وأسْأَلهُ توفير حظِّهِ منها، وقد كَتَبْتُ إلى سَيِّدي كِتاباً بنيتُه على شَكْوى الشَّوْق إليه، والوَحْشة له، وسأَلْتُهُ من إتحافي بكُتُبِهِ، وإيناسي بمفاوضاتِهِ، والانْبِساطِ إليّ في مُهمّاتِه، حاجةً لم أرَها توجَّهَتْ عنده. ولعلِّي لو اقتصَرْتُ عليها لقُضِيَتْ، لكنّي أضَفْتُ إليها أُخْرى من ذِكْرِ التَّسْبيب[٢] والتوجّه[٣] له، فحُرِمتُ الجميع لتعذُّرِ الواحدةِ، والذي أقولُهُ في ذلك إنّ عناية سَيِّدنا حاجب الحجّاب صحيحةٌ غيرُ مَعْلولةٍ، ومودَّةَ سَيِّدي أبي عبدالله مَصْدوقةٌ غير مكذوبة[٤]، ووساطةَ سَيِّد ي أبي فُلان مَأمونةٌ غيرُ مَدْخولةٍ.

ولا بُدَّ لمطالب النّاس من يَأسٍ أو نجاحٍ، وأقْدار الجماعة تجلُّ عن أنْ تُعامَلَ بالإلحافِ والإلحاحِ، فإنْ عَلِمَ سَيِّدي أنّ لما لهذا التَّسْبيب مع نزارته وَجْهاً توصَّلَ[٥] لي إلى حُصُولِه سريعاً هنيّاً، وإنْ تكنْ الأُخرى صَدَفَني عنها لأعْمل بحسبها، واقْتَصِرني مُنْعماً على المكاتَبة المقْصورةِ على الخبرِ والوَطَرِ، والأمْر والنَّهْي، فإنّني لا أتّهِمُ

---

(١) باريس، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، سيلي أوك. (كتب الناسخ في: ف، س، ع «عن» بدل «إلى». وكتب الناسخ في: ف، ر، ع، س «الحسن» بدل «الحسين» والتاريخ من ب فقط.

(٢) التَّسْبيب هو أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليعين المسبب له العامل على استخراجه فيجعل ورداً للعامل وإخراجاً إلى المرتزق بالقلم. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٨.

(٣) ب: التنجز.

(٤) ف، ر، ع، س: ممذوقة.

(٥) ب: تسبب.

مُشارَكتَه[١]، ولا أخالفُ مَشورَته إنْ شاء الله.

وقد وَصَلتُ بهذا الكتاب أبْياتاً ثانية بعد أولى[٢] نفذت متقدّمةً، خدمتُ فيها مجْلِسَ سَيِّدنا الأُستاذ[٣] حاجبِ الحُجّاب، وسَيِّدي وليّ ما يراهُ في عَرْضِها، وتَجْديد الإذكار بها، وتعريفي ما يَخْرجُ من أمْرِه عند مُرورِها بِسَمعه إنْ شاء الله[٤]، وهي:

إنّـا مَـدَحْناك لا مـن أجْـلِ حاجتِنـا ... لكِـنْ لفضْـلِكَ إنّ الفَضْـلَ ممـدوحُ

وبـــابُ حاجتِنـــا إنْ سَـــدَّه قَـــدَرٌ ... فعنــدنا لــكَ بــابُ العُــذْرِ مفتــوحُ

ومــا يعيــبُ نَــداكَ اليــوم واحــدةٌ ... تعذَّرَتْ، وهو مِثْلُ الغَيْثِ مسفوحُ

ولي إذا نلتُهـــا أوْ لمْ أَنَـــلْ أمـــلٌ ... على فنائِكَ مُلْقَى الرَّحْلِ مَطروحُ[٥]

وأيّ حُكْمَيْك في أمْري حَكَمْتَ بـه ... قلبـي بـه طيّـبٌ والصَّـدْرُ مَشْـروحُ

وشُـكْرُ نَعْـماكَ فـرضٌ لا أخِـلُّ بِـه ... مـا دامَ لي[٦] نَفَـسٌ تحيـا بـه الـرُّوحُ

فإن اتَّجه لسَيِّدي خِطابُ سَيِّدي أبي عبدالله في هذا المَعْنَى، جعلَهُ وَسَطاً[٧] بين شكرٍ[٨] على سالِفِ بِرّه وتفضُّلِهِ، وعتابٍ على حادثِ إعْراضِهِ وتَغافُلِهِ؛ فإنّني أهزُّهُ هزّ الحُسامِ، وأستسقيه سُقيا الغَمام، وأُطالِبُه بجوابٍ عن كتبٍ نفَذَتْ إليه، ورعايةٍ لحُقوقٍ تأكّدَتْ لدَيْه، وأستعيدهُ إلى عادةٍ شديدٌ عليّ انتزاعُها، حَقيقٌ به ال عَوْد إليها، والله يُطيلُ بقاءَهُ، ويتمِّمُ عَلاءه، ويُديم نَعْماءَهُ، ولا يُعْدِمُني إيّاه.

---

(١) ر: مشكاركته.

(٢) س: وإني.

(٣) من ب فقط.

(٤) بعدها في ف، ر، ع، س: وهو حسبي، أبيات.

(٥) س: مسطوح.

(٦) ساقط في ف.

(٧) ب، ر: وسيطاً.

(٨) س: شاكر.

وكَتَب[1]

وقد نَفَذت لي إليه عدّة كُتبٍ، كثيرةٍ في إحصائها، قليلةٍ في جَنْبِ ما يَلزَمُني من أمثالِها، وما أخافُ قصورَ أجوبتِه مع المعروف من كريم عادتِه. ولمّا ترتَّب حاملو الكُتب في سِلك الطُّرُقات، واستَولَى النِّظامُ على هذا الأمرِ في سائر الجهات، وافتُتِحت المكاتَبة من هذا الوقت من الحَضْرتَيْنِ الجليلتَيْنِ بما افتُتِحت به، أصدَرْتُ هذا الكتابَ معه لازماً نَهْجَ الخِدمة، وعامراً سَبيل الصِّلة. ولم أُطِلْهُ اكتفاءَ ما سَبَق، وانتظاراً لما يَرِد؛ فإنّ الإطالةَ تُكْرَهُ مع ارتفاع دَواعيها، وتُستحبُّ مع البَسْط والإذْن فيها.

(١) باريس.

وكَتَب[١]

وقد جَرَتْ عادةُ مَوْلانا بأنْ يقتصِدَ في عُقوباتِ أهلِ الجِنايات، ثم لا يبعُدُ أنْ يُقيلَهُمُ العثَراتِ، ويعيدَهم إلى إحسانِه الجزيلِ، والظلِّ من كَنفِهِ الظَّليل، فمهما أتاهُ - أيّده الله- في ذلك فإنّما هو جارٍ فيه على الشِّيمةِ الكريمة، والسِّيرةِ القويمة، والطَّريقِ الأوْضحِ، والخُلُقِ الأسْجح، زادَهُ الله من سَنِيِّ قِسَمِهِ، وهنيِّ نِعَمِهِ التي يَستحِقُّها بجليلِ خَطرِه، وعليِّ همَّتِه.

وتأدّى إليَّ -أيّدَ الله مَوْلانا- حالُ أبي منصور وبَنيه -أعزَّهمُ الله- في جَريرةٍ كانوا أجرُّوها على أنفُسِهم، فاستحَقُّوا بها ما صُلُوا به من اعتقالِهم وحَبْسهم، فإنّه - أيّده الله- تلافاهُم بالعَفْو، وأزالَ عنهم مِيسَم السَّطْو، وأخرَجَهم من هُوَّةِ السَّخَطِ إلى شرفِ الرِّضا، ومن ضُغْطةِ الحَصْرِ إلى فُسحَةِ النَّشْر، فوافَقَ ذاك منِّي إيثاراً له يقتضي الشكرَ عليه.

وكَتبتُ هذا الكتابَ مُنْهِياً إليه مَوقِعَ تفضُّلِه على هؤلاء الأولياءِ منِّي، ومُصادفتِه الموافقةَ والمحبَّةَ عندي. ولمولانا علوُّ الرأيِ في تَتْميمِ ما أوْلَى، والزّيادةِ فيما أتَى، إنْ شاء الله.

---

(١) ليدن.

وكَتَب عن الوزير ابن سَعْدان إلى الصّاحب بن عَبّاد في الرَّيّ[1]

كتابي -أطال الله بقاء سَيِّدنا الصّاحب- ونِعمُ الله خاصَّةً لمولانا وعامَّةً لأوليائه فيما يمتَدُّ عليهم من ظلِّه، ويَشمَلُهُم من طَوْلِهِ، وأحوالُ حَضرتهِ الجليلةِ جاريَةٌ على ما عوَّدَ الله من سُبوغِ السَّلامة، وكمالِ الاستقامة، ونَفاذِ الأمور، وعلوِّ الشّأنِ، وعزِّ الوليّ، وذلِّ العدوِّ، والحمدُ لله.

وقد كتَبْتُ إلى سَيِّدنا الصّاحب الجليلِ بما يَنفُذُ في صُحْبَةِ أبي العلاء، وشافَهْتُه بما يُؤدّيه بمشيئةِ الله وعَوْنِه، وذكَرْتُ العُذرَ في تطاوُلِ مَقامِهِ بالحضْرة، وما كان منّي في الصَّمْدِ لسائرِ ما أدّاهُ من الرِّسالة، وعَرَضَهُ من أبوابِ التَّذْكِرة، حتى انتَجَز على ما لم يُخالفِ الإرادة، ولا غادرَ شيئاً من المحبّة، والله المحمودُ على ما أنهَضَ به ووفَّقَ له وأعانَ عليه، وسهَّلَ السَّبيل إليه، من جميع ذلك، وإيّاه أسألُ إدامةَ ما نظَمَ من الشَّملِ، وضَمَّ من النشْرِ، وأحسَنَ من الصُّنعِ، بقُدْرته.

وكتابي هذا - أيّد الله سَيِّدنا الصّاحب - يصِلُ بإذنِ الله من يدِ أبي عبدالله، وقد نَدبَهُ مَوْلانا الملِكُ لتحمُّلِ كُتبِهِ وتأديةِ رسالتِهِ إلى مَوْلانا الأمير فَخْر الدَّوْلة وسيِّدِنا الصّاحب، واستصحَبَ تَذْكِرةً تشتمِلُ على ذلك وتَنتظمُه. وخاطَبْتهُ في كلِّ معنىً من

---

(١) ليدن. (العنوان في الأصل: وعن الوزير ابن سعدان إلى الري).

مَعانيه بما سَيِّدنا حَقيقٌ بالإقبالِ عليه، والإصغاءِ إليه والجَرْي فيه على سَجاياه الكريمة، وطرائقهِ المستقيمة، ومَبارِّه الهنيَّة، وأياديه الجليلة.

فإنْ رأى أنْ يتفضَّلَ في ذلك بما هو أهلُهُ، ويتَوخَّى أبا عبدالله بما يُوجِبُه لمثلِه، من توفيرِ العِناية على ما قصَدَ لهُ، وتعجيلِ رَدِّهِ بالمحبَّة فيه، وإيناسي بذكْرِ أخبارِه وأحوالِهِ، وتَصْريفي بين أمرِهِ ونَهْيِهِ، فَعَل إنْ شاء الله

وكَتَب عن الوزير ابن سَعْدان إلى فَخْر الدَّوْلة[١]

كتابي -أطال الله بقاء مَوْلانا أمير الأُمراءِ فَخْر الدَّوْلة وفَلَكِ الأمّة- والاستقامةُ شاملَةٌ لما جَمَعَ الله بينه وبينَ المِلكِ صَمْصام الدَّوْلة -أيّدهما الله- عليه، وأشرَكَ بينهما فيه من الدَّوْلة المَيْمونة، والحوْزة المحوطة، والممالِكِ المحروسَة، والنِّعَمِ المَوْفورَة، والحمدُ لله.

وقد كتَبْتُ إلى حَضْرة مَوْلانا بما نفَذَ في صُحبةِ أبي العلاء، وتصرَّفْتُ في ذلك على ما تصَرَّفَ عليه العبدُ المخلِص، والخادِمُ المتخصِّص، والوليُّ القاصِرُ نفْسَهُ على الطّاعة، المُجهِدُ لها في تأديةِ حقّ الصَّنيعة، ممّا استَغْنى عن الإطالةِ بإعادته، والإكثارِ بتكريره إنْ شاء الله.

وكتابي هذا -أيّدَ الله مَوْلانا- نافذٌ في صُحبةِ عبدِه أبي عبدالله، وواصِلٌ -بإذنِ الله- من يَدهِ، وقد اعتمَدَهُ المِلكُ لتحمُّلِ كتُبٍ يَعرِضُها ورَسائلَ يُؤدِّيها، وأُصحِبَ تَذْكِرةً يَرجِعُ إليها، ويعمَلُ عليها. وعادةُ مَوْلانا في مثلِ ذلك معهودةٌ بالتفضُّلِ الذي يُغْني الثقةُ به عن مسألةِ الإجراءِ عليه، ويدعو التيقُّنَ له إلى امتدادِ العينِ إليه.

فإنْ رأى مَوْلانا أنْ يتأمَّلَ ما يُعرَضُ عليه متفضِّلاً، ويُصغي إليه مُتَدبِّراً، ويأتيَ فيه ما سَبقَتْ به شاكِلَةُ أياديه، ويعتمِدَ خادِمَهُ بما يتجمّلُ به من عَوارض خدمتِهِ، ويقفُ عنده من حُدودِ أمرِه ونَهْيِه، فَعَل إنْ شاء الله.

---

(١) ليدن. (العنوان في الأصل: وعنه إلى فَخْر الدَّوْلة) والمقصود بـ(وعنه) الوزير ابن سَعْدان كما في الرسالة التي تسبق هذه الرسالة.

وكَتَب عن الوزير أبي عبدالله بن سَعْدان
في جواب كتابٍ وَرَد عليه[1]

وَصَل كتابك- أطال الله بقاءك- وفهمتُه، وأدّى فلان ما تحمّله عنك ووعيتُه، وازددتُ به بَصيرةً في سَدادك ومَعرفتك، وفَضلك وحَصافتك، واجتماع الأدوات الجميلة فيك، الدّاعية إلى إعلاء محلّك، وحميد حالك، والثّقة بك، والاستنامة إليك. وأنهيتُ ذلك إلى الملك فلان، فأصغى إليه مستمعاً، وأوجب لك به حقّاً متضاعفاً، وأمرني بكذا وكذا.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٨، ص١٤٥. وعلّق في نهاية الفقرة: « إلى آخر مراده».

وكَتَب
إلى أبي الفَرَج الـمَجُوسيِّ بالبصرة[١]

كتابي عن سَلامةٍ لا زالت مُصاحِبةً، وعليه مُواظِبةً، والحمدُ لله. وشَوْقي إلى مَوْلاي أشدُّ من أنْ أصِفَهُ، فكيف أنْ أُجمِلَهُ.

وبالله، ما أترُكُ مُكاتَبَةً إذا تركْتُها إلّا تخفيفاً عنه، وثقةً به، ولا أستعمِلُها إذا استعملْتُها إلّا انبساطاً إليه ودالَّةً عليه، ولو استَطعتُ أنْ أُهاجِرَ وَطني إلى وَطنِهِ، وأُزايِلَ أهلي ووَلَدي إلى زيارتهِ، لَسارَعتُ إلى ذاكَ مُسارعةَ المغتبِطِ المغتَنِم لهُ، العارِفِ بما فيه من الحظِّ الجزيلِ والسَّعيِ الجميل، لكنّه يَعلَمُ أنّي كالرَّزِيّة التي لا حِراكَ بها، ولا نُهوضَ عندَها، والله يَحرُسه غائباً عنّا، وحاضِراً معنا، ويَحرسُني فيه قريباً، وبعيداً عَنهُ، ويُصلِحُ أحوالَهُ، ويُبلِّغُهُ آمالَهُ، وينتهي به من فَضْلهِ، وإحسانِهِ إلى غاية اسْتحقاقِه واستيجابِه، بمَنِّهِ وقُدْرته.

وفي دَرْج كتابي هذا تَسْبيبٌ[٢] عليه بألفِ دِرْهَم غَلَّةً من جاري أبي منصور، وهو عَبدُهُ وابنُ أخي، وأمْرُهُ يَمَسُّني ويَخُصُّني. وإنّما أختارُ التَّسْبيبَ عليه - أيّده الله- بأمري، وبالثقَةِ منِّي واليقينِ منّا، أنّ البعيدَ في معاملتِه أقربُ من القريبِ في معاملةِ غيره. وأنفَذْتُ رسُولاً قاصِداً بهذا السَّبَب.

(١) ليدن.

(٢) التَّسْبيب هو أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليعين المسبب له العامل على استخراجه فيجعل ورداً للعامل وإخراجاً إلى المرتزق بالقلم. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٨.

فإنْ رأى أنْ يتطَوَّل ويُنعمَ ويُوعِزَ بإنْفاذ السُّفْتَجة[1] بذلك، ويَعذرَني في مسألتِهِ اليسير، مع أنّ محلَّهُ المحلُّ الكبير -فإنّ الحال بيننا أوْجبَتِ الانبساطَ فيما قَلَّ وجَلَّ، وكَثُرَ ونَزُر- ويُقدِّمَ على هذا ما هو آثرُ في نَفْسي وأعظَمُ مَوقعاً عندي من جوابِهِ، مُضمَّناً أمرَهُ ونهيَهُ، وأخبارَهُ وأحوالَهُ، وما أصلُحُ له من مُهمّاتِه وأوْطارِه، فَعَل إنْ شاء الله.

(١) هي ما يُعرف في المعاملات التجارية اليوم بالحوالة المالية. انظر: القونوي، أنيس الفقهاء، ص٨٢؛ قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٢٤٥.

وكَتَب إلى القاضي أبي عُـمر الهاشميِّ[١]

كتابي -أطال الله بقاء سَيِّدي القاضي الشريف- وحالي سَلامةٌ أحمَدُ الله عليها، وأسألُهُ أنْ يخُصَّهُ بأحسَنِها وأجمَلِها. وقد بعد عَهْدِي بمُكاتبةِ سَيِّدي، وذلك مُوحِشٌ لي ومخالفٌ لشريطةِ ما بينه وبيني.

وكان الشريفُ أبو محُمّد - أيّده الله وسَلَّمَ عليه- آنسَني بنفْسِه وبما تحَمَّلَهُ إليَّ من كتابِ سَيِّدي القاضي، وما تركْتُ مُساعدتَهُ ومُرافدتَهُ في القَدْرِ الذي الْتمَسَهُ منِّي، ووَقَف بي عنده ممّا كان ذُكِرَ لهُ، ثم خَرَج من غيرِ أنْ ودَّعني، ولا أخَذ جوابَ ما كان أوصَلَ إليَّ، فساءني ذلك، وبقيَتْ في نَفْسي منهُ بَقيّة ألمٍ ما تكادُ تزولُ، وكيفَ تصرَّفَت الأُمور؟ فوالله ما أخِلُّ بعَهْدِه، ولا أحُولُ عن وُدِّه، ولا أخْلو من ذِكْرِه، ولا أُخليهِ من تقريظٍ له وثناءٍ عليه بما هو أهلُهُ، والله يُعينُ على قضاءِ حَقِّه، ويُسهِّلُ قَضاءَ الوَطَرِ من رُؤيتِهِ بمَنِّهِ وقُدْرته. وإلى ذاك فلهُ عُلوُّ الرأيِ في مُكاتَبتي بأخبارِهِ وأحوالِه، والسّانحِ من مَآربِهِ وأوْطارِه، والممتَثِلِ من مَراسمِهِ وأوامرِه إنْ شاء الله.

وفي دَرْج كتابي هذا كتابٌ إلى سَيِّدي أبي الفَرَج يشتمِلُ على تَسْبيبٍ[٢] عليـه بـألفِ دِرْهَم غلَّةً من جاري أبي منصور، وهو ابنُ أخي وصِهْري، وأنـا أسـألُ سَـيِّدي تجَشُّـمَ ذلك إليه، وتنَجُّزَ السُّفْتَجةِ بالدَّراهِم، ورَدّ الرّسـولِ بالنّجـاحِ والجـوابِ، فقـد أنفَذْتُـه

(١) ليدن.

(٢) التَّسْبيب هو أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليعـين المسـبب لـه العامـل عـلى اسـتخراجه فيجعل ورداً للعامل وإخراجاً إلى المرتزق بالقلم. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٨.

قاصِداً بهذا السَّبَب، وحالُهُ غيرُ محتمِلةٍ لتطاوُلِ المَقام. فإنْ رأى سَيِّدي القاضي أنْ يأتيَ في ذلك بما هو أهلُه ووَليُّه وأنا حَقيقٌ به منهُ، فَعَل إنْ شاء الله.

كنتُ أعتقِدُ أنّ الجِلَّةَ لا تُسألُ إلّا ما يَجِلُّ، والشاعرُ يقول:

إنّما يسألُ الجليلُ الجليلا[1]

وحُكيَ عن بعضِهم أنّ قائلاً قال لهُ: قد عرَضَتْ لي إليكَ حُوَيْجةٌ، فقال له: التمِسْ لها رُجَيلاً! إلى أنْ رَوَيْتُ عن جَدِّه الفاضلِ السَّيِّد عبدالله بن عَبّاس -رِضوانُ الله عليه- أنّ رَجُلاً قصَدَهُ، فقال لهُ: لي حاجَةٌ صغيرةٌ قَدْرُكَ يجِلُّ عنها، فقال لهُ: هاتها، فإنّ الصَّديقَ لا يكبُر عن صغيرِ صَديقهِ، ولا يَصغُرُ عن كبيرِه، فنَسَخَ هذا عندي ذاك. وكان الذي رَوَى عنه -رحمَةُ الله عليه- أشبَهُ بأهلِ الفَضْل، وألْيَقُ بأُولي النُّبْل.

وعلى هذا الأصلِ انبسَطْتُ إلى سَيِّدي في تكليفِهِ اليسير، وبمثلِ ذلك أعتذرُ إلى مَوْلاي الشيخ أبي الفَرَج، وأسألُ الله أنْ يُطيلَ لي بقاءهُما، ولا يُخلِيَني منهُما، ويُنهضَني بحقوقِهما، وهو حَسْبي وعليه توكّلي.

---

(١) لم أجده فيما اطّلعت عليه من مصادر.

وكَتَب (١)

قد عَلِمْتَ -أيّدك الله- ما أحسَنَ الله التوفيقَ لهُ، وسهَّلَ السَّبيل إليه، من تمامِ الصُّلحِ الذي توسَّطَهُ أبو نَصْرٍ خُرشيد، واسْتقامةِ الأمرِ فيه، وانتهائهِ إلى الاشتراكِ في النِّعْمة، والتساهُمِ في الدَّوْلة، ولله الحَمْد والمِنَّة.

وسَبيلُكَ أنْ تتقدَّمَ بإقامةِ الخُطبةِ على منابرِ أعمالِك، قاصِيها ودانيها، على المثالِ المرسومِ لك في آخرِ هذا الكتاب، فرأيُكَ في العَملِ به، ومُكاتبةِ الوُلاةِ في نَواحيكَ بمثلِه، والإجابةِ بما يكون منك مُوَفَّقاً إنْ شاء الله.

وذكَرَ في أسفلِ كتابٍ ما رُسِمَ في أمرِ الخُطبةِ على شَرْح ذلك.

---

(١) ليدن. والعنوان فيها: وكتب أبو إسحاق إبراهيم بن هِلّيل الصّابي.

ربما يكون هذا الكتاب قد صدر سنة ٣٦٩هـ حينما أرسل عَضُد الدَّوْلة أبا نصر خُرشيد إلى كلٍّ من: مُؤيِّد الدَّوْلة، وفَخْر الدَّوْلة، وقابوس بن وَشْمَگير الزياري. مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٤٦٥، أو سنة ٣٧١هـ حينما أرسله إليه مرة أخرى. الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ص٢٤.

رُقعةٌ
إلى أبي الفَرَج بنِ زُرَيقٍ الكاتب[1]

قد كان لي يا سَيِّدي ومَولايَ -أطال الله بقاءك- من سَيِّدي وشيخِنا أبي الحسن[2]، أيّام مَقامِه بالحضْرة مَعونةٌ ومَغوثةٌ، وأُنسٌ واستِظهار، وتفقُّدٌ ومُراعاة. ولمّا بعد -لا أبْعَدَ الله دارَهُ- أوحَشَني، وزادت مُفارقتُه في ذنوبِ الزّمان عندي.

وكان لما ودَّعَني عرَّفَني أنّه عَهِدَ إليكَ عَهْداً في النِّيابةِ عنه في مُراعاتي والقيامِ بما أفزَعُ فيه إلى جاهِكَ وسَعيك من أموري، وأنا أعلَمُ أنّ ذلك عتيدٌ مَوجُودٌ عندَكَ -أيّدك الله- أيَّ وقتٍ احتَجْتَ إليه لو لم يَعهَدْ - أيّده الله- إليكَ فيه، فكيفَ وقد عَهِدَ وصِرتَ تُفْضي به حَقًّا له وتوجِبُ فيه حقًّا آخرَ عليَّ؟ والله يَعْضُدُهُ ويَعضُدُني بحياتِك، ويُتمِّمُ النِّعْمة عليكَ، ولا يَسلُبُ زمانَكَ جَمالَهُ وبهجَتَهُ بك، بقُدْرته.

وقد كتَبْتُ إلى سَيِّدي أبي الحسن كتاباً أنا شديدُ الاهتمامِ به إلى أنْ يَصِلَ، لأنني باسَطْتُه - أيّده الله- فيه مُباسَطةَ الأخِ أخاهُ خَرَجْتُ إليه بعُجَرٍ وبُجَرٍ[3] لا آنَسُ فيها بسِواهُ، فإنْ رأيتَ يا مَوْلاي أن تُعرِّفَني وُصولَهُ إليك عَاجلاً، وتُنعِمَ بإنْفاذه محتاطاً عليه ومُجتهِداً في حفْظهِ، وإذا سَهَّل الله عودَ جَوابِهِ آنسْتَني وسَرَرْتَني بتعجيلِه إليَّ، فإنني شديدُ المراعاةِ له، وإعْلامي ما عندَكَ إلى هذه الغاية من خبرِهِ - أطابَهُ الله في النّفس والجسمِ والحالِ والعمَل - فعَلْتَ إنْ شاء الله.

---

(١) ليدن.

(٢) الرسالة اللاحقة موجهة له. وتقدّم ذكره في ج١، ص٦٣٠، ٦٣١ (أبو الحسين). ولم أجد ما يمكنني من الجزم به.

(٣) تقول العرب: أطْلَعْتُك على عُجَري وبُجَري، أي همومي وأحزاني. لسان العرب، ج٤، ص٥٤٢ (عجر).

وكَتَب
إلى والدِه أبي الحسن عليّ بنِ زُرَيق[١]

كتابي يا سَيِّدي ومَوْلاي، عن سَلامة نَفْسٍ وصَلاحِ حَال، وشُكرٍ لله عزّ وجلّ على نِعَمِهِ التي ما نَزالُ نَلبَسُها ونَسحَبُ أذيالها حتى في أثناءِ النوائب، وأضعافِ الشّدائد، ورغبةٍ إليه - جلّ اسمُه - في إسبالِ سِتْره علينا، وإنزالِ رَحمتِه بمَنِّهِ وقُدْرته.

وما أحتاجُ إلى أنْ أُقرّرَ عندَكَ شِدَّةَ شوقي إليكَ، وتأسُّفي عليكَ، واهتمامي ببُعدِكَ، وارتياعي لفَقْدِكَ، لأنك إذا تذّكرْتَ ما كنتَ تتوخّاني به من تفقُّدِك ومُراعاتِك، ومَبارِّكَ ومَعُوناتِك، عَلِمْتَ أنّ مفارقةَ مثلِهِ تُوحِشُ السّارِحَ المُطلَق، فَضْلاً عن الحبيسِ المرتهَن، ولو حَلَفْتُ بالله ما خِفْتُ حِنْثاً، أنّ خيالَكَ نَصْبُ عَيني، وذِكْرَكَ حَشْوُ صَدري، وأنني -بالنيَّةِ الخالصة، والمودّة الصّادقَة- كالمصاحبِ لكَ أينَ سِرْتَ، والنازِلِ في فِنائكَ حَيثُ نَزَلْتَ، وما أملِكُ فيما مُنِيتُ من مُفارقتِكَ إلّا ما لا تقصيرَ عندي فيه من المشاركة لك، والمسألةِ عن أخبارِك، والدّعاء بما الله -عزّ وجلّ- يَسمَعُه مِنّي، ويَستَجيبُه فيك.

وأنا أعلَمُ أنّك وَرَدْتَ على أعمالٍ واسِعة، وأشغالٍ عائقة، وأمورٍ لا بُدَّ لكَ من لُزومِ عادتِكَ في نَظْمِها وتَهْذيبِها، وتَسْديدِها وترتيبِها. وهذه أحوالٌ توضِحُ عُذرَك في تركِ الإجابةِ عن المكاتَباتِ الخارِجةِ عنها، فكيفَ في تَرْكِ الابتداءِ بها ! ويقتَضيني أنْ أُرفِّهَك وأُخفِّفَ عَنكَ، لكنّي لم أطِبْ نفْساً بانقطاعِ ما بيني وبينَكَ وَصَلهُ الله، ولم أملِكْ

---

(١) ليدن.

هذه الرسالة موجهة إلى والد أبي الفرج بن زُرَيق المذكور في الرسالة السابقة.

صَبْراً على أنْ تَـحرِمَني الأيّام رُؤيتك، وأحرِمَ نَفْسي مُكَاتَبتَك، خاصَّةً وأنا فيها مؤدِّي فرضٍ واجب، وقاضي حقّ لازم، وتطلُّعِي شديدٌ إلى معرفةِ خبَرِكَ في جِسْمِكَ صَحَّحَهُ الله، وفي أحْوالك أصْلَحَها الله. فإنْ رأيتَ يا مَوْلاي أنْ تُعرِّفَني من ذلك ما أسكُنُ إليه وأحمَدُ الله -عزّ وجلّ عليه- فَعَلْتَ.

ولم أستَدْعِ أمرَكَ ونَهْيك، لأنني مُقيمٌ على الحال القاطعةِ عن التصرُّفِ فيها، وإنْ كانت حالاً خطيرةً شريفةً، مؤْذِنةً بكلِّ خيرٍ ومَصلحةٍ وحَظٍّ وفائدة، والجملَةُ من أمري يا مَوْلاي وقوفٌ على ما عَهِدْتَ، لكنّه وقوفٌ على أملٍ قويٍّ وخيرٍ غيرِ بطيءٍ -بإذنِ الله- والأمورُ مقدورةٌ، ومواقيتُها محدودَةٌ، وأرجو أنْ يأتيَ الله من صُنعهِ بما كنتُ به إليكَ مبشِّراً مبادِراً، إذ كانت دَلائلُهُ، لائحةً ومَخائلُهُ صادِقةً، ولله المشيئةُ وهو حَسْبي.

رُقعةٌ

إلى القاضي الـهَمَذاني[(١)]

فَهِمتُ الجوابَ -أطال الله بقاء القاضي- ولئن كان - أيّده الله- قد بُلِّغ عنّي واجتهدَ في بلوغِ مِـحْنتي، فليس يُقنِعُني منهُ ذاكَ دون أنْ يُعاوِدَ ويُبالغ، فإنّ الحوائجَ ربَّما قُضِيَتْ بالسَّعيِ الأوَّل، وربّما احتاجَتْ إلى ثانٍ وثالث.

وإنّما نصَصْتُ عليه - أيّده الله- فيما الْتَمسْتُه من سَيِّدي أبي عبدالله العامِلِ للحالِ بينَهما، ولثقَتي بأنّه يُراعِي من أحوالي ما يُراعيه الأحرارُ وذوو الأخطار، وخاصَّةً مع استنْجاحي بسِفارةِ القاضي، وجُنوحي إلى وَساطته. وأُريدُ أنْ يتفضَّلَ القاضي بمُعاوَدتهِ وتعريفهِ أنّ أمرَ الفرقِ لم يَكنْ به خَفاءٌ فيَحتاجَ أنْ يُتكلَّمَ فيه، خُصوصاً والمصائبُ العامّة المشهورةُ يُستَغْنَى عن ذلك فيها.

وتقولُ عني يا سَيِّدي: قد جَعَل الله أمرَكَ كلَّهُ جميلاً، والصّناعة تامَّة، والآثارَ حَسنَة، والاحتياطَ واقِعٌ، والإضاعَةُ مأمونَة، ولسانُ العدُوِّ منقَبِض، ولسانُ الصَّديقِ منبسِط، فهل لكَ يا مَوْلاي في أنْ تُضيفَ إلى هذه المحاسنِ زيادةً في الرِّفقِ بمعاملتِك، واعتدالاً فيما تتناوُلهُم به، وخاصَّةً مَن ضَعُفَ جانِبُه وبَعُدَ عنه ناصِرُه.

ولا أشكُّ في أنّه إذا سَمِع هذا منِّي ومن القاضي، ونحن صديقاهُ، وَقَع منهُ مَوقِعَهُ، ثم تلطَّفَ له في التوقيعِ الذي ألْتمسُه ومُعاوَدةِ المسألةِ فيه حتى يفعَلَ، فإنّه ممّن[(٢)] لا يَدفَعُ عنه الرَّعايا، ولا سِيَّما مَن يَعلَمُ منهُ لينَ الجانب، وانحِسامَ الطَّمع، والرِّضَى

(١) ليدن. (العنوان فيها: رقعة إلى ابن القاضي الهمذاني، حذفت «ابن» فهي زائدة).

(٢) في الأصل: مما.

بالعِتْق. وإنْ أبى - أيّده الله- وأعوذُ بالله كُلَّ الإباءِ وهذا ممّا أستبعِدُه، سألتُهُ - أيّده الله- التّوقيعَ إلى أبي القاسم الكاتِب بتَرْكِ إخراجِ البابِ على عِبْرته، لئلّا يُطالَبَ القومُ بما لا يَستطيعونَه، فيكونَ في ذلك الجلاءُ -والعِياذُ بالله- إلى أنْ يكشِفَ ويُنصِفَ، ويتأمَّلَ ويعمَلَ ما يُشبِهُهُ وهو أهلُه، والقاضي وليُّ ما يَراهُ في ذلك، فإنّه أمرٌ يُهمُّني ويَـخُصُّني، ويَلزَمُني ويَمَسُّني، وأنا فيه لاجئٌ إليه، ومعوِّلٌ عليه إنْ شاء الله.

وكَتَب عن نفسه
إلى سيف الدَّوْلة[1]

قد جَرتِ العادةُ -أطال الله بقاء الأمير- بالتّمهيد للحاجةِ قبلَ مَوردِها، وإسْلافِ الحقوق الدّاعيةِ إلى نَجاحِها. وسالكُ هـذه السَّبيل مُســيءٌ للظَّـنِّ بالمسؤُول، فهـو لا يَلتمسُ فَضْلهُ إلّا جَزاء، ولا يستَدعي طَوْلَـهُ إلّا قضـاءً، والأمـير -أطـال الله بقـاءه- بكرَمِهِ الغَريب، ومذهبِهِ البديع، يُؤْثِرُ أنْ يكون السَّـلَفُ لـه، والابتـداءُ منـهُ، ويُوجِـبُ للهاجِم برغبتِهِ عليه حقّ الثِّقة بـه منـه، والحمـدُ لله الـذي أفـردَهُ بـالطّرائقِ الشـريفة، وتوحَّدَهُ بالخلائقِ المُنيفَة، وجَعَلَهُ عيْنَ زمانِهِ البصـيرة، ولمعتَـهُ الثّاقِبـة، وإيّـاه أسـألُ أنْ

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة. (إلى سيف الدَّوْلة) من: ج، ق. (عن نفسه) إضافةٌ منّا.

توفي سيف الدَّوْلة الحمداني سنة ٣٥٦هـ وكان قد حكم شمال سوريا وغرب الجزيرة الفراتية (شمال غرب العراق). نقل العتبي والثعالبي روايةً عن الصّابي، قال: حكى أبو إسحاق إبراهيم بن هِلّيل الصّابي، قال: طلب منّي رسول سيف الدَّوْلة وكان قد قدم إلى الحضرة شيئا من شعري، وذكر أن صاحبه رسم له ذلك، فدافعته أياماً. ثم ألحّ عليّ وقت الخروج، فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات وهي:

إنْ كنـتَ خنتـك في الأمانـة سـاعةً ... فـذممت سـيف الدولـة المحمـودا

وزعمـت أن لـه شريكـا في العـلا ... وجحدتـه في فضـله التوحيـدا

قسـماً لـو أني حـالفٌ بغموسـها ... لغـريم ديـن مـا أراد مزيـدا

وقال: فلما عاد الرسول إلى الحضرة، ودخلت عليه مسلماً، أخرج لي كيساً بختم سيف الدَّوْلة مكتوباً عليه اسمي وفيه ثلاثمائة دينار. العتبي، اليميني، ص٢١٨؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، ج١، ص٤٥.

يَـحرُسَهُ بعَيْنه التي لا تنام، ويُحرِزَهُ في حِماهُ الذي لا يُرام، بمَنِّهِ وقُدْرته.

وتوفِّي -أيّد الله الأمير- قريبٌ لنا وعبدٌ من عَبيدِه يُقال له قُرّة[1] بن هِلِّيل بن مروان[2] بنِ شِيرزاذ، وخَلَّف أُمًّا وأُختَيْنِ وزوجةً، وابنَيْ عمّ، وعُورِضوا في تَرِكَتهِ مُعارضةً لا ألتمِسُ إزالتَها عنهم من طريقِ الحجَّة، بل من طريقِ الاجتداءِ والمسألة. وأقول في ذلك:

لعَمْري، لقد جرَّت على مالـكِ العُـلَى ... جَرائـرَ أضْـحى بينَهـا مُتَقسَّـما

عمَمْـتَ بـه أحياءنـا فتركتَنـا ... نسـومك للمـوتى عَطـاءً ومَغْـنَما

وأُقسـمُ لـو أمّنـتهمْ مـن حِمـامِهمْ ... لسـالَمهم حتـى تكـونَ المسـلَّما

والأميرُ -أطال الله بقاءه- وليٌّ بأنْ يحملنا في ذلـك عـلى شريطـةِ كرَمِـهِ، وحُكومـةِ تَفضُّلِه، إنْ شاء الله.

(١) (يقال له قرة) مكانه فراغ في ل.

(٢) ل: مَروَن.

وكَتَب وهو يتقلَّدُ البصرة
إلى أبي أحمدَ الحسين بنِ موسى العَلَويّ نقيبِ الطّالبيين
مُـجيباً له عن كتاب[١]

وَصَل كتابُكَ يا سَيِّدي -أطال الله بقاءك- وسَرَّتْني منهُ السَّلامة، وسألتُ الله أنْ يزيدَ فيها عندَك، ويُديمَ بها إمْتاعَك، وساءني ما سِوى ذلك من عَتْبِك. وأقْلقَني أنْ خرَجْتَ إلى ما خرَجْتَ إليه من الغاية التي ما كنتُ أظنُّك تنتهي إليها معي عند التيقُّنِ لما تُنكِرُهُ، فَضْلاً عن التّعويلِ فيه على البلاغاتِ المحرَّفة، والتسوُّقِ بالأباطيل.

ووالله ما يتقدَّمُني أحدٌ في مُوالاتِك وطاعتِك، ومَعرفةِ حقِّكَ وفَضْلِك، والتمسُّكِ بوُدِّكَ وحُبِّك. وكان في الحقِّ إذا بلَغَك الشيءُ الذي يُحفِظُ أنْ تتوقَّفَ على الاستثبات فيه، والمسألةِ عنه، والمعرفةِ بما عندي في شيءٍ[٢] منه، ثم يكون ما تُطلِقُ به لسانَك -صانَهُ الله- ويدَكَ -أعلاها الله- بـحَسَبِ ذلك.

والذي جَرَى أنّ الوزير -أطال الله بقاءه- رَسَم لي رَسْماً انتهيتُ إليه على أجملِ جِهاتِه وأحسَنِها وأوْلاهَا بمحلِّكَ منه، ثم بالحال بينك وبيني بعده، فردَدْتَ الكثيرَ المبذول، وآثرْتَ صاحبَكَ بالعَفْو والمَيْسور، وقلتُ قولاً ظاهِراً سُمِعَ منّي وحُفِظَ عنّي: أنني لا أتكلّمُ إلّا لك، ولا أنوبُ إلّا عنك. وعرَفْتُ للشّريفِ أبي الحسين - أيّده الله- حقَّهُ ومَوضِعَهُ منك، ولم أُخرِجْ للأصحابِ - أيّدهم الله يداً، ولا كشَفْتُ لهم أمراً، ولا خالفْتُهم في الإجابةِ إلى أوّلِ بذلِهم وغايةِ مُرادِهم، وكان عندي أنني إن لم أُحمَدْ لم

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة.
(٢) مكررة في ج.

أُذمَمْ[١]، وقد وافقتُهم على كُلِّه، واعتَرفوا به، ولم أجِدْهم يدفَعونَني عنهُ، ولا يتعتَّبونَ عليَّ في شيءٍ منه. ولو لزموا الامتناعَ لما أكرَهتُهم، ولكنَّهم أظهَروا الرَّغبة، وتمسَّكوا بالأمرِ، فحرَسْتُه عليهم، وقرّرْتُ معهم بِرضائهم ما إنْ رَسْمتَ أنْ أعقِدَه لك بزيادةِ ثلاثينَ ألفَ دِرْهَم فعلتُ ذاك.

والآنَ يا سَيِّدي، فالذي يتعلَّقُ خاصَّـةً بي في معـاني كتابِـك محمـولٌ عـلى الـرأس، موضوعٌ على العَيْن، منسُوبٌ إلى أفضلِ[٢] ما بيني وبينك من الخصوصِ، وما هو متعلِّقٌ بغيري فما أتكلمُ فيه إلّا بالجميلِ الذي جَرَتْ به عادَتي. وقد خاطبتُ أصحابنا -أيّـدهم الله- بما يكتُبونَ به ولا تقصيرَ عندي فيه، وفي كلِّ ما تُؤْثرهُ إنْ شاء الله.

ولولا أنني أرفَعُك عن المعاتبةِ المُمِضّة، لَناقَضْتُكَ مُناقضةَ الاحْتجاجِ عن كثيرٍ من فُصولِ كتابِكَ الذي هو مملوءٌ بالجفاء، ومُخالِفٌ لفضْلِك وحِلْمِك، ومستحيلٌ عـن كُـلِّ عادةٍ جَرْت بيننا في المخاطبةِ والمعامَلة، لكنِّي أراكَ بالعَيْنِ الجليلة، وأُغْضِي على ما لحِقَني منك على بَصيرة، وأثقُ منك مع هـذا بالنّدمِ عـلى القـولِ الـذي لا تُشـبِهُكَ مُقارَفتُـه، والرُّجوعِ إلى الجميلِ الذي لا تليقُ بك مُفارقتُه.

واعلَمْ أنك انبسَطْتَ إليَّ عند حَماء[٣] صَدْرِك بما لم تكُنْ تدَعُ المراقبةَ فيه لأصغرِ النّاس قَدْراً وأخفِّهم وَزناً فَضْلاً عنّي، وهذهِ حالٌ إذا تأمَّلها المحامي على المَودّة، المتأوِّلُ لها، المتمسِّكُ بها، خفَّفَتِ العَتْبَ وهوَّنتِ الخَطْب، والله يُطيلُ بقاءك، ويُديـمُ نُعماءك، ويُسهِّلُ إلى كلِّ صالحٍ وجميلٍ سَبيلك، بقُدْرته، وهو حَسْبي.

---

(١) ج: أذم.

(٢) ج: فضل.

(٣) من: ج.

وكَتَب إلى أبي القاسم عليّ بن الحسين بن إبراهيم الشِّيرازي عامل البصرة جَواباً عن كتابٍ وَرَد عليه منه بالاسْتعتاب[١]

وَصَل كتابك، وفهمتُه، وسكنتُ منه إلى سَلامتِك - لا زالت عليك ضافية، ولديك راهنة - وحَمَدتُ الله تعالى عليها، وعلى نِعَمه عندَك، حَمْدَ المستَديم لها، المستَزيد منها.

فأمّا إنكارُك - أيّدك الله - عتابي، وتألُّك من ألفاظٍ كانت في كتابي، وتصرُّفك في ذلك بين رَدٍّ عليَّ، وتوجيهٍ إليَّ، وبين اعتذارٍ ممّا اقتضاه، واحتجاجٍ فيما استدعاه، واعتداك بالصّبر عليَّ فيما عندك أنّي ظالمٌ فيه، وبترك المقابلة منك على تَتابعه وتَواليه ودِلالتك إيّاي على الطّرائق التي هي أحْفظُ للعَهْد، وأحْرسُ للوُدّ، والخلائق التي هي أوْصلُ للحَبْل، وأضمُّ للشَّمْل، فقد أرشدت - أدام الله تأييدك - إرشادَ أهل الحزْم والفَضْل، وقلتَ قول ذوي[٢] الطَّوْل والنُّبْل، وجريتَ على شريف عادتك، وكريم شاكلتك، وما[٣] جَعَلك الله أهلاً له من المناقب الباهرة، والمحاسن النّاضرة، ووَجدتُك

---

(١) چستربتي، طهران، ليدن، فيض الله، راغب باشا، عاشر أفندي، القاهرة. وسقط اسم العامل في ط. (العنوان في ج: كتب أبو إسحق إبراهيم بن هِلّيل بن إبراهيم بن زهرون الصابي الحراني الكاتب إلى أبي القسم.......)، وسقطت فيها كلمة (الشيرازي).

هذه الرسالة وإن كانت في العتاب، إلا أنني آثرت وضعها هنا بين الرسائل الإدارية لما فيها من دلالات إدارية واضحة.

(٢) ل، ف: ذي.

(٣) ل، ف: كرماً.

- أيّدك الله - قد افتتنتَ في القول افتتان المدِلّ بلسانه، المعوِّل على بَيانه، الواثق من نفسه بسَبْق مُجاريه، وفَوْت مُباريه، الذي إذا جادَلَ مُجادِلَه، وناضَلَ مُناضِلَه فكانت الحجّةُ له جلاها في أحسن مَعارضها، وأبرزها في أفخر مَلابسها، فلا يلبث أنْ يكون الظَّفَرُ له، والفُلْج[1] معه. وإنْ كانت الحجّةُ عليه عدل عنها إلى الشّبهة النّائبة[2] عنها في حسّ مَن ضَعُف حسّه، القائمة مقامها في تمييز مَن نَقَص تمييزُه، وظاهرَ عليها من سَديد عبارته، وبليغ خِطابته، ما يكون به أحسن من الحجّة الصحيحة جِلْباباً، وأبهى شِعاراً، ويكون الخصمُ معها أقربَ اختداعاً، وأسرعَ انقطاعاً.

وأنت - أيّدك الله - تجلّ عن أنْ تنفق بضاعتك من هذه الفَضائل سَرَفاً، إلّا فيما تكون فيه مع الحق والعَدل متصرِّفاً، وتُجلُّني عن أنْ تضعني في الطبقة من النّاس المضْعوفة، وذوي الألباب المعلولة المؤوفة، وترفع ما نرجع إليه، ونجتمع عليه عن أنْ نتغالَط أو نتدامجَ فيه، وتأبى لنفسك ولي أنْ تدرجَه[3] إلّا على أقْصد[4] مَناهجه، وأرْشد مَجاريه؛ لنكون جميعاً معتمدين ما هَذّبه وأصفاه، وطالبين ما أحكمه وأحكاه. وإذا حَدَث من أحدِنا ما يخرج عن هذا الشرط، حاسَب نفسَه فيه ووَزَعها، وكفّها عنه ورَدَعها، ونافَس صاحبه على تمسّكه دونه بالمخالصة، ولم يرضَ بالتقصير عنه في الصَّبْر على المحافظة.

وقد ادّعيتَ - أدام الله عزّك - عليَّ قَوارص منكرة، ولَواذع[5] مؤلمة، وزعمتَ أنها

---

(١) الفُلْج: الفوز. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٤٧ (فلج).

(٢) ر: النابية.

(٣) ج: تجرية.

(٤) هذا ما في ج، وما في دونها: أفضل.

(٥) ف، ل: نوازع.

تَوالت إليك بالمكاتَبة المقروءة، والبلاغة المنقولة. وبسطتَ الكلام بَسْطَ النّشيط لـوُرود مثله، المتصدّي لاستماع جَوابه، وطرّق لي ذلك إلى النُّصْح عندك عن نَفْسي، والخروج إليك بحَوْجاء صَدْري، وأنْ أنفثَ النّفث الذي يُورث النّقاء، ويؤدّي إلى الصّفاء، ولا سِيَّما إذ كنتَ بفَضْلك ونِعَم الله عندك تُراعي منّي ما تُراعي ممّن تضنّ به، وتشحّ عليه، وترغب فيه، ولا ترغب عنه. ووالله العظيم الشأن، العزيز السُّلْطان، العالم بخَوائن العُيون، وخفايا الصُّدور، القائم على كلّ نفسٍ بما كسبت، المجازي لها عمّا احتقبت، ما أطلقتُ في حال تغير رأيك، والتياث إخائك لفظةً في المغيب أحتشمُ منها في المشهد، ولا تجاوزتُ فيها حُكي لك، وتُسُوِّق به عندك للألفاظ الثّابتة الحاصلة[1] قبلك. وقد علم الله، وعلمتَ أنها ألفاظُ متلطِّف لا متعسِّف، ومترفِّق لا متنزِّق، ومَن يريد أنْ يأسو ما جرحتَ، ويلمّ ما شعّثتَ. ولو كانت الاسترابةُ[2] واقعةً[3] منّي بغيرك - أيدك الله - لداويتُه بدواءِ أكثر أهل الزّمان الذين يشكرون على المكاره حَسْماً لتضاعفها، ويحمدون على المذامّ كفّاً لترادفها، لكني نزّهتُك من الكون مع هذه الطّائفة الدَّنيّة، وألحقتُك بذروتك العَليّة، وكلفتُك في ذات بيننا تكاليفَ أهل العُقول الرّزينة، والألباب الرّصينة، وبدأتُ في عتابك بالتّلْويح فما أغنى، ثم التَّصْريح فما أجدى، ونزلتُ معك في منازل المتأنّي لا المتهجِّم، والمتأنّي لا المتجهِّم. فلمّا تأخّرت العُتبى، وصارت الجفوة في غايتها القُصوى، أمسكتُ إمساكَ الصّابر عليك لا عنك، وانتظرتُ انتظارَ الرّاجي لإقلاعك لا الخائف من إصرارك، وما زدتُ أنْ قطعتُ عن حضرتك كتبي، ووقفتُ من منابي كان عنك بحيث وقفت بي، وكنتُ فيما أتيته مقتدياً لا مبتدئاً، ومتّبعاً لا

(١) ساقطة في ر.

(٢) ل: الاستجابة.

(٣) من: ر.

مبتدعاً، وصائراً إلى اختيارك فيما أأباه، كمصيري إليه فيما أهواه، وذاهباً مع إيثارك فيما أسخطه، كذهابي معه فيما أرضاه، أخذاً مني بطاعتك التي ما فارقتُها، وتركاً لمخالفتك التي ما قارفتُها.

وأمّا قولُك - أيّدك الله - إننا كنّا افترقنا عن أحوالٍ وكّدناها[١]، وأسبابٍ مكّناها، ولم نسَلّط عليها ظِنّةً بقَوْلٍ ولا فِعْل، وإنّ المعاملةَ جرت[٢] على حُدودِ مثلتها فلم نعدل عنها، وسَبيلِ نهجتها فلم نسلك غيرها، فما أولى بكلٍّ منّا أنْ يتمسّكَ بلَوازم ذلك وشَرائطه، ويَستقيمَ على جَواده ومَقاصده.

أمّا أنا - أدام الله عزك - فقد علمتَ وكثيرٌ من النّاس أنني قمتُ بما يحقّ عليَّ لك كلَّ القيام، وبلغتُ منه إلى نهاية الكمال والتمام، خلافةً لك، وذبّاً عنك، ولحناً بحُجّتك، واستدعاءً لمصلحتك، واستزادةً لك في عَمَلك[٣]، واستهدافاً لسهام أعدائك، حتى انصرف عنك مُنتحيها، وانحرف مُصْميها[٤]، ولم أرضَ ممّن كنتُ ألتمسُ[٥] منه الكفّ والموادعة، إلّا بالمخالصة لك والمشايعة، ولا ممّن كنتُ أستوقفه[٦] بحيث انتهى من المعاندة، إلّا بالانتقال إلى المُساعدة والمرافدة. وأنّ ذلك لما بان ورُؤي مني، وشاع ورُوي عنّي، أسْلَمني إلى اتّساع الظّنون، وامتداد العُيون، ووَهم كلّ تابعٍ ومتبوعٍ، ورئيسٍ ومرؤوس، أنّ أمري في عَمَلك أنفذُ من أمرك، وأنّ فائدته تصل إليَّ قبلك؛ فلا

---

(١) ر: وكدنا.

(٢) بعدها في ر: بيننا.

(٣) من: ج، وفي ما دونها: علمك.

(٤) هذا من: ج، وفي ما دونها: مصيبها.

(٥) ج، ر، ف، ع: تلتمس.

(٦) في الأصول الخطية كلها: تستوقفه، ولعل الصواب ما أثبتناه.

تعرض[١] لكبيرٍ حاجةٌ لديك[٢] إلّا أعدّني لنجاحِها، ولا تسنح لصغيرٍ شفاعةٌ إليك[٣] إلّا جعلني الباب إليها.

وأمّا أنتَ - أدام الله عزك - فلم تقابل ذلك بما يشاكله، ولا حاذيته[٤] بما يعادله، ولا كنتَ في بعد الدّار كما كنتَ في قربها، ولا ثبتَّ في متوسط الحال على[٥] ما شرطتَه في أولها[٦]، ولا أنجزتَ فيما بيننا أصلاً ولا فرعاً، ولا أدّيتَ فيه فرضاً ولا نفلاً، بل رجعتَ رجعتَ القَهْقَرى، وفصمتَ[٧] العُرى، ونقضتَ المبرَم، ونسختَ[٨] المحكَم، دافعاً لي عن تَسْبيبي، جاعلاً[٩] حِرْمانيه حظّي منك ونَصيبي، متبرِّماً بكلّ نائبٍ ناب عندك عنّي، معرضاً عمّن أظهر لك التحقّق بي، بالغاً منك بالذنوب المتجرِّمة عليه، والأباطيل[١٠] المنسُوبة إليه كلّ مبلغٍ يُمِضُّني، ومنالٍ يَرْمضني، مانعاً غلاماً خاصّاً بي قد أنفذتُه إلى ذَراك، ولم أعوّل به على سِواك، أنْ يصلَ إليك إلّا مع دُقاق النّاس وخُشارهم[١١]، وفي أحيانٍ وُصول عَوامّهم ورِعاعهم، وهو يتنقّل[١٢] في فنائك بين علّةٍ

(١) بعدها في: ل، ف: لي.

(٢) ج: إليك.

(٣) ج: لديك.

(٤) ر: جاذبته (مجودة).

(٥) ج، ر: مع.

(٦) في الأصول: أوله.

(٧) ج، ر: فضضت.

(٨) ج، ر: فسخت.

(٩) ر: عاجلاً.

(١٠) ر: وللأباطيل.

(١١) أراذل النّاس وسفلتهم. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢٤٠ (خشر).

(١٢) ر: منقل.

عظيمة، وإضاقةٍ شديدة، وكان ظنُّه وظنّي له أنْ يجري عندك مجراه عندي، وأنْ ينبسط[١] في دارك كما ينبسط نظيرُه من غلمانك في داري، وهو إلى الآن بأبعد مطرح، وأقصى مزجر، وإذا عرض من كتبي العدد الكثير، لم يحصل له إلّا الجواب الواحد بعد الأمد الطّويل. ثم أجده إذا وَرَد عليَّ مغسولاً مقصوراً من المعاذير المتمحِّلة، والتعليلات[٢] المضمحلّة، على ما نرتفع جميعاً عنه، وتتمكّن الجفوةُ معه، لأنك تقابل الاستزادة منّي بالزيادة فيما اقتضاها، والإهابة بك إلى الأولى بالتمادي فيما[٣] استدعاها. فأيّنا - أدام الله عزّك - المحجوجُ في القول، المحقوقُ في العتب، المداهِن في الوُدّ، الحائل عن العَهْد!

وأما ما حمّلتَه - أيّدك الله - أبا غانم صاحبك من العذر فيما تأخّر من هذا التَّسْبيب[٤] فما سألتُه عنه، ولا مكّنتُه من ذكره اكتفاءً بما تأدّى إليَّ من كثرة الخوض فيه، والإرجاف من أجله، وهو أنّ أمْراً وَرَد عليك من الوزير - أطال الله بقاءه - بترك شيءٍ[٥] من التَّسْبيبات إلّا ما رَسَمه، وأنّ مالي كان مما[٦] لم يَرْسُم إطلاقه، أو ممّا نَصّ على وَقْفه، فهذا عذرٌ إنْ كنتَ عوّلتَ عليه، واستروحتَ إليه، فقد قَطَع بك وقت الحاجة، وقَطَعك في مَوقف المحاجّة؛ لأن الوزير - أطال الله بقاءه - يحلف - وهو فوق

(١) ج، ر: يبسط، وكذلك الأخرى بعد ثلاث كلمات.

(٢) ج: التحليلات.

(٣) هذا ما في ج، وما فيها دونها: في.

(٤) التَّسْبيب هو أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليعين المسبب له العامل على استخراجه فيجعل ورداً للعامل وإخراجاً إلى المرتزق بالقلم. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٨.

(٥) ج: إطلاق شيء.

(٦) في الأصول الخطية: ممّن.

ذاك - أنّه ما خصّ بابي بالمنع، ولا نصّ عليه بالدّفع، ويورد في الرَّدِّ عليك ما لم يسرّني أنْ أسمعه، وإنْ كان تفضّلاً منهُ عليّ.

فإنْ كنتَ - أيّدك الله - تقول إنّ الأمر بخلافه، وقد رفع الله قدرَه، وأعلى خَطرَهُ، وأعاذه من أنْ ينكر ما قاله، أو يدّعي ما لم يقله، وخاصّةً مع استغنائه عن ذلك بنفاذ الأمر، وعلوّ اليد، فليس يخلو - أدام الله عِزّه - من أنْ يكون استحياني ظاهراً فيما أسرّه إليك باطناً؛ فهو في هذا على سَبيل التكرُّم والتفضُّل اللّذين هما أجلّ من المال، وأجدى من الرّزق. ولا شك لو كان الأمر كذلك، فإنّ ضرورةً[١] أضاقتك، واحتداد المطالبات عليك، وإشفاقه من وُقوف أمرك، وإيثاره انتظام ما ناطه بك حمله على أنْ فعل ذاك في تَسْبيبي على ناحيتك، وقد فعل ضدّه في التسبّب[٢] لي على ناحية غيرك، فكان يجب أنْ تتأسّى به في هذه المجاملة، وتغرّر بإطلاق مالي في عرض المعاملة، وتُصلح الأمرَ من حيث لا أعلم، وتُداويه بدوائه من حيث لا أدري، فتكون قد حرستَ صديقَك، وأمنتَ الطّعنَ على وفائك، أو أنْ يكون هذا المنع لفَساد نيّه، وتغيّر طويّة، ففي مثل هذه الحال - لو صَحّت - يُحتاج إلى ظهور العناية، واستعمال الرّعاية، ولم يكن منكراً أنْ تُمضي ما توقفتَ عنه[٣]، وتضمّني عند المحاسبة دركه، فإنك كنتَ ترجع إلى أحد أمرين: إما إلى إصلاح[٤] ما اضطرب من أمري، وإما[٥] إلى ارتجاع المطلَق منّي إنْ ضاق ضاق ما بيني وبينك عنه، وانسدّت طرق الاحتيال علينا جميعاً فيه، وكيف والأمرُ

(١) ل، ف: ضرورتك.

(٢) ر، ع: المسبب، ج: امسيب.

(٣) ر: فيه، وساقطة في باقي الأصول.

(٤) ج، ر، ع: صلاح.

(٥) ج: أو.

بالضدّ، ولله الشكر والحمد.

وسيصير إليك - أيّدك الله - من العلم اليقين بالحال ما يدحض أقوال الأوباش الذين تغاوَوْا على أنْ صوّروا لك المحال بصورة الحق، ولَبَّسوا عليك الكذب بلباس الصّدق. ودع التَّسْبيب جانباً. ألم يكن بيننا ما تُوازيه ثمرتُه، وتُساويه عائدتهُ ! ولا سِيَّما مع نَزارة قدره[1] ومبلغه، وقلّة تأثيره على قابضه ومُطلقه، فلِمَ تذهب - أيّدك الله - في أمري وَحْدي عن الأحسن الذي تستعمله مع غيري، وهو بك أحرى، فأنت بأنْ تهدي ولا يُهدَى إليه أولى !

وما تُراك تقول وقد أُلزمتُ ما أُلزِمته مع المصادَرين من الغُرْم الثقيل الذي كان عليك في صدرٍ منه التعويل، وطالعتُك بشرح الحال فيه، واستعنتُ بك على الاستقلال به، فما كاتَبْتَني في معناه بادئاً، وقد سبق خبره إليك، ولا مجيباً لما وَرَد كتابي به عليك، ولا توجّعتَ لي من التألم[2]، ولا هنأتني بأنْ مُيّزتُ فيه عمّن نيل بالأذى والهضم، ولا عرضتَ عليّ مالك ولا بذلتَ لي عونك، بل كنتُ عندك بمثابة مَن لا تجمع في معرفته بين الاسم والعَين، ولا تراه مَوضعاً لقضاء حقّ، ولا إسْلاف دَيْن ! أليست هذه المعاملةُ خارجةً عن عادتك، ومُباينةً لخليقتك؟ وأليس الرّاضي بها معدوداً مع الأراذل، ومضارعاً للأداني والأسافل؟

وأمّا قولُك إنّه لا ينبغي لي أنْ أستغلي ارتباطك بالمقدار الذي الكلامُ فيه، فما أستغليك - أدام الله عزك - بالجليل، وإنْ كنتَ مستغلياً لي بالقليل، ولا أردّ هذا القولَ عليك ردّ القالب العاكس إليك، لكني أسألك أنْ تتأمّله حقّ تأمّلك، وتلحظه بعَيْن

---

(١) ساقطة في ج.

(٢) ج: الثلم.

عَذْلِك، وتنظر أيّنا الأولى أنْ تقوله أنتَ – أيدك الله – والحاجةُ إليك، والمالُ عليك، وهو جزءٌ لا يتجزّأ من عُرض ما[١] ينفذ فيه حكمُك، ويسيرٌ لا يؤثر في كثير ممّا يشتمل عليه تدبيرُك، أم أنا؟ ! وإنما أحاول بضاعةً مزجاةً شحيحها أعذرُ من الظّالم، وطلبُها أحوجُ من المانع، إنما هذا مَوضعُ التعجُّب، وأعجبُ منه أنْ أنقادَ لمرادك، وأقولَ سمعاً وطاعة لأمرك، غيرَ مُفارقٍ رضاك، ولا[٢] عادلٍ عن هواك، وأُشهدُ الله أني لا أبدؤك بذكرٍ لهذا الأمر، ولا أخطّ حرفاً فيه إليك آخر[٣] الدَّهْر، ولو عرفتُ هذا الأمر لفككتُ نَفْسي من رِقّ الطمع في ممنوعٍ أنت فيه أسوأ منّي حالاً، وكفيتُك الالتجاء معي إلى مضيقٍ أنا فيه أرحب منك مجالاً. وقبلُ وبعد فالأرزاقُ مقسومة، وقد وفّر الله قسطك من مَيْلي ومُوالاتي، ومأخذك من إخلاصي ومُصافاتي، وخفّف قِسَمي من مكافأتك وجزائك، وطفّف سَهْمي من رَدّك وقضائك، فما تصدر بي[٤] المواردُ في ذلك إلّا محبطَ العمل، خائبَ الأمل، منحوسَ[٥] الحظ، مغضوض اللّحظ. وما ذاك لقعود الكرم بك، ولا لقعُود الاستحقاق بي، إنما هو لغلبة المقدور، ونزوله بما ليس في التقدير، وأقولُ حَسْبي الله وكفى.

وأمّا الحكاياتُ عنّي في الطَّعن عليك، ووَضْع[٦] اللّسان بحيث يُضرّ بك، فقبّح الله منّي مستجيزه[٧]، والمرخص لنفسه فيه، أو المعتاد لركوب مَراكبه، واقتعاد مَطاياه، وقبّح

---

(١) (من عرض ما) من: ج فقط، ومكانها في الأصول: ممّا. وفي ر: من جملة ما.

(٢) ساقطة في ج.

(٣) ل: أبد.

(٤) ج: تصدرني.

(٥) ج: مخسوس.

(٦) ل، ف: وضيع.

(٧) ج، ر: مستجيز ذلك.

مَن أدّاه إليك كاذباً متسوّقاً، ودخل به عليك متوصّلاً متنفِّقاً، وغفر الله لك إنْ كنتَ قبلتَه منه، ولم تكن تغنّمتَ الاعتلال بسوء صَنيعك به.

وقد سَمِع منّي أبو علي الحسين[١] بن عليّ - أيّده الله - ما هو يذكره، وعرف من باطن الأمر المموَّه عليك ما يؤدّي الأمانة فيه، والله المطّلعُ على اسْتواءِ سِرّي وجَهْري، واتّفاق باطني وظاهري، وأنني ما رضيتُ قطّ لنفسي ولا لغيري المقام[٢] الذّميم، والخلق اللّئيم، بل أستقبحُ ذلك كلّه على العموم، وأخصّ منه تفضّل الاستقباح الأمر الذي جوّزتَه عليَّ، وقَبِلتَ البَهْتَ المحض من ناسِبه إليَّ، ولا أمتنعُ مع اعترافي بالكثير من عُيوب البشر أنْ أصفَ نَفْسي بالتنزّه عنه، والتجنّب له[٣]، خاصّة. وعَهْدي قريبٌ باستعمال ما يُضادّه ويُنافيه، والتشهّر في مودّتك ومُشاركتك بما يُخالفه ويُعاديه، فلا تقبل - أيّدك الله - عليَّ نبأ الفاسق، ولا تفارق فيَّ بصيرةَ الواثق، فوالله ما لشيءٍ ممّا أُقيم في نفسك صحّة[٤]، ولا أرادَ مُقيمه[٥] لك النّصيحة، ولا زدت[٦] في حال العَتْب الشّديد عليَّ أنْ تركتُ ما كنتُ عليه من النيابة التي لو نَفَقَت[٧] لما تركتُها، ولو عُرف حقُّها لما فارقتُها.

وأمّا ما ذكرتَ - أيّدك الله - أنك تطلقه مستأنفاً للغلام، فإنْ لم يكن الله - عزّ وجلّ - قد عطفك العَطف الصّحيح، وأراك المذهب الرَّشيد، فستعلم أنّ كتابي هذا يَرِد

---

(١) ر: الحسن.

(٢) ج: بالمقام.

(٣) من: ج.

(٤) ج: حقيقة.

(٥) بعدها في ج: فيها.

(٦) ج: زلت.

(٧) ر: ثقفت.

وهو لم يقبضه، ولا حصل على شيءٍ منه، ويكون ذلك إحدى بيّناتي[١] على أنّ الجفاءَ منك لا منّي، والعذرَ معي لا معك.

ولستُ أحبّ أنْ أزيدَ في هذه الخطبة الطّويلة التي لا يكلفها ذوو الأشغال إلّا إذا كانوا[٢] ممّن يستقلّ بالأثقال، ولا ألتمسُ منك إلّا أنْ تفيء إليَّ بُخلّتك، وتلمّ ما شعّثه الواشون من مُعتقدك، ولا تنصرف عن الثّقة بمَن لا ينصرف عنها، ولا تعلّق المودّة بالمعاملة التي ليست منها، وأنْ تأمُر برَدّ هذا الغلام بأيّ النجحيَنْ شئتَ ورأيت، فإنهما يتساويان عندي، ويتعادلان في نَفْسي. وإنْ كان لأحدٍ فيهما فَضْلٌ على صاحبه، فهو الذي يخفّف المِنّة عن ظهري، ويقود إلى تَصْريفي بين أمْرك ونَهْيك، وتَكْليفي ما يعرض من وَطَرك ومهمّك، فإنك تجدني في ذلك على أفضل ما يكون عليه المتمسِّك بعلائقك، الضّنين بوثائقك، ولرأيك أيّدك الله - في ذلك فَضْل صَوابه وسَداده إنْ شاء الله.

---

(١) ر: هناتي، ل، ف، ع، ق: مساءتي.

(٢) بعدها في ج: مثلك.

فصلٌ من كتاب إلى مروان بن حكيم[1]

فلما مضوا لسبيلهم - رضوان الله عليهم - اعتقدتُ أنْ أعتنق ما كانوا له مُعتنقين، وأستدعي إلى المعاضدة على ذلك كلّ نشطٍ لها، وألْتزم حقّ الله فيها؛ فألحّت عليَّ النكباتُ في المال والحال والمنازل والضِّياعَ والنِّعْمة، حتى صرتُ كأحد مَن انقرض، لولا هذا الرَّمَق المتردّد، والأمَل الذي لا يخلو الناسُ منه ما داموا في الدّار الدنيا مُقيمين، ومن أهلها معدودين. ولم يمنعني انْحصاص الجناح، وشدّة الاجتياح من أنْ أطيرَ وأقع، وأقومَ وأقعد في ذلك الاعتقاد الذي اعتقدته، والنيّة التي نويتها بنهاية ما اتّسع له ولو لحظةً بالعَيْن، وإيماءً بالإصبع. وأسأل الله المطَّلع على ذلك منّي، العالم بخُلوص ضَميري فيه، وسرّي أنْ يرزقني نُهوضاً من هذه العَثْرة، وانفراجاً من هذه الغُمّة، وتسهيل سبيل إلى ما أُريده، وأوثره في المصلحة، بمَنِّه وطَوْله.

ووجدتُ أكثر أسباب هذا الضَّعْف والوَهْن إنّما هو عدم الرئيس الراعي، وتخاذُل الرّعيّة المرؤوسة، ونشوئها على سوء الطّاعة، وفَساد العادة، وتشتُّت الشّمْل والجماعة، فكلّ واحدٍ منها رأى أنّ الأمر لا ينتظم به وحده، وأنّ قسطه الأول منه. ومتى أقاموا على هذا الرأي، وعمّهم الدّخول فيه، تَداعى البُنيان، وتَضَعْضَعت الأركان، واستمرّ الانتشار بعد الانتظام، وإذا قمنا بتقليد الأمر مَن يقوم به، ومَن توجب الشّريعة نصبه،

---

(١) طهران.

لم أهتدِ إلى مصدر يعرف بمروان بن حكيم.

والاتِّباع له، لم نجد الاختيار ....[1]، ولا السّاعد يقع. ثم إنْ وقعا واجتمعا لم ينشط المنقوص عليه، وامتنع أشدّ الامتناع لما يراه من ضيق الأحوال، وفُتور النيّات، ونقصان الطّاعة، وتَضْييع الفُروض، والاستخفاف بالحقوق. وهذا داءٌ نحن أطبّاؤه، وعلينا وعندنا دَواؤه. ومتى قعدنا عنه فقد لحقنا بطبقة العامّة في الفشل، وترك العمل، وأخْلَلْنا بما أوجبه الله علينا من الاجتهاد الذي لا عذر لمن تركه، ولا حُجّة مع مَن صَدَف عنه.

وبالله لو كنّا - معشر أهل هذا الدِّين - قطيعاً من غَنَم، أو سَرْحاً من نِعَم، حتى نخلوا من رُعاةٍ ترعانا، وحَفَظَةٍ تحفظنا، لما جاز أنْ يجمع الله منّا ....[2]، ولا يصلح لنا ....[3]. فكيف ونحن أُمّة وإنْ قلّ عددُها لأحداثٍ تعرض فيها للوصايا والمواريث والمنازعات والمداينات والمناكحات والمخالطات، والحاجة إلى تربية اليتامى، وتزويج الأيّامى، وإرفاد الضعفاء، ومُواساة الغرباء، وإقامة الصّلوات، وجباية الصّدقات، وعِمارة المساجد، وإحياء السّنن، وتطرية الرّسوم، وتعييد الأعياد، وتثبيت الدِّين في قلوب أصاغرَ ما عرفوا فضله، وأكابر قد استثقلوا حمله.

---

(١) كلمة غير مقروءة، أقرب قراة لها: نتفق.

(٢) كلمة غير مقروءة.

(٣) كلمة غير مقروءة.

وله فصلٌ من أول كتاب[1]

كتابي عن سَلامةٍ في النَّفْس والدِّين والعِرْض دون ما سوى ذلك ممّا المصابُ به جَلَل، والعِوَض منه منتظر. وقد أسفر ما كنتُ من أجله مقيماً بمَوْضعي هذا الشريف - لا سَلَبني الله ظلّه - وشارفتُ العَوْد إلى دياري على الحال التي تقتضيها آمالي، وتوجبها ثقتي، وبمثلها جَرَت عادة هذه الدَّوْلة العظيم قدرها، النفيس خطرها، العادلة أحكامها، الكريمة أفعالها، والحمد لله ربِّ العالمين.

وإيّاه أسأل إقالة العثرة، وإسْبال سِتْر النِّعْمة، وكشف اللّأواء والغُمّة، وإنزال الرأفة والرحمة، وتوفيقنا للصّواب في متصرّفاتنا، والنّجاح في مَساعينا، وكفايتنا القول الآمال، وانعكاس التّقديرات، وتَصْييرنا ممّن إذا تحرّر نفعه تحرزه، وإذا غفل واسترسل حماه حظّه، وكفته سَعادته؛ فكثيراً ما تصل سِهام الزّمان إلى المتحفِّظ المتيقِّظ، ويطيش عن المتعرِّض المتورِّط، فلا يتعرّى المستجنُّ منها إذا وقع به صائبُها إلّا بالسَّلامة من الملامة، والأخذ بوثائق العذر المانعة من النَّدامة، وأقول: حَسْبي الله كافياً ومعيناً، ومرشداً وموفّقاً، وواقياً لكلّ لاجئ إليه من عباده، ممّا يرى ولا يُرى، يحتسب ولا يُحتسب، وأسأله أنْ يجعلنا جميعاً أهل طاعته وعامّة في حرم أمانه، وتحت الظلّ الظَّليل من إنعامه وإحسانه، بمَنّه وقُدْرته.

(١) طهران.

وكَتَب عن مُحمّد بن بَقيّة
إلى أبي الحسين أحمد بن مُحمّد الجَرْجَرائي الكاتِب(١)

كتابي يا سَيِّدي ومَوْلايَ وكبيري -أطال الله بقاءك- وقتَ الظُّهْرِ من يَومِ الثلاثاء، لتسع ليالٍ خَلَوْن من شَعبان، عن سَلامةٍ والحمدُ لله ربِّ العالمين، وعن تعجُّبٍ شديدٍ طَويلٍ من أمورٍ أشرَحُها لك شرحَ المُسْتوفي، وأُعاتبُكَ عليها عِتابَ المسْتقصي، وهي أنني ما قرأتُ لكَ كتاباً منذ دَخَلْتُ البصرة إلى هذه الغاية إلّا الكتابَ المؤرَّخَ بيومِ الاثنينِ لستٍّ بقِينَ من رَجَب، ولو لم يكُنْ بيننا مهمٌّ يقتضي المواصَلة لَضاقَ عُذرُكَ -أيّدك الله- في ترْكِ المراعاةِ لي بالكتابِ الفارغِ طولَ هذه المدَّة.

ثمّ إنّك -أيّدك الله- خرَجْتَ من حَضرتي وقد رسَمْتُ لك رُسوماً، وحَدّدْتُ حُدوداً، وغيَّرتُ أحوالاً، واستأنفتُ تدبيراً، فنقَضْتَ هذا كُلَّهُ، وعَدلْتَ عنه مستبِدّاً غيرَ مطالِعٍ، ومُمضِياً غيرَ مُستأذِنٍ، وذاك أنّ كتابَ أبي القاسم عليِّ بن الحسين -أيّده الله- وَرَد من منزلِهِ بانصرافِهِ مُكرَّماً مَحبُوّاً، مَحْمولاً مَوْصولاً، مُقلَّداً مُعتمَداً عليه، مُفوَّضاً إليه، فهجَمَ عليَّ من ذلك ما لم تتقدَّمْهُ مُقَدِّمة، ولا جَرَتْ فيه مُقاولة، ولا تردَّدَتْ به مُكاتبة، بل هو ضِدُّ الذي رَسمْتُه، وخِلافُ الذي أنفذْتُكَ له. وغاظَني أنْ يَجريَ الأمرُ هذا المجرى، وأنْ يَسبِقَ أيضاً كتابُه الواردُ كتابَكَ الذي ما وَرَد، ولا

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة. (ل: الجرجاني، خطأ).

الجرجرائي منسوبٌ إلى بلدةٍ بين بغداد وواسط، قريبة على دجلة، تسمّى جرجرايا. السمعاني، الأنساب، ج٢، ص٤٢. وكان هذا يخلف الوزير مُحمّد بن بَقيّة في تصريف أعمال الوزارة وشؤونها في غيابه. أخباره مبثوثة عند مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٣٥٦، ص٣٦٤ على سَبيل المثال.

أظنُّكَ كتبتَهُ إلّا بعد مدَّةٍ من إتمامِك ما أتْممتَه؛ لأنّ كتابَ أبي القاسم - أيّده الله- وَرَد، أمسِ غُدوةً، وقد تَصرَّم يومُنا، وما وَرَد منك شيءٌ البتَّة. فلو لم أُنكِرْ إلّا أنْ يَسبِقَ كتابَك -بمثلِ هذا البابِ- كتابُ أحدٍ من خَلْقِ الله، وأنْ تَرضَى لنفسِكَ بالغَفلةِ والفتورِ، وأنْ تكن الأخبارُ من جهتِكَ مَكرورةً غيرَ بادِئة، ومُعادةً غيرَ مُستأنفَة. هذا إذا كانت الأصولُ مبنيَّةً على الاستقامةِ، فأمّا والخِلافُ لي، والصَّوابُ عندي واقِعٌ من كُلِّ جانبٍ، فما أدري ما أقولُ، ولا كيف أعاتِبُ.

يا هذا الرّجلُ -أدام الله عزَّك- لو كنّا شَريكَيْنِ لوَجَب أنْ تستأذِنّي بحقِّ الشَّرِكة، فكيفَ وأنتَ خليفتي! وقد نَقَضْتَ بما أتيتَهُ تدبيري نقضَ المضادِّ لهُ، العاكِس لطريقي فيه، والله المستَعان.

والذي حُكِيَ أنّك قرَّرتَهُ وهو إمْضاءُ العَقْدِ لسنةِ ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة[1] على عبرته[2]، والإضافاتِ المضافةِ إليه، والاسْتثناءاتِ الجاريةِ معه، ومائةٍ وثمانينَ ألْفَ دِرْهَم أُضيفَت إلى جميعِ ذلك، معقودةً لسَيِّدنا الأمير أبي كاليجار -أدام الله عِزّه- وإيقاع الصُّلْحِ مع أبي القاسم على ثمانمائة وثلاثينَ ألفَ دِرْهَم يصحّ[3] منها ثلاثمائة ألفِ دِرْهَمٍ في شَهْرَيْن، والباقي في ستَّةِ أشهُرٍ يُنجَّمُ منها عن بقايا ضَمانِه للسِّنين، وعن مالِ المصالحين وبَقيّة صُلْحِه الأوَّل، وأنّ هذه الجملةَ تُبَرِّئُه من كلِّ ما كان بيني وبينه، وأنّ

---

(١) الموافقة لسنة ٩٧٣ ميلادية.

(٢) العبرة من مصطلحات ديوان الخراج. عبر سائر الارتفاعات (الأموال المحصَّلة) هو أن يعتبر مثلاً ارتفاع السنة التي هي أقل ريعاً والسنة التي هي التي أكثر ريعاً ويجمعان ويؤخذ نصفهما، فتلك العبرة بعد أن تعتبر الأسعار وسائر العوارض. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٦-٨٧.

(٣) ل: يصحح.

ابنَيْهِ أُطلِقا وهما الرّهينَةُ عنه صَرفناه أو صَرَّفْناه. وقد حيَّرني هـذا وأدهشـني[١]، وعَظُـمَ عليَّ، وبَلغَ منّي بخرُوجِهِ عن الاحتياطِ، ومُجانَبتِهِ الصَّـواب، ومُبَاينتـهِ كـلَّ رأيٍ رأيتُـه، واعتقادٍ اعتقدتُه، وتقديرٍ قدَّرتُه، وترتيب رَتَّبتُهُ.

وصاحبُ ديوان مَوْلانا الأمير عِزّ الدَّوْلة -أطال الله بقاءه وأيّده- يقولُ: إنّ على أبي القاسم من مالِ ضَمانهِ لسنة إحدى[٢]: أَلْفَ أَلْفٍ وستَّمائةِ أَلْفِ دِرْهَم وكَسْراً، وأنّ حِسابَ سنة اثنتَيْنِ وستّين ما رفعه، ولا يَعرِفُ شيئاً منهُ، ويَلزَمُه فيه جُملةٌ أُخرى مثلُ هذه أو دُونَها أو فوقَها، وعليهِ من مالِ المصالحين ما إذا كُشِفَ لزِمَهُ أنْ يَردَّهُ، مُضافاً إلى بقايا الضَّمان.

وكنتُ قبَضْتُ عليه في أوّلِ السَّنةِ لأستنقدَ ارتفاعَها من يَدِه، ولأحصّلَ في الشهْرَيْنِ الأوّلَيْنِ منها ما يَرُوجُ فيهما، وهو على التّقريبِ ألْفا ألْف دِرْهَم، وحسبتُ حِسابي، على أنْ يخرُجَ من هذه الألْفَيْ ألْفِ دِرْهَم في الشهْرَيْن أربعُمائةِ ألْفِ دِرهم للجِراياتِ والنُّزُلِ الواحدِ الذي تقرَّرَ الأمرُ عليه، وللدَّيْلَم ثلاثُمائةِ ألفِ دِرهمٍ، ويبقى ألف ألف وثلاثمائة ألف دِرْهَم تحصُلُ لي من الارتفاعِ إذا حُفِظ، ولم تنبسط فيه مثلُ اليدِ التي كرهتُها وهرَبْتُ منها، وهو[٣] أنْ يُضافَ إلى ذلك ما يَرُوجُ من جهاتِ القاضي الجوريِّ وأبي نَصْرٍ والمصالحين، وثمنِ الأملاكِ والأبوابِ التي تفاوَضْناها وثبَتَتْ في التَّذْكِرة في هذين الشَّهْرَيْن، ويكونُ الجميعُ حَمْلاً إليَّ، فيمشي به أمرِي، وأنهَضُ وأتفرَّغُ لأبي القاسم، فأُطالِبُه بالأموالِ الحاصلة في ذِمَّتِه، وأُضيفُ ما يَرُوجُ منهُ في هذه المدَّةِ إلى ما اعْتدَدْتُ به.

---

(١) من: ل.

(٢) (لسنة إحدى) من ل. والمقصود بها: سنة إحدى وستّين وثلاثمائة.

(٣) ساقط في ج.

ثم إنْ رأيتَ أنْ أُضمِّنَ البلدَ أحداً من كبيرٍ أو صَغير، أو خاصٍّ أو عامّ، أو قريبٍ أو غريب، ضَمَّنْتُه بعد جَوازِ هذين الشَّهْرَيْنِ وتحصيلِ ما لهما والفَوزِ به، وهكذا كُنّا نتفاوَض.

وقد عَرَفتَ رأيي واعتقادي، فما السَّبَبُ فيما عملتَ -أيّدك الله- من هذا التّدبير الفاسِد، والحسابِ النّاقِص، والغَلطِ الفاحِش، وفي تأخُّرِ كتابِك وتركِكَ أنْ تُطالِعَني بكُلِّ دَقيقٍ وجَليل، وكثيرٍ وقليل، كما يعمَلُ النّائبُ بصاحبِه ! وبالله إنِّي إذا تَصرَّفَتْ بي الأفكارُ ظنَنْتُ أنّك فيما استعملتَهُ محتالٌ على أبي القاسم، ومُريدٌ بما أتيتَهُ أنْ يَظهَر مَن استتَر من أصحابِهِ وأسبابِه، أو أنْ تجتذِبَ منه شيئاً يُعجِّلهُ ثم تعودُ إلى تدبيري الذي دبَّرتُه. ويُقَوِّي هذا في نَفْسي تأخُّرُ كتابِك.

والآنَ فقد مضَى ما مضَى، وهو ذا أرسُمُ لك ما ينبغي أنْ تمتثِلَهُ ولا تعدِلَ عنه البَتّة، فإنّه الصَّوابُ الذي لا أرى لنفْسي سِواه، ولا أُطلقُ لك تجاوزَهُ، وهو أنّه إنْ ثبَتَ لك أبو القاسم على أنْ يكون الصُّلحُ ألفَ ألفِ دِرْهَم لمولانا -أطال الله بقاءه- ومائتَيْ ألفِ دِرْهَمٍ لي، ومنسوبةٌ إليَّ وتشترِطُ عليه أنْ يُصَحِّحَ ذلك من خالِص مالِهِ وحاصِلِه، وأنْ تكونَ يدُكَ مع يدِهِ في مالِ الشهْرَيْنِ حتى تحوزَهُ وتأخُذَهُ ولا يتطرَّقَ له تَناولُ شيءٍ منه، ولا التفرُّدُ به، ليكونَ مَـحْسوباً له ومحمولاً إليَّ على يدِك. فإذا انْقضى الشَّهْران، وصَحَّ لك ارْتفاعُهما، واستوفَيْتَ من أبي القاسم صُلحَهُ من حالِهِ وحيلتِه، وقبْلَ أنْ تنبسطَ يدَهُ انبِساطَ التفرُّدِ والاسْتبدادِ في المال، خَلَّيتَهُ وباقيَ شُهورِه، والقِيامَ بضَمانِهِ بعد أنْ ترُدَّ ابنَيْهِ إلى الارْتهان، وإنْ لم يَثبُتْ على هذا ونَكَل عنه، أو حاولَ الحيلةَ عليكَ، حَرستَني وصُنْتَ ما بيني وبينَك، وأقَمتَ ونظَرْتَ ودَبَّرتَ، وجَمَعْتَ الأموالَ واسْتوفَيْتَ على

المصالحين، ورَددْتَ أبا القاسم وابنَيْهِ وأسبابَهُ وغِلمانَهُ إلى الاعتقال، وجَدَدْتَ بهم في تصْحيحِ الأمْوال، وتلافَيْتَ ما جَرى واسْتدرَكتَهُ، فإنّه غَلَطٌ عظِيمٌ على مَوْلانا -أطال الله بقاءه- وعليَّ وعلى نفْسِك.

وإنّا مع هذا صائرونَ إلى البصرة وغيرُ متأخِّرين، ومُدَبِّرونَ الأمرَ بما يوجِبُه الصّوابُ بإذن الله. فاعملِ الآنَ على أحدِ هذين الأمرَين، واستَوْفِ حُدودَ ما تختارُه منهما، ولا تعدِلْ عن شيءٍ منها، وبادرْ إليَّ بكتابِك بأنَّك قد فَعلتَ ذلك، واستأنفِ المكاتَبة[1] والمواصَلة بشَرحِ ما أُراعيه إنْ شاء الله.

---

(١) ساقطة في ج.

وكَتَب عن صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة لأهلِ واسِط(١)

هذا كتابٌ من صَمْصام الدَّوْلة

لجماعةِ الرّعيّة بواسِط

إنّا أمَرْنا بإعْزازِكُم وصِيانتِكم، والذبِّ عنكُم، وأنكَرْنا ما بلَغَنا أنّ بعض العُمّال عامَلَكم به من الإرْهاقِ والتَّعَسُّف، والتأوُّلِ والتحيُّف، ورأينا إزالةَ ذلك عنكم، وحمْلَكُم على العَدْلِ الذي نُؤثُرهُ فيكُم، وإضافةَ الإحسانِ إليه، ونظَرْنا لكُم من عُدّة أبوابٍ من أبوابِ معاملاتِكُم بمائةِ ألفِ دِرْهَمٍ تَوخِّياً لإرفاقِكُم، واعتماداً لوِفاقِكُم، فكونوا جميعاً بذلك واثقين، وممّا خالفَهُ آمِنين، وعلى ما نعتَقِدُهُ من الجميلِ فيكم معوِّلين، وليَشمَلَكمُ الاستقرارُ والطُّمأنينة، وليَسْتَوْلِ عليكمُ السُّكون والثّقة، وانبَسِطوا في أمورِكُم، وأقبِلوا على معايشِكم، واشكُروا الله على ما ألْهمناهُ من التّرفيه لكُم، وحُسنِ السِّيرة فيكم، واستَديموا ذلك من إنعامِنا عليكُم، وإحْسانِنا إليكم.

---

(١) ليدن.

مَلَك صَمْصام الدَّوْلة سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٣م، وسمله أخوه شرف الدَّوْلة سنة ٣٧٩هـ/ ٩٨٩، ثم قتله ابنا عِزّ الدَّوْلة سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٨٨، ص٤٢٦، ص٥٠٦.

نُسْخة مَنْشورٍ كُتِب للمجوس
في شَوّال سنة خمسٍ وسَبْعينَ وثلاثمائة[١]

هذا كتابٌ من صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة أبي كاليجار
ابن عَضُد الدَّوْلة وتاجِ المِلّة أبي شُجاع بن رُكْن الدَّوْلة أبي عليٍّ
مَوْلى[٢] أمير المؤمنين
لجماعة[٣] المجوسِ من ولدِ آذرباذ بن مارسفند[٤]

إنَّكم مَتَتُّم إلينا بما عقدَ اللهُ - عزّ وجلّ - ورسولُهُ - صلّى الله عليه وسلَّم - لكم من العَهْد والذمّة، وما تأكَّدَ بنا لكثيرٍ منكم من الحقِّ والحُرْمةِ، وأظْهرتُم كِتاباً في أيديكمْ

---

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، سيلي أوك. (التاريخ ساقط في ط).

(٢) ساقطة في ر.

(٣) ر: بجماعة.

(٤) كان آذرباد موبذ موبذان (أي: قاضي قضاة المجوس كما عرّفه الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٦) وقد عاصَرَ ماني (القرن الثالث الميلادي) وناظَره بين يدي الملك بهرام بن بهرام في مسألة قطع النسل، وتعجيل فراغ العالم التي يدعو إليه ماني، فغلبه بالحجّة، فأمر الملك بقتل ماني. ابن حزم، الفصل، ج١، ص٣٧. وذكره ابن حزم مرة أخرى في رسالته (البيان عن حقيقة الإيمان) في حديثه عن الكفر والإيمان (آذر باذ الموبذ). رسائله، ج٣، ص٢٠٢. وذكره في رسالة أخرى (آذر باذ بن مار أكسفند)، فعلّق محقق الرسائل إحسان عباس أنّه ورد في نُسْخة خطية من نسخ الكتاب: (آذر باذ بن مارسفند). رسائله، ج٤، ص٢٩١. وهو الشكل الذي جاء عند الصابي.

من أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالبٍ[١] – صلواتُ الله عليه – اشتمل على ما يوجب إيمانكم على النُّفوس والأموال، وحِياطتكم في الأملاكِ والأحْوال، وإعفائكم من أداء الجِزْية التي يُؤَدِّيها أهلُ ملَّتِكُمْ، لأسبابٍ أوْجَبَتْ ذلك لكم، ولكلِّ راجعٍ بنسبه إلى أبيكم، وتوصية[٢] المسلمين من الوُلاةِ والرَّعايا[٣]، والسَّلف والخلفِ، بالحياطَةِ من ورائكُمْ، والذَّبِّ عَنْكم، والصِّيانةِ لحريمكم، والكفِّ عن كلِّ[٤] ما حازتْهُ أيديكم من ناطقٍ وصامتٍ، وطارفٍ وتالدٍ، وأنْ لا تُلزموا عن ذلك مؤونةً، ولا تُطالِبُوا[٥] بمعونةٍ، ولا تُعارَضوا في إقامةِ رسومِ دينكُمْ، ولا تُمْنَعوا من حضورِ بيوتِ نيرانِكُم، ومن مرمّة ما يَسْترِمُّ منها، ومن مَشاهدكم، ولا تُعارضوا في استيفاء حقوقكم، واستغلالِ مُستغلّاتكم وضِياعكم ووُقوفكم وصَرْفها فيما سُبِّلَتْ له من أبوابِ البرِّ فيكم، وأنْ تُجْروا على ما أنتم مرسومون[٦] به من الرِّياسةِ على أهْل مِلَّتكم، ومن جباية ما يجتبيه المنتصِبُ لرياستكُم، وهو دِرْهَمٌ واحدٌ في السَّنَةِ من كُلِّ رَجُل ممّن سِواكم من أهْلِ مِلَّتكم، وأنْ تَمضيَ قضاياه بيْنكم، وتنفذ حُكُوماتُهِ فيكم، ولا تشارَكوا في أُصولِ مَواريثكم وفُروعها وفُضولها وقليلها وكثيرها، ولا تُداخَلوا في شيءٍ منها لما حَكاهُ أمير المؤمنين عليٌّ بنُ أبي طالبٍ عن رسولِ الله – صلّى الله عليه وسلَّم – من حَظْر التَّوارُث

---

(١) لم أجد فيما اطّلعت عليه من مصادر أي أثرٍ لهذا الكتاب، لكنني وجدتُ قوله إن رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم وأبا بكر وعمر أخذوا الجزية من المجوس. وقوله: أنا أعلم النّاس بهم، كانوا أهل كتابٍ يقرأونه، وعلمٍ يدرسونه، فنُزِع من صدورهم. أبو يوسف، الخراج، ص١٤٣.

(٢) ف: ترتضيه.

(٣) س: الرعاة.

(٤) ما بعد هذا ساقط في ط.

(٥) ف: تطلبوا.

(٦) ف: موسومون.

بين الملل المُخْتلفةِ[١]، إلى غير ذلك ممّا اشتمَلَ كتابُهُ عليه من تـوفيتكُمْ مـا توجبـه الذِّمَّـةُ المرعيّة، والوثيقةُ الوكيدة، والشَّرائطُ المَشْروطة، والحُدود المحْدودَة.

وسَألْتُمْ حملَكُمْ على جميع ذلك، وإمْرارِ عَقْدِهِ لكم، وإمْضَاء رَسْمِهِ فِيكم. فرأينا إجابتكم إلى مُلْتمسكم، وإسعافَكُم بمسألتكم طاعةً لله عزّ وجلّ، ولرسولِه صلّى الله عليه وسلَّم، واتِّباعاً لوصيّةِ أمير المؤمنين صلواتُ الله عليه، في كِتابه المقدَّم ذِكْرَه، وأمْرِه الواجب امتثالَهُ، وقَضَيْته المعمولِ عليْها، وسيرته المأخوذِ بها؛ فكونوا جميعاً إلى ذلك ساكنينَ، وبه واثقين.

ومَن قَرأ كتابَنا هذا من طبقاتِ الأوْلياء، ووُلاةِ الخراجِ والمعونةِ والحِسْبة والأحْكام والمواريثِ وسائرِ الأعْمال؛ فَلْيحملْ كُلَّ صغيرٍ وكبيرٍ من وَلَدِ آذرباذ بن مارسفند عليه، وليعاملْهم من الإسعاف بمنافعهم، والكفّ عن مَضارِّهم بحسبه، ولْيحذروا من مخالفتِهِ ومجاوزته[٢]، إنْ شاء الله.

وكَتَب في شَوّال سنة خمسٍ وسبعين وثلاثمائة[٣].

---

(١) يشير إلى حديث النبي صلّى الله عليه وسلَّم: «لا يَتوارَث أهلُ مِلَّتَيْن» الذي أخرجه ابن ماجـه في سننه، ج٢، ص٩١٢ (رقم ٢٧٣١).

(٢) ر: تجاوزه.

(٣) الموافقة لسنة ٩٨٦م.

وكَتَب إلى أهلِ الرَّقّة
في شَوّال سنة خمسٍ وسبعينَ وثلاثمائة[١]

الرّعيّةُ – أعزَّكم[٢] الله – حقيقةٌ بالاجتماع على طَلَبِ السَّلامة، وسُلوكِ مذهبِ الاستقامة، وطاعةِ السُّلْطان ووُلاةِ أمرِه، ومخالفةِ الشّيطان وما ينزغُ به.

وتأدَّى إلينا ما كان من تبسُّطِ سُفهائكم وإجرائهم إلى ما تُستَرْعَوْنَ[٣] فيه، ووُرودِهم على ما تُذمّ مَصادره ومَوارده[٤]؛ فأنكَرْنا عليهم أنْ[٥] أجرَوْا إليه، وعلى حُكمائكم وأماثِلكم أنْ تَركوا الأخْذَ[٦] على أيديهم فيه. ولولا كراهتُنا اختلاطَ البريء بالسَّقيم، والبَرِّ بالأثيم، ورجوعُنا إلى عادتِنا في الحِلْم، وسَجيّتنا في الكَظْم، ولا سِيَّما في الهفْوةِ البادئة التي لم تتقدَّمْها أختٌ لها، ولا قرينةٌ تُشاكلُها، لاستعمَلْنا في هذا الأمرِ ما السِّياسةُ توجِبُه، والتدبيرُ مُقتضٍ له، لكنّنا عامدونَ لهذه الجريرةِ على أنْ تكونَ وحيدة، وصافحونَ عنها على أنْ تكونَ فريدة، وداعونَ لكم[٧] إلى اغتنام عَفْوِنا، واستدامةِ ما امتدّ عليكم من ظِلِّنا، وشَملكم من إبقائنا وإحسانِنا، وأنْ تحكموا سُفهاءَكم، وتضبِطوا

---

(١) باريس، طهران. (التاريخ ساقط في ط).

سنة ٣٧٥هـ توافق سنة ٩٨٦م.

(٢) ج: أعزك.

(٣) في الأصل: تسترعوا.

(٤) من: ط فقط.

(٥) ط: ما.

(٦) غير واضحة، هذه أقرب قراءة لها.

(٧) ج: لك.

أحداثكم، وتجتمِعوا على طاعةِ الوُلاة عليكم، وتجتهـدوا في شُـمولِ السَّـلامة والنِّعْمـة لكم.

وقد كاتَبْنا أبا الهيثم السَّرِيَّ بنَ الحسين الحُصَيْني[1] بما هو عاملٌ عليه من إيناسِ وَحْشتِكم، وتَسْكينِ نَفْرتِكم، بإذنِ الله[2]، فرأيُكم - أحسَنَ اللهُ رعايتكم - في العمل بذلك إنْ شاء الله.

(١) ط: فلاناً.

(٢) ما بعدها ساقط في ط.

وكَتَب عن صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة إلى أبي العلاء عُبيدالله بن الفَضْل في جواب كتابه الوارد عليه بالظَّفَر بأهل الاقتباس[١]

وَصَل كتابك - أدام الله عزك - المؤرَّخ بوقت الظهر من أمسنا وهو يوم كذا، تذكر ما سهّله الله لك، وأجراه على يدك، وبيُمْن تدبيرك، وبركة خدمتك من الإيقاع بالعُصاة أهل الاقتباس، وإذاقتهم وَبال ما كانوا عليه من خَلْع الطّاعة، وشَنّ الغارة، واستباحة المحارم، وارتكاب العظائم، وإثخانك فيهم قَتْلاً وأسْراً، وتشريداً وتشتيتاً، وفهمناه، وحمدنا الله عليه، وشكرنا ما أولى فيه، وحسن منا موقع أثرك، وتضاعف فيه جميل معتقدنا فيك ولك، وارتضينا فعل الأولياء في الخفوف إليه، والمناصحة فيه. وسبيلك أنْ تبحث عن أموال هؤلاء القوم وتثمّرها، وتستدركها وتحصّلها، وتكتب بما يصحّ منها، وتتقدّم بقصّ أثر الهاربين حتى تلحقهم بالهالكين، وتشيع الرهبة في سائر سَقْي الفرات[٢]، وتتوخّى طوائف الأشرار والخرّاب، ومخيفي السُّبُل، والسّاعين في الفَساد

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص١١٢.

لم أهتد إلى المقصود بأهل الاقتباس، لكن عبيد الله بن الفضل من رجال البويهيين، ذكر الروذراوري أنّه حينما خُلع على أبي الحسين أحمد وأبي طاهر فيروزشاه ابني عَضُد الدَّوْلة للتوجه إلى شيراز وأعمالها، خرج معهما أبو الفتح أخو أبي العلاء عبيد الله بن الفضل برسم النيابة عن أخيه في مراعاة أمرهما. ذيل تجارب الأمم، ص١٠٠.

(٢) سَقْي الفرات ودجيل في مناطق غربي دجلة. انظر تقسيماتها عند: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٣٨٣؛ قدامة، الخراج، ص١٦١.

بالتتبُّع لهم، ووَضْع اليد عليهم، فإنّ بحسب النكاية في أهل الجهل والدَّعارة سُكون أهل السَّلامة والاستقامة، فرأيك في العمل بذلك، والمطالعة بما يوفّقك الله له، مستأنفاً من مثل هذا الفعل الرّشيد، والمقام الحميد، وبسائر الأمور التي ترى عينها، وتحتاج إلى معرفة مجاريها، مُوَفَّقاً إنْ شاء الله تعالى، والسَّلام.

وكَتَب[١]

كتابي – أطال الله بقاء سَيِّدي – عن سَلامةٍ جعله اللهُ مخْصوصاً بأشْملِها، ومَمْنوحاً بأكْملِها[٢]، ومُمتَّعاً بها، وبالنِّعم كُلِّها، والحمدُ لله حَمْدَ المُسْتَزيد فيما أوْلى، والمُسْتَديم لما أعْطى.

وقد تَراخى المدَى بين ما قدَّمْتُه إلى حَضْرة سَيِّدي من الكُتبِ وبين هذا الكتابِ الذي جدَّدْتُ به العَهْد، وما كان ذلك للتَّقْصير، ولكنْ للتخفيف، ولأنّ ما أتوَلّاه من الخِدْمةِ في صادِر المكاتبات ووارِدِها، بين الحضْرة الجليلة وبينه يدعو إلى الاقْتِصار، ويَنْهى عن الإكْثار، ويكْفِي من الإخْبار والاستخبار، واللهُ – تعالى – الشّاهدُ أنّني ما أخُطُّ إليه حَرْفاً إلّا اتّبَعْتُه من الشَّوْقِ لهفاً[٣]، ولا أقْرأُ[٤] من كُتُبِه الدّالةِ على سَلامتِهِ سَطْراً إلّا أحْدَثْتُ[٥] لله عليه شُكْراً، وفي عِلْمِهِ بقديمِ وحديثِ تُخصِّصي[٦] به، وتحقّقي بمُوالاتِهِ ما أغْناني عن إيجاز قولٍ في الإشارةِ إليه، فَضْلاً[٧] عن إطالتِهِ في البُرْهان عليه. لا سَلَبه الله الفضل ولا سَلَبنيه فيه، ولا أخلاهُ من الطَّوْلِ، ولا[٨] أخلاني من الاعتدادِ له له به[٩].

(١) باريس، طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، سيلي أوك.

(٢) ك: لأكملها.

(٣) ف: ولهفاً.

(٤) س: أقر.

(٥) س: حدثت.

(٦) ب: تخصيصي.

(٧) ساقطة في س.

(٨) س: وإلا.

(٩) ينتهي النص هنا في س.

(١)وكتب إليّ صاحبي المُقيمُ بحضرتِهِ، يذكِّر ما وفرهُ عليه من عِنايتِهِ، وصَرَفه إليه من رعايتِهِ؛ حتى راجَ له ما راجَ من مال تَسْبيبي(٢)، فَشَكَرْتُ ذلك شُكْراً، صَدْري غاصٌّ به، ولساني قاصرٌ عن شَرْحِه.

وقد عَلِمْتُ منذ ابتداء الغلام(٣) بإنْفاذ ما أنْفَذَ من السُّفَيْتجات(٤) أنها دَفْعُ بَحْرِه الزّاخِر، ونَفَحاتُ جُوده الغامِر، وثمراتُ نَوْءه الماطِر، وإلّا فقد كان المرام أعَزّ، والمالُ أعْوَز من أنْ يَفْضُل منه ما يُصْرَفُ إليَّ، ويكونَ في زاجيه ورائحِه نصيبٌ لي(٥)، حفظ(٦) اللهُ عليّ ما منحنيه(٧) من رَأْيه، وحَفظ لي ما أعتقدُهُ من وَلائه، وأراني غرَّتَهُ التي تَمَنّيها شُغْلُ خاطِري(٨)، والظَّفَرُ بها جلاء ناظِري، بمنِّهِ وقُدْرته.

وما أحْتاج، وقد أسْلفني ما أسلَفَ في الماضي(٩) أنْ أسْأله شيئاً في الباقي؛ لأنّه أحْوطُ على نِعْمته وقد سبغَتْ من أنْ تقلص، وأغْيَرَ على مِنَنه وقد طالَتْ وزادتْ من أنْ

---

(١) من هنا تبدأ الرسالة في ب.

(٢) التَّسْبيب هو أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليعين المسبب له العامل على استخراجه فيجعل ورداً للعامل وإخراجاً إلى المرتزق بالقلم. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٨.

(٣) ب: العلاء.

(٤) ب، ف، ع: السفتجات. والضبط من س. وهي تصغير سُفتجات، وهي ما يُعرف في المعاملات التجارية اليوم بالحوالة المالية. انظر: القونوي، أنيس الفقهاء، ص٨٢؛ قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٢٤٥.

(٥) ساقطة في ف.

(٦) ف: في حفظ.

(٧) ف: يخفيه.

(٨) ف: خاطرين، ...... ناظرين، وما بعده ساقط في ب.

(٩) أي: الأمير الراحل.

تَنْقُص، وإنّما أسْأَلُ إيصالي إلى ما وراء ذلك من عَوارِفِهِ، بتَشْريفي بجَوابِه، وتصريفي بين أمْرِه ونَهْيِه، وتأْهيلي ليسيرٍ من خِدْمتِه، وإثباتي في جريدة أهْلِ ثقته، وتَحْصيلي في ذِمامِ[1] كفالته وإيالته، إذ قد اعتددتُه مَوْلىً ليعتدني عَبْداً، واتّخذتُهُ مُسْتجاراً؛ ليتخَّذَني جاراً، واعتقدتُه صاحباً؛ ليعتقدني مُسْتَصْحباً.

فإنْ رأى سَيِّدنا أنْ يأتي في ذلك ما هو به حَقيقٌ، وأنا له مُسْتحقٌّ، فَعَل إنْ شاء الله.

(١) ر: زمان.

وكَتَب إلى أحد الكبراء
في أمرٍ مالي[1]

كتابي - أطال الله بقاء مَوْلاي - عن سَلامةٍ أحمَدُ اللهَ عليها، وأسألُه أنْ يجمَعَ بيننا فيها.

ووَصَل كتابُ مَوْلاي جَواباً عن كتُبي السّابقةِ إليه، وفِهمتُه. واشتَدَّ شَغَفي به، واسْتِرواحي إليه، وأُنسي بمُتضمَّنِه، وحمدتُ اللهَ تعالى على ما دَلَّ عليه من انتظام أمورِه، واطّرادِ شؤونِه، وسألتُه داعياً إليه أنْ يُضاعفَ النِّعَم عليه، ويُظاهرَها ويزيدَ فيها لدَيْه.

فأمّا ما أورَدَه مَوْلاي من العُـذر في تـأخُّر المكاتَبـة، ونُقصـانِ المواصَـلة، فجميعُـه صحيحٌ غيرُ مدفوع، ومعروفٌ غيرُ مجهـول. وبـالله أحلِـف، إنّنـي مُواظِـبٌ عـلى نيّتـي وطَوِيَّتي، وخالِصتي ومودّتي، ومُقيمٌ على أفضل ما وَكَّده اللهُ بينـه وبينـي، وواثـقٌ منـه بمثلِ الذي عندي، ولو أعفاني الزّمان من نوائبِه، وحَماني جميعَ شوائبِه لمـا رضِـيتُ عنـه، وقد فرَّقتْ صُروفُه بيننا، وباعَدَتْ بين مَنازِلِنا، وكيف ومَشاربُه غيرُ صـافية، وجُروحُـه إلى هذه الغاية غيرُ عافية؟ جَعَله اللهُ في أمانٍ من محذورِها، وتحتَ ظلٍّ ظليلٍ من مَخُوفِها، وأنا على تصرُّف هذه الأحوال مُواظبٌ على أفضل ما عُهِدَ منّي مَناباً عنـه، واعتناقـاً لمـا يَخُصُّه، واهتماماً بما يهُمُّه، وخلافاً له عند كلِّ ذكرٍ يَمضي، وخطابٍ يجري، وبالله أستعينُ على ذلك.

---

(١) باريس. (العنوان فيها: وكتب). وهي آخر رسالة في هذه القطعة.

وأمّا السُّفْتَجةُ[١] المُنفَذةُ ....[٢] من التَّسْبيب[٣]، فقد وَصَلتْ، وشكرتُ أوّلَ تفضُّل مَوْلاي وآخِرَه، وسابقَه ولاحقَه، وسالفَه وآنفَه، وسألتُ اللهَ - عزّ وجلّ - ألّا يُخليَني منه ولا يَعدِمَنيه، والمواهب[٤] الجليلةَ عنده وفيه.

ولكتاب مَوْلاي عندي الموقعُ الذي يَعلَمُه، ولا سِيَّما إذا ضمَّنَه عارضاً من عَوارض أمرِه ونَهْيِه، وطَرَفاً من أوْطارِه ومآربِه. فإنْ رأى أنْ يُنعِمَ بذلك زائداً في عَوارِفِه، ومُضاعِفاً لِمِنَنِه، فَعَل إنْ شاء الله.

---

(١) تقدّم تعريفها في الرسالة السابقة.

(٢) كلمة غير مقروءة، أقرب قراءة لها: بالتقية.

(٣) تقدّم تعريفه في الرسالة السابقة.

(٤) في الأصل: المواهبة.

وكَتَب عن صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة إلى الصّاحب بن عَبّاد وزير فَخْر الدَّوْلة في رَدِّ إقطاعٍ إلى أبي جعفر مُحمّد بن مسعود قرينَ كتابٍ إلى فَخْر الدَّوْلة[1]

كتابُنا، والسَّلامةُ لدينا راهنة، وعادةُ الله لإقرارها ضامنة، والحمد لله ربِّ العالمين، والصاحب الجليل كافي الكُفاة - أدام الله تأييده - يعلم أنّه لم يزل لممالكنا أفنيةٌ تُقام بها أسواق المكارم، وتحيا بها سُنن المحامد، وقد جعله الله بتفضّله الحافظ لجمال ذلك علينا، والضّارب بسَهْمه فيه معنا، فالحمد لله على أنْ قرن الحظوظ التي خوّلنا، والمنازل التي نوّلنا، بالخلائق الخليقة بها، الداعية إلى استقرارها، والطّرائق المطرقة إلى ثباتها واستمرارها، وأنْ زان أيّامنا هذه الحاضرة، بآثار الصّاحب كافي الكُفاة - أدام الله عزّه - فيها النّاضرة، ومَساعيه الرّشيدة، وأفعاله المستقيمة، وأحاديثه الجميلة، وإيّاه نسأل أنْ يجرينا وكلّ ناصحٍ على أفضل ما عوّدنا، وأحسن ما أولاه ومنحنا، بقُدْرته.

وإذا كان مَوْلانا الأمير السيد شاهانْشاه فَخْر الدَّوْلة وفَلَك الأمّة بالمحلّ الذي أهلّه الله له، من استعذاب الإحسان إلى أوليائه، وافتراض الإفضال على نصحائه، وكان الصّاحب الجليل بالحال التي هو بها من القيام بما حمل به المناب فيه عنه، فقد وجب أنْ

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص٥٦٣.

مُحمّد بن مسعود بن ماكُولة كاتب الأمير أبي نصر ابن عَضُد الدَّوْلة، كما ذكر الصابي في رسالةٍ لاحقة.

تكون الرّعاية لذوي الحرمات مستحكمة الأسباب، ثابتة الأطناب، واضحة الأعلام، ماضية الأحكام، ولا سِيَّما فيمَن تعلّق منا بالعناية، وأخذ من ذِمامِنا بالوثيقة.

وأبو جعفر مُحمّد بن مسعود - أيّده الله - جامعٌ للمَواتّ، التي يستحقّ بها اجتماع العنايات، سالفاً صالحاً في الخدمة، وسابقة متمكنة في الجملة، واشتمالاً على كلّ ما وجبت به الحقوق، ولزمت به الرعايات. وذكر أنّه كانت له بنَواحي الجبل[1] تَسْويغاتٌ[2] ومَعايش أنعم بها مَوْلانا الأمير السَّيِّد فَخْر الدَّوْلة عليه في حالٍ بعد حال، وشرّفه بها في مقامٍ بعد مقام، منها كذا وكذا. وإذا جمع الجميع كان قليلاً في جنب ما يفيضه مَوْلانا الأمير السَّيِّد شاهانْشاه فَخْر الدَّوْلة وفَلَك الأمّة على خَدَمه، من جليل عَوارفه الجارية على يد الصّاحب الجليل كافي الكُفاة - أدام الله تأييده - والواصلة إلى مستحقّيها بلطيف توصّله، وجميل مُعتقده. وكان موقعه جليلاً عند أبي جعفر مُحمّد بن مسعود - أيّده الله - في جنب ما يصلح من شأنه، ويقيم من جاهه، ويربّ من معايشه، ويلمّ من حاله.

وقد كتبنا إلى مَوْلانا في ذلك كتاباً مجملاً قصرناه على الرغبة إليه، في ردِّ هذه المعايش عليه، وعوّلنا على الصّاحب الجليل في إخراج أمره العالي بذلك له، وإحكام المناشير والوثائق بجميعه، والتقدّم بمكاتبة العُمّال والوُلاة بتقوية أيدي أصحابه، في استيفاء ما يجب من الأسلاف والبقايا على الأَكَرَة[3] والمزارعين والوكلاء والمعامَلين،

---

(١) بلاد الجبل أو الجبال هو الإقليم الواقع شرق العراق، وهو ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والرَّيّ وما بين ذلك من البلدان. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٩٩.

(٢) التَّسْويغ: أن يسوّغ الرجل شيئاً من خَراجه في السنة. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٦.

(٣) تقدّم تعريف الأكَرَة، ج٢، ص٤٣.

وتأكيد الكُتب بغاية ما تؤكّد بـه أمثالهـا، ويبلـغ بـه أبـو جعفـر محابـه كلّهـا. فـإنْ رأى الصّاحب الجليل أنْ يأتي في ذلك كلّه مـا يجـده ويعـده، ويرعـاه ويحفظـه، جاريـاً عـلى المألوف من مُثابرته على ما عاد علينا وعليه معنـا بطيـب الـذِّكْر والبشـر، وثنـاء اليـوم والغد، فقد أنفذنا بهذا الكتاب ركائـب لنـا دلالـة عـلى خصـوص متضـمّنِه في تعلّقـه بالاهتمام منّا، فَعَل إنْ شاء الله تعالى.

وله نُسْخة مقاطعةٍ عن قَراح[١]

هذا كتابٌ لفلان بن فلان

كتبه له إسحاق بن المقتدر بالله، وأحمد[٢]، وآمنة[٣]

ابنا إسحاق بن المقتدر بالله صلوات الله عليه

في صحّةٍ من أبدانهم وعُقولهم، وجَوازٍ من أمرهم، أنك كنتَ ابْتعتَ من دِمْنة[٤] والدة إسحاق بن المقتدر بالله - رحمة الله عليها - جميع القَراح المعروف بقَراح التّين من أرض القرية الجارية في إيغارنا[٥] المعروفة بالمرزبانيّة من رُسْتاق نهر

---

(١) طهران.

يسمّي أهل بغداد البستان قَراحاً، وفي بغداد عُدّة محال تسمى بقَراح مضاف إلى رجل يعرف باسمه، لأنها كانت قديماً بساتين، ثم دخلت في عمارة بغداد. ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٠٧١.

(٢) وهو الذي تولى الخلافة سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م بلقب القادر بالله. وتوفي سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م.

(٣) كان هناك نزاع بين أحمد وآمنة ابني إسحاق على ضيعة. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٤٧.

(٤) وقيل: تُمْنى. مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص٣٠٠؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص٧٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٤٣.

(٥) الإيغار: أن يوغر الملك لرجل الأرض يجعلها له من غير خراج. قال: وقد يسمى ضمان الخراج إيغاراً، وهي لفظة مولَّدة. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٨٧ (وغر). ولا يسمى الإيغار إيغار حتى يأمر السلطان بحمايته فلا تدخله العمال لمساحة خراج ولا مقاسمة غلة، فيكون الإيغار لعقبه من بعده على مر السنين خلا الصدقات. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٩١.

الزُّفَيْل[١] من طَسُّوج بادوريا[٢]، وتجمعه حدودٌ أربعة: حدٌّ منهـا ينتهـي إلى نهـر يُعـرف بنهر البدان[٣]، وحدٌّ ثانٍ ينتهي إلى[٤] قَراحٍ يُعرف بقَراح بربرى[٥]، وحدٌّ ثالث ينتهـي إلى نهر الجديد[٦]، وحدٌّ رابع[٧] ينتهي إلى نهر الزُّفَيْل. وشرب هذا القَراح من نـاعورة رحـى المرزبانية، وله رَقّة[٨] شاغرة على نهر الزُّفَيْل ودولاب.

---

(١) نهر يصب في دجلة ببغداد مأخذه من نهر عيسى، وهو الذي عليه قنطرة الشوك، ويصب في دجلة عند الجسر، منسوب إلى الرفيل، واسمه معاذر بن خشيش بن أبرويز بن خشين بن خسـروان، وإنما سمي معاذر بالرفيل لأنه لما قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليجدد إسلامه، وكان قد أسلم على يد سعد بن أبي وقاص، ودخل على عمر وعليه ثوب ديباج يسحب على الأرض، فقال عمر: من ذا الرفيل، فصار له اسماً علماً. ياقوت، معجـم البلـدان، ج٥، ص٣٢٠، وقـال ابن عبد الحق: هو اسمٌ لأعلى النهر الكبير المعروف بنهر عيسى القديم، وكان يرمي فاضـله إلى نهر الصراة، فاستخرج عيسى بن علي هذا البر الـذي يرمـي إلى دجلـة عنـده قصـره، ليكـون جارياً عنده؛ فسمي بنهر عيسى لذلك. مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٤٠٢، وانظر بعض أعمال البويهيين فيه عند: مسكويه، تجارب الأمـم، ج٦، ص٣٩، ص٢٠٣؛ الصـابي، تحفـة الأمـراء، ص٢٨٠؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص١٧٠، ص١٧٩.

(٢) من كور نهر عيسى في الجانب الغربي من بغداد. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣١٧.

(٣) الحرفان الثالث والرابع بدون نقط، ولم أهتد له.

(٤) تضبيب بالحبر، أقدّر أنه: ينتهي إلى.

(٥) بدون نقط، ولم أهتد له.

(٦) انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٩٤.

(٧) في الأصل: أربع.

(٨) الرَّقّة: كل أرضٍ إلى جانب وادٍ ينبسط عليها الماء أيّام المد ثم ينحسر عنها. وقيـل: الأرض التـي نضب عنها الماء. ياقوت، معجم البلـدان، ج٣، ص٥٨؛ ابـن منظـور، لسـان العـرب، ج١٠، ص١٢٣ (رقق).

وصار ذلك لك، وفي ملكك ويدك. وكان يومئذٍ خراباً عطلاً مَواتاً ....[١].

وطالبناك بعِمارته من أجل أنّه جارٍ في إيغارنا، فذكرتَ بُعْد الأمر عليك فيها، لما هو عليه من الانسداد والدُّروس، والتَّعطُّل والدُّثور، وأنك تحتاج إلى جملةٍ عظيمةٍ للنّفقة عليه حتى تُقلب أرضه بالبلات[٢]، ويُستخرج ما فيه من البيار[٣]، وتُقفل تلوله وجبابينه، ويُعاد بناء دولابه الخراب، وتُزرع زُروعه، وتُنشأ غُروسه، وتُربى بما يُربى به أمثالُها، ويُحوَّط عليها بسورٍ يحصّنها ويمنع منها؛ فرجعنا إلى تأمّل ما ذكرتَه من حال هذا القَراح، فوجدناك صادقاً في جميعه، وعلمنا أنّ عِمارة مثله لا تتمّ إلّا في المدّة الطّويلة، وبالنّفقة الكثيرة، وبذلنا لك أنْ نحملك في مُعاملته على رَسْمه القديم الصّحيح في القطيعة، من غير زيادةٍ عليها، فأقمتَ على أنّ ذلك غير ممكن لك، لعظيم ما تحتاج إلى التزامه عاجلاً من النفقة الوافرة لإحياء هذه الموات، والْتمستَ أنْ نُقاطعك عنه مقاطعةً مُؤبّدةً على مرور السّنين، لتتكلّفَ عِمارته، والنّفقة عليه، فناظَرْناك على ذلك مناظرةً استقرّت على أنْ قاطَعْناك عنه على ثلاثمائة دِرْهَم وَرِقاً مُرْسلاً بغير كفاية، ولا حقّ جَهْبَذة، ولا غير ذلك من المؤن كلّها، قليلها وكثيرها، قَديمها وحَديثها، في كلّ سنةٍ على استقبال سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة[٤] مقاطعةً مؤبّدةً محدّدةً ماضيةً نافذةً على مرور السّنين والأعوام، وتَعاقُب اللَّيالي والأيّام، لا تُنقض، ولا تُفسخ، ولا تُبدَّل، ولا تُغيَّر، ولا تُبسط، ولا يُعترض عليها، ولا تُطالب بفضلٍ إنْ كان فيها، قلّ أو كثر، على أنْ يُخلّى بينك وبين تدبير هذا القَراح بما تراه من إنشاء الغُروس على أصنافها، وزراعة

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) الحرفان الأول والرابع بلا نقط، ولم أهتد له.

(٣) كذا.

(٤) توافق سنة ٩٨٢ الميلادية.

الزُّروع صيفيّها وشتويّها، من غير أنْ يمسح عليك شيئاً منها، ولا يخمّس، ولا يقدّر، ولا تدخل عليك فيه يد عامل، ولا ناظر، ولا مقدّر، ولا مخمّن، ولا ماسح، ولا خارص، ولا حاظر، ولا مانع، ولا متتبّع، على كلّ وجهٍ وسَبَب؛ إذ ليس لنا عليك فيه بعدما تضمّنه هذا الكتاب اعتراضٌ سوى قَبْض مال المقاطعة المذكورة، وهو ثلاثمائة دِرْهَم وَرِقاً مُرْسلاً في كلّ سنةٍ على الاستقبال المقدَّم ذكره.

وجَعْلنا هذه المقاطعة شاملةً لجميع هذا القَراح بحقوقه الدّاخلة فيه، والخارجة عنه، ومُمضاةً لك ما دُمْتَ له مالكاً، ولمن عسى أنْ ينتقل ملكه إليه من بعدك بسائر وُجوه الانتقال من إرثٍ، وبَيْع، ووَقْف، وهبة، وتمليك، لا ينقضها عليك ولا على أحدٍ ممّن تُفضي إليه بعدك على كلّ وجهٍ وسَبَب، وليس لنا ولا لواحدٍ منّا، ولا لأحدٍ من أسْبابنا، ولا لمن تقوم يدُه مقام أيدينا في مُستأنف الدُّهور، وعلى كُرور الأعوام والعُصور من وارثٍ لنا يُفضي تَسْويغنا[1] بهذه ......[2] أو من أحدٍ من طبقات النّاس تنتقل المعاملة بينك وبينه إليه في هذا القَراح أنْ ينقض هذه المقاطعة، ولا أنْ يفسخها، ولا أنْ يعارض فيها، ولا أنْ يستزيد على مالها، ولا يغيّر شرطاً من شُروطها. ومَن فعل ذلك، أو تَجاوز حدود هذا الكتاب، فقد ظلم وأعدى. ومتى استُخرج[3] منك في سنةٍ

---

(١) تقدّم تعريف التَّسْويغ في الرسالة السابقة.

(٢) كلمة غير مقروءة.

(٣) من خلال النصوص التاريخية نرى أن مصطلح الاستخراج دَلّ على انتزاع أموال الضرائب ممّن لا يؤديها طوعاً، كما دَلّ على انتزاع الأموال ممن اختلَسها من موظفي الدَّوْلة مستغلّين مناصبهم، وكذلك الأموال المُصادرة من كبار التجار. ومن خلال تلك النصوص نرى أن صاحب الاستخراج كان يتعامل معهم بأسلوبٍ قاس. لذلك أطلق عليه صاحب العذاب. الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص٤٧٢. لهذا ضُمت في بعض العصور مهمة الاستخراج إلى صاحب الشرطة، كحوشب بن يزيد الشيباني. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ص٣٢.

واحدة من السّنين وما هو أكثر من سنةٍ واحدة عن هذا القَراح شيءٌ يزيد على مال المقاطعة المذكورة، كان على مَن يستخرج ذلك منك أنْ يَرُدَّ الفَضْلَ الزّائد بما يستخرجه على مال المقاطعة المذكور مبلغه، ولم يكن استخراجه ذلك منك حُجّةً عليك في نقض هذه المقاطعة، ولا إعلالها، والتأوّل فيها. وكلّما فَعَل فاعلٌ شيئاً من ذلك كان فعلُه مردوداً عليه، وكان لك أنْ تطالبه بإنصافك ورَدّ ما أخذه من مالك زائداً على المقدار المحدود في هذا الكتاب، وكانت المقاطعة عائدةً إلى رَسْمها وحقّها، وراجعةً إلى أصلها وعَقْدها؛ إذ كنّا إنّما أمضيناها لك، ولمن يكون له بعدك عن تأمُّلٍ و........[1] وبعد العِلْم بأنّ الصّواب في ذلك لنا، والحظّ فيه عائدة علينا، وأنّ الذي تحتاج إلى إنفاقه على هذا القَراح حتى تعود عِمارته، وتنشأ غُروسه تتجاوز قيمتُه في حال خرابه أضعافاً كثيرة، وكنتَ فيما تتكلّفه من ذلك إنما يُحيي أرضاً مواتاً لم يكن إلى عِمارتها سبيل إلّا بمثل المؤونة التي الْتزمتَها من مالك، وبذلتَ فيها ذاتَ يدك، وجعلنا لك من الشُّروط المؤكَّدة لهذه المقاطعة مثل كلّ شرطٍ في مثلها على قَديم الأيّام وحَديثها، ممّا يحفظ أصلها، ويحوطها ممّا يعلّها، ويحرسها من أسباب الفَسْخ كلّها، وعلى أنْ تكون عليك

وكان لصاحب الاستخراج دار يمارس فيها عمله يطلق عليها دار الاستخراج، وأطلق عليها ياقوت دار العذاب، وهي الدار التي كان الحجاج بن يوسف يعذب عماله فيها إن بدر منهم تقصير أو ما يوجب العقوبة. كتاب الخزل والدأل، ص٦٥. وانظر ص١٢٥.

روى الجاحظ عن أحدهم قال: كنت أختلف إلى دار الاستخراج أتعلّم الصبر. البيان والتبيين، ج٢، ص٤٣. وقال ابن عبد ربه: مرّ أسد بن عبد الله القسري والي خراسان بدارٍ من دور الاستخراج، ودهقان يعذب من حبسه... العقد الفريد، ج٢، ص٣٥. وكان لأحدهم طريقة حسنة في استخراج الأموال من التجار كما قال السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص٩٥. وانظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٢٠١، ج٢، ص٤٥، ج٣، ص١١.

(١) كلمة غير مقروءة.

.......[١] مال هذه المقاطعة إلينا في كلّ سنةٍ على الاستقبال المذكور تاماً ....[٢] وهو ثلاثمائة دِرْهَم وَرِقاً مُرسلاً بغير كسرٍ، ولا كفاية، ولا حقّ جَهْبَذة، ولا مؤونة من غير اعتلالٍ بعلّة، وادّعاء مظلمة، ولا الْتماس حطيطة، ولا احتجاج بتعطّل أرض، ولا بنقصان رَيْع، ولا بخسّة ثمرة، ولا باتّضاع سعر، ولا بآفةٍ من الآفات التي تلحق الثمار والعلاق كلّها على وجهٍ وسَبَب، إذ كان عليك في مال هذه المقاطعة مثل ما على أرباب المقاطعات كلّها من أدائها في وقت افتتاحها من كلّ سنة على التعطيل والعِمارة، والوفور والنقْصان، والربْح والخسْران؛ فرضيتَه بذلك كلّه، وألْزمتَه نفسَك طائعاً طالباً راغباً، ومُمْضياً لك على شُروطه الثابتة في هذا الكتاب، وليس لك، ولا لنا، ولا لكلّ واحدٍ منّا، ولا لأحدٍ من أسْبابنا، ولا لمن تفضي إليه المعاملة بعدنا الرجوع عليك، ولا الإعْنات لك في شيءٍ من ذلك كلّه، وأشهدنا الله - جلّ اسمه - ومَن ثبت اسمُه في هذا الكتاب على نفوسنا بالوفاء به، وكفى بالله شهيداً، وذلك في شهر كذا من سنة كذا.

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) كلمة غير مقروءة.

نُسْخة مقاطعةٍ
من صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة
بضَيْعة[١]

هذا كتابٌ من صَمْصام الدَّوْلة وشَمْس المِلّة أبي كاليجار
ابن عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة أبي شُجاع بن رُكْن الدَّوْلة أبي عليّ
مَوْلى أمير المؤمنين
لمحمّد بن عبدالله بن شهرام[٢]

إنك ذكرتَ حال ضياعك المعروفة برسدولا والبدرية من طَسُّوج نهر الملك[٣]، والحظائر والحصة بنهر قُلّا من طَسُّوج قُطْرَبُّل، وما لحقها من اختلال الحال، ونقصان الارتفاع، واندثار المشارب، واستئجام المزارع، وطمع المجاورين، وضعف الأَكَرَة[٤] والمزارعين، وظلم العُمّال والمتصرّفين، لتطاول غيباتك عنها، وانقطاعك بالأسفار المتّصلة عن استيفاء حقوقها، وإقامة عِماراتها، والإنفاق على مصالحها، والانتصاف من

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص١٥٠.
(٢) أبو إسحاق. كان كاتباً لسيف الدَّوْلة الحمداني ورسوله إلى بلاد الرُّوم. ثم أصبح مدبّراً لدولة ابنه سَعْد الدَّوْلة ووزيراً له. ويُعرف بابن ظلوم المغنية الشهرامية. ابن العديم: بغية الطلب، ج١٠، ص٤٣٢٣، ومواضع أخرى؛ زبدة الحلب، ص٩١. وانظر: رسائل الشيرازي، ص٢٩.
(٣) كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى يقال إنّه يشتمل على ٣٦٠ قرية. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٣٢٤.
(٤) تقدّم تعريف الأكَرَة، ج٢، ص٤٣.

المجاورين لها والمعامَلين فيها. ووصفتَ ما تحتاج إلى تكلّفِه من الجملة الوافرة، لاحتفار أنهارها، وإحياء مَواتّها، واعتمال متعطّلها، وإعادة رُسومها، وإطلاق البذور فيها، وابتياع العوامل لها، واختلاف الأَكَرَة إليها.

وسألتَ أنْ تقاطع عن حقّ بيت المال فيها وجميع توابعه، وسائر لزومه، على ثلاثة آلاف درهم في كلّ سنة، معونةً لك على عِمارتها، وتمكيناً من إعادتها إلى أفضل أحوالها، وتوسعةً عليك في المعيشة منها؛ فأنهينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطّائع لله، وأفضنا بحضرته فيما أنت عليه من الخلائق الحميدة، والطّرائق الرّشيدة، وما لك من الخدمات القديمة والحديثة، الموجبة لأن تلحق بنظرائك من الخدم المختصّين، والحواشي المستخلصين، بإجابتك إلى ما سألتَ، وإسعافك بما التمستَ؛ فخرج الأمر - لا زال عالياً - بالرّجوع في ذلك إلى كُتّاب الدَّواوين، وعُمّال هذه النّواحي، وتعرف ما عندهم فيه ممّا يعود بالصَّلاح، ويدعو إلى الاحتياط. فرجع إليهم فيما ذكرته وحكيته، فصدقوك في جميعه، وشهدوا لك بصحّته، وتردّد بينك وبينهم خطاب في الارتفاع الوافر القديم، وما توجبه العبر لعدة سنين، إلى أن استقرّ الأمر على أنْ توقعت على هذه الضِّياعَ المسمّاة في هذا الكتاب خمسة آلاف دِرْهَم ورقاً مرسلاً بغير كسر، ولا كفاية، ولا حقّ خزن، ولا جَهْبذة، ولا محاسبة، ولا غير ذلك من المؤن كلّها.

ثم أنهينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطّائع لله، فأمر - زاد الله أمره علوّاً - بإمضاء ذلك، على أنْ يكون هذا المال، وهو خمسة آلاف درهم، مؤدّى في الوقت الذي تفتتح فيه المقاطعات، وهو أول يومٍ من المحرَّم في كلّ سنة، على استقبال السّنة الجارية، سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة الخراجية، عن الخراج في الغَلّات الشتوية والصيفية، والمحدثة والمبكرة الجارية على المساحة، والحاصل من الغَلّات الجارية على المقاسمة والجوالي، والمراعي، والأرحاء، وسائر أبواب المال، ووجوه الجبايات وتقسيط المصالح، والحماية،

مع ما يلزم ذلك من التوابع كلّها، قليلها وكثيرها، والرسوم الثابتة في الدَّواوين بأسرها، وعن كلّ ما أحدث ويحدث بعدها على زيادة الارتفاع ونقصانه، وتصرّف جميع حالاته، مقاطعةً مقرّرةً مؤبّدةً، ممضاةً مخلّدةً، على مرور اللّيالي والأيّام، وتعاقب السِّنين والأعوام، لك ولولدك، وعقبك من بعدك، ومَن عسى أنْ تنتقل هذه الضِّياعَ إليه بميراث، أو بيع، أو هبة، أو تمليك، أو مناقلة، أو وَقْف، أو إجارة، أو مباذرة، أو مزارعة أو غير ذلك من جميع الوُجوه التي تنتقل الأملاك عليها، وتجري بين النّاس المعاملات فيها، لا يُفسخ ذلك ولا يُغيّر، ولا ينقض ولا يُبدل، ولا يُزال عن سَبيله، ولا يُحال عن جهته، ولا يعترض عليك ولا على أحدٍ من النّاس فيه ولا في شيءٍ منه، ولا يتأوّل عليك ولا على غيرك فيه، بزيادة عِمارة، ولا زكاء ريع، ولا غلوّ سِعْر، ولا إصلاح شرب، ولا اعتمال خراب، ولا إحياء موات، ولا بغير ذلك من سائر أسباب وفور الارتفاع[1]، ودُرور الاستغلال.

وحظر مَوْلانا أمير المؤمنين الطّائع لله، وحظرنا بحظره على كُتّاب الدَّواوين أصولها وأزمّتها، وعُمّال النّواحي، والمشرفين عليها، وجميع المتصرّفين على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم، الاعتراض عليك في هذه المقاطعة، أو إيقاع ثمن أو مساحة على ما كان منها جارياً على الخراج، أو تقرير أو حزْر[2]، أو قسمة على ما كان منها جارياً على المقاسمة، أو أنْ تدخلها يدٌ مع يدك لناظر أو حاظر أو مستظهر أو معتبر أو متصفِّح، إذ كان ما يظهر منها من الفضل على مرور السِّنين مسوغاً لك، لا تطالب به، ولا بمرفق عنه، ولا على ما ظهر عليه وعلى شيء منه، ولا يلتمس منك تجديد كتاب، ولا إحضار حجّة، ولا توقيع به ولا منشور بعد هذا الكتاب، إذ قد صار ذلك لك وفي يدك بهذه

(١) الارتفاع: الأموال المحصَّلة.

(٢) الحزر هو تقدير غلّات الزروع. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٧.

المقاطعة، وصار ما يجب من الفصل بين ما توجبه المسائح والمقاسمات وسائر وُجوه الجبايات، وبين مال هذه المقاطعة المحدودة المذكورة في هذا الكتاب خارجاً عمّا عليه العُمّال، ويرفعه منهم المؤتمنون، ويوافق عليه المتضمّنون، على مرور الأيّام والشهور، وتعاقب السِّنين والدّهور ؛ فلا تقبل في ذلك نصيحة ناصح، ولا توفير موفر، ولا سعاية ساع، ولا قذف قاذف، ولا طعن طاعن.

ولا يلزم عن إمضاء هذه المقاطعة مؤونة، ولا كلفة، ولا مصانعة، ولا مصالحة، ولا ضريبة، ولا تقسيط، ولا عمل بريد، ولا مصلحة من المصالح السُّلْطانية، ولا حقّ حماية، ولا خفارة، ولا غير ذلك من جميع الأسباب التي يتطرّق بها عليك، ولا على مَن بعدك، لزيادة على مالها المحصور المذكور في هذا الكتاب، ولا حقّ خزن، ولا جَهْبذة، ولا محاسبة، ولا مؤونة، ولا زيادة.

ومتى استُخرج منك شيءٌ أو من أحدٍ من أنسبائك، أو ممّن عسى أنْ تنتقل إليه هذه المقاطعة بشيءٍ زائدٍ عليها على سَبيل الظّلم والتأوّل والتعنّت لم يكن ذلك فاسخاً لعقدها، ولا مزيلاً لأمرها، ولا قادحاً في صحّتها، وكان لك أنْ تطالب بردّ المأخوذ زائداً على مالها، وكان على مَن ينظر في الأمور إنصافك في ذلك ورَدّه عليك، وكانت المقاطعة المذكورة ممضاة على تصرّف الأحوال كلّها.

ثم إنّا رأينا بعدما أمضاه مَوْلانا أمير المؤمنين، وأمضيناه لك من ذلك وتمامه وإحكامه، ووجوبه وثبوته، أنْ سوّغناك هذه الخمسة آلاف دِرْهَم المؤدّاة عن هذه المقاطعة على استقبال سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة الخراجية، تَسْويغاً[١] مؤبَّداً، ماضياً على مرّ السّنين؛ ليكون في ذلك بعض العِوَض عن باقي أملاكك وضياعك التي

(١) التَّسْويغ : أن يسوّغ الرجل شيئاً من خَراجه في السنة. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٦.

قُبضت عنك، وبعض المعونة فيما أنت متصرِّفٌ عليه من خدمتنا، ومتردّدٌ فيه من مهمّات أمورنا، وأوجبنا لك في هذا التَّسْويغ جميع الشروط التي تشترط في مثله، ممّا ثبت في هذا الكتاب ومما لم يثبت فيه؛ لينحسم عنك تتبع المتتبّعين، وتعقب المتعقبّين، وتأول المتأولين على الوجوه والأسباب.

وأمَرْنا - متى وقع على مال هذا التَّسْويغ، وهو خمسة آلاف درهم، ارتجاعٌ بحدثٍ يحدث عليك، أو بتعويضٍ تعوّض عنه، أو بحالٍ من الأحوال التي توجب ارتجاعه - أنْ يكون أصلُ المقاطعة ممضىً لك، ورَسْمها باقياً عليك وعلى مَن تنتقل هذه الضِّياعَ إليه بعدك، على ما خرج به أمر أمير المؤمنين في ذلك، من غير نقضٍ ولا تأوّلٍ فيه، ولا تغييرٍ لرَسْمٍ من رسومه، ولا تجاوزٍ لحدٍّ من حُدوده، على كلّ وجهٍ وسَبَب.

فليُعلَم ذلك من رأي أمير المؤمنين الطائع لله وأمره، ومن امتثالنا وإمضائنا، وليعملْ عليه جماعةُ مَن وَقَف على هذا الكتاب من طبقات الكُتّاب والعُمّال، والمشرفين والمتصرّفين في أعمال الخراج والحماية والمصالح وغيرهم. وليحذروا من مخالفته، وليمضوا بأسرهم لمحمّد بن عبدالله بن شهرام ومن بعده جميعه، وليحملوه على ما يوجبه. وليقرّ هذا الكتاب في يده وأيديهم بعده حجّةً له ولهم، ولينسخ في جميع الدَّواوين، إنْ شاء الله تعالى.

وكَتَب عن الوزير
أبي الفَضْل العَبّاس بنِ الحسين الشِّيرازي[١]

كتابي، وقد صار الجفاءُ منك -أيّدك الله- خليقةً تَسقُطُ معها المعاتَبة، وأرجو أنْ تنتقلَ عن ذلك إلى ما هو أوْلى بك، وألْيقُ بما بيني وبينَك إنْ شاء الله.

وأقرَأني أبو إسحاق إبراهيم بنُ هِلِّيل -أدام الله عِزّه- ما وَرَدتْ به عليه كُتُب أسبابِه من خَبْط ضَيْعتِه بقَرْية الفُرس، وطَلَبِ أكَرَتِه[٢]، ومُحاولةِ المِساحةِ لسنة خمسٍ وخمسينَ وثلاثمائةٍ[٣] التي لا تجبُ، إذ كانت المعاملَةُ فيها جرَتْ على ضَمانٍ صافحتَني أنتَ عليه لما اسْتعفَيْتَ أنْ تكونَ بوثيقةٍ مُكْتَتبة، وأشهَدْتَ الله بيني وبينَكَ على الوَفاءِ به، وعَمَر أبو إسحاق - أيّده الله- مُعَوّلًا عليه عِمارة المجتهدِ المستزيد، الواثقِ بأنّ الفَسْخَ والنَّقْضَ لا يَلْحَقانِه مع محَلِّه الذي تَعرِفُه مِنّي، ومَوقعِه اللّطيفِ عندي، وتوسُّطي ما كان بينَك وبينه، فأقلقَني ذلك، وشغَلَ قلبي أنْ يَستجيزَ إطلاقَهُ على أصغرِ مُتَعلِّقٍ بي، فَضْلاً عنه، ولا سِيَّما مع بُعدِنا عن الحضْرة، وتَضاعُفِ ما يلزَمُكَ لنا من النّيابة.

وذكرَ أيضاً أنّ هذه المعاملةَ قد جَرَتْ على إيثارِك، وعلى اقتراحِ عمّالِك وأسبابكَ الذين قد عرَفْتَ منهم التّحامُلَ عليه، وإقامةَ السُّوقِ عندَكَ بقَصْدِ ناحيتِه، وأنّه قد أدّى مالَ الضّمانِ المنعقِد بيني وبينك، وطُولِبَ بفَضْلٍ وافرٍ بعدَهُ، فأدّاه على صُلْح، واحْتَمَلَهُ تخفيفاً عنّي وصِيانةً عن الكلامِ في الطَّفيف، والْتزمَ مع ذلك من المُؤن للأسْبابِ ما طواهُ

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة.
(٢) تقدّم تعريف الأكَرَة في ج٢ ص٤٣.
(٣) توافق سنة ٩٦٦ ميلادية.

عنكَ، ودَخَل منهُ فيما يَدخُلُ فيه الحامِلُ على مالِهِ الموفَّرُ لجاهِه. وأنّ ذلك أجمعَ استوفي منه، ومُنِعَ معه من كَرْيٍ[1] يجبُ له. وفي يده الحجَّةُ الواضِحَة، فتضاعفَ تعجُّبي من أنْ تجريَ مُعاملَتُه على هذه السَّبيل، مع أنّه خادِمُ هذه الدَّوْلة -حَرَسَها الله- وصاحبي فيها، وأنّ غيبتَهُ لم تكُن لهَرَبٍ يتطرّقُ معه على أملاكِه، ولا لخدْمةِ عَدوٍّ يقَعُ التأوُّلُ عليه بصُحبته.

وأنا أعلَمُ أنّك -أيّدك الله- تدفَعُ هذه الأسبابَ بالمعاذيرِ والاحتجاجات، ولا أشكُّ والله في سَلامة نيَّتِك، وخُلوص معتقَدِكَ له في نفسهِ ولي فيه، إلّا أنّ هذا مَوْضِعٌ لا يَحتمِلُ التجوُّزَ والمسامحة، ولا بدَّ فيه من المواقفَةِ والمناقشَة. أتُراكَ -أيّدك الله- ضِقْتَ ذَرْعاً عن أن تلْتمِسَ لي من مَوْلانا الأمير -أطال الله بقاءه- إنصافَ خليفتي وكاتبي، أو قد أعْياكَ احتمالُ هذه المغارِم عنه مع قلَّتِها ونَزارَتِها.

لا والله -أدام الله عزَّك- ما يتجّهُ لك العذرُ على حالٍ من الأحوال، ولا بُدَّ من صِدقِكَ عمّا يَقعُ في النّفس من هذه المعاملةِ وتأثيرِها في القلوب، ولا أرْضَى منك بإطلاقِها عليها[2]، ولا اتّباعِ هوى الأتباعِ فيها، فإنّهم لا يُفكّرونَ في الأُصول، ولا يسْعَونَ في الصَّلاح، والآنَ فنَقْضُ ما كنتُ واسِطتَهُ لا يجوزُ ولا أصبِرُ عليه، وقد رَسمتُ لأبي العلاء - أيّده الله- النِّيابةَ عنّي في الاستيفاءِ عليك واستعادَةِ فعلِكَ إلى ما يوافقُ نيتَكَ، وليس يُقنعُني إلّا إزالتُكَ ما لحِقَ النّاحيةَ من الخَبْطِ والأذَى، وطَلبِ الأَكَرَة، وإيقاعِ المساحةِ على ما لا يَسُوغُ وقوعُهَا عليه، ولا يُرضيني إلّا حَسْمُ الكَلامِ في هذا الباب.

---

(١) كَرْيُ النهر: إخراج الطين المتراكم منه، وتنظيفه ممّا أُلقي فيه، وإزالة الأعشاب النابتة على جرفيه.

(٢) ج: علينا.

فإنْ رأيتَ -أيّدك الله- أنْ تتأمّلَ ما كاتَبتُكَ به، وتعرِفَ الحقَّ فيه، وترجِعَ إلى ما يشاكِلُ مَكانَكَ من ثِقتي، ومَوقعَك من نَفْسي، والمَوَدّة بينك[1] وبينَ أبي إسحاق -أدام الله عِزَّكُما- وتُطالِبَ لي نفسَك من بذْلِ اجتهادِكَ ومالِك لو كانت ها هُنا حاجةٌ تدعو إليه ما يلزَمُكَ أنْ تَبذُلَه. ولا يخلو مَن تَصرَّفَ تَصرُّفَك، وتقدَّمَ تقدُّمَك من احتمالِ مثلِه، وقد جعَلْتُ هذا القولَ قَطْعًا لكِلِّ عُذرٍ، ومُزيلاً لكُلّ حجَّة، وألْزمتُكَ -أدام الله عزَّكَ- أنْ تُجيبَني عنه جَواباً أحصّلُه، ويُكونُ ما ألْقاك به عند اجتماعنا -سهَّلهُ الله- من شُكرٍ عليه واعتدادٍ به، أو عَتْبٍ منه، وخُصومةٍ فيه، بحسَبِه فعلْتَ إنْ شاء الله.

(١) ل: بيني.

وكَتَب إلى عاملِ واسِط يسألُهُ في أمرِ الضَّيْعة وغُلامه[١]

كتابي عن سَلامةٍ ونعمةٍ لا زالتا سابغتَيْنِ عليه، ومتظاهِرتَيْنِ لديه، والحمدُ لله. وإذا كانت القلوبُ تتقابلُ بسَرائرِها، وتتشاهَدُ بضَمائِرِها، فلا شكَّ في أنّ مَوْلاي قد استملَى من عيني المخالصَةَ في أيّام الاجتماع، واستدَلَّ على تمسُّكي بها في أيّام الافتراق، وأحَسَّ بشَوْقي إليه من شَوْقِهِ إليَّ، وبذِكْرايَ له من ذكْره لي. ولئنْ كنتُ أخَّرتُ مُكاتَبَتَهُ تخفيفاً عنه، وثقةً به، وسُلوكاً لسَنَنِه ومَذهبِهِ، فما تركْتُ مُراعاةَ أخبارِهِ -أطابَها الله- من الجهاتِ العارفةِ بها، واستنباطَها من مَظانِّها ومَعادِنها، ولا أغْبَبْتُ الدّعاء له بأنْ يَراهُ الله حاضِراً وغائباً، ويكونَ له محافظاً ومُصاحِباً، ويجعَلَهُ من كَنافتِهِ وحِياطتِهِ في الحِرْزِ الحصين، والحَرَمِ الأمين، والجانبِ الذي لا تصِلُ النوائبُ إليه ولا تَرِدُ المخاوفُ عليه، والله -عزّ وجلّ- يفعَلُ ذلك ويتَولّاهُ به في كلِّ سَفَرٍ وحضَر، وغَيْبةٍ وأوْبةٍ، بقُدْرته.

واتَّصَل بي في هذا الوقتِ إصعادُه إلى واسِط متولّياً للتقريرِ بها، فسُرِرْتُ بذلك من جهاتٍ، أوَّلُها وأفضَلُها: قربُ مَرامِ الزّيادةِ لمن قدَرَ عليها، ودُنوُّ مسافةِ المكاتَبة لمن لا يُمكِنُه غيرُها. وكتَبْتُ هذا الكتابَ مجدِّداً للعَهْدِ، وقاضِياً للحقِّ، مُستدعياً للمواصَلة، ومفتَتِحاً بابَ المؤانَسة، ومُستمدًّا من أخبارِه وأحوالِهِ ما أسكُنُ إليه، ومن أمرِه ونَهْيِه ما أتصرَّفُ عليه، ومن مُهِمّاتِهِ وأوطارِه ما أقومُ به، وله علوُّ الرأيِ في مقابلةِ ذلك بمثلِه،

---

(١) ليدن.

وإسْعافي بما خَطَبْتُه وطلَبْتُه منهُ إنْ شاء الله.

وفي أعمالِ واسِط -أعزَّ الله مَوْلاي- ضَيْعَةٌ هي إليَّ منسوبَةٌ، ومن خاصِّ أملاكي[1] محسوبة، ومُوصِلُ كتابي هذا غلامٌ لي يَنُوبُ عني في أُمورِها، وقد أمَرْتُهُ بأنْ يكون بغِلْمانِه مُختلِطاً، وإليه في التماس مَصالِحِهِ منبسِطاً، فإنْ رأى مَوْلاي أنْ يأتيَ في ذلك ما هو وَليه وأهلُه، ويُولِّيَني به اليدَ التي مُوجِبُها فَضْلهُ وطَوْلُه، فَعَل إنْ شاء الله.

---

(١) في الأصل: أملاكه.

فصلٌ مُفرَدٌ

نسختُه[١]:

المالُ -أيّدك الله- مُتأخِّرٌ، والعُذرُ في ذلك ضَيِّقٌ، والأجوبَةُ منك على ما أُكاتِبُكَ به فيه مَبنيَّةٌ على حالٍ واحدةٍ في الاحتجاج والاحتجار، والإحالةِ على أبي الحسين التي لا تُغني ولا تُجدي، إذ كان غيرَ مُزيحٍ للعِلّة، ولا ملتزمٍ للحُجَّة، والمعامَلةُ لا تحتمِلُ هذا، ووالله ما آلو جُهداً في الإصلاح، لكنّه إنّما يتِمُّ لي بأنْ أُعَاوَنَ عليه، وأوجِدَ السَّبيل إليه. فأمّا إذا انقَطَعَ الحَمْلُ واتَّصل المَطْلُ، وزالَ الأمرُ عن عَهدِه، وخَرَج عن حدِّهِ، فَهل يُمكِنّي أنْ أُصْلحَ عليكَ ما تُفسِدُه أنتَ على نَفسِك ؟ وأيُّ أُنسٍ يستمرُّ، وثقةٍ تستقِرُّ، مع هذه الصّورة.

أُحِبُّ -أيدك الله- أنْ تتأمَّل هذا الأمرَ وتَعرِفَ الحقَّ فيه، وتُقَدِّمَ تلافيه، وتَحمِلَ ما يبقى من مالِ السَّنة، فقد شارَفَتِ الانسلاخ، وأسلَفْناكَ ما عَلِمتَهُ من الصَّبْر والإنظار، والإغضاءِ والاحتمال، وتجعَل الجوابَ عن هذا الفصْلِ مبنيّاً على الفعلِ دونَ القَول، والإنجازِ دونَ الوعدِ إنْ شاء الله.

---

(١) ليدن.

وكَتَب
إلى أبي عبدالله عاملِ دَيْر العاقُول
في أمْرِ وَرَثَة أبي الخطّاب[١]

كَتَبْتُ عن أشدِّ شوقٍ إليك، وأكثرِ شُكرٍ لكَ، وأتمِّ تطلُّعٍ إلى معرفةِ أخبارِك، والمشاركة في أحْوالك، أجراها الله على أفضلِ محابِّك. وكان قيلَ لي: إنكَ مُوافٍ إلى الحضْرة، وقَوِيَ ذلك في نَفْسي، لأنّ جَوابَك عن كتابي القديم إليكَ دَلَّ عليه وبشَّرَ به، فتراخَيْتُ أيّاماً في المكاتَبة انتظاراً لقُربِ الدّارِ، ثم تَجدَّدَ عندي بمَوْرِدِكَ يا سَيِّدي أنْ[٢] أنتهي إلى أنْ كتبتُ رُقعةً مع غلامٍ لي بالتّهنئةِ بالمَقْدمِ واستعلامِ الخبر، فعادَ وذَكَرَ أنّ الذي بلَغَني لم يكُنْ صحيحاً، وأنّ الأصحابَ -أعزَّهُم الله ببقائك- متوقّعونَ لك. وكتبتُ هذا الكتابَ، وبنَيْتُهُ على أنْ يوصَلَ حيثُ صادَفَك من طريقٍ ومستَقر، والله يُورِدُكَ سالماً غانماً، ويتولّاك بكفايته غائباً وقادِماً، بقُدْرته.

وأموري يا سَيِّدي لا تتميَّزُ عنك، وما يَمسُّني لا ينفَصلُ منك، ومَن كان منّي فقد وَصَلَتْهُ الوَصائلُ بك، وأضافَتْهُ الحقوقُ والوشائجُ إليك.

وقد عَرَفْتَ وَفاةَ عمِّي عن سنٍّ عالية، وعَيْلَةٍ أصاغِر، وأحوالٍ مُختلَّة، وأمورٍ منتشرة، ومصائبَ متَواترة، وأنا -مع شُغُلي بنفسي- محتاجٌ إلى أنْ أُشارِفَ أحوالَ مَن

---

(١) ليدن.

أبو الخطّاب هو أحد أعمام أبي إسحاق الصّابي. ودير العاقول بين المدائن والنعمانية، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً على شاطىء دجلة. بلد عامر بالناس والأسواق. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٥٢٠.

(٢) إضافة لازمة.

خَلَّفَ، لأنهم بمنزِلةِ البهائم الدَّواجِن التي لا مادَّةَ لها إلّا ممّن يَلي عليها ويدبِّرُ أمورَها.

وكان له -رضيَ الله عَنهُ- في مقاطعةِ دَير قُنَّى[1] أملاكٌ يسيرةٌ قد أضافَ القليلَ منها إلى القليل، وجَعَلَها عُقدةً لهؤلاء الورَثة، وليس منهم شيءٌ إلّا مبتاعٌ بالأثمانِ الموروثة، والكُتبِ الصَّحيحةِ، والسِّجِلّاتِ الثّابتة. ومن ذلك: قَراحٌ يُعرَفُ ببُستانِ الدّارِ، وهو في يدِه ومِلْكِهِ منذ ثلاثٍ وعشرينَ[2] سنةً بكتابٍ صحيحٍ ثابت، وسِجِلٍّ مُحكَمٍ ما عارَضَهُ فيه مُعارِضٌ قطّ، ولا كان في مِلْكِه إيّاه لَبسٌ ولا شُبهَةٌ ولا شَكّ.

ولما كان في هذا الوقتِ امتدَّتْ إلى هؤلاء الوَرثةِ الأطماعُ من كلِّ أحد، حتى ممّن كان يُؤمَنُ ! ولحِقَتْ وَكيلَهُم مُعارضةٌ في هذا القَراحِ من قومٍ عُنيَ بهم أبو منصور، ووَقَعَ التعدِّي إلى تناولِ الارتفاع والتوكيلِ به وبغيرِهِ من الأملاك التي لم يَدَعِ القومُ شيئاً منها ليُؤخَذَ الارتفاعُ[3] فيها عِوَضاً عن سالفِ السّنين، وهذا أمرٌ ما طَرَق المسامِعَ قطُّ مِثلُه، ولا تقدَّمَ منهُ عند العمِّ ذِكْر، ولا عُورِضَ ولا نوزِع، ولا على يدِه ومِلْكِه مطعَن.

وقد مضَتِ السّنون الطِّوالُ يتَصرَّفُ في أمرِه كما ترى. ووالله، لو بين هذا المدَّعي دَعواهُ وثبّتها عند الحُكّامِ، وأخرَجَ الأمرَ العاليَ بتَسْليم ما ادَّعاهُ إليه، لما جازَ أنْ يبلُغَ ما بَلغَهُ من القوم، فكيفَ وإنّما هو داخِلٌ على سَبيل يتورَّعُ أهلُ الدِّياناتِ عنها، ويُحجِمُ ذوو التَوقّي عن الهجومِ عليها؟ وقد جَعَل الله -عزّ وجلّ- الحقَّ في هذه الدَّوْلة

---

(١) قال ياقوت معتمداً على الشابشتي: هو على ستة عشر فَرْسَخاً منحدراً من النعمانية، في الجانب الشرقي، معدود من أعمال النهروان، وبينه وبين دجلة ميل. وعلى دجلة مقابله مدينة صغيره يقابلها الصافية، وبالقرب من دير العاقُول. معجم البلدان، ج٢، ص٥٢٨.

(٢) في الأصل: عشرون.

(٣) الارتفاع: الأموال المحصَّلة.

منصوراً، والباطلَ مقموعاً، والجُزافَ زائلاً، والتحصيلَ واقعاً، والله سبحانَهُ يثبّتُها ويديمُها بقُدْرته.

وللقوم -أعني هؤلاء الوَرَثة- عنايةٌ هم عائشون في ظلِّها. وسَيِّدُنا الأُستاذ لا يُطيقُ[1] ظُلمَهُم، ولا يُغضِي على طمعٍ يلحَقُهم، ولم أنّه إليه ما جَرَى عليهِم، توقُّفاً عن بلوغِ الغاية، وثقةً بأني أبلُغُ بك ما أُريدُه لهم من الإنصافِ والحراسة.

والأمرُ المعْهودُ المعروف، الذي تَجري عليه أحكامُ الشريعةِ هو تثبيتُ اليدِ الثّابتةِ التي قد مضَتْ عليها السّنون الطِّوالُ وتقوِيتُها، ومُطالبةُ المعارضَةِ بإيضاح ما ادَّعت.

وأمّا أنْ يَدخُلَ جُزافاً، ويأخُذَ الارتفاعَ غَصْباً، فذلك خارِجٌ عن كُلّ عُرفٍ وعادة، وحُكمٍ وقَضِيَّة.

وأنا أسألُكَ أنْ تُحسِنَ خلافتي على هذه الجَنبة، وتوعِزَ بإزالةِ العَرَض عنها من الجهةِ السُّلْطانيّة، وتُخلِّيَ بين الوكيلِ وبينَ ما لها وتدبيره لها، وتَرُدَّ المدَّعيَ إلى محاكمتِنا بالحضْرة إلى القُضاة والرّؤساءِ، فإنْ وضَحَ أنّ هؤلاء القومَ غاصِبونَ منذ ثلاثٍ وعشرينَ[2] سنةً، وأسلافَهُم قبلَهُم: أزيلوا عن الظُّلمِ، وانتُزِعَ الغَصْبُ منهم بحُكومةٍ وحُجَّة، وإنْ تكُنِ الأُخرى فما جَعَلَ الله -عزّ وجلّ- للمُدَّعي أنْ يستحِلَّ ما استحَلَّهُ ويَبسُطَ يدَهُ ما بسَطَها إليه. فإنْ رأيتَ أنْ تتفضَّلَ وتُوليَني في هذا البابِ ما أشكُرُه وأعتَدُّهُ، وأنتَ أهلُهُ ووَليُّه، متوخِّياً للمَثُوبةِ في هؤلاء الأهلِ الضُّعفاءِ والمكرُمَةِ عندي في أمورِهم، فعَلْتَ إنْ شاء الله.

---

(١) في الأصل: يطلق، ولعل الأصح ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: وعشرون.

وكَتَب عن الطّائع لله
إلى أبي القاسم نوح بن منصور بن سامان
في ظُلامةٍ رفعها بعض أهل عمله..........
من إيجاب الحجّة له في تقليد ما تقلّد من تلك الأعمال(١)

أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين وإنْ كان لأعباء خلافة الله - جلّ جلاله - حاملاً، ولأمّة رسوله صلّى الله عليه وسلَّم كافلاً، فإنّه يأمر في كلّ أمرٍ يرد عليه، وظُلامةٍ تُرفع إليه بغاية ما يؤدّيه إليه اجتهادُه، ويدلّه عليه إرشادُه، غير تاركٍ أمداً في الإصلاح يستطيع أنْ يبلغه، ولا شيئاً منه يمكنه أنْ يفعله.

فإنْ كان ذلك عارضاً بحيث يناله عيانُه، ويلحقه أشرافُه، تولّاه بنفسه حتى يسدّ خَلَله، ويشفي عِلَله، ويقوّم أوَدَه، ويعدل مَيْده.

وإنْ كان عارضاً في الأعمال الدّانية التي قد عَقَد لوُلاتها العُقود، وعَهد إليهم العُهود، أمَرهم بالرّجوع فيه إلى أوامر تلك العُهود وزَواجرها، والاتّباع لرُسومها ومَعالمها، والوُقوف على حُدودها وشُروطها، وراعى ما يكون منهم حتى يخرجوا من الواجب فيه عليهم.

وإنْ كان عارضاً في الأعمال النّائية القاصية التي ليس في أيدي مُدبّريها ما يحتجّون فيه لنفوسهم، ولا ما يحتجّ به أمير المؤمنين عليهم، لكنه حاملٌ ما بينه وبينهم على

---

(١) طهران. ومحل الفراغ مضبَّب بالحبر.

نوح بن منصور (٣٦٦-٣٨٧هـ) سابع أمراء السّامانيين الذين حكموا ما وراء النهر وخُراسان.

مذهبٍ ذهب إليه في التأليف، وطلب الأصلح، لم يدع أنْ يغيث القاصد لبابه من أهلها إذا تظلّم إليه بأقصى ما يشتمل الطّوق والوُسْع عليه؛ طَرْداً للفرع على الأصل، ورَدّاً للجزء إلى الكلّ، وعملاً في كلّ صغيرٍ وكبير، وقليلٍ وكثير، بما يرجو أنْ يعلقه عند إلاهه الذي استخلفه بأوثق عُرى العذر فيما كلفه، وما توفيقُ أمير المؤمنين إلّا بالله، عليه يتوكّل وإليه يُنيب

وأنت - كلأك الله - مع ما لسَلَفك من المساعي السّابقة، والمنازل السّاحقة، والنِّعَم الضّخمة، والمناقب الجمّة التي أثمرتها لهم غُروسُ الطّاعة، وأدرّتها عليهم أخلافُ المشايعة حقيقٌ بأن ....[1] أكثر من نظرك لدُنياك، وأنْ ....[2] أضعاف ......[3] أولاك، ويكون دأبك الذي ....[4] فيما أرغد عيشك الباقي لا الفاني، وحَرس حظّك الخالد لا ....[5]، وجعل ما تقلَّدْتَه من البلاد، واعتنقتَه من أمور العباد مُجرى على السَّنَن الذي تأخذ فيه بأهداف الحجّة وأطرافها، وتخلص به من حبائل الشُّبْهة وأشراكها، وتتقيّل خلائق الأخيار، وتدّرع شعار الأبرار في فَتْح بابك، ورَفْع حِجابك، وإصغائك إلى المستجير المستغيث إليك، وإصاختك للمسْتَنْصِر المسْتَصْرِخ بك، وإنْصافك للمظلوم من ظالمه، وإدالتك المهضوم من هاضمه؛ ليعلمَ الله منك، ويتأدّى إلى خليفته في أرضه عنك، ما يريدانه من الوُلاة إذا وُلّوا، والكُفاة إذا استُكفوا، فظنُّ أمير المؤمنين بك في ذلك أحسن الظّنون، ويقينُه في انتفاعك بما تقرأ من كتابه

(١) ثلاث كلمات غير مقروءة.

(٢) كلمتان غير مقروءتين.

(٣) كلمتان غير مقروءتين.

(٤) كلمة غير مقروءة.

(٥) كلمة غير مقروءة.

وانتفاعه به فيك أخلص اليقين، والله بيده الخير وهو على كلّ شيءٍ قدير[١].

ورَفَع إلى أمير المؤمنين رافعٌ من أهل بَلْخ حالَ نَهْرٍ جارٍ في مدينتهم مُسبَّلٍ للشّارب والسّقاء[٢]، وأنّ رَجُلاً يُقال له عبد الرحمن بن أحمد البَلْخي استبدّ به مُغالباً، واقتطعه إلى ضَيْعته غاصباً، بالسَّعة من حاله، والقوّة من ذات يده. وسأل هذا الرّافع عن القوم الذين رَفع عنهم مُكاتبتَك بإزالة ما أظلَّهم من الظّلم، وكَشْف ما غَشِيهم من الغَشْم، ورَدّ هذا النَّهْر إلى مَجراه ومَسيله، وإجرائه على رَسْمه وتَسْبيله، حسب ما كان الأمر عليه قديماً دون ما أحدث ....[٣] أمير المؤمنين إلى ذلك إغاثةً للملهوف، وحُنوّاً على المضعوف، ونهياً عن المنكر، وأمراً بالمعروف. فانظر - رعاك الله - في هذه الظُّلامة نظراً يحسم فيها المادة، ويغني فيه عن المعاودة، وادعُ مَن يليك من رعيّة أمير المؤمنين إلى التّناصُف، وامنعهم من التّهارج والظّلم، وساوِ في الحقّ بين قَويِّهم وضَعيفهم، وبَعيدهم وقَريبهم، وذِمّيهم ومِلّيهم.

وأجبْ أمير المؤمنين بما يأتيه فإنّه يتطلّعه و.........[٤] إنْ شاء الله.

وكَتَب في جُمادى الأولى سنة ستٍّ وسبعين وثلاثمائة.

---

(١) من قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، سورة آل عمران، من الآية ٢٦.

(٢) في الأصل: والشفاء، ولعل الأرجح ما أثبتناه.

(٣) كلمة ضَبَّبها الحبر.

(٤) كلمة غير مقروءة.

وكَتَب عن الطّائع لله
إلى أبي أحمد خلف بن أحمد
صاحب سِجِسْتان[١]

أما بعد، فإنّ أمير المؤمنين باذلٌ الغاية من اجتهاده فيما استرعاه الله من أحوال عِباده؛ تَسْويةً بينهما فيما يزلّه إليهم من مَصْلحة، ويرفعه عنهم من ضَغْطة، وتوسعةً عليهم من معيشة، ويشملهم به من كَنافة، والله يوفّقه من ذلك لأحسنه عُقبى، وأفضله زُلفى، وأعْوده عليه بثناءٍ يطيب يومه، وثوابٍ يحمد غده، وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله، عليه يتوكّل ويعتمد، وبه يعتصم ويعتضد.

وأمير المؤمنين - وإنْ كان لم يقرأ إلى هذه الغاية كتاباً لك، ولا اقتضاه مقتضٍ لابتدائك - حاملٌ لك على ما يحمل عليه المضنون به من أوليائه، الفائز بأثرته واجتبائه، ويعتقد فيك استحقاق الاستكفاء إنْ ترشّحتَ له، والاصطفاء إنْ سَمَوْتَ بطرفك إليه،

---

(١) طهران.

خلف بن أحمد من سُلالة بني الصَّفّار حكام سجستان. وكان جده المعدّل بن علي قد فقد عرشه سنة ٢٩٨هـ في صراعه مع السّامانيين. وحينما ضعف السّامانيون، استطاع استعادة عرش أجداده، وانتزع كرمان من البويهيين. كان أميراً كريماً عالماً، جمع كثيراً من علماء عصره، وطلب منهم تصنيف تفسير كبير للقرآن الكريم يجمع أقوال كل المفسّرين والمحدّثين والقُرّاء والنُّحاة، وأنفق عليهم بسخاء. فقد عرشه خلال صراعه مع محمود بن سُبُكْتِكين الغزنوي، ومات أسيراً في كرديز سنة ٣٩٩هـ. عن خلف بن أحمد، انظر: العتبي، اليميني، (فهرس الأعلام)؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٤٤، ص٥١٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١١٦. وعن الصفاريين، انظر: فون زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص٣٠٢.

ولا يدع إلى ذلك أنْ يُكاتبك بما يعرض بنَواحيك من مَصالح الرّعيّة التي تَليك، والله - تعالى - يمدّه بالتّوفيق، ويقف به على أرشد الطّريق، ويجعل أوامره ونَواهيه جالبةً للثّواب، ماضيةً على الصّواب، وحسبُ أمير المؤمنين الله ونِعْم الوكيل.

ورَفَع - رعاك الله - مُحمّد بن الحسين الكَرْماني، وهو متعلّقٌ من أمير المؤمنين بحُرمة، وماتٌّ إليه بذِمامِ خِدْمة، يذكر عنك عَدْلاً في السّيرة، وإسْبالاً على الرّعيّة، وإنصافاً للمتظلِّمين، وإرفاقاً للمعامَلين؛ فوقع ذلك من أمير المؤمنين موقعاً ارتضاه، واستشعر فيك ما أوجبه واقتضاه.

وحَكى أنّ في أعمال سِجِسْتان ضِياعاً اختلّت بعد نظام، ونَقَص ارتفاعُها بعد تَمام، لتعذُّرٍ من شربها، واستضعافٍ لأهلها، وطمعٍ من مُجاوريها، واستطالةٍ من مقاطَعيها في أوانها بعد الإسفار عن مشارفتها، واقتطعته عن ملاحظتها، ووقعت على مخاطبته ومطالبته عجز ..... [1] الثَّبات لها، ووقفوا دون غايته - كانت - في الوفاء بها.

وسأل أمير المؤمنين أنْ يسوّغه[2] من حكمته[3] ثلاثة آلاف وخمسمائة دِرْهَم في كلّ سنةٍ على استقبال سنة ستٍّ وسبعين وثلاثمائة؛ إنهاضاً له، ورَمّاً لحاله، ولَـمّاً لمعيشته، وتَوْسعةً عليه في معاملته، ومحافظةً على مَواتّه، ورعايةً لحرمته، وتحقيقاً لظَنّه بأمير المؤمنين الجميل، ومجازاةً عن ثنائه عليك العريض الطّويل؛ فاعمل - كلأك الله - بذلك، واكتبْ لمحمّد بن الحسين بن العَبّاس منشوراً به مؤبَّداً، واثبته في دَواوينك مخلَّداً، واعْنِ به عنايةً يبين عليه أثرُها، ويتأدّى إلى أمير المؤمنين خبرُها، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) التَّسْويغ : أن يسوّغ الرجل شيئاً من خَراجه في السنة. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٦.

(٣) هذه أقرب قراءة لها.

وكَتَب جَوابَ بشارة
ببناء سَدٍّ في فارس[١]

كتابي، ووَصَل كتابُ سَيِّدنا الأُستاذ - أدام الله عِزّه - المؤرَّخ بيوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر، متضمِّناً ذكر السَّلامة - لا زالت به مُستمرّة، وعنده مُستقرّة - وشرح الحال في المأثرة التي نالها[٢] الملك الجليل عَضُد الدَّوْلة - أطال الله بقاءه - مُستبدّاً بجلالها، مُرتدياً بجمالها، فيما أجراه من المياه المستنبطة إلى وادي كَرْد فَنّاخُسْرو[٣] المباركة، وانتهاء ذلك العزم منه، والأثر الذي قصرَ كلُّ سابقٍ عنه، إلى الكمال الذي ما زال الله - جلّ وعزّ - يتولّاه به في أغراضه، ويؤدّيه إليه في أنحائه، وحضُوره - أدام الله سُلْطانه - موضعَ العَمل، واغتباطه بتمام الأمل، وما بَثّه من إعلائه، وأسْناه من حِبائه، للجماعة التي ذكرها سَيِّدنا أدام الله عِزّه، إلى غير ذلك ممّا اقتصّه وشَرَحه، وأبانه وأوضحَه، وفهمتُه.

وتلقّيتُ هذه المنحة بما أوجبه الله عليّ، وجَعَله فرضاً لازماً لي، من الشكر الدّاعي

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي. (ببناء سَدٍّ في فارس) إضافةٌ منّا للتوضيح.

(٢) ر: حازها.

(٣) فَنّاخُسْرو هو الملك عَضُد الدَّوْلة، وقد أقام سِكْراً (سَدّاً) على نهر الكر بين شيراز واصطخر، وهو عبارة عن حائط عظيم في عرض النهر، أساسه من الرصاص، وشكّلت المياه المتجمعة وراءه بحيرة كبيرة. وجعل على جانبيه عشرة دواليب، وتحت كل دولاب رحى، وبنى مدينة كَرْد فَنّاخُسْرو (انظر وصفها في معجم البلدان لياقوت، ج٤، ص٤٥٠). وأجرى الماء في قنوات تسقي ثلاثمائة قرية؛ فكان هذا السُّكْر من عجائب فارس، كما قال المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤٤٤.

إلى دَوامها، المؤمن من انصرامها، الحقيق على كلّ مَن كان لمَوْلانا[1] - أطال الله بقاءه - مُنتسباً، وبحبله مُعتصماً، وبذراه مُستظلّاً، وفي كنفه مُسْتكنّاً. وتحدثتُ بها فرض الله في مثلها، وأشعتُها الإشاعة التي تستوجبها وتستحقّها، واستبشرتُ بما رأيته من سُرور الخاصّ والعام، والكبير والصّغير بهذا الفعل الجامع لمَوْلانا - أطال الله بقاءه - بين المثوبة والمكرمة، القاضي له بسعادة العاجِلة والآجِلة، المحقّق فيه - أدام الله عِزّه - أكاذيب الشعراء الغالين، في غيره من الملوك الماضين، بأنْ لامَس الصَّخْر ففجَّره، ولابسَ الصَّعْب فيسّره، وأفاض على الأنام من أنامله جداول الماء النَّمير، وجوائز المال الكثير، وبيّن عن استطاعته ما لا يَستطيعُه سواه آملاً، واقتدارِه مؤثراً ما لا يقدر عليه غيره مكثراً؛ فالحمدُ لله على فَوائده المتواترة، وعَوائده المتناصرة، وإيّاه أسأل أنْ يطيلَ بقاء مَوْلانا الملك المنصور أبعد الإطالة، ويُنيله أفضل[2] الإنالة، ويتوحّده في ملكه بالمزيد، وفي جميع أمره بالتأييد، ولا يخليه من الفَضْل الذي لا يجاريه مُجارٍ، ولا يتعاطاه مُبارٍ، بقُدْرته.

وقد شرّفني سَيِّدنا بالمكاتَبة بهذه البشرى، وأوْلاني في ذلك المِنّة الكبرى، وما زال - أيّده الله - يتناولني بإكرامه، ويشرّفني بإنعامه. وبحسب ذلك اجتهادي في الشكر القاضي حقّه، المؤدّي فرضه، وسَيِّدنا - أطال الله بقاءه - وليّ ما يراه في التقدّم بإمْدادي بأمره ونَهْيه، وتَصْريفي في عَوارض خدمته، إنْ شاء الله.

---

(١) ر: مولانا.

(٢) ر: أتم.

نُسْخة رُقعةٍ إلى أبي الحسن بنِ شاذان
في أمرِ صَيْدِ السّمكِ بِساقيةِ بربا
وهو إذ ذاك في الاعتقال[١]

قَرأتُ الجوابَ يا سَيِّدي، ولم أجِدهُ يُشبِهُ شيئاً من عادتِك عندي. ولا شكَّ أنّ قلبَك كان مشغولاً، وإلّا فمتى كان لك أنْ تترُكَني في حَيْرةٍ من حاجةٍ واجبةٍ هي إليك وفي يدَيْكَ، وتُكاتبني بأنْ تسَلَني عن وَجْهِ قضائها !

والله يا سَيِّدي، بما لي على الأرض مِلْكٌ، وإنّ الأشياءَ لَتهونُ عليَّ، ولكنّ هذا البابَ لِنِسْوةٍ ضعيفات[٢]، قد ألْزَمَني الله تعالى أنْ أصونَهُم جُهدي، ومِثلي - وأنا شيخٌ كبيرٌ مُمتَحَن- يتَجنَّبُ النّاس التأوُّلَ عليه، ويتجَمّلونَ بالتأوُّلِ له، وهذا حقٌّ للقوم. وما جَعَل الله لبيتِ المالِ حقّاً في صَيْد، وما أحدٌ عَرَض لذلك إلّا انكفَى وانبَتَّ عنه، وأعوذُ بالله من أنْ يتمَّ على القوم مع مَكانِك ونَظَرِك ظُلم، أو أنْ تُحْوِجَني إلى مُخاطبةِ غيرك.

وهذا الشيخُ - سَيِّدي - قد أسْعَفَني بمالِه، وهو يَرتفِعُ عن المعارَضةِ فيما ليس له، ولكنّي لا أُحِبُّ أنْ أبلُغَ بالأمرِ إليه ولا أُفارِقُكَ ولا أعرفُ غيرَك، فإنْ كان ذلك في يَدِكَ تفضَّلتَ فيه بما يُشاكِلُ مَذهبكَ وعادتَكَ عندي والأحوالَ بيننا، وإنْ كان قد خَرَج إلى

---

(١) ليدن. (في الأصل: الحرف الثالث من بربا بدون نقط. ولم أهتد إليه).

(٢) في الأصل: ضعفاء.

يدِ أخرى خاطبتَها أنتَ، فإنّك أهْدَى وأعْرَفُ وحرمتني في هذا الأمرِ الطَّفيفِ واصِلي بسائرِ ما ترى أنْ تُصلحَهُ به، فما هو شيءٌ له خَطَر، ولكِنّا نتخوَّفُ الرَّسْمَ وفَسادَ مَعاشِ القَوم.

فإنْ رأيتَ أنْ تأتيَ في ذلك ما أنتَ أهلُه، وتجعَلَ الجوابَ مَقروناً بالتلافي والتفضُّل، وتُعطِيَني فَضْل جاهِكَ وسَعيِكَ واجتهادِكَ حتى يَزولَ الضّرر، ويتوفَّرَ الشُّكر، ولا أتنغَّصَ مِنَنَكَ عَليَّ، وأفعالَكَ الجميلةَ لديّ، فعَلْتَ إنْ شاء الله.

.... [١]

....

....

.... ويذر، ويورد ويصدر، وما يخليني ولا أخليه من مُكاتباتٍ على العمدة في معرفة مَوْلانا ما يتطلّعه من جِهَتي، ويتشوّفه من مجاري الأمور قِبَلي، ولا تَقْصيرِ عندي في المواظبة، والانتهاء إلى أفضل غايات المؤدّي للفريضة، والله وليّ التوفيق.

وأما إحْماد مَوْلانا توفّري على خاصّ خدمته، واجتهادي في المساعي المقرّبة منه، فقد اغتبطتُ به، وازددتُ بصيرةً فيما اقتضاه، وألْزمتُ نَفْسي ما يلزم الحامل لأثقل النِّعَم من المبالغة إلى منتهى الوُسْع، غير موجبٍ لها ما يعطينيه مَوْلانا بكرمه من الإحْماد، ولو زادت على كلّ طاقةٍ واستطاعةٍ في الاجتهاد. ولا أزال مع هذا أجعل كُتُبي إلى حضرته الجليلة معتدلةً بين الإطالة والتقصير، وواسطةً بين الإدرار والتأخير، تجنّباً لطرفَيْ الإخْلال والإمْلال، وتحرّزاً من محنتَيْ الإفراط والتفريط، وأنظمها إلى عبيد الله بن أحمد مواصلاً، وأتابعها مرادنا بكلّ أمر يراعى مثله وبهم يحتاج إلى .... [٢] أمير المؤمنين ولي برَبِّ عَوارفه عندي .... [٣] إحسانه إليّ بتَصْريفي في خِدْمته وتَشْريفي بإجابته إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) طهران، وقد سقط العنوان والقسم الأول من الرسالة بسبب اضطراب القطعة.

(٢) كلمة ضَبَّبها الحبر.

(٣) كلمة ضَبَّبها الحبر.

وكَتَب عن مُحمّد بنِ بَقيّة
إلى عَضُد الدَّوْلة[1]

كتابي -أطال الله بقاء مَوْلانا الأمير الجليلِ عَضُد الدَّوْلة- وظلٌّ ممتدٌّ بها وَهبَـهُ الله - جلّ وعزّ- له ولخَدَمهِ فيه من حُسْنِ الكفايةِ، وجَميلِ الوِلاية، وأنـا إلى الله - سبحانَه - راغِبٌ في إطالةِ بقائه، وإدامةِ نَعْمائه، وإنالتِه آمالَـهُ مـن فوائـدِ الـدِّينِ والـدّنيا، وعَوائـدِ الآخرةِ والأُولى، بقُدْرته، وله الحَمْد ربِّ العالَمين.

ووَصَل كتابُ مَوْلانا مشحوناً بفَضلِه الباهِر، مملوءاً من تفضُّلِه الغامِر، مُضاهِياً لعاداتِ الله -عزَّ اسمُهُ- كَرمَهُ المُظاهِرَ على عبيدِهِ وخَدَمِه، وفَهِمتُه، وأعظَمْتُ قَدرَ ابتدائه - أيّده الله- بالمكاتَبة، وساءني أنْ قصَّرَتْ بي -عَن حُضورِ بابهِ، وتقبيلِ بساطِه- القُدْرة، وتشرَّفْتُ بجليلِ خِطابِهِ وما أعارَنيهُ من التقرِيظِ بحُسنِ رأيه.

ووَجَدْتُ شُكري إذا استوعَبتُه، ووُسعي إذا استفرَغْتُه، يقصران عن أدنى حقوقِ تطوُّلِهِ، ويقِفانِ دونَ الواجب اللّازمِ لهُ؛ فأمسَكْتُ عن المبالغَةِ إمساكَ العالِمِ بأنّ العجزَ عن غايتِها يُقعِدُه، والانقطاعَ عن نهايتِها يَقعُدُ به، وعَدَلْتُ إلى الدّعاء له بأنْ يزيدَهُ الله فَضْلاً وعُلوًّا، ومَجْداً وسُموًّا، ولا يَسْلُب الزّمان منه عينَهُ البصيرَة، وشِهابَهُ الثّاقِب، بمَنِّهِ وقُدْرته.

وأمّا ما ذكرَهُ مَوْلانا من إحلالِهِ إيّايَ في خَدَمِهِ مَحَلَّ المخصوصِ بالعنايةِ، المعتَمدِ بالرّعاية، فلو حَصَل لي ذلك منهُ - أيّده الله- بعد إفناءِ العُمُرِ في خدمتِه، لكان الفَضْل فيه لهُ، فكيفَ وما قدَّمْتُ ما يوجِبُه، ولا أتَيْتُ ما يقتضيه؟ وهل يتَّسِعُ أكابرُ الملوك،

---

(١) ليدن. (عَضُد الدَّوْلة) إضافةٌ منّا.

فَضْلاً عن أصاغرِ العبيد، بمُجازاة هذه الإنعامِ بقولٍ أو فِعلٍ؟ وما أَمَر -زادَ الله أمرَهُ عُلوّاً ونَفاذاً- من اختيارِ مظَنَّتين[1] أرضاهُما لملازمَةِ حَضرتهِ، فأمرُهُ العالي المتَّبَعُ، والمطاعُ المُمْتَثَلُ، لكنْ صِناعةُ الطِّبِّ -أيّدَ الله مَوْلانا- كالدِّراسة، وقد مَضَى شيوخُها وصُدورُها، ولم يُنْشِىءِ الزّمان خَلَفاً لهم، ولا عِوضاً منهم، وجُلُّ مَن ينتسِبُ اليومَ إليها غيرُ ماهرٍ فيها ولا مستقلٍّ بها، ولا مستحقٍّ للتحكُّمِ في المُهَج، ولا منقادٍ مع ذاك لمفارقَةِ الوَطنِ، ولوِ استَطعتُ أنْ أبذُلَ بِضاعتي فيها لبذَلْتُها، ولكنتُ مكانَ كتابي هذا، ولكنِ العذرُ عند مَوْلانا واضِح.

وقد اخترتُ فلاناً وهو أمثلُ مَن قَدَرْتُ عليه وضَمَمْتُه إلى أبي سَهْل، وأنا أجتهدُ في وُجودِ الثّاني، وإذا وقَعَ الاختيارُ عليه رَغَّبتُه في الخدمةِ، وقُدتُهُ إليها، وكتَبْتُ بخبَرِه، واستطلَعْتُ الرأيَ في أمرِهِ -بإذن الله- وكُتبُ مَوْلانا تُشَرِّفُني وترفَعُ مني، وتَزيدُ في آلائهِ لديَّ، وإحسانِه إليَّ، وهو أعلى عيناً، ومَا يَراهُ في التقدُّم بإمدادي مُضمَّنةً ما أصلُحُ للخدمةِ فيه إنْ شاء الله.

---

(١) في الأصل: مضنتين.

وكَتَب عن الوزير
أبي مُحمّد الحسن بن مُحمّد بن إبراهيم المهلَّبي
إلى الملك عَضُد الدَّوْلة[١]

كتابي وما زال فَضْلُ الملك[٢] الجليل - أطال الله بقاءه - عليّ، وإنعامُه لديّ يزيدان ويتفاضلان، ويتناصران ويترادفان، حتى سَهّلا لي سَبيل الانبساط، وأوضحا نهج الافتراج؛ فأنا أجري على ذلك تحقّقاً، وأستعملُهُ تخصّصاً، وأثق بمَوْلانا الأمير - أدام الله عِزّه - بأنْ يَصرفه مني إلى استرسالِ الخادم المخلص، والعَبد المتخصّص، حَرَس الله على الموهبة من رَأيه، والنِّعْمة في بقائه، ووَفّقني ممّا قربَ منه، وأزلف عنده، ودعا إلى المزيد من إحسانه، والإمداد من تفضّله[٣] وامتنانه، بحَوْله وطَوْله، وجُوده ومجده.

وقد شرعتُ - أطال الله بقاء مَوْلانا الأمير الجليل - في جَمْع أنساب العرب النزاريّة واليمنيّة وفضائلها[٤] ومآثرها، وأيّامها وملوكها، ونبهائها وأسمائها وألقابها، ومَواطنهم في الأرض ومنازلهم في البَرّ والبحر، والبَدْو والحَضَر[٥]، واحتجتُ إلى[٦] معرفة أحوالهم الآن في جميع هذه الأماكن والمواطن، أوساطها وأطرافها، وأقاصيها

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي. (ر: الوزير مُحمّد أبي الحسن.......).

(٢) ر: تفضل مولانا الأمير.

(٣) ف: بتفضله.

(٤) ف: فضلها.

(٥) ف: الحضْرة.

(٦) ف: في.

وأدانيها، وسَهْلها وجَبلها، وما لكلّ قبيلٍ[١] منهم من أثرٍ وشاهد، وبناءٍ ورَسْم، ومواضع استقرارهم، ومدائنهم[٢] ومنازلهم، ومَن انقرض من أوليائهم، وباد من قُدمائهم، ومَن تفخّذ إلى وقتنا من أحيائهم، وتفرّع من بُطونهم، وعَدَد كلِّ صنفٍ منهم، وما هم عليه من الكَثرة والقلّة[٣]، وتفصيل ذلك في سائر أحياء[٤] عدنان وقحطان؛ حتى تكون الإحاطةُ به واقعة، والمَعرفةُ له جامعة.

وأنا أرغبُ إلى مَوْلانا الأمير الجليل - أطال الله بقاءه - رغبةَ مثلي من خَدَمه الواثقين، وأوليائه المتحقّقين بالإيعاز بتخليص ما من ذلك أجمع في نَواحي فارس وأعمالها من المدن والسَّواد، ومَن لعلّه تغرّب في البوادي، وتعزّب في البَراري، وسُكّان أعمال البَحْر وسَواحله ومُدنه[٥] وجزائره، والاعتماد فيه على قَوْومٍ عَروف، مطَّلعٍ[٦] حَصيف، والإيعاز إليه بإنْفاذه إليّ[٧] أسرعَ ما يمكن في مثله. فإنْ رأى سَيِّدنا ومَوْلانا الأمير الجليل - أطال الله بقاءه - أنْ ينعمَ على خادمه بما سأل إنعامَ مفضّلٍ عليه بالإجابة إليه، مسامحٍ[٨] له في التماس مثله فَعَل إنْ شاء الله.

---

(١) ف: قبيلة.

(٢) ر: وأسماء بلدانهم.

(٣) من: ف.

(٤) ف: قبائل.

(٥) من: ر.

(٦) ر: مضطلع.

(٧) ف: والإنقاذ إلى في أسرع.

(٨) ف: وسامح.

وكَتَب في فَصْلٍ من كتابٍ بذكرٍ للعبيد الأتْراكِ وَقَّعَ في غير مَوْضِعِه وذلك عند القَبْض على الطّائع وقيام القادر[1]

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، سيلي أوك. (س، ع: يذكر).

في سنة ٣٨١هـ قبض بهاء الدَّوْلة على الخليفة الطائع لله، ونصب القادر بالله. وأخذ هذا الحدث اهتماماً كبيراً من الذهبي؛ ففصّل فيه في أكثر من كتاب، قال في أحداث سنة ٣٨١هـ: «فيها قبضوا على الطائع لله في داره. وسبب ذلك أن الخليفة حبس أبا الحسن بن المعلم، وهو علي بن مُحمّد الكوكبي زعيم الشيعة في بغداد، والمدبّر لدولة بهاء الدَّوْلة وإليه الحكم. فجاء بهاء الدَّوْلة وقد جلس الطائع لله في الرواق متقلداً سيفاً. فلما قرب بهاء الدَّوْلة قبَّل الأرض وجلس على كرسي، وتقدّم أصحاب بهاء الدَّوْلة فجذبوا الطائع لله بحمائل سيفه من عرشه، وتكاثف عليه الدَّيْلم فلفّوه في كساء، وحُمل في سفينة وأُصعد إلى دار المملكة. وشاش البلد، وقدّر أكثر الجند أن القبض على بهاء الدَّوْلة، فوقعوا في النهب، وأُخذت ثياب مَن حضر من الأشراف والعدول والشهود، واحتيط على الخزائن والخدم وزوجة الطائع لله. تاريخ الإسلام، ج٨، ص٥٠٥.

ثم إن بهاء الدَّوْلة أمر بالنداء بخلافة القادر بالله وأكره الطائع على خلع نفسه، وعمل بذلك سِجلّ ونفذ إلى القادر وهو بالبطائح، وأخذوا جميع ما في دار الخلافة حتى الرخام والأبواب، ثم أُبيحت للرعاع فقلعوا الشبابيك وأقبل القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر. العبر، ج٣، ص١٧.

وكان الطائع لله همّ بالقبض على ابن عمّه القادر بالله وهو أمير، فهرب إلى البطائح، واستجار بصاحبها، مهذب الدَّوْلة من آل شاهين، وبقي عنده عامين. إلى أن خلع بهاء الدَّوْلة الطائع لله وأظهر أمر القادر بالله وأنّه أمير المؤمنين. وأشهد على الطائع لله بخلع نفسه، وأنّه سلّم الخلافة إلى القادر بالله، وشهد الكبراء بذلك. ثم طلب القادر بالله واستحثّه على القدوم. واستُبيحت دار الخلافة حتى نُقض خشبها. فكتب له القادر بالله: من عبد الله أمير المؤمنين

وقد كُلِّفَ ذلك[1]، إذ كانوا تحت رِقٍّ لا يجوزُ حُكْمهُم في نُفوسِهِم، فَضْلاً عن غيرهم، ولا يصحُّ لأحَدِهِم عَقْدَ نِكاحٍ لو شَرَع فيه إلّا بإذْنٍ من مُلّاكه ومَواليه، ونَصبوا بمكانِهِ - تولّاهُ اللهُ بعَفْوِهِ وغُفرانه - فُلاناً، وقد كان يُعرَفُ منه خَلائقُ تُوجِبُ الإقْصاء والاجتواء، أو تَـمْنَعُ من الإدْناء والاجتباء، فأوَّلُ ما ظَهَر من فِسْقِهِ أنْ قَبِلَ الأمر الذي نُدِبَ إليه، واستشْعَرَ منه شعاراً ليس له، وانتسب إلى إمارة المؤمنين، وإمامة المسلمين، من حيثُ لم يَرْضَ به راضٍ مِنهم، ولا انعقدت له بيعةٌ عليهم ؛ بل كانُوا جميعاً إلّا مَن حَصَل تحت سُلْطانِهِ وسُلْطان العبيد النّاصبينَ له، يَخْطُبون على مَنابرهم لفلان، تحرِّياً لتمامِ الصّلاة، وعلماً بأنّه الإمام دون مَن سِواه، ويُظْهرونَ لَعْنَ[2] هذا الفاسقِ وقَذْفِهِ،

القادر بالله إلى بهاء الدَّوْلة وضياء المِلّة أبي نصر بن عَضُد الدَّوْلة. سلام عليك، أما بعد أطال الله بقاءك وأدام عزك، ورد كتابك بخلع العاصي المتلقب بالطائع لبوائقه وسوء نيته فقد أصبحت سيف أمير المؤمنين المبير. سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٢٥.

ويذكر ابن الأثير سبباً لخلع الطائع لله وهو حاجة بهاء الدَّوْلة للأموال، فأشار عليه ابن المعلم بالقبض على الخليفة ومصادرة أمواله، وسهّل له ذلك. الكامل، ج٧، ص٤٤٢. وانظر أيضاً: الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ص٢٤٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٣٤٨.

يُذكر أنه في سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م وقعت مجاعة كبيرة في مصر وعمّ الغلاء، ففارقها كثيرٌ من أهلها، ومنهم تجار قدموا بغداد ومعهم كثير من الأمتعة التي كانت نهبت من قصور الخليفة الطائع لله وصارت إلى الخليفة الفاطمي. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢١٩.

ينفرد ديوان رسائل الصّابي بإيراد نصٍّ تاريخي يبرر خلع خليفة، فليس في المصادر الإسلامية - حسب علمي - وثيقة صريحة كهذا النص؛ لذلك تُعدّ هذه الرسالة نصّاً فريداً، بل من أندر النصوص التاريخية الخاصة بالخلافة العباسية، حيث نرى لأول مرة، محضراً بخلع خليفة وتنصيب آخر، وتبرير ذلك، بإعلان فسقه، وسوء سيرته، وتشويهها.

(١) (وقد كلف ذلك) ساقط في ع. وضبط (كلف) من: ر.

(٢) س: لغز.

وَيَبْرؤونَ إلى الله منه، ومن الصّلاة خَلْفَهُ، ويوجبون[١] عليه حكم[٢] رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم في الإمامين، إذا خرج أحدهما على صاحبه، وأنّ الأوّلَ منهما مُطاعٌ متّبع، والثّاني ممنوعٌ مُنْتزَعٌ[٣].

فلمّا رأى أنّه لا إمامةَ له، ولا وثيقةَ معه، أيْقَنَ أنّ الغِلْمان المطيفين شِرْذِمةٌ قد توافت جيوشُ الإسْلامِ إليها، وأطلّت عليها، وآذنتها بنَوازلِ الحتوف، وقَوارع المخوف، وأنّ أمْرَها صائرٌ إلى زَوال، ومُفْضٍ إلى اضْمحلال، رَكِبَ من قَتْل أخيه فلانٍ المركبَ الشَّنيع، واستحلَّ الأمْرَ الفظيعِ، وادّرع بالعارِ والشَّنار، وتبوّأ مَقْعَدهُ من النّار، وتتبّعَ أبناءَ الخِلافة المرَشّحين للقيام بها النّازعينَ، فأثّر فيهم ضروبَ الآثارِ، وعرَّهم صُنوفَ المعارّ، من اجتداعِ أنوفٍ، واصْطلام آذانٍ، إلّا مَن صانَهُ اللهُ وحَماه، وحفظَهُ ووَقاه، وأعدَّه[٤] لسدِّ الخلّةِ، وذخره لكُنافة الأُمّة، هذا إلى دماءٍ سَفكها، ومحارم انتهكها، وديارِ خرَّبها، ومساكنَ حَرّقِها، ودُعّارٍ أباحهم وسَلّطهم، ورعاعٍ طرق لهم وبَسَطهم، ليس منهم إلّا مَن جُرْمُه مُضافٌ إلى جَريرتِه، وفعلُه مَسْطورٌ في صَحيفتِه.

ولما أنجزَ اللهُ وَعْدَهُ، ونَصر جُنْدَه، وانهزَم هذا الفاسِقُ، والطّائفة التي اتخذَتْهُ سُلَّماً إلى الفتنةِ الصَّمّاءِ، والغارةِ الشَّعْواءِ، واستقرَّ فُلانٌ بمدينةِ السَّلام، التي هي قُبَّة الإسلام، ومَجْمَعُ أبناء الخلافة المؤهَّلينَ لحمل أعبائها، وارتداء ردائها، ومَقَرِّ الأشْراف والعلماء والقضاة والفُقهاء، وأصْلُ الإصابةِ والأصالة، جَمَعَهُم فُلانٌ، وفاوضَهم في هذا الخطْبِ

---

(١) س: وهو حيون.

(٢) س: مسلم.

(٣) لعلّه يقصد ما أخرجه مسلم في صحيحه، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما». ج٣، ص١٤٨٠ حديث رقم (١٨٥٣).

(٤) في الأصول كلها: وأعد.

العظيمِ، والأمْرِ الجسيمِ، واستفتاهم استفتاء مثلِه من أولي الأمرِ الذين سبقَتْ لهم السَّوابق[١] في القيام واتّباع أوامر الله فيه؛ فأفتَوْا على اختلاف مَذَاهبهم، واتّفقوا على افتتان[٢] آرائهم على أنّ فلان ابنَ فلانٍ هذا خارجٌ عن الإجماعِ، خالعٌ رِبْقة الذّمامِ[٣]، وأنّه بها[٤] استحلَّ من قَتْل أخيه، واستجازه في أهْلِه وذويه، وأباحَ من دماءِ المسلمين، وهَتَكَ من حريم المَسْتورينَ، حقيقٌ بأنْ تُنصب له الأرْصادُ، وتُضْربَ عليه الأسداد، وينهد إليه النّاهدون، ويُجاهدُهُ المُجاهدونَ، وأنّه لا إمامَ لهم منذ استشهد فلانٌ.

ومن أشدِّ التَّقرُّب إلى ربِّ العالمين، وأعْود الأمورِ على المسلمين، نَصْبُ إمامٍ يَجْمعُ الكلمة، ويَنْظِمُ الأُلْفةَ، ويحمي الحريمَ، ويكفي العظيمَ، ويأخذ الثّأْرَ من ذلك الشّاقِّ العاقِّ، الكاذِبِ في دَعْواه، المدْغِل في سرِّه ونَجْواه، المُسْخِطِ لإلهه، المخلد في دِينِه، القاتِل لأبيه، القاطع لرَحِمِه.

وكتبوا بما أجمعوا عليه من ذلك خُطوطهَم، وسَقَط الخِلافُ فيه بينهم. فلمّا صارَ عند فلانٍ، وعِنْد هؤلاء الملأِ الذين بهم القُدْوةُ، وبهم الأُسوةُ كضياءِ الشَّمْس في ارتفاعِ اللّبس، انقلبوا إلى اختيار مَن يُصْلحُ للأمْر مُصعدينَ ومُصَوِّبين، ومُجْتَهدينَ ومُتحوّبين[٥]، فوقع النّصُّ على أمير المؤمنين وقوعاً خالِصاً من كلِّ معارضةٍ، ومَحْمِيّاً من كُلِّ مُناقضةٍ، ومَبْنياً على الأصولِ التي بها تنعقد الأمّة، وتستحقّ الطّاعة، وتلزم الحجَّة، وتزول الشُّبهةُ.

---

(١) س: السوايف.

(٢) س: أفشار، ف: اختلاف، مكررة.

(٣) س: الزمام.

(٤) ساقطة في س.

(٥) س، ف، ع: متخوفين. التحوّب: التعبّد. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٣٩ (حوب).

نُسْخة عَهْدٍ عن القادر بالله
إلى بهاء الدَّوْلة وضياء المِلّة[1]

من عبد الله أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين
إلى بهاء الدَّوْلة وضياء المِلّة أبي نصر
ابن عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة
مَوْلى أمير المؤمنين

سلام الله عليك، فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا اله إلّا هو، ويسأله أنْ يصلّي على سَيِّدنا مُحَمّدٍ عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلَّم تسليماً. أما بعد أطال الله بقاءك، وأدام عزّك وتأييدك، وأحسن إمتاع أمير المؤمنين بك، وبالنِّعْمة فيك وعندك، فإنّ كتابك الوارد في صُحبة الحسن بن مُحَمّد بن نَصْر -رعاه الله - عُرِض على أمير المؤمنين تالياً لما تقدّمه، وشافعاً ما سبقه، ومتضمّناً مثل ما حواه الكتاب قبله، من إجماع

---

(١) أورده ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٣٥٠، وقد نقله عن هِلّيل بن المحسِّن بن إبراهيم الصابي، قال: «قال هلال (هِلّيل): وجدتُ كتاباً كتبه القادر بالله من الصَّليق إلى بهاء الدَّوْلة، نسخته........».

قال أبو شجاع الروذراوري: وفيها (أي في سنة ٣٨١هـ) وصل الأشراف والقضاة والشهود إلى حضرة القادر بالله وسمعوا يمينه لبهاء الدَّوْلة بالوفاء وخلوص النية، وتقليده ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة. وذلك بعد أن حلف له بهاء الدَّوْلة على صدق الطاعة والقيام بشروط البيعة. ذيل تجارب الأمم، ص٢٨٤.

تجدر الإشارة إلى سوء نشرات كتاب (المنتظم) جعل بعض الجمل والكلمات في هذا العهد غير واضحة القراءة.

المسلمين قِبَلك الخاصّ، والعامّ، بمشهدٍ منك على خَلْع العاصي المتلقّب بالطّائع عن الإمامة، ونَزْعه عن منصب الخلافة لبوائقه المستمرّة، وسوء نيّته المدخولة، وإشهاده على نفسه بنكوله وعَجْزه، وإبرائه الكافة من بيعته، وخروجهم من عَهْده وذمّته، ومبادرة الكبير والصّغير إلى المبايعة لأمير المؤمنين، وإصفاقهم واتّفاقهم عليها بانشراحٍ في صُدورهم، وانفساحٍ من آمالهم، واستتباب ذلك بتلطفك من حسن الارتياد للمسلمين، وانتظامه بغضبك لله ولأمير المؤمنين، حتى ناديت بشعاره في الآفاق، وأقمتَ الدّعوة لله في الأقطار، ورفعتَ من شأن الحقّ ما كان العاصي خَفَضه، وقمتَ من عماد الدِّين ما كان المخلوع رفضه.

ووقف أمير المؤمنين على ذلك كلّه، وأحاط عِلْمه بجَميعه، ووَجَدك - أدام الله تأييدك - قد انفردتَ بهذه المأثرة، واستحققتَ بها من الله تعالى جليل الأثرة، ومن أمير المؤمنين سَنيّ المنزلة، وعَليّ المرتبة، وكانت هذه المنزلة عليك مَوْقوفة، كما كانت الظنون فيها إليك مَصْروفة، حتى فزت بها بما يبقى لك في الدّنيا ذكرُه وفخرُه، وفي الآخرة ثوابُه وأجرُه ؛ فأحسن الله عن هذه الأفعال مكافأتك، وأجزل عاجلاً وآجلاً مجازاتك، وشملك من تَوْفيقه وتَسْديده، ومعونته وتأييده، بما يديم نَصْر أمير المؤمنين بك، وظَفَره على يدك، وجعلك أبداً مخصوصاً بفَضْل السّابقة في ولائه، متوحّداً بتقدّم القدَم في أصفيائه[1]، فقد أصبحت وأمسيت سيف أمير المؤمنين لأعدائه، والحاظي دون غيرك بجميل رأيه[2]، والمستبدّ بحماية حَوْزته، ورعاية رعيّته، والسِّفارة بينه وبين ودائع الله عنده.

---

(١) في الأصل: أصفائه.

(٢) في الأصل: رأيك.

وقد برزت رايةُ أمير المؤمنين عن الصَّليق[١] متوجَّهةً نحو سَريره الذي حرسته، ومستقرّ عزّه الذي شيّدتَه، ودار مملكته التي أنت عمادُها، ورحى دَوْلته التي أنت قطبُها، معتقداً لك ما يعتقد في المخلص طاعةً ومُشايعة، والمهذّب نيّةً وطويّة، من صُنوف الاختصاص الذي لا يضرب معك فيه بسَهْمٍ دانٍ ولا قاص، ويوفي على كلّ سالف، ويفوت كلّ آنف، ويعجز كلّ مناؤ، ويفحم كلّ مسامٍ ومساوٍ، ولا يبقي أحدٌ إلّا عَلِم أنّه مُنزاحٌ عنك، غير متوازٍ لك، فأحببت[٢] لمحلّك، وقصر خطاه عن مجازاتك، ووقع دون موقعك، وتزحزح لك عن موضعك.

وقد وَجَد أمير المؤمنين الحسن بن مُحمّد بن نَصْر - كلأه الله - مصدّقاً بفعله وَصْفك، محقّقاً ثناءك، مستوجباً لما أهّلته ورشّحته للقيام به من المسير في خدمته، والحقوق فيما يبديه له. وعلم أمير المؤمنين أنك لم تتلقّه إلّا بأوثق خَواصّك في نفسك، وأوفرهم عندك؛ فاحمد في ذلك اعتمادك، وإضافة إلى سَوالف أمثاله منك، فاعلمْ ذلك أدام الله تأييدك، واجرِ على عادتك الحسنى، وطريقتك المثلى في النيابة تبقى، وواصل حضرة أمير المؤمنين بالإنهاء والمطالعة إنْ شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكَتَب ليلة الأحد لثلاث ليالٍ بقين من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.

---

(١) مواضع كانت في بطيحة واسِط، بينها وبين بغداد. وكانت مقر عمران بن شاهين وخلفائه، وكانت ملجأ لكل خارج وخائف. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٢٢.

(٢) كذا.

نُسْخة منشورٍ(١)

هذا كتابٌ من بهاءِ الدَّوْلة وضياءِ المِلّة أبي نَصْرِ
ابنِ عَضُد الدَّوْلة وتاجِ المِلّة أبي شُجاع بن رُكْن الدَّوْلة أبي عليٍّ
مَوْلى أمير المؤمنين
لجماعةِ التُّنّاء والمعامَلِين والأَكَرَةِ والمزارِعين
بمدينةِ السَّلام وسَوادِها، وواسِط وأعمالِها

إنّا لما نُؤثِرُه من عِمارةِ البلادِ ومصالِح العبادِ، نظَرْنا في أمورِ نَواحيكم هذه، واستقرَيْنا أحوالَها في عِمارةِ ما يُعمَّر، وتعطيلِ ما يُعَطَّل، فوقَفْنا على أنها كانت في أيّام المِلكِ السّعيدِ عامرةً بإنصافِهِ وعَدلِه، ومطَّرِدةً على مُوجِباتِ سياستِهِ وفضلِه، وأنّ الكثيرَ منها الآن بائرٌ لا يُزْدرَع، ومُعَطَّل لا يُعتَمَل، بالإهْمالِ الواقعِ فيما بين أيّامه وأيّامنا، والتقصيرِ الجاري ممّن تقدَّمَ نظَرُهُ نظَرَنا، حتى أدَّى ذاك إلى غلاءِ الأسعارِ وضيقِ الأقوات. وأنهَيْنا ذلك إلى مَوْلانا أمير المؤمنين، وخرَجَ إلينا أمرُه -لا زالَ عالياً، وسُلْطانُه سامِياً- بالصَّمْد، لإزالةِ أسبابِ الخرابِ وحَسْمِها، والازديادِ من العِماراتِ

---

(١) ليدن.

ملك بهاء الدَّوْلة حينما توفي أخوه شرف الدَّوْلة سنة ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م، وتوفي بالصرع سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٥٨٩. وهذه الرسالة مما يندرج في إطار الإجراءات الاقتصادية التي اتخذها البويهيون ومحاولتهم الإصلاح الزراعي الذي تعود نتائجه بعائدات مالية كبيرة عليهم. وتقدّم التعريف بالتناء و الأكَرَة، ج٢، ص٤٣، ص٤٤.

والتناهي فيها، فاختَرْنا للقيامِ بها والتوفُّرِ عليها، شيخَنا أبا نَصْر، الذي هو مرسومٌ به من النيابةِ عنّا، والخلافةِ لنا، والقيامِ مقامَنا فيما غِبْنا عنه وشَهِدَهُ، وبَعُدْنا منهُ وحَضَرَهُ، ونَعرِفُهُ به من إيثارِ العِمارة ومَحبَّةِ الاستقامةِ، وحُسْنِ السِّيرة، والإشبالِ على الرّعيّة.

فأمَرْناهُ بكَتْبِ الشّروطِ عنّا لكم في الضِّياعَ البائرةِ التي تأخَّرَتْ عِمارتُها وبَعُدَ العَهْدُ بزراعِتِها، وتخفيفِها عنكم، وتَعْديلها على ما يتقرَّرُ الأمرُ عليه معكم، وتَصْييرها وَضائعَ[1] مؤبَّدةً ماضيةً، وطُسوقاً[2] مقرَّرةً قائمة، وأُصولاً معمولاً عَليها، ورُسوماً مَرْجوعاً إليها، على استقبالِ سنةِ كَذا الخراجِيَّة في سائرِ المقاسَماتِ والمعامَلاتِ، من غير أنْ يقَعَ عليكم فيها تأوُّلٌ ولا تتبُّع، ولا فَسْخٌ ولا تعقُّب، وجعَلْنا ما أمْضاهُ من ذلك ماضياً، وما أنفَذَهُ نافذاً، وما قرَّرَهُ مُستقِرًّا، وما عقَدَهُ مستمِرًّا على تعاقُبِ السِّنين والأعوام، ومُرورِ اللّيالي والأيّام، لكم ولمن عسى أنْ تَنتقِلَ هذه الأملاكُ إليه عنكم بميراثٍ وتمليكٍ أو بَيع، أو غيرِ ذلك من الأسبابِ التي تنتقِلُ بها الأملاكُ، وأمَرْنا طبقاتِ الكُتّابِ والعُمّال، والمتصرّفين في الممالِكِ والأعمال، بحَمْلِ جماعتِكم في البُورِ الذي تستقبلونَ عِمارتَهُ، والمَواتِ الذي تستأنفونَ إحياءهُ على ما يتحصَّلُ في أيدِيكم من هذه الشروطِ، وإثباتِها في الدَّواوين، وتخليدِها فيها، وإضافتِها إلى نَظائرِها من الحُجَجِ

---

(١) جمع وَضيعة وهي مصطلحٌ اقتصادي (ضرائبي) يتراوح بين الخراج والجزية والزكاة. وله معنى عسكري أيضاً. انظر تفسيره عند: البلاذري، فتوح البلدان، ص٨٨؛ الفارابي، ديوان الأدب، ج٣، ص٢٤٠؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٤٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١١٧؛ ابن سيده، المخصص، ج٣، ص٣٢١؛ الزمخشري، الفائق، ج٢، ص٢٨١؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٥، ص١٩٥؛ الصالحي، سبل الهدى، ج٢، ص١٠٨. ويبدو أن المقصود هنا يتصل بالخراج على وجه التحديد.

(٢) تقدَّم تعريفها في ج٢، ص٤٤.

التي يُعمَلُ عليها ويُرجَعُ إليهـا، وأنْ يُعتمَـدَ في سـائرِ المعـاملاتِ العـدلُ والإنصـاف، ويُجتنَبَ الحَيْفُ والإجْحاف، ويُؤخَذَ حقّ بيتِ المـالِ - في وقـتِ وُجوبـهِ- عـلى الرِّفـقِ السَّديد بأهلِهِ حتى تتَناهى المعدِلةُ إلى غايتها، وتتكامَلَ العمارة على أقصـى الممكنِ فيها، ويعودَ ذلك بالمصالِح في الدّنيا والدِّين، والمرافقِ العامّة للمسلمين والمعاهَدين.

فلْيَعلَمِ الجماعَةُ ذلك من رأيِنا، ولْيَسْكُنوا من اعتقادِنـا، ولْينتَهـوا إلى مـا رسَـمْناه، ولْيثِقوا بما بذَلْناه، ولْيتيقَّنوا أنهم محمولونَ عليه، ومردودونَ إليه، ولْيَبْسُطُوا في عِمارةِ مـا تعطَّلَ من أملاكِهم، وبارَ من ضِياعِهم، بالآمالِ المُنفسِحة، والصّدورِ المنشَرِحة.

ومَن قرأ هذا الكتابَ مـن العُـمّال والمشـرِفين، وأصـنافِ الكُتّـابِ والمتصـرّفين، فلْيعمَلْ بمُتَضَمّنِه، ولْيحذَرْ من مُخالفَتِه، ولْيعلَمِ العامِلُ به أنّـه محمـودُ الخِدْمـة، مَـرضِيُّ الطريقةِ، وأنّ العادلَ عنه متعرِّضٌ لأشدِّ النَّكالِ وأعظم العقوبة، إنْ شاء الله.

وكَتَب عن الملك بهاء الدَّوْلة
إلى الشيخ أبي نَصْر خُرشيد يزدار بن مافَنّة
حين استخلفه على مدينة السَّلام (١)

هذا كتابٌ من بهاء الدَّوْلة وضياء المِلّة أبي نَصْر
ابن عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة أبي شجاع بن رُكْن الدَّوْلة أبي عليّ
مَوْلى أمير المؤمنين
لشيخنا أبي نَصْرٍ خُرشيد يزدار بن مافَنّة أدام الله تأييده

إنّا وَجَدْناك بما جمع الله لنا فيك من الفَضائل الموجبة لمعرفة حقِّك، وإعلاء شأنك، وبَسْط يدك، والاستضاءة برأيك، وما مَضَت فيه السّنون والأعوام، وتعاقَبَت عليه اللَّيالي والأيّام من خِدْمتك لرُكْن الدَّوْلة أبي عليّ، ولعَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة أبي شجاع - رحمة الله عليهما - ولنا، وتقلُّبك في نِعَمهما ونِعَمنا، واختلاطك بهما وبنا، في مَعاظم أمورنا، وتَصاريف أحوال دَوْلتنا، وتقدُّمك على الأضراب الأتراب في نفوسنا، واستثمارنا بركة رأيك، ونتيجة إخلاصك ووفائك في كلّ مهمٍّ لنا، وتدبيرٍ يخصّنا أحقّ مَن رَفَعْنا درجته، وعَلَّيْنا منزلته، وقَدَّمْنا قدمه، وبَسَطْنا يده، وأهَّلْناه لتحمُّل أثقالنا، وتَسْديد أمورنا، وسياسة أوليائنا وخَواصّنا، ورعاية رَعايانا وعَوامّنا؛ فلذلك نَصَصْنا

---

(١) طهران.

قال ابن الأثير في أحداث سنة ٣٨٠هـ: فيها سار بهاء الدَّوْلة عن بغداد إلى خوزستان، واستخلف ببغداد أبا نصر خواشاذه. الكامل، ج٧، ص٤٣٨. وانظر تعليقنا في ج١، ص٤٥٩، (هامش١).

في النِّيابة عنّا، والخلافة لنا في دار مُلكنا، عند مَسيرنا عنها إلى الجهة التي توجَّهنا إليها[١]، وجعلناك ناظراً في جميع أمورنا، ونافذَ الأمر على كلّ منتسبٍ إلى خدمتنا، ومتصرّفٍ في أيّامنا، وأجلسناك المجلسَ الذي خَصَصْناك بشرفه في دارنا، وفوّضنا إليك أيضاً ما ترى إمضاءَه من رَفْعٍ وخَفْض، وبَسْطٍ وقَبْض، وزيادةٍ ونقصان، وصَرْفٍ وتقليد، وتدبيرٍ وتفويض، ورَسَمْنا لك أنْ توقّع توقيعنا، وتثبت علامتنا فيما يُنشأ من الصِّكاك والمناشير وغيرها، على ما جَرَت به عادتُنا في ذلك. وأقمناك في هذه الأمور كلّها مَقامنا، وجعلنا حكمَك حكمَنا، وقولَك قولَنا، وتوقيعَك توقيعَنا.

وأمَرْنا سائرَ المستخلَفين والمستخدَمين ببغداد وأكنافها، والموصل وأعمالها، وواسِط وما يجري معها من طبقات القُوّاد والخواصّ والغِلْمان، وأصناف الأولياء وأصحاب النّواحي والأطراف، والأعراب والأكراد وغيرهم. والكُتّاب والعُمّال وأرباب الدَّواوين والأعمال بأنْ يسمعوا ويطيعوا لك، ويوردوا ويصدروا عن رأيك، ويقفوا على حدود أمرك ونَهْيك.

ثم إنّا بعد ذلك عَلِمنا ما لا بدّ يلزمُك من زيادة النَّفقات، وعَوارض المهمّات لمن تستزيده من حاشيتك وبِطانتك، وأسبابك وأعوانك، وغِلْمانك وأتباعك، والرُّسُل والرّكابيين والفُيوج[٢] والجواسيس ونفقات: الوُفود وأصحاب الأخبار والخِلَع والجوائز والسِّماطات والموائد وغير ذلك من المؤن والعَوارض والكلف الطّوارق؛ فرفعناك عن أنْ نُقْطعك عن ذلك إقطاعاً محدوداً، أو نجعل لك في التَّوْسعة أمداً

(١) في الأصل: إلينا.

(٢) جمع فَيْج وهو الرسول أو البريد. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٥٠ (فيج).

مقصوراً، وأطلقنا يدك في تناول ما تحتاج إليه لهذه الأسباب من عرض أموالنا، وسائر وُجوه الدَّخْل في مَمالكنا كائناً ما كان، وبالغاً ما بلغ؛ إذ كان المرجعُ فيها، حَضَرْنا أو غِبْنا، إلّا ما أشرتَ به ورأيتَه، والمعمولُ عليه ما قرّرتَه ودبّرتَه.

وأمَرْنا بقبول توقيعاتك، وإمضاء إطلاقاتك. وجعلنا الممضيَّ ما مضيّتَه، والممنوعَ ما منعتَه، والمعمولَ عليه ما حدَّدْتَه ورَسَمْته، وأعفيناك وسائر أصحابك عن دَفْع حساب شيءٍ من ذلك كلّه، أو موافقة عليه.

ونزّهناك وإيّاهم عن أنْ يلحقك أو يلحقهم فيه تأوُّلٌ أو تعقُّب، أو بحثٌ أو تتبُّع، أو مطالبةٌ بشاهدٍ أو دليل، على كلّ وجهٍ وسَبيل. فتولَّ شيخنا - أدام الله تأييدك- ما وَلّيناك، واعتنق ما قَلّدناك، واكفنا ما استكفيناك، وترتَّبْ بحيث رتَّبناك، وانبسطْ في الخلافة لنا انبساطَ النَّصيح الأمين، وتسلَّطْ علها تسلُّطَ الأثير المكين، وقمْ لها قيامَ النائب المستخلَف، وانهض فيها نهوضَ المعتمَد المكلَّف. واعلم أنّا نستظهر بك ولا نستظهر عليك، ونستحفظك ولا نتحفّظ منك، ونسمع منك ولا نسمع فيك، واجرِ الأمور التي فوّضناها إليك، وعوّلنا فيها عليك على[1] أفضل مجاريها، وعلى أجمل ما سبقت عادتُك فيها. وثقْ بأنك محمولٌ على جميع ما يوجبه هذا المنشور، وواظبْ على مكاتبنا بأخبارك، ومطالعتنا بأمورك، وما تظهره الأيّام من بركة نظرك، وسَداد تدبيرك، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) إضافة مقتضاة.



رسائل
في الشفاعات



كَتَب في الشفاعة لأحدهم[١]

الشّفاعةُ - أدام الله عزّك - حالٌ تجمَعُ المستشفِعَ والشافِعَ والمشفوعَ إليه، وعلى كُلٍّ منهم أنْ يَجريَ إلى غايةٍ إذا وَصَل إليها فقد بلّغَ نفسَهُ عُذرَها، وأمِنَ من عاقبةِ اللّوم فيها.

فأمّا المستشفِعُ فعليه أنْ يختارَ لأمِلِهِ الجنابَ المريع، والمَوْرِدَ العذبَ، والجهةَ المعهودَ منها التقبُّلَ لأمثالِهِ، المشهورَ عنها الإقبالُ على أشكالِه، وأنْ يَعتقِدَ إذا تعلّق بحَبْلِها، وسَكَن في ظلِّها إبانَةَ الكفايةِ فيما تولّاهُ، وإطالةَ الشّكرِ على ما يُولّاه، واتّخاذَ الأثرِ الجميلِ شافِعاً ثانياً يُعينُ الأوّلَ ويَعضُدُه، ويُصدِّقُهُ ولا يُهجِّنُه، وأنْ يعتمدَ بالأوّلِ أنْ يكون صديقاً يوجِبُ له، ويَستحِبُّ إيداعَ العارِفةِ عنده، ولم يتقدَّمْ منهُ في الحاجاتِ إكثار[٢] المُسْرِف، ولا إمْلالِ المُلحِف، ولم تُقصِّرْ منزِلتُه عن احتمالِ الأثقالِ له التي هي أرجَحُ وَزناً من حاجَتِه، وأبعَدُ أمَداً من إرادتِه، استظهاراً في أمرِه، واستنجاحاً لسَعْيه، وتَحرُّزاً من التغريرِ بما يبذله، واحتراساً[٣] من الإخفاقِ فيما يَطلُبُه.

وأمّا الشّافِعُ[٤] فعليه أنْ يُجرّدَ في المسألة، ويتقلّدَ إذا شُفِّعَ المِنَّة، ويخلِّد ذلك ديوانَ الدّيونِ المفْتَرَضة، ويثبته[٥] في حساب الحقوق المفْتَرَضة، ويلتزم الجزاء إذا أمكنَه، والمُقابَلة إذا أُريدَت منه.

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة. (في الشفاعة لأحدهم) إضافةٌ منّا.

(٢) ج، ل: بإكثار.

(٣) ف: احترازاً.

(٤) ف: الشفيع.

(٥) ف: ويخلده.

وأمّا المشفوعُ إليه فعليه أنْ يعلَمَ أنّه ما أُمِّلَ إلّا عن تأمُّل، ولا سُئلَ إلّا بعد تثبُّت، وأنّ الزّائد له قد أنفَقَ مزجىً[1] بضاعَتِهِ، والكاتبَ على يدهِ قد أراقَ ماءَ وَجْههِ، وأنّه متى قصَّرَ في التعرِيض[2]، ولوَى عن المطلوب، فقد خسِرَ أكثرَ ممّا خَسِرا، وانثلم أضْعافَ ما انثلما، وسَبقَهُما إلى ما يُلجئُهما إليه من الخَجْلة، ويُحصِّلُهُما عليه من الخَيْبة.

وكتابي هذا -أيّدك الله- واصِلٌ من يَدِ فلان، وهو راغِبٌ، وأنا شافِعٌ في أنْ تنفعَهُ وتُصرِّفَهُ، والشريطَةُ لك أنْ تنتفِعَ به وتحمَدَهُ، وقد جَمَعْنا في ذلك الجوامع المقدَّمُ ذِكْرُها[3]، وقامَ وقُمتُ بما علينا فيها، وأنتَ - أدامَ الله عزَّك - وَليُّ ما تَراهُ في التَّصْديقِ لظنِّنا بك، واللَّحاقِ بنا في القيام بما عليكَ، إنْ شاء الله.

---

(١) ف: مزجاة.

(٢) ج: التعويض، ف: التعرض.

(٣) ساقطة في ف.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة إلى مؤيِّد الدَّوْلة
جَواباً عن كتابِهِ بالقَبْض على ذي الكفايتين أبي الفَتْح بن العَميد[1]

كتابي – أطال الله بقاء سَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة – يومَ الخميسِ لأرْبع ليالٍ بقينَ من شَهْر ربيع الآخِرِ، والسَّلامة لمَوْلانا أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – ولي في ظلِّه شاملةٌ، ونعمةُ الله عند جَماعتنا كاملةٌ، وأنا كما يُحبُّ سَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة – أدام الله عِزّه – في الكفايةِ والوقاية، راغبٌ إلى الله تعالى في الجمع بيننا فيهما، والإمتاع بما ألْبَسناهُ وخَوَّلْناهُ منهما، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

ووَصَل كتابُ سَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة – أدام الله تأييدَه – مُشْتملاً على مُطالعتي بالعَزيمةِ التي أنْفَذَها، والصَّريمة التي أمْضاها في القَبْض على عليٍّ بن مُحمّد بن العَميد، وحطِّهِ عن مَنْزلةِ الاصطفاء والاجتباء، إلى مَنْزلةِ الاطّراحِ والاجتواء، ونقله عن مَفْخر التَّنْويه والاصطناع، إلى مَنْزلةِ الإعْراضِ والارتجاع، بالجرائرِ التي جرَّها عن نفسِهِ، والجرائم التي كَسِبَتْها يداه، والأحْوال التي أومأ سَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة – أدام الله تأييدَه - إليها، واحتجَّ بإقْدامه - كان – عليها، وفهمتُه[2]، وسألتُ اللهُ بادئاً في قوْلي، ومُخْلِصاً في سرِّي، أنْ يخير له الخيرةَ التّامّةَ في كلِّ رأيٍ يَرْتئيه، وتدبيرٍ يُنشئه ويُمضيه، من

---

(١) سيلي أوك، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي. (العنوان في ف: وعنه إلى مؤيدها جواباً...... وسقطت «أبي»، وكذلك سقطت في: ع، س). وأورد الثعالبي فقرة واحدة من هذه الرسالة. يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٩٣؛ وكذلك الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص١٠٣.

تقدّم سبب القبض على ابن العميد في ج٢، ص٣١٣.

(٢) تكملة لقوله: وَصَل كتاب سَيِّدي.

تأخير أحدٍ أو تَقْديمه، وصَرْفِه أو تَقْليده، ووَضْعِه أو رَفْعِه، وإقْصائِهِ أو إدْنائِهِ، وأنْ يتولّاهُ فيمَن نَصحَ له بالإظهار والعزِّ، وفيمَن غشَّهُ بالإذلال والكَبْت، ويُجريه وإيّاي فيه على عادتِهِ الجميلة.

وعِنْدنا أهْل البيتِ من تَوْفيقنا للصّواب، والوُقوف على مَناهجِ السَّداد، والكَشْفِ لنا عن مَرضِ قُلوبِ المنافقين، ونَخائل صُدور المُخْلصين، حتى نقرَّ النِّعَم عند المستقلِّينَ بها[1]، وننزعَها عن الغامطين لها، فنسلَمُ في إسْدائها من غَلطِ الاختيار، وفي ارتجاعِها من حاجةٍ إلى الاعتذار.

وأقولُ بعد ذلك - أيّد اللهُ سَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة - إنّ لهذا الفتى مَواتّاً[2] كثيرةً، وأسلافاً في إيجابِ الحقِّ قديمةً، وإذا جُعلتْ بإزاء فَرَطات غَرارتِه، ونَزَقات حَداثتِه، أوْفت عليها أو وَفَت بها، وتجاوزتَها أو عادلتها. وقد عَهِد مِنّا وعَرفَ من أخْلاقنا الحِلْم عن سَوْرة الغضبِ، والكَظْم على حرّة الغَيْظِ، وأنْ يكون إحسانُنا إلى المُحْسن مع أوّل استحقاقِهِ، وإساءتنا إلى المسيءِ في آخرِ استيجابه، وبَعْد الإملاءِ والصَّبر عليه، ونَبْذ المعاذير في حالٍ بعد أُخرى إليه.

[3]وهذا غلامٌ أفْسدته سَجيَّةُ الأمير السَّعيد رُكْن الدَّوْلة - نَضَر الله وَجْهه - الشّريفة[4] في شدّة الاحتمال، والصَّبْر على الإدلال، واجتمع له مع ذلك التَّقلُّب في نعمةٍ حازَها حيازةَ الوارث ما لم يَكدحْ في تأثيلها، ولا مسّهُ النَّصبُ في تمييزها، ولا اهتدى إلى

---

(١) ساقطة في ف، وكذلك: (لها) بعد ثلاث كلمات.

(٢) في الأصول الخطية: موات.

(٣) من هنا إلى (التجاوز عنه) في نهاية هذه الفقرة أوردها الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٩٣، وقال إن هذا الكتاب في الشفاعة لأبي الفتح.

(٤) ف، س: الشريف.

طُرقِ استبقائها، ولا تحرّز من دواعي انتقالِها. ومن ألْزَم اللَّوازم في حُكْم الرّعاية أنْ نحفظَهُ في[1] شُكرِ نعمةٍ نحن سَقَيْناهُ بكأسِها، وأنْ نعذرَهُ عن هَفْوةٍ قد شركناه في إيجادِ أسْبابها، وأنْ تكون نفسه محروسةً، والتقيّة من حالِهِ بعد أخْذِ فَضْلها المفسدِ كان له متروكةً، وأنْ يتحدَّثَ النّاس بأنّ سَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة – أدام الله تأييدَه – أصابَ غَرضَ الحَزْمِ في القَبْضِ عليه، ثم طبق مفْصل الكرمِ في التَّجاوزِ عَنْهُ.

فإنْ رأى – أطال الله بقاءه، ولا سَلبه الهداية في مَساعيه، والتوقّل في مَعاليه – أنْ يأتيَ في ذلك ما يليقُ بمستفيضِ أياديه، وما هو أهدى إلى مَسالِكِ الجميل فيه، وإعْلامي مَن نصَّ عليه لخدمته، وسدَّ ذلك المكانَ المنيفَ من وزراته؛ فإنّني إلى معرفته مُتطلّعٌ، ولجميل عادةِ الله في تَوْفيقه متوقّعٌ، فَعَل إنْ شاء الله.

---

(١) س، ر: من.

وكَتَب عن مُحمّد بنِ بَقيّة
إلى الأمير فَخْر الدَّوْلة أبي الحسن عليّ ابن رُكْن الدَّوْلة
يشفَعُ إليه في أمرِ أبي عَمْرو عبدالله بنِ سَعيد بن المَرْزُبان
وذلك في شَوّال سنة ستٍّ وستّين وثلاثمائة [١]

كتابي -أطال الله بقاء الأمير فَخْر[٢] الدَّوْلة- والسَّلامة لأخيه ومَوْلانا الأمير عِزّ الدَّوْلة، ولي في ظلِّهما -لا عرَّاني الله منهُ- متكاملَةٌ، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

وقد مَهَّدَ الله بتفَضُّلِه حالي ومحَلِّي عند الأمير تمهيداً يَبسُطُني إلى الإدْلالِ على كرمه فيما يُهمُّني، ويُضيِّقُ عُذرِي في الانقباضِ عن مسألتِهِ ما يَعرِضُ لي، ولا سِيَّما إذا كان ذلك في الأمورِ العائدةِ عليه بحاضِرِ الشُّكر، وعَتيدِ الأجر، والمزيدِ في المناقِب، والتّحصينِ[٣] للفَضائل، ورعايته -أدام الله عِزّه- لخَدَمِه الرّعاية المعروفَة المألوفَة، المنعوتَة الموصوفَة، فمتى عمَّهم بها كان ماضياً على سَجيَّتِهِ، ومتى أخرَجَ أحَدَهم عنها كان متكَلِّفاً ما ليس في خَليقَته، وجَرى ذلك مجرَى الأمرِ النُّكْر[٤]، والشيءِ البِدْع، ولزِمَ أولياءه الدّانينَ منه، والنّازِحينَ عنه، أنْ يَخدُموهُ في الإشارةِ إليه، والتّنبيه عليه،

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة. (الأمير من ك)، (عبد الله: ساقط في: ف)، (يشفع....... وثلاثمائة) من الرسالة اللّاحقة، وهي في الموضوع ذاته. وكان بدلها (في مثل ذلك) أبدلتهما لأنني قدّمت الرسالة الموجهة للأمير، على الرسالة الموجهة لكاتبه.

(٢) (الأمير فخر) ساقط في ف.

(٣) ر: التحصن.

(٤) ساقطة في: ر، ف.

والعُدولِ به إلى المـذهبِ الأفضـل، والسَّـنَن الأعْـدَل، والفعـلِ الـذي يَسـتديمُ لتلـك المحاسِن صَفاءها، ويُميطُ عنها أقذاءها، وأنْ يَقِفوا معه مَواقِفَ الرّاغبينَ إليه فيما ظاهِرُه لغيرِهِ وباطنهُ له. ومِثلُهُ - أيّده الله- مَن لانَتْ للجميلِ مَثانيه، وطاعَتْ مَعاطِفُه فيه.

وأنا شافِعٌ إلى[1] الأمير -أطال الله بقاءه- لعبده الفقـير إلى عَفـوه، والمسـتعِيذ مـن سَطْوِه[2]: أبي عَمْرو عبدالله بنِ سَعيد بن المرْزُبان - أعزه الله - بصَلاحِ رَأيِهِ لـهُ، وإقبـالِ طَرْفِـهِ عليـه، شَـفاعةً لا أشـوبها بإقامَـة حُجَّـة، ولا أُلِمُّ بهـا بمناقَضـة، بـل أبنيهـا عـلى الاستصفاحِ عن رَجُلٍ محجوجٍ مَخصُـوم، مُعنَّـفٍ مَلُـوم، لا أنّنـي أُثبِّـتُ عليـه خِيانـةً لم أستوضِحْها، وألصِقُ به جَرِيرةً لم أتبيَّنْها، لكن لأحسِمَ مـادّة المراجَعـة، وأسـتَعفي مـن الحاجةِ إلى المعاودَة، فإنْ لم[3] يكنْ -أيّدَ الله الأميرَ- بريءَ السّاحَةِ فَعَدْلُه الفائضُ أقـوَى شُفَعائه إليه، وألدُّ وُكلائهِ عليه، وإنْ لم يكُنْ مُقارِفاً للرّيبةِ فقد صَلِي من عُقباها والعقوبةِ عنها، ما صارتْ حقيقَةَ مَسألتي ومَحصُولَ طَلِبتي[4] الاقتصارُ عليه، وتركُ المزيدِ فيه.

وهذه بِكرُ حَوائجي، وأُولى مَسائلي، وأعوذُ بالله من أنْ أنقلبَ عنها بخيبةِ الممنوع، وخَجلةِ المردود. والأمير -أطال الله بقاءه- أعلى[5] عَيناً، ومَا يَراه في تَشْريفي بإجابة عن هذا الكتاب، مُشتَمِلَةٍ على الإسْعافِ والإيجاب إنْ شاء الله.

---

(١) ف: عند.

(٢) ل: سطو، ف: (من سطوه) ساقط، وبعده (فلان).

(٣) (لم) هنا وبعد قليل ساقطتان في: ف، ر، ع.

(٤) هاتان الكلمتان ساقطتان في ف، ومكانهما: ومقصود.

(٥) ساقطة في: ج.

وكَتَب عن مُحمّد بن بَقيّة
إلى أبي الحسن عُبيدالله بنِ مُحمّد
كاتبِ الأمير فَخْر الدَّوْلة أبي الحسن ابن رُكْن الدَّوْلة أبي عليّ
في مثل ذلك(١)

كتابي -أطال الله بقاء سَيِّدي- وأحوالُ(٢) الأمير عِزّ الدَّوْلة مَكنُوفةٌ بالسَّلامة والاسْتقامة، اللّتينِ نَسألُ الله أنْ يجمَعَنا فيهما، ويوفِّقنا لاسْتدامتِهما، وهو المحمودُ المشكورُ عليهما، وعلى نِعَمِهِ كُلِّها. وسَيِّدي - بالمحَلَّةِ التي حَلَّها، والمنزلةِ التي تَبوَّأها - خَليقٌ بأنْ يُحيطَ بالفَضائل ويَستجمِعَها، ويَستوليَ عليها ويَستكمِلَها، وأنْ يُطالِبَ نَفسه من خَلائقِ(٣) الوُلاةِ بأسْمَحِها وأسْجَحِها، ومن مَذاهِبهم بأنْورِها وأوْضحها، فإنّ مَن أُطْلقت يَدُهُ، ونَفَذ أمرُه مُحتاجٌ إلى أنْ يكون له من ذاته رادِعٌ يردَعُه، ووازِعٌ يزَعُه، لئلّا يعدِلُ فيمَن وَلِيَ عليه عن الإقساط، ولا يجمَحَ إلى الاشتطاط. ولولا ثقتي بأنّه يَجتزِىءُ من هذا القولِ بأيْسَرِه، ويستغني عن مُعظَمِهِ وأكثرِه، لَزِدْتُ فيه زيادةً ليس بمَلُومٍ زائدُها، ولا عادِمٍ(٤) للنفع سامِعُها.

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة. (العنوان فيها: كتب أبو إسحاق إبراهيم بنُ هِلّيل الصّابي عن مُحمّد بن بَقيّة......).

(٢) ف: أيّام.

(٣) ف: أخلاق.

(٤) ف: عام.

وتأدَّى إليَّ -أيّد الله مَوْلاي- من حالِ أبي عَمْرو عبدالله بنِ سَعيد بنِ المَرْزُبـان[1] -أيّده الله - في النكْبةِ المُسرِفة، والنائبـةِ المُجحِفـة، مـن حيـثُ لم يُكـاتِبْني -والله العظـيم مالكِ يَوم الدِّين- وأنا غنِيٌّ عن اليمين، ما رقَقتُ له منـه، ورثيـتُ لـه فيـه، فسـاءني أنْ يتَواتر مِثلُهُ على أمثالِه، وأنْ يُؤلَّفَ ذاك فيهم، ويُستَهانَ بارْتكابـهِ مـنهُم، ويجـريَ مجـرَى السُّنَنِ المؤكَّدةِ فيهم، والسّنَنِ المطروقِ عليهم.

وقد جَعَل الله أهلَ صِناعتِنا[2] هذه حَقِيقينَ بأنْ يُعَظَّموا ويكرَّموا، وتُعرَفَ لهم مُوجِباتُ مَنازِلِهم، ويُوَفَّوْا شروطَ مَراتِبِهم، ويكونوا - في حالِ الاستخدامِ والاسْتعمالِ - مُوَقَّرين[3]، وفي حالِ الصَّرْفِ والاسْتبدال مُوَفَّرين[4]، وأنْ يتقارَضُوا بينهم الإبقاءَ من بعضِهم على بعض، والتّنزيهَ عن الإذالةِ والغَضِّ.

وسَيِّدي -أدام الله عِزّه- وليٌّ بأنْ يَبْنيَ لنفسِهِ مَناراً، وينشُرَ لها أعلاماً[5]، بالتكفُّلِ لأمرِه[6]، والتّيسير لما استصعَبَ من خَطْبِهِ، والتوصُّلِ إلى الإفراج عنهُ، والإحسانِ إليه، فإنّه سَيعرِفُ ذلك ويشكرُه، ويَصيرُ به وَليّاً له يَختصُّهُ ويُؤثِرهُ.

وقد كتبتُ إلى الأمير فَخْر الدَّوْلة -أدام الله عِزّه- أشفَعُ إليه، وأسـألُهُ العَفْـوَ عنـه، ومَعلومٌ أنّ سَـيِّدي - أيّـده الله[7]- المجيـبُ إنْ أجـابَ، والمتوقِّـفُ إنْ توقَّـفَ، إذ كـان

---

(١) ف: حال فلان.

(٢) ر: بضاعتنا.

(٣) ساقطة في ر.

(٤) ف: موزين.

(٥) ج: علماً.

(٦) ج، ر: بأمره.

(٧) (أشفع......... أيّده الله) ساقط في ر.

مَوالينا -أطال الله بقاءهم- مُعَوِّدِينَ لنا ألّا يرَدُّونا عن هوىً نَهْواه، فَضْلاً عن رَأيٍ نَراه.

وسَيِّدي وليٌّ بأنْ يتأمَّلَ ما كتبْتُ به تأمُّلَ النّاظرِ لدِينِه ومُروءتِه، المهذِّبِ لفضلِه وصِناعَتِهِ، والموجبِ للحقِّ عندي، والعاقدِ للمِنَّة عَليَّ، والصّائنِ لي عن أنْ أكونَ شَفَعتُ فخابَتْ شَفاعتي، وأشَرْتُ فرُدَّتْ مَشُورتي إنْ شاء الله.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى أبي أحمدَ خَلَف بنِ أحمدَ بن مُحمّد
صاحِب سِجِسْتان(١)

كتابُنا يا سَيِّدي وعُدَّتي -أطال الله بقاءك- يومَ السَّبتِ، لإحدَى عَشْرةَ ليلةً بقِيَتْ من جُمادى الأُولى(٢)، ومَوْلانا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه، وأدام تأييدَهُ وعَلاءه- جارٍ على أفضلِ ما أجرى الله عليه إماماً وَلّاهُ واستَرْعاهُ، وخليفةً انتجبَهُ واصْطفاه، إطالةً ليَدِه، وإعْلاءً لكلمتهِ، ونُصرةً لرايتهِ، وقضاءً له بعزِّ الأولياء، وكبتِ الأعداء، وتَسهِيلِ الصَّعْب، وتَذليلِ الخَطْب. ونحنُ معتصِمونَ بالعُرْوةِ الوُثقَى من طاعتهِ، سالكونَ للمحجَّة الوُسطَى من مُشايعته، مستبِدُّون بأعلى المنازلِ منهُ، مُتبوِّئُونَ أشرفَها وأفخَرَها لديه، حامدونَ لله ربِّ العالمين على هذه النِّعَم الضّخمة، والمنحِ الجمَّة، حَمْدَ العارِفينَ بقَدرِها، المعظِّمينَ لخطَرِها، المستديمينَ لها، المتَصدّينَ للمزيدِ فيها.

وأنتَ -أدام الله عِزَّك- وإنْ كانت الشُّقَةُ بيننا وبينَكَ مُعترِضة، والأسبابُ الدّاعيةُ لتأوُّلِكَ إلى المواصَلة مُنقبِضة، حالٌّ منَّا محَلَّ الأخِ الشقيقِ الأثير، وعِلْقِ المَضنَّةِ النفيسِ الخطير، للحُرماتِ القَديمةِ والحديثة، والجوامِع السّالفةِ والطارِفة، ولِما يَختَصُّ به من

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة. (الاسم في ل: خلف بن مُحمّد بن أحمد بن خلف، ج: خلف بن أحمد بن خلف، ق: خلف بن أحمد بن مُحمّد بن خلف).
تقدّم التعريف بخلف بن أحمد، ج٢، ص٤١٤.
(٢) من سنة ٣٦٦هـ كما سيذكر لاحقاً.

شَرفِ خُلُقِك، وكرم عِرْقِك، وفخامَةِ مَنصبِك، ونَجابةِ مُرَكَّبِك، ما ندَعُ أنْ نُراعيَ من أمورِكَ وشُؤُونك ما نُراعيهِ من الأمورِ التي تمَسُّنا، والشؤُونِ التي تخُصُّنا، وأنْ نَسكُنَ إلى جميل وَلاية الله إيّاك، ونشكُرَ نعمتَهُ فيك وعِندَك، وإذا عَرَض لنا عارِضٌ في نَواحِيك انبسَطنا فيه إليكَ انبساطَ الواثقينَ بأحسن الجَواب، المتوقِّعينَ لأسرَعِ الإيجاب.

ولأبي الحسن مُحمّد بن الحسين بن العَبّاس الكَرْمانيّ ذرائعُ لدينا قويَّة، ووَسائلُ إلينا كثيرَة، وحظوظٌ من عنايتنا متضَاعِفَة، ودَواعٍ من مُراعاتِنا مُترادِفَة، أوكدُها: رطوبةُ لسانِهِ بشُكرِكَ، واتّصالُ ثنائهِ عَليك، وقد خرَجَ أمير المؤمنين -أطال الله بقاءهُ، وأدامَ علاءه- بمكاتَبتِكَ - أيّدك الله - بتَسْويغهِ[1] من حقّ بيتِ المالِ في ضِياعِهِ بسِجِسْتان - ثلاثةَ آلافِ وخمسمائة دِرْهَم، على استقبالِ سنة ستٍّ وستّين وثلاثمائة، إرفاقاً له في المعيشة، ومَعُونةً على العِمارة.

ونحنُ وإنْ وَثِقنا منك بالامتثال، نُضِيفُ إلى ذلك أوْكدَ الإلزامِ والسُّؤالِ، فإنْ رأيتَ - أدام الله عزَّك - أنْ تأتيَ في هذا البابِ ما تكونُ فيه بإحمادِ مَوْلانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه- فائزاً، ولليدِ عندنا حائزاً، وتتقدَّمَ بإجابة عن هذا الكتابِ تشفَعُها شَوافِعُ من ابتدائك، وتتبعُها تَوابعُ من مُواصَلتِك، مشحونةٌ كلُّها بالسّارِّ من أخبارِك، والسّانِح من أوطارِك، فعلتَ إنْ شاء الله.

(١) التَّسْويغ : أن يسوّغ الرجل شيئاً من خَراجه في السنة. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٦.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى عَضُد الدَّوْلة
في أمرِ أبي مَخْلَد عبدالله بن يحيى والشّفاعة لهُ
في سنة ستٍّ وستّين وثلاثمائة[١]

كتابي -أطال الله بقاء مَوْلانا الملكِ الجليلِ المنصور، عَضُد الدَّوْلة، وأدام عزَّهُ وتأييدَهُ، وعُلوَّهُ وتمكينَهُ- يومَ السَّبتِ للنصفِ من شهرِ رَبيعِ الأوَّلِ، والأمورُ التي يُراعيها - أيّده الله- من جِهَتي جاريةٌ على إذلالِها، مستمِرَّةٌ على اعتدالِها، والسَّلامة شامِلَةٌ لي شُمولاً أسْتديمُ الله إيّاه بالشّكرِ على جميل بلائهِ، وجزيلِ آلائه، وأسألُهُ سُؤالَ الرّافعِ يَدَيْه، الخاضِع لدَيه، أنْ يختصَّ مَوْلانا الملِكَ من نِعمَهِ بأسْبغِها سِرْبالاً، وأمدِّها ظِلالاً، وأسناها مَوضِعاً، وأحسَنِها مَوقعاً.

ولم يزَلْ مَوْلانا الملِكُ -أدام الله عُلوَّهُ- مَعدِناً للسَّجايا الكريمة، ومَقرّاً للمناقبِ الشَّرِيفَة، وإماماً فيها لكُلِّ من تَحلَّى بها، وتَمسَّك بشُعبةٍ من شُعَبِها. ومن شِيَمِهِ هذه - لا سَلبَهُ الله جَمالها، ولا ابتزَّه شعاره - الرّعاية لمن تعَلّق من ذِمامِه بأدناه، وحَلَّ منهُ في أوَّلِ مَداه، فَضْلاً عمَّن تقادَمتْ خِدمَتُه، وتمكَّنتْ حُرمَتُه، وكانتِ المحافظَةُ عليه واقِعَةً بدواعٍ

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة. (التاريخ إضافةٌ منّا للتوضيح، أخذناه مما سيأتي).

أبو مَخْلَد الطبري – كما نسبه القاضي التنوخي – صاحب مُعِزّ الدَّوْلة، وكان من مجالسيه ومشاوريه، وله معه حكاياتٌ كثيرة. وهو مصدرٌ لكثيرٍ من الروايات الشفوية للقاضي التنوخي ومسكويه وأبي حيان التوحيدي، وأخباره مبثوثة في كتبهم.

قويَّةٍ أوجَبْتَها، ووَصايا وعُهودٍ من الأسلافِ -رحَمَهُم الله- ألْزَمْتَها ووكَّدَتْها. ومَن اتّخَذ ذلك حُجَّةً عليه - أيّده الله- في الشّفاعة لمن وَجَب حَقُّه، والاستعطافِ لمن تمهَّدَ سَبَبُه، فقد أخَذَ[1] بالعُروةِ الوُثقَى في استيجابِ الإجابة، والشّفيعِ والتحرُّزِ من الردِّ والتخييب.

ولستُ أُطيلُ في هذا القولِ على مَوْلانا -أطال الله بقاءه- عِلماً بأنّ مطالِبَ الجميلِ مُمكنةٌ لدَيه، ومُتيسِّرَةٌ عليه، ولا سِيَّما إذا كان الملتمِسُ لها منّي أوْجه عَبيده وأوليائه، وأقربُهم من اختصاصِهِ واجتبائِهِ، وأحَقُّهم بالإسعَافِ بما يَشُقُّ ويُثقِل، فكيف بما يَخِفُّ ويَسهُل ! والله يزيدُهُ من فَضْلِهِ وإحسانِه، ويَزيدُنا من ذلك فيه وبه.

وأبو مَخْلَد عبدالله بنُ يحيَى - أيّده الله- مَن قد عَلِمَ مَوْلانا الملِكُ -أطال الله بقاءه- أنّ ذِكْرَهُ سارَ باصطناعِنا واصطناعِ آبائنا -رضوان الله عليهم- وأنّ مُعظمَ عُمُرِه تَصرَّمَ في خدمتِنا وخِدمتِهم، وأنّه يُصاحِبُ هذه الدَّوْلة مُصاحبةَ المسايرِ لها، والمساوق لأيّامها، الضّارِبِ بأوْفَرِ سَهْمٍ مع أهلِها، وذوي التخلُّقِ[2] بها، وأنّ الأمير السَّعيد رُكْن الدَّوْلة - نَضّر الله وَجْهه- مَضى على رضىً عنه، ووَصيَّةٍ به، وإيثارٍ لأن تكونَ النِّعْمة سابغةً عليه لا تُنتزَع، ومُسَوَّغةً لا تُرتَجع، وأنّه في حَدٍّ من عُلوِّ السِنِّ يتضاعَفُ معه بحسنِ[3] الإقرارِ لها عليه، وقُبحِ التفرِقةِ بينهما وبينَه، وليسَ هو من المتصرّفين الذين دبَّروا الأعمال، وغمَسُوا أيديَهم في الأموال، فيتطرَّقَ عليه ما يتطرَّقُ عليهم من تعَقُّبٍ وتَتبُّعٍ، ومُطالبةٍ وتَأوُّل. وقد جَرَى عليه في هذا الوقتِ ما ساءني وآلَمَني، واقتَضاني أنْ أسألَ مَوْلانا

---

(١) ل: أخذنا.

(٢) ج: التحقق.

(٣) ج: حسن.

الملكِ -أطال الله بقاءه- هبته لي، والتّقدُّمَ بإنْفاذِهِ إليَّ مَصُوناً مُودَّعاً، مُرفَّهاً مُكرَّماً إما[1] ببَقيّةٍ من حالةٍ يعيشُ بها، أو مُنسَلِخاً عنها وخارِجاً منها؛ فقد كان عَمِلَ على التبتُّلِ الذي لا يَحتاجُ معه إلى الاستِكثارِ من مالٍ، ولا استظهارٍ بحال، ووَضَع في نفسهِ مُلازَمةَ تُربةِ الأمير السَّعيد رُكْن الدَّوْلة -رَحِمَهُ الله- وإذ قد كَرِهَ مكانَهُ هناك فهو يُلازِمُ تُربةَ الأمير مُعِزّ الدَّوْلة -رضيَ الله عنهُ- ها هنا، وأُنزِلُه في كَنفي وأجعَلُ له حظّاً من مَوْلانا الملِكِ المنصور عَضُد الدَّوْلة -أدام الله تأييدَه- الجاري على يدي. فإنْ رأى مَوْلانا الملِكُ المنصور[2] -أطال الله بقاءه- أنْ يتَطوَّلَ في ذلك بما هو الأوْلى بسِيادته، والأليقُ برعايتِهِ، والأشْبَهُ بما عوَّدَنيهُ من إيجابهِ وإجابتهِ، فَعَل إنْ شاء الله.

---

(١) ساقطة في ل.

(٢) ساقطة في ل.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى الأمير مؤيِّد الدَّوْلة ابنِ رُكْن الدَّوْلة
شفاعَةً لأبي مَخْلَد عبدالله بنِ يحيى
في سنة ستٍّ وستّين وثلاثمائة[١]

كتابي -أطال الله بقاء سَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة- يومَ السّبتِ، للنِّصفِ من شهرِ رَبيعِ الأوَّل[٢]، والسَّلامة شاملةٌ لي شُمولاً قد هنّأنِيهُ لباسُهُ - أيّده الله- مِثلَها، واستواءُ الأقدامِ بنا فيها، وبنعْمةِ الله في ذلك أُحدِّثُ لأستحقَّ المزيدَ الذي وَعدَناه، والإمتاعَ بما خوَّلناه، وهو المحمودُ رَبُّ العالمين، وأكرمُ المنعِمين.

وقد تتابعَتْ لي كتُبٌ إلى سَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة -أدام الله عِزّه- أرجو وُصولَها، وتعجُّلَ الجوابِ عنها، وأرغَبُ إلى الله في أنْ يجعَلَ ما يرِدُ من ذلك مُبَشِّراً بالسّارِّ من أخباره، والمؤنسِ من أحْواله، وأنْ يحرُسَ مَواهبه له ولي فيه، ويمُدَّهُ أدَرَّ المادّة من عَوارفِهِ وأياديه، بقُدْرته.

وسَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة -أدام الله عِزّه- بما منَحَهُ الله من مكارِمِ الأخلاق، ووَرَّثهُ من مفاخِرِ الأسلافِ والأعراق، يوجِبُ الرّعاية لمن ضَعُفَ سَبَبُه، وبَعُدَ عن الدَّوْلة مُنتَسَبُه، فَضْلاً عمّن استحكَمتْ عُلَقُه، وتوثَّقتْ شُعَبُه، وتعلَّى قِدْحُه، وتوفَّر نَصِيبُه، واقتضَتْ له الحُرماتُ الوكيدةُ، والمواتُّ القويَّةُ، أنْ يكون مَزِيداً غيرَ مُنتقَص،

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة.

(٢) (يوم السبت... الأول) ساقط في ج.

وملموماً غيرَ مُشَعَّث، ومصُوناً غيرَ منْهَضِم[١]، ومحبُوّاً غيرَ مَسلُوب.

وبحسَبِ بَصيرتي في تمسُّكِهِ بذلك، وبكلِّ فعلٍ شريفٍ واختيارٍ جَميلٍ: انبساطي في مسألتِهِ ما يَعرِضُ لي، والرغبَةُ إليه فيما يُهمُّني، ولا سِيَّما إذا كان السُّؤالُ فيما تجمَعُنا فضِيلتُه، وتحسُن عَنّا أُحْدُوثَتُه، وعلى أنّه لو خَطَرَتْ لي خَطرةٌ في شيءٍ أستَبِدُّ به بالخطِّ عليه، وآخُذُ منهُ بقِسطٍ ليس له في مثلِهِ، وأحمِلُهُ به على خُطَّةِ المفارقَةِ لمذهبِهِ الكريم، وطبعِهِ السَّليمِ - والعِياذُ بالله من أن يكون ذلك كذلك - لَعَلِمْتُ عِلْمَ المُستيقِن، ووَثقتُ ثِقةَ المتحقِّق، أنّه - أيّده الله- يُجشِّمُ نفسَهُ إجابتي، ويعِزُّ عليه دَفعي عن طَلِبتي، ولا يستكثِرُ كثيراً، ولا يستعظِمُ عَظيماً، فيما عادَ عليه بشُكري وعقَدَ له المِنّةَ عليَّ، زادَهُ الله من فَضْلهِ وإحسانهِ، وتولّاه بطَوْلِهِ وامتنانِه، ولا أعدَمَني وإيّاه فيما[٢] يُراجِعُ القَولَ فيما وَصَل ذَاتَ بيننا وكانت عائدَتُه جامِعةً لنا بمنِّه.

ولستُ أزيدُه -أدام الله عِزّه- عِلماً بما سَلَفَ لأبي مَخْلَد عبدالله بنِ يحيى - أيّده الله- من الحُرمةِ المتَقادِمةِ، والخِدْمةِ المتطاوِلةِ للأميرَيْن السَّعيدَيْن: رُكْنِ الدَّوْلةِ، ومُعِزِّها رضيَ الله عنهما وكَرَّمَ مُنقَلبَهُما، وأنّ صَنيعَتَنا عنده صَنيعةٌ سائرٌ ذِكرُها، بعيدٌ صِيتُها، مشهورٌ عند الخواصِّ والعَوامِّ وأهلِ الأوْساطِ والأطرافِ أمرُها. وقد مَضى الأمير السَّعيد رُكْن الدَّوْلة -نَضَّر الله وَجْهه- على رضىً عنه، ووَصِيَّةٍ وإيثارٍ لأن يكون ما أوْلاه إيّاه مُقَرّاً عليه، ومَصْفوحاً عنه، وآمناً فيه[٣] من نَوائبِ التّغيير والتّبديل، وعَوارض النّقلِ والتّحويل. وقد لحِقَهُ في هذا الوقتِ ما الأسبابُ كُلُّها مُوجبةٌ غيرَه،

(١) ج: مهضوم.
(٢) ساقطة في ج.
(٣) (ومصفوحاً عنه وآمناً فيه) من ج.

وداعِيةٌ إلى ضِدِّه؛ وساءني ذلك فيه وآلمني له، لما أحفَظُه من تلك المـوَاتّ، وأرعـاه عـلى بعيدِ وقريبِ الأوقات، ولتخَصُّصِه - كان - بالمنابِ عنِّي، وقيامِه بمُهمِّي، وانتسابِهِ إلى خلافتي، وارتسامِه بجُمْلَتي. ولا أعرِفُ عليه طَرِيقاً، ولا أجِدُ لمـا حَـلَّ بـه سَـبباً؛ إذ لم يتقلَّدِ الأعمال، ولا دبَّرَ الأموال، ولا اتَّجهتْ عليه القُروفُ، ولا دَخَـل تحـت التَّبِعـات، ولا أحدَثَ حَدَثاً فارَقَ به عِصْمتَنا، ولا خَرجَ معـه عـن ذِمَّتِنـا، ولا اسـتحَقَّ أنْ نَسِـمَهُ بسُخطِنا، ونَرتجِعَ منه عطيّتَنا، وعَطيَّةَ أسلافِنا.

وأنا أسألُ سَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة -أدام الله عِزّه- الصَّفْحَ عنه لي، والتقدُّمَ بإخْراجِه إليَّ، إمّا بثَمِيلةٍ[1] من حالِهِ يقتنِعُ بها ويعيشُ منها، أو مُجَرَّداً عن جميعِها، فقد كان على نيَّةٍ في الانقطاعِ إلى تُربةِ الأمير السَّعيد -رضيَ الله عنهُ- لا يَحتاجُ معَها إلى المُفاخرَةِ في الحال، ولا المكاثرةِ بالمال، وإذْ قد نَبَتْ به تلك الدّار، فليسَ تنبو به هذه عن أن يُقيمَ منها في تُربةِ الأمير السَّعيد مُعِزّ الدَّوْلة -نَضّر الله وَجْهه- ويَكونَ له ممّا لسَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة في يدِي بُلْغةٌ من المعيشةِ يُزجّي بها من عُمُرِهِ للبقيّة.

وقد أنفَذْتُ بكتابي هذا بُنَيْمان[2] بنَ باعلي، أحدَ الخاصّة، واستَظهَرْتُ بأنْ أصْحبته كتاباً إلى مَوْلانا الملِكِ المنصور عَضُد الدَّوْلة -أطال الله بقاءه- فإنْ أغناهُ سَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة -أدام الله عِزّه- عن المصيرِ إلى حَضرتِهِ الجليلة، وإلّا استصحبَ إليها كتاباً منهُ يكون كتابي تالياً له[3]، ومقروناً به.

وإلى عَودِ الجوابِ فأريدُ أن يكون أبو مَخْلَد - أيّده الله- في حِمىً وصِيانة، وعلى حالِ

---

(١) الثَّميلة: البَقيّة. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٩١ (ثمل).

(٢) الضبط من: ج، ل. وفي ق: بينمان.

(٣) ل: تاليه.

ترفيهٍ وتَكْرمة، وأنْ يَسُوقَ سَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة -أدام الله عِزّه- أمرَهُ إلى ما سألتُ من إنْفاذه إليَّ، والمسامحةِ به لي.

فإنْ رأى سَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة -أطال الله بقاءه- أنْ يأتيَ في ذلك ما هو أهلُهُ ووَليُّهُ، وحقيقٌ حَرِيٌّ به، ويوعِزَ بإجابتي بعَوارض أمرِهِ ونَهيِهِ، وسائر أخبارِهِ وأحوالِهِ، فَعَل إنْ شاء الله.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى الأمير فَخْر الدَّوْلة أبي الحسن ابنِ رُكْن الدَّوْلة
فـي الشّفاعة لأبي مَخْلَد[1]

كتابي -أطال الله بقاء سَيِّدي الأمير فَخْر الدَّوْلة، وأدام عزّه وتأييده- عن سَلامةٍ ضافيةِ السِّرْبال، سابغةِ الظِّلالِ، ومَواهبَ لله أحمَدُه -جلّ وعزّ- عليها حمْدَ المُرتبِطِ لها، المُستزيدِ منها، وأسألُه أنْ يُسِرُّك بيننا فيها، ويجمَعَنا في الإمتاع بها.

وقد كاتبتُ سَيِّدي الأمير فَخْر الدَّوْلة -أدام الله عِزّه- بما أنا متوقِّعٌ جوابَهُ، ومُريدٌ منهُ - أيّده الله- ألّا يؤخِّرَهُ، ولا يُخليني من تَواتُرِ كتُبِهِ بالسّارِّ من أخبارِه، والمؤنسِ من أحوالِه، فإنّ مُراعاتي لها دائمة، ومُطالعتي إيّاها متّصلةٌ إنْ شاء الله.

وسَيِّدي الأمير فَخْر الدَّوْلة -أدام الله عِزّه- أرْعى للحقوق، وأحْفَظُ للمَواتِّ، وأضَنَّ بالدِّيانة، وأشحُّ على المروءةِ من أنْ يَحتاجَ المخاطِبُ له إلى إطالةٍ في حَضٍّ على ذلك وحَثّ، وتَحْريكٍ فيه وبَعْث، ولا سِيَّما إذا كان ما يتَوخّاهُ عائداً بشُكرِ مَن لشُكْرِه منهُ كبيرُ الموضِع، لطيفُ المَوقِعِ، وبحسَبِ ذلك استحكامُ ثقتي بتوجُّهِ شَفاعتي إليه، وتَسهُّلُ مَطالبي عليه، واستغنائي عن أنْ أُطيلَ فيها قِيلاً، أو أُقدِّمَ أمامَها تَسْبيباً، لا أعدَمنيهُ الله، ولا سَلَبنيهُ، وحَرَسَ عليه المناقِبَ التي خوَّلهُ وعَلَيَّ فيه.

وقد عرَفَ سَيِّدي الأمير فَخْر الدَّوْلة -أدامَ الله عزَّهُ- تأكُّدَ أسبابِ أبي مَخْلَد عبدالله بنِ يحيى - أيّده الله- وتقادُمَ خِدْمتِه، ولزومَ حُرمتِهِ، وما له من سابقةِ الذِّمامِ عند

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة.

الأميرَيْنِ السَّعيدَيْن: رُكْن الدَّوْلة ومُعِزِّها، وعندَنا بعدَهُما، والخُصوص مع ذلك بي، والانتساب إلى خلافتي، والارتسام بالمنابِ عني، وعَلِمَ ما لحِقَهُ في هذا الوقتِ من القَبْضِ عليه، والاشتمالِ على مالِهِ وحالِهِ، ومعاملتِهِ بما يتوقَّفُ عن الخروج إليه في أعداء الدَّوْلة، فَضْلاً عن أوليائها، وفي الأباعد عنها فضلاً عن أقربائها[1] وأصْفِيائها.

وقد ساءني ذلك وأهمَّني، وبَلَغَ منّي وأقلقَني، واقتضاني أنْ كتبْتُ إلى مَوْلانا الملِكِ الجليلِ عَضُد الدَّوْلة، وسَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة -أطال الله بقاءهما- فيه بالمسألةِ الشّافية، والشّفاعة الوَكيدة، والرّغبةِ في كشفِ ما أظلَّهُ عنه، وإخراجِهِ سَليماً مَصوناً منه، وإسعافي بالبُعثَةِ به إليَّ ليقيمَ بحضْرتي، ويتوَفَّر على ملازمةِ[2] تُربةِ الأمير مُعِزّ الدَّوْلة رحمةُ الله عليه، إذ قد نَبا به المقامُ بحيثُ يُلازِمُ تربَةَ الأمير رُكْن الدَّوْلة رضوانُ الله عليه. فإنْ سُومحَ مع ذلك ببقيّة مِن الحال، ويَسيرٍ من المال، وإلّا فعندي له تعويضٌ يَكفيه، ويعيشُ بَقيّة عُمُرِهِ فيه، ويكونُ جمالهُ وثوابُه عائدَيْنِ على جماعتِنا، وشاهدَيْنِ بحُسنِ الرّعاية منّا، وذائدَيْنِ لسُوءِ القالةِ عنّا.

وأنفذتُ بما كتبتُ به في ذلك بُنَيّان بنَ باعلي -أحدَ الخاصّة- ليُوصِلَهُ ويُؤدِّي رسَالةً في مَعناهُ، وأنا أسألُ سَيِّدي الأمير فَخْر الدَّوْلة -أدام الله عِزّه- أنْ يختَصَّني بمِنَّةٍ في هذا الأمرِ اعتَدُّها من أسلافِه، اللّازمِ قضاؤُها، المشكورِ بلاؤُها، ويتكفَّلَ به تكفُّلَ النّاطِقِ عن لساني، الذّاهبِ مع إيثاري، الدّاعي إلى تشفيعي وإجابتي، المانِعِ من مَطْلي ومُدافَعتي، فإنّ الكَلامَ متّجِهٌ له، والحجَّةُ فيه معه، إذ كان أبو مَخْلَد لم يتقلّدْ عمَلاً يلزَمُهُ

---

(١) من: ج.

(٢) ج: لازمة.

تبِعَتُه، ولا تصرَّفَ في مالٍ يَرفَعُ حِسابَهُ، ولا جنَى جنايةً تقتضِي عُقوبتَهُ، ولا تجاوَز الخِلافةَ لي، التي هي في وَسائلِه زائدة، وعليه بفضل العنايةِ عائدة. فإنْ رأى سَيِّدنا الأمير فَخْر الدَّوْلة -أدام الله عِزّه- أنْ يأتيَ في ذلك ما هو أهلُهُ وحقيقٌ به، واثقاً بأنّه من أكبَرِ حَوائجي إليه، وأجلبها لثنائي عليه، فَعَل إنْ شاء الله.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة إلى الملكةِ بنتِ عمادِ الدَّوْلة أبي الحسن في الشّفاعة لأبي مَخْلَد[١]

كتابُنا -أطال الله بقاء الحُرَّةِ الكريمة الجليلَة، وأدامَ عزَّها وتأييدَها، وسَعادتَها وسَلامتَها، ونعمتَها وكفايَتها، ولا أخْلانا منها- يوم السبت للنصف من شهر ربيع الأول[٢]، عن سَلامةٍ شاملةٍ للنفسِ والحال، واستقامَةٍ عامَّةٍ لما نفَذَ فيه الأمرُ والنَّهي، وشُكرٍ لله على ذلك نَستدعي به الزيادةَ فيه، واتصالَ المادَّةِ من أياديه.

وقد كتَبْنا إلى الحُرَّةِ الكريمة الجليلةِ -أدام الله عِزّها- ابتداءً وجواباً بِعَقِبِ الحادِثةِ التي نَسألُ الله حُسنَ العزاءِ فيها والعونَ على ثقيلِ مَحمَلِها، وتَوَلّي الماضينَ مِنّا بالرّضوانِ والرّحمة، والباقينَ بالسُّلْوانِ والعِصْمة، بما نرجوا وُصولَهُ، وتعجُّلَ وُرودِ الجوابِ عنه، مُتَضمِّناً ما نحمَدُ الله عليه من صَلاح أحوالِها، وطِيب أخبارها[٣]. ونُسارعُ إليه من عارضِ حاجاتِها، وسانِح مهمّاتها إنْ شاء الله.

وتأدّى إلينا -أدام الله عزَّ الحُرَّةِ الكريمة- من القبضِ على أبي مَخْلَد عبدالله بنِ يحيى -أيّده الله- ما شَغَل قُلوبَنا، وقَسَم أفكارَنا، وخالفَ إيثارَنا. ولم نجِدْهُ لائقاً بحقوقهِ

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة. (العنوان في ج: وعن بَخْتِيار عز الدَّوْلة بن مُعِزّ الدَّوْلة.......)، وفيها: أبي الحسين، خطأ.

(٢) (يوم...... الأول) من: ج.

(٣) (وطيب أخبارها) من: ج.

التي مكَّنَها، وحُرُماتِهِ التي وَكَّدها، ووَصيَّةِ الأمير رُكْن الدَّوْلة -نَضَّر الله وَجْهه- المحمودِ منّا اتّباعُهَا، المكروهِ خِلافُها، وما كان مَوْسوماً به من المنابِ عَنّا والتحَقُّقِ بأُمورنا، وليس هو الرجُلُ المتَصرِّفُ الذي تلزَمُهُ التَّبِعَات، وتَقعُ عليه التأويلات، ولا أجرى إلى مُنكَرةٍ صارَ بها من أهل الجنايات، ومَن تُنزَلُ به العقوبات، بل هو الشَّيخُ السَّليمُ الأمين، البعيدُ من الشرّ، الحقيقُ بالإحسان والبِرّ، وما ندرِي كيفَ تمَّ ذاك عليه وأُخرِجَ به من رعَايةِ مَوْلانا الملك الجليلِ المنصور عَضُد الدَّوْلة، وسَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة -أطال الله بقاءهما- وكريمَ مَذاهِبِهما، وشريفَ خلائقهما، وقَويمَ طرائقِهما، والشائعَ الذّائعَ من محافظتِهما على ذوي الحُرماتِ والمواتّ، ومَن تمَهَّدَ ذِمامُهُ على مرورِ السِّنين والأوقات.

واقتضانا - أيّد الله الحُرَّةَ الكريمة - اغتمامُنا بما نالَهُ، واهتمامُنا بانحسارِه عنهُ، أنْ كتبْنا في أمرِهِ كُتباً شافيةً، وأنفذْنا بها بُنَيْمان[1] بنَ باعلي أحدَ الخاصّة، وحمَّلناهُ معَها ما يُؤدِّيه، وأمَرْناهُ بقَصْدِ دارِهَا -أدام الله تأييدَها- وإيصالِ هذا الكتابِ إلى خادمِها -أعزَّه الله ببقائها- ونحنُ معوّلونَ على مَنابِها عنَّا في الشّفاعة والمسألة، والاستعطافِ والاسترحامِ، والإذكارِ بحقوقِنا فيه، وبحقِّه في نفسِه، والتوصُّلِ إلى إخراجِه، مَصُوناً إلينا، ليعيشَ بَقيّة عمُرِهِ عندنا، ويَمتدَّ عليه طَرَفٌ من ظلِّنا، ولا يستمِرَّ المكروهُ به ولا يُنافيَ إسلامَنا له، ويتوفَّرَ في أثناءِ ذلك على مَوْلانا الملِكِ الجليل المنصور عَضُد الدَّوْلة، وسَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة -أدام الله علوَّهُما- حُسنُ الذِّكْرِ، وطيبُ النَّشْر، وتكونَ البُقْيا عليه، وما يصِلُ منهما على أيدينا إليه، منسوباً جميعه إليهما، ومحسوباً من مآثرِهِما.

---

(١) ق: بينمان.

فإنْ رأت الحُرَّةُ الكريمة الجليلة -أطال الله بقاءها- أنْ تَخُصَّني[1] بمِنَّةِ التكفُّلِ بهذا الباب، والتجرُّدِ لهُ، وإشباعِ المسألةِ، وتكريرِ الرَّغبةِ والطَّلِبةِ عَنّا وعنها فيه، حتى يجريَ الأمرُ على ما نُحِبُّه ونؤْثِرُهُ، ونعتَدُّهُ ونشكرُه، فعلَتْ إنْ شاء الله.

(١) ج: تختصني.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة
إلى عليٍّ بن كامَه
شفاعةً لأبي مَخْلَد[١]

كتابي – يا سَيِّدي وعُدَّتي- عن شمولٍ من السَّلامة، وعُمومٍ من الاستقامة، والحمدُ لله ربِّ العالمين، حمْدَ الشّاكرينَ المُخلَصين.

وقد كاتَبْناكَ بما نرجوا وُصولَه، ولا يتأخَّرُ -بإذنِ الله- جَوابُه، ونحنُ نعتمدُ في المهمِّ عليك، ونَرجِعُ فيه إذا عرَضَ إليك، عن ثقةٍ مِنّا بفَضْلك وسَدادِكَ، وهَدْيِك ورَشادِك، ولُطفِ مَسْلَكِكَ، وحُسْنِ توصُّلِك، وصحَّةِ النيَّةِ والعزيمةِ منك في كلِّ ما أوْجَبَ لكَ شُكرَنا، ووَفَّرَ عليكَ إحمادَنا. ومنزِلتُك منّا منزِلةُ الأخ، الكائنِ معنا، المشارِك لنا فيما نتَعاطاهُ من مَكارمِ أخلاقِنا، ونتقيّلُهُ[٢] من مذاهب أسلافِنا، ونتمسَّكُ به من الآدابِ المطيِّبةِ لأخبارِنا، المجمِلةِ لأحاديثِنا، الجالبةِ المحامدَ إلينا، الذّائدةِ للمذامّ عنّا.

وتأدَّى إلينا في هذا الوقتِ من القبضِ على أبي مَخْلَد عبدالله بنِ يحيى ما ساءَنا وآلمنا، وخالَفَ إيثارَنا ومعتقَدَنا، ووَصيَّةَ الأمير السَّيِّد السَّعيد رُكْن الدَّوْلة -نَضَّر الله وَجْهه- القريبَ عهدُنا بها، اللاّزمَ لنا اتّباعُهَا واقتفاؤُها. وعَجِبْنا من أنْ يلحَقَهُ ذلك مع انتصابِ مَوْلانا المِلكِ عَضُد الدَّوْلة وسَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة أطال الله بقاءهما،

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة. (ل: إلى أبي علي........).

تقدّم التعريف بعلي بن كامه، ج١، ص٢٧٣.

(٢) أي نتشبّه بهم. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٥٨٠ (قيل).

لإحياءِ تلك السُّنَنِ الشّريفة، والشِّيمِ الكريمة، ووجوبِ الرّعاية لأبي مَخْلَد من سائرِ الجهاتِ وجميع الجَنَبات، وبُعدِه عن الظِّنَّةِ والتُّهْمة، وخُروجِهِ عن جملةِ المتصرّفين الذين يتَطرَّقُ عليهم التعقُّبُ والتَّبِعة.

وقد كان – مع هذا – مَوْسوماً[1] من خدمتِنا والمنابِ عَنّا، والخلافةِ لنا بها تتضاعَفُ معه دَواعينا إلى اعتناقِ أمرِه، وبَواعِثُنا على الشّفاعة لهُ، وأنفَذْنا بُنَيْمان بنَ باعلي أحدَ الخواصّ، متحمِّلاً كُتباً ورَسائلَ[2] مِنّا في الاسْتصفاحِ عنه، والاستيهابِ لهُ، وإنْفاذِهِ إلى حضرتِنا، ليلازمَ تُربةَ الأمير السَّعيد مُعِزّ الدَّوْلة رحمَة الله عليه، ويَعيشَ بَقيّة عُمرِهِ ممّا يصِلُ من معروفنا إليه. ونحنُ نُكلِّفُكَ مَعاونة بُنَيْمان وإرشادَه، ومُعَاضدَتَهُ وتسديدَه، حتى يتخلَّصَ أبو مَخْلَد ممّا هو فيه، ويجريَ أمرُه أجمَلَ وأحسنَ مجاريه.

وأنتَ -أدام الله عزَّك- وليٌّ بأنْ تأتيَ في ذلك ما يَليقُ بفَضْلِكَ وعَقلِك، ويحرُسُ شُكرَنا واعتدادَنا عليك، وتُعرِّفَنا ما تَبلُغُهُ وتؤثِرُهُ، لنَسكُنَ إليه ونحصِّلَه، بادِئاً بذكْرِ أخبارِكَ وأحْوالك، ومُنبسِطاً في استدعاءِ حاجاتِكَ ومُهمّاتِكَ إنْ شاء الله.

---

(١) ج، ق: مرسوماً.

(٢) ل، ق: رسائلاً.

وكَتَب عن عِزّ الدَّوْلة إلى أبي الفتح عليٍّ بنِ مُحمّد ابن العَميد شفاعَةً لأبي مَخْلَد[١]

كتابُنا -أطال الله بقاء الأُستاذ ذي الكِفايتَيْن- وأحوالُنا جاريَةٌ على ما يُؤْثِرُهُ - أيّده الله- من النظامِ الشّامل، والاستقامةِ المقرونةِ بها، والسَّلامة في النّفس والنِّعْمة، وما ضمَّ الكنَفَ والجُملَة، والحمدُ لله حمداً عائداً باتّصالِ الزيادةِ، مؤْذِناً بامتراءِ المادّة.

ولنا قِبَل الأُستاذ ذي الكفايتين كتُبٌ ورَسائلُ ونحنُ نتوقّعُ جَوابَهُ بما هو حَقيقٌ بتجَنُّبِ حَبْسِه، وأنْ يتعمَّدَنا بمُواصَلةٍ نكونُ بها على معرِفةٍ دائمةٍ بخبَرِ سَيِّدي الأمير مؤيِّد الدَّوْلة -أدام الله تأييدَه- وخَبرِه -أدام الله عِزّه- وسُكونٍ إلى سَدادِ الأُمورِ واطِّرَادِها، وجَرِيها على المعهودِ من كفايةِ الله فيها إنْ شاء الله.

والأُستاذ ذو الكِفايتَيْنِ -أدام الله عِزّه- مع ما خَصَّهُ الله به من الاختلاطِ بنا -أهلَ البَيْت- وتقدُّمِ القَدَمِ عندنا، وتوفُّرِ الحظِّ مِنّا، والنشوءِ بيننا، والكون كأحَدِنا فيما نتَوارثُهُ من مَراتبِ الأسلافِ والأعراق، ونتقَيَّلُهُ عنهم من مَكارِمِ الأخلاق حَقِيقٌ بأنْ يتَمسَّكَ معَنا، ويُمسِكَ علينا تلك المذاهبَ الجميلة، والطرائقَ المستقيمة، والأُصولَ التي منها المنزِع[٢]، وإليها المرجِع، وبالمحافَظةِ عليها تُستثمَرُ البركة، وتُستنزَلُ الرّحمة، وتُستدامُ النِّعْمة، وتُستَحقُّ الزيادَة.

ومتى حَدثَتْ في مَقرٍّ من مَقارِّ ملكِنا ومَوطِنٍ من مَواطِنِ أمْرِنا ونَهْيِنا، التي هو

---

(١) جستربتي، ليدن، القاهرة.

(٢) ل: المفزع.

المؤَهَّلُ لتدبيرِها، والمشاركُ في أُمورِها حادثَةٌ تَخرُجُ عن تلك السُّنَنِ المستمِرَّة، والقواعِدِ المستقِرَّة، فَعليه أنْ يَسُدَّ خللَها، ويُعدِّلَ مَيلَها، ويَجبُرَ ثَلْمَها، ويأسُوَ كَلْمَها، خاصَّةً فيما يكون سَببُهُ له أمسَّ، وبهِ أخصَّ، والأُحدُوثَةُ فيه عنه تُروى وإليه تُعزى وبه تبدَأُ وعليه ترجِع. ولنا في رِعايةِ الحُرُماتِ، وحفظِ المواتِّ سَنَنٌ لاحِب[1].

عهدُنا قريبٌ بوَصيَّةِ الأمير السَّعيد رُكْن الدَّوْلة -رضوانُ الله عليهِ- إيّانا، ألّا نُفارقَهُ، ولا نَعْدل عَنهُ، ولو لم نكن به مَأخوذِينَ، وعليه مَدلولين، لأوجبَتْ علينا آدابُ الدِّينِ والمروءة، ونتائجُ الفِكْرِ والرويَّة، أنْ نتحَرَّاهُ ولا نتنكَّبه، ونتعمَّدَهُ ولا نتَجنَّبه.

وتأدَّى إلينا -أدام الله عزَّ الأُستاذ ذي الكِفايتَيْن- من خبرِ أبي مَخْلَد عبدالله بن يحيى - أيّده الله- فيما لحِقَهُ بعقِبِ وَفاةِ الأمير السَّعيد -نَضَّر الله وَجْهه- ما غمَّنا أهمّنا، وساءنا وشَغَل قلوبَنا. وقد عَلِمَ الأُستاذ - أيّده الله- أنّه صَنيعَةُ الأبَويْن السَّيِّدين -رحمَةُ الله عليهما- والآخِذُ بالحظِّ الوافرِ من دولتيهما ونعمتيهما، ومَن سارَ في أوليائنا ذِكْرُه، وعَرَف أهلُ الأطرافِ خُصوصه ومنزلتَه، وعَلِموا أنّه لم يتصرَّفْ، ولا ضَمِنَ ، ولا عَمِلَ، ولا دبَّر، ولا اتَّجهَتْ عليه حُجَّةٌ أوْجَبتْ ما نِيلَ منهُ وجَرى عليه، ولا جَنَى جِنايةً، ولا ظهرَتْ منهُ خيانة، ولا فارَقَ الوَلاية، ولا والى أهلَ العداوَة. وكان مَوْسوماً[2] بمَنابِ عَنّا، وخلافةٍ لنا، قد لحِقَنا معَها فيما نالَهُ فَضْلُ نَصيبٍ من التهجُّن، ووُفورُ قِسْطٍ من التألُّم، وهذا بابٌ يلزَمُ الأُستاذ ذا الكِفايتَيْنِ - أيّده الله- أنْ يَسُدَّه، وثَلْمٌ يَحِقُّ عليه أنْ يُهِمّه. وقد وجَدَ السَّبيل إلى ذلك بما كتَبْنا به إلى سَيِّدي مؤيِّد الدَّوْلة -أدام الله عِزّه- من السؤالِ الوَكيد، والإلْزامِ الشَّديد، والشّفاعة التي هو - أيّده الله - أكملُ

---

(١) اللاحب: الطريق الواسع الواضح. لسان العرب، ج١، ص٧٣٧ (لحب).

(٢) ج: مرسوماً.

بِرّاً، وأهنأُ عُرفاً، من أنْ يُردَّنا فيها، أو يَصُدَّنا عنها. ووُقوفُ الأُستاذ -أدام الله عِزّه- على مُتَضمَّنِهِ يُغني عن تكلُّفِ إعادتِهِ، والنافذ به بُنَيْمان بنَ باعليّ أحدَ خاصَّتِنا. وقد استظهَرْنا بأنْ أصحَبْناهُ كتاباً إلى مَوْلانا المَلِكِ الجليلِ المنصور عَضُد الدَّوْلة -أطال الله بقاءه- وأمَرْناهُ أنْ يمتدَّ به سائراً إلى شيراز إنْ أُحْوِجَ إلى ذلك، بعد أنْ يكون الأُستاذ -أدام الله عِزّه- المنفِّذَ له، والمدبِّرَ لأمرِه، والضّامنَ لنا دَرْكَ الوُصُولِ إلى المحبَّةِ، سارَ[1] أو أقام.

فلو شفَعْنا لعَدُوٍّ مُبينٍ - والعِياذُ بالله - لاقتضَتِ ذات بيننا والأحوالُ الجامعَةُ لنا أن يُعفَى عنهُ، ويتمحَّصَ ذَنبُه ! فكيفَ وإنّما شَفَعْنا لخادمٍ واجبِ الحرمة[2]، متمكّنِ العِصْمة، قد سبقَتْ له سَوابقُ في القُربةِ والثقةِ، والتنزُّهِ عن التهمَةِ؟ وإذا انكشَفَ عنه ما أظلَّهُ بما يعتنقُهُ الأُستاذ من أمرِه، ويتكفَّلُ به من فكِّ أسْرِه، أخرجه إلينا ليعيشَ في كنَفِنا، ويَتقضَّى بَقيّة عُمُره في سترٍ من نعمتِنا.

والأُستاذ ذُو الكِفايتَيْن حَرِيٌّ بأنْ يتأمَّلَ ما كتَبْنا به ويَتصفَّحَه، ويفكِّرَ فيه ويتدَبَّرَه، ويَلتزمَهُ التزامَ الواثِقِ منّا بالشُّكرِ له، مع سُرعَةِ الإجابةِ، أو العَتْبِ عليه مع المَطْلِ بها، وعلى أنّ الحال الأولى -بحمدِ الله- مَضمونةٌ، والثانيةُ -بمعونةِ الله- مأمونةٌ إنْ شاء الله.

---

(١) ساقطة في ج.

(٢) ج: واجب حقّ الحذمة.

وكَتَب
إلى الأُستاذ أبي القاسم المطَهَّر بنِ عبدالله
من الاعتقال[١]

أنا -أطال الله بقاء سَيِّدنا الأُستاذ- مع معرِفتي بقدرِ النِّعْمة التي لَبِستُها، وتقلَّبتُ مُقَرَّباً ومبعَّداً فيها، مَوْسومٌ بمِيسَم لا تَسكُنُ نفْسُ صاحبِه إلّا بانجلائهِ عنه وخُروجِهِ منه، وقد مضَتْ سَنَتانِ، ودَخلَتْ ثالثةٌ وما أستطيلُ والله ذاك مع الثِّقَة بحُسنِ عُقْباهُ، لكن ورائي عَدداً كثيراً من ذُرِّيَّةٍ ضِعافٍ قد ضاعوا وتشتَّتوا، وأضَرَّ بهم طُولُ الإعراضِ، وهم صالونَ بجَريرتي، ومَنْحوسونَ بنُحوسي. وأمسَكْتُ عن الإذكار، إلى أنْ وَرَدتِ الأخبارُ السّارَّةُ التي توجِبُ طيبَ النَّفْس، لا أعْدَمَنا الله أمثالَها، ولا أخْلانا في هذه الدَّوْلة الميمونةِ من جميلِ العادةِ عندَها.

فإنْ رأى سَيِّدنا الأُستاذ -أطال الله بقاءه- أنْ يتطوَّلَ بإثباتِ اسمي في تذكِرتِه، وتأهيلي لمنزلةِ شفاعتي، فَعَل إنْ شاء الله.

وعبدُهُ يقول:

لسانيَ في نَشْرِ المدائح مُطلَقُ ... وساقيَ في قَيْدِ المحابسِ مُوثَقُ
وحكمُكَ يأبى الجمعَ ما بين ذا وذا ... فحتّى متى بين النّقيضَينِ تَفْرِقُ[٢]

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة. (من الاعتقال) إضافةٌ منّا، بناء على ما سيذكره هو نفسه.

(٢) أوردهما الرّاغب الأصفهاني، وصدّرهما بقوله: وقال الصابي لما قُيّد وحبس. محاضرات الأدباء، ج٢، ص٢١٨.

وأمّا بعد -أيّدَ الله سيِّدَنا- فإنّ دُستورَ الكِتابِ المؤلَّفِ[١] بحضْرتهِ -أجَلَّها الله- وليس له عندي أصلٌ، ولا من شيءٍ إنْ شذَّ منه عِوَضٌ، وهو يَحتاجُ إلى تهذِيبٍ لما مَضَى منهُ، واستكمالٍ لما بَقي، وهو أخَصُّه وأهَمُّه، وسيّدُنا -أدام الله عِزّه- وليُّ ما يَراهُ في ذلك إنْ شاء الله.

(١) هو كتاب (التاجي) الذي تقدم ذكره في مقدّمة التحقيق.

وكَتَب إلى مُحمّد بنِ بَقيّة

من الاعتقال[1]

أيُّهــــذا الـــــوزير لا زالَ يَفديــــــك من النّاس كُلُّ مَـن كـان دونَـكْ
وإذا قلـــتُ ذاك، أوْجَـــبَ قـــولي أنْ يكونـــوا بـــأسرِهمْ يَفـــدُونَكْ

إذا تأمَّلَ الوزير -أطال الله بقاءه- بيتَيْ عَبْدِه هذين، عَلِمَ أنهُما قد جَمَعا المدحَ كُلَّه، والدّعاء بأسْرِه، وقد جعَلَهُ الله أهلاً لذلك؛ فلا زالَ طويلَ الأمدِ في كلِّ فضيلة، وافرَ الحظِّ من كُلِّ خيرٍ ونعمة.

وأما بعد - أطال الله بقاء الوزير - فإنّي على الجُملةِ في الاعتقالِ والقَيْد، ولا أعرِفُ سبباً يقتضِيهِما إلّا سوءَ الظنِّ بي، والاستيحاشَ منّي، ولو عُدِلَ بي إلى ما عُـدِلَ بغـيري إليه من الإحسانِ والامتنان، لكانَ ذاك أوثقَ قيدٍ قُيِّدْتُ بـه، وأحصَـنَ حَـبْسٍ حُبِسْـتُ فيه؛ فمن أطرفِ الطّرائفِ -أطال الله بقاء الـوزير- أنّ حُمّـالَ السّـلاحِ والمتصـرّفين في الغَلّات والأموال، والمقْدِمينَ على الجرائرِ العِظامِ آمنونَ ساكنون، راتعونَ سائمون، وأنا من بين النّاس مُبعَدٌ مُطَّرَح محرومٌ، مَذُودٌ من حيثُ لم يُوجَدْ كتابٌ منّي ولا إليَّ، ولا أقـرَّ جاسوسٌ عَليَّ، ولا ظهرَت حالٌ تقتضي الاستراتبةَ بي، ولا رآني أحَدٌ غادياً ولا رائحاً إلّا إلى حَضْرة الوزير، ولا مؤمِّلاً سِـواهُ. ولـولا الثقَـةُ بكَـرمِ مَوْلانـا الأمـير عِـزّ الدَّوْلـة، وتعطُّفُه ورَأفَتُهُ ورَحمتُه، وفـائضُ إنعامِـه وطَوْلـهِ، وغـامرُ إنصـافِهِ وَعدلـهِ، وأنّ عنايـةَ

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة. (من الاعتقال) إضافةٌ منّا.

الوزير لا تُسْلمني[١]، ورعايتَهُ لا تنالُني[٢] وأنّهما -أيّدهما الله- لا ينسيانِ عَهدِي وأماني، ووَثيقتي وذِمامي، لكان في دونِ الذي حَلَّ بساحتي، واستُعمِلَ معي ما يُفتِّتُ الكبِدَ، ويَهُدُّ الجلِد، وأقولُ: حَسْبي الله.

وكان أمري -أيّدَ الله الوزير- وَقَف على الْتماسِ كُفَلاء، وذلك مُتَعذِّرٌ مع ما جَرى عليه أمرُ الكفالاتِ في هذه الأيّام، فإنّ بابَها انغلَق، ولا كفيلَ لي غَيرُ الوزير أدام الله علوَّهُ. ووالله لا خدَمتُ غيرَهُ، ولا عَلِقَ أمَلي بِسواهُ، ولا خرَجْتُ عن حَدِّهِ ورَسْمِه، ولا أخلَلْتُ بشَرْطٍ من شروطِ الوفاءِ له، وأنا أسألهُ -لا أحْوجَني الله إلى سُؤالِ غيرِه- أنْ يتطوَّلَ بمكاتبةِ أبي الحسين إبراهيم بن يوسف بما يجِدُ به السَّبيل إلى استتمام فِعْلِه الجميل، وتفضُّلِه الكبير، ونيابتِه التي قد سَبقَتْ كتُبي بها، وتقدَّمَ منّي الشكرُ عليها، ومُكاتَبةِ قاضي القُضاة أيّده الله، فقد أقبَلَ من المَوْصِلِ ولعلّهُ يَرِدُ الحضْرة اليومَ أو غداً بمثلِ ذلك، وبأنْ يَجريَ أمري على ما كان -أدام الله علوَّهُ- حَدَّهُ ورتبه من لزومِ منزلي، وإغلاقِ بابي، وإن احْتيجَ إلى يمينٍ أحلِفُها حَلَفْتُ ووَفَّيتُ، ليَزولَ عني مِيسَم الاعتقالِ، ويعودَ إليَّ ما نضَبَ من ماءِ الوَجهِ، ورَوْنق الجاهِ، والله الشّاهدُ أني لا أخرُجُ عن حُدودِ الوزير وأوامرِه، ولا أقفُ مَوقفَ اعتذارٍ أبداً عنده ولا عند غيرِه.

والوزير -أدام الله عِزّه- أعلى عيناً، وما يراهُ ويَمُنُّ به في ذلك وفي الرفعِ من قَدْري[٣]، بالإجابةِ عن كتُبي، مُتَقدِّماً بذلكَ إلى مَن يُراعيه، ويواظِبُ عليه، فإنّ قِوامَ نَفْسي، ومادَّةَ عَيشي إنّما هو رأيُه وتفضُّلُهُ إنْ شاء الله.

---

(١) ل: تشملني.

(٢) ل: تنلني، ولا وجه لها، ج: تتلمني.

(٣) ج: قلبي.

وكَتَب إلى أبي الرَّيّان حَمْد بن مُحمّد
من الاعتقال
يسأله أنْ يطلقه على قدر ما يشهد جِنازة عَمّه[١]

وَفاةُ الخادِم -أطال الله بقاء الأُستاذ- في حَياةِ مَوْلاه سَعادَةٌ لهُ، وقد مضَى عبدُه عمِّي أبو الحسن ثابتُ بنُ إبراهيم الحرّانيّ -رحمَهُ الله- على الطّاعة والمشايعَةِ[٢]، والدّعاء والثناء. وكانتْ وفاتُهُ ليلةَ السَّبتِ. جَعَل الله العُمرَ الطّويل لمولانا الملِكِ شاهانْشاه السَّيِّد الأجلِّ المنصور وليِّ النِّعَم عَضُد الدَّوْلة وتاجِ المِلّة، وكَبَت أعداءه، وورّثهُ تُراثَ العَدُوِّ والوليِّ، ورَزَقَنا ما رُزِقَهُ هذا الشيخُ من الوفاةِ على بِساطِهِ، وفي دَوْلته، وتحتَ ظلِّهِ وكنَفِهِ، وألْحَقني بالسُّعَداءِ ممّن رضيَ عَنهُ، ووُهِبَ له ذنبُه، وأجرَى ذلك على يدِ الأُستاذ وببَركتِهِ، وحُسنِ نِيَّتِهِ وعنايته، وانتشارِ فَضْلِهِ وخيرِهِ، بمَنِّه ورأفته.

وأرَدْتُ أنْ أسألَ الأُستاذ -أدام الله عِزّه- الإنعامَ عليَّ، والتقدُّمَ بحَلِّ قَيْدي وإخراجي مع الموكَّلِ بي بمقدارِ ما أُصَلّي على جِنازتهِ، وأُواريه في حُفرتهِ، وأقضي هذا الحقَّ الذي هو آخِرُ حقوقِ الميّتِ على الحيِّ، ثم أعودُ إلى مَوْضعي، فأحجَمْتُ عن ذلك، وضاقَ الوقتُ عن نفوذِ رُقعةٍ في مَعناهُ، وانتظارِ جَوابها والخيرة فيما قَضاه الله.

ونحنُ -أطال الله بقاء الأُستاذ- أهلُ بيتِ خدمةٍ قد تقدَّمت، وحُرمةٍ قد سَلَفَتْ، وقد مَضَى شيوخُنا، وألحَّتِ المصائبُ والنوائبُ علينا، والعدَدُ كثيرٌ، والسِّترُ رقيقٌ،

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة. (من الاعتقال......... عمه) إضافةٌ منّا للتوضيح.

(٢) ج: الموالاة.

والذَّماء[١] ضعيفٌ، والشملُ منتشِر. وأنا -من بينهم- العَبدُ الخاضِعُ الضّارِعُ، المُقرُّ بذَنْبي والمُحيلُ على شَقاوةِ جَدِّي، اللّاجىءُ إلى سَيِّدنا -أطال الله بقاءه- في جميعِ أمري، وما أعرِفُ سواه، ولا يجوزُ لي أنْ أتعدّاهُ، وعادتُه -أدام الله عِزّه- جارِيةٌ ببَثِّ الصَّنائع، وإيداعِ الوَدائع، والرّحمةِ للمُمتحَن، والأخذِ بيَدِ المرتهَن، وهو أعلى عَيناً وما يراه[٢] ويُدبّر به أمر[٣]عَبدِه المنقطِع إليه، والمعتمِد عليه، إنْ شاء الله.

---

(١) الذَّماء: بقية النفس، وقيل: قوة القلب. ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٣٨٩ (ذمي).

(٢) من: ج.

(٣) من: ج.

وكَتَب

إلى أبي عليٍّ الحسن بنِ أبي الرَّيّان حَمْد بن مُحَمّد[١]

النِّعْمة في فَضائل سَيِّدنا الشّيخ أطال الله بقاءهُ، وإنْ كانت بادِئةً به، وبسيّدِنا[٢] الأُستاذ -أطال الله بقاءه- فما يتقَدَّمُني أحَدٌ بعدَهما من أوليائهما في الاغتباطِ بها، والمعرفةِ بقَدرِها والشّكرِ لله عليها. وقد كنتُ أُحبُّ أنْ أحظَى بمُلازمةِ حَضْرتِهما غُدوّاً ورَواحاً، ومَساءً وصَباحاً، لكنَّني مَعُوقٌ عن ذلك بالعُذرِ الذي أرجو أنْ يكون زَوالُهُ بِهما، وعلى أيديهما، فيجتمِعَ لي الخلاصُ[٣] من الكُربة، والظَّفَرُ بالمحبَّة، تحت ظِلّهما الظَّليلِ الكَنين، وفي فِنائهما الحريزِ الحصين.

ولما تَمادَتْ أيّامي في هذه العُقلَةِ الجميلةِ النَّبيلةِ، التي أوَّلُها - والحمدُ لله- حُصولُ الأمانِ، وآخِرُها - بإذنِ الله - بلوغُ الأماني، طلَبْتُ سَبَب الصَّلاح، وطَرقْتُ بابَ النجاحِ، لائذاً بسيّدِنا الشّيخ -أدام الله عُلوَّهُ- ومُنقطِعاً إليه، ومُعتصِماً به، ومُعوِّلاً عليه، وجَعلْتُهُ وَكيلي -ونِعْم الوكيل- في مُخاطبةِ الأُستاذ -أطال الله بقاءه- عَنِّي، والمواظبةِ

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة. (ج: أبي علي الحسين، ف: أبي الحسن).

أبو علي هذا هو أحد وزراء البويهيين، ولي الوزارة سنة ٣٨٨هـ. الصابي، تاريخه الملحق بذيل الروذراوري المذيل على تجارب الأمم لمسكويه، ص٤٠١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٥٠١، ص٧٨٢.

(٢) ف: بمولانا.

(٣) ر: الإخلاص.

في مَجالس خَلَواتِهِ على ذِكْري، والتنجُّزِ لمواعيدِ آمالي فيه، والاجتناءِ لثَمَراتِ حُرُماتي به.

وبدأْتُ في هذه الرُّقعة بسلوكِ سَبيل التخفيفِ، وتجنُّبِ التطويلِ والتثقيل، إلى أنْ يرِدَ من الجوابِ ما أعمل[١] بحَسَبِهِ في الانبساطِ، لا شكّاً في كَرمِهِ، ولا تُهمةً لشريفِ خَلائقِهِ وشِيَمِهِ، لكنْ لزوماً للأدَبِ في التدرُّجِ إلى إحراز البُغْيةِ، وترْكِ الهجوم عليه قبلَ التّمهيدِ والتّوطِئة.

وسيّدُنا الشّيخ أعْلى عيناً وما يراهُ فيما سألتُهُ إيّاه، ورَغِبتُ إليه فيه[٢] ممّا يوفِّرُ الله عليه عاجِلَ جَمالِهِ، ويَدَّخِرُ له آجلَ ثَوابِهِ إنْ شاء الله.

وأقولُ ذلك له أيّده الله:

سُمِّيتَ شيخاً لفَضلٍ فيكَ أوْجبَهُ ... فعِشْ لتوجِبَهُ الأيّام والحِقَبُ

ورُبَّ ذي شَيْبَةٍ في العقلِ منهُ صِبىً ... وذي صبىً شابَ منهُ العقلُ والأدبُ

فخُذْ بحظِّكَ من شَيْخوختَيْكَ معاً ... تَعْلُ[٣] سُنوكَ كما تَعْلو بِكَ الرُّتَبُ

أشْبَهتَ والدَكَ الأُستاذ في كَرمٍ ... فبُورِكَ ابنٌ نجيبٌ منكُما وأبُ

لا أحذَرُ الفَوْتَ من خيرٍ أُؤمِّلُهُ ... وأنتُما لي إلى[٤] إدراكِهِ سَبَبُ

---

(١) (ما أعمل) ساقط في: ل، ج، ف.

(٢) ساقطة في ر.

(٣) في الأصول كلها: تعلوا، والجزم أصوب.

(٤) ف: في.

وكَتَب إلى وزيرٍ
في شفاعة[1]

كتبتُ -أطال الله بقاء الوزير- وقد تنسَّمتُ رَوائحَ الحياة، وثَنَيْتُ وَجْهي إلى الدّنيا، بعد أنْ أشفَيْتُ على مُفارقَتِها، وبما وهَبَهُ الله لي خُصوصاً، ولجميع خَدَمِ الوزير -أيّده الله- عموماً، من إقبالِهِ إلينا وإطلالِ الخيرِ به علينا، الذي هو معدومٌ منذ عُدِمت غُرَّتُهُ الجليلة، وخلائقُهُ الشريفة، ونفسُهُ الفائضة، ويمينُه المنطلقةَ، فالحمدُ لله على هذه النِّعْمة، وإيّاه أسألُ إتمامَها وإدامَتَها والزّيادَة فيها، وأنْ يُحيِيَني ويتوفّاني في خِدْمتِه وجُملتِه، ويُعيذَني من البُعْدِ منهُ، والانفصالِ عنه.

وقد كتبتُ إلى الوزير – أطال الله بقاءه – كتُباً كَثيرةً بالاستغاثة، ثم انقطعَتُ من المكاتَبة بالمطالبة، وجَرَتْ عليَّ أحوالٌ كشفَها الله بما عَرفَ وعَلِمَ من جميلِ رأيِهِ في خادمِه، وخُلوصِ عنايتِهِ به، وما تواتَرَ من كُتبِهِ ورَسائلِه بالرِّفقِ واللُّطفِ في تخفيفِ محنته، واستبقاءِ مُهجته. ووَقَعتِ الموافقَةُ والتقريرُ على ما لم أظنُن والله – أيّد الله الوزير– أنني أثبُتُ له، وأُقارِبُ النهوضَ به، لولا أنّ أبا الحسين[2] إبراهيم بنَ يوسف تكفَّلَ بأمري وأخَذ بيدِي، وقامَ لي ببيعِ تلك الضُّوَيْعةِ التي لم يكُنْ بقِيَ غيرُها، وقد لحِقَتِ الآنَ بما تقدَّمَها، ولم تكُنْ تَستبيعُ مع ما وُسِمَتْ به، وأسرَعْتُ في الاستجابةِ، وحَمَلْتُ أكثرَ من الطّاقةِ، وتَطرَّحْتُ في السُّؤالِ للصغيرِ والكبيرِ استماحةً واسْتسعافاً. واتَّبعْتُ

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة. (إلى وزير في شفاعة) إضافةٌ منّا.

(٢) ل، ق: الحسن، وتقدّم: الحسين.

أمرَ الوزير -أطال الله بقاءه- في اسْتِعطافِ الأمير عِزّ الدَّوْلة -أطال الله بقاءه- وتُسْهيلِ السَّبيل للوزير إلى ما لم يَزَل يؤْثِرْهُ ويسعَى له من إصلاحِ شأني عنده واستعادةِ رَأيهِ الجميل، واستدعاءِ فَضْلهِ الغامِر.

وأعان الله، وأنهَضَ بالأكثر، وبقِيَتْ بَقيّة لم يكُنْ لها وَجهٌ في مالي ولا حيلتي، فتبرَّعَ أبو الحسين عليُّ بنُ عُرسٍ[1] - أيّده الله- بأنْ وزَنَها عنِّي، وأخَذَني إلى دارِه بعد أنْ لم يَبْقَ بيني وبينَ المسْتَخرِجِ[2] بَقيّة، واعتمَدَ في ذلك التقرُّبَ إلى الوزير - أدام الله عزه- باستخلاصي له، وحِفْظِ مُهْجتي لخدمته.

---

(١) لعلّه المذكور في ج١، ص٥٠، وفي نسخة عهد بالتطفيل، ج٢، ص٦٦٣.

(٢) من خلال النصوص التاريخية نرى أن مصطلح الاستخراج دَلّ على انتزاع أموال الضرائب ممّن لا يؤديها طوعاً، كما دَلّ على انتزاع الأموال ممن اختلَسها من موظفي الدَّوْلة مستغلّين مناصبهم، وكذلك الأموال المُصادرة من كبار التجار. ومن خلال تلك النصوص نرى أن صاحب الاستخراج كان يتعامل معهم بأسلوبٍ قاس. لذلك أطلق عليه صاحب العذاب. الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص٤٧٢. لهذا ضُمت في بعض العصور مهمة الاستخراج إلى صاحب الشرطة، كحوشب بن يزيد الشيباني. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ص٣٢. وكان لصاحب الاستخراج دار يمارس فيها عمله يطلق عليها دار الاستخراج، وأطلق عليها ياقوت دار العذاب، وهي الدار التي كان الحجاج بن يوسف يعذب عماله فيها إن بدر منهم تقصير أو ما يوجب العقوبة. كتاب الخزل والدأل، ص٦٥. وانظر ص١٢٥.

روى الجاحظ عن أحدهم قال: كنت أختلف إلى دار الاستخراج أتعلّم الصبر. البيان والتبيين، ج٢، ص٤٣. وقال ابن عبد ربه: مرّ أسد بن عبد الله القسري والي خراسان بدارٍ من دور الاستخراج، ودهقان يعذب من حبسه... العقد الفريد، ج٢، ص٣٥. وكان لأحدهم طريقة حسنة في استخراج الأموال من التجار كما قال السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص٩٥. وانظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٢٠١، ج٢، ص٤٥، ج٣، ص١١.

ووالله -أيّدَ الله الوزير- ما أحفِلُ بالمأخوذِ وإنْ كان أوجَعَ وكشَفَ، ولا هو عندي بما أتوقَّعُهُ من إخلافِهِ إيّاه وإضعافِهِ له إلّا بمنزلةِ العربون[1] والسَّلَفِ، وأنّ ثقتي بإحسانِهِ لتتجاوَزُ بي حَدَّ السَّلْوةِ عمَّا ذَهَب منّي إلى الاغتباطِ بما أتوقَّعُ حُصولَهُ لي، ولا أتمنَّى الآنَ إلّا أنْ أرى وَجهَهُ وأُعاينَ شَخْصَه[2]، وأخدُمَه ؛ وسَيبينُ له -أدام الله عِزّه- من صُورتي ما يُغني عن الإطالة.

وها أنا منتَظِرٌ إيجادَه إيّايَ السَّبيل إلى أخذِ مَوضعي من حَضرتِهِ، والإذنَ لي في العَوْدِ إلى مَكاني من خدمَتِه.

والوزير -أطال الله بقاءه- أعلى عيناً، وما يراه في حَمْلي على سُنَّةِ كرمِه، وعاداتِ فَضْله، ومُوجِباتِ رعايتِه ومحافظتِه، والتقدُّمِ بتقويةِ نَفْسي بجوابٍ أسكُنُ إليه، وأشكُر مَوهبةَ الله فيه إنْ شاء الله.

---

(١) بفتح العين والراء: عَرَبون، وهو الأفصح، أو بضم العين وإسكان الراء: عُرْبون، والعُرْبان لغة ثالثة. السنيكي، أسنى المطالب، ج٢، ص٣١.

(٢) ج: غرته.

وكَتَب إلى أبي جعفرٍ مُحمّد بنِ مَسْعود بنِ ماكُوله كاتبِ الأمير أبي نَصْرٍ ابنِ عَضُد الدَّوْلة أبي شُجاع ابنِ رُكْن الدَّوْلة[١]

أنا مُواظِبٌ على مَوْلاي -أطال الله بقاءه- بالنيَّةِ الصّادِقَة، والمُوالاةِ الخالِصَة، وإنّما أُغِبُّ زيارَتهُ -على شَغَفي بها، وافتراضي لها، وحاجتي إليها- تَخْفيفاً عنه، وتَرْفيهاً له، وتَعْويلاً على الثّقةِ التي نرجِعُ إليها، ونجتمِعُ عليها، وتَتقابلُ قلوبُنا بها، وتَتعادلُ ضَمائرُنا فيها، وفي تَفضُّلِ مَوْلاي -أدام الله عِزّه- ما وسَّعَ العُذرَ، وجَمَّل الأمرَ، وأغنَى عن الإطالةِ إنْ شاء الله.

وقد عَرَف -أدام الله عِزّه- ما لي على الضَّيْعة المعروفةِ بباولش[٢] وَقْف مُزنه[٣]، وهذا وَقتُ حُلولِهِ لسنةِ اثنتَيْنِ وسبعينَ وثلاثمائة، وبالله ما أعتَدُّهُ حقًّا يُوجَب، بل فَضْلاً يُوهَب. فإنْ رأى مَوْلاي أنْ يأمُرَ فيه بما هو أهلُه، فَعَل إنْ شاء الله.

وأقولُ في ذلك له:

مُحمّدٌ، أنتَ في الحاجاتِ محمودُ ... وبابُ غيرِكَ عنها -الدَّهْرَ- مَسدودُ

وبينَنا من لطيفِ الوُدِّ آخِيَةٌ ... يَشُدُّها من حِفاظِ العَهْدِ تَوكيدُ

وفي ذِمامِكَ لي حقّ إذا ظفِرَتْ يَدِي ... بِه فهْوَ من جَدْواكَ مَعدودُ

لو لم يُقَرِّبْهُ إلّا حُسْنُ رأيِكَ لي ... لكانَ فيه لصَرْفِ الدَّهْر تبعيدُ

ووَقتُهُ حاضِرٌ والعينُ تَرقُبُهُ ... ومَا لعارِفَةٍ أسدَيتَ تَنكِيدُ

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة. (ماكوله في ق: ماكوكة).

لعلّ الأمير أبا نصر هذا هو نفسه الذي تقدّم ذكره في ج١، ص٤٧٣.

(٢) ل: بيالوس. ولم أجد ما يمكنني من الجزم به.

(٣) كذا، ولم أهتد للمقصود.

ولستُ أحذَرُ عُقْبى الخُلفِ مـن أمَـلٍ تقـدّمت منـك لي فيـه المواعيـدُ
ومَـن يكـن بشِـرار النّـاس منتحسـاً فـإنني بـابنِ مَسْـعودٍ لَمسـعودُ
عـليَّ منـهُ إذا مـا حَاجَـةٌ عَرضَـتْ ظِـلٌّ ظَليـلٌ وإعـزازٌ وتأييـدُ
مِن أجلِ ذلك شُكـري مـا يَـزالُ لـهُ على الحَـوادثِ تخليـدٌ وتأبيـدُ

وكَتَب
إلى أبي سَهْل سَعيد بنِ الفَضْل الـمَجُوسيِّ[١]

قد عرَفْتَ يا سَيِّدي، من شُكري ودُعائي عند إطْلاعِكَ إيّايَ على الكتابِ الواردِ من حَضْرة مَوْلانا -أطال الله بقاءه- ما هو إذا تضاعَفَ وأوْفَى، وبالَغ وتناهَى قاصرٌ عن الواجب، وواقِفٌ دُونَ اللّازِم، لكنَّهُ جُهدٌ من مقلٍّ قد استغرَقَ وُسعَهُ، واستنفَدَ طَوْقَهُ، وحَقيقٌ على الله أنْ يَسمعَ دُعاءهُ، ويُجيبَ نداءه، إذ قد عَلِمَ أنّهما صَدَرا عن أخلصِ نيَّةٍ وبَصيرة، وأصدَقِ طَوِيَّةٍ وسَريرة، وفي أولى البريَّةِ بالاستجابةِ فيه والإدامةِ[٢] لمعاليه.

وأُقسِمُ بالله أبرَّ القَسمِ، أنّ هذا الرأيَ الجميل، والفعلَ الجليلَ أثّر في نَفْسي، من ردِّ المأخوذِ منّي، وإضعافِه مِرَاراً كثيرةً لي، وأني منذ قرأتُ ذلك بمنزلةِ مَن حبته هذه المحنَةُ ووَصَلتهُ، لا مَن اجتاحَتْهُ واستأصَلتْهُ لإظهارِها ما أظهرَتْ من الرّعايةِ المؤْذِنةِ بالإخلاف، والمحافَظةِ الضّامنةِ للتعويض، والأثَرةِ التي هي الكَنزُ[٣] المذخور، ورأسُ المال الموفور. وما أدري بأيِّ هذه الأيادي أُثني، ولا ينهَضُ بمجازاتِها شُكري، وشُكرِ أهل الزّمان[٤] عنّي.

فأمّا اهتمامُ سَيِّدي أبي القاسم[٥] وعنايتُه، وتحرُّقُه وشفقتُه، وما توصَّلَ لي إليه من عائدةِ الصَّونِ والعَون، فذلك مُشاكِلٌ لما أسلفَني، ولائقٌ بما سَبَق من أياديه لديَّ، وقد

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة.

(٢) ف: الاستدامة.

(٣) ف: أفضل.

(٤) ج: الأرض.

(٥) لعله الصّاحب بن عَبّاد، أو المطَهَّر بن عبد الله.

-والله- بَهَرني بكرَمه، وغَمَرني بأنعُمِه، وبيَّنَ فيما أتاهُ عن أنبلِ قَدْر، وأعظم[1] خَطر، وأنفَس جَوهر، وأشرفِ عنصُر، وكيفَ لا يَحُوطُني من المهالكِ، ويَحفظُني حِفظَ المالكِ[2] وقد استعبَدَني واستَرقَّني، واسْتوجَبني واستحَقَّني ! وأسألُ الله أنْ يُطيلَ بقاءهُ، بقاءهُ، ويُتمِّمَ نَعماءهُ، ويُكافئَهُ عنّي بما هو أملأُ به وأوْلى، ويُوفِّقَني لنشرِ ما أودَعَ لدَيَّ وأسدَى، بقُدْرته.

وتأمَّلْتُ الكِتابَ، فوجَدْتُ مَوْلانا -أطال الله بقاءه- بصادقِ حَدْسِه، ولطيفِ حِسِّه قد سبَقَ إلى تَصوُّرِ الأمرِ بصورَتِهِ، وأشفقَ من تعريضِ خادِمِهِ لزيادةِ محنتهِ[3]، وأزالَ عنك نصَّ الأمرِ في إيصالهِ، ومَلَّكَكَ الاختيارَ في التوقُّفِ عَنهُ، ولا عجَب، مع إيفائهِ على كلِّ فَضْل، وإبرازِهِ على كُلِّ لُبٍّ وعَقْل، من هذا التيقُّظِ الشَّديد، والتحفُّظِ السَّديد، والاستشفافِ في أوائلِ الأُمورِ لعَواقبِها، والاستظهارِ في هَواديها لتَواليها، وتدقيقِ الفِكْرِ في انتياشِ العَبدِ البعيدِ عنه ناصِرُه، القريبةِ منهُ محاذِرُهُ، وهذا هو الرأيُ الذي عليه يُعوَّلُ وبه يُعمَلُ.

وقد أصارَني - يا مَوْلاي - تَردُّدُ النَّوائبِ المُعضِلةِ، وتكرُّرُ النّوازلِ[4] المشكِلَة، إلى الحدِّ الذي يقولُ فيه أبو العتاهِية :

تَعـوَّدتُ مَـسَّ الضُّـرِّ حتـى أَلِفْتُـهُ   وأسـلَمَني حُسْـنُ العـزاءِ إلى الصَّـبْرِ[5]

والذي أنا فيه الآنَ منها يجِلُّ عن أنْ يُؤثِّرَ فيه يَسِيرُ النظر، والبَقيّة مِنّي تدِقُّ عن أنْ

(١) ج، ر، ف: أعلى.

(٢) ر: المهالك، ف: ويعدني من المهالك.

(٣) ر: محبته (مجودة)

(٤) ف: الحوادث.

(٥) العبشمي، ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، ج٢، ص٢٦٢. ويُنسب لغيره أيضاً.

تثبُتَ لعظيمِ الغَرَر، وما قَصدي إلّا تسليمُ ثَميلةِ الحال ونقضُها، والاحتيالُ في وُجودِ ما أُطالِبُ به بعدَها، والتّمكينُ من العَملِ الذي أنا مَدعوٌّ إليه كما عَلِمْتَ، إذ هو -مع هذه العَواقبِ الوَخِيمة[١]، والرُّسومِ الذَّميمة- بمنزلةِ الحبائلِ المبثوثة، والأشْراكِ المنصوبة، وأنْ أجهَدَ في استنقاذِ الحُشاشَةِ السّاكنةِ في غيرِ وَطنِها، العانيةِ في أيدي محنِها، ثم أطلُبُ لها ما هو لا شكَّ يَطلبُها من غادِي الرزقِ ورائحِهِ، وطيِّب الطَّعمِ وصالحِهِ.

وأنتَ يا سَيِّدي -أيّدك الله- وليُّ ما تُراهُ في تدبير[٢] ما كَتَبتُ به، وتلخيصِه لمَوْلايَ أبي القاسم أيّده الله، ومسألتِهِ التفضُّلَ بإنهائه، والتوصُّلِ إلى إيرادِه بعد أنْ يكسُوَهُ شِعاراً أنيقاً من عبارته[٣]، ولباساً لطيفاً من بلاغته، إنْ شاء الله.

ومع رُقعتي هذه - يا مَوْلاي - كتابٌ إلى سَيِّدي أبي القاسم -أدام الله تأييده- يشتمِلُ على مِثلِهِ إلى مَوْلانا -أطال الله بقاءه- وكُرةُ صُفْرٍ[٤] بمَرْفَعِها، واصْطرلابٌ، وأربعَةَ عشَرَ جُزءاً من الدَّفاتِر.

وقد تضمَّنَ الكِتابُ من التفصِيلِ ما أنتَ -أيّدك الله- تقِفُ عليه، وأنا مُسْتَغْنٍ عن إعادتهِ، فتفضَّلْ -أيّدك الله- بإصدارِ ذلك، مُحتاطاً فيه إنْ شاء الله.

---

(١) ر: الرخيمة.

(٢) ر: تدبر، (تراه في تدبير) ساقط في ف.

(٣) ل، ر، ف: عنايته.

(٤) الصُّفر هو النحاس الأصفر. أي: المخلوط بالزنك.

وكَتَب عن صَمْصام الدَّوْلة بن عَضُد الدَّوْلة إلى الصّاحب بن عَبّاد وزير فَخْر الدَّوْلة في الشفاعة في شخصٍ من بعض ألْزامه[١]

كتابُنا، ونحن[٢] - أدام الله تأييد الصّاحب الجليل كافي الكُفاة - وإنْ وثقنا من المسؤولين بالإيجاب والإجابة، ومن المأمورين بالامتثال والطّاعة، فإنّا نخصّ بكُتبنا الصّادرة عنّا في المآرب العارضة لنا مَن خفّت[٣] من كلا الفريقين نهضتُه إليها، وظهرت مثابرتُه عليها. وإذا انتهينا إليه - أدام الله عزه - في ذلك عَدَدْناه[٤] مع ما قدم الله عندنا من رُتبته في الطّبقة الأولى، وميّزنا[٥] مع ما وفّر الله علينا من طاعته عن الطّبقة الأخرى، وأنسنا منه عادةً مشكورةً في اتّباع محبوبنا، والإسْعاف بمطلوبنا، ليسلسَ لنا إلى مخاطبته قيادٌ يتقاعس عمّن سِواه، وتنبسط[٦] منّا في مكاتبته أنامل تتجعّد عمّن لا يجري مجراه، ولا سِيَّما إذا كان ذلك في مكرمةٍ يطيب ثناؤها، ومنقبةٍ يُشاد بناؤها، فإنّ رَسْمَه جارٍ بأنْ

---

(١) طهران والعنوان فيها: وله عن صَمْصام الدَّوْلة إلى الصّاحب، وأورد نصها القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص٥٦١، والإضافات منه.

(٢) ساقطة في صبح الأعشى.

(٣) في صبح الأعشى: خصبت.

(٤) صبح الأعشى: عددنا.

(٥) (مع ما .... وميزنا) من صبح الأعشى.

(٦) ط: سبطت.

يجمع إلى تحصيل إحْمادنا عليهما، والأخذ معنا بالقسط منهما[١]، والله يمدّه ويمدّنا فيه من طيب السَّجايا، وصالح العَطايا بما هو الوليّ به، والحقيق بالشكر عليه.

وكتابنا هذا - أدام الله عز الصّاحب الجليل كافي الكُفاة - مبنيٌّ على إذكاره بحقٍّ لنا[٢] رعيناه، وذِمامٍ من أجله أوجبناه، وذلك أشدّ[٣] لإحكامه، وأثبت لأحكامه[٤]، وألزم لإيجابه، وأوكد لأسبابه. وقد عرف - أطال الله بقاءه - مكان أبي منصور يزدانفادار[٥] بن المرْزُبان من خدمتنا، وموقعه[٦] في جملتنا، وتوفّر حظّه من جميل رأينا، وخالص اعتقادنا. ومن أوجه وَسائله لدينا التي أوجبت له ذلك علينا ما لا نزال نجده[٧] عليه من الاعتداد بإحسان الصّاحب الجليل كافي الكُفاة إليه، وإلى أبيه من قبله، والاعتراف بأنّه - أيّده الله - أبو عذرة[٨] صنعه، والسّابق إلى الجذب بضبعه. ولئن[٩] كان أقرّ له - أدام الله عزه - من ذلك معروفٌ لا يُنكر، ودخل من الثناء عليه في

---

(١) (فإن رسمه .... منهما) ليس في صبح الأعشى.

(٢) ط: له.

(٣) صبح الأعشى: أسد.

(٤) (وأثبت لأحكامه) ساقط في صبح الأعشى.

(٥) ط: بدون نقط، صبح الأعشى: يزداها دار، وما أثبتناه من الصابي، تاريخه، ص٥١٠. وكان قد عيّنه عميد الجيوش الحسن بن أستاذ هرمز الذي أرسله بهاء الدَّوْلة ليدبّر شؤون العراق سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م، عيّنه على الأشراف في ديوان الجيشين. وانظر: الصابي، الهفوات النادرة، ص٨٥.

(٦) ط: موضعه.

(٧) صبح الأعشى: أنا لا نزال عده.

(٨) ط: عذر. والأصح ما أثبتناه من صبح الأعشى. يقال: فلان أبو عذرة هذا الكلام، أي هو الذي اخترعه ولم يسبقه إليه أحد. وهو مستعار من قولهم: هو أبو عذرتها، أي: هو الذي افتضّها، ويقال: إن المرأة لا تنسى أبا عذرتها. الثعالبي، ثمار القلوب، ص٢٤٩.

(٩) صبح الأعشى: لمن.

في إجماعٍ لا يُخرق، فقد بيّن عن نفسه أنّه ممّن يطيق حَمْل[١] المِنَن، ويُحسن مُصاحبة النِّعَم، ويستحقّ أنْ تقرّ عنده أسلافُها، وتدرّ عليه أخلافُها، إذ لم يذهله الرتوع[٢] فيها عن التحرّز[٣] من انحرافها[٤] وانصرافها[٥]، ولم يلهه التوسّط لها عن حياطة أطرافها وأكنافها. ومَن لنا اليوم بالشَّكور الذي لا يغمط، والذَّكور الذي لا ينسى، والعليم بما يلزمه، والقؤوم بما يحقّ عليه!

وأعلمنا حال قَريبَيْن له يُقال لهما: الفركان بن حرزاد، ورستم بن يزد[٦]، وأنّهما تصرّفا في بعض الخدمة تصرّفاً زالا[٧] فيه عن نَهْج السَّداد، وسَنَن الرَّشاد، واقتضى ذلك أنْ صُليا[٨] بالتقويم والتهذيب، وولجا مضيق القصاص والتأديب، وأنّه قد مَضَت لهما فيه مدّةٌ طويلة في مثلها ما صلح المعاقَب، واكتفى المعاقِب، وسؤاله لهما.

ومرادنا له فيهما شفاعة الصّاحب الجليل كافي الكُفاة – أدام الله عزه – إلى مَوْلانا الأمير السيد شاهانْشاه فَخْر الدَّوْلة وفَلَك الأمّة – اطال الله بقاءه – في أنْ يسعهما العفو، ويدركهما العطف، إمّا باستخدامٍ يتطوّقان به المِنَن، أو[٩] يأذن لهما بانصرافٍ إلى الوطن.

---

(١) ط: محمل.

(٢) صبح الأعشى: الربوع.

(٣) صبح الأعشى: التحيد.

(٤) صبح الأعشى: اصطرافها.

(٥) من: صبح الأعشى فقط.

(٦) ط: فلان وفلان. ويساورني الشك في قراءة (حرزاد)، فالفرس لا ينطقون الحاء. والأرجح أنه خرّزاد.

(٧) صبح الأعشى: تَزايلا.

(٨) صبح الأعشى: طلبا.

(٩) صبح الأعشى: و

وقد استظهرنا[١] بكتابٍ كتبناه في أمرهما هذا الكتاب مشتملٌ عليه حتى إذا وجب أنْ يجعله الصّاحب الجليل كافي الكُفاة ذريعةً إلى الغَرض، ومطيةً إلى المقصد، أمضى في ذلك رأيه، وعقد عليه تدبيره. فإنْ رأى الصّاحب الجليل أنْ يتوصّل في هذا الأمر إلى ما يشاكل عادته عندنا في الأمور الواردة عليه منّا[٢] فَعَل، وتوخّى في الجواب أنْ يكون متضمّناً لذكر الفعل دون القول، والإنجاز دون الوعد إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) ط: استظهر.

(٢) ساقطة في صبح الأعشى.

وكَتَب عن صَمْصام الدَّوْلة
إلى فَخْر الدَّوْلة[١]

كتابي - أطال الله بقاء مَوْلانا الأمير السَّيِّد شاهانْشاه فَخْر الدَّوْلة وفَلك الأمّة - عن سَلامةٍ لا زالت تشمله شُمول الشّعار، وتلزمه لُزومَ الاستقرار، والحمد لله ربِّ العالمين. وما وهب الله لمولانا من كرم الضَّرائب، ويُمْن النَّقائب، واتّساع الباع في العَطاء، وانشراح الصَّدْر بالآلاء، يسهّل سَبيلي إلى مسألته ما يعرض من مَطالب المتحرّمين بنا، والمؤسومين بصَنيعتنا، والناشئين في أيّامنا، والمتحقّقين بدَوْلتنا. ولولا ما أثق به من استحقاقه - أدام الله تأييده - ذلك إذا وَرَد عليه، واستسهاله إيّاه إذا رغب فيه إليه، لقبضتُ يدي عن أنْ أتعرّض للتثقيل، أو أنْ ألتمس ما لا أثق فيه بالقبول.

لكن تلك الخليقة الشريفة منه، وهذه الثقة المستحكَمة منّي، لما اجتمعتا تلاقحتا، وكان نتاجُ بينهما حُصولَ التفضُّل لي منه، ووُجوب الشكر على له زاده الله من سَنيّ قِسَمه، وهَنيّ نِعَمه. ولا أزال مقيَّضاً له بعُلوّ القدْر، وسُموّ الفخْر، واللّهج بالمآثر، والاشتمال على المناقب. وممّن سَلَفت خدمتُه، وسَبَقت حرمتُه، وتقدّمت في الأمانة قدمُه. وأُحمدت على طول الاختبار شيمه، وسبغت النِّعم عليه، من الملك السَّعيد عَضُد الدَّوْلة قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه، ومن مَوْلانا الأمير السِّيِّد شاهانْشاه فَخْر الدَّوْلة أطال الله بقاءه، ومنّي بعدهما: أبو جعفر مُحمّد بن مسعود، أيّده الله؛ فإنّه رجلٌ طالَت صحبتُه لنا، وتنقّل في جلائل أعمالنا، وتصرّف في مهمّ عَوارضنا، فلم يوجد في عَملٍ

---

(١) طهران. (العنوان في الأصل: وله عنه إلى فَخْر الدَّوْلة) وضعنا (صَمْصام الدَّوْلة) بناء على الرسالة السابقة لهذه الرسالة في الأصل.

وَلِيه واستكفيه، ولا مهمٍّ اعتُمد عليه فيه إلّا ناصح الجيْب، سليم الغَيْب، بعيداً من الرَّيْب، بريئاً من العَيْب. وهذا حين وجب .... [1] نلاحظه بعَيْن الرّعاية، ونوطئه[2] كنف العناية، ونعتمد أنْ يكون ملمومَ الحال، مربوبَ المعاش، موفّقَ الجانب، محروساً من النّوائب.

وكانت لمولانا الأمير السِّيِّد - أدام الله عُلوّه - نِعَمٌ عليه في تَسْويغاتٍ[3] ومُسامحاتٍ بالجبل[4] لم يزل لها شاكراً، وعليها معولاً. ثم ارتجعها العُمّال على استقبال سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة[5] ارتجاعاً خالَف العادة في إقرارها عند مثله ممّن نهض بشكرها، وأدّى فرضها، وأحسن التمسُّك بها، واحترس من الجرائر المطرقة عليها. فإنْ رأى مَوْلانا أنْ يوعز - لا زال إيعازه ماضياً، وأمره نافذاً عالياً - بردّ جميع ذلك إليه بإقراره عليه، وإدخاله في عرض مكارمه المستفيضة، وأياديه الطويلة العريضة، والكتاب إلى العُمّال بما يكون فيه للوثيقة له في عودها إلى ما كانت فيه من الجميع، والعناية به في ذلك وفيما سواه من الأمور، والتمييز له عمّن ينال بالتعقُّب، أو يتطرّف بالتتبُّع، أو يعدل به عن سَنَن الإيجاب والرّعاية، وطرق الصِّيانة والحماية، فَعَل إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) كلمة غير مقروءة، أقرب قراءة لها: لن.

(٢) في الأصل: نوطنه.

(٣) التَّسْويغ : أن يسوّغ الرجل شيئاً من خَراجه في السنة. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٦.

(٤) بلاد الجبل أو الجبال هو الإقليم الواقع شرق العراق، وهو ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والرَّيّ وما بين ذلك من البلدان. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٩٩.

(٥) توافق سنة ٩٨٣م.

وكَتَب إلى قاضي القُضاة أبي مُحمّد بن مَعْروف[١]

قاضي القُضاة -أطال الله بقاءه- المَشْرَعُ العَذْبُ، ونحنُ الشرائعُ إليه، والوَسائلُ لديه. ولئن كانت مطالبُ السّائلينَ مبذولةً لهم من جهتِهِ، وقَريبةً عليهم مع إسْماحِه وإسْعافِه، فإنّ التوصُّلَ إليها بأهلِ الحُظوةِ عنده، والقُربةِ من قلبِه أدْعَى إلى نجاحِها، وأيسَرُ[٢] في تناوُلِها -زادَهُ الله فضلاً ونُبلاً- إنْ كان بقيَ مزيدٌ، وعلى أنّه لم يبقَ إلّا الاستدامة، كما قال أبو تمّام:

نعمَـــةُ الله فيـــك لا أســـألُ اللـــ ـــهَ إليهـــا نُعمـــى سِـــوى أنْ تـــدوما
ولـــوَ انّي ســـألتُ كنـــتُ كمَـــن يســـ ـــألُه وهـــو قـــائمٌ أنْ يقومـــا[٣]

وحاملُ هذه الرُّقعةِ فلانٌ أحَدُ عبيدِه وخَدَمِه، وذَكَر أنّه قد ثبَتَ له حقّ عند قاضي القُضاة، وهو يَسألُ وأسألُ له الإسْجالَ به، والإيعازَ بالكتاب في معناهُ إلى البصرة، وله -أيّده الله- علُوُّ الرّأيِ في ذلك إنْ شاء الله.

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة.

(٢) ر: أسر.

(٣) ديوان أبي تمّام، ج٣، ص٢٣٠.

وكَتَب[١]

العهدُ يا سَيِّدي بعيد، والشوقُ شديد، وسَبيلي إلى زيارتِكَ غير مُتَسهِّلَة[٢]، وعادةُ تفضُّلِكَ في المراعاةِ منقطِعة، وأنتَ على صِلَتي أقدَرُ وأظهَر، ولم أقُلْ: هذا شكوىً لك، بل شكوىً إليك. وكيف أشكو مَن لا أخلُو له من مَبرَّةٍ أشكرُها، ومِنَّةٍ أتحمَّلُها، ويَدٍ أحفَظُهَا وأعتدُّ بها[٣]!

وبالله، لولا تلازَمْنا على المداوَمة، وتلاقَيْنا على المواظَبة، لما نَقَع[٤] ذلك غُلَّةَ ظمئي إليك، ولا عدِمتُ نَزَواتِ الحنينِ نحوَك، فكيف والشُّقَّةُ بيننا مَعترِضَة، والأعمارُ دون اجتماعِ الشَّمْلِ مُنقرِضَة؟ والله يُطيلُ عُمُرَك، ويَمُدُّ أيّام عزِّكَ، ويُقرِّبُ منّي[٥] دارَك، ويُوشِكُ عليَّ مزارك، ويَحرُسُ النِّعْمة عِندَك، وعليَّ بك، ويُرينيكَ على ما أحِبُّه لك وتحِبُّه لي، من سُكون الجأش، ورَفاغة[٦] المعاش، وصَلاحِ الحال، ورَخاءِ البالِ، بقُدْرته.

وإلى أنْ يُجيبَ الله -عزّ وجلّ- هذه الدّعوةَ، فلك -أدام الله عزَّك- عُلوُّ الرأي في إيناسي بكتابِكَ[٧]، وتطوِيقي مِنَّةً من مِنَنِك، وتقليدي نِعمةً من نِعمِك، بالانبساطِ[٨] في

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، عاشر أفندي، القاهرة.

(٢) ر: مستهلة.

(٣) ر: اعتدها.

(٤) بعدها في ج: مع.

(٥) ساقطة في ج.

(٦) ج، ف، ر: رغد. والرَّفْغ: سَعة العيش ورغده والخِصْب. ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٤٣٠ (رفغ).

(٧) ساقطة في: ف، ر، ع.

(٨) بعدها في ر: إليّ.

في الحاجةِ العارضَة، والوَطرِ السّانِح، والاستنابةِ التي أرى التّعبَ بها راحةً، والقيامَ بها فريضةً إنْ شاء الله.

وحضَرَني - يا مَوْلاي - أبو الحسن مُحمّد بنُ يَلْتِكين الكاتبُ - أيّده الله- وهو من أحسَنِ مَن أعرِفُ خطّاً وطَبعاً في منظومِ الكَلامِ ومنثورِه، وذَكرَ أنّكَ تحتاجُ إلى كاتبٍ يُلازمُ حَضْرتَكَ، ويخفِّفُ عَنك. وقد جَرَى بينه وبينَ أبي فلانٍ خليفتِك - أيّده الله- خطابٌ يَجْري[1] مَجرى السَّلَفِ في خدمتِك، والخُطبةِ للكَوْن في جُملتِك، وأحَبَّ أنْ يُقوِّيَ هذا السّببَ بكتابٍ منّي إليك؛ فكتبتُ بما لم أُعِرْهُ فيه شَهادةً، ولا وفيّتُهُ منهُ أيضاً حقّ التقريظ[2] والصِّفَة، ولعلَّ السَّعادة أنْ تَسُوقَهُ إليك، وتُقِرَّهُ بين يدَيك؛ فيكونَ ما تَراهُ مِنهُ، وتحمَدُه من خدمتِه، وتَستلطفه[3] من طَبعِه، وترتضيهِ من سُكونهِ وهَدْيِه، وتستَحْليه من منظَرِهِ وشاهِدِه، شفعاء له إليك، ووَسائل لدَيك تَستَغني ببعضها عن استضافةِ ما تَستضيفُهُ إليها، وإنْ كنتُ أعلَمُ وأثِقُ أنّ لكتابي عندَكَ فَضْل مَوقعٍ يتأكدُ به ما ضَعُفَ من الأسباب، فضلاً عمّا قَوِيَ وتمكّنَتْ به الأواخي.

وأنتَ يا سَيِّدي وَلِيُّ ما تَراهُ وتُنعِمُ به في أمرِه، محقِّقاً[4] لجميلِ ظنِّه، ومتقيِّلاً[5] لشديدِ رَغبتِه، ومشفعاً به في كفايته، وقاضياً حقّي فيه إنْ شاء الله.

---

(١) (خطاب يجري) ساقط في ف.

(٢) ل: التقريض.

(٣) ل: تستطلعه.

(٤) ج: مخففاً (مجودة).

(٥) ر: مقبلاً.

وكَتَب[١]

إحسانُ سَيِّدنا لي غامِر، وعَليَّ متظاهِر، وبعنايتهِ امتدَّ عليَّ السَّتْر، وبشفاعَتِه عُذْتُ إلى الكنَفِ والظلِّ، وبما وَصَل إليَّ من المعروفِ على يَدِه تعلَّلْتُ وتَماسَكْتُ، ولما[٢] يتْلوهُ من مادَّةِ القُوتِ والكفافِ أترقَّبُ وأنتظِر. وأنا أدعو له - أيّده الله- دُعاءً قيل: إنّ هندَ ابنةَ النُّعمان دَعَتْ به لخالدِ بنِ الوليد، وقد برَزَتْ له عند فَتْحِهِ الحيرةَ، فإنّها قالت له - في محاورةٍ طويلةٍ جرَتْ بينَهما-: شَكَرَتْكَ يَدٌ افتقَرتْ بعد غنىً، ولا ملكَتْكَ يَدٌ استغنَتْ بعد فقر، وأصابَ الله بمعرُوفك مَواقِعَهُ، ولا جَعَل لك إلى لئيمٍ حاجة، ولا أزالَ عن كريمٍ نِعمةً إلّا جَعَلَك سَبباً لردِّهَا عليه[٣]. والله يسمَعُ منّي ذلك فيه، ويُسهِمُ له من كُلِّ دعاءٍ صالحٍ يَرتفِعُ إليه ويتوجَّهُ عنده، ولا يُخْليهِ من قُدرَةٍ يضَعُ بها إحسانَه في مَعادِنِ الزَّكاءِ والوفاءِ، بقُدْرته.

وقد كان من الأدبِ ألّا أهجُمَ على سؤالِ سَيِّدنا حاجةً مع اهتمامِهِ بمصالِحِي وعادتهِ الجارية بأنْ يَبتدئني بمَطالبي، لكنَّني أكتُبُ هذه الرُّقعةَ في أمرٍ قد حَضَر أوانُه، وأمكَنَتْ فرصَتُه، فلو ترَكْتُ الإشارةَ إليه، وتقديمَ المقدَّمةِ فيه، لكنتُ مُضَيِّعاً للحزمِ، ومتعرِّضاً منهُ - أدام الله عُلوَّهُ - للوَّم، وهو كذا وكذا، والسَّلام.

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة.

(٢) ر، ف، ع: بما.

(٣) أوردت بعض المصادر هذه العبارات باختلاف قليل، وفي بعضها أنّ هذا الكلام مُوَجَّهٌ لسعد بن أبي وقاص. انظر على سبيل المثال: الشابشتي، الديارات، ص١٥٨.

وكَتَب(١)

أنا منذ ضاقَتْ عليَّ أوقاتُ(٢) خدمةِ سَيِّدنا الأُستاذ -أطال الله بقاءهُ- كالملازم لسَيِّدي أبي عبدالله - أدام الله نعمته(٣) - تعلُّقاً بجَنبتهِ، ولِياذاً بها، وبُلوغاً إلى غايةِ الممكنِ في المواظَبةِ عليها، وكنتُ سَلَّمتُ إليه رُقعةً إلى سَيِّدنا في أمرِ داري التي لم يبقَ شيءٌ أقولُ: أنّه مِلْكي وإنْ لم يكن في يدي سِواها، وسَألتُه -لا سَلَبني الله ظِلَّهُ- التوصُّلَ إلى أنْ يتصدَّقَ عَليَّ بها، ويجمَعَ شَمْلي فيها، إذ كانت نُزِلَتْ بغيرِ رسمٍ جَرَى بذلكَ عليها، وقد بَرَّحَ بيَ التشتُّتُ عنها، ومُقاساةُ المنازِل الضيِّقة، وأداءُ الأُجرةِ الوافرة، فذَكر أنّه طالَعَ سَيِّدنا -أعزَّ الله نَصرَه، وأطالَ الله عُمرَه- بجُملةِ ما تضَمَّنَتْهُ الرُّقعَةُ، وأنّه أومَأ إليّ أنّ طالباً طلَبَها، وأنّه يحتاجُ أولاً إلى صَرفهِ عنها، وتَعْويضهِ بغيرها، فجعَلْتُ التَّذْكِرة بذلكَ وبأصلِ أمري كُلِّه الذي لا خَفاءَ بشيءٍ منه عنه، في أبياتٍ تَتْلو هذه الرُّقعة، ولسَيِّدنا علوُّ الرأي في تأمُّلِها، وبَسْطي إلى مُتابعةِ أمثالِها، فإنّ الغَرضَ الأولَ فيها هو القيامُ بالخدمةِ، ومهما تَسهَّل بعدَها من مَطالبي فزائدٌ في إحسانِه وامتنانِه، إنْ شاء الله.

ونُسْخة الأبيات:

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة.

(٢) ساقطة في ك.

(٣) (كالملازم......... نعمته) من: ج، ق فقط.

هَـلِ المجـدُ إلّا خَلَّـةٌ مـن خِلالِكـا ... أوِ الجـودُ إلّا فَيْضـةٌ[1] مـن نَوالِكـا

وهَل يَصلُحُ الصدر المعظَّمُ لامرِىءٍ ... سِـواك، وهَـل يَبهَـى بغـيرِ جَلالِكـا

وهَـل أحـدٌ مـن سـائرِ النّـاس سـالمٌ ... مـنَ الـدَّهْر إلّا مَـن ثَـوَى في ظلالِكـا

ألم تَـرَ أنّي نِلْـتُ قاصِـيةَ المُنـى ... بيُمنـايَ لمـا أمسَـكَتْ بحِبالِكـا

وأنّ المنايـا والرّزايـا بعَثْنَنـي ... بـأمرِكَ حيّـاً بعـدَما كنـتُ هالِكـا

تَنـاوَلْتَني مـنهُنَّ حَيـثُ تقـاصَرَتْ ... يَـدُ المُتَعـاطِي عـن بُلـوغِ مَنالكـا

وأقـرَرْتُ نَفْسـي بعـد وَشْـكِ زِيالِهـا ... فـلا ابتُلِيَـتْ مـا عُمِّـرَتْ بزِيالِكـا

وأنّي وإن هـاضَ الزّمـان قَـوادِمي ... لأعلَـمَ حَقّـاً أنني مـن رجالِكـا

وأنيَ لم أخلُـصْ نَجِيّـاً مـن الـرَّدَى ... لشـيءٍ[2] سـوى أنْ تغتـدي ليَ مالِكـا

ولا صَـفِرَتْ كفّـايَ إلّا تَطهُّـراً[3] ... مـن النَّشَـبِ المجمـوعِ مـن غـيرِ مالِكـا

ولي فيـكَ آمـالٌ كـأنّيَ لابِـسٌ ... شَـباباً بهـا مـن بعـد شَـيْبيَ حالِكـا

وقـد بَـدَأتْني منـك آلاءُ مُـنعِمٍ ... ومـا كُـنَّ[4] بِـدْعاً مـن جميـلِ فَعالِكـا

ويُوشِـكُ أن تَتْلـو البـوادي عَوائـدٌ ... كوامِـلُ تَحكِـي مـا أرى مـن كمالِكـا

ضَـوامِنُ أنْ أحلـو لـديْكَ مَـحلَّةً ... تكـونُ بهـا حـالي رديفَـةَ حالِكـا

فـإنْ لم أكُـنْ أهـلاً لهـا فمعيشـةٌ ... مُوسَّـعَةٌ أزدادُهـا[5] في جَمالِكـا[6]

---

(١) ل، ف، ر، ع: قبضة.

(٢) ف: بشيء.

(٣) ر: تظهراً (مجودة).

(٤) ف: كنت.

(٥) ل، ج، ر: نزدادها.

(٦) ر: حبالكا.

وعَـــوْدةُ[1] داري، إنّهـــا ليَ مَـــوْطِنٌ ... أنـــا وعِيـــالي فيـــه بعـــض عيالِكـــا
فقـــد نالَنـــا عنهـــا شَـــتاتٌ مُـــبَرِّحٌ ... وكانـــتْ لنـــا حِصْـــناً[2] يقينـــا المهالِكـــا
نحِـــنُّ إليهـــا حنَّـــةَ النِّيـــبِ كُلَّـــما ... مَررْنـــا عليهـــا ســـالكِينَ المســـالِكا
وللشّـــاعِرِ الرُّومـــيِّ فيهـــا مقالَـــةٌ ... كفَتْنـــيَ إنْ أخطرَتهَـــا لي ببالِكـــا
وحَبَّـــب أوطـــانَ الرجـــال إلـــيهِمُ ... مَـــآربُ قضّـــاها الشَّـــبابُ هنالِكـــا
إذا ذَكـــروا أوطـــانَهُمْ ذَكَّـــرتهمُ ... عُهـــودَ الصِّـــبا فيهـــا فحنُّـــوا لـــذلكا
فـــلا تُرجِعَنّـــي إذ ســـألتُكَ خائبـــاً ... فـــما خـــابَ قَـــبْلي ســـائلٌ في سُـــؤالِكا
ومـــا هـــي إلّا لفظـــةٌ منـــك لم تكُـــنْ ... ليعـــدِلَ فيهـــا عـــادِلٌ عـــن مثـــالِكا

---

(١) ر: دعواه.

(٢) ج: ستراً. وهذا البيت ساقط في: ف، ر، ع.

وكَتَب[١]

كتابي عن سَلامةِ النّفس خاصَّةً، وأحمَدُ الله على ذلك حمدَ القانِع به، العارِف بقَدْرِ النِّعْمة فيه، المُتنجِّزِ لوَعدِهِ في مَزيدٍ من شُكرِه، وأُخلصُ له وأنا منذ افترَقْنا أنتقِلَ[٢] من نكبةٍ إلى نكبة، وأخرُجُ من محنةٍ إلى محنة. وليسَ فيها شيءٌ كان أبلَغَ ولا أوجَعَ من هذه التي أنا في أعجازِها وعَقابيلِها[٣]، لأنّها ورَدتْ على حالٍ منهُوكة، وذاتِ يدٍ مُضمَحلَّة، لكنّني مع ذلك أسكَنُ ما كنتُ نفْساً، وأطيبَهُ قلباً، وأشدَّهُ ثِقةً، بسُرعةِ الخلَفِ، وتَعجُّلِ العِوَضِ، لأنني حاصِلٌ في ذِمامٍ كَريم، وتحتَ عَدلٍ مَبسوط، وإحسانٍ فائض، وتحصيلٍ لا ظُلمَ معه، ولا حَيْفَ يَشُوبُه، فكأنّني الآنَ بعَقِبِ تمحيصٍ قد بيَّضَ الصحِيفة، وأذهَبَ الحَسِيكةَ، وأمكَنَ معه استثمارُ الخدمةِ السالفة، والدخولُ في سَوادِ أهلِ العِنايةِ والرّعاية.

وأسألُ الله أنْ يمُدَّ علينا هذا الظِّلَّ الظَّليلَ ولا يَسلُبَناه، ويرزُقَنا التوفيقَ في سائرِ الأُمورِ ولا يُعدِمْناهُ، وأنْ يجعَلَ هذه النّائبَةَ تارِيخَ نَوائبي ومُنتَهاها، وآخرَها ومُنْقَضاها[٤]، بقُدْرته.

والله العالمُ بشِدّةِ شَوْقي إليك - أيّدك الله - وحَنيني نحوَك، ومُواصَلتي المسألةَ عن خَبَرِك، وسُروري بما يَبلُغُني من سَلامتِك، ويتَأدّى إليَّ من صَلاحِ أحْوالك، واستقامةِ

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة.

(٢) ف: أتنتقل.

(٣) العقابيل: بقايا العلّة والعداوة والعشق. وقيل: هو الذي يخرج على الشفتين بعد الحمّى. وهي جمع عُقْبولة وعُقْبول. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٤٦٦ (عقبل).

(٤) من: ر.

شُؤُونِك، وشمولِ النِّعْمة لك، وثقتي بها عندَكَ، وإنْ كانت العَوائقُ عاقَتْ كُلاً منّا عن مُكاتَبَةِ أخِيه، وهو -جَلَّ وعَلا- وليُّ حِراستِكَ وحِراستي فيك، وأنْ يَرزُقنا اجتماعاً مستأنفاً يَقْضي الوَطَر، ويَشفي القَرَم، ويُزيحُ[1] العلَّةَ، وينقَعُ الغُلَّةَ، إنْ شاء الله، وبه الثقَة.

وكتابي هذا واصِلٌ من يدِ فلان، وله بي حُرمَةٌ أنا لها راعٍ، وعليها مُحافظٌ، وصورَتُه عندي صورةُ مَن لا يتميَّزُ عني، ولا ينفصِلُ عن جُملتي، وقد شَخَص إلى البصرة لأمرٍ له هو ذاكِرُه[2]، وحاجَتُهُ ماسَّةٌ إلى أنْ تَلحقَهُ عِنايتُكَ[3] وإرشادُك، ونظَرُكَ ورأيُك. فإنْ رأيتَ -أيَّدكَ الله- أن تتفضَّل في ذلك بما أشكرُهُ وأعتدُّه، وأنتَ أهلُهُ ووَليُّهُ، فَعلْتَ إنْ شاء الله.

---

(١) ف: يزيل.

(٢) ر: يذكره.

(٣) ر: إلى ما يلحقه من عنايتك.

فصلٌ من رسالةٍ عن عِزّ الدَّوْلة
إلى أبي تَغْلب الحَمْداني
في الشفاعة لأخٍ له[١]

وقد يكون لَعَمْري من ذوي الأرحام الشّابكة، والقَرابات الدّانية، مَن يتمادى في العُقوق، ويذهب عن حفظ الحقوق، ولا يسع تَرْك تألّفه حتى يرجع، واستصلاحه حتى ينزع. فإنْ تجشّم الإعراض عنه لرياضةٍ تُقصد، أو عاقبةِ نفعٍ تُحمد، لم يبلغ به إلى قَطْع المعيشة، ومَنْع المادة، لأن قَباحة ذلك بمَن يستعمله أكثر من مضرّته بمَن يعمل معه، وقد قيل: إن الملوك تُؤدب بالهجران، ولا تُعاقب بالحِرْمان، هذا في الأتباع والأصحاب، فكيف في الأقران والأتراب؟

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٩٤.

وكَتَب عن الوزير مُحمّد بن بَقيّة
إلى أبي المظَفَّر حَمْدان ابن ناصر الدَّوْلة
وهو بحُلْوان متقلّداً لها ولطريق خُراسان
وقد أنزل عياله في دار أبي العلاء صاعد بن ثابت ببغداد يسأله تفريغها في جُمادى الأولى سنة خمسٍ وستّين وثلاثمائة[1]

كتابي - أطال الله بقاء سَيِّدي الأمير، وأدام تأييده ونعمته - يوم كذا، عن سلامةٍ، وسَيِّدي الأمير - أدام الله عزه - يعرف مذهبي في رعاية الحقوق التي تضعف أسبابها، ويصغر أصحابها، فما عنده فيما تناهى عندي يزيد تأكداً ووجوباً، وتقدماً وتمهيداً، وما منزلة أبي العلاء صاعد بن ثابت عندي تخفى على سَيِّدي الأمير - أدام الله عزه - فأذكرها، وهو بَضْعةٌ منّي لا تتميّز، وكاللّحمة التي لا تنفصل، وليس ما تحدثه أحوال الزّمان والتصرّف من شوائب تشوب، ونوائب تنوب، مغيراً للأصول، ولا قادحاً في الاعتقاد. وما كانت صورته في الوَحْشة التي لحقته، وأخلت منه داره، موجبة للرخصة في أنْ تنزل. ولو رام ذلك منها غير سَيِّدي الأمير - أدام الله عزه - لعزّ عليه أنْ يناله، وإنّما سمحت له بذلك، لثقتي بطاعته لي، وعِلْمِه بأنّ ذلك المنزل منزلي، وأنني أعيره وأستردّه، وأتصرّف فيه تصرّف مَن يملكه.

---

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٣، ص١٦٩. وقال: «قرأتُ كتاباً كتبه أبو إسحاق الصابي الكاتب..... وخط أبو إسحاق نسخته، نقلتها من خَطّه».

وقد قبح بي أنْ يكون أبو العلاء، مع أواصره الوكيدة، وملازمته لي المتّصلة، ممنوعاً منه، وأسبابه منتقلين عنه. وتردّد مني في ذلك مراسلاتٌ ومكاتبات، أحمدت نتاجها، الحكاية عن الحرّة[1] - أيّدها الله - في التذمّم، ومعرفة الحق، وإيثار الانتقال، وأنكرت أنْ يقف الأمر مع هذه الحال، فالأعراض كثيرةٌ مبذولة، وأنا أسأل سَيِّدي الأمير - أيّده الله - أنْ يوجب ما أوجبت، ويعرف ما عرفت، ويراعيني أولاً، ثم حقوق أبي العلاء ثانياً؛ ويكتب إلى مَن ينوب عنه، بقبول ما يعرضه، والانتقال إليه، ويسلم الدار، فلو كانت له، لاستنزلته - والعياذ بالله - عن ملكها، ولم أقنع بخروجها عن اليد، فكيف إذاً، وهي مستعارة، والحكم فيها الردّ.

وسَيِّدي الأمير وليّ ما يراه في هذا الأمر الخاص بي، وحاشاي أنْ أعيدَ فيه قولاً أو كتاباً، أو أتجشم من أجله قَصْداً أو إعادة، فقد أنفذتُ بكتابي هذا، قاصداً يوصله أبو الفَتْح قُرّة بن دنحا، في معناه، ما يعرفه الأمير من جهته إنْ شاء الله.

ونُسْخة التوقيع بخط الوزير: أنا راغبٌ إلى الأمير - أدام الله عزه - في هبة هذه الدار لي، ولا أقول أكثر من هذا، والسَّلام.

(١) يعني: امرأة حَمْدان.

وكَتَب(١)

كتابي، والسَّلامةُ عند مَوْلانا الأمير عِزّ الدَّوْلة راهنةٌ، وعادةُ صُنعِ الله -جلّ وعزّ- لإدامتِها ضامنةٌ، والمطالِبُ التي يتنجَّزُها بهِمَّتِه مُذعِنةٌ، والمرامي التي يَنْحُوها بعزيمتِه مُمْكِنةٌ، وأولياءُ دَوْلتِه سالمونَ ظاهرون، وأعداؤها سافِلونَ مَقْهورون، وأنا في مَرادٍ من إنعامِهِ مَريع، ومُتَبَوَّإٍ من إكرامِهِ رَفيع، والحمدُ لله حَمداً لا يَزالُ باديه عائداً، ومُتَناهيه زائداً، حتى يُوفيَ على غاياتِ الحامِدينَ، ويُعجِزَ مَرامَ المبالِغين.

ووَصَل كتابُكَ مُبيناً عن فَضْلكَ عمّا الأدِلَّةُ عليه مُتَرافدَةٌ، ومُعْرِباً بمودَّةٍ منك لا تُخْليني الأيّام بمُرورِها، والمكاتبات بِدُرورِها من استحكامِ ثِقَةٍ بها، واستمرارِ بَصيرةٍ فيها، ومُقابلةٍ لها بأخلصِ أمثالها، ومُجازاةٍ عنها بأصدقِ أشكالِها، ومشتملاً على الشكرِ عن أبي الغَنائم ثابتٍ -أعزَّهُ الله- فيما عَرَفْتُ من حَقِّه، وراعَيْتُ من أمرِهِ، واعتمَدْتُ من صَلاحِهِ، وابتغَيْتُ من وِفاقِه. وفَهِمتُه، ووَقَع منّي الموقِعَ الذي آثرتَهُ -أيّدك الله- وتوخَّيتَهُ، ووَجَدْتُكَ سالكاً في شُكرِكَ ما شكرتَهُ، واعتدادِكَ ما اعتَدَدْتَ به، والْتماسِكَ من مَزِيدِ أبي الغَنائم في العِنايةِ ما الْتَمَسْتَهُ سَبيل مثلِكَ ممّن يُقَدِّمهُ اكتهالُ السنِّ، واحْتِناكُ الرأي، والإشبالُ على الأهلِ، والإحاطَةُ بضُروبِ الفَضْل.

وأنا معتقِدٌ فيما تسألنيه وتنبسِطُ إليَّ فيه من مُهمِّ حاجاتِك، وخاصِّ وعامِّ

---

(١) ليدن.

شَفاعاتِك، إجابةً وإسعافاً هُما عَتيدانِ عندي، ومَوْجُودانِ لدَيَّ، ومُوجِبٌ لأبي الغَنائم - أعزَّهُ الله - مزِيَّةً في الرّعاية حسَبَ ما يجتمِعُ له من الحقوق، والاتصالِ بكَ والتعلُّقِ بالسَّببِ منك، والخدمةِ لمولانا الأمير وليِّ الحُرمةِ به وبي. ولستُ أُقَصِّرُ به وبك فيه عن غايةِ ما يُحِبُّ وتُحِبُّه له، جَذْباً بضَبْعِهِ، وتوخِّياً لرَفْعه، وعنايةً بأمرِه، وحِفْظاً لِذمامه، وأنتَ وليُّ ما تَراهُ في الثقةِ بذلك والسُّكونِ إليه والتّحصيلِ له، والعملِ عليه إنْ شاء الله.

وكَتَب[١]

كتابي واصِلٌ من يدِ أبي مُحمّد هارون بنِ عبد الرَّحمن بنِ عيسى أيّده الله، وفيه فَضْلٌ بَيِّن على التّجربة، وسَدادٌ يَظهَرُ مع الخِبرة، ولهُ في نَواحِيك -أيّدك الله- مَنْسَبٌ ومَنْشأٌ. وقد أمَّلَ التصرّفَ معك، والخدْمةَ لك. وفي الإقبالِ عليه، والإحسانِ إليه، مع بيته وقديمهِ ومَعرفتهِ جَمالٌ، أنتَ -أيّدك الله- حقيقٌ بحيازتهِ، لا سِيَّما وقد جَعَل كتابي ذريعتَه، ومَسْألتي وَسيلتَه.

فإنْ رأيتَ أنْ تُقابلَ رغبتَه بالقَبولِ، وشَفاعتي بالتّشفيع، وتَستخدِمَه فيما تَحسُنُ به الخدْمَةُ فيه، وتتوفَّرُ فائدتهُ منهُ، وتتمكَّنَ من إبانةِ الأثرِ في القِيام به، وتتوخَّى ما أشكُرُه في أمْرِه، فعَلْتَ إنْ شاء الله.

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة.

وكَتَب شفاعةً[١]

وقد نَهَج مَوْلانا - أعزَّ اللهُ نَصْرَه - سَبيلاً في الانبساطِ في العَوارض أنا جارٍ في الصّغيرِ منها والكبير، واليَسيرِ والكثير، عن ثقةٍ بأنّ سؤالي لا يُستقَلُّ فيما يجلّ، ولا يُستكثَرُ فيما يَقِلّ، واللهَ أسألُ إطالةَ بقائه، وحِراسة نَعْمائه، والزّيادةَ في مَواهبه له ولي بجميل رأيِه، وصِلة ما يجمَعُني إليه بأحسنِ ما اتّصل به الحَبْل، واجتمع عليه الشَّمْل، حتى يأمُرَ كما أسأل، فأمتَثِلَ كما يُجيب.

ومن أوليائه المرسومين بحضرتي عندَه: أبو دُلَف دلبر[٢] بن بُنَيْمان، وله ضَيْعةٌ بقَزْوين، سأل إزالةَ اعتراضٍ وَقَع عليه فيها، والعنايةَ بأسبابه فيما عاد مصالحها. فإنْ رأى مَوْلانا الأمير السَّيِّد شاهَنْشاه فَخر الدَّوْلة وفَلَك الأمّة - أطال الله بقاءه - أنْ يُخرِجَ إلى عاملِ هذه النّاحية أمراً أكيداً منه في هذا الملتمَس، يَبلُغُ به هذا الوليَّ محبّتَه، ويَحِلُّ عندي موقعُه، فَعَل إنْ شاء الله.

---

(١) باريس.

(٢) هذه أقرب قراءة لها. وهو من أسماء الترك.

رسائل شخصية
في المعاتبات والشكوى
والشكر والتشوق والاعتذار
وغيرها



كَتَب عن نَفْسِه
إلى الصّاحب بن عَبّاد
وهو في الرَّيّ
في التشوّق والشكر على صلةٍ وَصَلت إليه منه
في صفر سنة خمسٍ وسبعين وثلاثمائة[1]

أطال الله بقاء سَيِّدنا الصّاحب الجليل في سَلامةِ دُنيا ودين، ونَفاذِ أمرٍ وتمكين، وتَمام عزٍّ وتأييد، وثَباتِ وَطْأةٍ وتمهيد، وعُلوِّ قَدْرٍ وسُلْطان، وتعاظُمِ خَطَرٍ وشان، وتولّاه في نفْسِه وأوليائه بأحسنِ ما عَرَف، وأَلِف من نِعَمٍ دارّةِ الحَلْب، متفرِّعةِ الشُّعَب، محميّةِ الجهاتِ والجوانب، محجوبةٍ عن النّوائبِ والشّوائب، وأراه في حُسّادِ فَضائِله، وكُفّارِ فَواضِله ما عَوَّدَه فيهم من شقاء جُدودِهم، وفُلول[2] حُدودِهم، وحُلولِ النَّكالِ بهم، وإثبات العِصْمة منهم، وجَعَل حُكمَه قُطْباً لمدارِ الأفلاك، ونَهْجاً لمجاري الأقدار؛

---

(١) أصاب هذه الرسالة اضطرابٌ كبير، فقد جاء قسمٌ منها في قطعة باريس تحت عنوان: كتب عن نفسه إلى الصّاحب الجليل أبي القاسم إسمعيل بن عباد إلى الري في صفر سنة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة (وسبعين وثلاثمائة) ضببه الحبر تماماً. وجاء قسم منها في قطعة ليدن وكأنه رسالة كاملة قائمة بذاتها، تحت عنوان: وكتب إلى الصّاحب وهو بالري.

وأورد الثعالبي فقرة منها: «وورد – أدام الله تأييد سَيِّدنا الصّاحب .... ومحرومون إلا منها». وقدّم لها بقوله: «وقرأتُ له فصلاً من كتابٍ في ذكر صلةٍ وصلت إليه، استظرفته جداً». يتيمة الدهر، ج٢، ص٣٠٣. كما أورد القلقشندي القسم الأول منها. صبح الأعشى، ج٨، ص١٣٩. لذلك، أعدت ضم هذه الأقسام تحت عنوانٍ ملفق من هذه الأصول الخطية والمطبوعة.

(٢) ل: سفال.

فلا ينزلُ منها محبوبٌ مطلوب إلّا توَجَّه إليه ونحاه، ولا مكروهٌ محذور إلّا أعرض[١] عنه وتحاماه. ثم كان برؤوس مُعانديه حلولُه، وبرِقابِهم نُزولُه[٢]، وفوقَ ظهورِهم محمَلُه، وعلى صُدورِهم مَجْثَمُه، أمراً جَزْماً قضاهُ اللهُ تعالى له وخَصَّه به، وأعطتْه الأيام عليه عهدَ أمانِها، وأمرَّت لديه عَقْدَ ضمانِها، عاطفةً عليه بطاعتِها ومُواتاتِها، مُغضيةً له من نُوَبِها ونَبَواتِها.

وحقيقٌ عليه – جلّ اسمُه – أنْ يَفعلَ ذلك به، ويَسمعَ هذا الدّعاء فيه، إذ كان مرفوعاً إليه في أوفر عِباده فَضْلاً، وأغمَرِهم نَيْلاً، وأجْزَلهم أدَباً، وأكرَمِهم حسَباً، وأعمَلِهم بطاعتِه، وأوْلاهُم بإحسانِه ومَعونتِه.

كتبتُ هذا الكتابَ – أيّد الله سَيِّدنا الصّاحب الجليل[٣] – وأنا أوَدُّ أنّ سَوادَ عيني نِقْسُه[٤]، وبياضَها طِرْسُه، شوقاً إلى سَنا طلعتِه، وتَوْقاً إلى لَألاءِ غُرّتِه، وقَرْماً[٥] إلى تقبيل أناملِه، وظَمأً إلى ارتشافِ بِساطِه. وبالله، لولا الجَناحُ المَهِيض، وأنّ الجريضَ حالَ دونِ القَريض[٦]، لَعَزّ على حاملِه أنْ يَسبِقَني، وأنْ يكون حظُّه منه أكثرَ من حظّي، لكنّي قد قدَّمتُ الاعتذار، وأوضحتُ البُرهان، وذَكَرْتُ ما أنا مُرْتَهَنٌ به من طُول الذَّيل، وثِقَل الدَّيْن، وضعفِ الجِسم، وقصورِ الحال، وغيرِ ذلك من القواطع والموانع التي لا فِكاكَ

---

(١) ل: انحرف.

(٢) ل: أحاطته.

(٣) ينتهي النص هنا عند القلقشندي.

(٤) ب: نفسه. والنِّقْس: المداد الذي يكتب به. ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢٤٠ (نقس).

(٥) القَرَم في الأصل: شدة الشهوة إلى اللحم، ثم كثر استعمالها حتى قالوا مثلاً بذلك: قَرِمتُ إلى لقائك. ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٤٧٣ (قرم).

(٦) مثلٌ يُضرب حينما يقدر المرء على أمر حين يكون الوقت قد فات، وأصبح لا ينفع. الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص١٩١.

منها، ولا اختيارَ معها، ولا يملِكُ المدفوعُ إليها إلّا التأدُّبَ بأدبِ الله - جلّ وعزّ - في الشُّكر على ما قضَى، والصّبرِ لما أمضَى، والثِّقةِ بوعدِه الحقِّ وقولِه الصِّدق؛ فله الحَمْدُ ربِّ العالمين.

ووَرَد – أدام الله تأييدَ سَيِّدنا الصّاحب – أبو العَبّاس أحمدُ بن الحسن وأبو مُحمّد جعفرُ بنُ شُعَيْب[١] حاجَّيْن، فعَرَّجا إليّ مُلمَّيْن، وعاجا عليّ مُسلِّمَيْن، فحين[٢] عرفتُهما وقبلَ أنْ أرُدَّ السَّلام عليهما، مدَدْتُ اليدَ إلى ما معهما كما مَدَّها حسّانُ بنُ ثابت إلى رَسُولِ جَبَلَة بن الأيْهم[٣]، ثقةً منّي بصِلتِه، وتشوُّفاً إلى تَكْرِمتِه، واعتياداً لإحسانِه، وإلْفاً لموارِدِ إنعامِه، وتيقُّناً أنّ الخَطْرةَ منّي على بالِه مقرونةٌ بالنّصيبِ من مالِه، وأنّ ذكْراهُ لي مشفوعةٌ بجَدْواه، فقمتُ عند ذلك قائماً، وقبَّلتُ الأرضَ ساجداً، وكرَّرتُ الدّعاء والثناءَ مجتهداً، وسألتُ اللهَ - عزّ وجلّ - أنْ يُطيلَ له البقاءَ كطُولِ يدِه بالعطاء، ويَمُدَّ له في العُمْر كامتدادِ ظلِّه على الحَرّ، ويُطرِفَ العيونَ على إصابةِ كمالِه، ويَصرِفَ الغِيَرَ عن تطرُّقِ[٤] إقبالِه، ويحرُسَ على هذا المدَدِ القليل العدَدَ من مَشْيخةِ الكُتّاب، ومُنتحلي الآداب، ما كنَفَهم به من ذراه، وأفاءهُ عليهم من نَداه، وأسامَهم فيه[٥] من مَراتِعه، وأعذَبَه لهم من شرائعِه، الذين هم مُحَلّأونَ[٦] إلّا عنها، ومحرومونَ إلّا منها[٧].

---

(١) في ل: الكنيتان فقط دون الاسمين.

(٢) ب: فإن.

(٣) انظر الخبر في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ص١٩٣.

(٤) ب: تطرف.

(٥) ب: به.

(٦) أي: ممنوعون. وفي الحديث: «يرد عليّ يوم القيامة رهْطٌ فيُحلَّؤون عن الحوض»، أي: يُصَدُّون. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٩.

(٧) هذه الفقرة فقط (وورد .... إلا منها) ما أورده الثعالبي.

وما[1] عسَيْتُ أنْ أبلُغَ في شكرِ سَيِّدنا الصّاحب الجليل وحَمْدِه على ما أهَّلني له من بِرِّه ورِفْدِه، وجُهديَ يُقصِّرُ عن عَفْوِهِ، وإسهابي يَعجِزُ[2] عن وَحْيِه؟ وهل أنا في ذلك - لو فعلتُه وتعاطَيْتُه - إلّا كمَن جارى الحصانَ بالأتان، وواجَهَ الغزالةَ بالذُّبالة، وقارَعَ الحسامَ بالعصا، وبارى الدُّرَّ بالحصى ؟

ومَن ذا الذي تسمو به النّفس إلى مجاراتِه - أيّده الله - في حَلْبةٍ[3] من حَلَباتِ الفَضْل في قولٍ أو فعلْ، وابتداءٍ أو جزاء، وفَرْضٍ أو قضاء؟ هيهات ! عزَّ المَرامُ، وبَعُدَ المنال، واستَوى النّاس في التسليم له، وتقارَبوا في الانحطاطِ عنه، وتأسّى[4] بعضُهم ببعضٍ في الاعترافِ والإقرار، والاستراحةِ من الاعتذار، وعلّامُ الخفايا المستبطِنُ للطَّوايا يعلَمُ أنّي ما انتهيتُ[5] قطُّ في تأميله - أيّده الله - إلى غايةٍ إلّا[6] أوْفَتْ بي الهِمَّةُ عليها، ولا عدَدْتُ كلَّ صلةٍ كانت منهُ إلّا قائدةً لما بعدَها، ولا كان سُروري بما تفَقَّدني به آنفاً سُرورَ الواصل إلى النّادرة لم تُحتسَبْ، والبديعةِ لم تُرتقَبْ، بل كنتُ فيها[7] كما قال أبو عُبادة البُحتريّ[8]:

ما أمَلي فيكَ بالضّعيفِ ولا ظنّيَ في نُجْحِهِ بمَكْذوبِ

---

(١) ب: وقد.

(٢) ب: هجر.

(٣) (في حلبة) ساقطة في ل.

(٤) ب: وتأسّ (بحذف حرف العلة)، والجادة إثباته.

(٥) ب: اشتهيت.

(٦) ب: إلى.

(٧) ب: فيما، وساقطة في ل.

(٨) (البحتري) من ب فقط. والأبيات في ديوانه، ج١، ص٥٩.

ولا قَبُولي[١] ما كنتَ جُدتَ به … علَيّ بالأمسِ خِلْسةَ الذِّيبِ
لي أملٌ دائمُ الوُقوف على … منتظَرٍ من جَداكَ مَرْقوبِ
وهمّةٌ ما تزالُ حائمةً … حولَ رِواقٍ عليك مَضْروبِ

قد تصفّحتُ – أيّد اللهُ سَيِّدنا الصّاحب – السِّيَر، واختبَرْتُ الشِّيَم، وعرَفْتُ ما بين الخُلُق والتخَلُّق، والطَّبع والتطبُّع[٢]، وخدمتُ الأُمراءَ والوُزراء، وشاهدتُ العلماءَ والأدباء، فوجدتُ أهلَ كلِّ زمانٍ يَلْهَجُونَ بالثّناء على مَن تقَدَّمَهم، ويُقِرُّونَ بالسَّبْق لهم، ويتخيَّلونَ أنهم مقصِّرونَ عنهم، وواقفونَ في كلِّ منقبةٍ دونَهم. وما زال هذا دَيْدَناً ومذهباً يجمَعُهم، حتى رأيناه[٣] – أيّده الله – قد عكَسَه عن وجهِه في السّالف، وأجراهُ على سَنَنِه في الخالف، فصار المتأمِّلُ لمواقع فَضْله، والمستقرِئُ لآثارِ نُبلِه، ضرورةً أنّه بالغٌ في المعالي غايةً لم ينَلْها مَن مضَى، ولا يَرُومُها مَن بقي، فبارَكَ اللهُ فيما خوَّلَهُ وأعطاه، وأفضَى به إلى أبعدِ أملٍ وأقصاه، وأدامَ دَوْلته في العزِّ السّامي، والمحَلِّ المترامي، والمجدِ الزّائد النّامي، والأمر النافذ الماضي، وشَفَع له سَعادة الكون[٤] في زمانِه، بسَعادةِ الانصراف عن الدّنيا في أمانه[٥]، والتقدُّم إلى كلّ مخوفٍ ومحذورٍ قبلَه، بمَنِّه.

وقد كنتُ أُحبُّ أنْ يكون سَيِّدنا الصّاحب الجليل - أدام الله تأييدَه - وَصَل لخادمِه التشريفَ بالتكليف، والإنعامَ بالاستخدام، وأزلَّ إليه توقيعاً بخطِّه يُنيلُه فائدةَ الفَضْل مع فائدةِ الإفضال، وعائدةَ الأدب إلى عائدةِ النَّشَب، فقد عَلِمَ الله – وكفَى به –

(١) ب: قبول.

(٢) ب: التصنع.

(٣) ب: رويناه.

(٤) (وشفع .... الكون) ساقط في ب.

(٥) ب: أيّامه.

أنّني إذا قرأتُ فِقْرةً من فِقَرِه، أومضَتْ لي لُمعةٌ من لُمعِه، وقَفْتُ بين سُرور الإعجاب وسِرارِ الاحتجاب، وتردَّدتُ بين تطاولِ المفاخرِ[١] به وتقاصُر المتأخِّرِ عنه، وعلى أنّي في هذا القول كالصَّغير المستكبِر، والبُغاثِ المستَنْسِر، إذ قَدْرُه أفخم وشأنُه أعظم من أنْ يعتذرَ من التأخُّر عنه الجوادُ الذّائع[٢]، فَضْلاً عن السِّكِّيتِ التّابع، لكنّي أرسلتُ نَفْسي على سجِيّتِها؛ فتعَدّى لساني حَدَّ همّتِها.

وقد علمتُ أنّ سَيِّدنا الصّاحب – أطال الله بقاءه – عوَّضَني من ظاهرِ المكاتَبة بباطنِ المحافظة[٣]، وأبدَلَني من الإحسان المقول بالإحسان المفعول[٤]، فها أنا ساكنٌ في ذُراه، آمِنٌ في حِماه، مكفيٌّ[٥] بعطاياه ومواهبه، مكفولٌ بمطاعمِه ومشاربه، تمّمَ اللهُ النِّعْمة عليه، وظاهَرَها لدَيْه، ونهَجَ لي قبلَ حُلول ما لا بدَّ منه سَبيل ما لا عِوَضَ عنه، من النَّظرِ إليه، وتقبيل يدَيْه، ولا حَسَر عنّي ظلَّه دانياً ونائياً، ولا سَلَبني طَوْلَه غادياً[٦] وعائداً، أنّه لمن دعاه مُجيب، وعلى مَن نَحاهُ قريب.

وقد وَصَلتُ بهذا الكتاب قصيدةً أرغَبُ إلى سادَتي أهلِ المجلس المعمور في إنشادِها، وإلى الصّاحب في الإصغاءِ إليها، مُسامحاً لي في قُصورِها عن قَدْرِه، ووقوعِها دون حقِّه وفَرْضِه، ولولا أنّ إكثارَ العَبْد في مُخاطبةِ مَوْلاهُ إلّا بالشّكر[٧] محمولٌ على

---

(١) ل: الفاخر.

(٢) ل: الرائع.

(٣) ب: الحافظة.

(٤) (بالإحسان المفعول) من ل.

(٥) ب: استكفي.

(٦) ل: بادِياً.

(٧) (إلا بالشكر) من ب.

التبسُّط، ومُجانبٌ لسبيلِ الإجلالِ والتحفُّظ لظننتُ[١] أنّ يدي تستمرُّ في مكاتبتهِ استمرارَ الجامح، وخاطري يَستَنُّ في مفاوضتِه استنانَ السّارح.

فإنْ رأى الصّاحب أنْ يحمِلَ عبدَه في منثورِ ما نَثَر، ومنظوم ما نَظَم[٢]، وفي الإيجاز إذا اختَصَر وخفَّف، وفي الإطنابِ إذا أكثَرَ وأكثَف، على الاحتساب له بصفاءِ الضّمير[٣]، وتَرْك المحاسبة في العَجْز والتقصير، فَعَل إنْ شاء الله.

أطال الله بقاء سَيِّدنا الصّاحب نافذاً أمرُه، رفيعاً قَدْرُه[٤]، فائتاً مَداهُ، دانياً نَداهُ، ساكناً جأْشُه، هنيّاً معاشُه، عزيزاً جارُه، محمياً ذِمارُه، قريرةً عينُه، مطمئنةً نَفْسُه، وقضى له في جميع حالاتِه، وسائر متصرَّفاتِه ومتقلّباتِه بظهور الوليّ، وثُبور العدوّ، ونَجاح المطالب، وبلوغ المآرب، واكتسابِ المكارم، وادّخارِ المثاوب[٥]، وانبساطِ اليد وصُعود الجَدّ، وتطويق الرِّقاب: إمّا بنعمةٍ مُسْداةٍ إلى شاكر، وإمّا بنقمةٍ مُمْضاةٍ على كافر.

وأقولُ بالكُليّة الجامعة: سَمِع اللهُ تعالى دعائي له، واستجابه فيه، فإنّ جملتَه تحيطُ بالتفصيلات، وغايتَه توفي على الغايات.

وأوّلُ القصيدة:

مرحباً بالسَّنيِّ من جَدْواكا والهنيء المريء من نُعْماكا[٦]

---

(١) كذا، ولو قال: لوددت، كان أجود.

(٢) ب: نثره، نظمه.

(٣) بدل (بصفاء الضمير) في ل: نصفا.

(٤) ل: نافذاً قدره.

(٥) من ل فقط.

(٦) كتب جامع الرسائل بعد هذا تعليقاً من عنده: «وهي ثابتةٌ في ديوانِ شعرِهِ». انظر ما كتبتُه عن ديوانه في مقدمة التحقيق، ص م٦٣.

وكَتَب إلى الصّاحب بن عَبّاد
في أيّام الوزير أبي مُحمّد الحسن بن مُحمّد المهلّبي[١]

كتابي عن سَلامةٍ تتمُّ بصلتك، وتنقصُ بقَطيعتك، ونِعْمةٍ تصفو بمَبرّتك[٢]، وتَقْصر بجَفْوتك، فأنتَ مالكُ تَصْريفها وتَصْريفي فيها من الصّفاءِ المبهج، والشَّوْبِ المؤلم، وما قلتُ ذلك إلّا عن تجربة، وما أطْلقتُهُ إلّا عن خبرة، فإنّك أذقتني مَمْرورَ هَجْركَ سالفاً، ومَعْسولَ صِلتكَ آنفاً؛ فأنا، بكتابِكَ الوارد عليّ في هذا الوَقْتِ، أشدُّ شَغَفاً من الواجِدة[٣] بواحِدِها وقد عاد بعد فَقْد، ورُدَّ بعد ثُكْلٍ، والحمد لله على مَواهبه فيك عموماً، وعلى فَيْئتك التي هي من أجلِّها محلّاً، وألْطفِها مَوْقعاً خصوصاً، وإيّاه أسأل أنْ يوزَعني شكْر النِّعْمة بِها، والمِنْحة فيها؛ حتى تكونا أبداً لديّ راهنتَيْن، وعليّ مُتَظاهرتَيْن، بحَوْله وطَوْلِهِ.

ووجدتُك – أدام الله عزَّكَ – قد افْتتحتَ خِطابَكَ بالعَتْب من تأخُّرِ المكاتَبة، والاستعادة إلى واجبِ[٤] المواصَلة، وذكرتَ أنّ المِنَّة في ذلك لمن سَبَق إليها، والفَضِيلة لمن أحْرزها وثابر عليها، ومن ههنا يلزمك – أدام الله عزَّك – الحُجَّة، وتضيق عليك مذاهب المعذرة؛ لأنَّكَ بهذا الفَضْل أوْلى، وهو بكَ أحْرى، وبالله لقد كنتُ بتأخُّر كُتُبِكَ

---

(١) فيض الله، راغب باشا، عاشر أفندي، سيلي أوك. (العنوان فيها كلّها: وإليه في أيّام....) والإضافة منّا للتوضيح، اعتماداً على الرسالة السابقة لها. (المهلبي في س: المهسكي).

(٢) ف، س، ع: بمسرتك.

(٣) هذا ما في ر، وفي ما دونها: الواجد.

(٤) ف: مواجب.

موجعاً، ولها مُسْتوحشاً، ولا سِيَّما وأنا أراها إلى غيري حَسْرةً، جارية يَمْنةً ويَسْرة[١]، يتهاداها الإخوان دوني، ويستبدُّون بها عليَّ، وهي حَقّي غُصِبتُ عليه، وواجبي مُنِعتُ منه. فلولا العنواناتُ لادّعيتُها، ولولا حُجَجُ الخصومِ واستظْهارُهم باليد لنازعتُهم فيها.

وأذْكرتني من عَهْدِ التَّصافي في أيّام التَّلاقي ما يَكْفيني من إذكارك به[٢] أنْ تَذْكُرَهُ، وتجزيني من استحفاظك إيّاه أنْ تحفظهُ. وكيف أنْسى تلك اللَّمْعةَ من عُمْري، والصَّفْوة من شربي؟ وهما غرةٌ في طَرْفٍ أدْهم، وشهابٌ في ليلٍ مُظْلمٍ.

أُشْهِدُ الله أنّي أتْركُ ذِكْرَ شَوْقي إلَيْهما، وتَلهُّفي عليهما، إشفاقاً عليكَ من تحرّيك مِثْلهما، وحراسةً لك من تَبْريحهما، وما أنا من أنْ يجْمعَ اللهُ بيننا على خَيْرِ ما كنّا عليه بآيس.

وقَدْ يجمع اللهُ الشّتيتَيْن بعدما ... يظنّان كُلَّ الظنِّ ألّا تلاقيا[٣]

هذا القولُ وأمْثالُه شعاري، وبه تعلُّلِي ووُلوعي، وهو لي مُسْكةُ الرِّماق، وتَنْفيسُ الخِناق، واللهُ يُودِعني فيك الكفاية، ويتوحَّدني عندك في النِّعْمة بالإدامة، ويسَهّلُ لنا من الاجتماع ما يبدأ بكَ، ويُثنّي بي في خيرتِهِ بمَنِّهِ ورحمتِه تعالى.

وقد وقفني سَيِّدنا الوزير - أطال الله بقاءه - على كتابِكَ إليه، وأجابَ - أيّده الله - بِمَشْهدٍ منّي عَنْهُ، وأعيذُهُ بالله مُجيباً، وأُعيذُكَ بادئاً، فلقدْ تناقشتُما السِّحْر، وتهاديتما الدُّرَّ، وما عسيتُ أنْ أقولَ في صفةِ المذْهبَيْن، ونَعْتِ الطَّريقَيْن، وهل أنا في ذلك لو

---

(١) س، ف، ع: شامة.

(٢) ف: الإذكار به منك.

(٣) لقيس بن الملوح، ديوانه، ص٥٤.

تعاطيتُهُ إلّا بمنْزِلة الدّالِّ على نُور الشَّمْس، والهادِي إلى سُنّة البَدْر، وفيما قدّمْتُه من هذه الخُطبة، التي كرهتُ إضْجارَكَ بإطالتها، فوقفتُ عند هذه الغاية منها، دلالةً كافيةً[1] على شدّةِ شوقي إليك، وسُروري بكُتبك، وارتياحي ليسير ما يرِدُ منك، فَضْلاً عن كثيره، وابتهاجي بمُخْتصرِه فَضْلاً عن مَشْروحِهِ. فإنْ رأيتَ - أدام الله عزَّك - أنْ تجْعلَ لمن كلّهُ لك جزءاً من زمانك، ونَصيباً من أوانِ نشاطِك، وتكاتبني بأخْبَارِك وأحْوالك، وتكلفني بشؤونِكَ ومهمّاتِكَ، وتوفيني متنفِّلاً ما أوفيكَ إيّاه مفترضاً من عُهود المَوَدّة، وشُروط الصِّلة، فعلتَ إنْ شاء الله تعالى.

(١) ساقطة في ف.

وكَتَب إلى الصّاحب أبي القاسم إسماعيل بن عَبّاد
وزير الأمير مؤيِّد الدَّوْلة بن رُكْن الدَّوْلة بأصْبَهان
اسْتِماحة[١]

أنا أعْتذرُ إلى سَيِّدي – أطال الله بقاءه – من تأخُّر كُتُبي عن حَضْرتِه الجليلةِ بعُذْرٍ إذا تأمَّلهُ حقّ تأمُّله، وعَرَضُهُ على نَقْده وتمييزِه، عَرَف صدقَ مَنْطِقِه، وخُلوصَ مَصْدرِه، وعَلِم أنّني مواصلٌ بباطنِ فؤادي[٢]، وإنْ صرمتُ بظاهر فِعْلي، ومُلازمٌ بخافي مَقْصدِي وإنْ أخْلَلْتُ ببادي مَسْلكي، وهو أنني جرّبْتُ مكاتبتهُ – أيّده الله – مواظِباً عليها مُكبّاً، ومُراخياً بين أوْقاتِها[٣] مُغِبّاً؛ لأتبعَ أحبَّ الأمرينِ إليه، وأوْقعَهما لدَيْه. فلمّا لاحَ لي أنّ الإجمامَ أنْفق، والتّرفيهَ أوْفق، ووَثِقْتُ بأنّ رأيه عليَّ في الحالينِ محروسُ النّواحي والجوانب، محميُّ الشرائعِ والمشاربِ، اقْتصَرْتُ على أنْ أتعرّف أخْبارَه، وأُسرُّ باستقامتها وانتظامها، وأتنسَّم[٤] أحوالَهُ، وأسكنَ إلى اطّرادِها والتآمها، وأبْتهِجُ بما يصيرُ – أيّده الله – من ذروةِ مرتبةٍ يعتليها، أو غارب مرقبةٍ يمتطيها، وأنْ أدلّ المتحدِّثين عنها، والسّامعين بها، على أنّه لم يَسْتوفِ بعد حظّهُ، ولم يستوْعِبْ قسطَهُ، فإنّ للدُّنيا مواعيدَ فيه لا بدّ من أنْ ينتجزها بمَساعيه، وما أخاف في هذا القول – والحمد لله

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، سيلي أوك. وجزء منها في عاشر أفندي. كما أوردها المواعيني في ريحان الألباب، ورقة ٧١؛ وأورد فقرة منها الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٩٧.

(٢) س، ف: مرادي.

(٣) ف: أقواتها.

(٤) ف: أتمثل.

– من غَلَط الفراسةِ، ولا كَـذِبِ المخيلـة، ولا بمُعارضـةِ[1] المعـارض، ولا بمُناقضـةِ المُناقِض، ولا أعْدمُ صحَّةِ الشَّهادة، وقيـام الدِّلالـة، وقَبُـول المُسْـتمع، وتشـييع المتبـع، وكفى بعلمِ الله أنّني أغتبط بنعمِهِ – جلّ وعزّ – عنده، اغتباطي بهـا إذا كانـت عنـدي، ولا أرى فَرْقاً بينها، وهي تخُصُّهُ، وبينها إذا كانت تخُصُّني، وأعتقدُ أنها في فنائه – عمَّـرهُ اللهُ – مُستقرَّةَ الوطن، قاطنةً في كثيرٍ من الأفنيةِ، قلقـة الرِّكـاب، ضـاعنةً لبُعـد فضـلاء الزّمان عن مُساواتِهِ في استحقاقها، أو مُداناتِهِ في استيجابها[2]، واستبدادِهِ عليهم بحيازة ما يتفرّق[3] فيهم، واستكمال ما ينقسم بينهم من أصْـلٍ راسـخٍ، وفَـرْع شـامخٍ، وحلـمٍ راجح، وقَدْرٍ طامح، وأدبٍ جَزْل، ومَنْطقٍ فَصْل، وقريحةٍ ثاقبة، ودِرايةٍ صائبة، ونفـسٍ سامية، وكفٍّ هاميةٍ، وأوْصاف لا تُعبِّر عنها بلاغةُ الفُصَحاء، ولا يُحيط بها اسْـحنفارُ[4] الخُطَباء، ولا يُجارِيه فيها أقدامُ النُّظراء، ولا تُزاحمه عليها مناكبُ الأكفاء، بل هي مُسلَّمةٌ إليه إذا نُوزِع مُدَّعوها، ومقرٌّ لـه بهـا إذا دوفـع منتحلوهـا، فالحمـد لله عـلى أنْ أعْطـى قَوْسَ[5] السّيادة منه باريها، وأضَافها إلى كُفْئِها وكافيها، وفَسَخ به شرط الدّنيا الفاسـد، في إهداء حُظوظها إلى أوْغادها، ونَقَضَ له حُكْمَهـا الجـائرَ في العُـدُولِ بهـا مـن نُجبـاءِ أوْلادِها.

وإيّاه أسْأل سؤالَ الضّـارعِ إليـه، الطّالـبِ لديـه، أنْ يُطيـلَ بقـاء سَيِّدي الإطالـةَ المترامية، ويُوفيهِ أقصى المدد المتمادية، ولا يعدمـه التوقّـل في هضـباته، عـلى رَفاغـةٍ مـن

---

(١) ر: معارضة.

(٢) ف: استحبابها.

(٣) ف: تفرق.

(٤) اسحنفر في خطبته: مضى واتّسع في كلامه. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٥٢ (سحنفر).

(٥) س، ر: القوس.

مَعاشِهِ، والارتقاء إلى درجاتِهِ، في سُكونٍ من جأشه، ولا يَبْتليه في شيءٍ منها بعثرةٍ ولا هَفْوةٍ، ولا يمتحنه بنكْبةٍ ولا نَبْوةٍ، وأنْ يبلغه مدى همّته العاليةَ المشتطة، وأمنيتي له المنفسحة المنبسطة، فلا مزيدٌ عليه – أيّده الله – في تلك لمفْرطٍ مُسْرِفٍ، ولا عليَّ في هذه لمتطلّعٍ متشوِّف، وأما بعد،

أيّد الله سَيِّدي الصّاحب، فإنّ نُوَب الدَّهْر تتردّدُ مُذ سنين[1] عليَّ وعلى أهْل صناعتنا المنْحوسةِ بالعراقِ، مُنيخةً بنوازلِها، مُرْسِيةً بكلاكلها، كالحةً بوُجوهها، كاشرةً عن أنْيابها؛ لتعاقب الأيْدي الواليةِ علينا، وتدرّجها في الإساءة إلينا، وتزيّدها في الفَظاظة بنا، وتجاوزها المنزلة إلى المنزلة، في الاسْتئصال لأحْوالِنا. وقد توفّر قِسْطي في تأثيرها بحسب ضَنّي[2] بعِرْضي، وصَوْني نَفْسي، وبَذْلي دونهما مالي، ووقايتي إيّاهما بما ملكت يدي، من حيثُ لم أسألِ المعونة أحداً، ولا سمحتُ أنْ أستميحَ مُسَوَّداً ولا سيِّداً، ما كُنتُ راجعاً إلى شيءٍ ممّا يرجِعَ إليه النّاس من مَوْروثٍ تالد، ومكتسبٍ طارف، حتى انتهَتْ مَغارمي إلى نحوِ خمسمائة ألف دِرْهَم، لم يَبْقَ لي بَعْدَها ضَيْعةٌ ولا مَنْزِلٌ، ولا باطنٌ ولا ظاهر. فلمّا صارتْ صُروفُ الدَّهْر تتوغّل بعد التَّطَرُّف، وتُجْحف بعد التَّحيُّف، وصادف ما تجدّد عليَّ منها في الوقت أشْلاءً منهوكةً، وأعْظماً مبريّةً، وحُشاشةً مشفية، وبقيةً مؤذية، فارقتُ الإيثار، وأطعتُ دَواعي الاضطرار، وجعلتُ أختارُ الجهات، وأعتامُ الجَنَباتِ لأنجو منها، ما لا يُعابُ سائلُهُ إذا سأل، ولا يخيب آملُهُ إذا أمل.

فكان سَيِّدي – أدام الله عِزّه – أوّلها إذا عددتُ، وأولاها بها اعتمدتُ، وكتبتُ

---

(١) س: سنون.

(٢) س، ر: ظني.

كتابي هذا بيدٍ تكاد تتعلّم[1]، ووَجْهي يتظلّم منها إذ تخطُّهُ إشفاقاً على مائه ممّا يهريقه، لولا الثقةُ بأنّه - أيّده الله - يحقن مياه الوجوهِ ويَحْميها، ويجمّها ولا يقذيها، وخاصّة مَن كانت له في نفسِه المزيّةُ التي على غيري ممّن شحطت دارُهُ من أوْليائهِ وأودّائهِ، بمشاهدتي شَخْصه الشَّريف، واعْتِلاقي حَبْله الحصيف، وكوني معه تحت ظلِّ الدَّوْلة والجملة وعصْمتها، وفي ذِمامِ المالحة والمراضعة وحرمتها، والأسباب التي هو لها بكرم عَهْدِه حافظٌ، وبعين رعايتِه ملاحظٌ.

وأنفذتُ دَرْجَه كتاباً إلى مَوْلانا الأمير مؤيِّد الدَّوْلة - أطال الله بقاءه - سلكتُ فيه سَبيل العبد اللّائذِ بمَوْلاه، والخادم المحتاجِ إلى نَداه، وأشَرْتُ إلى ما كان سَيِّدي - أيّده الله - قدّمهُ قبل هذا الوقت من ذكري، ومتتُّ بما تفضّل، ومهَّدَهُ من أمري، ورجوتُ استثمار تلك المقدِّمةِ على يدِه وبركتِهِ، واستنجاحِها بيُمْن طائره ونَقيبته، وكلُّ ما يتأتّى من الجميع محسوبٌ من ماله، ومعدودٌ في أفضاله، وزائدٌ في أياديه البيض الزُّهْر، وعَوارفِهِ المحجّلة الغُرِّ.

وسَيِّدي الصّاحب - أطال الله بقاءه - وليّ ما يراه فيما سألتُ واقترحت، واشتطَطْتُّ واحْتكمت، جامعاً لي بين ماله وجاهه، فإنَّ تضاعُفَ هذه المحن، يقتضي مُضاعفة ما يطوّقنيه من المِنَنِ[2]، لأكونَ ما عشتُ طَليقه من حبائلها وإسارها، وعَتيقه من مخالبها وأظْفارها، والإيعاز بإجابتي بما أبتهجُ له من طيب خَبرِه وحالِه، وأمتثلُه من عالي أمْره ونَهْيه، إنْ شاء الله.

---

(١) من: ف فقط.

(٢) (من المن) ساقط في ف.

وكَتَب عن نفسه
إلى الصّاحب بن عَبّاد[1]

كتابي - أطال الله بقاء مَوْلانا الصّاحب الجليل كافي الكُفاة - وليس من جارحةٍ إلّا ناطقةٌ بشكره وحمده، ولا في الدَّهْر جراحةٌ إلّا عافيةٌ بفَضْله ورِفْده. وأنا مستمرٌّ له على دعاءٍ إنْ خلوتُ من أنْ يكون عائداً لصلاحي، ورائشاً لجناحي، لألتزمنّه عن الأحرار العائشين في نداه، المستظلّين بذراه. فكيف وأنا أولُ ساهرٍ في مَرابعه، ووارِدٍ لشرائعه، وأحوالي جاريةٌ على استقامةٍ أقوى أسبابها تصرّف الأيّام على آرائه، واتّباعها إيثاره، في أوليائه وأعدائه، والحمد لله ربِّ العالمين، قضاءً لحقه، واقتضاءً لمزيده، واستدامةً للنعمة عنده التي استحصفت في أيدينا سعتُها، وسالت علينا شِعابُها، وغَمَرتنا سِجالُها، وتفيّأت لنا ظلالها.

وما يزال بين رغبة مَوْلانا الصّاحب الجليل كافي الكُفاة - أدام الله عُلوّه، وكَبَت عدوّه - في عَبْده، ورغبة عَبْده إليه سرٌّ مكنونٌ في الصّدور، ومستورٌ تحت الضّلوع؛ فهما يتناجيان به على بُعد الدار، ويلتقيان عليه بالأفكار. فإنْ تطلّع من حجاب القُلوب، وشذّ من ظهور الغُيوب، فإنّ ظهوره يكون من جهته في نفحات الإنعام، ومن جهتي في ثمرات الكلام.

وقد وَصَل كتابُه المخطوطُ بكَرَمه لا بقَلَمه، إلى صَنيعته الماثل بين يديه بهِمَمَه لا بقَدَمه، فلم يستطع أنْ ينهض من الفكر، إلّا بقدر ما يبريء ساحته من الكفر، ويبلغه إلى آخر الاجتهاد والعذر.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٨، ص١٤٣-١٤٤.

وأسأل الله أنْ يطيلَ بقاءه للإفضال المأخوذ منه، والفَضْل المأخوذ عنه، والعِلْم الذي يزخر به بَحْره، والفَخْر الذي يسحب له ذَيْله، والعزّ الذي ضرب عليه رِواقه، والسُّلْطان الذي ألقي إليه استحقاقه، والأمر والنَّهْي اللذين يحويهما تُراثاً واكتساباً إذا حواهما غيره غلولاً واغتصاباً، بمَنّه وطَوْله.

وكَتَب[١]

وَصَلت رقعتُك يا سَيِّدي، وفهمتُها. فأما ما ذكرته عن العارِض القاطع من الحركة - صرفهُ الله والسوء كله عنك، وأحسَن كفايتك ووقايتك - فقد والله راعَني وأقلقني، وبَلَغ كلَّ مَبلغٍ مني، وتخيّلتُ أنّه من أعراض المحْنة التي أنا فيها، وشُعَب النكبة التي أُقاسيها، لانقطاعك - أيّدك الله - عن عادتك في إسْعادي وإرْفادي ومؤازرتي ومضافرتي، وحُضور المجالس التي كنتَ لي عيناً فيها بصيرة، وأذناً سميعة، إلّا أني سكنتُ بعض السُّكون إلى ما ختمتَ القولَ به من خِفِّه وإسْفاره، ووَشْك انْحسامه، وسألتُ الله أنْ يهبَ لك ولي عافيتك، ويمُنَّ عليّ وعليك بإقالتك؛ فإني أساويك في الحظّ بهما موجودتين، كما أساويك في الحاجة إليهما مطلوبتين، وهو - جلّ وعلا - وليّ بتعجيل الإجابة، وإسْباغ المِنّة، بقُدْرته.

وأما ما سألتَه عن حالي، فما ظنّك يا سَيِّدي مَن قُروحُه ينكأ بعضُها بعضاً، ومَناحسُه يتلو طارفٌ منها سالفاً، ولا يُكتفى فيه بالتطرُّف، ولا يُشتفى منه بالتحيُّف، ولا يُرضى له بغايات المكاره المعهودة، ولا بنهاياتها المحدودة، بل يُجعل علماً فرداً في الاجتياح، وواحداً فذاً في الاصطلام، على اصْطلاحٍ من القُلوب المختلفة، واتّفاقٍ من الأيدي المتعاقبة، حتى كأنّ نكبتي شرطٌ من شُروط الدُّول، ورَسْمٌ من رُسوم العمل، لا

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي.

لعلّ هذه الرسالة موجهة إلى الصّاحب بن عَبّاد، إذ سيذكره فيما بعد بالكنية. على أن (أبا القاسم) كنيةُ وزيرين آخرين هما: أبو القاسم المطهر بن عبد الله، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف.

تتمّ الولايات المتحدّدة لأهلها إلّا بها، ولا تحسن النِّعَم الحادثة عندهم إلّا معها. وكأنهم مُتمسِّكون منها بعقد شَريعةٍ، وجارُون على خليقةٍ وطبيعةٍ؛ فها أنا يا مَوْلاي مُطالَب بعشرة آلاف دينار، وأُلزِمْتُها بعد أربعمائة ألف دِرْهَم، اشْتَمَلتْ عليها مُصادَراتي السّالفة وتَوابُعها، ومُجازفاتي الماضية وشَوافعُها، وجُعلت الحجّة فيها داري، وإنها ثمينةٌ. وكانت - كما تعلم - تجمع مائة نَفْسٍ من وَلَدي ووَلَدهم، وحَرَمي ورَحِمِهم، وأسْبابي وأسْبابهم. وإنّ في يدي بقيّةً من تِناية[1] أسْلافي، والله لقد كان ارتفاعُها لسنةٍ قاصراً عن مؤنتي لشهرين.

فأمّا الدّار فقد أُشهِدَ عليَّ بها بثمن بَخْس لبعض الغِلْمان الأكابر أيّدهم الله، وأما التِّناية فهي وَقْفٌ وقد نفيتُ معها اسمه مع الشهرة، ونسبتُها إلى الطّلق للحاجة والضّرورة، فما تنفق من ذاك الإنفاق المعلول، ولا تستبيع إن استباعَت إلّا بالمنزور المقلول. والجميعُ إذا تحصّل يَعجز عن الجملة كثيراً، ويقف منها بعيداً.

وكنتُ أحامي عن[2] هذه المسكة مُحاماة[3] المتستِّر بها، المقتنع بيسير فَضْلها. وأقيها في الشّدائد التي مضت بكلّ وُسْعٍ وحيلة، وجهد وطاقة، بمَسْألة الرُّؤساء - أطال الله بقاءهم - والإخوان -أدام الله نعماءهم - فقد نضبَ الآن ماءُ وَجْهي، وانقبَض من

---

(١) ف: تنابه. والتناية (بالياء) قال الأصمعي: هي الفلاحة والزراعة. والمقصود أن بيده قطعة أرض زراعية. انظر: الصابي، تحفة الأمراء، ص٢١٧، ص٢٨١، ص٣٦٣، ص٣٧٢؛ السمعاني، الأنساب، ج١، ص٤٤٣؛ ابن الجوزي، غريب الحديث، ج١، ص١١٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٨٦؛ ابن الأثير، النِّهاية في غريب الحديث، ج١، ص١٩٩. وانظر التُّنّاء، ج٢، ص٤٤ (هامش٢) من هذا الكتاب.

(٢) ر: على.

(٣) في الأصول الثلاثة: يتحاماه.

الطَّلب لساني. وهذه هي الحال المانعة لمكاتبة سَيِّدي أبي القاسم أدام الله عِزّه، بعد أنْ هممتُ بها شاكياً محنتي، ومُسترشداً إلى مَصْلحتي، ومُستمدّاً من الرأي خاصّة، إذ كانت عليّ أسلافٌ من غيره غامرةٌ باهرة، ثم رجعتُ إلى التّخفيف، وعلمتُ أنّ خبري لا ينطوي عنه أيّده الله، وأنّه لا يدعني سُدىً، ولا يؤخّر عنّي مَشورةً أتّخذها مَطيّةً إلى المصلحة المريحة، وإشارةً أجعَلُها ذريعةً إلى السَّعادة الدّائمة. ولو حملتُ نَفْسي على الاستسعاف والسّؤال، لضاق عليّ فيه المرتكض والمجال، لأن النّاس عندنا خلا الرّعيان الشواذ الذين هو - بحمد الله - أوّلهم، طائفتان :

مجامِلةٌ ترى أنّها قد وفتك خيرها، إذ كفتْك شرّها، وأجزلت لك رِفْدها، إذ جنّبتك كَيْدَها.

ومكاشِفةٌ[1] تنزو إلى القبيح نَزْوَ الجنادب، أو تدبّ دَبيب العقارب، فإنْ عوتبوا حَسَروا قناع الشقاق، وإنْ غُولطوا تلثموا بلثام النَفاق.

والفريقان في ذلك كما قلتُ منذ أيّام :

أيا ربّ كلُّ النّاس أبناءُ علّةٍ ... أما تغلطُ الدّنيا لنا بصَديقِ
وُجوهٌ بها من مُضْمَرِ الغِلِّ شاهدٌ ... ذواتُ أديمٍ في النِّفاقِ صَفيقِ
إذا اعترضوا عند اللِّقاء فإنّهم ... قذىً لعيونٍ أو شجىً لحلوقِ
وإنْ أعرضُوا برد الوِداد وظلّه ... أسرّوا من الشحناء حرَّ حَريقِ
ألا ليتني حيث انتحت فرخ القطا ... بأقصى محلٍّ في الفَلاة سَحيقِ
أخو وحدةٍ قد آنستني كأنني ... بها نازلٌ في مَعْشري وفَريقي

(١) ر: مكلفة.

فذلك خيرٌ للفتى من ثوائه بِمَسْبعةٍ من صاحبٍ ورَفيقِ

هذا يا مَوْلاي صُورتي قد أفضتُ إلى أنْ أتمنى سَلامة المُهجة مع مَسِّ الضُّرّ[1]، وخلاص الحُشاشة مع الفقر المرّ. وأحمَدُ الله وأشكره، وأستعينه وأستنصرُه.

وأما بعد - أدام الله عزّك - فقد انتقلتُ إلى دار سَيِّدي أبي بكر الأصْفَهاني[2] أيّده الله، ولحقني منها الترفُّه بكريم ضيافته، وجميل نيابته، إلّا أنني منزعجٌ بانزعاج أسْبابي عن مَسقط الرأس، وتفرّقهم في منازل النّاس. وههنا تسبيباتٌ قد تسبّبت[3] عليّ من هذا المال المسمّى صُلْحاً، وقد أحسن أبو عُبادة البُحْتري[4] إذ يقول:

ولم يكن بيننا شَرٌّ فنصطلحُ[5]

وخطّي مأخوذٌ بتَصْحيحه في نجومٍ قد ضُويقت فيها، وقُورِبَ بين مَواقيتها، والله المعين والمنهض، وما تَعْويلي إلّا عليه، ولا تفويضي إلّا إليه.

وأحسبني ذاهباً عن الصَّواب، في إطالة الجواب، وكان الأوْلى[6] مع ضَجَر العلّة الاقتصَار بك من التفصيل على الجملة، لكني استروحتُ إلى البَثّ، وتداويتُ بالنَّفْث. وأنت يا مَوْلاي وَليٌّ باستعمال الصَّبْر، وبَسْط العُذر، وإيناسي إلى حين الاجتماع برقاعك مُتضمّنةً[7] أخبارك وأحْوالك، وتكامل صحّتك وعافيتك، إنْ شاء الله.

---

(١) (مع مس الضر) من: ر.

(٢) ر: الأصبهاني، وكلاهما واحد.

(٣) ر: سُببت.

(٤) (البحتري) من: ر.

(٥) عجز بيتٍ، صدرُه: يُريغُ كاتبُه صُلْحي ليَنْقُصني. ديوانه ج١، ص١١٦.

(٦) ف: الأصل ولي.

(٧) ر: مضمنة.

وكَتَب إلى الأُستاذ
أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف[1]

كتبتُ - أطال الله بقاء سَيِّدي ومَوْلاي ورئيسي - وأنا سالمٌ في المُهْجة دون الحال، شاكرٌ لله على ما أعْطى ومَنَع، مُثْنٍ بآلائه فيما أقرّ وارتجع، راغبٌ إليه في أنْ يختصّ مَوْلاي بالسَّلامة التي تتمُّ ولا تنقُصُ، ويمتدُّ ظلها ولا يَقْلص، وأنْ يجْعَلَها لديه ثاوية قد غلق رَهْنُها[2]، ومخيمةً قد أُمن ظَعْنُها. ولئن راخيتُ - أيّد اللهُ مَوْلاي - بين أوْقات المكاتَبة، وتوسَّطت فيها بين طَرَفي القَطيعة والمواصَلة، إنّي لأملأُ تلك الفُرَج، وأسُدُّ تلك الثُّلَم بالاستعلام لأحْوالِهِ، والمراعاةِ لأخبارِه، والدّعاء له بإطالة عمرِه، وإعلاءِ شأنِه وأمْرِه، وحِراسةِ المَوْهبةِ له وفيه، التي بها أتعزّى إذا رُزئتُ، وأتسلّى إذا دُهيت. وهو - أدام الله عِزّه - وليٌّ أنْ ينسبَ المواصَلة منّي إذا كَثُرت إلى الإدلالِ، ولا ينسبها إذا قلَّتْ إلى الإخلال، فوالله ما تُظلّ الخضراءُ، ولا تقلّ الغبراء عَبْداً هو أشدُّ له منّي مُخالصةً، ولا أصْدق طاعةً ومُشايعةً، ولا أشْكرُ لنعمةٍ وعارفةٍ، ولا أنْشرُ لصَنيعةٍ حادثةٍ وسالفةٍ، وما أدّعي إنْ تأخّر كتابي عنه - أدام الله عِزّه - المُدَّة التي تأخّر فيها إلى الآن

---

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، سيلي أوك. العنوان في ط: (وله).

أبو القاسم من كُتّاب البويهيين، ويجري مجرى الوزراء، وكان من البلغاء. له مجموع رَسائل نشرها إحسان الثامري، وكتب لها مقدمة فيها تعريف به وبرسائله.

(٢) غلق الرهن بما فيه: مثلٌ يُضرب لمن وقع في أمرٍ لا يرجو انتياشاً منه. الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٦١. أغلق الرهن: أوجبه. ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢٩٣ (غلق).

تخفيفٌ محض؛ فأمحل، ولا تضييعٌ صرف؛ فأُليم. ولكنْ شغلٌ بطَوارقَ طَرَقَتْني، ونَوازل برحَتْ بي لم أسْتَجز أنْ أُوالي بين إيرادها عليه؛ وإنْ والى الزّمان بين إحواجي فيها إليه، على أنّ نَفْسي قد نازعتني إلى مُكاتبتهِ - أيّده الله - بها، وتوْفية الحال بيننا في البثّ والنَّفْثِ حقّها[1]، فكان وَجْهي يَمْنَعُها من ذلك تلثُّماً بحيائه، وإجماماً لمائه. إذ كان - أدام الله عِزّه - قد عوّدني الإسْعادَ في الشِّدَّةِ، وكَرِهتُ أنْ أنْسِبَ إلى تنجُّز تلك العادةِ، وهذا إنّما يكون لمن تنكبه الأيّام مريحةً مُغِبَّةً، فأمّا من هي عليه مُلِحّة مُكِبّة؛ وقد خَرَجتْ عن شَرْط الاعتدالِ منها، وأخرجتْهُ عن شرط الإعداء عَلَيْها. وعلى ذلك، فإنّ إنعامَهُ - أيّده الله - يُجيبني قَبْلَ أنْ أُناديه.

وقد أقْرأني أبو سَهْل - أيّده الله - ما وَرَد عليه في أمري، فجَلَّ موقعُه منِّي، وعَظُم خطرُه لديَّ، واسْتظهرتُ به على محْنتي، وانْتعشتُ به من عثرتي، وأكْبرتُ قدرَ تفضُّل[2] مَوْلانا الأمير عَضُد الدَّوْلة - أطال الله بقاءه - عليَّ، وإحسانِه إليَّ، واهتمامِه بي، ورعايتِه لي، وعَلِمتُ أنّ كرمَهُ ومكان مَوْلاي - أيّده الله - بحضرتِه وكيلان عليه بكلِّ غائبٍ وحاضر، ونائبان لديه عن كلِّ صامتٍ وناطقٍ، والفائدةُ العُظْمى حاصلةٌ لي من رأي مَوْلانا أطال الله بقاءه. وما أُريدُ سِواها، ولا أُراعي إلّا إيّاها، ولا أسْألُ اللهَ إليها نُعمى سوى أنْ تدومَ. ولا بُدَّ - أيّده الله مَوْلاي - من مُصابرة الغُمَّة حتى تنجلي، ومُلاطفة الشِّدَّة حتى تنثني، وكذلك أفْعلُ وعلى الله أتوكّل.

وتعاطيتُ - أيّد الله مَوْلاي - أنْ أكتُبَ إلى مَوْلانا - أطال الله بقاءه - بالشُّكْر والاعتداد، وأنْ أبْذلَ فيهما مُنْتهى الوَسْعِ والاجتهاد؛ فقصُرتْ بي المُنَّةِ عن مقاربة

---

(١) ساقطة في ف.

(٢) س: تفضلي.

واجبِهِ، ووقفني في ذلك عند أدنى مَراتبِهِ، وكيف أنْهضُ بشُكْرِ كاتبـه؟ ومَـوْلاي – أدام الله عِزّه – لا جَرَم أنّي عَدَلْتُ إلى الدّعاء الـذي يَسْـمعُهُ، ويَسْـتجيبُ فيـه لكـلِّ مُخْلـصٍ يرفعُهُ، وهو العالمُ أنّه لا تفريط فيـه عنـدي، والمرجـوُّ لقَبُـولِ صـالحِهِ وخالصِـهِ منّـي، بقُدْرته.

وأحْسبُ – أيّد اللهُ مَوْلاي – أنّ داعياً دعا عليَّ بالبيتِ المشْهورِ في الدَّفاتر، وهي آخِرُ ما يباعُ من المتاعِ، وقد خرجَ عن يدي منها كلُّ كبيرٍ أثيرٍ، ونَفيْسٍ خطير، فأنا أراها في الأيدي التي لا تَسْتحقُّها بمنزلةِ السَّبايا في رِبْقة مَن يَسْترقُّها.

وقد تخرجُ الحاجـاتُ يـا أمَّ مالـكٍ كـرائم مـن ربٍّ بهـنّ ضَـنينِ[1]

ولو مَلَكتُ اختياري كلَّهُ لخصصتُ خزانة مَوْلانا – أطال الله بقاءه – ثم خِزانة سَيِّدي – أدام الله عِزّه – بالمرباع منها والصَّفايا، والعقائل والخطايا، لكنِّي مُقصِّرٌ من ذلك مع غيبةِ الاخْتيار، وحُضور الاضطرارِ على ما بيّنتُ ذكْرَهُ آخرَ هذا الكِتاب. فإنْ رأى مَوْلاي – أطال لله بقاءه – أنْ يأْمرَ بحَمْلِ ما منه لخزانة مَوْلانا – أطال الله بقاءه – إليها بعد إنْهاء خبرِهِ، وعَرْض أحْرف كتبتُها مُفْردةٍ بِذكْرِهِ، ويمُنُّ عليَّ بالإجابةِ المتمّمةِ للفَضْلِ والبِرِّ، المؤكّدةِ لأسبابِ الثناء والشُّكْر، وتعْريفي خَبَره وحَاله لا زالا صالحين، وتَصْريفي بين أمْرِه ونَهْيه لا زالا عاليين، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) من أبياتٍ قالها أعرابي حين باع جمله لحمزة بن عبد الله بن الزبير وأخذ ثمنه، فقد جعل الأعـرابي ينظر إلى الجمل ويقول تلك الأبيات؛ فقال له حمزة: خذ جملك، والدنانير لك. الزبير بن بكـار، جمهرة نسب قريش، ص٤٩.

فصل عن نفسه

إلى عبد العزيز بن يوسف[1]

كُتُب الأتباع محتاجةٌ عند الملوك إلى قائدٍ يطرق ويمهّد لها، وسائقٍ يشيع ويحدو بها، وناصحٍ يعضدها في متضمّناتها، ويشفع لها في مُلتمساتها، ويعتمد بعَرْضها في أوقات الفَراغ والنّشاط، وأحيان الخلْوة والانبساط.

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٩٤.

وكَتَب إلى الأُستاذ أبي الرَّيّان حَمْد بن مُحمّد في شكر[1]

إنّما يطول لِسانُ الشّاكر - أطال الله بقاء الأُستاذ الرئيس - إذا أحاط بقدر النِّعْمة واستظهر عليها، ونهض بتأدية فرضها وحقّها. فأمّا المغمور بها، العاجزُ عن مُجازاتها، الحسيرُ عن مُجاراتها، فلا بدّ أنْ يظهر غيَّ المفحم، وأنْ تُشبِه حالُه حال الأبكم. وهذه صورتي فيما يراه - أيّده الله - من صَمْتي وتقبُّضي، وتخفيفي وتهيّئي والله أعلم أنّي أصمتُ عن ضميرٍ ناطق، وأنطوي على اعتقادٍ في الموالاة صادق، وأنّي ومن وَرائي من الأهل والولد والمتفرّقين الذين أرجو أنْ يجمعهم إلى كَنَفه، كما أرانيهم إحسانه وتفضُّله، لنعجّ عجيجاً بالثناء عليه، والدّعاء له، والابتهال إلى الله سبحانه في تولّي مكافأته بما هو أملأ به، وأقْدَر عليه، لولا أنّ العَوْدَ إلى الانبساط بعد تطاوُل الانقباض يجب أنْ يكون على تدريج لما بَرحت من داره - عمّرها الله بعزّه، ونفاذ أمْره ونَهْيه - ولجريتُ مجرى فَرّاشيها، وأصاغر حَواشيها، وأرجو أنْ أُسْعَد بذلك على الأيّام. ومع تزيُّد الإقبال، وتراجُع الأحوال بإذن الله.

وكنتُ أعددتُ - أطال الله بقاء الأُستاذ - للمَجلس العالي - أدام الله علوّه - قصيدةً تتضمّن الدّعاء والشّكر، ثم خفتُ أنْ يتَدافَع الأمرُ في الشرف الذي أؤمله بالمثول[2] به، والإنشاد فيه؛ فأُنسبَ إلى الجهل ونقصان المعرفة، بقدر ما أُلبسته[3] من

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي.

(٢) ف: اومل المثول.

(٣) ف: لبسته.

لباس العَفو، فقرنتُها بهذه الرّقعة. فإنْ رأى الأُستاذ - أطال الله بقاءه - إدخالها في جملة ما يُعْرض، أنعم بذلك على عبده، وإنْ رأى - أيّده الله - رأياً آخر تفضّل بإرشادي إليه، لأحتذيَه وأعمل عليه، إنْ شاء الله.

وكَتَب إلى أبي الرَّيّان حَمْد بن مُحمّد[1]

أيـا جَـبلاً آويـتُ منـه إلى رُكْـنِ ويـا مَلْجأً عوّلـتُ منـه عـلى حِصْـنِ
ويـا مالئـاً عينـيّ مـن لـذّة الكـرى ولولاك ما أطبقتُ جفنـاً عـلى جَفْـنِ
ويـا جاذبـاً ضـبعي إلى ذروة العُـلى ويـا نائبـاً في كـلِّ نائبـة عنّـي
ويا مُلبسـي ثـوب الحيـاة ومُرشـدي إلى درك النُّعْمـى التـي ذهبـت منّـي
ويـا مُعلقـي منهـا أوائـل عِصْـمَةٍ أواخرهـا لا شـكّ مصـدوقة الظـنِّ
لـك الشُّكْرُ منّـي مـا بقيـتُ فريضـةً ومـا دام لي نطـقٌ عليـك بـه أثنـي
فـإنْ تـرَ منـه بعـد حقـك فَضْـلةً لغـيرك في الحـين البعيـد وفي القَـرنِ
فقَـوْلي كـما قـال النُّـواسي[2] قبلنـا وفيـه لمـثلي أسـوةٌ مثلهـا يغنـي
إذا جـرَت الألفـاظُ منّـا بِمِدْحـةٍ لغـيرك إنسـاناً فأنـتَ الـذي نعنـي

والله - أطال الله بقاء سَيِّدنا الأُستاذ، وأدام عزّه - ما حملت الجبالُ ما حملتُه، ولا جَرت البحار جَرْيَ لساني في شكره، ولا أرى نَفْسي وولدي وحُرمي وأسبابي إلّا عبيداً وإماءً له ما عشنا وبقينا. ولهُ - أيّده الله - عليّ بعد هذا الشكر الدّائم، والفرض اللّازم ألّا أجهلَ مَوضعَ الزيادة إذا زادني، والمعونة على الزّمان إذا أعانني.

وقد سألتُ فلاناً عَرْضَ هذه الأحرف في وقتٍ من أوقات الخلوة، التي ما تمكّنتُ إلى هذه الغاية منها، وأضفتُ إليها ألفاظاً في معنى الأبيات، وفي معانٍ كثيرة غيرها ليوردها شفاهاً، ويحصل لي من الجواب ما أسكن إليه وأعملُ عليه. وسَيِّدنا الأُستاذ - أطال الله بقاءه، وزاد في عُلوّه - وليٌّ بالاستماع منه والإجابة له إنْ شاء الله.

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي.

(٢) يقصد الشاعر أبا نواس، والبيت اللاحق من شعره.

وكَتَب إلى الوزير مُحمّد بن بَقيّة من الاعتقال[1]

يقولُ لكَ العَبدُ الذي بَرَّحَتْ به نوائبُ من صَرْف الرّدى ونَوازلُ
وبين حِجابَيْه وما ضمّ صَدرُه بلابلُ مشبوبٌ لَظاها غَوائلُ
وقد عضّ بالسّاقَيْن قَيْدٌ كأنّه به غادةٌ نِيطت عليها الخلاخلُ
ومن دُونه سُورٌ منيعٌ وأشعثٌ شَتيمُ المحيّا كالحُ الوَجْه باسِلُ
إذا صَكَّ قُفْلاً عنده بفَراشةٍ على الباب صَكّتْني هناك الجنادلُ
يُطالب بالأجْعال في كلِّ ساعةٍ مُطالبةَ الخَصْم الذي لا يزايِلُ
أكابرَنا عَطْفاً علينا فإننا بنا ظمأٌ بَرْحٌ وأنتُمْ مَناهلُ

كتبتُ - أطال بقاء سَيِّدنا الوزير - وقضى لي أنْ أموتَ تحت طاعته، وفي سَترٍ من كنفه، ولا أحياني لسماع سُوءٍ يحُلُّ به، ولا مكروهٍ يَطور بفنائه، عن انتظام ما يُراعيه من كلّ أمرٍ خلا أمر خادمه، فإنّه على الجملة التي سبق بها كتابهُ من الاعتقال، والتقييد والتشديد، والحُصول تحت مِيسَم السُّخْط، وانحطاط الطّبقة، وخمول الذكر، وشَماتِ العَدوّ، ومَساءة الصّديق. وأحمدُ الله على كلّ حالٍ حَمْدَ الصّابِر لما قضى وأمضى، المستعيد لسالف ما عوّد من نِعَمه وأوْلَى.

ولولا الثّقةُ به - جلّ اسمُه - وبما لي عند سَيِّدنا الوزير نصير الدَّوْلة النّاصح - أطال الله بقاءه - وتوقّعي وُرودَ الفَرَج من جِهَته صباحَ مَساء، لانصَدَعَتْ مَرارتي، لأني

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي. (إلى الوزير مُحمّد بن بَقيّة) إضافةٌ منّا، بناء على لقبه الذي سيذكره الصابي في ثنايا الرسالة.

ما أخطأتُ ولا أسأت، ولا تجاوزتُ لزومَ حضرته وأكل طَعامه، وتَصْريم أوقاتي في طاعته، ولا أحدَثتُ حَدَثاً يوجب فَسْخَ[١] أماني وعَهْدي، ولا اعتقدتُ والله أنْ أتجاوزَ أمره ولا أتعدّاهُ من مُلازمَة بيتي، وإغلاق بابي، والوُقوف عند ما حدّه لي، وقد جاء في القرآن - أطال الله بقاء الوزير - الذي إنْ لم أكن من أهل ذمّته، وهو أولى ما أذكرته، واحتجَجْتُ بأحكامه عليه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[٢]، وأيضاً: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّـٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾[٤]، ونظائر لذلك كثيرة هي أشد تأكيداً، وأضيقُ تحريجاً.

والله ما أتّهِم دينَه ومُروءته، وطَوْله وعنايته، ولكنّي أسأله أنْ يَمْتعضَ لنفسه ممّا نالَني، وينزّه ذكره عمّا جرى عليّ[٥]، ويجعلَ ما يكتب به في أمري وَكيداً سَديداً، لَطيفاً جَميلاً، خليقاً بأنْ يتقبّل عليه فإنّ مَوْلانا الأمير كريمٌ ليّن المعاطف، وقد عوّد سَيِّدنا الوزير ألّا يخالفهُ في رأي، ولا يدافعه عن إيثار، وإن احتيج منّي إلى يمينٍ حلفتُها، وكنت من وراء الوفاء بها. فأمّا ما سواها من كفالةٍ أو ضَمان، فالزّمان صعبٌ وأهله تحت التوقّي، وأبو الحسين غير مقصّر في الجميل، وقاضي القُضاة مُوافٍ غداً أو بَعده، وهما في طاعة الوزير، والتصرّف على ما يؤثره في أمري وغيره. فإنْ رأى الوزير - أطال

---

(١) ساقطة في: ف.

(٢) سورة المائدة، من الآية ١.

(٣) سورة البقرة، من الآية ٤٠.

(٤) سورة الإسراء، من الآية ٣٤.

(٥) ر: جرت، ف، ع: فتت.

الله بقاءه - أنْ ينعمَ عليّ بمكاتبتهما في الخاص، ومن جهته بما يودعه خطّه فليس يكون الجواب إلّا خَلاصي بإذن الله، لأتوفّر على مُلازمة المنزل ولا أتجاوز حدوده التي حَدّها، فَعَل إنْ شاء الله.

ورائي - أيّد الله الوزير - عبيدٌ وإماءٌ تجاوز عددهم الخمسين، ويتبعهم فوق هذه العدّة، وحالي وأحوالهم رازحة، وقد ضَعُف الجاه، وريعت الصُّدور، وفُتّت[1] الأكباد، وذرفت العيون[2]، وأقول: لا حَول ولا قوة إلّا بالله.

وإذا تطوّل - أيّده الله - بإجابة عَبْده عن كُتبه توقيعاتٍ بخطِّه، جمّله وشرّفه، وجَبَر قلبه، وداوى جرحه، وأمسك رمقه[3]، إنْ شاء الله.

والله - أيّد الله الوزير - ما أكتبُ ما أكتبه عن تأمّلٍ ولا رويّة، ولا سَلامةٍ من خاطرٍ ولا قَريحة، بل مُخالسَةٍ ومُسارقة، وفي اللَّيْل من دَواةٍ وَضيعة، وبآلةٍ خَسيسة. فإنْ كان في كتابي زَلَلٌ وخَلَل فأسْبابه[4] واضحة، ومَعاذيري فيه كثيرة، وأرجو أنْ يخلو ذرعي ببقائه، وتصلح حالي بجَميل رأيه؛ فأستأنفُ طريقاً أخرى في المكاتَبة، وأتمكّن فيها من الإدْرار[5] والمتابعة إنْ شاء الله الأدوار.

---

(١) ر: جرت. ف، ع: فتتت.

(٢) ر: ذرت العبرات.

(٣) ف: ريقه.

(٤) ر: فأسباب ذلك.

(٥) ما بعدها ساقط في ف.

وكَتَب إلى أبي الفَرَج مُحمّد بن العَبّاس بن فَسانْجِس عند إطلاقه من حَبْسه بعد نكبته له[١]

أعْرفُ النّاس - أطال الله بقاء الوزير الرئيس - بقَـدْر السَّـلامة مَـن وَجَـدها بعـد فَقْدها، وبفَضْل العافية مَن لبسَها بعد التعرّي منها[٢]. وهذا حالي فـيما كنـتُ عليـه بعـد إعراض الحظِّ عني بإعْراضه، وفيما صرتُ إليه عند إقبال السَّعادة إليّ بإقباله. وما كنـتُ قط - أيّد الله سَيِّدنا الوزير - على كثرة ما في من العُيوب البشريّة مأفونـاً في الـرأي، ولا مُسيئاً للاختيار، لكن النّائبة أضلّتني السَّبيل التي كُنت دليلَها، وعَدَلتْ بي عـن المحجّـة التي كنتُ هاديها، وتَعاضَدتْ عليّ اتّفاقاتٌ مُردية، وأفكارٌ مُغوية، وأقوالٌ أوحشتني ممّا فيه الملك، وآنستني بما فيه الهلك؛ فزللتُ وقد يزلّ العالِمِ الذي لا أُساويه، وعثرتُ وقـد يعثر الجواد الذي لا أُجاريه. ثم أحسستُ بالغَلْطة وقد أتيتُها، والوَرْطـة وقـد أشـفيتُ عليهَا، فظننتُ ....[٣] المنحسَة أنّ التّلافي قـد فـاتني، والاسـتدراك قـد جـازني، فاستمررتُ في مضرّتي استمرار الجَمُوح، وتوقّفتُ عن مَصْلحتي توقّف الحَرُون، حتـى إذا أوردتني المحنة محذور غايتها، وأسْلمتني إلى مكروه عاقبتهـا، وتقنّصـتني بأشراكهـا

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي. (العنوان في ر: وكتب أبو إسـحق إبـرهيم بن هلال الصابي إلى أبي الفرج.........).

في سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م مات الوزير الحسـن بـن مُحمّـد المهلّبـي؛ فنظـر في شـؤون الإدارة والوزارة بعده أبو الفضل العَبّاس بن الحسين الشيرازي، وأبـو الفـرج مُحمّـد بـن العَبّـاس بـن فَسانْجِس، ولم يُلقَّب أيٌّ منهما بالوزارة. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٤٤.

(٢) ساقطة في ف.

(٣) كلمة غير مقروءة. ر: البقية، ف: لقبه، ع: لبقيه.

وحبائلها، وفَرَسَتْني بأنيابها ومخالبها، تَدارَكني من سَيِّدنا الوزير - أيّده الله - عطفُه الكريم، وقلبُه الرحيم، وخُلقُه الشريف، وقدرُه المنيف، وصَفَح عني[1] الصَّفْح الجميل، ووهب الذّنب الجليل، وعَفا عن أعزّ قُدرةٍ، وأقال من[2] أعظمَ عثرة. ولئن كان - أدام الله عِزّه - فيما أتاه من هذه الحال، فاز بجزيل الأجْر، وأحرز طيّب الذّكر، وأطاع نَفْساً أمّارةً بالخير، وطَبْعاً ناهياً عن الشّرّ، وسَلَك سَبيلاً لا يُعرف منه غيرُها، وطريقاً لا يشبهه فيها[3] سِواها، وحملني على حُكْمه في الإغضاء عمّن زلّ، والإرشاد لمن ضلّ، والاقتصاد في تقويم المذنب، والقبول لإنابة المعتب، فلقد عظّم الله عندي خاصّة مِنّته وألزمنيها، وأسْبَغ عليّ نعمته وطَوّقنيها، ومكّن في قلبي مُوالاته وأشعَرنيها، فوالله جَهْدَ القَسَم أنني اليومَ أخلصُ عَبيدهِ نيّة، وأصفاهم طويّة، وأصدقُهم سَريرة.

وكيف لا أكون من بينهم كذلك والنِّعْمة عليهم إنما هي في أعْراضٍ حازوها، وأعْواضٍ أفادوها، وهي عليّ في النّفس التي لا عِوَض منها، ولا عرض يُوازيها، وقد قدّموا من صالح سَعْيهم ما استحقّوا به الإيثار والإدناء.

وقدّمتُ من سالف تَقْريظي ما تعرّضتُ للإبعاد والإقصاء:

فإنْ أنا لم أشكر صَنيعك ما دجا ... ظَلامٌ وما أوفى على أفقٍ فَجْرُ

فما وَلَدَتْني يومَ ذلك حُرّةٌ ... ولا قام عنّي من بني آدم حُرُّ

ومن أين لي في سائر النّاس صاحبٌ ... إذا صَدّ عني ردّه النّظْمُ والنَّثْرُ

لو اطّلع سَيِّدنا الوزير الرئيس - أدام الله تأييدَه - على حقيقة ما عندي من بَثّ

---

(١) ساقطة في ف، وكذلك (الجميل) اللاحقة.

(٢) ساقطة في ر.

(٣) ساقطة في ر.

مَعْروفه، ونَشْر إحسانه، والمعرفة بقَدْر ما أولانيه، والاجتهاد في[1] مقابلته بما يقابل العَبد سَيّده بمثله، لَعِلَم أنّ كلّ غايةٍ أبلغها في وَصْفه، وأنتهي إليها في نعته مقصرّةٌ عنه، وواقفةٌ دونه، ووَحقّ مَن وَهَب لي رضاه، وأعادني إلى ذراه، ما في قلبي مرضٌ، ولا في إخلاصي شَوْبٌ، ولا أمسي وأصبح إلّا في ذِمامِه وحِماه، وتحت ظلّه وكنفه، وما تخطو لي قدمٌ إلّا إلى بابه، ولا يتعلّق لي أملٌ بأحدٍ من المخلوقين غيره، وأنّ المنزل الذي أنزلنيه امتنانه، وبوّأنيه أمانه، ليعجّ عَجيجاً بالدّعاء له من أصاغر وأكابر، كانوا مستوحشين فأنِسوا[2] وسَكنوا، ومنزعجين فقرّوا واطمأنّوا، وقد رأوا ورأيتُ[3] بهم في هذه النّكبة من تغيُّر العادة، وانقطاع المادّة، وقُلوص ظل النِّعْمة، والخروج عن كلّ ملكٍ وذخيرة، ما صاروا به قذى في عيني، وشجىً في حَلْقي، وغصّةً في صَدْري. وأنا وهم الآن واثقون بالخَلَف، ومنتظرون للعِوَض، وقد حسُن عزاؤنا عن المأخوذ، واستحكمت ثقتنا بالمأمُول، ورأينا آثار الإقبال لائحةً، وأعلامه واضحةً، فتمّم الله على الوزير النِّعَم، ووقاهُ النِّقَم، وأحلّ بساحته الخيرات، وحماها من النّوائب والعثرات، ولقاه في نفسه النفيسة، وذريّته الطيّبة، ما لقانيه في نَفْسي وذريتي من سُكون الجأش، واجتماع الشّمل[4]، ووفّقه في الدّنيا لما يُديم فوائدها، وفي الآخرة لما يؤمن عَواقبها، بقُدْرته.

وقد سألتُ موصل هذه الرّقعة تعريف الوزير ما عرفه من صُورتي، وتيقّنه من استواء ظاهري فيما قلتُ وكتبتُ وباطني، وتنجّزه - أدام الله عِزّه - لي ربّ النِّعْمة التي أسداها، والعارفة التي أولاها، وأنْ يُظهر من جميل رأيه فيما يغسل دَرَن الموجدة عني،

---

(١) (والاجتهاد في) ساقط في ف.

(٢) ر: فانسبوا.

(٣) ف: دارصوادايت (كذا).

(٤) ساقطة في ف.

وآمنُ به شماتة عدوّي، ومَساءة صديقي. وسَيِّدنا الوزير الرئيس - أطال الله بقاءه - أعلى عيناً، وما يراهُ في ذلك غير مستنكر تحكّمي، ولا متعجّب من اشتطاطي، فإنّ كرمه طرّق لي إليهما، وفَسَح ووَسّع لي فيهما، إنْ شاء الله.

وكَتَب
إلى أبي الحسن مُحمّد بنِ أحمد الـجَرْجَرائي[١]

لو كنتَ يا سَيِّدي ممّن يُعْرَفُ منهُ سوءُ العَهْد، والتغيُّر مع البُعْد، لاغتنَمْتُ منك الصَّفْو، وأخَذْتُ العَفْو، وضَرْبتُ صَفْحاً عمّا يعترضهما، وطوَيْتُ كَشْحاً على ما يشوبُهما، ولا سِيَّما وتلك عادةٌ لي قد رُضْتُ نَفْسي عليها، وسُسْتُ ما بيني وبين أكثرِ الإخوانِ بها، إذ كانت المسامحةُ أنجعَ فيهم، وأوْصَلَ لحبالِهم، لكنَّك المهذَّبُ الذي لا أشرَبُ في مَودَّتهِ على القَذى، ولا أُغضي منهُ على الأذَى.

وقد وَدَّعتُك يا مَوْلاي قبلَ انحدارِي مُكاتِباً، إذ لم أُمكَّنْ[٢] من تَوْديعِك مُشافِهاً، وأبثَثْتُكَ من أمري ما تأخَّرَ جَوابُه، مع تيقُّني وُصولَهُ[٣]. ووالله، لو أجبْتَ ثم أمسكْتَ بعد الإجابةِ عن الصِّلةِ هذا الإمساكَ الطّويل لما وَسِعْنا جميعاً الاصطلاءُ على العُقوق، وترك التَّلاوم فيه، والتَّعاتُبُ[٤] عليه.

وبَلَغَني في هذا الوقتِ أنّك وجَدْتَ رَمَداً في عينِك - أرْمَدَ الله عنكَ عينَ الزّمان وطَرْفَها، وصَدَّها عن محاسِنِكَ وصَدَفَها - فأقلقني ذلك وأهمَّني، وبَلَغَ كُلَّ مبلغٍ مؤلِمٍ[٥] منّي، وأخلَصْتُ دُعاءَ الله سبحانَهُ بأنْ يتوحَّدك بالكفاية والوقاية، ويتولّاك بالحراسَةِ والرّعاية، وأنْ يجعَلَ العافيةَ لجسمِكَ شِعاراً، ويجعَلَهُ لها قَراراً.

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة. (ل، ف، ق: الجُرْجاني). وقد تقدّم تعريفه، انظر ج٢، ص٣٧٠.

(٢) ف، ر: أتمكن.

(٣) ف، ر: ثقتي بوصوله.

(٤) ف: والعتاب.

(٥) من: ج.

ورَأيتُ القَطيعةَ أقبحَ ما ساعَدْتُكَ عليه، والخِلافَ فيها أحسَنَ ما عاملتُكَ به، فكتبتُ هذا الكتابَ، عائداً ممّا اتَّصلَ بي، ومستعيداً لكَ إلى البرِّ الذي كنتَ عَوَّدتَني، ومُعاتباً على أنْ أهملْتَ مِنّي مَن يعودك على بعد الدّارِ من الرَّمَدِ الذي لا يُعادُ منهُ على قُربِها، وهو محتاجٌ إلى العِيادةِ من علَّةِ حالِه، وجفاءِ سَفرِه، وتَنكُّرِ زَمانِه، ونُبوّ سُلْطانِه.

فإنْ رَأيتَ يا سَيِّدي -أيّدك الله- أنْ تُبشِّرَني بها وهَبَ الله من إقالتِك، وتمَّمَ من صحَّتِك، لأسكُنَ إلى زَوالِ المحذورِ عَنك، وأشْرَكَك[1] في النِّعْمةِ اللّابِسةِ لك، وتُعَرِّفَني ما تُعوِّلُ عليه فيما تقدَّم ذكْرُه من عُذرٍ يصحبَهُ الوُضوح، أو[2] إقرارٍ يقترِنُ به النزوع، وتُكلّفَني مهمّاتِك وأمْرَكَ ونَهْيك، وتَبسُطَ[3] إليَّ في كلِّ وَطرٍ لك، فعلتَ إنْ شاء الله.

وكَتَب[4] من المعسكَرِ بتلِّ هَوارا[5] يومَ الثلاثاء لثلاث ليالٍ[6] بقينَ من جُمادى الأُولى، وقد لاحَتْ دلائلُ رَحيلِنا عنه، والله يُسَهِّلُ ذلك، ويَخيرُ فيه بمَنِّه[7] وقُدْرته، وهو حَسْبي[8].

---

(١) ف، ر: أشكرك.

(٢) ف، ر: و.

(٣) ل، ر، ف: تنبسط.

(٤) ج: وكتبت.

(٥) قرية على أربعة فراسخ من مَناذِر. التنوخي، الفَرَج بعد الشدة، ج٤، ص١٧٧. ومَناذِر: بلدتان في الأحواز (الأهْواز) الواقع في شمال شرق الخليج العربي. وثالثة من قرية البطيحة. قال السمعاني: النسبة لها (تَلْهَواري) وهي من مدن العراق. الأنساب، ج١، ص٤٧٥.

(٦) من: ف.

(٧) ساقطة في ج، ر، ف.

(٨) (وهو حسبي) من: ج، ر، ف.

وكَتَب إلى قاضي القضاة
أبي مُحمّد عبيد الله بن أحمد بن مَعْروف
وقد كان زاره في مُعتقله
رقعةً هذه نسختُها[١]:

لقد قوّى دخولُ سَيِّدنا قاضي القضاة إليّ نَفْسي، وجدّد أُنْسي، وأعزب نَحْسي، ووَسَّع حَبْسي ؛ فدعوتُ الله - تعالى - بما قد ارتفع إليه، وسَمِعه له. فإنْ لم أكن أهلاً لأن يُستجاب منّي، فهو - أيّده الله - أهلٌ لأن يُستجاب فيه، وأقول مع ذلك :

دخلتَ حاكمَ حُكّام الزّمانِ على ... صَنيعةٍ لك رَهْن الحبسِ مُمتَحنِ
أخْنَتْ عليه خُطوبٌ جارَ جائرُها ... حتى توفّاه طولُ الهمّ والحزنِ
فعاش من كلماتٍ منك كنّ له ... كالرُّوح عائدةٍ منه إلى البَدَنِ

---

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٣٤٨.

وكَتَب إليه أبو عليٍّ الحسين بنُ مُحمّد الأنباريّ
بواسِط
وأبو إسحاقَ يخلُفُ الوزير
أبا الفَضْل العَبّاس بنَ الحسين الشِّيرازي
بحضْرةِ الأمير مُعِزّ الدَّوْلة[1]

لو عَرفتُ عُذرَك -أطال الله بقاءك- في الذّهابِ عنّي، والصَّفْح عن الفكْرِ فيَّ، إمّا مُعْتقِداً مُتَطوِّعاً، أو مُتَجمِّلاً مُتكلِّفاً، لَخَفَّفَ ما أجِدُه من مَرارةِ إعْراضِك، وألمِ جَفائِك، أو طِبْتُ[2] نفْساً بخروج مثلِكَ يا مَوْلاي عن يدي، وقد اتّفَقْنا كهلاً وفتىً، ثم صِرنا شَيْخاً ومُجتمِعاً، لَوطَّنتُها على الصَّبْر، أو انفرَدَ هذا في الحقوقِ المتعاطاةِ ظاهِراً بين الإخوان، ولم يكُنْ مجتمعاً إلى إغْفالي فيما تترَقَّى إليه من تَصرُّف، وتكتسِبه[3] من فَضْل جاهٍ، وتقسِّمُه في النّاس من حُسْنِ مَناب، ويَحتاجُ إليه مثلي من مثلك، مع قَبْض

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة. (العنوان في ف مضطرب: أبو الحسين علي بن مُحمّد الأنباري). (الشِّيرازي) إضافةٌ منّا.
أبو علي الأنباري أحد الكُتّاب، وكان يخلف في بعض الأحيان الوزير أبا مُحمّد المهلبي وزير مُعِزّ الدَّوْلة، وهو صهره زوج ابنته. الحاتمي، الرسالة الموضحة، ص٦٦؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السَّلام، ج٨، ص١٢٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٧٠؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج١، ص٢٠٦.

(٢) ف: وطنت.

(٣) ف: يكسبه.

خَطْوي[١] وبَسْطِ يَدِك، لكان الخطْبُ أيْسَر، ولكنّ اجتماعَ متفرِّقاتٍ من جهتِكَ يا سَيِّدي كانت تَسهُل من غيرِك، حرَّكني لهذه المخاطَبة، وحَملني على المعاتَبة. وقد كانت معمورةً في مَواهب الله بك عندي، مَغْفورةً[٢] في جَنْبِ قديمِ برِّكَ بي، غير موجـودةٍ في حُسْباني، ولا داخِلةٍ في حسابي، فاضطرَّني الإفلاسُ - وقتي هذا من كُلِّ ما يَرفَـعُ طَرْفـاً، أو يَبُـلُّ قلباً - إلى التّفتيش عليها، وسُلوكِ طريق اليهودِيِّ في نظرِهِ في دَواوينه العُتْق حتى أثرتها. وما أهْونَ أذاها إنْ نَصَصْتُ، وأذهبَها[٣] من همّي إنِ استأنفْتُ آخرَ عهدي بك يا مَوْلاي قبلَ شُخوصِكَ عن البصـرة الاجتماعَ بالأُبُلَّةِ في دارِك، ثم وَرَدتُ واسِطاً هذه أخرجَني الله عنها في عافية، فلم تعرف خبَري برسولٍ ولا رُقعة، فقلتُ: الشُّـغلُ[٤] وأغراضـه[٥]، وجئتُك فدخَلْتُ الرّحْلَ و[٦] الخرْكاه[٧]، وجمَعْتُ إلى تكليفِ الغِلْمان أخباركَ يـا سَـيِّدي بحضوري أنْ عرَّفتُك إيّاه، وأقمتُ اللّقـاءَ في العسـكرِ مَقـامَ التّـزاوُر، وتـأخَّرتُ عـن الرُّكوبِ يوماً، فكان قَصْدي إيّاك في السَّحَرِ إلى الدّار، ثم اتَّبعتُكَ منها إلى العَسكر.

ثم شخَص سَيِّدنا الأُستاذ -أطال الله بقاءه- واعتلَلْتُ، وانقطَعْتُ عنكَ انقطاعاً أُعادُ فيه، أفأعْوَزَك غُلامٌ أم كَتْبُ أحرُف؟ إمّا للعِيادةِ أو للتفقُّدِ، إنْ لم تكن عرَفْتَ خَبرَ العلَّةِ !

---

(١) من: ج، ر، ف.

(٢) ر، ف: معقوده.

(٣) ج: وأذهبني.

(٤) ساقطة في ج.

(٥) ر، ف: واعتراضه.

(٦) (الرحل و) من: ج، ر، ف.

(٧) في الأصول: الخركاء. يقصد: الخركاه وهي الخيمة.

والله لو تَحَلَّيْتَ بالنُّجوم، وكتبْتَ بعُطارِد، ورَكِبتَ مَنْكِبَ القَوْس، وطعَنْتَ بالسِّماكِ الرّامح، ومَدَحَك زُهيرٌ مَدْحَ هَرمٍ، وأنتَ - لعَمْرُ الله - ابنُ سِنان[١]، ولكن عُدِمَ[٢] مثلُ زُهَير، ثم سقَطَ عنك[٣] شُكرِي، فَضْلاً عن أنْ تلحقَكَ استزادتي، لظننتُ أنّ أنّ قلبَك - عَمَرهُ الله بمسرَّتِكَ - لا يَبْرَأ من تلك الفضائل مَشُوبةً منتقَصَة، وتلك النِّعْمة متخوَّنةً منغَّصة.

فإنْ رأيتَ يا سَيِّدي أنْ تُكمِّلَ فَضائلَكَ بِبِرّي، وتَصِلَني ولا تقطَعَني، ولا تكدِّرَ صَفْوَ ما بينَكَ وبيني، وترُدَّ رُقْعتي هذه إليَّ، فإني أرفَعُ ما مكَّنهُ الله من الحال، ومَهَّدَهُ من الاتّصال[٤]، عن أن يَظهرَ لخاصٍّ أو عَامّ، أنّي ارتجعْتُكَ عن إعراض، أو استصلَحْتُكَ[٥] عن فَساد، فعلتَ إنْ شاء الله.

---

(١) يقصد مدح زهير بن أبي سُلْمى لهرم بن سنان المرّي وهو من سادات العرب قبل الإسلام.

(٢) ر، ف: عدمت.

(٣) ل، ج: عنه.

(٤) ق: الأفضال.

(٥) ف، ر: استخلصتك.

فأجابه أبو إسحاق
وقد كان قلبُه طافحاً من سُوءِ مَودَّتِه وقلّةِ إنْصافهِ[١]

وَصَلتْ رُقعتُكَ -أطال الله بقاءك- وفَهِمتُها، ووجَدْتُها مُفْتَتحةً من تفضُّلِكَ بما يوجِبُ الشّكر، ويستعبدُ الحُرّ، ويُشاكِلُ قديمَ الأحوالِ[٢] التي نشهَدُ جميعاً بتأكُّدِها، وتمكُّنِ أسبابِها، وأرغَبُ خاصَّةً إلى الله[٣] في إعادْتِها ممّا يَشُوبُها، وصيانتِها عمّا يقدَحُ فيها، فوطَّنتُ نَفْسي على أنْ أُسلِّمَ لكَ يا مَوْلاي في جوابِها أكثرَ من مُرادِكَ بها، تصديقاً لقولِكَ فيما اعتدَدْتَ به من البرِّ بي، واعترافاً لكَ بما ادَّعيتَهُ من الجفاءِ عليَّ.

ثم لم أتوسَّطْهَا حتى رأيتُك قد ارتَجعْتَ ما أعطيتَ، وابتزَزْتَ ما كسَوْت، فوددتُ أنّ الله قد منَحَني الفَهمَ الثّاقِبَ في صَدْرِها، وسَلَبَنيهُ في أعْجازِها، حتى تتلبّسَ[٤] قَوارِصُها عَليَّ، وتخفَى لَواذِعُها عنّي، فأكونَ قد قبِلتُها قَبولَ العَييِّ[٥]، وشكَرْتُها شُكرَ الغبيّ. ولوِ اتّفقَ ذلك، لحَصل -أيّدك الله- شفاءُ صَدْرِك، وأمِنْتَ من تألُّمِ[٦] قلبي فيك[٧]، وكُفيت أني[٨] أقِفُ معك مَوقفاً أكونُ فيه محجوجاً بلزوم الحجَّةِ لك،

---

(١) چستربتي، طهران، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة.

(٢) ساقطة في ف.

(٣) (إلى الله) ساقط في ف.

(٤) ل، ف: تلتبس.

(٥) ج، ط، ف، ر : الصبي.

(٦) ج، ر، ف: ألم.

(٧) ساقطة في: ر، ف، ع.

(٨) (فيك) ساقطة في ج، وبعدها: وهنت أن.

ومخصوماً باتّجاهِ الخصامِ عليك.

وأمّا تطوُّلُكَ -أدام الله عزَّكَ- فيما تمسَّكتَ به من وُدّي، وسَلَّطتَهُ من العِتابِ[١] المستبقَى له فيما بينك وبيني، فما زِلتَ يا سَيِّدي -أدام الله عزَّك- تعتمِدُ ذلك في أداني أوليائك[٢]، وأصاغِرِ أودّائك[٣] الذين أعُدُّ نَفْسي فيهم، وإنْ زِدْتَني بتفضُّلِكَ عليهم.

وأمّا اجتماعُ المتفرِّقاتِ التي اقتضتِ النفْثَ، فأسألُ الله أنْ يُبقي مَن بثَّها متفرِّقةً، وعاتَبَ عليها مُجتمِعةً، وأنْ يَرزُقَني الصَّبْرَ عليه، كما حرَمَني الإنْصافَ منهُ. وأمّا قولُكَ يا مَوْلاي: إنّ النَّظَرَ في الدَّواوين العُتْقِ أدَّاكَ إلى الإفاضةِ فيما لا مَدخَل له في حُسْبانِكَ ولا حِسابِك، وتعديدِ ما تُهَوِّنُ به إنْ نَصَصْتَ، ويَذهَبُ عن قلبِكَ إنِ استأنفتَ، فإنْ كنتَ ترى أنّ لهذا القولِ مَدْخَلاً في الجميلِ الذي يُعتَدُّ به، قَبِلتُهُ منك تَقْليداً، أو أخَذْتُهُ عنكَ مُسَلَّماً، وأوجَبْتُ شُكرَكَ ملتزِماً مُفترَضاً. وإنْ كان له مَدخَلٌ في غيره كلَّفْتُ نَفْسي مَرارَةَ طَعْمِه، وجَشَّمتُها مَشقَّةَ كَظْمِه، وأغضَيْتُ[٤] عنه مع وُعورَةِ مَسْلَكِه، وأمسكْتُ عن الجوابِ مع قُربِ مَأخذِه.

وأمّا قولُكَ - أيّدك الله -: إنني لو تحَلَّيتُ بالنّجوم، وكتَبْتُ بعُطارِد، ورَكِبتُ منكِبَ القَوْس، وطعَنْتُ بالسِّماكِ الرّامح، ومَدَحَني زُهَيرٌ بمَدْحِ هَرِم[٥]، لا يَنقُصُني سقوطُ شُكرِك، فَضْلاً عن اطّرادِ عَتْبِك، فإنْ سَلِمَ هذا الفَصلُ من الجمْز[٦]، وخَلَصَ

(١) ف: العقاب.

(٢) ف: أحبائك.

(٣) ف: أوليائك.

(٤) ف: اضربت.

(٥) (منكب .... هرم) وضع ناسخ ف بدلها: ألح (بالحاء) ولعله قصد إلى آخره.

(٦) أي: الاستهزاء. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٢٤ (جمز).

من الطَّعْنِ والغَمْز، فقد صَدقَ قائلُهُ، صَدَّق الله فاه، وأطال بقاءه. والله ما تسلَمُ لي فضيلَةٌ مع ذَمِّك، ولا تنصرفُ عني شائنةٌ مع إعْراضِك:

فمَـن لِيَ بـالعَيْنِ التـي كنـتَ مَـرَّةً إليَّ بهـا نَفْـسي فِـداؤكَ تَنْظُـرُ[1]

ولكنَّك يا سَيِّدي تحسُبُ لنفسِكَ ولا تُحاسِبُها، وتُجادِلُ عنها ولا تُجادِلُها، وتطالبُ لها بما هو في الحقيقةِ فَريضَة، وتُسقِطُ عنها ما عندَكَ أنّه نافلَةٌ، وتجِدُ منّي من مُعاطَفةٍ في طاعتِكَ ليِّنَةً، وبَصِيرةٍ[2] في مُوالاتِكَ حَسنة، وقد أَلِفتُ أنْ تقولَ لي ولا أقولَ لك، وأنْ تَظلِمَني ولا أقتصَّ منك.

ورُوِيَ أنّ فتىً من العَربِ أفرَطَ عليه عَمُّهُ في مُماظَّةٍ[3] جَرَتْ بينهما، فقالَ له الفتى: يا عمّ، إنّ السَّبَبَ الواصِلُكَ بي هو الواصلي بك، وإنّ عظيمَ حَقِّكَ عليَّ لا يَذهَبُ بصغيرِ حَقّي عليك. ولا أقولُ: إننا سَواء، ولكنْ قد أفرَطْتَ في الغُلْواء، أما تراني يا سَيِّدي ونُظَرائي من مَعارِفِكَ وأوْليائك الذين لم أقِلَّ فيهم عن نظيرٍ منهم، ولا انفرَدْتُ بانحطاطِ الطَّبقةِ من بينهم، وأنا في إعظامِكَ إمامُهم، وفي إجْلالِكَ أمامُهم، وأوجب لك في المعاملةِ والمخاطَبة، والمكاتَبة والمراقَبة ما لا أقدِرُ على أكثرَ منه، ولا فيهم مَن يقرُبُ من[4] غايتي فيه، وأنتَ تزيدُهم عَليَّ فلا أنقبض[5]، وتَنقِصُني منهم فلا

---

(١) لأبي العتاهية. ديوانه، ص٢١٥؛ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج٤، ص٦٨. ولكن (في سالف الدهر) بدل (نفسي فداؤك)، وهو ما جاء في ف.

(٢) ج: بصيرته.

(٣) المماظّة: الخصام والشَّتم. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٤٦٣ (مظظ).

(٤) ف: يقدر على.

(٥) ف، ر: أتقبض.

أمتعِض، من حيثُ لا تَرى لنفسِكَ - أحياهـا الله - شريكـاً في هـذا الاعـتمادِ فيّ[١]، ولا متَّبِعاً في المقصَدِ بي.

ولا تَراني يا مَوْلاي أظُنُّ بكَ العَتْبَ ظنّاً، فَضْلاً عن أنْ أستمعَهُ يقيناً، فيستهلِكَ ذاك نَوْمي، ويَقُضَّ مَضْجَعي، فكيف تتَوهَّمُ عليَّ ما جَبَهْتَني به من ذهابي عَنْك، وتركي الفِكْرَ فيك.

ولما نشِطتَ يا سَيِّدي بأنْ تسترِدَّ من وُدِّي ما حسِبتَ أنّه ذهَب، وتَسترجعَ[٢] من إخلاصي ما تخَيَّلتَ أنّه عَزَب، ألا أمَطْتَ الشَّوْبَ عن جميلِ قولِك، وحَذَفْتَ الغَلطَ المعترضَ في لطيفِ بِرِّك؟ فكان أقلَّ ما في ذلك أنْ يخفَى مَنشَأُ الجفاءِ المذمومِ بيننا، فلا يقومُ الشّاهِدُ على مُستعملِهِ منّا.

وهَبِ الوشائجَ[٣] ذَهَبت، والأواصِرَ سَقَطَت، والحُرَمَ اطُّرِحَت، والعِصَمَ قُطِعَت، من أينَ لكَ عَدّوٌّ - وأعوذُ بالله - فَضْلاً عن وليّ - بحمدِ الله - تُكاتِبُه بمثلِ رُقعتِك فيفهمها، ويُجيبُكَ - ناصِراً لحقِّه، أو مُغَطِّياً على باطلِهِ - بمثل جَوابي إيّاك[٤] عنها؟ أتُرى العدَدُ كثيرٌ فهانَ عليكَ فَقْدُ الواحِد، أم هو في القلَّةِ بحيث يَقتضيكَ أنْ تحنُوَ عليه حُنوَّ الوالِد؟

والله ما ظنَنْتُ أني أُطِيلُ جَوابي لما ابتدأتُه، لكنّ بَناتِ صَدْرِي جاشَت، وشِعابُ فِكري سالَت، ووَجَدْتُ الذَّريعةَ مُجيبةً[٥] إلى ما كنتُ أطلبُها إليه، بادِئاً لا مُريدَ شِفاءِ

---

(١) ساقطة في ف.

(٢) ف: رجع، وترجع.

(٣) ف: الوشائع.

(٤) ساقطة في ب.

(٥) ج: مجيباً.

قلبٍ من مَرض، بل شفاءِ وُدٍّ من عَرَض. وأُشْهِدُ الله أنني ما انصرَفْتُ قطُّ عن طاعةٍ لكَ يا مَوْلاي ومُوالاة، ومحبَّةٍ ومُصافاة، وإنني لَأمتحِنُ نَفْسي في المُلِمّاتِ والشّدائدِ حُوشِيتَ منها، وفي المسارِّ والفَوائد، لا زِلتَ معمورَ الفِناءِ بها، لأنظُرَ كيف ثباتُها على القديمِ، أم كيف تغيُّرُها من الحادثِ؟ فأجِدُها من آفاتِ النقصِ[1] سَليمةً، وعلى أحسن العهدِ مُقيمةً، وعن كلِّ نُكْرٍ نازِعة[2]، وإلى كلِّ عُرْفٍ مُنازِعة. وما مَدحتُها رِضىً عنها، ولكنِ استعطافاً لقلبِ سَيِّدِها عَليها.

هذا يا سَيِّدي قولي في الأُصُولِ، فأمّا الفروعُ من تَفضُّلِكَ عليَّ بالحضور، وتأخُّرِي عنك الذي لم يكُنْ لتقصيرٍ فسيسقطُه بيننا فراغُنا من مَرمَّةِ ما قبلَهُ، وانتهاؤنا إلى آخِرِ ما شَرَعْنا فيه.

وكتبتُ جوابي هذا وأنا في أثَرِهِ، على أنْ لا تقَعَ بينَنا[3] مُشافَهةٌ بشيءٍ من مُتَضمَّنه، فكفانا عاراً أنْ نتكاتبَ بمثلِه، فَضْلاً عن أن نتواجَهَ بإعادَته، والسَّلام.

ولوِ اتّسعَتْ رُقعتُكَ يا مَوْلاي للإجابة فيها لكانتْ عائدةً، لكنَّها رهْنٌ على جَوابِها الذي كرِهتُ أنْ يَنفرِدَ عنها، وإنْ كان لا حاجةَ بنا مع التَّصافي إلى تخوُّفٍ[4] فيما نتكاتبُ به من بقائه، ولا تحرُّزٍ باستهلاكهِ، والحمدُ لله وحده[5]، وهو حَسْبُنا ونِعْم الوكيل.

---

(١) ف، ر: الفتن.

(٢) ج: فازعة.

(٣) ساقطة في ل، ف.

(٤) ف، ر: تخون.

(٥) من: ر، ف، وبها تنتهي الرسالة فيهما.

وكَتَب من الاعتقال

إلى قاضٍ[1]

الشكوكُ - أطال الله بقاء القاضي - أقارب وإنْ تباعدت بينهم، وهذا قولٌ إذا أردته به ونَفْسي فقد نقَصتُه ممّا يجب له، واستزدتُ على ما يجب لي. وما أولاه - أيّده الله - بالمسامحة فيه، وخاصّةً مع الاعتراف بالإقرار، ويبلغني من فَضْل القاضي ونِعَمه عنده وعند إخوانه فيه، ما يشوقني إليه ويعلّق أملي به، ويقتضيني تأثيلَ حالٍ معه، وتمكينَ مَودّةٍ بيني وبينه.

ولو وَجَدتُ سَبيلاً إلى مُواصلته[2] بخُطَى قَدَمي لما اقتصَرتُ على خطِّ يدي، وبي إلى مُلاقاته مع ذلك الشّوقِ حاجَةٌ ماسَّة، والسَّبيلُ إليها نَهْج، والمرامُ لها سَهْل. فإنْ رَأى القاضي - أطال الله بقاءه - أنْ يُعطيني من نَفْسه النَّفيسة أكثر ما يُعطيه الصّديق الرّاغب فيه، المثابر عليه، فَعَل إنْ شاء الله.

---

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي. (إلى قاضٍ) إضافةٌ منّا.

(٢) ف: مواصلتي.

فَصْلٌ من جَوابِ أبي إسحاق الصّابي
على تَذْكِرةٍ عملها الشّريف الرَّضيّ وأنفذها إلى أبي إسحاق
وقد رُسِمَ له من حضرة الطّائع لله أنْ يكتب له عَهْداً بإفراده بتَقْليد
نقابة نُقباء الطّالبيين والنظر في أمور المساجد بمدينة السَّلام
واستخلافه لوالده على النظر في المظالم والحجّ بالناس
وكانت الخِلَعُ السواد عليه تأتي إليه من دور أمير المؤمنين الطّائع لله بعقب ذلك
وأنشىء العهد على هذه التَّذْكِرة
وذلك في سنة ثمانين وثلاثمائة [1]

فأما حاجةُ سَيِّدي الشّريف النّقيب أبي الحسن – أدام الله تأييده – وقولُك إنّ التَّذْكِرة بها عندك منذ أيّام، فالذنْبُ في تأخيرها لك، والعتبُ عليك، متوجهُ منه – أيّده الله – ومنّي إليك، لأنك خالفتَ إيثارَه وأمره في التأدية إليّ، وعرَّضْتَني لِتُهمَتِه في أنّ التأخيرَ من جِهَتي. والآن[2] فأمْرُه المسموعُ المطاع، وقد تلقّيته بالبِدار والإسراع، على أنّ عَهْدي بالعَمَل بعيد، وذِهْني بعد المضاءِ كَليل، وخاطري بعد الصحّة عَليل، وقلبي بعد الفَراغ مشغول. وما عليّ إلّا الجهد، وأنا أَبْلُغ غايتَه ونهايته، وأعملُ نُسْخة أُنْفِذُها إليك – أنا أفديك – لتوصِلَها إليه – أدام الله عزه – وتقولَ له عنّي: والله يا سَيِّدي لو

(١) ليدن والعنوان فيها: (فصل)، رسائل الصابي والشريف الرضي، ص٧٣.
انظر: الرسالة التي تقدّمت في ج٢، ص١٩٦.

(٢) من هنا يبدأ النص في ل.

كتبتَ أنتَ ما استكتَبْتَنيه، وكفيتَ نفسَك ما استكفيتَنيه، لكنتَ أجرى منّي يداً ولسـاناً، وأطولَ شَأْواً ومَيْداناً، وأكثرَ إصابةً وإحساناً؛ لأنك ترجعُ إلى نَسبِكَ العربيِّ الشـريف، وأدبِكَ المبرّ[1] المنيف، فتكونُ بهما أحَزَّ مِنّي لمفاصل الكلام، وأسبق إلى دَرْك المـرام. والله يُطيل بَقاءه، ويُديم عَلاءه، ويُوفي به على أفضل أمانيِّه لنفسِه، وأمانيَّ فيه وله، بقُدْرته[2].

ولعلّي أسْتَقِلُّ من هذا الضّعف فأكونَ الموصلَ لما أعملُه من يدي إليه، أدام الله تأييدَه، إنْ شاء الله.

(١) من: ل فقط.

(٢) بهذه الكلمة ينتهي النص في ل.

نُسْخة جوابٍ من أبي إسحاق الصّابي
عن رقعةٍ كتبها الشّريف الرَّضيّ إليه
يسأله فيها إنشاء عهدٍ ثان عن الخليفة الطّائع لله
بتَقْليد عملٍ كان شرع له في تقلّده
في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة[1]

وَصَلت رقعةُ سَيِّدنا الشّريف النّقيب – أطال الله بقاءه، وأدام تأييده وعزّه وسُموّه وعُلوّه ونعمته – بادِئةً بالفضل والتّفضُّل، وسابقةً إلى الكرَم والتَّطَوُّل. ولولا العِلَّةُ التي قد أخذت بِمُخَنَّقي، وجثمت على مَدارج نَفَسي، لما أخللتُ بقَصْد حضرتِه، والمواظبة على خِدْمتِه ؛ فالله سبحانه يعلمُ أنّ عيني ما تكتحلُ بِغُرّةٍ هي أعزُّ عليّ من غُرّته، ولقد أهدى إلى يوم تجشُّمِه العناءَ إلى دارِه التي أنا ساكنُه فيها بمشاهدةِ ضياء وَجْهه، ومناسمةِ شريف خُلُقه، تُحْفَةً لا يكاد الزّمان يسمحُ لي بمثلها، ولا يُمْكِنُني من اهتبال غِرَّتِها، مع الظاهر من قَصْدِه لمساءَتي ومُغالطَتِه لي عن قضاء مآربي. ووددْتُ أنّ القُدْرة ساعدتني على مُلازمة حضرته، والاستمتاع والانتفاع بمفاوضته ومُذاكرته. وأنا أمتثلُ ما رَسَمه – أدام الله تأييده – في أمر العَهْد الثاني على ما حدّه ومثّله ورَتَّبه وقَرَّرَهُ. ولولا تخوُّفي من مُخالفة مَراسِمِه، وتحرُّجي من الوُقوف عن أوامره لما أجبتُ إلى هذه الحال، علماً منّي بأنّه – أدام الله تأييده – إذا تولّاها بنفسه، ورَماها بالعَفْو من هاجسه، كان

---

(١) رسائل الصابي والشريف الرضي، ص٨٠.
انظر: الرسالة التي تقدّمت في ج٢، ص١٩٦.

أفْرَس منّي على حِصانها، وأحذَق بتَصْريفِ عِنانِها.

وأنا أُقَدِّمُ إنشاء العَهْد وإنْفاذه إلى حضرته الجليلة، على البراءة من عُيوبه والإقرار بتَقْصيره. فلولا ما ذكرته من طاعتي له لما عَرَضْتُ المُقْرِفَ للجَواد، والخللَ للسَّداد. وعلى أنني أعلم أنّه – أدام الله تأييده – بجميل رأيه، لا يخليه من رضيً عن صَوابه، وتقويمِ لاضطرابه، إنْ شاء الله.

نُسْخة جوابٍ على كتاب الشّريف الرَّضيّ
وكان الصّابي قد سأله رأيه في بعض شعره
فكَتَب الشريف نقداً رصيناً
فأجابه أبو إسحاق عن ذلك وهو عليل[١]

قرأتُ ممّا كتب به سَيِّدُنا الشّريف النّقيب – أطال الله بقاءه – وأدام تأييدَه وعَلاءَه، وكَبَت حُسّادَه وأعداءَه – وجوابي عنه أنّي أسأل الله أنْ يصرفَ عنه عَيْن الكمال، ويحفظ به على الدَّهْر الجمال، فوالله ما قرع الأسماعَ أحسنُ من نَظْمه إذا نَظَم، ونَثْره إذا نَثَر، وحُكْمه إذا حَكَم، وفَصْله إذا فَصَل. فلو استطعتُ أنْ أسعى إلى أنامله التي سَطَّرت تلك البدائع، ورَصَفَت تلك الجواهر، لفعلتُ مُسارعاً حتى أُودِعَهُنَّ عن كلّ حرفٍ قُبلة، وأسْتَلِمَهُنَّ جُملة ؛ إذ كنَّ للفَضائل مَعادن، وللمَحاسن مَكامن.

وأرجو أنْ أجدَ خفّاً ولو إلى حين، فلا أتأخرُ عن حضرته التي ما أسعدَ مُلازميها، والمقَضَّينَ لأعمارهم فيها، إنْ شاء الله وبه الثقة، وهو حسبي ونِعْم الوكيل.

---

(١) رسائل الصابي والشريف الرضي، ص٩٤.

نُسْخة رقعةٍ كتبها أبو إسحاق الصّابي للشّريف الرَّضيّ يُهنّئه فيها بعيد الفطر من سنة أربعٍ وثمانين وثلاثمائة ويعتذر من تأخّره عنه بالعلّة التي به وقَرن بهذه الرّقعة قصيدةً يمدحه فيها[1]

أطال الله بقاء سَيِّدنا الشّريف النّقيب، وأدام عَلاءَه وتَمّم نَعماءَه، وعرَّفه بركةَ العيد النّازل، وتقبَّل أعمالَه في الشَّهر الرّاحل، وأناله من آماله غاياتِها، ومن أمانيِّه نهاياتِها، ومن مَساعيه أقاصِيَها، ومن مَعاليه نواصِيَها. وألّف له بين تصاريف الأقدار وعَوارض الأقدار[2]، حتى يكون ممّا نحبه مُمكَّناً، ومما نحذره مُحصَّناً، وبالمواهب كلِّها مُمتَّعاً، ومن النّوائب مَحْميّاً مُمنَّعاً، بقُدْرته.

أصبحتُ – أطال الله بقاء سَيِّدنا الشريف – محمولاً حمل الرّديف على ظهر زمان، إنْ حُثّ إلى مَصْلحةٍ جَنَح، أو ثُني عن مَضرّةٍ جَمَح. الأمرُ كلّه إليه، والعِنانُ والسَّوْطُ في يديه، فأنا الرّاكبُ وهو الضّارب، وأنا المملوك وهو المالك. قد أنزلني منزلةَ الأسير، وتحكّم عليّ تحكُّمَ الأمير، ثم قَذف بي إلى الفراش، وباعَدني عن الانتعاش، وحَصّ جَناحي بعد الرّياش، ونكبني في الحال والمعاش؛ فهو الغَشوم الظَّلوم، والمُذَمَّم الملوم، الذي إنْ أطعم لم يُشبع، وإنْ أكَل لم يَشْبَعْ. وإنْ أعطى خفَّفَ، وإنْ أخذ أجحَفَ وأسْرف.

---

(١) رسائل الصابي والشريف الرضي، ص٩٥.

هذه الرسالة من أواخر ما كتب في الإخوانيات، حيث توفي في هذا العام.

(٢) كذا مكررة.

عجزتُ عن مُداراة خَلائقه أيّام جَلَدي، فكيف أثْبُتُ لها في أوان أَوَدي ! لكنني أحْمَدُه على تجافيه عن سَماحة سَيِّدنا الشريف، ومقرِّ عزه المُنيف، وأرغبُ إلى الله في تَذْليله لهما، وتَسْخيرِه لحمايتهما، وصَرْفه عن العَيْث فيهما، والله يفعل ذاك بفائض رَحْمته، وجميل عاداته.

ولولا هذا العذرُ الواضح، لما اقتصرتُ في قَضاء حَقّه على المكاتَبة دون القَصْد والمواظبة، والزّيارات المتتابعة المتقاربة، وأقول في ذلك :

قـد كنـتُ أخطـو فصـرتُ أمطـو ... وزاد ضَـعْفي فصـرتُ أعْطُـو
خانَـت عُهـودي يَـدي ورِجْـلي ... فلـيسَ خطـوٌ ولـيس خَـطٌّ
كُـلٌّ عـلى كُـلِّ مَـن يَلينـي ... أُشـال كالثِّقْـلِ أو أُحَـطُّ
وسَـوف أُفضـي إلى أوانٍ ... عَـلَيَّ فيـه الحِـمامُ يَسْـطُو
فَلِلْمَنايـا إليَّ قُـرْبٌ ... وللأمـاني نَـوىً تَشِـطُّ
ولِلَّـذي أتَّقيـه وَشْـكٌ ... ولِلَّـذي أرْتَجِيـهِ شَـحْطُ
مثـلُ الغَـرِيمَيْنِ: ذا مُلِـحٌّ ... فَـظٌّ التّقـاضي، وذا مُلِـطُّ
هاتيـكَ حـالي فهـل لِعُـذْري ... إذا تـأَخَّرْتُ عَنْـكَ بَسْـطُ !

وقد وَصَلتُ بهذه الرُّقعةِ قصيدةً استخلفتُها بحضرته، واسْتَنْبتها لمذاكرته، وأوْدعتُها طرفاً من مآثره، ونُبذاً من مَفاخره، إنْ قَصَّرا عن استحقاقه، فقد أعذر فيهما أبو إسحاقه[1]، لا أعدمه الله فيه الثناءَ المستطاب، والدّعاء المجاب، إنّه بذلك جدير، وعليه قدير، وحسبُنا الله ونِعْم الوكيل.

---

(١) كُنيته هو نفسه.

وكَتَب
إلى أبي دُلَف مُحمّد بن المظفّرِ الأَنْباريِّ الكاتب(١)

يا سَيِّدي -أطال الله بقاءك- أشكّاً بعد يقين؟ وشُبهةً بعد بصيرة؟ وتهمةً بعد ثِقة؟ واستِرابةً بعد استنامة؟ أُعِيذُك وأستعيذُ بالله من تَطرُّقِ ذلك علينا، أو دُخُولِ شيءٍ منه بيننا.

تأدّى إليَّ عَتْبُك(٢) -أدام الله عزَّك- عَليَّ من كَذِبِ رُقِّيَ إليكَ عنّي يُخالِفُ ما نرجِعُ إليه، ونجتمعُ قديماً وحديثاً(٣) عليه، وما أجرَيْتُ عادتي به فيمَن يلزَمُني حقُّهُ لزومَ حَقِّك، ولا أعترِفُ(٤) بفَضلِهِ اعترافي بفضلِكَ؛ فأقلقَني ذلك قلقاً شديداً، ووَجَدتُه من الصحَّةِ والحقيقَةِ بَعيداً، واعتدَدْتُه من بقايا تُراثِ الزّمان عندي، وآثارِه السَّيّئةِ لَديَّ. وأحمَدُ الله وأشكرُه، وأستَقيلُه وأستغفرُه.

قد عرَفتَني يا سَيِّدي -أيّدك الله- مَعرِفةَ البَلْوى والاختبار، على مُرورِ اللّيالي والأيّام الطِّوال، فأحمَدْتَني جَذَعاً(٥) واستحلمتَني غِرًّا، وأنا إذ ذاك في عُنفوانِ شَبيبةٍ

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة.

(٢) ف: غضبك.

(٣) (قديماً وحديثاً) ساقط في ف.

(٤) ف: اعترفت.

(٥) ر: جزعاً. والجَذَع، بالتحريك: الشّابّ الحَدث، والغِرّ يرادفه، وهو الشّابّ لا تجرِبةَ له. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٣ (غرر)، ج٨، ص٤٣ (جذع).

تُخافُ سَقَطاتُها[١] وهَفَواتُها، ولا تُؤمَنُ نَزَواتُها وجَمَحاتُها، فكيفَ تَذمُّني أو تَشُكُّ فيَّ وقد افترَرْتُ[٢] عن سنِّ القارح، وارتفَعْتُ عن مَقالةِ القادِح، وعَركَتْني النّوائبُ عَرْكَ الأديمِ، وتجاوَزَتْ بي حَدَّ التقومِ إلى التحطيم ! وبالله أحلف، أنّي ما أزالُ أعَضُّ على الشّكائم، وأحتملُ العَظائم، من طوائفَ كلَمتْني، وعَصائبَ ثلَمتْني، واستحقَّتِ[٣] الغَضبَ[٤] والثَّلْبَ مِنّي، وأعلقَتْني فيهما لِوِ استجَزْتُها[٥] بالواضِح من عُذري، لُزوماً مِنّي للمُسْكة، وتخلُّقاً بالحُنكة، وكَظماً على الحَرَّة[٦]، وتَصوُّناً عن الهُجْنة، أفكنتُ أتعدَّى إلى شيخِ صناعتي، وواحدِ عَصْري، وعَديلِ نَفْسي، فآكُلُ لحمَهُ وهو لحمي، وأرميه من حيثُ يُصيبُني سَهمي، وأُطلِقُ من سُوءِ اللَّفظِ فيه ما لا تَقذَى به عينٌ قبلَ عيني، ولا تبدَأُ معَرَّتُهُ إلّا بي.

أنتَ -أدام الله عزَّك- تعلَمُ أنّ ذلك بعيدٌ من الصحَّة، شاهِدٌ على ذاتِه بالفسادِ والاستحالة، وتُفسِدهُ مع ذاك أدِلّةٌ تُحيطُ به من خارِجِه كثيرةٌ ظاهرة[٧]، أقربُها وأوضَحُها أنّني كالغائبِ منذ ثماني سنين : أربَعٌ[٨] منهُنَّ أيّام مُحمّد بن بقيّة التي كنتُ فيها إمّا مُستتِراً أو محبوساً، وأربَعٌ أُخَرُ اعْتُقِلتُ فيها اعتقالاً لَبِستُ به شرَفًا كان مخزوناً

---

(١) ف: سطواتها.

(٢) ف: أقررت.

(٣) ر: استخفت (مجودة).

(٤) ج، ر، ف، ع: القصب.

(٥) ر: استجريها.

(٦) ج: الجرة. ف، ر: للجرة.

(٧) ساقطة في ف.

(٨) ساقطة في ر. وفي ف: أول.

فَظهَر، ومَطوِيّاً فنُشِر، بحَمْدِ الله ومَنِّه. وإنّما فصلتُ وبرزتُ[١] منذ عشرين[٢] يوماً، وحُكم الغيبةِ واحِدٌ في جميع تلك السّنين، ووالله ما لاقَيْتُ فيها أحداً من أهلِ الثقة، ولا من أهلِ الظِّنّة إلّا اطِّلاعاً من خَلَلِ العثَراتِ المُمِضَّة، والنّكباتِ المرمِضَة، على شُغُلٍ من الخاطِر، وتقسُّمٍ من اللُّبِّ، وقصورٍ من اللَّفظ، وكَلالٍ من اللَّحظ ! فليتَ شعري، متى اجتمَعْتَ مع الحاكي لكَ ما حكاه، وأيُّ مجلسٍ ضَمَّنا، وانبساطٍ شَمِلَنا، حتى حَلَلْتُ[٣] حُبوةَ التحفُّظِ، وخَلَعْتُ معه[٤] رِبْقَة التجمُّل، وفاوضتُه الطّعنَ على مَن محاسِنُه محاسِني، ومساوِئُه - لو كانت وقد نَزَّهَهُ الله عَنهَا- مَساوِئي.

ما يوميء يا سَيِّدي بواحِدٍ من أكاذيبَ تُلفَّق، وأباطيلٍ تُزَخرَف وتُنمَّق، في تشعيبِ نيّاتِ سادَتي وإخواني -أدام الله عِزّهم- عليَّ، وتطريق الصَّفاءِ بينهم وبَيني، وسيجمعُنا عمّا قريبٍ مَقامُ فصلِ الحكومات، ويومُ النَّظرِ في الظُّلامات. وما أُحِلُّ هذا المتزيِّدَ عليَّ عندَك، والسّاعيَ لإعلالِ[٥] ما صحَّ لي من وُدِّك -جازاهُ الله بما يَستحِقُّه- فلقد عَقَّكَ وعقَّني وعقَّ نفسَه. أمّا عقوقُك فبأنْ لقيك بما عساه كان في نفسه على لسان غيره. وأمّا عُقوقي فبِأنْ رَوَى عنّي ما لم يَسمَعْهُ منّي ولا من ناسِبٍ له إليَّ. وأمّا عقوقُهُ نفسَهُ فبِما احتقَبَهُ من الإثم، وتزوَّدَهُ من الوِزْر، والله حَسِيبٌ لنا ولهُ، ووَليٌّ بنا وبه، وهو حَسْبُنا ونِعْم الوكيل.

---

(١) ل: اتصلت وترددت.

(٢) في الأصل: عشرون.

(٣) بعدها في ج: له.

(٤) ساقطة في: ف، ر، ع.

(٥) ج: لإعلاك.

إنْ رأيتَ يا سَيِّدي -أدام الله عِزَّك- أنْ تُعرِّفَني خَبرَك -أطابَهُ الله- في الجوابِ عن هذه الرّقعَةِ إلى أنْ أتمكَّنَ من معرِفتهِ بالزيارَةِ[1] والمشاهدة، وهل زال[2] ما كان خامَرَك بعد نَظَرِك فيما كتبتُ به إليكَ، فإنّني إلى جميعِ ذلك متطلِّعٌ، فعلتَ إنْ شاء الله.

(١) ف: بالزيادة.

(٢) ف: ذاك.

وكَتَب
إلى أبي سَعْد بهرام بنِ أرْدَشير المجوسيِّ الكاتب[١]

هُـمُ كتمـوني سَـيْرَهُم يـومَ أزمَعـوا   وقـالوا اتَّعِـدنا للـرّواحِ وبَكَّـروا[٢]

هذه قصَّتي مـع سَـيِّدي -أطـال الله بقـاءه- قـد جعَلْتُهـا إليـه[٣] رَفيعـةَ المـتظلِّم، وشكَوتُه فيها شكوى المتألِّم، والشاهدُ على السَّرائر، البالي للبَواطِنِ والضَّمائر[٤]، يعلَمُ ما ما أُقاسيهِ من الشوقِ إليـه، والتلهُّـفِ عليـه، وأنّ مـن ذنـوبَ الزّمـان عنـدي التـي لا أغتَفِرُها[٥]، ولا أملِكُ الانتِصارَ فيها تفرقتهِ بيننا، أَسَرُّ ما كنتُ برُؤيته، وأَحْوجُ ما كنـتُ كنتُ إلى رَأيهِ ومَعونته.

ولا أعرِفُ الذي دَعاه - أيّده الله - إلى أنْ طَوى عنِّـي خـبرَه، وسَـتَرَ دُوني عزمـه، ومَنَعني فائدةَ التزوُّدِ منه، وحَرَمني بُلْغةَ التشييع له. ولو كنتُ أعلَمُ منهُ القَسْوةَ لَحملْتُ هذا الفِعْلَ عَليهَا، ونَسَبْتُه إليها، لكنَّهُ بعيـدٌ والله عـن كُـلِّ غلَـطٍ وجَفـاء، حَـرِيٌّ بكُـلِّ وُدٍّ[٦] وصَفاء.

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة. (الكاتب) مـن ج، وضبط ناسخها بهرام بفتح الباء.

(٢) للعبّـاس بـن الأحنـف. ديوانـه، ص١٤٦؛ الأصـفهاني، الأغـاني، ج٢، ص٣٤٤، ج٨، ص٣٧٦.

(٣) ج: إليك.

(٤) ف: الظواهر.

(٥) ر، ف: أغفرها.

(٦) هذا ما في ل، وما في دونها: لطف.

وهَبْهُ - لا أعدَمَنيهُ الله - لم يحفِلْ بما يلحقني من المِضّ(١)، وينالني من المرمِض، فكيفَ صَبَّرَ نفسَهُ عن تَوْدِيعي؟ ولم كَلَّفَها مَرارةَ الإعراض عنّي، وهي النّفس الشريفَةُ التي ما زِلتُ أعهَدُهَا صَبَّةً إليَّ، مُقبِلةً عليَّ، مُعْتدَّةً بي من أحبابِها، حاسبةً لي في أوُدّائها؟ اللّهم إلّا أنْ يكون أشفقَ عليَّ من شدَّةِ الوَجْدِ والأسَف، وما يعتَوِرُني من الكمَدِ والكَلَف، فتعسّف الطريقَ إلى تسليتي بأنْ أوْدَعَني ذنباً يُغلِّظُ قلبي، ويُمسِكُ عليَّ لُبِّي، ويَحميني من التَّهافُتِ في الجزَع، والتهالُكِ في الهلَع، فهذا - لعَمْري - مَذهَبٌ يُذهَبُ إليه.

وقد كنتُ نَظَمتُ هذا المعنى في أبياتٍ لي غَزليَّةٍ قلتُها في أيّام الحداثة، وهي:

ولّما التقَيْنا للوَداعِ أرَيْتُها ... عزاءً وقد عَزَّت عليَّ مطالِبُهْ

حِذاراً عليها أنْ تَرى جَزعي لها ... فيَصحَبَها منهُ الذي أنا صاحِبُهْ

فمرَّت وقد غلَّظْتُ رِقَّةَ قلبِها ... يُغالبُها شَوْقي وطوراً تُغالبُهْ

فما بَرِحَتْ حتى اضمَحَلَّ تجلُّدي ... وبرَّحَ بي من ماءِ عينيَ ساكبُهْ

هَيهاتَ - أدام الله عزَّ سَيِّدي- ما قلبي قلبٌ يُؤَثرُ ذلك فيه، ولا تَطُورُ السَّلْوةُ بنَواحِيه، بل هو في الشَّغَفِ به، واللَّهج بذِكْرِه، كما قال حبيبُ بنَ أوس الطّائيُّ للحسنِ بن وَهْب:

كلُّ شِعْبٍ كنتُمْ(٢) به آلَ وَهْبِ ... فهْوَ شِعْبي وشِعْبُ كلِّ أديبِ

إنّ قَلبي لكمْ لَكالكَبِدِ الحَرَّى ... وقلبي لغيرِكمْ كالقلوبِ(٣)

---

(١) ج، ر، ف: المضض، وبعدها: المرتمض.

(٢) ج: أنتم.

(٣) ديوان أبي تمام، ج١، ص١٢٤-١٢٥.

وأنا أَقِفُ من هذا الفصْلِ حيثُ انتهيتُ إلى أنْ يأتيَني جَوابُه بالعُذر، فإنْ كان صحيحاً قَبِلْتُه، وإنْ كان معلولاً رَدَدْتُه، فلستُ أُطيقُ أنْ يجتمِعَ عليَّ محمَلُ[١] الشوقِ والوَحشة، ومحمَلُ المغالَطةِ في الحُجَّة.

وأَتَتْني رسالةُ سَيِّدي الشّيخ -أدام الله عِزّه- يلتمِسُ الجزءَ من رَسائلي المنسوخَ له، وعَرفْتُ أنّه أمَر بإتباعه به، وإنْفاذه على أثَرِه؛ وقد أنفَذْتُه، وتقدَّمتُ بنَسْخِ ما يَتْلوهُ، وأضَفْتُ في العاجِلِ إليه ثلاثَ كراريسَ تتضمّن ثلاث رسائل[٢] مُفرداتٍ في معانيها. ومَن قَصَد حَضْرة سَيِّدنا الصّاحب الجليل، -أطال الله بقاءهُ- فقد أثْرى من البلاغَة وأخَذَ بمَجامِع كلِّ فضيلَة.

وليسَ مَوْلاي - أيّده الله- في حَمْلِه هذا الجزءَ إليها كمَن جلَبَ إلى هَجَر تَمْراً[٣] بل حَشَفاً، وحقّاً أقولُ: إنّه كوزُ ماءٍ أُجاج يُجَهَّزُ إلى بحرٍ فُراتٍ عَجّاج، وعلى أنني في هذا التّسليم له كمَن دَلَّ على فَضْل نَفسه، وبيَّنَ عن جُودَةِ تمييزِهِ وحِسِّه. فإن اتَّفَق أنْ يَعرِضَهُ سَيِّدي عليه -أدام الله تمكينه- فلْيُقدِّمْ أمامَه اعتِذاراً وتَمهيداً. ولْيُعلِمْه - أدام الله عِزّه، وحَرسَ مدَّتَهُ، وثبَّتَ وطأتَهُ، وأدامَ دَوْلته - أنّي عبدُهُ في الخِدْمة، وتلميذُهُ وخرِّيجُه في الصِّناعة، وأنّ الحسَنةَ مِنّي إنْ ظهَرتْ فهي له محسوبة، وإليه مَنسوبة، ويسألُهُ - لا زالَ مَسؤولاً - أنْ يُنبِّهَ على ما يرضَاهُ ولا يُخفِيه، ويسترُ عليَّ ما يَأباهُ ولا يُبديه، إنْ شاء الله.

ولي عند مَوْلاي -أدام الله عِزّه- نُسختَان، قلبي والله مُعَلَّقٌ معذَّبٌ إلى أنْ تعودا إليَّ، وقد وَعَدَني بهما وَعْداً بعد وَعْد، وأُعيذُه بالله من أنْ يؤخِّرَهما عَنّي أو أنْ يُخِلَّ

---

(١) ف: محل، وكذلك الكلمة الثالثة بعدها.

(٢) (تتضمن ثلاث رسائل) من ج فقط.

(٣) تقول العرب: كمستبضع التمر إلى هَجَر، وهو مثلٌ يعنون به وضع الشيء في غير موضعه. الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص١٥٢.

بشُروطِ الأمانةِ في ردِّهما عليَّ. وهو -أطال الله بقاءه- وليُّ ما يَراهُ في ذلك، وفي إجابتي عن هذا الكتابِ بوُصولِه ووُصولِ ما معه من الجُزءِ والكَراريس، وبما أسكُنُ إليه من أخبارِ سَلامته وعافيته[1]، وأتصرَّفُ عليه من أمْرِهِ ونَهْيِهِ إنْ شاء الله.

وإذا اجتمعَ سَيِّدي مع سَيِّدي[2] الشّيخ أبي نَصْرٍ -أدام الله تأييده- تفَضَّلَ وعَرَّفه شدَّةَ شَوْقي، واسْتيحاشي له، ومُواصَلتي الدّعاء بأنْ يُسلِّمَهُ الله ويحفَظَه، ويَكلأه ويَلحظَه، ويَرُدَّه فائزاً غانِماً، مَوفوراً مَسرُوراً، ويَجمعَ شملَنا في ظِلِّ مَوْلانا الملِكِ السَّيِّد الأجَلِّ المنصور وليِّ النِّعَم عَضُد الدَّوْلة وتاجِ المِلّة، ويُطيلَ بقاءهُ، ويَكبتَ أعداءهُ، ويجعلَنا ممّن يُكِنُّه ذَراه، ويَصُونُه حِماه، ويشْمَلُهُ فَضلُه، ويَكنفُهُ إقبالُه، بمَنِّهِ وطَوْلِهِ، وقُدْرته وحَولِهِ، وهو حَسْبُنا ونِعْم الوكيل.

---

(١) (سلامته وعافيته) من ج، وفيما دونها: أخباره.

(٢) ج: لسَيِّدي.

وكَتَب[1]

قد كتبْتُ إلى سَيِّدي كتاباً أنفَذْتُهُ والجزءَ من الرَّسائل، وثلاثَ كَراريسَ أضفتُها إليه من جهةِ مَوْلاي الأخ، وأرجو وُصولَ الجميع، ولا يتأخَّرُ الجوابُ عنه بما أسكُنُ إليه من خبَرِه وأمتَثِلُهُ من أمرِهِ ونَهيِهِ إنْ شاء الله.

وأبو بكرٍ الورّاقُ مَعدِنٌ من مَعادِنِ الفَضْل، ومَقرٌّ من مَقارِّ كُتبِ العِلْمِ التي ليس هو من حاملي أسفارِها، بل ضامني تفسيرها. ولولا مَعرِفتي بمعرِفةِ سَيِّدي به، لزِدْتُهُ من التقريظِ حتى أبلُغَ منهُ إلى حيثُ يَستحِقُّ.

ولم أقِفْ منه عند هذه الجُملةِ الخفيفة، ووَجَدتُه شاكراً لمَوْلاي الشيخ، مُعتدًّا به، مُثْنياً بالجميلِ عليه، مُصحِباً له من دُعائهِ ما الله -عزّ وجلّ- يَسمَعهُ ويُجيبُ صالحه.

وذكرَ أنّ له بسيِّدِنا الصّاحب حُرمَةً تقتضي له من عنايتِهِ ورعايتِهِ أقوى شُعَبِهِ؛ فسألتُهُ[2] -لا زالَ مسؤولاً مرغوباً إليه- كتاباً إلى الشيخ أبي عبدالله، صيانة أبي بكرٍ[3] وحياطتَه، وإعزازه وحراسته، ومعرفة حقِّه، وإيجاب ما يوجِبُه - أيّده الله- لهُ. فإنْ رأى سَيِّدي أنْ يتفَضَّلَ بذلك فعَل، وإنِ انضافَ إلى ما يتنجَّزُهُ من كتابِ سَيِّدنا كتابٌ منهُ - أيّده الله- كان ذاك أوْكدَ لِمنَّته، وأسبَغَ لنعمتِه، ولا سِيَّما وقد سَلَفَ من مَعْروفهِ في خطابِ الشيخِ شَفاهاً في أمرِهِ ما يلزمُهُ أنْ يَرُبَّهُ إنْ شاء الله.

---

(١) ليدن.

يبدو أن هذه الرسالة موجهة إلى أبي سَعْد بهرام بن أردشير المجوسي الكاتب.

(٢) في الأصل: مسألته، تحريف.

(٣) كذا. ولعلها صيانةً لأبي بكر.

وكَتَب[١]

عُذري متمهِّدٌ عند سَيِّدي – أطال الله بقاءه – في تأخّر رِقاعي[٢] عنه، وأُشهد الله وكفى به أنني ما خَلَوتُ في حالٍ من مُراعاةٍ لأخباره، وشكرٍ لمبارّه، وثقةٍ بتفضّله، واعتدادٍ بالنِّعْمة فيه وعنده. ولولا ما يقتضيه الرأي من الكُمون تحت هذه المحنة، إلى أنْ تنكشفَ عنّي بقيتُها، بما يهبه الله لي من تمام العَفو عنّي، واستكمال الرّحمة لي، وإلحاقي بمَن شَمِله المنُّ والإحسان، ورُعي فيه القديمُ والحديث، وأظلّه هذا الظلّ الظّليل – لا أزاله الله عن جماعة الأولياء والخَدم – ووَهبَ لنا توفيقاً لاستدامته، ومَعرفة النِّعْمة فيه، لما أخللتُ بقَضاء حقّ سَيِّدي، وحقّ الأمل فيه، مُكاتبةً ومُراسلةً، ومُطاولةً ومُشاورة، واستغاثة واستعانةً ولكنه – أيّده الله – يعرف من الصّورة في ذلك ما يُغني عن الإطالة، وكفانا ما نرجع إليه من تحاذي[٣] النيّات، وتكافؤ الطويّات، وتصافح القلوب القلوب بالذكرى، وانطواء الضّمائر على الحُسنى، وَصَل الله ذلك بأفضله، وجَعَله خالصاً فيه وله، بقُدْرته.

وكانت كُتبي – أيّد الله مَوْلاي – تبعث على غير تمييز ولا تأمّل، لأنّ الحاجةَ الماسّة اقتضت ذلك، وخرج عن يدي منها أشياء وَددّتُ أنّي ملكتُ الاختيار فيها، فكنتُ أسوقُها إلى خزانته – لا زالت معمورة – فإنّها كانت تستقرّ في أولى المواطن بها، وكنتُ أكون كالمقيم على مُلكها، لكن الأمرَ جرى على خلاف الإيثار، وقد قال الأول :

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي.

(٢) ف: رقعي.

(٣) ر: تجازي.

وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أمَّ مالكٍ كرائم من ربٍّ بهنّ ضَنينِ[١]

وقال الآخر داعياً على من القولُ فيه :

بعتُ الدّفاتر وهي[٢] آ خرُ ما يُباع من المتاعِ[٣]

وأحمدُ الله وأشكره، وفيما خرج من يدي جزءٌ في (أخبار أصْبَهان) على يد أبي الحسن بن..... [٤] وظننتُ أنّه فيما توقّف عن بيعه إلى أنْ ذكر حُصوله لسَيِّدي - أيّده الله، وبارك له فيه وفي كلّ ملك - فصار بمنزلة ما وجدتهُ بعد ضَياع، وظفرتُ به بعد فَقْد. ولو كان باقياً في يدي[٥] لأهديتُه إليه، إذ هو أحقُّ به من كلّ أحد، لكني قد احتجتُ إلى أنْ ينعمَ بإعارتي إيّاه، لآخذ من اقتصاصاته شيئاً وأردّه. وفي تفضُّله - أيّده الله - بإسْعافي[٦] بذلك مَعُونةٌ لي على أمري، فإنني مأمورٌ بشيءٍ أعملُه وأؤلّفه، فإنْ رأى سَيِّدي - أطال الله بقاءه - أنْ يُنعم بما سألت إنعاماً أشكرُه، ويكون ذخراً عندي، ومُضافاً إلى السّابق من مِنَنه، والسّالف من عَوارفه، فَعَل إنْ شاء الله.

---

(١) من أبياتٍ قالها أعرابي حين باع جمله لحمزة بن عبد الله بن الزبير وأخذ ثمنه، فقد جعل الأعرابي ينظر إلى الجمل ويقول تلك الأبيات؛ فقال له حمزة: خذ جملك، والدنانير لك. الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش، ص٤٩.

(٢) في الأصول: وهو.

(٣) لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر مَن يذكر هذا البيت أقدم من أبي طاهر السِّلَفي وهو المتوفَّى سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م، ونسبه لأبي الحسن علي بن مُحمّد بن ثابت الخولاني المعروف بالحدّاد المهدوي، وهو المتوفَّى بعد سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، باع كتبه اضطراراً وفقراً، فسألته زوجته وهي تعرف شدة تعلّقه بتلك الكتب: كيف بعتَ الكتب؟ فأجابها بأبياتٍ هذا منها. معجم السفر، ص٢٤٠. لكن الغريب أن الخولاني هذا توفي بعد الصابي بقرن ! لذلك أرجّح أن يكون هذا البيت لشاعرٍ مغمور سبق الصابيَ أو عاصره، ثم قاله الخولاني تضميناً؛ فنُسب إليه.

(٤) في الأصول: ببج (الحرفان الأولان بدون نقط). ولم أجد ما يمكنني من ضبطه.

(٥) ر: ملكي.

(٦) ساقطة في ف.

نُسْخة فَصلٍ من كِتاب[١]

وعُرِضَ علينا كتابُكَ -أعزَّك الله- بما يَدُلُّ على استيحاشٍ خامَرك، وسُوءِ خاطرٍ عارَضَك، وظَنٍّ منك بتنكُّرٍ كان مِنّا لك، فعَجِبْنا من ذلك، لأنّه مُحالٌ لا أصلَ له، وباطِلٌ لم يُهْمَمْ بشيءٍ منهُ، بل نحنُ على خلافِه، ارتضاءً لخذْمتِك، وإحْماداً لمناصَحتِك، واعتقاداً لرَبِّ الصَّنيع عندَك، والزّيادةِ في الإحسانِ إليك، فاسكُنْ - أعزَّك الله - إلى ما ذكَرْناهُ لك، واجْرِ على عادتِكَ في خِدْمتِنا، وسَجِيَّتِكَ في التقرُّبِ مِنّا، بصَدْرٍ في ذلك مُنشرِح، وأمَلٍ مُنفَسح، وثقةٍ لا انزعاجَ معها، وطُمأنينةٍ لا ارتياعَ يَشوبُها إنْ شاء الله.

---

(١) ليدن.

وكَتَب إلى أبي بكرٍ وأبي عثمان: مُحمّدٍ وسعيدٍ ابْنَيْ هاشمٍ المَوْصِليَّيْن الشّاعرَيْن المعروفَيْن بالخالدَيَّيْن وهما بالمَوصِل(١)

لو كان لكما -أيّدكما الله- خَصمٌ يجتمِعُ له شِعرُ البحتُريّ، وغِناءُ إبراهيم بنِ المهديّ، وكتابةُ جعفرِ بنِ يحيى البرمَكيّ(٢)، ومذاكَرةُ الأصْمعيّ، وظَرْفُ عَرِيب، وطيبُ عِشرةِ ابنِ حَمْدون، وحُسْنُ وَجْهِ الأمين، ووَصَلتْهُ بي أوْكدُ حُرْمة، وضمَّتْه إليَّ أقربُ عِصْمة، لبتَتُّ حبائلَه، وقَطَعْتُ قرائنَه، وانعكسَتْ مَحاسِنُه عندي مَقابح، وفضائلُه في نَفْسي مَعايب. وما كنتُ إلّا حَرْباً له وإنْ سالَمَني، نائياً عنه وإنْ برَّني، هاجراً له وإنْ وَصلَني، فكيف ظننتُما بي مُساعدةَ سَرِيٍّ(٣) الشّاعِر على عداوَتِكُما، والرِّضا بطَعْنِه عليكما؟ ولم وضَعْتُما عَهْدي في هذه المنزلةِ من الضَّعْف، ومَودَّتي في هذه الرّتبةِ من

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، عاشر أفندي، القاهرة. (ل: وكتب إلى الموصل إلى أبي بكر........). وقد أورد الشيزري نص هذه الرسالة، جمهرة الإسلام، ص٤٧٣.
كان الخالديان أديبين مفلقين. قال عنهما الثعالبي: إنْ هذان لساحران يغربان بما يجلبان ويبدعان. وكان ما يجمعهما من أخوة الأدب مثل ما ينظمهما من أخوة النسب، فهما في الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة، ويشتركان في قرض الشعر، وينفردان ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان، وكانا كالواحد في التساوي والتشابك والتشاكل والتشارك. يتيمة الدهر، ج٢، ص٢١٤.
(٢) ساقطة في ج.
(٣) السَّري الرَّفاء الشّاعر الموصلي (توفي نحو ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م) وكان على عداء مع الخالديَّيْن.

الوَهْـن ؟ ومتى رأيـتماني أرعِـي أحـداً[١] سَـمْعاً في ذمِّ صَـديقي ومَســاءتِه، وأضرِبُ صَفْحاً عن حِراستِهِ وخلافتِه؟ ! وهل عرفتُما من طَبْعي على طولِ الصُّـحبةِ، واختبرتُما من مذهَبي على تقادُم الأُلفةِ ما يُقرِّبُني عنـدكما من ظِنَّـةٍ وهُجْنـة، ويُـدنيني إلى وَهـاء[٢] ذِمامٍ وعُقْدة ؟ وإلّا دَفعتُما ذلك لما قيلَ لكـما، وكذبتما مُؤدِّيَه إليكما ؟

أما والله، لو تَواتَر إليَّ عـنكُما قبـيحٌ يرتفِـعُ فيـه الشـكُّ، ويَقَـعُ بتنـاصُرِهِ العِلـم، لَخرجْتُ في قَبولِهِ عن الإجماع، ورَضِيتُ في دَفعِهِ بالانفراد، ولما مَكَّنـتُ مـن ثقتـي بكـما تُهمة، ولا سلّطتُ على يقيني[٣] فيكُما شُبهة. وقد كتبتُ على عجَلـةٍ لا أقـدِرُ معهـا عـلى أكثر من هذه الجملةِ التي هذا الكتابُ مشتمِلٌ عليها، وناضحٌ عنِّـي بهـا، وإذا اجتمعنـا بإذنِ الله بَلَغْتُ من عتابِكما ما في نَفْسي، وشفَيْتُ من تأنيبِكُما صَدرِي بإذنِ الله.

نعم - أيّدَكُما الله- تأدَّى إليَّ عن سَرِيٍّ كلامُهُ فيكُما، وطعْنُهُ عليكما، وأنا إذ ذاك لا أجمَعُ بين اسمِهِ وشَخصِه، فكنـتُ أتلقَّى الحكايةَ عنه بالردِّ، وأُلقِـمُ رُواتَها الحَجر، واعتدُّها[٤] جميعاً من ضَرائرِ الحسناء.

ثم سُئلت اسْتِماعَ شِعْـرٍ مَدَحَني به فلم أُجِبْ إلى ذلك إلّا بعد أنْ شرَطْتُ ألّا يَقـرَعَ سَمْعي منه ذِكْـرٌ لكُما بسوء، ولا إشارةٍ فيكُما إلى غَمْز، فبذل من نفسِه ذلك، وتَجاوَزهُ إلى طَلَـبِ الصُّـلْحِ، وجَـنَحَ إلى السِّـلْم، وبَـخَعَ بطـاعَتِي في الإمْسـاكِ عـن كُـلِّ سـالف، والإغماضِ عن كُلِّ مـاضٍ، وامتِثـالِ أمـري في الانتقـالِ عـن عـداوَتِكُما إلى مَـودَّتِكُما،

---

(١) من: ر.

(٢) الوَهاء: الضعف. وَهِيَ الحبل يهي وَهْياً. انظر ما قالـه في هـذا الموضـوع: المطـرزي، المغـرب في ترتيب المعرب، ج٢، ص٣٧٥.

(٣) ل: ولا سلكت على نفسي.

(٤) ف، ل: واعتدهما.

والانصرافِ عن مخالفتِكُما إلى موافقَتِكُما.

ثم حضَر فقالَ مثلَ الرِّسالة الأوَّلَة[١]، وأحضَرَني قطعةً من شِعْرِه، فيها أشعارٌ لكُما، فأخرَجْتُ ما عندي من نُسَخِها، وجعَلْتُ أناظِرُه ويُناظِرُني، وأرُدُّ عليه ويَدَّعي عندي. فلمّـا طال ذلك، عَرَّفتُه أنّه قد نقَضَ الشرطَ بيننا، وفَسَخ الأصلَ الذي عليه اجتمعنا؛ فعادَ إلى الإمْساكِ، ووَقفتُ[٢] على انتظارِ الاجتماع. وظَننتُ أنني قد عَمِلتُ عَملاً تَـحْمَدانِه في اسْتصلاح فاسدٍ عَليكما، ورَدِّ شاذٍّ عنكما إليكما.

وأحضَرَني عدّة قَصائدَ إلى الوزير -أطال الله بقاءهُ- قد كان دَفعَ نُسَخاً لها إلى جماعَةٍ من حاشِيَتِهِ - أيّده الله- ليُوصِلوها إليه، فتخوَّفْتُ أنْ تصِلَ من جهةِ غيري، ويعادُ عليه من هذا الخوضِ ما يُتَحامَلُ فيه عليكما، ويُـخالِفُ إيثاري فيكُما، فَعرَضْتُ بعض القَصائد. وذَكرَ له بعض الحاضِرينَ ما بينه وبينكُما من هذه المشاجَرة، فقال -أدام الله عِزّه- بهذا اللّفظ: قد كَثُرَ في الشُّعَراءِ مَن يَسْمو إلى مُنازَعتِها، ويتمرَّسُ مُجاذَبتَها. ولم يصِلْ هو إليه، ولا عادَ له ذِكرٌ عليه.

هذا -أيّدكما الله- شَرحُ ما جَرَى، والله ما حَذَفْتُ ما استحييكما منه، ولا زِدتُ ما أصانِعُكُما به، فإنْ كان مقبولاً فقد اتَّفقنا، وإنْ كان مردوداً فالموافقَةُ توضِـحُ الشُّبهَة، والدِّلالةُ تُزيحُ العِلَّةَ، والاجتماعُ عن قَريبٍ يأتي على ذلك كُلِّه، وإنِ اعتــذرتُما إليَّ من تسرُّعكما إلى الرَّيْب، وعجَلتِكُما إلى الشكِّ، سامحتُكما وقبِلْتُ عُذرَكما إنْ شاء الله.

---

(١) ساقطة في: ج، ف، ر.

(٢) ل، ج: فوقف.

وكَتَب إلى أبي بكر مُحمّد بن عليّ بن شاهُوَيْه[1]

دَهْرُنا - أطال الله بقاء الشيخ - دَهْرٌ قد عَرفْناه وعَجمْناه، حتى صِرْنا بحيث نَستهينُ بعَطاياه، ولا نَستكينُ لرَزاياه، إذ كانت الحسَنةُ منه زائرةً لا تقيم، والسّيئةُ زائلةً لا تدوم. فكما أنّه لا توجب له مَحْمدةٌ في الإقبال علينا، فكذاك لا نوليه مَلامةً في الإعراض عنّا، لكنّا نلبسه على بَصيرةٍ من اختلاف ما يتعاقب به مَلَواه، ويتناوب عليه عَصْراه؛ واثقين في جميع ذلك بحكم الله العادل، وفَضْله الشامل، وهو - جلّ جلالُه - يعلم أنني ما زلتُ مشاركاً لسَيِّدي الشيخ - أطال الله تأييده - في المحنة المتّفقة عليه، والنّائبة المعرجة إليه.

ولقد كنتُ محصوراً بحَصْره، ومأسوراً بأسْره، ومهموماً بكلّ أمره. وما تركتُ استنباط أخباره من مَظانّها، وتنسّمها من سائر جهاتها، حتى من الجنبات المبهمات عليه بمَعاريض من القول في أثناء الأحاديث مع نيابةٍ عنه - أيّده الله - شديدة، ومحاماةٍ طويلة، بذلتُ فيها وُسْعي وطاقتي، وجهدي واستطاعتي. وأنا أحمد الله على أنْ حَرَس نفسَه، وصان عِرْضَه، ووقى جوهرَته النفيسَة بالأعراض، ومُهجتَه الشريفة بالأعواض، وأخرجه من الضَّغْطة إلى الفُرْجة، ومن العُقْلة إلى الفُسْحة. وأسأله أنْ يُفضي به إلى غاية أمله والأمل فيه، ويُجريه على ما لم يزل يعوده ويوليه، بقُدْرته.

---

(١) طهران.

ابن شاهويه كان نائب القرامطة في الكوفة، وقد تقدّم ذكره في رسائل سابقة، ج١، ص٣٩٣، ص٤٠٠، ج٢، ص٣٣٣.

ولعلّ سَيِّدي الشيخ – أدام الله عِزّه – قد تعرّف خبري في ضَعْف الجسم، وكثرة العِلَل، ونُقصان النّهضة، وتَهْريف[1] أعراض الشيخوخة، وأنني متجاوزٌ لحدّ القُعود إلى حدّ الرّكوب؛ فآمال نفسي في الدّنيا مخفقة، وأبواب التصرّف دوني مغلقة، والعَيْن إلى ما لا بُدّ من حلوله ممتدّة، والثقة بالله في جميع ذلك مستحكمةٌ مشتدّة، وما أخّرتُ كتابي إلّا لإعواز الجهة التي أثق بوُصوله منها، وسَلامته عليها. ولما اتّفق خروج الموصل له كتبتُ على يده، وهو غلامٌ لعبده وابن عمّي فلان – أيّده الله، ورحم أباه – قد وكله في بَيْع ضِياعه بالبَطيحة، وفي ذلك وَجّه، وإليه قَصَد.

وإنْ تفضّل سَيِّدي بالعناية به في الأمر الذي وكِّل فيه، حتى يجري على أفضل مَجاريه كان ذلك زائداً في مَعاليه، ومُضافاً إلى أياديه، ومُشاكلاً لسالف ما أولانيه وعوّدنيه. فإنْ رأى الشيخ أنْ يأتي في ذلك ما هو أهله، مقدِّماً عليه الإجابة عن هذا الكتاب بما أسكنُ إليه من أخباره وأحواله، وأمتثلُه من أمْرِه ونَهْيه، فَعَل إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) التَّهْريف: العجلة والسرعة، ويقصد أن الشيخوخة أسرعت إليه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٣٤٧ (هرف).

وكَتَب[١]

كتابي عن سَلامةٍ، أسْألُ اللهَ له منها لِباساً شامِلاً، وحظّاً وافِراً، وقد خَلّف عندي وَديعتَيْن من الشُّكْرِ له، والشَّوْقِ[٢] إليه، ما تَزالان زاكيتَيْن ناميتين[٣]، فأصْبحته بضاعتَيْنِ: الدّعاء والثناء[٤]، ما يزالان مَرْفوعَيْنِ مَسْموعَيْن[٥]، ونحنُ مع ذاك نتقابلُ ونتماثلُ في المحافظة[٦] على العَهْد، والتَّمسك بأسْبابِ الوُدِّ.

وما تَرَكْت مكاتبتَه إلّا اقتداءً به في الثِّقة التي نرجع إليها، ونجْتمعُ عليها، ونسْتغني عمّا يحتاجُ إليه غَيْرُنا من المكاتَبة والمواصَلة معها، إلّا عند حُدُوثِ ما يُوجِبُ المفاوضةَ، واعتنان الحاجة العارضة[٧].

وأسأل الله أنْ يُطيلَ بقاءَهُ، ويصِلَ إخاءه[٨]، ويحفظه بعيداً وقريباً، ويرعاهُ غائباً وحاضراً، بمَنِّه وقُدْرته.

---

(١) باريس، طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، سيلي أوك.

(٢) ب: والتشوق.

(٣) ب: ثابتتين.

(٤) ك: (ما تَزالان زاكيتين.......... والثناء) ساقط في ر.

(٥) ك: ما تَزالان مرفوعتين مسموعتين.

(٦) س: فظه.

(٧) ب: الحارضة.

(٨) س: جاه.

وله فصلٌ من كتاب(١)

فأمّا مشاركتُك إيّاي في الحال التي تطاولت أيّامها، وتضاعَف اهتمامك من أجلها، فالشكر عنّي زائدٌ فيما تعتقده. ولو لم أعرفه إلّا من شهادة قلبي به لكفى ذلك وأغنى. وكان وُصول الكتاب إليّ وقد كشف الله تلك الغُمّة، وأعادني إلى ظلّ النِّعْمة، وشَمِلني من تفضُّل مَوْلانا الملك وتعطُّفه، وإحسانه وامتنانه، ما يقرّ عَيْن الصّديق، ويرغم أنف العدوّ؛ فلله الحمد كثيراً، والشكر دائماً.

ووالله ما يفي لساني بأنْ يقول، ولا يدي بأنْ تخطّ حقائق المواهب التي تظاهَرَت عليّ في تلك الأيّام وبعدها، فإنّ مَوْلانا الملك - أدام الله تمكينه - أفردني في حال تأديبه إيّاي، وتقويمه لي بتكْرمة لم يُعامَل أحدٌ من أمثالي، ومَن هو فوقي بمثلها، صيانةً للعِرْض والولد، والأهل والسّبب، قبولاً لكلّ ما خدمتُ فيه، وواصلتُ الحضْرة الجليلة به. وكانت خاتمة ذاك الإطلاق، ثم الإذن في الوصول إلى المجلس المعمور، والإيذان بالمزيد الذي أسأل الله تبليغاً إليه، وتوفيقاً واستحقاقه.

فصلٌ آخر منه:

وإذ قد شرحتُ ما شرحتُه، وأوضحتُ ما أوضحتُه، فقد - والله - قبلتُه وصدّقتُه، وأحسن الأشياء بك أنْ تأخذ عليه بالفَضْل، وأنْ تعطيه من نفسك ما كنتَ منعتَه إيّاه فيما قبل، خاصّة وأنت الأوجه والأبسط، ومَن عليه - يشهد الله - معولي لجماعة

(١) طهران، وفيها كلمة (آخر) في نهاية العنوان.

أصحابنا هناك، وإليه سُكوني في الإشبال[1] عليهم، والمعونة لهم في مَواهبهم.

وبالله العظيم ما استربتُ قطّ بدينك وأمانتك، ولا كنتَ مُحتاجاً عندي إلى ما تكلّفته من ذلك الشرح الطّويل، ولكنني أريد منك ما لا أزال أنا أفعلُه وأوثره في مُواصلة مَن قطعني، والإحسان إلى مَن أساء إليّ. ولو عرفتَ الغاية التي أبلغها، والحقيقةَ التي آخذ نفسي بها، في إحْماد كلّ مَن تعدّى طوده، ولم يبصر رُشْده، لاستسرفتَ ذلك منّي، وامتعضتَ فيه دوني. وأزيدك على ذاك ....[2] ما أرضى بالإحْماد حتى أتجاوزه إلى الإحسان والإجمال؛ فهلمّ بنا إلى النظر في هاتين الطريقتين، أيّهما أولى بالفاضل؛ لنكون جميعاً سالكين فيها، ولازمين لها.

(١) أشبل عليه: عطف عليه. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٣٥٢ (شبل).

(٢) كلمة غير مقروءة.

وكَتَب[1]

أنا منذ أقالني سَيِّدنا العَثْرة، وكشف عنّي الغُمّة، بمنزلة ميتٍ بعثه وأنشره، وهالكٍ تَلافاه وتداركه. ومثلُه مع جليل منزلته، وعظيم محلّته، لا يُلاقى بالحجّة، ولا يُستصلح رأيه بالمناقضة، لكن بخفض الجَناح، والتزام الجُناح، والجنوح إلى طلب رِضاه وعَفْوه، والاستعاذة من غضبه وسَطْوه.

والله إني في طاعته ومُوالاته كأحد عَبيده وبطانته، وأنّ نيتي لَسليمة، وطويّتي لَمستقيمة، والذي اتفق عليَّ من تشعُّث ثقته فهو شيء لم أحتسبه ولم أكتسبه، ولا يصرفه عني إلّا تمام تفضُّله وشمول تطوله، وظهور انعطافه، وحُسن رأيه.

وقد استخدمني - أيّده الله - في أمرٍ يحتاج المتولّي له إلى خُلُوّ ذرع، وانشراح صَدْر، وقيام هَيْبة، ووُفور جاه. ومتى تولّيتُه بقلبٍ ضَعيف، وخاطرٍ مَكْسوف، عاد ذلك بالخَلَل والشَّلَل على الأمر نفسه، وههنا رُؤساء وحَواشٍ، وأكابر وأصاغر جميعَهُم يُعرض بإعراضه، ويُقبل بإقباله. فإنْ رَأى سَيِّدنا - أطال الله بقاءه - أنْ ينعم على عبده بالتوكّل له على نَفْسِه، والمطالبة لها فيه بجميل عادته، وإخراجي من الوُجوم إلى النشاط، وعن الانقباض إلى الانبساط، وإنابة ذلك إلى مَن احتاج إلى قيام الجاه به وعنده، فعَل إنْ شاء الله.

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي.

وكَتَب[١]

سَيِّدنا - أطال الله بقاءه - يعرفُ مقدارَ شكري من مقدار مَعْروفه عندي، فإنْ[٢] أمسكتُ عن ذكره تخفيفاً، فقد قام به الاشتهار عنّي خطيباً، وما شيءٌ يحتاج مثلي إلى أنْ يَبين عنه من رُزوح حالٍ، وكَثْرة عيالٍ، وضَعْف رَمَقٍ، وتطاول أمدٍ، مع قوّة رجاء، وانْفساح أملٍ، وتوكّد سببٍ، وانتظار فَرَجٍ، إلّا وهو - أطال الله بقاءه - أعرفُ به، وأقومُ عليه.

والإطالةُ تضجر، والإشارةُ تكفي، وأوقاتُ النشاط والسُّرور، والصَّدقات والنُّذور فرصاتٌ تُنتهز، وخُلَسٌ تُغتنم، وحَظُّ المثوبة في أمْري أكثر من حَظِّ المكرُمَة. وله - أدام الله تأييدَه - علوّ الرأي فيما يُزِلّهُ إلى خادمه من فَضْل عنايته، وزكاة جاهه إنْ شاء الله.

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي.

(٢) ر: فإني.

وكَتَب[1]

كتبتُ - أطال الله بقاء مَوْلانا - عند إفاقتي من علّةٍ عظيمةٍ كنتُ فيها، قد أقال الله منها بعد أنْ بَلَغت من جسمي قريباً ممّا بَلغَت النكبةُ من حالي، فها أنا نضوٌ من الجهتين، مهيضٌ من الجنبتين، معتصمٌ بالله - عزّ وجلّ - الذي لا يُسْلم مَن استرجع إليه تائباً، ولا يخذل[2] من استنصَرَ به منيباً، وبمَوْلانا الملك السَّيِّد الأجّل المنصور وليّ النِّعَم عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة - أطال الله بقاءه - الذي لا تبور عنده حُرمة، ولا تُخفر في فنائه ذمّة، ولا تكون نكبةُ مثلي من الخدَم المخلصين، والعَبيد المصطَنعين في أيّامه إلّا إصلاحاً لا اطّراحاً، وتهذيباً لا اجتياحاً، ومَجازاً إلى نِعَمٍ سابغةٍ يوليها، وعَوارف ضافيةٍ يُسديها، وأحمد الله وأشكره، وأستقيله وأستغفره، وأسأله أنْ يحقّق ظنّي في انصراف المخوف، ويصدق مخيلتي في تأتي المحبوب[3]، ويحفظ عليّ حُسْن العزاء، والصّبر للعزاء، ويغني مَوْلاي الشيخ عن هذه الموهبة بطُول المتعة والنِّعم كلّها، والأمان من الغِيَر[4] فيها، حتى لا يحتاج إلى التعزّي عند الرزيّة، ولا إلى التصبّر للشدّة، بمَنّه وقُدْرته.

وشوقي إلى مَوْلاي شديدٌ مقلق، ونزاعي إلى رؤيته حثيثٌ مرهق، وما تركتُ مع اتّصال القَواطع، وتَرادف الموانع، تعرّف أخباره من سادَتي المكاتَبين له - أدام الله عِزّهم - والسّرور بصَلاحها، والابتهاج بانتظامها، والاستبشار بها لوحّت به من قُرْب أوْبته، قرنها الله بمحبته.

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي.

(٢) ف: يحذر.

(٣) ساقطة في ف.

(٤) ف: الغيل.

وإنّما حَسْمتُ عنه مكاتبتي ترفيهاً له عن كُلفة إجابتي، ولو احتجتُ إلى إقامة دليلٍ على نيّتي، والتماس بُرهانٍ على طوبّتي، لكفانيهما إحسانُ مَوْلاي إليّ الذي لا يغمِط مثله الكَفور، فَضْلاً عن الشكور، ولا يتقلّده أحدٌ إلّا وَجَب أنْ يُعدّ في المواظبين وإنْ أغبّ ويُحسب من المواصلين وإنْ أخلّ.

وأما بَعْد، فأمري واقفٌ على ما عرفه مَوْلاي، وأنا قائمٌ في ظلّ ذلك الغَرْس الذي غَرَسه لي في ظلّ مَوْلانا الأُستاذ أيّده الله. وقد دلّت الحال على نفسها، وصرّح الامتحان عن رقتها، ولم يبق إلّا وُرود الأمر العالي بعفوٍ هو المأمول[1] وبيد الله ذلك، ورغبتي إلى مَوْلاي - أدام الله عِزّه - ممتدّة، ونَفْسي به مشتدّة، ويَدي إلى الله بالدّعاء له[2] مَبسوطة، وصوتي وأصوات التّابعين لي بذلك مَرفوعة، والسَّلام.

---

(١) ف: المال.

(٢) من: ر.

وكَتَب[١]

كتبتُ كتابي هذا مجدّداً عهدَ خدمته، وقاضياً حقّ نعمته، ومهنّئاً له بمَواهب الله لمَوْلانا الملك السَّيِّد الأجّل المنصور وليّ النِّعَم عَضُد الدَّوْلة وتاج المِلّة - أطال الله بقاءه - التي لا يزال يضعها عليه، ويتابعُها إليه، ويقضي[٢] بها معشر[٣] خَدَمه وصَنائعه من سَعَة مَوادّها[٤]، ورَيْف أكنافها، إلى أمْرع مَرْتع، وأعْذب مَشْرع، وراغباً في التقدّم بإجابتي بجملةٍ تكون مُسْكة الرّماق، وتنفيس الخناق، إلى أنْ نعتاض بالأوْبة من الغيبة، ونستغني بالمشاهدة عن المكاتَبة، وتضمن ما ينشط له من ذلك طَرفاً من استخدامه، ونَصيباً من أمره ونَهْيه. ولمَوْلانا الشيخ - أدام الله عِزّه - علوّ الرأي فيما سَألتُ إنْ شاء الله.

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي.

(٢) ر: يفضي.

(٣) ر: معاشر.

(٤) ر: مرادها.

فصلٌ من كتاب[١]

سَيِّدي -أدام الله عِزّه- يعلَمُ أنّ مَواردَ الأمورِ ومَصادرَها إليه، والمعتمَد[٢] في جميعِها عليه، وأنّ مَن حلَّ محلَّهُ -لا أخلاهُ الله منه- قادرٌ على أنْ يُنهِضَ العاثرَ إذا عَثَر، ويُقيلَ الهافيَ إذا هَفا. ومتى تأخَّرَ ذلك عنه ظُنَّ به أنّه مُسلِّمٌ له، أو قليلُ الحفْلِ بما لحقه، وليسَ يخلو من أنْ يكون راضِياً عن هذا الخادِم، مَعنِيّاً به، فذلك مُوجِبٌ عليه تَخلُّصَهُ، أو مُنكِرٍ منهُ غَلَطاً، أو مُتحفِّظٌ عليه جُرْماً، فشرِيطَةُ القُدْرة إزالَةُ الحَفيظَةِ، ونُبْلُ المنزِلةِ مانِعٌ من المؤاخَذةِ.

ولو كانت الجَريرةُ العظيمةُ التي لا توْبةَ لها، ولا صَفْحَ عنها، لاقْتَضَتْهُ العادةُ في خدْمةِ مَوْلانا الأمير -أطال الله بقاءه- التجوُّزَ والإغْضاء، والكفّ والإبْقاء، وخاصَّةً مع ما خَرَج إليه من التأكيد الذي ليس عليه مَزِيد، ومعَ ما أُجَرِّدهُ من سُؤالي لهُ، الذي أنا باذِلٌ فيه وُسْعي، ومُهرِيقٌ ماءَ وَجْهي، وواثقٌ بأنّ صدرَهُ يتَّسِعُ لإسْعافي، وصَبرَهُ يعمَلُ[٣] على رَدِّي.

فإنْ رأى سَيِّدي -أطال الله بقاءه- أنْ يتفَضَّلَ في ذلك بما هو أهلُهُ ووَليُّه، وحَقيقٌ بحيازةِ المثُوبةِ والمكرُمةِ فيه، فَعَل إنْ شاء الله.

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة.

(٢) ج: ومعتمد.

(٣) ج: يقل.

وكَتَب[1]

كتابي - أطال الله بقاء سَيِّدي - عن سَلامةٍ، والحمدُ لله ربِّ العالمين. وعن حالٍ مستمرّةٍ على ما كان من الإسْفار، ووَقَف عليه من جُملة الصَّلاح. وأشكرُ الله - عزّ وجلّ - على ذلك، وأسأله الإتمام والمَعُونة مع الخلاص، بقُدْرته.

وقد كتبتُ إلى سَيِّدي - أدام الله عِزّه - بما نفذ من جهة فلان، ثم بَلَغني أنّه - أدام الله عِزّه - وَجَد علّةً انقطع بها عن النّظر، فتقسّم فِكْري، واشتغل خاطري، وآيسَت نَفْسي، والتقيّة[2] من محنتي، وانصرفتُ عن كلّ دعاءٍ أدعو الله به إلى مسألته - عزّ وجلّ - جمعَ[3] الإجابة لي فيما لا[4] أزال الآن أدعو به، وأرغبُ فيه من كفايته ووقايته، وتَعجيل مُعافاته وإقالته.

وبالله جهد القَسَم، لو كانت العلّة ممّا يُتحمّل لتقمّصتُ قَميصَها دونه، أو لو كانت الصّحةُ ممّا يُنحل لخلعتُ سِرْبالها عليه، إذ كانت عافيتي لا تصفو لي ما لم تجمعه وإيّاي، وكانت علّتي لا تُجحِف بي ما كان سالماً منها دوني. ولو لم يَطُل زمان ارتياعي بهذا الخبر حتى تلاه خبرٌ ثانٍ بصَلاحه وإبْلاله، ونُهوضه واستُقلاله، فجدّدتُ لله حَمداً، وسجدتُ له شكراً، وأيقنتُ أنّي مُقبلٌ إذ وقاني الله السُّوء في أفضل عُدَدي، وأرعى سادَتي لحقّي، وأنفس ذخائري ليومي وغدي، وأطلتُ التضرّع إلى الله في كفايته وكفايتي فيه كلَّ

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي.

(٢) كذا في الأصول.

(٣) ر: جميع.

(٤) من: ر.

محذور، وتبليغه لي كلّ مأمُولٍ، بمشيئته.

وكتبتُ هذا الكتابَ وبوُدّي أنّي بمكان حامله شوقاً إلى مَوْلاي - أدام الله تأييدَه - وحنيناً نحوه، ونزاعاً إلى أنْ أكونَ معه بمَرأى عَين، ومَسْمَع أذن، وبحيث أتمكّن من خِدْمته فيما تخدُمه اليد الحفيّة به، والنّفس الشّفيقة عليه، والعَين التي تراه أحقّ بوقاية الجفن من مُقلتها، وحَوايا القلب التي هو أولى بأنْ تكتنفه من سُوَيْدائها. وأنا أرجو أنْ يصادفَ كتابي تَمامَ الصحّة، وكمالَ القوّة، والعَوْد إلى العادة، والالتحاف برداء العافية، وظلّ النِّعْمة، وكنّ الوقاية ؛ فيكون كتابي تهنئةً لا كتابَ عيادة، وتقع هذه الإطالة منّي موقع التقبّل لا التضجّر، ويُصادف فراغاً له ونشاطاً لجوابه، لا شغلاً دونه، وانقطاعاً عنه، ولله الإذن والمشيئة.

ولا أزال متطلّعاً متوقّعاً إلى أنْ يتناهى سُكوني بتناهيه في النّهوض، وبلوغه غايته كانت في النّظر والعمل، وخلاصه من كلّ خوفٍ ووَجَل. ولسَيِّدي - أطال الله بقاءه - عُلُوُّ الرأي في ذلك، وتَصْريفي بين أمْره ونَهْيه وإجرائي في المواظبة على أحسن عادته في المواصَلة إنْ شاء الله.

وكَتَب(١)

محنتي يا سَيِّدي – أطال الله بقاءك – فيما الْتاثَ عليّ من وُدِّك، وتغيَّر من جميلِ رأيك، أضعافُ المحنةِ في الحال، ووالله العظيم ما أزالَني ما جَرَى عن عَهْدِ المودّة والمحافظةِ والبصيرةِ والثقة، لأنّ بيننا أشياءَ متأكّدَة مُذْ نحو ثلاثين(٢) سَنةً، وإنْ بَطَل مثلُها والعِياذُ بالله تعالى، فعلى أيِّ شيءٍ يُعوِّلُ النّاس فيما يجتمعونَ عليه، ويَرجعونَ إليه! ولأنّ هذا العارضَ الذي عرَضَ لك، وسُوءَ الظنِّ الذي خامَرَكَ، لا أصْلَ له من جهتي، ولا شاهِدَ به عَليَّ، فنفْسي ساكنةٌ إلى أنْ يضمَحِلَّ ولا يستقِرَّ بإذنِ الله. وأنتَ – أيّدك الله– أعلى منّي سنّاً، وأشَدُّ في كلِّ فَضْل تقدُّماً، ومن المُحالِ أنْ يُعَلِّمَ مثلي مثلَك، بلِ الأوْلى أنْ أتعلَّمَ منك، لكنَّ الذّكرى نافعةٌ مَأمورٌ بها، محمودَةٌ ممّن استعمَلَها، وممّن يتقبَّلُها، وقد وَصّاك الله في هذا العدوِّ المُبين بأنْ تدفعَ بالتي هي أحسَن، ووثق لك بأنّ ذلك يُعِيدُه وَليّاً حميماً(٣).

وكنتَ لا تقبَلُ هذه الوَصِيَّة في استيفاءِ صَداقَةِ الصَّديقِ المخلص، وأمرَكَ – عزّ وجلّ – بالتَّوقُّفِ عن بعض الظَنِّ، وبأنْ تتبيَّنَ نَبأ الفاسِق، وتتجنَّبَ في القَبُولِ منه سُوءَ عاقِبَةِ النَّدم على بادِرَةٍ تقَعُ منك عند مَن لا يَستَحِقُّها، ولا أتي ما يُوجِبُها. وأنا أحلِفُ

---

(١) چستربتي، طهران، ليدن، القاهرة.

سيذكر الصّابي أن هذه الرسالة كتبها سنة ٣٨٤هـ وهي السنة التي توفي فيها.

(٢) ل: ثلاثون.

(٣) من قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ من الآية ٣٤ من سورة فصلت.

بالله، وبكلِّ قسَمٍ أُعظِّمُه مُجتَهِداً مُخلِصاً، غيرُ متأوِّلٍ ولا محاجِزٍ أنني ما اعتقدتُ لك سُوءًا قطُّ، ولا سَعَيْتُ فيه ولا أردتُه، ولا هممتُ بشيءٍ منهُ، ولا كنتُ سَبباً لما لحِقَك من النَّكْبةِ التي أحمَدُ الله على أنْ صَرفَها عنك، ولا سرَّني وُقوعُها، ولا أُحِبُّ مِثلَها للعَدُوِّ فَضْلاً عنك، ولا تَركتُ المحاماةَ عليك، والمراماةَ دُونَك قبلَها وفيها بحسَبِ إمْكاني. وما يقدِرُ أحَدٌ أنْ يقولَ: إنني أسَأْتُ خلافَتك، ولا نبَّهتُ عَليكَ، ولا اجتمَعْتُ مع المخاطِبينَ لك، ولا أدخَلْتُ يدي في مالٍ ولا ضَيْعةٍ لك ولا مِلْكٍ، ولا تعَلَّقتُ بِسَبَبٍ ولا تابعٍ ولا مُعامِلٍ، ولا خَدَمتُ السُّلْطان في شيءٍ تكرَهُهُ، ولا في أمرٍ تستثقله. فإنْ قُلتَ -أيّدك الله-: إنّ ذنبي هو تَرْكي تفقُّدَك وَمُواساتَك، فأنا بذلك معترف، وحُجَّتي فيه التّوقّي والخَوفُ، وما قد لاحَ وظَهرَ من التُّهمَةِ الشَّديدة لي عند انحيازِ سَيِّدنا الوزير - أطال الله بقاءه - بواسِط.

وتالله العظيم جُهدَ القَسم، لقد ذُكر لمولانا الملِك -أطال الله بقاءه- في يَومٍ من الأيّام وأنا واقِفٌ مَبلغَ ما طُولِبتَ به وقُرِّر أمرُك عليه من ذلك الجزافِ والمحال، فاستكثرتُه، فقال لي بهذا اللّفظِ: أنتَ تقولُ هذا، وغيرُكَ يقولُ ضدَّهُ.

وكنتُ قد تكلَّمتُ قُبيلَ ذاك بأيّام في أمرِ دارِك كَلاماً أغرَقْتُ فيه، وقبَّلتُ الأرضَ لما أُمرَ بنقلِ النّازِلِ - كان - فيها؛ فصِرْتُ مُتَّهَماً فيما قلتُه. فلمّا خرجنا، قالَ لي بعض مَن سمعَ القولَ من إخوانِنا: يا هذا الرّجل، مَن أخَذَكَ بهذا؟ أما يكفيكَ تُهمَتُه لك، وإعْراضُه عَنكَ، حتى تُؤكِّدَ ذلك ! اللهم أنك الشّاهِدُ على هذا، وكفى خِزياً بمَن يستشهِدُه جلَّ ذكْرُهُ على باطلٍ، وليس يَبلُغُ الذنبَ -أيّدك الله- في تركِ التفقُّدِ عند الشِّدَّةِ المبلغَ الذي خرَجْتَ إليه في أمْري، وخَاصَّةً مع هذه المعاذيرِ الواضحة.

وقد كنتُ بالأمسِ مَنْكوباً نكَباتٍ مُتَتابعَةً، ذهبَتْ فيها أملاكي، ووُقوفُ أسْلافي، ودُوري التي تَجمَعُ عِيالي، وسائرَ ما كنتُ أحْويه، واحْتجتُ إلى مسألةِ النّاس - فيما يشهَدُ الله - أنّ أحداً ممّن كان لي إليه إحسانٌ، وعَليهِ إفضالٌ أسعَفَني ولا مَرَّ بي، ولم أُوجِبْ بهذا الفعلِ عُشرَ العَشيرِ ممّا بلغتَهُ في عُقوبتي، وما أمتنِعُ مع هذا من الاعترافِ بِفَضْلِك، والإقْرارِ بتقصِيري في أمرِك، ولكنّي أسألُكَ أنْ تجعَلَ العُقوبةَ على قدرِ الذَّنْبِ، هذا إذا عَدَلْتَ عن المعاتبة اللّطيفة، وتجاوَزتَها إلى المؤاخَذةِ العنيفة، ومثلُك من احْتجَّ على نفسِه، وصَرفَها إلى أجملِ مَذاهِبها.

ووالله، لو كنتُ عَدُوّاً لك - وبالله العِياذ - قد قارَضَك الذُّحولَ، وسارَتْ بما بيني وبينك الرُّكبانُ، لما أشبهَكَ - مع سِنِّك وحِلْمِك ودينِك ومُروءتِك - أنْ تُجازيَهُ، ولا سِيَّما في حالِ استتارِه وقعودِ الزّمان به، ولكان الأولى بفضائلِكَ أنْ تأخُذَ فيه بأدَبِ الله في العَفوِ والصَّفح، فكيف فيمَن لم تَجْمعْكَ وإيّاه قَطُّ إلّا المَودّةُ والمصافاة، والممالحَةُ والمراضَعة، والنّيابةُ والخلافةُ، على مُرورِ الأوْقاتِ، وتَصاريفِ الدُّوَل ! وأقولُ مع هذا: إنّني لستُ ممّن يُصلِحُكَ فَسادُ حالِه، ولا يضُرُّكَ استقامَتُها، ولا أتصرَّفُ فيما يَصلُحُ لكَ التصرُّفُ فيه، ولو صَلَحَ لَأفرَجْتُ لكَ عنه إفْراجَ مَن يُؤْثِرُك ولا يَستأثِرُ عليك. ولا بيننا شِركةٌ، ولو كانت لَنزلْتُ عنها لأحدِ أسبابِك، فَضْلاً عَنك، ولا مجاورَةٌ في دارٍ ولا في ضَيْعة، ولو كان ذلك لسَعِدْتُ به، إلّا أنك إذا كَرهتَهُ انتقَلْتُ عنه.

وما بما أنا فيه من ثِقَلِ الظَّهرِ، وطُول الذيل، وكَثرةِ العِيالِ والوَلدِ ووَلدِ الوَلدِ، وإلْحاح الزّمان عَليَّ بالشّدائد، وذَهابِ ما كان في يدي لهذا العَددِ الجمِّ من الوُقوف والمعايشِ، وتَستُّري وإيّاهم بالسّترِ الرّقيقِ من التَّجمُّلِ خَفا عنكَ ولا عن أحَد.

والإجهازُ على مثلي مُمكِنٌ يَسهُل، ولكنَّهُ قبيحٌ لا يُشبِهُك، وغيرُهُ أولى بكَ، وأليَقُ

بعادتِك، وهو ذا تَراني في خِلالِ ما يَجرِي مُتَمسِّكاً بحبلِك، ضَنيناً بموَدَّتِك، صابراً على ما امتحنَني به الزّمان فيكَ صَبرَ المستصلِحِ لكَ، لا المتعزّي عنك، وإنني مُنتظِرٌ أنْ تَسكُنَ فَوْرةُ سُوءِ الظنِّ منك، وتسفر الشُّبهَةُ المعترِضَةُ لك، وتَرجِعَ إلى ما توجِبُه دِيانتُك ومُروءتُكَ من غيرِ أنْ أكُونَ عَدَلْتُ عن مُكاتبتِك، ولا تَجاوزْتُ الرغبةَ إليكَ، ولا أدخَلْتُ بيني وبَينك مَن عسَى أنْ تكرَهَ مُخاطَبته، ولا قابَلْتُ النَّبْوةَ منك بمُعازّةٍ توغِرُ صَدرَك، ولا بالالتجاءِ إلى غيرِكَ، ولا عَدلْتُ عن التلطُّفِ الذي ما يدعوني إليه إلّا الإعظامُ لقَدرِك، والرغبةُ في الاعتضادِ بك، والرَّجاءُ لأن يثبُتَ في يدي ما كاد يخرجُ عنها منك.

فتأمَّلْ -أيّدكَ الله- مسؤُولاً غيرَ مَأمور، ما كتبْتُ به إليك، والْعَنْ شيطاناً نزَغَ لك، واحْفَظْني إذ لم أضَيِّعْكَ، وأقبِلْ عليَّ إذ لم أنصرِفْ عنك، واعلَمْ أنّني مُسَلِّمٌ لكَ القُدْرة على ما يُصلِحُني أو يَضُرُّني، واختَرْ منهُما الألْيَقَ بك، والأعْودَ عليكَ في دينِك ومُروءتِك، فكم بين أنْ يتحدَّثَ النّاس عنكَ أنّ مثلي تخلَّصَ على يدِك من وَرْطة، وخَرجَ من ضُغْطة، واتّخَذْتَ عنده يداً ومَكرُمةً، واغتنمتَ فيه شُكراً ومَثُوبةً، وبينَ أنْ يقولوا ضِدَّ ذلك؟ ! والله يَحرُسُكَ من مُفارقَةِ طبعِكَ الذي أعرِفُه، وهو أكبر أعواني عليك، وأقوى أسبابي لدَيكَ، إذ كنتُ أعهدك في أشياءَ كثيرةٍ جَرتْ بيننا، وأحوالٍ جمَعَتْنا.

تحلِفُ بالله أنكَ لا تُفضي إلى فراشِكَ وأنتَ تُضمِرُ لأحَدٍ سُوءًا، ولا تَنْوي فيه شَرّاً، وأثِقُ كلّ الثقةِ أنَّك لا تُخرِجُني عن جملةِ مَن تعتقِدُ ذلك فيه، أو كنتُ من المتأخِّرينَ في مُوالاتِك ومُصافاتِكَ، فكيف وأنا أتقدَّمُ النّاس في المعرفةِ بفضلِك، والضّن بك والمنافسة للمرزُوقينَ منك، والحسدِ للحاصلينَ في ذِمامِك؟

وقد أطَلْتُ إطالةً ربَّما عادَت بالإضْجار، ولكنَّها بعد ترفيهٍ طويلٍ وانتظار، وما كان لي في الأمرَينِ جميعاً إلّا أنْ يَبرُدَ صَدرُكَ من حَرارتِهِ، ويَنْقَى قلبُك من حَزازته[1]، ويَثُوبَ إليك قديمُ يقينك، ويَنْجلي عنكَ حادثُ شكِّكَ وارتيابك. ولا شك في أنّ الله قد وفَّقني فيما قَصَدْتُ له، وأصارَني إلى ما اعتمدته. وأُريدُ منك أنْ تكونَ أنتَ مُعيني على نفْسِك، وشافعي إلى عنايتِك، وأنْ يَظهرَ منك في المجالسِ والمحافِلِ قولٌ يُشبِهُكَ ويُشبِهُني، وخلافةٌ بالجميل المُضاهي لما بينك وبيني، وأنْ تجعَلَ ثمرةَ هذه الرُّقعةِ مكرُمةً تتَّخذُها عندي، ومِنَّةً - تُطوِّقُها عُنُقي، وأُحْدوثةً حَسَنةً تنتشِرُ لك وَلي.

واعلَمْ – أيّدك الله – أنّ الله غيرُ مَعَلِّمٍ أنْ تُفَضِّلَك بذلك يُؤنِسَ القُلوبَ بك، ويَجلُبَ المحامِدَ لك، ويُقِرَّ عيونَ أوليائكَ وإخوانِكَ فيك، وأنّ رَدَّك إيّايَ منسوبٌ إلى القَسْوةِ التي قد نزَّهَك الله عنها، وباعَدَكَ منها. فليسَ يقولُ القائلونَ إذا أحسَنْتَ وأجمَلْتَ: إنّك ولَّيتَ عن هَزيمة، بل رجَعْتَ إلى سجيَّةٍ كريمة، وكيف يُقالُ ذلك وليس بإزائكَ خَصمٌ مُنابِذ، ولا ضِدٌّ مُبايِن، بل سائلٌ طالب، ومُستصلِحٌ راغِب.

وممّا أُذَكِّرُك الله –عزّ وجلّ– فيه: هذا المعاشُ الذي قد عرَفْتَ نَزارتَهُ ووَتاحتَه[2]، وأنّك قد اشتمَلْتَ عليه اشتمالاً نفْسُك أكبرُ وقدرُكَ أعظَمُ منهُ، ولم يَبْقَ فيه شيءٌ لسَنة أربع[3]، لأنّ الغَلّة قُسِمت واحتُمِلَتْ، والخَراجَ استُنظِفَ، وليس هو من مآكلِكَ ولا من مَطاعِمِك، ولا رأيتُك استحلَلْتَ مِثلَهُ من أحَد.

---

(١) (ويبقى قلبك من حزازته) ساقط في ج.

(٢) الوتاحة: قلّة الماء، والمقصود هنا قلَّة العطاء. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٦٢٨ (وتح).

(٣) يقصد سنة ٣٨٤هـ.

وهَبْك تَرى أنّ مالي لك، وتثِقُ منّي بأني أُجِلُّكَ، فما العُذر في الإشقاص[١] للوقوفِ المنسوبةِ إلى وَرَثةِ أخي -رحمَهُ الله- وهم عَجائزُ وأطفالٌ في نهاية الرُّزوح وسُوءِ الحال، وقد عَدِموا أقواتَهم وانقطعَتْ مَعايشُهم، ووَقَفَتِ الوالدَةُ رَعاها الله - وهي امرأةٌ كَبيرةٌ مُتَزَهِّدَةٌ منقطِعةٌ إلى ربِّها وصَومِها وصَلاتِها وتُربةِ مَوْتاها - لا تقبلُ لي ولا لأحدٍ شيئاً، ولا لها مادةٌ إلاّ منه، وإنْ فَضل عنها شيءٌ تصَدَّقتْ به، ولا مَدخَلَ لها فيما بيننا من صُلحٍ أو عَتْب، وما يُنسب إلى المرأةِ المتَّصلة[٢] بي وهي بمَعزِلٍ عن هذا أيضاً. وما لي في شيءٍ من ذلك كلِّه نَظرٌ ولا يَد، ولا أعرِفُهُ ولا أشتَهي لكَ التلبُّسَ به، ووَالله ما لي ولا لها قُوّةٌ ولا قُدرة، ولا نملِكُ إلّا مسألتَك وترغيبَكَ في الثوابِ، وأنفُسُنا وأموالُنا بعد هذا لك وبينَ يدَيْك وأنتَ المحكَّمُ في جميعِ ذلك.

وأُشهِدُ الله أنني ما أُفارِقُ مودَّتَكَ واستِصْلاحَكَ في وَقْتي هذا مع ما أنا فيه، وإذا سَهّل الله العودَ إلى حَضْرة سَيِّدنا الوزير - أطال الله بقاءه- الذي هو نهايَةُ ما أرجوهُ من العزِّ، ولا أنتَ ممّن تُحدِّثُني نَفْسي فيه بمُقاومَةٍ ولا مُغالبة، ولا تَعزُّزٍ ولا مُطاولة، ولا أنا من رجالِ الخُصومةِ والمنازعة، ولا لكَ في الظَّفرِ بمَن لا يُجاريكَ حَظٌّ ولا فائدَة. وهَذه الرقعَةُ بخطِّي شاهدَةٌ عليَّ بذلك، وأنا مقِرٌّ فيها بأنّي نازلٌ على حُكمِكَ في خاصِّ ما بيني وبينك، وصابرٌ عليكَ إلى أنْ يأذَنَ الله في انعطافِكَ، ويكشف هذه الشُّبهة عنك، فتكونَ أنتَ المصلحَ لأمري كُلِّه، المُعيدَ لي إلى ما كنتُ عليه، والحافِظَ لهذه الأشقاصِ الحاصِلةِ في يدِكَ وذمَّتِك، وأنْ يعطِفَكَ الله إلى ما ظننتُه بك وأمَّلتُهُ فيك، فهُوَ الذي يُشبِهُك. وإنْ

---

(١) جمع شِقص، بكسر الشّين، وهو النّصيب والسّهم. لسان العرب، ج٧، ص٤٨ (شقص).

(٢) ساقطة في ل.

تكُنِ الأُخرى فأُعيذُكَ بالله منها، فما آيَسُ[1]، ولا أفارِقُ هذه الطريقةَ معك، ولا أُدخِلُ بيني وبينَكَ إلّا المطَّلِعَ على السّرائرِ جلّ وعزّ، والسَّلام.

وأسأَلُكَ بالله العظيمِ لما عرَّفتني: أيُّ شيءٍ بلَغَك عنّي؟ ومَن حَكاهُ لك؟ ومن أيـنَ تحقَّقتَ المحالَ الصِّرفَ وجَرَى عندَكَ مَجْرى الحقِّ اليقين؟ فوالله الذي لا إلهَ إلّا هُو، ما كتَبَ الله عليَّ لفظةً تَسُوؤُك، بل ضِدَّها، وها هنا أبو العـلاءِ - أيّـده الله- وكـان نـاظراً، وأبو سَهْل سَعيد بنُ الفَضْل وهو خليفَةُ مَوْلانا الملِكِ أطال الله بقاءه، وما مـنهما إلّا مَـن يرجِعُ إلى دِينٍ لا يبيعُه لي، ولا يطَّرِحُهُ من أجلي، فارجِعْ إليهما، واسألهما، وابحَثْ وانظُرْ لنفْسِك، وتأمَّلْ أمرَك. وما أستكثِرُ مع هذا مَسألةَ سَيِّدنا الوزير -أطال الله بقاءه- إنْفاذ صاحِبٍ له قاصِداً إلى شيراز بكتُبٍ يَسألُ فيهـا عـن هـذا الأمـرِ، وتؤخَـذُ في جواباتِهـا الخطوطُ والأيْمانُ والعُهودُ بالصِّدْقِ عن أمـري وأمـرِك، فـإنْ توقَّـف أحَـدٌ مـنهم عـن الشهادةِ لي، أو قَرَفَني قارِفٌ بتُهمة، فأنـتَ في حـلٍّ ممّـا اسـتجَزْتَهُ، وإلّا فـارجِعْ رُجـوعَ مثلِك، واعمَلْ ما هو الأوْلى بك، ولا تطَّرِحْ صَديقَك ومَن هو حاصِلٌ في يدِك، ولا تقُمْ في أمرِه وأمورِ الجماعةِ المتَّصلينَ به على ما يؤثِمُك إنْ شاء الله.

---

(١) ل: أنس.

وكَتَب[١]

ما تُـحدِّثُني نَفْسي -أطال الله بقاءك- أنّ الغَمْرَة تَنْجلي عنّي إلّا بِكَ، وأنّ الحظَّ لا[٢] يصِلُ إليَّ إلّا من جهتِك[٣]. ولو كنتُ غريباً لكانتِ الرّعاية عَتيدةً لمثلي عند مثلِكَ، ممّن قلَّلَ الله أمثالَهُ وأشكالَهُ، وعظَّمَ نُبلَهُ وجَلالهُ، فكيفَ وأنا بضاعتُك المُزجاةُ التي يُوحِشُكَ أنْ تذهبَ منك، ويُؤنِسُكَ أنْ تبقَى عليك.

ولم أُرِدْ بهذا القولِ أنْ أمدَحَ نَفْسي، وإنّما أرَدتُ أنكَ لا تجِدُ مِثلي مع جُمومِ آلائكَ لَديَّ، وتكاثُفِها عليَّ، ومع مَعرِفتي بقدرها، والتزامي الحقَّ بها، إذ كان حصولُ ذلك بين الرَّجُلينِ إنّما يتِمُّ[٤] في مُستأنَفٍ من عُمُرَيْن، أمَلي قوِيٌّ منهُما في الذي يَـخصُّكَ، ضَعيفٌ في الذي يَـخصُّني. وما أقولُ أكثر من هذا، لأنّه إذا هُزَّ الكريمُ استطارَك، وإذا أيقظتَهُ أسْهَرَك.

ومَصْلَحتي كلُّها يا مَوْلاي - أدام الله عزك - في إلْحاحِكَ على سَيِّدنا الوزير بالمكاتَبة في أمرِي، والتنجُّزِ لعادَةِ مُحافَظتِه ورعايتِهِ لي، والدّخولِ عليه من مَداخلَ أنت أهدَى إليها، وأقدَرُ عليها، حتى يشمَلَني إنصافُه، ويَقرُبَ عليَّ انعِطَافُه، وأنْ تكتُبَ إلى ذلك الصَّديقِ الآثمِ في بعض ظنِّه، المحتاجِ إلى اسْتغفارِ رَبِّه، بما يَكُفُّهُ ويصُدُّه، ويعيدُه

---

(١) چستربتي، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة.

(٢) من: ف.

(٣) ج: يدك، ف: بك ومن بدك.

(٤) ساقطة في ف. ر: هو.

إلى الأوْلى به[١] ويُردُّه.

والله يعلَمُ، وأنتَ تشهَدُ، أنني بعيدٌ من قَرفِه، بريءٌ من تُهمَتِه، حَقيقٌ منه بخلافِ فعْلِه ومُعتقَدِه، وتَضْمَنَ[٢] له عنّي إقامةَ الدّليلِ عنده الذي يُثلجُ صَدرَهُ، ويَسُلُّ ضِغنَهُ، ثم النّزول[٣] على حُكمِهِ في جميع ما بيني وبينه، وما أولاكَ يا سَيِّدي بالتّجريدِ فيما سألتُ، والمبالغةِ فيما اقترَحْتُ، والتقدُّمِ بمُطالعتي بما يَصدُرُ في ذلك عنك، ويَرِدُ من الجوابِ عليك إنْ شاء الله.

---

(١) ساقطة في: ج، ر.

(٢) بالنصب، معطوف على قوله: (وأن تكتب).

(٣) ل: نزولاً.

وكَتَب إلى صديقٍ

استماحة[١]

ولما أناخت النكبةُ من حالي على طَلَلٍ قَفْر، وبَلْقعٍ صِفْر، وعُون[٢] المغارم أثقل وَطأةً من أبكارها، وأبلغ تأثيراً في ثَلْمها وإضرارها، فقد اضطرّني إلى تجشّم ما كنتُ أجمّه من نَداه، والتعرّض لما كنت أدّخره من جَدْواه. وإنّما تخرج الكرائم، وتُبذل النّفائس من تزايُد الضَّغْطة، وتضايُق الخطّة.

---

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٩٧.

(٢) عُون جمع عَوان، وضدها بِكْر. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٢٠٤ (فرض)، ج١٣، ص٢٩٩ (عون).

نُسْخة جواب كتابٍ وَرَد عليه من حَرّان
في سنة ستٍّ وستّين وثلاثمائة [١]

كتابي – يا ساداتي ومشايخي أطال الله بقاءكم – من واسِط يومَ الجُمُعة النِّصف من رجبٍ، وهو عاشر صَوْمِنا جَمَعنا اللهُ في بركتِه، كما جمعنا في افتراضِه، ورزقنا وإيّاكم وُفورَ الحظِّ فيه من صالح الأعْمالِ الصّاعدةِ، وسابغ الرَّحمةِ النّازلةِ، وحالي سَلامةٌ أحْمدُ اللهَ عليها، وأسْألُهُ لَكُم مِثْلها.

ووَصَل كتابُكم – أيّدكم اللهُ – مُشْتملاً على تَهْنئتي بالإطلاقِ من حَبْسي، والعَوْد من خدمة السُّلْطان – أطال الله بقاءه – إلى مَوْضعي، وبأنْ أدالني الله ممّن كان سعى عليَّ، واسْتَهلك حالي، واجْتهدَ في هَلاكِ نَفْسي، ورَدّاهُ اللهُ على أمِّ رأْسِهِ في البئر التي كان احتَفَرها لي، وفهمتُه، وجلَّ عندي محلُّهُ، ولَطُف عندي مَوْردُه، وبرَد على قَلْبي موقعُه، وأثْلَجَ صَدْري مُتَضمِّنُهُ، وتضاعَفَ وجوبُ الشُّكْرِ لجماعتكم، وثَقُل معه محملُ الحقِّ لَكُمْ، ورغِبْتُ إلى الله تعالى في إنْهاضِكُم [٢]، ومَعُونَتي على تَأْديةِ لوازمِهِ. فأمّا ما أبنتم عنه – أيّدكم اللهُ – من المُشاركة لي في الشِّدَّةِ والرَّخاء، والكَوْنِ معي في البُؤْس والنَّعْماء، فما بشيء منه خفاء فتوضحونَهُ، ولا فيه شكّ فتدلُّونَ عليه، وكيف لا يكون ذلك كذلك؟ وقد ألّفت بيننا عصمةُ الدِّين، ونِحْلَةُ الصّابئين، الذين يعتقدون برحمة [٣] الأعداء إذا حصلوا في اللأواء، والحنوِّ على الأباعدِ إذا دُفعوا إلى الشَّدائد، فَضْلاً عمَّنْ تجْرِي المودّة

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، سيلي أوك وفيها بدون عنوان.

(٢) ف: إنهاضي.

(٣) هذا ما في ر، وما في دونها: رحمة.

منكم له مَجْرَى الأنْفاس، وتَسُوغُ مَساغ الكأس، وتزيد على مَودّاتِ غيرنـا، مـن النّـاس بالخيريّة التي نَحْنُ أصْلُها، وإنْ لم نرَهُ على أنْفسِنا فيها بالفضائل التي عَنّا مَصْـدرُها وإنْ لم تَبْلغ مبالغَ آبائنا وأجْدادنا[1] منها، وبالتّعاطف الذي تَقْتضياهُ رِقَّة البشريَّة، والنَّواميس النَّبوية، والوصايا الفَلْسفيّة، لا أعْـدَمني اللهُ كِبـاركُم إخـوةً، وصِـغاركم أولاداً، وكَثّـر فيكم منابتَ النَّجابة، ومعادنَ اللَّبابـة، وجعـل الأخْـلافَ مِـنْكُم أكثـرَ مـن الأسْـلافِ عدداً، وأبعدَ في الدِّين والفَضْل مدداً، وأحْسن عنّي جزاءكم، وتولّاني بجميـلِ المُكافـأةِ لكم.

وأمّا دعاؤكم – أيّدكم اللهُ – لي، فقد كُنْتُ أعتدُّهُ دِرْعاً حصينةً، وجُنّةً متينةً، وأعلم أنّ اللهَ تعالى تدَاركني[2] به، حتـى لانَ[3] لي غِلـظُ القُلـوب، وتَزَحْزحـت عنّـي كلاكـلُ الخطوب، وإلّا فلو وَكَّلتُ في تلك النائبة على نَفْسي، وعُوِّل بي عـلى اسـتحقاقي لكُنْـتُ بعيداً من إدْراك مطالبي، والظَّفَر بمآربي، لأنّ سَهْوي أكْثرُ من تيقُّظي، ورَفْعي أضْـعاف تحفُّظي. وما زال عبيدُ الدّنيا وإنْ قلَوْهـا وهـي حبائـك تعـتقلهم، ومطـامع تعـتقلهم، يدعوهم إليها الهوى فيطيعونه، وينهاهم عنها الرَّأي فيعصونه. ومَنْ كـان بهـذه الصّـفة كانت نوائبه واقِعَةً مَوْقع العَدْل، وإقالاتُهُ منها مأخُوذاً فيها بالفضْل، وكـان حريّـاً بـأنْ يُقوَّمَ ويُؤدَّب، وحقيقاً بأنْ يُثقَّفَ ويُهـذَّب، لكنّـي اعتقـدتُ مِـنْكُم بالعامـل المجتهـد، والسّاهر المتَهجِّد، والحَبْر النَّقي، والصّالح الزَّكـيّ، فحفظنـي اللهُ بصَـلاتكم، وأنقـذني بالرّحمة لكم، ومَنَّ عليَّ بالخلاصِ، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[4]، وأصْلَى عَـدُوِّي بالنّـار، التـي

(١) في ص، ع: جدودنا.

(٢) ف: يدركني.

(٣) ف: الآن.

(٤) سورة ص، من الآية ٣.

طالما أسْعرَها، وقَدّر أنْ يقذف بي إليها. والحمد لله ربِّ العالمين، حمدَ الشّاكِرِينَ النّاشرين.

فأمّا ما استقرّت عليه أموري، وأفْضَتْ إليه أحْوالي، فسَلامةُ المهْجَة، والانتعاشُ من الصَّرْعة، وإقْبالُ السُّلْطان - أطال الله بقاءه - عليّ بالصّافي من رأيه، والصّادق من اصطفائه، واجْتِبائه بعد تجشُّمِهِ مَضَض الإعْراض عنّي لمن كان أعْدى أعْدائه، وأولاهم بإقصائه واجتوائه، وقد جَمَعَ اللهُ بلُطْفِهِ شمل الأهْل[1] والوَلَدِ من مطرح الشَّتات، واستأنفنا واستأنفوا طلَبَ المعاشِ، واحتسَبْنا ممّا ذهَبَ عند مَن هو رزقه، وعليه خَلَفُه مَن لا نشكُّ في جودِهِ إذا ارتجع، ورأفتِهِ إذا أوْجع، وأنّه يُعْطي ليحسن[2]، ويرتجع ليمتحنَ. وأنّ في العَطايا ما يَفْتِنُ ويضرُّ، وفي الرّزايا ما يُمحّصُ ويَنْفعُ، وهو المشكور على تصرُّفِ الحَدَثان، وتقلُّبِ الأزْمان.

وقد جدّدتم - أيّدكم اللهُ - عندي بِرّاً بالمكاتَبة تَتْلو تلك المبارّ السَّوابق، وألْزمتموني حقاً بالتفقُّد، يَشْفعُ تلك الحقوقَ السَّوالفَ، فأحبُّ - أيّدكم الله - أنْ تصلوا ذلك بأمثالِهِ، وتتبعوه بأشكالِهِ، وتنبسطوا إليَّ بذكر أخباركم وأحْوالِكُم، والتماس حاجاتِكُم ومهمّاتِكُم، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) س: للأهل.

(٢) س: والمحسن.

وكَتَب إلى أخيه
أبي الفَضْل جابرِ بنِ هِلِّيل بن إبراهيم[١]

كتابي -أطال الله بقاءك- يومَ الفِطر، نسألُ الله لأنفُسِنا نصيباً ممّا أنزَل الله فيه من خيرٍ وبَركةٍ، وأجرٍ ومَثُوبة، وحالي سَلامةٌ، ولله المِنّة.

ووَصَل جَوابُك -أيّدك الله- عن كتابي - كان - إليك، وفهِمتُه.

فأمّا ما ذكرتَهُ من أنّك قد كاتبتَني مهنّئاً بمولودِنا -بارَكَ الله فيه- فما وَرَد عَليَّ كتابٌ في هذا المعنى، بل قرأتُ كتاباً لكَ إلى أبي الحسن النَّرسِيّ -أعزَّه الله- تذْكُر فيه سُرورَك به، وأنّك ستكتُبُ إليّ بالتهنئةِ، وليسَ بيننا هذا الحِسابُ، فتحتاجُ إلى ما أوردتَهُ خاصَّةً، ونحنُ نتساوَى في هذا، والله يُهنّئك نِعمَهُ، ويَسُرُّكَ في جميع أمورِكَ، بقُدْرته.

وأمّا الفَصْلُ الذي أنْفذتَهُ إلى عمّي -أدام الله عِزّه- فقد وقَفْتُ على شدَّةِ حرصِكَ على وُقوفي عليه، وعلى ما شفَعْتَهُ به من كتابِكَ الذي سَلكْتَ فيه سَبيله، واستَشرفتُ ما خَرجْتَ إليه، ووَجَدْتُكَ قد جفَوْتَ عَليَّ فيه، ولحِقَكَ في سائرِهِ ظُلمٌ لنا، وغَلَطٌ علينا. ولو رَوَّيتَ وتأمَّلتَ لَحذفْتَ كثيراً ممّا كتبْتَ به، وليسَ عندي مُناقَضةٌ، لكَ ولا احتجاجٌ عليك، ولا مزيدٌ على أنَّ القولَ قولُك، والفضلَ في سائرِ ما بيننا لك، وأنّ التقصيرَ - إنْ كان وقَعَ منّي - فبغيرِ عَمْدٍ ولا قصد، ولا ذَهابٍ إلى ما ظننتَهُ ونَسَبْتَني إليه من الخلائقِ والطّرائقِ التي ما عابَني بها أحَدٌ قبلَك.

وجُملةُ الأمرِ أنّني لستُ أدَّعي أنّني وَفَّيتُ الله -عزّ وجلّ- فُروضَه، ولا الوالدَ - على فَرْطِ طاعتي - كانت له - حُقوقَه، ولا أُبرِّىءُ نَفْسي من السَّهْوِ في ذلك والزَّلَل،

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة. (ج: هِلل).

لكنَّ الله -تبارَكَ اسمُه- قد أنْعَم في الدّنيا، ووَعَد بالصَّفحِ في الآخرة، والشيخ -نَضّر الله وَجْهه- فقد مضَى على رضاً عنّي ما انقطعَ لفظُه به، ودُعاؤهُ لي من أجلِه، إلى أنْ أُمسِكَ على لسانِه، وليس ذاك إلّا للمُسامحَةِ لا للاستحقاق.

ولوِ اتّبعتَ -أيّدك الله- طريقَ الخالقِ - تَعالى ذكْرُه - والوالدِ -نَضّر الله وَجْهه- في الرِّفْقِ بي، وترْكِ الجفاءِ في اسْتعتابي، لكانَ ذلك أزْيَنَ لك، وأوْلى بك، وما تجِدُ -أيّدك الله- عندي غيرَ[1] ما قدَّمتُ ذِكرَهُ من الاعترافِ لك، والإقرار بكلِّ ما ألْزمتنيهُ من حُقوقِك، والاجتهادِ مستأنِفاً في إرْضائِكَ وتجنُّبِ إسْخاطِك.

وبالله ما أثّرَ الفَصلُ والكتُبُ في نَفْسي أثراً يَحتاجُ إلى إزالتِه. ولقد كان احْتجاجي لكَ على نَفْسي أكثرَ من احْتجاجي لها عليكَ، لكنَّني أختارُ لك، وأُشيرُ عليكَ أنْ تسلُكَ طريقَ اللُّطفِ مع غيري من النّاس الذين لا يَحتمِلُ ما بينَك وبينَهم الدّالّة التي يحتمِلُها ما بيني وبينك، فقد قيل:

ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ، أيُّ الرّجالِ المهذَّبُ[2]

وقد فاوضتُ عمّي -أدام الله عِزّه- جميعَ ما يحتاجُ إليه في هذا الأمرِ، ولعلَّهُ - أيّده الله- يكتُبُ به، والله يُطيلُ بقاءك، ولا يُعْدِمُنيكَ ولا يُخليني منك، وهو حَسْبي ونِعْم الوكيل.

---

(١) ساقطة في ج.

(٢) للنابغة الذّبياني. ديوانه، ص ٨٥.

وكَتَب إلى ابنه المحسِّن بن إبراهيم
وهو في الاعتقال[1]

وكانت رقعتُك أمس - جعلني الله فداءك - أوْجَعتْ قلبي بما تضمّنت من الشكوى، وعزيزٌ عليّ، عظيمٌ عندي أنْ ينقُص نعيمُك عن الغاية، فَضْلاً عن أنْ يمسّك الأذى، ويلحقك الشقاء، ولكن ما الحيلة !

انظر - فديتُك - إلى مَن هو أجفا مَعاشاً، وأسوأ حالاً، وأقلّ قدرة، وأشدّ حَسرة، من سائر المعتقَلين الذين هم طبقات، وقِسْ نفسَك بمَن أنت أرفه منه، وأضفها إلى جماعة الممتحَنين، لا إلى جماعة المطلَقين؛ فإنك تستثمر من ذلك طِيب النَّفْس، وسُكون الجأش، وقلّة الاستيحاش، والشكر لله على أن ابتلاك بدون ما ابتلى به غيرك، و[2]أنت في شدّةٍ مَرجُوٌّ انكشافُها، لا في بُلَهْنِيةٍ[3] مخوفةٌ عواقبُها، فإنّ لكلّ أمْرٍ ابتداء وانتهاء، ولكلّ حالٍ انتقالاً وزوالاً، والمضطَهد المحبوس جارٍ في محنته إلى أمَدٍ لا بُدّ أنْ ينقضي، ومُدّةٍ لا بدّ أنْ تنتهي.

ووراءك والدانِ يدعُوان لك، وربٌّ كريم يرحمُها ويَرحَمك، وأنتَ مكنوفٌ من سائر جهاتك بآمالِ الله يحقّقها فيك ولك.

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي.

(٢) ف: لا.

(٣) البُلَهْنِية والرُّفهنِية والرُّفغنِية: سعة العيش. ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٥٨ (بلهن).

نُسْخة الجواب
من ابنه المُحسِّن بن إبراهيم[١]

وَصَلت رُقعَةُ سَيِّدي[٢] الشيخ - أطال الله بقاءه - المتضمِّنة لوَصاياه الشّافية، ومَواعظه الكافية، المشتملة على أوامره ونَواهيه الرَّشيدة، ومَراسمه السَّديدة، فأهبّتني من سِنَة القُنوط، وأيقظتني من رَقْدة الذّهول، ووَطّأت لي سُبُل التّسليم والعَزاء، وشجّعَتْني على الاصطبار للّلأْواء، وأشعرتني جَلَداً للحَدَثان، وجَراءَةً على الزّمان ؛ فصرتُ له مروءة، وازددتُ عليه قُدرة، ونكصتْ عني خُطوبُه مُهَلّلةً، وارتدّت نَوائبُه مقلّلةً، وكيف لا أكون كذلك وطاعته شعاري، وبرّهُ عتادي، ورضاه حُسامي، ودعاءه مجنّي، والشكر لله وله دَيْدني، فلا أعراني الله من سُبُوغ آلائه، ولا انتقصَني ما مَنحنيه من حُسْن آرائه[٣]، وبلغه في التَّعْمير الأقصى، وقدّمني أمامه إلى المدى. وفهمتُها، وكرّرتُ القراءة لها والتنزّه فيها، والتخرّج بها، وجعلتُها تحت الشعار دون الدّثار، وفوق الرّأس والعَيْن[٤]، وتقبلّتها بكلتى اليدين، وشكرتُ ما أولانيه - أدام الله عِزّه - من مُراعاته، واعتددتُ بما أزلّه إليّ من افتقاده، شكراً وقفتُ منه دون الغاية والنِّهاية، مع بذلي فيه الطّاقة والاستطاعة، عَجْزاً عن بلوغ أقصاه،

---

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي.

(٢) من: ر.

(٣) في الأصول الأربعة: رأيه، ولعل الأرجح ما أثبتناه، لمناسبة السجع الذي سار عليه الصّابي.

(٤) ساقطة في ف.

وضَعْفاً عن إدراك مداه. وابتهلتُ إلى الله داعياً، وتضرّعتُ إليه طالباً أنْ يطيلَ بقاءه، ويكْبتَ أعداءه، ويديمَ نعماءه، ويفكَّ أسره، وييسّرَ أمرَه، ويهوّنَ خَطْبَه، ويذلّلَ صَعْبَه، ويلوي نحوه الأعناق المزورة، ويثني إليه المعرضَة، ويُبرّد عنه الصُّدور الموحَرَة[١]، ويُصلح له النيّات الفاسدة، بمَنِّه وقُدْرته، وحَوْله ومَشيئته.

وكتبتُ هذا الجواب - أيّد الله سَيِّدي - عن رَوْعٍ قد سكن، وقَلْبٍ قد أمن، وصَدْرٍ قد بَرَد، وطَرْف، قد هَجَد، وحَبْسٍ قد نبا بي، ووَطَنٍ قد استشرفَ إليّ، وغُمّةٍ قد أسفرت[٢]، ومحنةٍ قد انحسرت. فإنْ رأى - أراه الله سائر المحابّ والمسارّ، وبلّغهُ نهاية الآمال والأوطار - أنْ يمدّني بما يجبس من هذه النِّعَم التي عددتها، والمِنَح التي سَطّرتها، من أمْره ونَهْيه، ووَعْظه وزَجْره، وتَوْقيفه وتَثْقيفه، وتَهْذيبه وتَأديبه[٣]، فَعَل إنْ شاء الله.

(١) ف: الوحرة. والوَحَر: الغيظ والحقد والعداوة. ابن منظور، ج٥، ص٢٨١ (وحر).

(٢) ر: استقرت.

(٣) ساقطة في ف.

وكَتَب إلى ابنه أبي سَعيد سنان جواباً عن كتابه بخبر مولودةٍ رُزقها[١]

كتابي عن سَلامةٍ، والحمد لله ربِّ العالمين. ووَصَل كتابُك بما وَهَب الله لك من المولودة التي سوّى الله خِلْقَتها، وضَمِن رِزْقَها، وأسْعد طالِعَها، وأيْمَن طائرها، وفهمتُه.

وأقلقني ما دَلَّ عليه ذكرُك إيّاها من كَراهتك لها، ووُجومك منها، وأعوذ بالله من أنْ تذهب في ذلك عن صَواب الرّأي، وسَبيل الحزم، وسَواء[٢] القَوْل، ورَشاد العَقْل، وأنْ تَخْفى عليك مَواقعُ صُنْع الله لك ولي فيك؛ إذ كان – عزّ وجلّ – قد سَلَّم والدتها – صانها الله – من الخطر، ووَقاها من الحذر بعد أنْ أشفت بحداثة سِنِّها، وبرفه جِسْمها عليهما، وأشفقنا عليها منهما. ثم لم يقتصر بك على ذلك حتى حماك فيها من آفات الخلق وعَوارضه، وزيادته ونقصه، فلم تلد ذات[٣] عاهةٍ تعرّها، ولا علّةٍ تضرّها. وقد علمتَ أنّ ذاك ربّما حدث فيتلقّاه النّاس بالصَّبْر للنازل، والتَّسْليم لأمر الخالق، والثقة منه – تبارك وتعالى اسمه – بالتَّعويض من عاجل البَلْوى، بآجل النُّعْمى. وما أراك تدّعي علم ما استسرّ وانطوى عنك من حُسْن الاختيار لك ! وكم من أنثى أصلحها الله، وأصلح بها، وجعل الخير والبركة فيها، والكثرة والنَّجابة منها. ومن ذكرٍ خالَفَ مذهب أبيه، وبايَن أعراقه وذويه؛ فلم تُحمد خلائقُه، ولم تُؤمن بَوائقه.

---

(١) طهران.

(٢) في الأصل: سواد!

(٣) في الأصل: ذا.

ثم إنك وقرينتك – أبقاكما الله – في أول نشئكما، وعُنْفوان شبابكما، ومُقتبل عمركما، ومستأنف أمركما، والأيّام بين أيديكما، والأمل منفسحٌ لكما. ولم تيئسا، ولا تيئسا فيكما[1] من أنْ يتبع هذه المولودةَ إخوةٌ تكون لنا منهم وبهم زيادة العَدَد، وقوّة العَضُد؛ فإنّ جَدّي أبا إسحاق إبراهيم بن زَهْرون، وأبا سَعيد سنان بن ثابت لم يُرزَقا الذكور إلّا بعد الإناث، ولله في ذلك تقديرٌ هو أعلم به، وتدبيرٌ هو أحكم فيه.

ورأيتك – لا عدمتك – تطعن على مَوْلدها. فإنْ كان هذا القَوْل عن تأمّلٍ تأمّلته، فقد ظلمت فيه، وإنْ كان حكاية عن بعض المنجِّمين فقد غلط في حكمه، لأني وجدتُ الزُّهَرة في درجة الطّالع، ولو أنّ بإزاء هذه الفضيلة كلّ عيبٍ ورَذيلة لعدّلته وقوّمته، وقابلته وأصلحته. ولعلّك كرهتَ قرب العمر من المِرِّيخ، وقد كان قاربه بدرجتين، وهو مأمونٌ لكونه في برج العقرب، وهو بيته لا يفارقه في نَوْبة الليل التي تكفّ من عاديته، وليس محاسداً ولا مربعاً ولا مقابلاً للطّالع وما بقي الكواكب، فإنْ لم تكن برزت تبريز الزُّهَرة فليست فاسدة الأحوال، ولا مذمومة العواقب، ودليلك منها رجلٌ وهو سليم من كلّ ما ينحسه، فمن أين قلتَ ما قلت؟ وما هذا الجزع من وُرود مولودةٍ لعلّها أبرك وأفضل من عُدّة ذكور؟ وأين يذهب بك عن حسن اليقين بالله، والشكر له، والصبر لحكمه، والقول بما يرضيه، وعن تسلية مَن يليك من حرمنا – حفظهنّ الله – وتسكينهنّ، وإظهار السّرور لهن! فإنّ في ذلك استدامةً للنِّعَم، واستدفاعاً للنِّقَم، ومسرّةً للأولياء، ومَكْبتةً للأعداء.

---

(١) كذا.

ولستُ أشكّ أنّ كتابي هذا يرد ....[1] فضلك على ما دَلَلْتُك عليه، واستغنيتَ بوجود الحزم في نفسك عن الإرشاد إليه، وأنزل الله تعالى في قلبك لهذه الموجودة ما أجده في قلبي من الحرقة والرقّة.

وسَبيلُك - جعلني الله فداءك - أنْ تأخذَ من عرض[2] ارتفاع[3] إقطاعي، ومن استغلال ضِياعي ألفي دِرْهَم صحاحاً، وتدفع ذلك إلى والدتك - صانها الله - لتدفعَه إلى والدة الصَّبيّة عاجلاً، حسب ما جرى عليه الأمر فيما عُمل عند ولادة أبي عليّ المحسِّن أخيك - أنا أفديكما - وتعرّفها عنّي ما أعتقده في هذه الصَّبيّة، وفي ابنة أبي عليّ عمّها ......[4] - أنا أفديكما - من مُتابعة بِرّهما وإرمادهما، والنظر لهما، والإصلاح من أمورهما ما مُدّ لي في العمر حتى يبلغا مبالغ الكمال..........[5] بهما الحال ....[6] فافعلْ أبقاك الله وعرّفني ما يكون منك فيه، وأجبني عن هذا الفصل بما أسكن إليه إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) كلمة ضَبَّبها الحبر.

(٢) العرض، بالتحريك: متاع الدنيا وحطامها، وأما العرض بسكون الراء فما خالف الثمنين الدراهم والدنانير من متاع الدنيا وأثاثها، وجمعه عروض، فكل عرض داخل في العرض، وليس كل عرض عرضاً، والعرض: خلاف النقد من المال. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص١٧٠ (عرض).

(٣) الارتفاع: الأموال المحصَّلة.

(٤) كلمة غير مقروءة.

(٥) كلمات ممحوّة.

(٦) كلمتان غير مقروئتين.

فصلٌ من كتابٍ
إلى ابنهِ أبي سَعيد سِنان بن إبراهيم
وهو جَوابٌ[١]

وقَفْتُ على ما كتبتَ به - أنا أفدِيكَ - عن أبي الخطّاب - أيّده الله- في أمرِ الجُرْبانِ[٢] التي دَخَل فيها، وطالَ تعجُّبي من مُقامِه على الإحالةِ على عمِّي -أدام الله عِزّه- ونَسَبِه إلى اللَّجاجِ، ووَعدِه إيّاك بأنْ يُكاتِبَني، ولعَنَ الله عَيْناً أصابتْهُ، فما أبعدَ هذا القول والفِعل من سائرِ ما عهِدتُه وألِفْتُه مِنهُ!

أمّا لَجاجُ عَمّي -أدام الله عِزّه- فما بيني وبينه في هذا الأمرِ مُعاملَة، فأقبَل الإحالةَ عليه، ولو كانت لما خرَجَ معي إلى اللَّجاجِ، لأنّني ما ماحَكْتُهُ قطُّ، ولا خالفتُهُ منذ أعرِفُ نَفْسي، ولا ذَهبْتُ له عن طاعة، ولا دخَلْتُ له في مَعْصية، ولا عَدَّني في وَقتٍ من الأوقاتِ عاقّاً، ولا مُقَصِّراً في إكْرامِهِ وإعْظامِهِ، وزيادتِهِ على ما كنتُ عليه لوالدي رضيَ الله عَنهُ. وأنا واثقٌ منهُ، مع هذه الأحْوالِ، بأنّه لم يكنْ لِيَدخُلَ فيما أكْرَه، ولا ليرُدَّني عن السّؤالِ إذَا سَألتُ، ولا يُنزِلَني منزِلةَ ابنِ جامِعِ الصَّيدلانيِّ وبنْتِ الحارِث ونُظَرائهما في الخُصومةِ، لأنّ الإنسانَ إنّما يُخاصِمُ مَن يُماظُّهُ[٣] ويُعازُّه[٤]. فأمّا مَن هو وَلدُه وغيرُ

---

(١) چستربتي، ليدن، القاهرة.

(٢) جمع جَريب، وهو مقياس للأرض الزراعية. ظلّ مستَعملاً في العراق إلى وقتٍ قريب.

(٣) ل: يماضه، والمماظة: الخصام والشَّتْم. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٤٦٣ (مظظ).

(٤) العَزْعَزة: الغلبة، عازّه: غلبه. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٧٨ (عزز).

خارجٍ عن اللُّطفِ به، والرّغبة إليه، فما مَوضِعُ اللَّجاجِ في أمرِه، والإصرارِ على ضَيْمِه؟ ولوِ اشتَهيْتُ مِلْكاً من أملاكِه القديمة، لاسْتنزَلْتُه عنه، واستوهَبتُه إيّاه كما يَستَوهِبُ الإنسانُ أباهُ وعَمَّهُ. ولما اسْتنكَفْتُ أيضاً من قَبولِ ذلك هدِيَّةً بغيرِ ثَمنٍ، أفَتُراني كنتُ أفعَلُ هذا معه، وأسْلُكَ طريقه في مخاطَبتِه وأطرحُ نَفْسي عليه طَرْحَ المُسْترفِدِ المسْتَوْهِب، فيرُدَّني عَمّا ألتمِسُ، ويُلاجَّني فيما أسأل؟ والله ما أظنُّ به هذا أبداً!

ولكن المعاملَة إنّما هي بيني وبينَ مَن خدَعَك يا أبا سَعيد – فَديتُك – وحسَّنَ لكَ مُساعَدتَهُ على الدّخولِ في مَساءتي، والتعلُّقِ بما قد أفنَى[1] عُمُري في الإرْصادِ له والمراعاةِ لوقتهِ وترشيحِ الآمالِ في التمكُّنِ منهُ، وأقام نفْسَهُ لَديَّ مَقامَ المُفسِدِ المنَغِّص لعَيْشي[2]، ونامَ على عتبي نومَ المسْتهينِ به المُطَّرِح لهُ[3]، وأصَرَّ على عُقوقي إصْرارَ المُستَصْغِرِ لهُ، ووَزَنَني بالميزانِ الخفيف، وقوَّمَني بالثَّمنِ الطَّفيف، ورَأى أنّ نيّفاً وعشرينَ جَريباً أعْوَدُ عليه منّي، وأفْضَلُ في نفْسهِ من خالِصَتي ووُدِّي، ولم يُراقِبْ في حُرمةً يَرعاهَا، ولا رَحِماً يَصِلُها، ولا تَذكَّر منّي يوماً صالِحاً، ولا مَقاماً محموداً.

ودَعْ هذا كُلَّهُ جانِباً، أيُّ عذرٍ له وقد عوَّلتَ عليه، وسَلَّمتَ مكاني إليه، واطمأنَنْتَ إلى منابِهِ عَنّي وحفْظِه غَيْبي ومطالعتِهِ وحراسَتِه إيّايَ، ودُخولِهِ معي في المعاضَدةِ التي يتعاطاها الأهلُ بينهم، والمحاماة التي يَعتقِدُها بعضُهم لبعضِهم في أنْ يَقطَعَ مُكاتبتي

(١) ج: فنى.

(٢) ج: لمعيشتي.

(٣) (المطرح له) ساقط في ج.

منذ شَهْرَين، ويترُكَ إجابتي حتى بوُصولِ مُهمّاتٍ تابعتُها وسُفْتَجةٍ[١] له أنفَذتُها، ومُفاوضةٍ انبسَطتُ إليه[٢] فيها، وفي نيابةٍ لا يُوَفِّيني فيها[٣] حَقّاً، ولا يُعطيني قِياداً، ولا يتأمَّلُ ما عليه في قَطْعِ سَببي، وخيانةِ عَهْدِي[٤]، وإفسادِ مَعاشِي، ودُخولِهِ مُتَوسِّطاً بين إقطاعي ومِلْكي، وضَماني ومُجاوراتي، وبحيثُ أمَلي على مَرِّ السِّنين مَوقوفٌ عليه، وعلى التفسُّحِ فيه والتَّوسُّعِ به لنفْسِي ولخلْقٍ من وَلَدي ووَلَدِ وَلَدِي، وهو مع هذا لا مِلْكٌ له في جِوارِ ذلِك، ولا بحيثُ يَقرُبُ منهُ.

والله العظيم يا بُنيّ، لقد كنتُ أظنُّ بأنّني إذا مِتُّ وخَلَفني أبو الخطّاب - أيّده الله- لم أُعَدَّ في الموتى ببقائه؛ صِيانةً لحرِيمي، وذبّاً عنِّي، وحفظاً لغَيْبي، ورعايةً لِوَلدي وأنّ الذي جَرَى منه في هذا الوقتِ، لو جَرَى من غَيره، لما أعدَدْتُ لدفعِه إلّا هو، ولا اعْتَضدْتُ[٥] في منعهِ إلّا به.

فيا ليتَ شِعري، كيف ذَهبَ هذا عنه، وهو شيءٌ يَعلمُ أنّ النّاس يكرَهونه، وأنّ القويَّ يدفَعُه عن نفسِهِ بقوَّتهِ، والضّعيف يعتصم بمَن يُعينُه وَينصرُه! وأنّني خاصَّةً معه في أدْوَنِ هاتينِ المنزِلتَيْن، وأحَطِّ[٦] من هاتَينِ الطبقتَيْن، لأنني لا أُطاوِلُهُ بقُوَّة، ولا أُجاوِلُه باستعانة، ولا أقِفُ معه إلّا مَوقفَ السّائلِ لهُ، الرّاغبِ إليه، المؤْثِرِ له، الصّابِرِ

(١) هي ما يُعرف في المعاملات التجارية اليوم بالحوالة المالية. انظر: القونوي، أنيس الفقهاء، ص٨٢؛ قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٢٤٥.

(٢) ساقطة في ف.

(٣) ساقطة في ف.

(٤) ج: عيني.

(٥) ج: اعتددت.

(٦) (هاتين المنزلتين وأحط) ساقط في ج.

عليه، ولا أضرِبُهُ إلّا بدالَّةٍ ما بيني وبينَه، ولا ألجأُ من خفائِه إلّا إلى المعاتَبةِ له، وألّا يَرى - أيّده الله- ما عليه النّاس قبلَنا في هذه الحال من مَلامةِ مَن ظلَمَ الموَدّة ظُلمَهُ، وبَسَطَ عُذرَ مَن تظلَّمَ ظُلامتي من مثلِ فعلِهِ[1].

ولعَهدِي منذ سُنيَّاتٍ بأبي عليٍّ عُمرَ بنِ يحيى العَلَويّ -رحمَهُ الله- وقد دَخَل في شيءٍ كرِهَ أبو عبدالله ابنُ أبي موسى الهاشميُّ -رَحمَهُ الله- دُخولَهُ فيه، وحَلفَ بأيْمانِ البيعةِ ألّا ينزلَ له عنه ؛ فما نامَ ولا أنام، يَستنفِرُ عليه الأهلَ والإخوان، والرّعيّة والسُّلْطان، حتى نزَلَ لهُ، وتأوّلَ في يمينه. ثم جَرَى بين أبي عليٍّ -رحمَهُ الله- وبينَ أبي نِزارٍ سيفِ بنِ جُناحٍ مثلُ هذا بعينِه، فما فارَقَهُ حتى نزَلَ له، أفَترُاني أهُونُ على أبي الخطّاب - أيّده الله - في الطَّفيفِ من أبي نِزار، على أبي عليٍّ في الكَثير !

وهَبْني أمسَكْتُ واحْتمَلْتُ، فكيف يَتهنّأ بالحياةِ بهذا المِلك الجليل؟ وقد عَلِمَ أنّه قد مَلأ بفعلِهِ ما فَعَلَهُ عَيْني قَذىً، وحَلقي شَجىً، وصَدْرِي غُصَّةً ! وبأيِّ عينٍ يلقاني، وبأيِّ لسانٍ يُفَاوِضُني وقد جَرَحَني جُرحاً لا يَأسُوهُ إلّا هو، وأثَّر في نَفْسي أثراً لا يُعفّي عليه غيرُه، وأوْدَعني مَضَضاً لا تُزِيلُه الأيّام، ولا تُخلِقُه الأعوامُ، ولا يَخرجُ مثلُه عن النُّفوس إلّا بالتَّلافي والاستِدْراكِ اللّذَينِ هو بهما خَليق، وبفعلِهما حَقيق[2] إنْ شاء الله.

وأمّا العُذرُ الآنَ في القَطيعَةِ، وحَسْمِ مادَّةِ المكاتَبة، وقد عَلِمَ أنّ عليه من حِفْظي فيما غِبْتُ عنه ومُواصَلتي بما أحتاجُ إليه أمانةً تلزمَهُ المراعاةُ لها بالحقوقِ بيننا، والمشاركة التي تجمَعُنا.

---

(١) (من مثل فعله) ساقط في ج.

(٢) (وبفعلهما حقيق) ساقط في ج.

ونَـترُكُ أيضاً هذا كلَّه. أما يستَحي منّي أنْ يَكُدَّني هذا الكدَّ، ويُحْوِجَني إلى هذا الموقف، ويُلجئَني إلى أنْ أتألّفَ قلبَهُ كما يُتألَّفُ قلبُ البعيد، وأنْ أُخاطبَهُ بهذا الخِطابِ الذي لا مَدخَلَ له بيننا ونحنُ العَصا ولحاؤها !

وسبيلُكَ - أنا أفدِيكَ - أنْ تَعرِضَ هذا الفَصْلَ عليه، وتُعلِمَـهُ أنّنـي توقّفـتُ عـن مُكاتبتِهِ صِيانةً لنفْسي عمّا قد تكرَّر عَليّ من اتّصالِ كُتبي، وإهمـالِ إجـابتي، وانتظـاراً أنْ تَلوحَ لي منهُ لوائحُ الانثناء، وتبدو لي بَشائرُ الارْعِواء. فتعودُ حينئذٍ كما كنّـا. وتقـولُ لـه من بعدُ: يا سيّدَ أخيه، ما شأنُك؟ وأين يُذهَبُ بك؟ وما فَعلَتْ مَحاسـنُكَ التـي أعتـدها زَيْناً[1] لي، وخالِصَتُكَ التي أعُدُّها جُنَّةً من زماني؟ ولِمَ قد أُتيْتُ من مَأْمَني، ودُهِيتُ مـن حيثُ ثقتي؟ ! وما هذا الشُّحُّ على هذه الجُرْبانِ الخسِيسَة، والسَّماحَةُ منّي بالبضاعة التـي ليست مِثلُها عِندَك ولا قريبة من ألْفِ ضِعْفٍ لها في نفسِك؟ ولِمَ لا تنـزع قبـلَ التَّمادي، وترجِعُ قبلَ التّناهي، وتُهديها إليَّ هَديَّةً تَـحرُسُ بها ما بيني وبينَكَ من اللَّطخ، وتَصُـونَهُ معها من الشَّوب، وتجعَلَ ذلك مِنَّةً لك في عُنُقِي، ويداً عندي أُكافئُكَ عنها، وأُجازيـكَ عليها، وتعودُ إلى معرفةِ حَقّـي، ومُكـاتبتي وتَطْييـب نَفْسـي[2] وإزالـةِ هـذه الرّوائـع واللّوائع عن قلبي؟ فـوالله مـا أتهنّـأ عيشـاً منـذ أنكرتُـك، ولا أعـرِفُ غُمْضـاً[3] منـذ استَرْدتُك، حتى أنّ الظُّنونَ تذهَبُ بي كلَّ مَذهَبٍ وأعودُ القَهْقَرى مُفَكِّراً فيما سلَفَ مـن زَمانِنا، وسَبقَ من أيّامنا، فلا أجِدُني أتيْتُ قَبيحاً ألومُ نَفْسي عليه، وأعـذرك في الخـروجِ معه إلى ما خرَجْتُ. ثم أتَّهِمُك مَرَّةً بالاستحالَةِ مع بعد دارِي عَنك، وغيبةِ شخصي عـن

---

(١) ل: اعتددتها زمنا.

(٢) (ومكاتبتي وتطييب نفسي) ساقط في ل.

(٣) (منذ أنكرتك ولا أعرف غمضاً) ساقطة في ج.

عينِك، ومرَّةً بأنّ الأعداءَ اسْتمالوك، وأنّ الانْفِرادَ غيَّرَك؛ فلا أزالُ من ذلك في وَساوِسَ تَغْشاني، وهَواجِسَ تَعرُوني، ثم أتذكَّرُ فَضْلك، وأرجِعُ إلى بَصيرتي فيك؛ فأعلمُ أنّ ذلك مُحال، وأنّ ظَنَّ المشفِقِ يُصَوّرُه لي ويُقيمُه في نَفْسي.

وإنْ ظننتَ -أيّدك الله- أنك قد أوحشتَني إيحاشاً قد نَفذَ سَهمُه، واتَّسعَ خَرقُه، ورَأيتَ معه أنْ تستمِرَّ، فبئس الفِكرُ فكَّرتَ، وشرُّ الطرائقِ سلكْتَ، وحُوشيتَ من الذّهابِ إلى هذا؛ بل ينبغي أنْ تَعلمَ يا سَيِّدي أنك إنْ أطَعْتَني وانثنَيْتَ إلى مُرادِي فقد استحقَقْتَ مِنّي شكرًا مُستأنَفاً، ومحبَّةً مُستقبلَة، وأنني أراكَ بعينِ منِ اشتراني ولم يَبِعْني، وآثَرَني ولم يُؤْثِرْ عَليَّ، ورغِبَ في ولم يرغَبْ عنّي.

وتصوَّرْ -أدام الله عزَّك- بمكاني: أبا العَلاء صاعِداً، وأبا الحسن[1] بنَ السَّكَنِ -أدام الله عِزّهما- وأبا الحسن[2] الجَرْجَرائيَّ وأبا الحسن بنَ البُهلولِ[3] -أيّدهما الله- أو مَن هو دونَـهُم من أصدِقائك، حتى يسألَكَ هذا السُّؤالَ، ويَدخُلَ عليكَ من هذا الباب، هل كان يسَعُكَ في سِياستِكَ لأمرِك وقيامِكَ على مروءتِكَ وحفْظِكَ لجاهِك، ومُحاماتِكَ على جميلِ ذكْرِك، وحراستِكَ ما بينك وبينَ إخوانِك، أنْ تُخالفَ محبّتَهُ ؟!

أفتَرْضى أنْ أكونَ عندك دونَ هذه الطَّبقاتِ كُلِّها ولي عليها من الفَضْل حقّ اللُّحمَة والتّربية[4]؟ ووَصائلُ أبي الحسن ثابتِ بنِ إبراهيم، وأبي الحسين هِلّيل بنِ إبراهيم -

---

(١) ج: الحسين.

(٢) مُحمّد بن أحمد المذكور في ج٢، ص٥٤٥.

(٣) لعلّه صاحب كتاب (الدلائل). انظر قائمة المصادر والمراجع كتاب رقم (٢٤)، وهو المذكور في ج١، ص٦٣١.

(٤) ساقطة في ل.

رضيَ الله عَنهُ- وأخويَّ -أيّدهما الله- ووَلدِنا - أبقاهُم الله - والأُمَّهاتِ والأخوالِ والخالاتِ - رَعاهمُ الله - أعوذُ بالله من أنْ تكونَ هذه الوشائجُ أوجبَتْ قَطْعي فيما يُوصَلُ فيه الغرِيبُ، المنقطِعُ السَّببِ خاصَّةً.

وقد عَلِمتَ أنَّني لا أُماحِكُكَ ولا أُخاصِمُك، ولا أشكوكَ إلّا إلى نفسِك، ولا أستجيشُ عَليك بغيرِك، ولا أُفارقُ الصَّبْر ولو إلى مائةِ سَنة، ولا أدَعُ الوصيَّة في الأعقابِ بمثلِ ذلك أبدًا، حتى أظفَرَ بموضعِ العِرْقِ الكرِيم الذي تنزِعُ إليه، والأصْلِ الزَّكيِّ الذي نجتَمِعُ عليه، وحتى أجِدَ منك، ويجدَ وَلَدي من وَلدِك مَن يستحيي ويثْني ويرجِعُ إلى الأجملِ والأوْلى.

وكأنّي بكَ -أيّدك الله- وقد قُلتَ: إنني دَخَلْتُ فيما أرادَ ابنُ دينارٍ الوكيلُ أنْ يَدخُلَ فيه، فيا ليتَ شِعري ! من أينَ لكَ أنني كنتُ أصبِرُ لابنِ دينارٍ على ذلك ألا تعلَمُ أنّ بينه، وأنا أكرَهُهُ حتى ينزلَ لي، وبينك، وأنا أسألُكَ وأتعَبُ هذا التّعبَ الشَّديد معك في اسْتِنزالِك، فرقاً كثيراً ؟!

وإنّـما أردتُ هذا لئلَّا أترُكَ مَوضِعَ شُبْهةٍ في الاحْتجاجِ، وعلى أنّ هذا أمرٌ لا يُعوَّلُ في مثلِه على الجدل، بل على حراسةِ الأحوالِ، وانقيادِ اللُّحْمَةِ للُّحْمَة، والفَرْع للأصْل، والأخِ لأخيه، والولدِ لأبيه. فإنْ سَلَكْنا هذه السَّبيل فهي الألْيَقُ بنا، وإلّا فليس غيرُها، ولا أزيدك على ما قدَّمتُهُ من شُكرِك إنْ أجمَلْتَ، أو الصَّبْر عَليكَ إنْ توقّفتَ عن ثقةٍ أنك لا تُقيمُ على ما يُسْخِطُني، ولا ترضَى ما يُغضبُني. فأورد - أنا أفديكَ - هذا كُلّه عليه - أيّده الله- وتنجّزَ لي الجوابَ بما أعمَلُ بـحَسبِهِ وارْدُدْ إليَّ هذا الفَضل إنْ شاء الله.

وكَتَب إلى ابنِ عَمّه
أبي الخطّاب المفضَّلِ بنِ ثابتٍ بن إبراهيم بن زَهْرون الصّابي[١]

والله يا سَيِّدي -أطال الله بقاءك- لو لم تضَعْ رِقاعي من يدِكَ[٢] حتى تُجِيبَ عنها، ثم لا تكونُ أنتَ المبتدِىءَ بالمكاتَبة والمراعاةِ والمواساة، واستعلامِ الخبَرِ والوَطر، وبَذْلِ القُدْرة والمُمْكِن، وعَرْضِ الجاهِ والسَّعي، لما كنتَ في فُسحةٍ من عُذر، ولا مؤْثراً في إيجابِ حقّ ! فكيف وأنتَ بمنزلةِ الحالِفِ الذي يخافُ الحِنْثَ ألّا تُجيبَني عن رقعة، ولا تطالعَني بمهمّة[٣]، ولا تتذكّرَني عن وَحْشة، ولا تترَثَّى[٤] لي من ضَغْطةٍ وكُربة؟

فإنْ كان[٥] هذا شيئاً تقودُكَ إليه سَلْوةٌ عنّي، وجَفوةٌ لي، فما أسْتحِقُّها[٦] منك، ولا أتيْتُ ما يقتضي كونها لي عندَك. وإنْ كان عن تَوانٍ تذهَبُ فيه عن سَجيَّةٍ وخَليقة، فما أحْوجَ مَحاسِنَك إلى أنْ تُهذِّبَها، وتُزحزِحَ هذه القَذاةَ عن جوارِها.

وأنا أترُكُ الإغراقَ في هذا القَول لِجهاتٍ، منها: كَراهيةُ الغِلَظِ[٧] في اسْتعتابِكَ، ومنها: أنْ يَظُنَّ بي مَن لا يَعرِفُ المتقدِّمَ من أمثالِهِ أنّني وقَفْتُ وقوفَ المكتفي، وأمْسكتُ

---

(١) چستربتي، طهران، ليدن، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، القاهرة. (بن إبراهيم بن زهرون) من ج فقط. وليس فيها (الصابي) بل بعد (زهرون): رضي الله عنه.

(٢) ف: رقاعك من يدي.

(٣) ل: بتهمة.

(٤) ر، ف،ع: ترثى.

(٥) ر: هان.

(٦) ر، ف،ع: استحقها.

(٧) هذا ما في ر، وفي ما دونها: الغلط.

إمْساكَ المجتريء، فتحسُنَ القصَّةُ في عينه. ومنها: أنْ تتصوَّرَ أنتَ -أدام الله عِزَّك- أنّه اقتصادُ مَن يَرى أنّ الإطْنابَ لا ينفَعُه، فيكونُ ذلك أحثُّ لك على التَّلاقي، وأنهَى عن التّجافي[١]. أما تُراني -جَعَلَني الله فداكَ- وأمْلاكي مأخوذَة، وطُعَمي مجذوذة[٢]، ومَنافعي محْسومَة، ومضارِّي مُعتَمدة، والألْسُنُ بما أكرَهُ مُطلقَة[٣]، وعـمّا أُحِبُّ مُعْتقَلَة، وزادي غيرُ مُبلِغٍ، ومُسكتي غيرُ لابثة، وحَالي مُضْمحلَّة، وعَزيمتي مُتَرجِّحَة، وأعلامُ الصَّوابِ عَليَّ دارسَة، وأبوابُه دُوني مُغلَقَة، ومناهجُه كيف طَلَبْتُها وتحرَّيتُها طامِسَةٌ مُشتبهَة، والمحسِنُ المجمِلُ مَن كان مثلُك لا يقولُ هُجْراً، ولا يتعمد قبحاً، ولا يُسعَفُ برأيٍ يُرشِد، ولا سَعَى يعضُد[٤]، وَلايكونُ منهُ إلّا الجوابُ الواحِدُ بعد الأيّام المتطاوِلةِ عن الرِّقاعِ الكثيرة، ولا يتعلَّقُ عليه ولا منهُ بشعبةٍ من يأسٍ مُريح، ولا اجْتهادٍ صَحيحٍ.

وإذا كان أحنَى النّاس عليَّ هذا نَعتُهُ، وأغلَظَهُم ذاك وَصْفُه، فهل أجدُ بينهما مَن أتَّخذُهُ مُعَوَّلاً؟ وأُسمّيه مَعقِلاً؟ وهل ها هُنا إلّا رفعُ الطَّمَعِ عن المخلوقينَ قاطِبةً؛ وصَرفُ الأمَلِ إلى مَن لا تُحجَبُ عنه الظُّلامَةُ، ولا تتأخَّرُ منه الإدالَة؟ وكذاك أفعَلُ وأعوذُ بالله أنْ يكون لي عنه معْدِلٌ.

الآن -أيّدك الله- إنْ نَشِطتَ لأن تُجيبَني عن تلك الرُّقعةِ السّابقَةِ، وهذه الشّافِعةِ، وتُطلِعَني على ما لا أجِدُهُ عند غيرِكَ من خبرٍ وحالٍ، وإيناسٍ و[٥]رُشدٍ لي، واتّساقٍ[٦]

---

(١) ل: التجاني.

(٢) هذا ما في ل، وما في دونها: مأكولة.

(٣) ف: منطلقة.

(٤) ر: يقصد.

(٥) سقطت الواو في ج.

(٦) ج: استشفاف.

مَصْلحةٍ تعودُ عليَّ، ومحضِ رأيٍ يُؤَدِّي إلى راحتي، وانْحسارِ النُّحوسِ عنّي، وانْكِشافِ هُمومي وغُمومي[1]: أتيْتَ في ذلك ما أنتَ أهلُهُ، وإلّا فإنّ نُقصانَ الاهْتزازِ بهذه الرُّقعةِ يُفضي بي إلى نجْحِ ما لي فيه راحَة، وعَليك قَباحة. وأُعِيذُكَ بالله من أنْ تختارَ إلّا الأحْسنَ الأجْمَل[2]، والأشْبهَ بكَ والأشْكل، والسَّلام.

(١) هذا ما في ل، وفي ما دونها: غممي، وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٤٤١ (غمم).
(٢) ر: الأكمل.

فصلٌ من كتاب
إلى أبي العلاء الصّابي[1]

فأمّا ما ذكرتَه في مَعنى المواصلة بالكُتب، وظنّك إهمالي ذلك لها - كان - على سَبيل الجفاء والاطّراح للحقّ، وإيماؤك إلى المعاتبة على تَرْكي عيادتك من النكبة التي نالَتْك - جبر الله كَسْرها، وأعاذك مستأنَفاً من مثلها - فقد ظلمتني ......[2] يداً، وذهبتَ عن سَنَن الإنْصاف بعيداً، وحرّكتَ من جوابي ساكناً، وأثرتَ منه كامناً. فأوله إنّ عادتي لم تزل جاريةً بتجنُّب مُكاتبة كلّ حاصلٍ في غير سُلْطان هذه الدَّوْلة البُوَيْهيّة، وكنتُ أصلك بنيّتي وطويّتي، واعتقادي وخالصتي، وأتوقّى المكاتَبة إلّا في الأحيان المتباعدة، وعن الحقوق الطارئة.

فصلٌ آخر منه:

فهل رأيتني فرغتُ لتفقّدك، أو تمكّنتُ من مُواصلتك، أو طالبتُك بما لم أطالب نفسي بمثله لك ! وهل تظنّ أنني تركتُ التوجُّع فيما نالك، أو ظننتُ بك تَرْك التوجُّع لي ؟ وكيف يعود مريضٌ مريضاً !

بالله جهد القسم، لو علمتُ منك أنّك لتعلم منّي أنّا لم نزل نتواصل بالنيّات، ونَتخالص على بُعْد الدّار بالقلوب.

هذا جوابي وعُذري. ولولا اجتماعنا في هذا الوقت تحت سُلْطانٍ واحد، لا أزال الله

---

(١) طهران.

(٢) كلمة غير مقروءة.

ظلّه، لجريتُ على تلك الشّاكلة في القبض عن المكاتَبة، ونحن نرجع على كلّ حالٍ إلى جَوامع لا يَنفكّ اشتباكُها، ولا يتفرّق اتّصالُها، ولا تنفصل علائقها، وَصَلها الله بأحسنها، وزادها ولا أنقصها، بمَنّه.

وكَتَب

إلى أبي عليٍّ الصّابي[١]

كتابي، وأنا سالمٌ موفور، ولكنْ على الجُملةِ التي عرَفْتَ، وهي وإنْ كانت جميلةً متطاوِلةَ المدّة، مماطِلةً بما أرجو في عُقْباها من الخيرِ والمَصْلحة، وذلك لعَوائقَ من الأمور، وتَلوُّنٍ من المقدور. ونحن صابِرونَ حتى يأتيَ الله بأمرِه، في حينه ووَقته، ويُجرَينا على أحسنِ عادَتِه ورَحمتِه، وهو المحمودُ ربُّ العالمين.

وما أترُكُ مُراعاةَ أخبارِكَ من جهةِ أبي إسحاقَ الصّابي -أعزَّهُ الله- خاصَّةً، وجهاتِ أصحابِهِ حَفِظَهُم الله عَامةً، فأعرِفَ من السَّلامة في النَّفْس، والاعتدالِ في الحال، ما أُسَرُّ به وأستديمُهُ الله فيك.

ووَرَد أبو نَصْرٍ جابرٌ الصّابي مدينةَ السَّلام قاصِداً إليَّ، ومُستعيناً -في المشاجرةِ الواقعةِ بينك وبينه- بي، فألْفاني على ما أوْمَأْتُ لكَ إليه، ولم يَسَعْني على تصرُّفِ الأحوالِ أنْ أقعُدَ عمّا أصلَحَ ذاتَ البَيْن، وألَّفَ الشَّمْلَ، وأزالَ الخلاف، وأوْجَبَ الاتّفاق، فقلتُ له في ذلك قولاً كثيراً بعَثْتُهُ فيه على أنْ يُقارِبَك ويُلاطِفَك، ويلتمِسَ الحقَّ منك بألْيَنِ المعاملةِ وأحسَنِ المجامَلة، والْتمَسَ منّي كُتباً إليكَ وإلى بعض مَن يَليكَ، أسعَفْتُهُ بها، وسلكْتُ في جميعِها هذه السَّبيل، وجَعلْتُ ما أطلَقْتُه من لَفْظي ويَدي مقسوماً بين تبليغِه بعضَ الإرادةِ وبين تنزيهِكَ عن ....[٢].

---

(١) ليدن.

(٢) في الأصل: الظلا. ولعلها: الظلامة.

وأنا أسألُكَ قبلَ هذا كُلِّه وبَعدَهُ، أنْ تنصرِفَ عن مَحَلٍّ لعلّ أبا نصرٍ أخرَجَك إليه، وأحْوجَكَ إلى استعمالِهِ، وتفعَلَ في أمرِه ما يفعَلُهُ رَئيسُ الجماعةِ الرّاعي لها، الوالي عليها، وتَعلَم أنّ حِمْلَكَ على نفْسِك له يُجمِّلُك، ويَزيدُ في قدرِكَ، وأنّ مضايقتَكَ إيّاه ما تحَسُنُ بكَ، ولا تُشبِهُ محلَّك. و[أنْ] تجعَلُ لخطابي هذا حظّاً وأثراً في فَضْل هذا الباب. فلعلَّكَ قد تكلَّفْتَ فيه ما لو صرَفْتَهُ أو بعضَهُ إليه لكفَى وأغنى، وأنتَ وليُّ ما تَراهُ في ذلك، معتمِداً للصَّلاح، وجارِياً على الشّائعِ الذّائعِ من دينِكِ وعَقلِك، وحُسنِ اختيارِكَ وفعلِك، وتُعرِّفُني ما تأتيه فإنّي أُراعيهِ مع أخبارِكَ وأحْوالك وسَلامتِك، ونعَمُ الله عندَكَ إنْ شاء الله.

فصلٌ عن نفسه
إلى صديقٍ له منجِّم
يسأله الحكم عن تحويل سَنَته[١]

ما أحوج من حالي حاله إلى تفضُّلٍ منك عائدٍ بعد باد، وتالٍ بعد ماض، وبالحكم على السّنة المستقبلة التي تصل زايَرْجتها[٢] دَرْج هذا الكتاب، مُستقصياً له، ومُدقّقاً فيه،

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٩٤.

(٢) علم الزّايَرْجة من القوانين التي وُضعت لاستخراج الغيوب، وهي كثيرة الخواص، يولعون بإفادة الغيب منها بعملها وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة، في داخلها دوائر متوازية للأفلاك والعناصر والمكونات والروحانيات إلى غير ذلك من أصناف الكائنات الموجودات والعلوم، وكل دائرة منها مقسومة بانقسام فلكها إلى البروج والعناصر وغيرهما، وخطوط كل منها مارة إلى المركز، ويسمونها الأوتار، وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة، فمنها أعداد مرسومة برسوم الزمام التي هي من أشكل الأعداد عند أهل الدواوين والحساب، ومنها برسوم قلم الغبار متناسقة كلها مع تلك الحروف. وفي داخل الزّايَرْجة وبين الدوائر أسماء العلوم ومواضع الأكوان، وعلى ظهور الدوائر جدول مستكثر البيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على خمسة وخمسين بيتاً في العرض، ومائة وإحدى وثلاثين في الطول، جوانب منه معمورة البيوت تارة بالعدد، وأخرى بالحروف، وجوانب أخرى منه خالية البيوت. ولا يعلم نسبة تلك الأعداد في أوضاعها نسبة البيوت العامرة من الخالية، وجانبي الزّايَرْجة أبيات من عروض بحر الطّويل على رَوي اللام المنصوبة، تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزّايَرْجة، إلّا أنها من قبيل اللغز في عدم الوضوح ومستعجمة غير جلية، فإذا أرادوا استخراج الجواب عما يسألون عنه، أحضروا آلة الاصطرلاب لأخذ الارتفاع واستخراج الطالع، فإذا علموا درجة من البرج أحصوه وأخذوا أس ذلك البرج في تلك

ومتوفّراً عليه، ومتوصّلاً إلى استنباء دَفينه، واستثارة كَمينه، والإفصاح بكُلّياته وجُزئياته، غير مغرقٍ في تفخيم ما يلوح من السّعادة، سهّلها الله تعالى، كَيْلا أتوقّع منها أكثر من حدها، ولا مقتصراً في الإنذار بالمنحسة صرفها الله تعالى، لئلّا أكون كالغافل الذّاهل عنها؛ فإنّ ثمرة هذه الصّناعة هي تقدمة المعرفة بما يكون، والاستعداد له بما يمكن.

ولا أقول إنّ ذلك يؤدّي إلى دَفْع مقدورٍ نازل، ولا معارضة محتومٍ حاصل، ولكني أقول: ربّما كان من سعادة السَّعيد أنْ يعلم هذا الأمر فيتصدّى لحيازة ما يجب، ويتوقّى حلول ما يكره، وربّما كان من منحسة المنحوس أنْ يجهله فيكون كالمسلوب بَصَرُه وسَمْعُه، الذي لا يرى فيتحفّظ، ولا يسمع فيتيقّظ. وكلا الأمرين لسابق قضاء الله تعالى موافق، ولمتقدم علمه مطابق. وإنما ذكرتُ ذلك استظهاراً لنفسي إنْ تعدّاك كتابي إلى غيرك، ممّن لا يهتدي للجمع بين الأمرَيْن، والتعلّق منهما بالعروتَيْن، فيظن أنّ المراعي لأحدهما مخلٌّ بالآخر، وعندي أن الفاصل بينهما لا يخلو من أنْ يكون ناقص الحظوظ في أدبه، أو ناقص اليقين في دينه. وأنت وَليُّ ما تفضّل به في ذلك معتمد تقديمه، ونترك تأخيره، إذ للنفس راحةٌ في تيسير المنتظرات، وعليها في أنْ تتمادى بها الأوقات، على أنّ ظني بك الإيثار لما أثرت، والتحرّز مما حاذرت.

الزّايَرْجة وسموه سلطان الطالع، ثم يعملون بعضاً من الأعمال المتداولة بينهم المعروفة عندهم حتى يخرجون حروفاً مقطعة إذا ركبت يخرج منها بيت منظوم على الوزن والرَّوي الذي لأبيات القصيدة المرسومة مع الجدول، وقد يزعم بعضهم أنّه يخرج منها أكثر من بيت واحد، وعلى أعاريض أخرى. ولا بد عندهم لمن أحكم العمل بهذا القانون أن يخرج له الجواب عن سؤاله منظوماً مفهوماً، وقد يكون مستغلقاً على الفهم لقصور الملكة في العمل بذلك القانون وهي من الأعمال الغريبة في استخراج الأجوبة. ابن خلدون، كتاب العبر، ج٢، ص٣٦٢.

وله[١]

كتابي عن سلامةٍ أسأل الله - تعالى - أنْ يضفي عليه أثوابها، ويمكّن لديه أسبابها، ويؤلّف بيننا في الجمع عليها، وإطالة الإمتاع بها، وحسن التّوفيق لشُكرها.

وكنتُ كتبتُ إليه - أيّده الله - كتاباً سلكتُ فيه سَبيل المباسطة والمؤانسة، والاسترسال والمفاوضة، وأعلمتُه سوء صَنيع الأيّام عندي فيما غيّرته من مودّة فلان، وَهَب الله له في نفسه ولي فيه الإرشاد الدّاعي إلى الأُلفة والتّسديد، النّاهي عن الفُرقة. وسألتُه بعد بثٍّ كثير، ونَفْثٍ غزير أنْ يراعي منه ما تقتضيه المودّة الوكيدة، والمجاورة الطّويلة السّليمة بالمعاونة لي، أو ترك المعاونة عليّ. فقبل أنْ يصل ذلك الكتاب ما وردت عليّ كتبٌ متواترة، وأنباءٌ متناصرة. وعرض فلان الكتاب الوارد عليه بأنّ سَيِّدي - أدام الله عزه - سبق إلى الجميل، والاختيار المستقيم في صرفه .....[٢] كتاب صار إليه من فلان يدعوه إلى المسابلة في عُقوقي، ونبذ حُقوقي، ممنوعاً مما طلب، مردوداً عمّا خطب[٣]

---

(١) طهران.

(٢) كلمة غير مقروءة.

(٣) تنقطع هذه الرسالة هنا.

فَصْلٌ[١]

واللهُ الشّاهدُ على ما عندنا من الفِكر في أمرِك، والبَهج بذكْرِك، والمعرفة بنعمةِ الله عزّ وجلّ عندنا فيك، وفيما نتحمّلُه من الأعباءِ الباهظة، والمهمّاتِ الباهرة، وأنّا نَرتاحُ إلى وُرودِ كتُبِك، ونحبُّ أنْ تتيسَّرَ لنا أسبابُ معوناتِك، وإمدادِك بمُلْتَمَساتِك. وبحسَبِ ذلك شُغلُ قلوبِنا بأنْ يعتاضَ منها مُعتاص، أو أنْ يلحقَها ائتلامٌ وانتقاص، لا سِيَّما وأنت مُريحٌ لنا بتعبِك، ومخفِّفٌ عنّا بدَأبِك، ومُنتصِبٌ في أمرٍ هو لنا كلّه، وعليك دونَنا كلُّه.

---

(١) باريس.

وكَتَب[1]

ليس يمنَعُني ما استَحدثْتَهُ من المقاطعةِ التي لا عُذَر لكَ فيها من رعاية ما سَلَف من الحقوقِ التي كان منك لا منّي اطّراحُها، وقد عَرَفْتَ من أخلاقي على طُولِ الصُّحبة ما يُسهِّلُ عليك سَبيل المُراجعة، وأنت على حالٍ لا أستحسِنُ تَرْكَك عليها، [و] وَحْشةٍ قد استحوَذَت عليك، وعُطلةٍ قد تمادَتْ بك.

وقد آتانا اللهُ – وله الحَمْد، في هذا الوقت – خيراً في الجاهِ، والحال حظُّك إنْ شئتَ منه متوفِّر، ومَرامُه عليك متيسِّر، فأُحبُّ أنْ تجعلَ الجوابَ عن هذه الرُّقعة المصيرَ إليّ، واثقاً بأنّ الذي جَرَى مَطْويٌّ لا يُنشَر، ومَنْسيٌّ لا يُذكَرُ إنْ شاء الله.

(١) باريس، طهران.

فَصْل من كتاب[1]

كتابي عن سَلامةٍ لا زال لابساً سِرْبالَهَا، وساحباً أذْيالَهَا، طويلَ الإمتاع بها، دائمَ الصُّحبة لها، وشَوْقي إليه شديد، ونِزاعي نحوَه يَتَضاعفُ ويزيد.

ولئن طال العَهْد فما أخْلَقَ الوُدّ، ولا الْتاث الوَصْل، ولا انقَطَع الحَبْل، ولا كان تَرْكي مُكاتبتَه إجلالاً، بل تحقيقاً وانتظاراً لوجوبِ سَبَبٍ يَقْتضيه، وحالٍ يَسْتدعيه.

---

(١) باريس.

فَصْل[١]

مَبارُّك - أدام الله عزّكَ - تأتيني مَثنى وفُرادى، وتَتلاحق عندي أواخر بأوائل، والإغراقُ في الشكر مع ما أخلصَهُ اللهُ بيننا مُستهجَن. ولو شرعتُ أيضاً فيه لما قاربتُ الغاية التي يستحقّها عجزاً عنها، ووُقوفاً دونها، والله ينهضني بحُقوقك، ولا يخليني منك.

(١) فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي.

فَصْل[١]

وإذا احتاج السّائلُ إلى الإطالة على المسؤول في الحاجةِ العارضة، والمِنّة المتحمَّلة، فأنتَ تكتفي في ذلك باللَّمحةِ الدّالّة، والإشارةِ الخفِيّة، مُسابقةً إلى المكارم، و.....[٢]، على أسبابِ المعالي والمحامد.

(١) باريس.

(٢) كلمة ضَبَّبها الحبر.

فَصْل[١]

وكتَبْتُ هذه التَّذْكِرة لا خوفاً من أنْ ينساني، ولكنْ نَصّاً على ما يُوردُه عنّي، وتقبيلَ اليدِ الجارية بكلِّ مكرُمة، والقَدَم السّاعية إلى كلِّ فضيلة، والبساطِ الذي لا يَطَؤُه إلّا راغب، ولا ينقلبُ عنه إلّا شاكر.

(١) باريس.



رسائل متفرقة



كَتَب نُسْخة عقد صُلْحٍ بين الوزير أبي نَصْر سابور بن أرْدَشير والشريفين: أبي أحمد الحسين بن موسى وأبي الحسن مُحمّد ابنه الرَّضيّ بما انعقد من الصُّلْح والصَّهْر بين الوزير المذكور، وبين النقيب أبي أحمد الحسين وولده مُحمّد، حين تزوّج ابنه مُحمّد المذكور بنت سابور المذكور وجعله على نسختين، لكلّ جانبٍ نُسْخة بعد البسملة ما صورتُه[1]:

هذا كتابٌ لسابور بن أرْدَشير

كتبه له الحسين بن موسى المو سَويّ، وولدُه مُحمّد بن الحسين الموسَويّ

إنّا وإيّاك عندما وَصَله الله بيننا من الصَّهْر والخلْطة، ووَشَجه من الحال والمودّة، آثرنا أنْ ينعقدَ بيننا وبينك ميثاقٌ مؤكَّد، وعهدٌ مجدّد، تسكن النُّفوس إليهما، وتطمئنّ القلوب معهما، وتزداد الأُلفة بهما، على مرّ الأيّام، وتعاقُب الأعوام. ويكون ذلك أصلاً مُستقرّاً نرجع جميعاً إليه، ونعوّل ونعتمد عليه، وتَتوارثه أعقابنا، وتَتّبعنا فيه أخلافنا؛ فأعطيناك عَهْد الله وميثاقه، وما أخذه على أنبيائه المرسلين، وملائكته المقرّبين صلّى الله

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص١١٠.

في سنة ٣٨٠هـ قبض بهاء الدَّوْلة على وزيره أبي منصور بن صالحان، واستوزر أبا نصر سابور بن أردشير، وكان كاتباً سديداً. عمل دار الكتب ببغداد سنة ٣٨١هـ. وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد، وبقيت إلى أن احترقت عند مجيء طغرلبك السَّلْجوقي سنة ٤٥٠هـ. توفي سنة ٤١٦هـ. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٣٩، ص٦٩١. انظر ترجمته عند ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٢.

عليهم أجمعين، عن صُدورٍ منشرحة، وآمالٍ في الصَّلاح منفسحة، أنّا نخلص لك جميعاً، وكلّ واحدٍ منا إخلاصاً صَحيحاً يُشاكل ظاهره باطنه، ويُوافق خافيه عالنه، وأنّا نُوالي أولياءك، ونُعادي أعداءك، ونصل مَن وَصَلك، ونقطع مَن قَطَعك، ونكون معك في نَوائب الزّمان وشَدائده، وفي فَوائده وعَوائده، وضَمنّا لك ضَماناً شهد الله بلُزومه لنا، ووُجوبه علينا، وأنّا نصون الكريمة علينا الأثيرة عندنا فلانة بنت بنت فلان - أدام الله عزّها - المنتقلة إلينا، كما تُصان العيونُ بجفونها، والقلوبُ بشغافها، ونُجريها مجرى كرائم حَرَمنا، ونفائس بناتنا، ومَن تضمّه منازلنا وأوطاننا، ونتناهى في إجلالها وإعظامها، والتَّوْسعة عليها في مَراغد عَيْشها، وعَوارض أوطارها، وسائر مؤنها ومؤن أسبابها، والنّهوض والوفاء بالحقّ الذي أوجبه الله علينا لها، ولك فيها، فلا نعدم شيئاً ألفته من إشبالٍ عليها، وإحسانٍ إليها، وذبٍّ عنها، ومحاماةٍ دونها، وتعهّدٍ لمسارّها، وتوخٍّ لمحابها، ونكون جميعاً وكلّ واحدٍ منّا مقيمين لك ولها على جميع ما اشتمل عليه هذا الكتاب في حياتك - أطالها الله - وبعد الوفاة إنْ تقدّمتنا، وحوشيت من السّوء في أمورك كلّها وأحْوالك أجمعها.

ثم إنّا نقول وكلّ واحدٍ منّا طائعين مختارين، غير مكرهين ولا مجبرين، بعد تمام هذا العَقْد بيننا وبينك، ولُزومه لنا ولك: والله الذي لا إله إلّا هو الطالب الغالب المدرك المهلك الضّار النافع المطلّع على السّرائر، المحيط بما في الضّمائر، الذي ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[1]، وحقّ محُمّدٍ النبي وعليّ الرّضيّ صلّى الله عليهما وسلّم، وشرّف ذكرهما، وسادتنا الأئمة الطّيبين الطّاهرين رحمة الله عليهم أجمعين، وحقّ القرآن

---

(١) سورة غافر، الآية ١٩.

العظيم وما أنزل فيه من تحليلٍ وتحريم، ووَعْدٍ ووَعيد، وتَرْغيبٍ وتَرْهيب، لنفينّ لك يا سابور بن أرْدَشير والكريمة الأثيرة ابنتك فلانة - أحسن الله رعايتها - بجميع ما تضمّنه هذا الكتاب وفاءً صَحيحاً، ولنلتزمنّ لك ولها شرائطه ووثائقه، فلا نفسخها، ولا ننقضها، ولا نتتبعها، ولا نتعقبها، ولا نتأوّل فيها، ولا نزول عنها، ولا نلتمس مخرجاً ولا مخلصاً منها، حتى يجمعنا الموقف بين يدي الله، والمقدم على رحمة الله، ونحن يومئذٍ ثابتان عليها، ومؤدّيان للأمانة فيها، أداءً يشهد الله تعالى به، وملائكته يوم يقوم الأشهاد، ويحاسب العباد. فإنْ نحن أخْلَلْنا بذلك، أو بشيءٍ منه، أو تأوّلنا فيه، أو في شيءٍ منه، أو أضمرنا خلاف ما نظهر، أو أسْرَرْنا ضدّ ما نعلن، أو الْتمسنا طريقاً إلى نَقْضه، أو سَبيلاً إلى فَسْخه، أو أَلْمنا بإخفار ذِمّةٍ من ذِمَمه، أو انتهاك حُرْمةٍ من حُرَمه، أو حلّ عِصْمةٍ من عِصَمه، أو إبطال شرطٍ من شُروطه، أو تجاوز حدٍّ من حُدوده، فالذي يفعل ذلك منّا يوم يفعله أو يعتقده، وحين يدخل فيه ويستجيزه بريءٌ من الله - جلّ ثناؤه - ومن نُبوّة رسوله مُحمّد، ومن وَلاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلّى الله عليهما وسلَّم، ومن القرآن الحكيم العظيم، ومن دين الله الصَّحيح القَويم، ولقي الله يوم العَرْض عليه والوُقوف بين يديه وهو به سبحانه مُشرك، ولرسوله صلّى الله عليه وسلَّم مُخالف، ولأهل بيته مُعاد، ولأعدائهم مُوال. وعليه الحجّ إلى بيت الله الحرام العتيق الذي بمكة راجلاً حافياً حاسراً، وإماؤه[1] عَواتق، ونساؤه طَوالق طلاق الحرج والسنّة، لا رجعة فيه ولا مثنوية، وأمواله على اختلاف أصنافها محرّمةٌ عليه، وخارجةٌ عن يديه، وحبيسةٌ في سَبيل الله، وبرأه الله من حَوْله وقوّته، وألجأه إلى حَوْله وقُوّته.

(١) في الأصل: إناؤه!

وهذه اليمين لازمةٌ لنا، وقد أطلق كلٌّ واحدٍ منا بها لسانه، وعقد عليها ضميره، والنيّة في جميعها نيّة فلان بن فلان، لا يقبل الله من كلّ واحدٍ منّا إلّا الوفاء بها، والثبات عليها، والالتزام بشروطها، والوُقوف على حدودها.

وكفى بالله شهيداً، وجازياً لعباده ومثيباً[1]، وذلك في يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا.

---

(١) في الأصل: مثيباً، ولعل الأرجح ما أثبتناه.

وكَتَب عن الوزير مُحمّد بن بَقيّة
إلى قاضي القُضاة أبي مُحمّد عبيد الله بن أحمد بن مَعْروف[1]

وَصَل كتابُ قاضي القضاة بالألفاظ التي لو مازَجَت البحرَ لأعذبته، والمعاني التي لو واجَهَت دُجى اللّيل لأزاحته وأذهبته، ولم أدرِ بأيّ مذاهبه فيها أعجب، ولا من أيّها أتعجّب، أمن قَريض عُقوده منظومة، أم من ألفاظ لآلئها منشورة، أم من وُلوجها الأسماع سائغة، أم من شفائها العلّة نافعة؟

وأمّا الأبيات التي رَسَم التقدّم بتلحينها، وقال بمَذْهب أهل الحجاز فيها، فما أعرف كفؤاً لمثلها ملحّناً، ولو كان إسحاق الموصليّ، ولا مجيباً ولو كان امرأ القيس الكِنْديّ، ولا أرضى لها مهراً إلّا حبّات القلوب، ولا مجالاً إلّا أرجاء الصّدور. وقد جعل الله فيها من الفَضْل ما يشغلنا عن تعاطي الإجابة عنه، وقرن بها من الإطراب ما يكفينا تأمّله عن صياغة الألحان له.

---

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣، ص١٢٥. وقدّم لها بقوله: قرأتُ لأبي إسحاق الصّابي فصلاً من كتاب عن الوزير ابن بَقيّة إلى ابن معروف، واستحسنه جداً في وصف نظمه ونثره.

وكَتَب عن الوزير مُحمّد بن العَبّاس بن فَسانْجِس إلى عِزّ الدَّوْلة ابن مُعِزّ الدَّوْلة في صِفَةِ مُتصيَّدٍ كان بواسِط[1]

مَن حلَّ محلِّي من اصطناع الأمير عِزّ الدَّوْلة - أطال الله بقاءه - واصطفائه، وانتهى إلى غايتي من أثَرتِه واجتبائه، كان حقيقاً بالتَّسْوية في طاعتِه بين سِرِّه وجَهْره، والجمع في نصيحتِه بين جِدِّه وهزْلِه، غيرَ مُسامِحٍ نفسَه بقَضاء وَطَرٍ لا حظَّ له فيه، ولا موسِعَ لها في بلوغ أرَبٍ[2] لا فائدةَ له منه، تمسُّكاً بعلائق الوَلاية في سائرِ الأحوال، وأداءً لفريضة الأمانة في صغير وكبير الأعمال، واللهُ بلطفِه يَمُدُّني في خدمته بالتوفيق، ويقفُ بي منها على سَواءِ السَّبيل[3] والطريق، ويهَبَ لي تحفّظاً يحرُس من الزَّيْغ والزَّلَل، وتيقُّظاً يعصمُ من الخطأِ والخطَل، بمَنّه[4].

ووجدتُ[5] في سَفَري هذا[6] - أيّد اللهُ الأمير عِزّ الدَّوْلة - فَضْلاً في زماني عن

---

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي. (العنوان فيها كلها: كتب أبو إسحاق إبراهيم بن هِلّيل بن إبراهيم بن زَهْرون الصّابي الكاتبُ إلى عز الدَّوْلة ابن مُعِزّ الدَّوْلة في صفة متصيد). وأورد ابن حمدون نصّها في التذكرة الحمدونية، ج٥، ص٢٨١. كما أورد الثعالبي والمواعيني والوطواط فقراً منها. يتيمة الدهر، ج٢، ص٣٠١؛ ريحان الألباب، ورقة ٧٢؛ مباهج الفكر، ص٣٤ (وقال: قال أبو إسحاق الصابي من رسالة طردية). (كان بواسط) من ابن حمدون.

(٢) ف: أدب.

(٣) ساقطة في ط.

(٤) من: ط.

(٥) من هنا يبدأ النص عند المواعيني.

(٦) تنقطع الرسالة هنا في ط بسبب اضطراب الأوراق في الأصل.

المهمّات، تَستروحُ النّفس إلى توفيرِه على المحبوبات، واعتمدتُ منها التصيُّدَ تأدُّباً بأدبِه - أطال الله بقاءه - في الولوع به، واعتياداً لعائدتِه على مَن بحضرتي من أوليائه وعبيدِه، في قُوّة أبدانِهم ونشاطِها، ورياضة خَيْلِهم وانبساطِها، واعتيادِهم طِرادَ ما يسنَحُ ويعِنّ[1]، واستثارة ما يستكِنُّ ويستجِنّ، وإغرائهم بطلب ما يحاولونَه، وإضرائهم على الفتْكِ بمَن يُساورونه، إذ كان هذا الأمرُ مثالاً يُحتذى في مُطاعنةِ الفُرسان، ومنهجاً يُقتفى في مُطاردةِ الأقران.

واتّفق لي من البروزِ لذلك في أمسِنا يومٌ غاب نحسُه وهوى، وطَلَع سعدُه واعتلى، وصدَّق الله أيامنَه وسَوانحَه، وأكذَبَ أشائمَه وبَوارحَه، بما رزَقَناهُ من اجتماع الصّيد ووُفورِه، وكثرتِه وجُمومِه، وسهَّله لنا من إدراكِ ما طلبناهُ منه وأرغناه[2]، والوُصولِ إلى ما اعتمدناهُ وانتحَيْناه، بظلِّ الأمير عِزّ الدَّوْلة - أدام الله عِزّه - الممتدِّ علينا، وبركة اسمِه الذي به استنجَحْنا، والزّمانُ ساقطةٌ جمارُه[3]، مُفعمةٌ أنهارُه، مورِقةٌ أشجارُه، مغرِّدةٌ أطيارُه.

ونحن غِبَّ سَحابٍ أقلَعَ بعد الارتواء، وأقشَعَ عند الاستغناء، والبَقْلُ خَضِلٌ ممطور، والنَّقعُ ساكنٌ محصور، والرياضُ كالعرائس في حَلْيِها وزخارفِها، والقِيانِ في وَشْيِها ومَطارفِها، متجلِّيةً في خِلَعِها وملابسِها[4]، متبرِّجةً في حُلَلِها ومجاسِدِها، باسطةً زرابيَّها وأنماطَها، ناشرةً حَبِراتِها ورياطَها، زاهيةً بحمرائها وصفرائها، تائهةً بعَوانها

---

(١) ر: يعز.

(٢) ر: أرددناه.

(٣) كذا في: ف و التذكرة الحمدونية. وفي ر: خماره، ع وإحدى نُسَخ التذكرة الحمدونية: حماره. أخذت بقراءة إحسان عباس محقق التذكرة الحمدونية.

(٤) ف: ملامسه.

وعذرائها، كأنما عارَضَتْ[١] عُصباً، أو فاخَرَتْ صحباً، أو اختلفت لوَفْد، أو هي من حبيبٍ على وَعْد، تتبارى حُسناً وطيباً، وتتفاوحُ أرَجاً وعَرْفاً، فما نرِدُ منها حديقةً إلّا استوقفتْنا بهجتُها ونضارتُها، واستنزلتْنا جِدَتُها وغضارتُها، وخيلُنا كالأمواج المتدفِّقة، والأطواد الموثَّقة[٢]، متشوِّفةٌ عاطية، مستبقةٌ جارية، تشتاقُ إلى الصّيد وهي لا تطعَمه، وتحِنُّ إليه كأنّه قضيمٌ يُقضَمه، وعلى أيدينا جوارحُ مؤلَّلةُ المخالبِ والمناسر، مذرَّبةُ[٣] النِّصال والخناجر، طامحةُ الألحاظِ والمناظر، بعيدةُ المرامي والمطارح، زكيّةُ القلوبِ والنفوس، قليلةُ القُطوبِ والعُبوس، ذاتُ قَوادمَ كثّةٍ أثيثة، وخَوافٍ وحفةٍ وَثيرة، سابغةُ الأذناب، كريمةُ الأنساب، صَليبةُ الأعواد، قَويمة[٤] الأوصال، تزيدُ إذا أُلجِمت شَرَهاً وقَرَماً، وتضّاعف[٥] إذا أشبعت كَلَباً ونَهَماً.

فبينا نحن سائرونَ، وفي الطلب مُمعِنون، إذ ورَدْنا ماءً زُرقاً جَمامُه، طاميةً أرجاؤه، يبوحُ بأسرارِه صَفاؤه، وتلوحُ في قرارِه حَصْباؤه، وأفانينُ الطَّير به مُحدِقة، وغرائبُه عليه واقعة، متغايرةَ الألوان والصّفات، مختلفةَ اللّغات والأصوات، فمن صَريحٍ خَلَص وتهذَّب نوعُه، ومن مَشُوبٍ تَهجَّن أو أُقرفَ عِرقُه. فلمّا أوفَيْنا عليها أرسَلْنا الجوارحَ إليها كأنّها رُسُلُ المنايا أو سهامُ القضايا، فلم تسمعْ إلّا مُسمّياً، ولم ترَ إلّا مُذكِّياً. ثم عُدنا لشأننا دُفُعات، وأطلقنا بها مرّات، حتى ازدَدْنا واستكثَرْنا، وانتهيْنا واكتفيْنا،

---

(١) من التذكرة الحمدونية، وفي الأصول الخطية وكذلك في نُسْخة من التذكرة الحمدونية: عرضت.

(٢) ف: المتوثقة.

(٣) في الأصول: مدربة، والضبط من التذكرة الحمدونية. مذرَّبة أي: محدّدة. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٠٥ (ذرب).

(٤) في الأصول: قوية، والضبط من التذكرة الحمدونية.

(٥) في الأصول: تصعف، يتيمة الدهر: تتضاعف. أخذت بما في التذكرة الحمدونية.

وانطلقنا بعد ذلك نعتامُ ونتخيَّر، ونقترحُ ونتحكَّم، فكان الدُّرّاجُ أطرفَ مطلوباتنا، وأنظفَ مأكولاتنا، فاستثَرْناهُ من مَجاثِمِه، وانتزعناهُ من مَكامِنه، واختطفْنا ببُزاتنا ما طار منهُ وانتشر، وبعثْنا بوارحَنا إلى ما سَنَح[1] واستتر، فاهتدتْ إليها كالودائع المستودَعة، وأظهرتْها كالكنوز المستخرَجة، تستدلُّ عليها بالشميم، وتستنبطُها بالنَّسيم، فلم يفُتْنا ما برَز، ولا سلم منّا ما احترَز واحتَجز.

ثم عدَلْنا - أيّد اللهُ الأمير عِزّ الدَّوْلة - عن مَطائرِ الحمام، إلى مَسارحِ الآرام، نستقري ملاعبَها، ونؤمُّ مجامعَها، لا نألوا بحثاً وفحصاً، ولا نفتُر اجتهاداً وحرصاً، وأمامَنا أدلّةٌ فَرِهةٌ يَهدون، وروّادٌ مَهَرةٌ يُرشدون، حتى أفضَيْنا إلى أسرابٍ كثيرة العدد، متّصلةِ المدد، لاهيةً بأطلائها، راتعةً في أكلائها، غارّةً بما أحاط بها، ذاهلةً عمّا أُعدَّ لها، ومعَنا فهودٌ أخطفُ من البروق، [وأسرع من السّهم حين المروق][2]، وأثقفُ من اللُّيوث، وأجدى من الغيوث، وأمكرُ[3] من الثعالب، وأدَبُّ من العقارب[4]، وأنزى من الجنادب، خُمْصُ الخصور، قُبُّ البطون، رُقْشُ المتون، حُمرُ الآماق، خُزرُ الحِداق، هُرْتُ الأشداق، عِراضُ الجباه، غُلب[5] الرِّقاب، كاشرةٌ عن أنيابٍ كالحِراب، تلحظُ

---

(١) ر: يوارحنا إلى ما يتنح؛ ف، ع، التذكرة الحمدونية: بوازجنا إلى ما تبنج. والأرجح ما أثبتناه. والبوارح في الطير والظباء خلاف السَّوانح. فالبارح ما أتاك عن يسارك، والسّانح ما أتاك عن يمينك. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٤١١ (برح)، ص٤٩٠ (سنح).

(٢) من الوطواط.

(٣) التذكرة الحمدونية: أمكن.

(٤) بعدها في ف: وأصر.

(٥) ف، ع، التذكرة الحمدونية: غلب. العلب: الغليظ الشَّديد. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٧٢٦ (علب).

الظِّباءَ من أبعدِ غاياتها، وتعرفُ حسَّها من أقصى نهاياتها، تتَّبعُ مرابضَها وآثارَها، وتتنسَّمُ روائحَها وأبشارَها[١].

فأقبَلْنا من تجاه الرّيح إليها، وأغذَذْنا السَّيرَ نحوَها، ثم دبَبْنا لها الضرّاء، وشننّا عليها الغارةَ الشّعواء، وأرسلنا فُهودَنا إليها فانقضَّت كالشُّهب عليها، جائلةً في أدمِها وعُفْرِها[٢]، صائلةً بعَتَرِها وشَصَرِها[٣]، وجَرَت خيلُنا في آثارها كاسعةً لأدبارها، فألقينا كلاًّ منها على ظَبْيٍ قد افترسَه وافترشَه، وصرَعَه وجعجَعَه، فصانعْناها بالدّماء فقنِعت ووَلَغت، واستنزلناها عن الظّباء فسامحت ونزَلَتْ، وأوغلْنا من بعد في اللَّحاق بما شذَّ وشرَد، وقصَّ أثرَ ما ندَّ وبعُد.

وقد انتهتِ النَّوبةُ إلى الكلاب والصقور، وفي صُحبتِنا منها كلُّ كلبٍ عريقِ المناسب، نَجيح المكاسب[٤]، حُلوِ الشمائل، نجيبِ المخايل، حديدِ النّاظرَيْن، أغضفِ الأُذُنيْن، أسيل الخَدَّين، مخطَفِ الجنبيْن، عريضِ الزُّور، متينِ الظهر، أبيِّ النَّفْس، ملهَبِ الشدّ[٥]، لا يَمَسُّ الأرضَ إلّا تحليلاً وإيماءً، ولا يطؤها إلّا إشارةً وإيحاءً[٦]، وكلُّ صقرٍ عميمُ الجسم، مُصْمَتُ العظم، ماضٍ كالحسام، قاضٍ كالحِمام، كثيرُ التلفُّت، طويلُ التلهُّف، متيقِّظٌ في مناظرِه، مشتطٌّ في مطالبِه، خفيفُ النّهضة إلى ما يريد، ثقيلُ الوطأةِ على ما يَصيد.

---

(١) الفقرة (ومعنا فهود .... وأبشارها) أوردها الوطواط.

(٢) العُفْر من الظباء التي يعلو بياضها حُمرة. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٠٤ (عفر).

(٣) العَتَر: المذبوح من الظباء والشياه. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٣٧ (عتر). الشَّصَر: ولد الظبية، ج٤، ص٤٠٦ (شصر).

(٤) ر: المكلب.

(٥) ر: الشك. الوطواط: ملهم الشكر.

(٦) الفقرة (كلب عريق ..... وإيحاء) أوردها الوطواط. وعنده انحناء بدل إيحاء، ص٤٠.

فلما لبِثنا أنْ أشرَفنا على يَعافيرَ[١] متطرِّفة، ويَحاميرَ[٢] متعزِّبة، فخرَطْنا القلائدَ والسِّباقات[٣]، فمرَّت مُترافقاتٍ متوافقات، قد تبايَنَت في الصُّورِ والأجناس، وتآلفت في الارتيادِ والالتماس، فسبقَتِ الصقورُ إليها ضاربةً وُجوهَها، عاسكةً رؤوسَها، ولِحقتِ الكلابُ بها، مُنشِبةً فيها، مُدمِيةً لها، وبادرْناها مُجهِزين، وغنِمناها فائزين.

واعترضَنا في المرجِع - أيّد اللهُ الأميرِ عِزّ الدَّوْلة - عانةٌ من حميرٍ لم نحتسبْها، ولم نطمعْ في الوقوع على مثلِها، فبادَرَها سَرَعانُ خيلِنا، وثاوَرَها فُتّاكُ فرسانِنا، فصَرْعنا منها جَحْشاً، ومنعَنا ممّا سواه شدّةُ الكلال والملال، وامتلاءُ الحقائب من الأنفال[٤].

وانقلبْنا - أيّد اللهُ الأمير عِزّ الدَّوْلة - إلى معرَّسٍ كنّا استطبناهُ بادئين، وأعددناهُ للاستراحة عائدين، وقد وَجَب الجمعُ بين صلاتَي الظهرِ والعصر، فنزلنا ريثَما صلَّينا، وعرَفْنا عددَ ما صِدنا، واجتمع إلينا أهلُ موكبِنا، ونهَضْنا فأتمَمْنا، وأخذْنا في صيد ما يقرُب ويخفّ[٥]، وتحصيل ما يلوحُ ويستدِفّ؛ فكان من ذلك حُبارَى أرسَلْنا بعض شَواهينِنا إليه، فثاوَرَه وهو يتّقيه، وثاقَفَهُ وهو ينتحيه، يعلو عليه تارةً ويسفُلُ عنه أخرى، كالفارسَيْنِ المتطارِدَيْن، والبطلَيْنِ المتنازلَيْن، فداما كذلك ساعةً أو ساعتَيْن، إلى أنِ اعتَلَقَه وهَبَط به، وخبَطَه وجَثَم عليه.

وكان قريبًا منه قُبَّرٌ[٦] أطلقْنا عليه يُؤيؤاً[٧]، فعرَج إلى السّماء عروجًا، ولَجَّ في إثْرِه

---

(١) اليعفور: الظبي أو البقرة الوحشية. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٨٥ (عفر).

(٢) اليحمور: الحمار الوحشي. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢١٥ (حمر).

(٣) في التذكرة الحمدونية: الشباقات.

(٤) ف، التذكرة الحمدونية: الأثقال.

(٥) في الأصول الخطية: يخف (مجودة): أخذت بها في التذكرة الحمدونية.

(٦) التذكرة الحمدونية: قنبر.

(٧) اليُؤيُؤ من أنواع الصقور. كتب عنه الدميري مادة ضافية. حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص٩١.

تَلْجيجًا، كان ذاك يعتصمُ منه بالخالق، وكأنّ هذا يستطعمُه من الرّازق، حتى غابا عن النُّظّار، واحتَجَبا عن الأبصار، وصارا كالغيب المرجَّم، والظنِّ المتوهَّم، حتى خَطِفه ووقَعَ عليه كهيئة الطّائر الواحد، فأعجبَنا أمرُهما[١]، وأطربَنا منظرُهما.

ووَرَدْنا المنازلَ سالمين، ووجُناها غـانمين، والغزالـةُ[٢] مصـوِّبةٌ للغـروب، مؤْذِنـةٌ بالمغيب، والجوُّ في أطمارٍ منهجةٍ من أصائلِه، وشفوفٍ مُوَرَّسةٍ من غلائلِه.

فالحمـدُ لله الـذي قـدَّر الأرزاقَ ونزّلهـا، ويسّــرَها وسـهّلَها، وآتاهـا عبـادَه مـن مستصعَبِ جهاتها، وممتنِع مُراماتِهـا[٣]، وجعَـلَ لهـم في الأطيـارِ السّـارية، والوحـوش الجارية[٤] مَطعمًا من أطايبِها[٥]، وخدَمًا من جنائبها، وعلَّمهـم تـذليلَ شامسِـها وآبيهـا، واستجابةَ نافرِها وعاصيها، إسباغًا للمواهب، وإرغادًا للمعايش، وإمتاعًـا بالأوطـار، وإسعافًا بالمسارّ.

وإيّاه أسألُ أنْ ينصُرَ رايةَ مَوْلانا الأمير عِزّ الدَّوْلـة في دَقيـق الأغـراض وجَليلهـا، ويقضي الظَّفرَ لها في جَسيم المطالبِ وضَئيلها، حتـى يكـون شـعارُه في الجميـع ضـامناً للظهور والغَلَبة، وافياً له[٦]، كفيلًا باليُمن والبركة، ويلهمَنا من شـكرِه - جـلّ ثنـاؤه - ما يُؤْذِنُ بالتّمام والدّوام، ويـؤمَنُ مـن الانفصـام والانصــرام، بمَنِّـه وطَوْلِـه، وقُدْرتـه وحَوْلِه.

---

(١) (فأعجبنا أمرهما) ساقط في ف.

(٢) أي الشمس. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٤٩٣ (غزل).

(٣) ف: مرماتها.

(٤) ينقطع النص هنا عند المواعيني.

(٥) ف: مطايبها.

(٦) في الأصول الخطية: واقباً له.

وكَتَب إلى الوزير مُحمّد بن العَبّاس بن فَسانْجِس في صفةِ رمي البنْدُق وآلاتِه[1]

مآربُ الإنسان - أطال الله بقاء سَيِّدنا الوزير - منزَّلةٌ بحسَب قُربِها من هَزْلٍ أو جِدّ، ومرتَّبةٌ على قدرِ استحقاقِها من ذمٍّ أو حَمْد. وإذا وَقَع المتأمّلُ[2] عليها وَجَد أُولاها بأنْ تعتدَّه الخاصّة نشوةً ومَلْعباً، والعامّة حِرْفةً ومكسباً: الصّيدَ، الذي فاتِحتُه طِلابُ لَذّةٍ ووَطَر، وخاتمتُهُ حصولُ مَغْنَمٍ وظَفَر.

وقد اشتركتِ الملوكُ والسُّوقةُ في استجمالِه، واتَّفقتِ الشرائعُ المختلفةُ على استحلالِه، ونطَقتِ الكتبُ المنزَّلةُ بالرُّخصة فيه، وبُعثت المروءاتُ على مُزاولتِه وتَعاطيه. وهو رائضٌ للأبدان، وجامعٌ لشملِ الإخوان، وداعٍ إلى اتّصال العِشرة منهم والصُّحْبة، وموجبٌ لاستكمال الأُلفة بينهم والمحبّة.

ولما كانت الجوارحُ المثَمَّنةُ ليست لكلِّ النّاس ممكنة، بل لمن جلَّ منهم قدْرُه، وعلا فيهم خطرُه، وعظُمَ شأنُه وحالُه، وجمَّ نَشَبُهُ ومالُه، جعلتُ القولَ مقصورًا على قِسِيِّ البندُق التي لا تتعذَّرُ على مُكثرٍ ولا مُملِق، ولا يَضيقُ على اتّخاذِها مُوسِرٌ ولا مُعسِر. ولو لم أفعلْ ذلك لَبلغَ الأسفُ من العادم الفاقد، أكثرَ من مبلغ الجَذْل من القادر الواجد،

---

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي. (العنوان فيها: وله في صفة رمي البندق وآلاته) وأورد نصّها ابن حمدون في التذكرة الحمدونية، ج٥، ص٢٧٨. كما أورد أول فقرتين منها الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٣٠٢. وأورد بعضها الوطواط، مباهج الفكر، ص٢٠١، والعنوان عنده (إلى مُحمّد بن العَبّاس بن فسابخس (كذا) في صفة الجلاهق). والإضافات من ابن حمدون.

(٢) في الأصول الخطية وكذلك يتيمة الدهر: التأمل، وما هنا من التذكرة الحمدونية.

لكنَّني اعتمدتُ الذي يتوافقُ في استطاعتِه الأدنى والأشرف، ويتلاحقُ في التمكّن منهُ الأقوى والأضعف، وأنا أكتفي في ترغيبِ مَن كان عنه منحرفًا، وتثبيت مَن كان إليه متشوِّفًا، بوَصْفِ موقفٍ منه شهِدتُه، ومنظرٍ استحسنتُه، في ظواهرِ مدينة السَّلام :

وهناك غَيْضةٌ ذاتُ ماءٍ صافٍ أزرق، وشجرٍ مُرجْحَن مُورِق، فبينا أنا ماثلٌ[1] فيها، ومتنزِّهٌ في نواحيها، وقد تضَوَّعتْ بالأرَج الطيّب[2] أرجاؤها، وتأوّدتْ في حُلل الوردِ شَجراؤها، وتفاوحتْ بروائح المسكِ أنوارُها، وتفاوضتْ بغرائبِ النُّطق أطيارُها، إذ أقبَلَت رِفْقةٌ من الرُّماة قد برَزَت قبلَ الذُّرور والشروق، وشمَّرتْ عن الأذرُع والسُّوق، متقلِّدينَ خرائطَ شاكَلَتِ السُّيوف بحمائلِها ونياطاتِها، وناسبتْها في آثارِها ونكاياتِها، تحملُ من البندُق الموزونِ الململوم، ما هو في الصحّة والاستدارة كاللُّؤلؤِ المنظوم، كأنّما خُرِط بالجهر، فجاء كبناتِ الفِهْر[3]، قد اختير طينُه، ومُلك عجينُه، فهو كالكافور المصّاعد في الملمَسِ والمنظر، وكالعنبرِ الإذْفَر في المشمِّ والمخبَر، مأخوذٌ من خير معاطنِه، ومجلوبٌ من أطيب معادنِه، كافلٌ مطاعم[4] حامليه، محقِّقٌ لآمالِ آمليه، ضامنٌ لِحمام الحِمام، متناولٌ لها من أبعدِ مرام، يعرُجُ إليها وهو سُمٌّ ناقع، ويهبِطُ إليهم وهي رزقٌ نافع.

وبأيديهم قِسِيٌّ مكسوّةٌ بأغشيةِ السُّندُس، مشتملةٌ منها بأفخرِ ملبَس، مثلَ الكُماة في جَواشنِها ودُروعِها، والجِياد في جلالِها وقطوعِها، حتى إذا جُرِّدتْ من تلك المطارف، وانتُضيت من تلك الملاحف، رأيتُ منها قُدوداً مخطفةً رَشيقة، وألواناً معجبةً أنيقة،

---

(١) ر: مل.

(٢) ساقطة في ر.

(٣) ر: القهر.

(٤) ف: بمطاعم.

صَليبةَ المكاسرِ والمعاجم[١]، نجيبةَ المنابتِ والمناجم، خَطِّيَّةَ الانتماء والمناسب، سَمْهَرِيَّةَ الاعتزاءِ والمناصب، تركّبت من شظايا الرماح الدّاعسة، وقرون الأوعال النّاخسة؛ فحازتِ الشَّرَف من طرفَيْها، واحتوَتْ عليه بكلتا يديْها، قد تَحَنَّتْ تحنِّيَ المشيخةِ النُّسّاك، وصالت صِيالَ الفتيةِ الفُتّاك، واستَبدلت من قَديمها في هزِّ الفَوارس بحَديثها في قبض المعاجس، وانتقلتْ عن جِدِّها في طِرادِ الغارات إلى هزْلِها[٢] في طَرْدِ المتنزَّهات. ظواهرُها صُفْرٌ وارِسة، ودواخلُها سُودٌ دامسة، كان شَمْس أصيلٍ طلعَتْ على متونِها، أو جُنْحَ ليلٍ اعتكر على[٣] بطونِها، أو زَعْفَراناً جرى فوقَ مناكبِها، أو غاليةً جَمَدت على ترائبِها، أو هي قضبانُ فضةٍ أُذهب شطرُها وأُحرق شطر، أو حيّاتُ رملٍ اعتنَقَتِ السُّودُ منها والصُّفْر.

فلمّا توسّطوا تلك الرّوضة، وانتشروا على أكنافِ تلك الغَيْضة، وثبتت للرّمي أقدامُهم، وشَخَصت إلى الطّير أبصارُهم، وَتَروها بكلِّ وَتَرٍ فُوِّقَ سَهْمُه منه، ومُفارقٍ للسَّهْم وخارجٍ عنه، مُضاعَفٍ عليها من وَتَرَيْن، كأنّه برجٌ[٤] ذو جسدَيْن، أو عِناقٌ ضمَّ ضجيعَيْن[٥]، في وَسَطِه عيْنٌ كشريحةِ[٦] كيسٍ مختوم، أو سُرّةِ بطنِ خَمِيصٍ[٧] مهضوم،

---

(١) ساقطة في ف.

(٢) ف:غزلها.

(٣) التذكرة الحمدونية: في.

(٤) التذكرة الحمدونية: برد.

(٥) كذا في التذكرة الحمدونية. ر: ضم ضجيعين وضم حبيين. ف، ع: أو عناق شخصين وختم حبيين.

(٦) ر: كسريحة.

(٧) ساقطة في ب.

محوَّلةٌ عن المحاذاة، مزْوَرّةٌ عن الموازاة، كأنّها[١] مُتخازِرٌ ينظرُ شَزْرًا، أو مُصغٍ يتسمّعُ رِزّاً[٢]، يُروِّعُ قلوبَ الطير بالإنباض، ويصيبُ منها مواقعَ الأغراض[٣].

فلم يزل القومُ يرمُونَ ويُصيبون، وينجحونَ ولا يَخيبون، حتى خَلَتْ من البندُق خرائطُهم، وامتلأت بالصَّيد حقائبُهم. فكم من أفرُخٍ زُغبٍ أيْتَموها فضاعت، ومن آباءٍ لها وأُمّهات استجابوها فأطاعت، قد انقادتْ نوافرُها صعراً، واقتُسِرتْ أوابيها قَسْراً، وكُسرت أجنحتُها وجَآجئها، واستطارَت في الجوِّ قَوادمُها وخَوافيها؛ فأصبحت بين عاثرٍ لا ينهضُ من عِثارِه، ومَهِيضٍ لا يُطمَعُ في انجبارِه، يُداوى جريحُها بالإجهاز، ويُتلافى عقيرُها بالتّذكية والإنجاز، تُعاجَلُ قبلَ فَناءِ ذَمائها[٤]، ويصيرُ ريشُها كالمجاسد من دمائها، مصرَّعةً شرَّ مَصارعِها، مستقرّةً في أخفى مَضاجعِها، محمولةً على حُكم الكُفّار، إذ يُقتلونَ ومصيرُهم إلى النّار. تُغسَّلُ بالاستقصاء في سَمْطِها، وتُكفَّنُ بالتَّعْرية من رَيْطِها[٥]، وتُحنَّطُ بتَوابلِها وأبازيرِها، وتُوارى في قُدورِها وتَنانيرِها. ثم تُبعَثُ إلى إخوانٍ متوافقين، وخِلّانٍ مترافقين، قد تَطابَقوا في الآراء، وتآلفوا في الأهواء، وتَمالَحوا في الطّعام، وتراضَعوا بالمدام، نداؤهم تفدِية، وجوابُهم تَلْبية، لا يضبُّونَ على الأحقاد، ولا يتنافقونَ في الوداد، ولا يَشُوبُ صفوَهم شائب، ولا يَعيبُ فضلَهم عائب.

---

(١) في الأصول الخطية: كأنه.

(٢) الرِّزّ: الصوت الذي تسمعه من بعيد، أو هو الصوت الذي تسمعه ولا تدري ما هو. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٥٣ (رزز).

(٣) الفقرة (أقبلت رفقة .... الأغراض) أوردها الوطواط.

(٤) الذَّماء: بقية النفس، وقيل: قوة القلب. ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٣٨٩ (ذمي).

(٥) الرَّيْطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، والجمع رياط. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣٠٧ (ريط).

فالحمدُ لله الذي أباحَنا لذيذَ المطاعم، ونهَجَ لنا سُبُلَ المغانم، وهدانا إلى رُخَص[1] الطيِّبات، ووقَفَ بنا على حُدودِ اللذّات، ووفّقنا لأنْ نأخذَ منها بأمرِه، ونزدجرَ عنها بزَجْرِه، ونتصرّفَ مع الشرائع في استحلال ما أحلّت وأترت[2]، واجتناب ما حرّمت وحظَرت.

وأطال الله بقاء الوزير ما اختار البقاء، وأعلى كعبَه ما امتدَّ العلاء، وجَعَل له من كلِّ رزقٍ هنيءٍ حظّاً جزيلاً، وإلى كلِّ مَشْربٍ عَذْبٍ هادياً ودليلاً، بمَنِّه وطَوْلِه، وقُدْرته وحَوْلِه.

---

(١) ف: أرخص.

(٢) ساقطة في التذكرة الحمدونية.

فصلٌ من رسالةٍ عن صديقٍ في خطبة[١]

ولو لم يكن للخاطب إلى المخطوب إليه سَبَبٌ غير ابتدائه إيّاه بالثقة، والتماس المشابكة، ورضاه به شريكاً مفوضاً في الولد واللُّحمة، والحال والنِّعْمة، لكفاه وأجزاه، وأغناه عن كلّ ما سواه، حتى أنّه لو خَطَب إلى زاهدٍ لوَجَب عليه أنْ يرغب، أو إلى مُعتاصٍ لَلَزِمه أنْ ينقاد؛ لأن هذا المطلب إذا صدر عن الأحرار إلى الأحرار استُهجن الردّ عنه، والمقابلة له بضدّه، فكيف وقد انتظمت بيننا دَواعي الإجابة، وارتفعت عن المدافعة؟

وبالله جهد المقسم أنّ والديَّ - أيّدهما الله تعالى - يسومانني التأهّل منذ سنين كثيرة، فأحمل نفسي على التقاعس عمّا آثره مع ما افترض على من طاعتهما اشتطاطاً منّي في شرائط أحببتُ أنْ تجتمع لي في الخبيئة التي أواصلها، وقلّما تتكامل إلّا فيمَن طهّر الله أصله، وجمّل أمره، وأظهر فضله.

وقد دعاني بالدّعاء إلى ذلك كثيرٌ من الرّؤساء الأكابر وذوي الأخطار والأفاضل، بفارس والبصرة وبغداد، فامتنعتُ من أجل شذوذ بعض شرائطي عليهم، حتى إذا أوجدنيها الله في جهتك الجليلة، وجمعها لي في منازلك المصونة، بَعَثتني البواعث، وحفّزتني الحوافز إلى أنْ يتألّف بيننا الشَّمْل، ويتّصل بنا الحبْل؛ فكتبتُ إليك هذه الرّقعة خاطباً إليك كريمتك فلانة، على أنْ أكون لها كالجفن الواقي لمقلته، والصَّدْر الحاوي لمهجته، ولك كالولد المطيع لأبيه، ولأخيها كالأخ المعاضد لأخيه.

---

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٩٥.

فإنْ رأيتَ يا سَيِّدي أنْ تتأمّلَ ما كتبتُ به من هذه الجملة، وتسمعَ من مُوصلها ما تحمّله عنّي من تَفْصيلها، وتتوخّى بإجابتي إلى ما سألتُ تحقيق ظنّي، وتصديق أملي، فعلتَ إنْ شاء الله.

وكَتَب جواباً إلى بعض إخوانِه عمّا سألهُ عنه من الفرق بين المترسِّل والشاعر[1]

كنتَ سألتَني - أدام الله عزَّك - عن السّبب في أنّ أكثرَ المترسِّلينَ البُلَغاء لا يُفلِقونَ

(١) طهران، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي. كما أوردها بنصّها الحمدوني (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٢م) في تذكرته، ج٦، ص٣٥٧. وقال عنها في موضع آخر: «الرسائل والمكاتبات أبسط من الشعر مقالاً، وأفسح مجالاً، وإن كان أربابها أقل عدداً، فإنهم أشرف محلاً ومحتداً. وقد ذكر الصابي الفرق بين المترسل والشاعر فأجاد، وحكم فأنصف». ج٦، ص٣١٤.

وعلى الرغم من صحة نسبة هذه الرسالة لأبي إسحاق الصابي، كما أكّد أبو حَيّان التوحيدي (ت٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) في مُقابساته، حيث أطْلع أستاذه أبا سُليمان المنطِقي السِّجِسْتاني على هذا الخبر: «قد صنّف أبو إسحاق الصّابي رسالةً في تفضيل النثر والنظم»، فردّ عليه السِّجِسْتاني: «قد كان منذ أيّام سألني عنهما، فقلت له ....». المقابسات، ص٢٦١. وكما عند غيره من الكتّاب الذين نقدوا هذه الرسالة، وناقشوها، واستشهدوا بكلمات منها، كالخفاجي (ت٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م) في سر الفصاحة، ص٢٢٠؛ والحمدوني كما تقدم؛ وابن الأثير (ت٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) في المثل السائر، ج٤، ص٦؛ وابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) في الفلك الدائر، ج٤، ص٣٠٣. إلا أن القِفْطي، وهو معاصرٌ لهؤلاء (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م). يورد عنوان هذه الرسالة منسوباً لسنان بن ثابت بن قرّة الصّابي الحَرّاني (ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م). إخبار العلماء، ص١٣٣؛ وتابعه في ذلك ابنُ أبي أصيبعة (ت٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م) في عيون الأنباء، ص٢٨٠.

وقد دَرَس هذه الرسالة – أدبياً ونقدياً – في بحثٍ مستقل كلٌّ من: مُحمّد عبد الرحمن الهدلق، وصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدّة سنة ١٩٩٠، ضمن كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي)؛ وزياد الزعبي، مجلة أبحاث اليرموك (الآداب واللغويات)، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، ١٩٩٣، وقد ناقش نسبتها للصّابي وأثبت ذلك.

في الشِّعر، وأنّ أكثرَ الشعراءِ الفُحول لا يجيدونَ في التَّرسُّل[١]؟ فأجبتُك بقولٍ مُجمَل، ووعدتُك بشرحٍ له مفصَّل، وأنا فاعلٌ ذلك بإذنِ الله.

فأقول: إنّ طريقَ الإحسان في منثور الكلام يخالفُ طريقَ الإحسان في منظومِه، لأنّ أفخرَ الترسُّل هو ما وضَح معناه؛ فأعطاك غرضَه في أولِ وَهْلةِ سَماعِه، وأفخرَ الشِّعر ما غمُض فلم يعطِك غرضَه إلّا بعد مماطلةٍ منهُ لك[٢]، وغَوْصٍ منك عليه. فلمّا صارت الإصابتانِ في الأمرَيْنِ مُتراميتَيْن عن طريقَيْن مُتباينتَيْن[٣]، بَعُد على القَرائح أنْ تجمعَهما، فشَرَّقت إلى هذه فرقة، وغَرَّبتْ إلى تلك أخرى، ومالَ كلٌّ من الجميع إلى الجانبِ الموافقِ لطبعه.

ثم تَرتَّبوا في المسافة بينهما، فكان الأفضلُ من أهل كلِّ مذهبٍ مَن وَقَع في الغاية أو قريباً منها، وحَصَل الوسَطُ ضيِّقًا لا عرْضَ له فقلَّ؛ عددُ الواقعينَ فيه، ووَجَب مع ضيقِ موضِعِهم، وقلّة عددِهم ألّا يوجَدَ منهم الجامعُ بين الإحسانَيْن إلّا على شرطٍ يزيدُ به الأمرُ تعذُّراً، والعددُ تنزُّراً، وهو أنْ يكون طبعُه طائعًا له، ممتدًّا معه. فإذا دعاهُ إلى التطرّف به إلى أحد الجانبيْن أجابَه وانقاد إليه، كإبراهيم بن العَبّاس الصُّولي[٤] وأبي عليٍّ

يُلاحظ أن كثيراً من منهج الصابي في هذه الرسالة وأفكاره وآراءه أخذه المرزوقي (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م). وبثّه في مقدمته لكتابه (شرح الحماسة) دون أي ذكرٍ للصابي.

(١) في الأصول: التراسل.

(٢) من: التذكرة الحمدونية.

(٣) ف: طرفين متباينين.

(٤) صاحب كتابي: الأوراق، وأدب الكاتب. عنه، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٤٤.

البصير[١] ومَن جرى مَجْراهما. فهذا جوابُ مسألتك، وتبقى فيها زياداتٌ وانفصالاتٌ لا بأسَ بإيرادها ليكونَ القولُ قد استغرقَ مداه، وتمت أُولاهُ بأُخراه:

وذلك أنّ للسّائل أنْ يقول: فمن أيّة جهةٍ صار الأحسنَ في معاني الترسُّل الوضوحُ، وفي معاني الشِّعر الغموضُ؟ فالجوابُ: أنّ الشِّعرَ بُنيَ على حُدودٍ مُقرَّرة، وأوزانٍ مُقدَّرة، وفُصِّل أبياتاً كلُّ واحدٍ منها قائمٌ بذاتِه، وغيرُ محتاج إلى غيره، إلّا ما يتّفقُ أنْ يكون مضمَّنًا بأخيه، وهو عَيْبٌ فيه.

فلمّا كان النَّفَس لا يمكنُه أنْ يمتدَّ في البيت الواحدِ بأكثرَ من مقدارِ عَروضِه وضَرْبِه، وكلاهما قليل، احتيج إلى أنْ يكون الفصلُ في المعنى، فاعتُمد فيه أنْ يلطُفَ ويدِقّ، ليصيرَ المفضي إليه والمطلُّ عليه بمنزلة الفائز بذخيرةٍ خافيةٍ استثارها، والظّافرِ بخبيئةٍ دَفينةٍ استخرَجها واستنبَطَها.

ثم إنّ للمتأمّل وقَفاتٍ على أعجاز الأبيات قد وُضعت لإدراك المعنى، والفِطْنة للمَغزى، وفي مثل ذلك يحسُنُ خَفاءُ الأثر، وبُعْدُ المرمى.

والترسُّلُ مبنيٌّ على مخالفة الطريقِ ومُعاكستِها، إذ كان كلاماً واحداً لا يتجزّأُ أبياتاً ولا يتفصَّلُ إلّا فصولاً طِوالاً. وهو موضوعٌ وضعَ ما يُهَذُّ هذا أو يُقرأُ متّصلاً، ويمُرُّ على أسماعِ شتّى الأحوال من خاصّةٍ ورعيّة، وذوي أفهام ذكيّةٍ وغبيّة. فإذا كان متسهّلًا متسلسلًا ساغ فيها، وقرُب إذنُه على أفهامِها، وتساوقَتِ الألسُنُ[٢] في تلاوتِه، والألبابُ في درايتِه.

---

(١) عنه، انظر: المرزباني، معجم الشعراء، ص٣١٤.

(٢) في الأصول: بالألسن.

فجميعُ ما يُستحَبُّ في الأول يُستكرَهُ في الثّاني، وجميعُ ما يُستحبُّ في الثّاني يُستكرهُ في الأول[١]، حتى إنّ ما قدّمناهُ من عَيْبِ التَّضْمين في عَيْبِ أبياتِ الشّعر هو فضيلةٌ في فصول الرَّسائل. ألا ترى أنّ أحسنَها ما كان متعلّقاً بعضُه ببعض، ومقتضياً له تعطُّفاً من الهوادي على التوالي، وردّاً من الأواخر على المبادي؟

فمتى خرجَ الشّعرُ على سُنَن الابتداع والاختراع فكان ساذَجاً مغسولاً، فقائلُه مُعيب غيرُ مُصيب، والتَّركُ له أدلُّ على العقل، وأولى بذوي الفَضْل.

ومتى خرج الترسُّل عن أنْ يكون جليًّا سَلِساً تعثَّرت الأسماعُ في حُزونتِه، وتحيَّرت الأفهامُ في مَسالكِه، وأظلَم مَشرِقُه، وتكدَّر رَوْنقُه، وكان صاحبُه مستكرهَ الطريقة، مستهجنَ الصناعة.

وقد بقيَت في البابِ زيادةٌ أخرى، وهي: الإخبارُ عن[٢] سبب قلّةِ المترسِّلينَ وكثرةِ الشُّعراء، وعن علّةِ نباهةِ أولئك وخُمولِ هؤلاء.

والجوابُ عن ذلك أنّ الشّاعرَ إنّما يصُوغُ قصيدتَه بيتاً بيتاً، فهو يجمعُ قريحتَه وقُدْرته على كلِّ بيتٍ منها، فيقهره[٣] ويبلغُ إرادتَه منه، وله من الوزن والقافية قائدٌ وسائقٌ يقومانِ له بأكثرِ حدود الشعر، فكأنه إنما يَحذوهُ على مثال، أو يُفرغُه في قالب.

والمترسِّلُ يَصوغُ رسالتَه متّحدةً مجتمعة، من أقطارٍ متراخيةٍ متّسعة، وربما أسهَبَ حتى يستغرقَ بالواحدة من رَسائله أقدارَ القصائد الطِّوالِ الكثيرة، هذا إلى ما يتعاطاهُ من فخامةِ الألفاظ اللّائقة بأنْ يَصدُرَ مثلُها عن السُّلْطان وإليه، والتصرّف فيها على

---

(١) (وجميع .... الأول) ساقط في ف، وبدله: (وعكسه).

(٢) (الأخبار عن) ساقط في ف.

(٣) في التذكرة الحمدونية: فيقرره.

ضروب ما تتصرّفُ عليه أحوالُ الزّمان وعَوارض الحَدَثان، فلذلك صار وجودُ المصطلعينَ بجَودة النثر أعزّ، وعددُهم أقلّ[١].

فأمّا ارتفاعُ طبقتِهم على تلك الطبقة، فإنّ المترسّلينَ إنما يترسّلونَ في: جِبايةِ خَراج، أو سَدِّ ثَغْر، أو عِمارة بلاد، أو إصلاح فَساد، أو تحريضٍ على جهاد، أو احتجاجٍ على فئة، أو مجادلةٍ لملّة، أو دعاءٍ إلى ألفة، أو نَهْيٍ عن فُرقة، أو تهنئةٍ بعَطِيّة، أو تعزيةٍ عن رَزيّة، أو ما شاكل[٢] ذلك من جَلائل الخطوب، ومَعاظم الشؤون التي يحتاجونَ فيها أنْ يكونوا ذوي أدواتٍ كثيرة، ومعرفةٍ مفنَّنة[٣]. وقد وَسَمتْهم الكتابةُ بشرفِها، وبوّأتْهم منزلةَ رياستِها، وأخطارُهم عاليةٌ بحسَب ما يُفيضونَ فيه، ويذهبون إليه.

والشُّعراءُ إنّما أغراضُهم التي يرمونَ نحوَها، وغاياتُهم التي يَجْرونَ إليها : وَصْفُ الدّيارِ والآثار، والحنينُ إلى الأهواءِ والأوطار، والتشبيبُ بالنساء، والطلبُ والاجتداء، والمديحُ والهجاء. فليس يجرونَ مع أولئك في مضمار، ولا يُقاربونهم في الاقتدار[٤].

وهذا قولٌ كافٍ فيما أردناهُ إنْ شاء الله.

---

(١) في التذكرة الحمدونية: انزر.

(٢) ف: أو مشاكل.

(٣) ف: متقنة.

(٤) من التذكرة الحمدونية، وفي الأصول: الأقدار.

نُسْخة عَهْدٍ بالتَّطْفيل

اقترحها – على سَبيل الهزل – عِزّ الدَّوْلة[١]

هذا ما عهد عليّ بن أحمد المعروف بعليكا[٢] إلى عليّ بن عُرسٍ الموصليّ[٣] حين استخلفه على إحياء سُنّته، واستنابه في حِفْظ رُسومه من التَّطْفيل على أهل مدينة السَّلام، وما يتحصّل بها من أكنافها، ويجري معها من سَوادها وأطرافها، لما توسّمه فيه من قلّة الحياء، وشدّة اللّقاء، وكثرة اللُّقَم، وجَوْدة الهضْم، ورآه أهلاً له من شدّة مكانه في هذه الرّفاهية المهمَلة التي فطن لها، والرّفاغية المطَّرَحة التي اهتدى إليها، والنِّعَم العائدة على لابسها بمَلاذ الطُّعوم، ومناعم الجسوم، متورّداً على مَن اتّسعت موادُّ ماله،

---

(١) جاءت هذه الرسالة عند القاضي التنوخي، وقدّم لها قائلاً: كان في نقباء الأمير عِزّ الدَّوْلة رجلٌ يُسمّى عليكا، وكان كثير التَّطْفيل على جميع أهل العسكر من الحجّاب والقُوّاد والكُتّاب ووُجوه الخاصّة والغِلْمان. وشاع له ذلك عند عِزّ الدَّوْلة؛ فرسم له أن يستخلف على التَّطْفيل خليفة، وتقدّم إلى أبي إسحاق إبراهيم بن هِلّيل الصابي الكاتب أن يكتب بذلك عهداً لابن عرس الموصليّ، عن عليكا، وأن يجعله خليفته على التَّطْفيل؛ فكتب له على طريق الهزل عهداً، قرأه علينا، فكانت نسخته: ...... نشوار المحاضرة، ج٧، ص١٥٥؛ وانظر: الخطيب البغدادي، التَّطْفيل، ص١٦٧؛ كما أوردها المواعيني، ريحان الألباب، ورقة ٧٣؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج١٢، ص١٦؛ وكذلك القلقشندي مقدِّماً لها بقوله: ربما اعتنت الملوك بالهزل، فاقترحت على كتابها إنشاء شيء من الأمور الهزلية، كما وقع لعز الدَّوْلة (وردت: لمعين الدَّوْلة، خطأ) بن بويه الدَّيْلمي في اقتراحه على أبي إسحاق الصابي كتابة عهدٍ بالتطفّل لرجل كان عنده اسمه عليكا، ينسب إلى التطفّل، ويسخر منه السلطان بسبب ذلك. صبح الأعشى، ج١٤، ص٤٠٤.

(٢) لعلّه الذي تقدّم ذكره في ج٢، ص٢٧٨.

(٣) لعلّه الذي تقدّم ذكره في ج١، ص٥٠، ج٢، ص٤٨٠.

وتفرّعت شُعبُ حاله، وأقدره الله على غرائب المـأكولات، وأظفـره ببـدائع الطيّبـات، آخذاً من كلّ ذلك بنصيب الشريك المناصف، وضـارباً فيـه بسَـهْم الخلـيط المفـاوض، ومستعملاً للمدخل اللّطيف عليه، والمتولّج العجيب إليه، والأسباب التي ستشـرح في مَواضعها من هذا الكتاب، وتستوفي الدّلالة على ما فيها من رَشاد وصَواب.

وبالله التوفيق، وعليه التعويل، وهو حَسْبنا ونِعْم الوكيل.

وأمَرهُ بتقوى الله التي هي الجانب العزيز، والحرْز الحريز، والركن المنيع، والطَّوْد الرّفيع، والعِصْمة الكالئة، والجنّة الواقية، والزّاد النافِع يوم المعاد، حين لا ينفع إلّا مثله من الأزواد. وأنْ يستشعر خيفته في سِرّه وجَهْره، ومراقبته في قَوْله وفِعْله، ويجعل رضاه مطلبه، وثوابه ملبسه، والقرب منه أربه، والزُّلْفى لديه غرضه، ولا يخالفه في مَسعاة قدم، ولا يتعرّض عنده لعاقبةٍ وندم.

وأمَرهُ أنْ يتأمّل اسم التَّطْفيل ومعناه، ويعرف مَغزاه ومَنحـاه، ويتصـحّفه تصـفّح الباحث عن حظّه بمجهوده، غير القائل فيه بتَسْليمه وتَقْليده، فإنّ كثيراً من النّـاس قـد استقبحه ممّن فعله، وكرهه لمن استعمله، ونسبه فيه إلى الشَّرَه والنَّهَم، فمنهم مَـن غلـط في استدلاله، فأساء في مقاله، ومنهم مَن شحّ عـلى مالـه، فـدافع عنـه باحتيالـه، وكـلا الفريقَيْن مذمومٌ لا يتعرّيان من لباسٍ فاضح. ومنهم الطّائفة التي لا ترى شركة العنـان فهي تبذله إذا كان لها، وتتدلّى عليه إذا كان لغيرها، وتـرى أنّ المِنّـة في المطعـم للهـاجم الآكل، وفي المشرب للوارد والواغل، وهي أحقّ بالحريـة، وأخلـق بالخيريـة، وأحـرى بالمروءة، وأولى بالفُتوّة، وقد عُرفت بالتَّطْفيل، ولا عار فيه عنـد ذوي التحصـيل، لأنّـه مشتقٌّ من الطَّفْل، وهو وقت المساء، وأوان العشاء. فلمّـا كثر استعمل في صَدْر النهـار وعجزه وأوله وآخره، كما قيل للشّمْس والقمر : القَمَران، وأحدهما القمـر، ولأبي بَكْـر وعمر : العُمَران، وأحدهما عُمَر.

وأَمَرهُ أنْ يتعهّد موائد الكُبراء والعظُماء بقراياه، وسُمُط الأمراء والوزراء بسراياه، فإنّه يظفر منها بالغنيمة الباردة، ويصل عليها إلى الغريبة النادرة، وإذا استقراها وَجَد فيها من طَرائف الألوان الملذّة للّسان، وبدائع الطُّعوم السّائغة في الحلقوم، ما لا يجد عند غيرهم، ولا يناله إلّا لديهم.

وأَمَرهُ أنْ يتتبّع ما يعرض لموسري التّجار، ومجهّزي الأمْصار، من وَكيرة الدّار، والعرس والإعذار، فإنهم يوسعون على أنفسهم في النوائب، بحسب تضييقهم عليها في الرّاتب.

وأَمَرهُ أنْ يصادق قَهارمة الدُّور ومُديريها، ويرافق وُكلاء المطابخ وحمّاليها، فإنّهم يملكون من أصحابهم أزمّة مَطاعمهم ومَشاربهم، ويضعونها بحيث يحبّون من أهل مَودّاتهم ومَعارفهم. وإذا عدّت هذه الطّائفة أحدًا من النّاس من خلّانها، واتّخذته أخاً من إخوانها، سَعِد بمُرافقتها، وحَظي بمُصادقتها، ووَصَل إلى مَحابّه من جهاتها، ومآربه في جنباتها.

وأَمَرهُ أنْ يتعهّد أسواق المتسوّقين، ومَواسم المتبايعين، فإذا رأى وظيفةً قد زيد فيها، وأطعمةً قد احتشد مشتريها، اتّبعها إلى المقصد بها، وشيّعها إلى المنازل الحاوية لها، واستعلم ميقات الدّعوة، ومَن يحضرها من أهل اليَسار والمروءة، فإنّه لا يخلو فيهم من عارفٍ به يراعي وقت مَصيره إليها ليتّبعه، ويمكن له ليصحبه ويدخل معه، وإنْ خلا من ذلك اختلط بزُمَر الدّاخلين، فما هو إلّا أنْ يتجاوز عتب الأبواب، ويخرج من سُلْطان البوّابين والحجّاب، حتى يحصل محصلًا قلّ ما حصله أحد قبله، فانصرف عنه، إلّا ضلعاً من الطّعام، نزيفاً من المدام.

وأَمَرهُ أنْ ينصب الأرصاد على منازل المغنّيات والمغنّين، ومَواطن الأباليات

والمخنّثين، فإذا أتاه خبرٌ لمجمع يضمّهم، أو مأدبة تعمّهم، ضَرَب إليها أعقاب إبله، وأنضى حولها مطاياً خيله، وحمل عليها حملة الحوت الملتقم، والثعبان الملتهم، واللّيث الهاصر، والعقاب الكاسر.

وأمَرهُ أنْ يتجنّب مجامع العَوام المقلّين، ومحامل الرِّعاع المعترين، وأنْ لا ينقل إليها قدماً، ولا يفضّ لمأكلها فماً، ولا يلقى في عتب دورها كيساناً، ولا يعد الرجل منها إنساناً، فإنّها عصابةٌ تجتمع لها ضيق النُّفوس والأحوال، وقلّة الأحوال والأموال، وفي التَّطْفيل عليها إجحافٌ بها يؤثم، وإزراء بمروءة المطفّل، والتجنّب لها أجدى، والازْوِرار عنها أرجى.

وأمَرهُ أنْ يحرّر الخِوان إذا وُضع، والطّعام إذا نُقل، حتى يعرف بالحدث والتقريب، والبحث والتنقيب، عدد الألوان في الكَثرة والقلّة، وافتنانها في الطِّيب واللّذة؛ فيقدّر لنفسه أنْ يشبع مع آخرها، وينتهي عند انتهائها، ولا يفوته النّصيب من كثيرها وقليلها، ولا يخطئه الحظّ من دقيقها وجليلها. ومتى أحسّ بقلّة الطّعام، وعجزه عن الإقوام، أمعن في أوله إمعان الكَيِّس في سَعْيه، الرّشيد في أمره، المالئ لبطنه من كُلّ حارٍّ وبارد، فإنّه إذا فعل ذلك سَلِم من عَواقب الأغمار، الذين يكفون تظرّفاً، ويقلّون تأدباً، ويظنّون أنّ المادة تبلغهم إلى آخر أمرهم، وتنتهي بهم إلى غاية شبعهم، فلا يلبثون أنْ يخجلوا خَجْلة الوامق، وينقلبوا بحَسْرة الخائب، أعاذنا الله من مثل مقامهم، وعَصَمنا من شقاء جُدودهم.

وأمَرهُ أنْ يروّض نَفْسه، ويغالط حسّه، ويضرب عن كثيرٍ ممّا يلحقه صفحاً، ويطوي دونه كَشْحاً، ويستحسن الصَّمَم عن الفحشاء، ويغمض عن اللَّفظة الخشْناء. وإنْ أتته اللّكزة في حلقه، صَبَر عليها في الوصول إلي حقّه، وإنْ وقعت به الصَّفْعة في رأسه، أغضى عنها لمراتع أضراسه. إنْ لقيه لاقٍ بالجفاء، قابله باللّطف والصّفاء، إذ كان

إذا ولج الأبواب، وخالط الأسباب، وجلس مع الحضور، وامتزج بالجمهور، فلا بدّ أنْ يلقاه المنكِر لأمره، ويمرّ به المستغرِب لوَجْهه، فإنْ كَان حرّاً حيياً أمسك وتذمّم، وإنْ كان فَظّاً غليظاً همهم وتكلّم. وأنْ يجتنب عند ذلك المخاشنة، ويستعمل مع المخاطب له الملاينة، ليردّ غيظَه، ويفلّ حدَّه، ويكفّ غربه. ثم إذا طال المدى تكرّرت الألحاظ عليه فعُرف، وأنست النُّفوس به فأُلف، ونال من الحال المجتمع عليها، منال مَن جشم وسئل العناء إليها.

ولقد بلغنا أنّ رجلاً من هذه العصابة، كان ذا فَهْمٍ ودراية، وعقلٍ وحَصافة، طَفّل على وَليمةٍ لرجلٍ ذي حالٍ عظيمة، فمرقته فيها من القوم العيون، وتصرّفت بهم فيه الظّنون، فقال له قائلٌ منهم : مَن تكون أعزّك الله؟ فقال: أنا أول مَن دُعي إلى هذا الحقّ، وقيل : وكيف ذاك ونحن لا نعرفك؟ فقال : إذا رأيت صاحب الدّار عرفني، وعرّفته بنفسي، فجيء به، فلمّا رآه بدأه بالسَّلام، بأنْ قال له : هل قُلْتَ - أيّدك الله - لطبّاخك أنْ يصنع طعامك زائداً على عدد الحاضرين، ومقدار حاجة المدعوّين؟ فقال : نعم ! قال : فإنّما تلك الزّيادة لي ولأمثالي، وبها تستظهر لمن جرى مجراي، وهي رزقٌ أنزله الله على يدك، وسببه من جهتك، فقال : مرحباً بك، وأهلاً وقرباً، لا جلست إلّا مع علية النّاس، ووجوه الجلساء والأناس، إذ قد ظرفتَ في قولك، وتفنّنتَ في فعلك، فليكن ذلك الرجل لنا إماماً نقتدي به، وحادياً نحدو على مثاله إنْ شاء الله.

وأمَرهُ أنْ يُكثر من تَعاهُد الجوارشنات المنقذة للسّدة، المقوّية للمَعِدة، المشهّية للطّعام، المسهّلة لسبيل الانهضام، فإنها عمادُ أمره وقوامه، وبها انتظامُه والتئامه، لأنها تعين على عمل الدّعوتَيْن، وتنهض في اليوم الواحد بالأكلتَيْن، وهو في تناولها كالكاتب الذي يقطّ أقلامه، والجنديّ الذي يصقل حُسامه، والصّانع الذي يحدد آلاته، والماهر الذي يُصلح أدواته.

هذا عهدُ عليّ بن أحمد المعروف بعليكا، وحجّته عليك، لم يألك في ذلك رشاداً وتوقيفاً، وتهذيباً وتثقيفاً، ونعتاً وتبصيراً، وحثاً وتذكيراً، فكنْ بأوامره مؤتمراً، وبزواجره مزدجراً، ولرسومه متّبعاً، وبحفظها مطلعاً، إنْ شاء الله. والسَّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكَتَب عن الوزير أبي طاهر مُحمّد بن بقيّة إلى القاضي أبي بكرٍ مُحمّد بن عبد الرحمن المعروف بابن قُرَيْعة يُعزِّيه عن ثورٍ مات له بعدَ أنْ جلس هذا القاضي للعزاء على سَبيل الهزْل[1]

التَّعْزية عن المفقود - أطال الله بقاء القاضي - إنّما تكونُ بحسَب محَلِّه من فاقدِه، من غير أنْ تُراعى قيمتُه ولا قدْرُه، ولا ذاتُه ولا عينُه، إذ كان الغرَضُ فيها تَبْريدَ[2] الغُلّة، وإخمادَ اللّوعة، وتَسْكينَ الزَّفْرة، وتنفيسَ الكُربة، فرُبّ ولدٍ عاقّ، وشقيقٍ مُشاقّ، وذوي رَحِم أصبح لها قاطعاً، وصار خَصْماً ضالعاً[3]، وقريبٍ قوم قلَّدهم عاراً، وناط بهم شَناراً؛ فلا لومَ على التّاركِ للتّعزيةِ عنه، وأحْرِ بها أنْ تستحيلَ تهنئةً بالرّاحة منه. ورُبَّ مالٍ صامتٍ أو ناطقٍ قد كان صاحبُه به[4] مُستظهِراً، وله مستثمِراً؛ فالفجيعةُ به إذا فقده موضوعةٌ موضعَها، والتَّعْزية عنه واقعةٌ موقعَها.

---

(١) چستربتي، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي. وأورد نصّ هذه الرسالة كلٌّ من: الحصري القيرواني، زهر الآداب، ج٤، ص١٠٢٣؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٤، ص٢٩٦؛ الشيزري، جمهرة الإسلام، ص٥٦٥. (كتب، الوزير أبي طاهر) إضافة من:ج والحصري وابن حمدون. وختم الحصري العنوان بتعليقه (تراقعاً وتحامقاً).

(٢) ر: تدبير.

(٣) ف: ضارعاً.

(٤) ساقطة في: ر، ج.

وبلَغَني أنّ القاضيَ - أيّده الله - أُصيب بثورٍ كان له، فجلس للعزاءِ عنه، وأنّه أجْهَشَ باكياً، والْتَدَمَ[١] والهاً، وحُكيت عنه حكاياتٌ كثيرةٌ في التأسّي[٢] له، وإقامةِ النَّدْبة عليه، وتعديدِ ما كان فيه من فَضائل البقر التي تفرَّقت في غيرِه، واجتمعت فيه وحدَه، فصار بها منهم كالذي قيل فيه من النّاس:

وليس على الله بمُستنكَرٍ أنْ يجمعَ العالَمَ في واحدِ[٣]

وأنّه كان يكربُ الأرضَ معمورةً، ويثنيها مزروعةً[٤]، ويدورُ[٥] في الدَّواليب ساقياً، والأرحاءِ طاحناً، ويحملُ الغَلّات مستقلًّا، والأثقالَ مستخفّاً، ولا يؤودُه عظيمٌ، ولا يبهظُه جسيمٌ، ولا يجري في الفِدان مع شقيقِه، ولا في الطريق مع رفيقِه، إلّا كان مُجَلِّياً لا يُسبَق، ومُبرِّزاً لا يُلحَق، وفائتاً لا يُنال شأوُه و[٦] غايتُه، وماضياً لا يُدركُ مداهُ ونهايتُه؛ فأُشهدُ الله أنّ ما ساءه ساءني فيه، وما آلَمَهُ أَلَمَني به، ولم يَحسُنْ عندي في حقِّ[٧] مودّتِه استصغارُ[٨] خَطْبٍ جلَّ عنده وأرمَضَه، ولا تهوينُ خَطْبٍ[٩] بلَغَ منه[١٠] وأمضَّه.

---

(١) اللَّدْم: اللَّطْم، وضرب الوجوه في المآتم. ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٥٣٩ (لدم).

(٢) ج، التذكرة الحمدونية، جمهرة الإسلام: التأبين.

(٣) لأبي نواس يمدح الخليفة هارون الرشيد. الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٢٩. (في ج: ليس لله).

(٤) ر، ك، ع: ويببها موروعه (بدون نقط). ف: يسنيها مزروعة. زهر الآداب: يثيرها، التذكرة الحمدونية: يربها، جمهرة الإسلام: ينبتها.

(٥) زهر الآداب: يرقص.

(٦) من جمهرة الإسلام، وفي سائر الأصول المخطوطة والمطبوعة: مع.

(٧) جمهرة الإسلام: ولم يجر عني في حكم.

(٨) ف: استحقار.

(٩) ف: أمر.

(١٠) ساقطة في ر.

وكتبتُ هذه الرُّقعةَ قاضياً بها من الحقِّ في مُصابِه هذا بقدْرِ ما أظهر من إكبارِه إيّاه، وأبان من إعظامِه له، وأسألُ اللهَ أنْ يخُصَّه من المعوضة[1] بأفضلِ ما خَصَّ به البشَرَ عن البقر، وأنْ يُفرِدَ هذه البهيمةَ العَجْماء بأثَرةٍ من الثواب يضيفُها بها إلى المكلَّفين من أهل الألباب، فإنّها وإنْ لم تكنْ منهم فقد استحقَّت أنْ تلحقَ بهم بأنْ مسَّ القاضيَ - أيّده الله - سببُها، وكان إليه منتسَبُها. حتى إذا أنجزَ اللهُ ما وعَدَ به عبادَه المؤمنين، من تمحيص سيّئاتِهم، وتضعيف حَسَناتِهم والإفضاءِ بهم إلى الجنّة التي رَضِيَها لهم داراً وجعَلها لجماعتهم قراراً، وَرَد القاضي - أيّده الله - حينئذٍ[2] مواردَ النّعيم، مع أهل الصّراط المستقيم، وثورُه هذا مجنوبٌ[3] معه، مسموحٌ له به.

وكما أنّ الجنّةَ لا يدخُلها خَبَث، ولا يكون من أهلها حَدَث، لكنه عَرَقٌ يجري من أعراضِهم كالمِسْك، فكذلك يجعلُ اللهُ مجرى الأخبثَيْنِ منه يأتيان[4] القاضي - أيّده الله - بالعنبر الشِّحْريّ[5]، وماءِ الوَرْد الجُوريّ؛ فيصيرُ ثوراً له[6] طوراً، وجونةَ عطْرٍ طوراً. وليس ذلك بمستبعَدٍ ولا مستنكَرٍ، ولا مُسْتَصعَبٍ ولا متعذَّر، إذ كانت قدرةُ الله تعالى به محيطةً، ومواعيدُه لأمثالِه ضامنةً بما أعدَّه في الجنّة لأوليائه الصدِّيقين، وأُمنائه

---

(١) من: زهر الآداب وجمهرة الإسلام، وفي الأصول الخطية، والتذكرة الحمدونية: المعونة.

(٢) اختزلها، ناسخ ف: ح.

(٣) ر: مجنون.

(٤) من: ج وجمهرة الإسلام فقط. وفي ر: راتبان. وساقطة في باقي الأصول الخطية وكذلك في زهر الآداب والتذكرة الحمدونية.

(٥) نسبةً إلى بلاد الشِّحْر في اليمن، وهي تشتهر بالعنبر الفائق الجودة. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٢٧.

(٦) من: ج فقط.

المنتخَبين(١)، من شهَواتِ أنفُسِهم، وملاذِّ أعيُنِهم، وما هو - سبحانَه - مع غامرِ فضلِه، وفائض كرمِه بمانعِه ذلك مع صالح مَساعيه، ومحمود شِيَمِه.

وقلبي متعلِّقٌ بمعرفة خبرِه - أدام الله عِزّه - فيما ادَّرَعَهُ من شعار الصَّبْر(٢)، واحتفظ(٣) به من مُتاح(٤) الأجْر، ورجَع إليه من التّسليم للأمرِ الذي طرَقَه، والسُّكونِ ممّا أزعَجَهُ وأقلقَه؛ فليُعرِّفْني القاضي - أيّده الله - من ذلك ما أكونُ ضارباً معه فيه بسَهْم المساعدة عليه، وآخِذاً بقسطِ المُشاركة فيه إنْ شاء الله.

---

(١) ف: المخلصين، التذكرة الحمدونية: الصالحين.

(٢) من: ج والمصادر المطبوعة، وفي باقي الأصول الخطية: احفظ.

(٣) من: ج، والمصادر المطبوعة. وفي باقي الأصول الخطية: الصدق.

(٤) جمهرة الإسلام: متاع.

نُسْخة الجواب من القاضي أبي بكر[١]

وَصَل توقيعُ سَيِّدنا الوزير نَصير الدَّوْلة النّاصح - أطال الله بقاءه، وأدام تأييدَه ونَعماءه، وكمَّل رفعتَهُ وعلاءه، وحَرسَ دَوْلته وارتقاءه - بالتَّعْزية عن اللّأْي[٢] الذي كان للحَرْث مُثيراً، وللدُّولاب مُديراً، وبالسَّبْق إلى سائر[٣] المنافع شَهيراً، وعلى شدائدِ الزّمان مُساعداً وظَهيراً.

ولَعمْري، لقد كان بعَمَله ناهضاً، ولحماقات البقر رافضاً، وأنّى لنا بمثلِه أو[٤] شَرْواهُ ولا شَرْوَى له، فإنه كان من أعيان البقر، وأنفع[٥] أجناسِه للبشر، مضافٌ ذلك إلى خلائقَ له، لولا خوْفي من تجديد الحُزن عليه، وتهييج الجَزَع وانصرافِه إليه، لَعددْتُها فيه، ليُعلمَ أنّ الحزينَ عليه غيرُ مَلُوم، وكيف يُلام امرُؤٌ فَقَد من مالِه قطعةً يجبُ في نوعها الزّكاة[٦]، ومن جِذْم[٧] معيشتِه بهيمةً تعينُ على الصّوم والصّلاة؟!

---

(١) چستربتي، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي. كما ورد في: التذكرة الحمدونية، ج٤، ص٢٩٨؛ جمهرة الإسلام، ص٥٦٦. وبعض النص في زهر الآداب، ج٤، ص١٠٣٤.

(٢) زهر الآداب: الثور الأبيض. ونقل ابن منظور أن اللَّأي هو الثور الوحشي، وفي موضع آخر: البقرة. لسان العرب، ج١١، ص٥٥١ (قتل)، ج١٥، ص٢٣٨ (لأي).

(٣) من: ج وجمهرة الإسلام فقط.

(٤) (بمثله أو) ساقط في ج.

(٥) ف: أفضل.

(٦) ج: في مثلها الزكاة. ف: في نوع الزكاة مثلها الزكاة.

(٧) في الأصول الخطية، وكذلك المطبوعة: خدم. والجذم: أصل الشيء. لسان العرب، ج١٢، ص٨٨ (جذم).

وفهمتُه فهْمَ متأمِّل لهُ، شاكرٍ عن النِّعْمة فيه، ورأيتُه مُسكِّناً ما لِحق القلبَ بفَقْد ذلك اللَّأْي من شدّة الحُرقة، وتوقُّد اللّوعة، وترادُفِ الارتماض ببُعدِه، وتضاعُف الإقلاق بفقْدِه، فرجعتُ إلى ما أمَرَ اللهُ - جلّ ثناؤه - من التسليم والرّضا، والصّبرِ على ما حَكَم به وقضى، واحتذَيْتُ ما مثَّلهُ سَيِّدنا الوزير - أطال الله بقاءه - من جميل الاحتساب، والصبر على ألم المُصاب، فإنّا لله وإنّا إليه راجِعون، قولَ مَن علِم أنّه أملَكُ بنفسِه ومالِه وولدِه وأهلِه [منهُ][1]، وأنّه لا يملِكُ شيئاً دونَه، إذ كان - جلَّ ثناؤه؛ وتقدَّست أسماؤه - هو الملكُ[2] الوهّاب، والمُرتجعُ ما ارتَجعَ ممّا يُعوِّضُ عنه جزيلَ[3] الثواب.

ووجدتُ - أيّد اللهُ الوزير - للبقر خاصّةً فضيلةً على سائر بهيمةِ الأنعام، تشهدُ بها[4] العقولُ والأفهام[5]، منها: أنّ أكثرَ أقواتِ البشر بكَدِّها على ظهورها وحراثتِها إلّا قليلاً[6]، قال اللهُ تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[7].

ولمّا رأى الحَجّاجُ الأسعارَ قد تضايَقت، وقُرى السَّوادِ قد خرِبَتْ، حرَّم لحومَ البقر[8]، لعلمِه وعلمِ النّاس بما في بقائها من المنافع والمصالح.

ورأيتُ الله - عزّ وجلّ - قد أمَرَ في القتيل الذي وُجد في بني إسرائيلَ أنْ يضربوه

---

(١) من: التذكرة الحمدونية فقط.

(٢) ج: المملك.

(٣) ج، التذكرة الحمدونية، جمهرة الإسلام: نفيس.

(٤) ف: تشهدها.

(٥) ينقطع النص هنا في زهر الآداب.

(٦) (إلا قليلاً) ساقط في ف.

(٧) سورة الواقعة، الآيتان ٦٣، ٦٤.

(٨) ف: النّاس، سبق قلم.

بقطعةٍ من بقرةٍ يبلغُ ثمنُها ثلاثةَ آلاف[١] دينارٍ وأكثر، ولولا فضيلةُ البقر لما خُصَّت من بينِها بذلك. ووجدتُ بني إسرائيل، بعدَما شاهدوهُ من قُدرة الله - عزّ وجلّ - في جُفوف البَحْر ويبَسِه، وأمرِ الحيّة والعصا لما غاب عنهم موسى - عليه السَّلام - عبدوا عِجْلاً.

ووَجَدْتُ الحكمةَ في أربع أُممٍ من النّاس: الهند، والفُرْس، والرُّوم، والعرب. فأمّا الهندُ فتُعظِّمُ البقرَ تعظيماً حرَّمتْ به لحومَها، ويقتلونَ من ذَبَح منها[٢] واستحلَّه. ووَجَدْنا الفُرسَ لا تُطهِّرُ إلّا بأبوالها. ووَجَدْنا الرُّوم تعظّمها وقد جعلت لها عيداً، وتمنع من أكل لحومها[٣]. ووَجَدْنا العربَ قد جعلتْها قُربانَها[٤] إلى الله تعالى في أعيادِها، وعَقيقتها عن أولادها، ورُوي عن النبيِّ صلّى الله عليه وسلَّم أنّه قال: إنّ ملَكَيْنِ من حَمَلةِ العرش على صورة البقر، وهما يدعُوانِ اللهَ بإرْزاق البهائم[٥]. فلولا ما فيها من الفَضْل والتقدّم[٦] على سائرِ البهائم[٧] لما خُصَّتْ بها خُصَّتْ[٨] به.

ولولا خوفي من الإطالة والخروج عن الغَرَض المقصود، لازددْتُ من فَضْلها وأنّها تَبِينُ[٩] عن سائر المخلوقات المركوبات، المثيرات الحارثات بَوْناً بعيداً، ولذكرتُ[١٠] ما

---

(١) ج: التذكرة الحمدونية، جمهرة الإسلام: ثلثمآية ألف دينار.

(٢) ساقطة في ف.

(٣) (ووجدنا .... لحومها) من التذكرة الحمدونية.

(٤) ج: قرباتها. التذكرة الحمدونية: قرباناتها.

(٥) لا أصل له، ولم أقف عليه في كتاب.

(٦) ر: التقديم. التذكرة الحمدونية: من التكريم والتعظيم والتقديم.

(٧) (سائر البهائم) ساقط في ف.

(٨) (بها خصت) من: ر فقط.

(٩) ر: تين.

(١٠) (الحارثات......... ولذكرت) من: ج فقط.

هو أكثرُ من هذا، ولكنْ ما قد مضى فيه كفايةٌ[١] ومقنَع، واللهُ بكرَمِه[٢] يحرُسُني في مَوْلانا مَوْلانا الأمير، وسيِّدِنا الوزير من الغِيَر، ويُديم لهما أسنى ما منَحَهما، ويصلُ إنعامَه عندهما بأفضلِ ما ابتدأهما به حتى يُبلِّغَهما أقصى مبالغ الملوك، ويفتحَ لهما برًّا وبحرًا، وشرقاً وغرباً، وسَهْلاً وجبلاً[٣] بمَنِّه وفَضْلِه، وقُدْرته وطَوْلِه[٤]، وهو حسبُنا ونِعْم الوكيل.

وممّا مُنيتُ به من المصاب باللَّأْي الذي أقْلقَ وأرْمض، وأزْعجَ وأحْرض، أنّ نَوْبتِيّاً[٥] حضر أشبه شيءٍ بأخلاق البقر، أعجَلَ عن الجواب، ومَنَع من الارتياء فيه، والتأمّلِ له، وجِياشةِ الخاطر إليه، وتوفير القلب عليه؛ فصَدَر هذا الجوابُ من غير تأمّلٍ له، فإنْ يكُ فيه خَطَلٌ أو زَلَل، فالعذرُ واضح، والأمرُ في بَسْطه لائح إنْ شاء الله.

---

(١) بعدها في التذكرة الحمدونية: وإن لم يكن بلغ النِّهاية. ثم ينقطع النص.

(٢) ساقطة في ر.

(٣) (وسهلاً وجبلاً) من: ج فقط.

(٤) (وقدرته وطوله) ساقطة في ف.

(٥) من: ج. وفي ر: يؤتينا. ف، ع: يولنا. جمهرة الإسلام: نقيباً. والمقصود بالنَّوْبَتي أحد رجال النَّوْبة الذين يتناوبون العمل.

نُسْخة فَصْلٍ من كتاب عن عز الدَّوْلة إلى أبي تَغْلِب الحمْداني في ذكر فَرَسٍ أهداه إليه[1]

وأمّا الفَرَسُ الذي سألتَنا إيثارَك به، فقد تقدَّمْنا بقَوْده إليك، واللهُ يَحْمِلُك عليه، ويُبارك لكَ فيه، ويجعل الخيرَ مَعْقدَ ناصيتِه، والإقْبال غُرّةَ وَجْهِهِ، وإدْراكَ المطالب تَحْجيلَ قوائمهِ، ونَيْل الأماني طلقَ شَدِّه، وفَتْحَ الفُتوح غايةَ شَأْوِهِ، وسَلامةَ العَواقب مَثنى عِنانه، بمَنِّه وقُدْرته.

---

(١) باريس، فيض الله، راغب باشا، رئيس الكتّاب، عاشر أفندي، سيلي أوك. وأورد بعضه الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٩٤. والعنوان في الأصول الخطية: (نُسْخة فصل من كتاب) والإضافات من الثعالبي.

وكَتَب إلى أبي سَهْل الكُوهي في مَسائل هندسيّة[١]

كتابي - أطال الله بقاء سَيِّدي الشيخ الفاضل - يوم الأحد الثامن من صفر، عن سَلامةٍ أحمدُ الله عليها، وأسألُه له مثلها.

وكان كتابُ سَيِّدي الشيخ وَصَل إليَّ منذ مدّةٍ بَعيدة بالتّفقُّد المشكور، والبرِّ الذي حرّرته عادتُه. وأجبتُ عنه جواباً سألتُ فيه أشياءً ما زلتُ متوقعاً لها، فلم يكن منه في ذلك شيءٌ إلى هذه الغاية، وأوحشني بعد العَهْد بالمكاتَبة، وانقطاع تلك المادة المشكورة؛ فكتبتُ هذا الكتاب متعرّفاً خبره - أطابه الله - ومتنجّزاً تلك الأشياء، فمنها: أنّه - أيّده الله - ذكر لي في الكتاب الوارد منه استخراجه مركز ثقل قطعةٍ من دائرة، وأنّه وَجَد البُرْهانَ على أنّ نسبة القُطْر إلى المحيط كنسبة عددٍ إلى عدد، وغير ذلك ممّا خرج له.

ورغبتُ إليه - لا أخلى الله العلمَ وأهلَه منه - في إتحافي بجميع ما استخرجه خاصّةً أنّ نسبة القُطْر إلى المحيط كنسبة عددٍ إلى عدد؛ فإنّه شيءٌ تتطلّع نَفْسي جداً إلى معرفته واستفادته.

وأذكرُ به ما كان عَقَده لي على نفسه النَّفيسة من إتمام كتابه في مراكز الأثقال، وإهداء نُسْخة منه إليّ، والأشكال الباقية من المقالة الثانية من كتاب أبلونيوس[٢] في قطع

---

(١) مجموعٌ فيه كتب ورسائل واستخراجات لأبي سهل ويجن بن رستم الكوهي.

(٢) Apllonius of Perga وُلد في بيرغا من بلاد الأناضول / آسيا الصغرى، ومات في الإسكندرية (٢٦٢-١٩٠ق.م) مهندس ورياضي وفلكي يوناني، طاف في بلاد الأناضول وسوريا، له كتاب (المخروطات) الذي أجبر الخليفة المأمون الرُّوم على إرساله، فأرسلوا الجزء الأول منه فقط، ويشتمل على سبع مقالات، وبحث في كتاباته ونظرياته خواص المنحنيات التي تنشأ عن تقاطع مخروط مع سطحٍ مستوٍ. وقد يسّـرت اكتشافاته وضع نظرية القذائف، وكانت

النسبة المحدودة.

وأنا أعيدُ وأكرّر السّؤال في جميع ذلك، وأنْ يتفضّل - أيّده الله - عليَّ به، إمّا مجتمعاً، وإمّا متفرّقاً، على ما ينبسط له، مع ذكر أخباره وأحواله، ومجاري أموره، وعَوارض حاجاته. وهل له رأيٌ في العَوْد إلى مدينة السَّلام لنتقوّت الأمل، ونتعلّل بالمنى، فقد عَلِم الله شوقي إلى رؤيته واستيحاشي لمفارقته، وسَيِّدي الشيخ وَليّ ما رآه، ويتفضّل به في ذلك إنْ شاء الله[1].

ذات أثرٍ كبير فيما حدث في علوم الميكانيكا والملاحة والفلك من تقدم. ولا تزال مقالاته السبع الباقية حتى اليوم أعظم كتاب علمي مبتكر في كل ما كتب في الهندسة النظرية كما قال ديوارنت، قصة الحضارة، ج٨، ص١٣٨. وانظر كذلك: النديم، الفهرست، ج٢، ص٢١١؛ القفطي، إخبار العلماء، ص٤٤ وما بعدها، ص٨٣؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج٢، ص١٢٤.

(١) بعد هذا توجد نُسْخة الجواب من الشيخ أبي سهل الكوهي، لم أرَ ضرورةً لإثباتها هنا.

وكَتَب إلى أبي سَهْل الكُوهي
يسأله النظر في شكوى عَرضت له فيما استخرجه[١]

كتابي – أطال الله بقاء الشيخ – عن سَلامةٍ، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

وكان كتابُ الشيخ وَصَل منذ مدّةٍ مُشتملاً على الشكل الذي عَمِله في وُجود خطٍّ مستقيم مساوياً لمحيط دائرة، ووُجود سَطْحٍ مستقيم الخطوط مُساوٍ لسَطْح دائرة، فجعل عنده موقعه، واستحسنتُ الطريق التي سَلَكها، إلّا أنّي شككتُ في المقدّمة التي استعملها مَسْلَمة[٢] من أنّ نسبةَ الأسطوانة المدوّرة إلى الأسطوانة المربّعة معلومةٌ، وأوجب عن ذلك أنّ نسبةَ قاعدتِها وهي دائرةٌ إلى قاعدتها وهي مربّعةٌ معلومة. ولعَمْري أنّ نسبة الأسطوانة إلى الأسطوانة، كنسبة القاعدة إلى القاعدة إذا تَساوى الارتفاعان، ولكن يكون ذلك في أسطوانتين من جنسٍ واحد، أعني أنْ تكونا مدوَّرتَيْن أو مربَّعتَيْن، فإنّ مدوَّرةً ومربَّعةً ليس تُعلم النسبةُ بينهما.

فإنْ كان عند الشيخ في هذا بُرهانٌ قد تقدَّم، أو أصلٌ قد عمل عليه، تفضَّل عليّ وأفادَنيه، فإنّي مُعلَّقُ القَلْب بهذا الأمر جداً، إذ كان – أيّده الله – يعلمُ أنّ قُدماءَ المهندسين مَضَوْا وفي قُلوبهم حَسْرةٌ من وُجود ما وَجَده، وغير منكر، ومع فضله وطبق[٣] طبقته أنْ يجدَ ما لم يجدوا.

وتعلّق قلبي أيضاً بمعرفة الأشياء التي استخرجها في مراكز الأثقال، ولا شكّ في

(١) مجموعٌ فيه كتب ورسائل واستخراجات لأبي سهل ويجن بن رستم الكوهي.

(٢) مَسْلَمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي، من أعلام الفلسفة والهندسة والرياضيات والفلك في الأندلس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. وُلد وتوفّي في مجريط (مدريد). أخبارُه منتشرة في كتاب العبر لابن خلدون؛ فقد ذكره في أكثر من موضع، تبعاً للعلوم التي تعاطاها، كما ذكر عدداً من مؤلفاته وتلاميذه، كُلّا في موضعه.

(٣) كلمة لم أتبينها، هذه أقرب قراءة لها.

أنها عجيبة؛ لأن هذا العلم – أعني: مراكز الأثقال – لم يقع إلينا فيه كتابٌ كامل، ولا عملٌ شامل[١] لأحدٍ من المتقدّمين، ولا من المحدَثين. وهو عندي بمنزلة الصناعة المفرَدة التي تحتاج أنْ يُعمل لها كتابُ أصول. ولكنني هو ذا أحبّ أنْ أقفَ على ما استخرجهُ أولاً أولاً، ومقالةً بعد مقالة، ومرتبةً بعد مرتبة، حتى تحصلَ لي معرفةُ الأصول التي هي عليها؛ فلا يبقى في نَفْسي مَوْضع شكّ، كما عرض لي في أمر النسبة بين الأسطوانة المدوّرة والأسطوانة المربّعة، والشيخُ وليّ التفضّل بذلك، وإسْعافي في المقالة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة، أولاً أولاً إلى آخر الكتاب[٢].

(٣)

---

(١) في الأصل: شاو. ولعل الأصح ما أثبتناه.

(٢) نظراً لاستغلاق الرموز والأشكال الهندسية عليّ، وتحرّياً للدقّة والأمانة في نقلها، آثرتُ وَضْعَ باقي الرسالة بصورتها الخطية، لعلّ أحد المختصّين المهتمين ينبري لدراستها وفك رموزها.

(٣) بعد هذا توجد نُسْخة الجواب من الشيخ أبي سهل الكوهي، لم أرَ ضرورةً لإثباتها هنا.

وكَتَب إلى ابنه أبي سَعيد سنان
وهي وَصيّته[١]

كتابي -جَعَلني الله فداءك- ووَصَل كتابُكَ -أبقاكَ الله- وفَهِمتُهُ، وأجَبْتُكَ عنه جَواباً كنتُ أملَيْتُه على الكاتبِ بعد إفطاري من صَوْمِ اليوم الأوّلِ من صَوْمِنا الذي نحنُ فيه - عرَّفَنا الله جميعاً برَكتَهُ، وأنا تَعِبٌ مُلْتاثٌ، فلم أستَوفِهِ، وعمِلْتُ على اتباعِهِ بما أشرَحُه.

واعلَمْ - فدَيتُكَ - أنّ صُورتي قد استحالَتْ عن كُلِّ ما كنتَ تعهَدُهُ منّي، لأنّ الشيبَ قد لبِسَني، وأسرَعَ إليَّ، حتى أنكَ لو رأيتَني لما عرفْتَني مثَلاً مَضروباً. وقد لحِقَني فُتورٌ وضَعفٌ في نَفْسي وجِسْمي، وتواتَرتْ عليَّ مَنامات رأيتُ فيها شَيْخي على أحوالٍ استوحَشْتُ لها، فلولا أنّ سَيِّدنا الأُستاذ غائبٌ في الوَجْهِ الذي هو بصَدَدِه، أحسَنَ الله معونتَهُ. وأنّ مُعوَّلَهُ عليَّ خاصَّةً في النِّيابةِ عنه في الأمورِ كُلِّها، لتوصَّلْتُ إلى وقوعِ الإذنِ لي في الإصْعاد، وأرجو أنْ يُسهِّلَ الله من انحلالِ هذه العُقدة، على الإيثارِ والمحبَّة، ما تتعَجَّلُ معه الأَوْبَة، ويَرزُقَني من النَّظرِ إلى وَجْهِك ووُجوهِ الجماعةِ -أبقاها الله- ما أسكُنُ إليه، وأُسَرُّ به، وأحمَدُ الله عليه إنْ شاء الله.

وقد تجدَّدتْ لي -قَدَّمني الله قبْلَك- نيَّةٌ في وَصيّةٍ أُوصي بها : إليكَ، وإلى أخيكَ أبي عليٍّ - أنا أفديكُما - من المحذورِ كُلِّه، وليس يحتمل ذلك الكتابُ، ولا بُدَّ معه من المشافَهة، وسبيلُكَ ألّا تضعَ كتابي هذا من يَدِكَ حتى تَستعدَّ للانحدار، وتنتظِرَ إنْفاذي

---

(١) ليدن. (وهي وصيته) إضافةٌ منّا.

الزَّبْزَب[١]، فإنّه لا يتأخَّرُ عنكَ على أثرِ هذا الكتابِ بعد عَوْدِهِ من حَضْرة سَيِّدنا، فإنّ أبا سَهْل استعارَهُ منّي، وحدَرَهُ معه إلى هُناكَ في رسَالةٍ يحملها من مَوْلانا الأمير مُعِزّ الدَّوْلة، وهو يعودُ عن قُربٍ بإذنِ الله.

وأوَّلُ ما سَبيلك أنْ تعمَلَهُ أنْ تُسَلِّمَ إلى والدتِكَ -أبقاها الله- كلَّ ما لي في يَدِكَ من حساب، ودراهمَ ودنانير، وقليلٍ وكثير، وتأخُذَ خطَّها بحصولِ ذلك في يَدِها، واحمِلْهُ معَكَ لتسلِّمَهُ إليَّ، ونتواقَفَ عليه وعلى غيرِهِ ممّا بيننا شَفاهاً، وتُصلحَ - أنا أفْديكَ- أمورَك، وتنتظِرَ الزَّبْزَبَ لتنحدِرَ فيه. وينبغي أنْ تَنْسخَ ثَبْتَ أمْلاكي كُلِّها: من ضَيْعةٍ، وشِقْصٍ[٢]، وحصَّةٍ، وشِرْكةٍ، ورحاً[٣]، وقليلٍ وكثير، ليُثبَتَ ذلك في الوَصيَّة، فإنّ لي في تقديمِ هذا البابِ غَرضاً سَبيلك -مَع ما لي عليكَ من الحقِّ والطّاعة- أن تساعِدَ عليه، ولا تُخالفَني فيه. فاعمَلْ - أنا أفْديكَ - على ذلك، واحذَرْ أنْ تُضجِّعَ[٤] فيه، أو تتشاغَل عنه إنْ شاء الله.

وينبغي -قُدِّمتُ قبلَك- ألّا يَقِفَ على هذا الكتابِ والدتي، ولا أحَدٌ من حُرَمِنا وباقي أهلِنا، لئلاً يغتَمُّوا وتَضعُفَ نفوسُهم، بل أنتَ وَحدَكَ تقِفُ عليه ووالدتُكَ وأخوكَ، وأبو العَلاء أخي خاصَّةً، وتسألُهُ عنّي مثلَ ما قد كاتَبتُهُ به وسَألتُه إيّاه، من النيابةِ عنّي فيما كُنتَ -أنا أفديكَ- تَنُوبُ فيه عنّي من أمرِ الضَّيْعة والتَّسْويغِ[٥] والمنزلِ

---

(١) من أنواع المراكب النهرية.

(٢) الشِّقْص: القطعة من الأرض. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٤٨ (شقص).

(٣) الرّحى: الحجر العظيم للطحن. والجمع: أرْحٍ وأرْحاء ورُحِيّ ورِحِيّ وأرْحية. ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٣١٢ (رحا).

(٤) أي: تقصّر. ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٢٢٠ (ضجع)

(٥) التَّسْويغ : أن يسوّغ الرجل شيئاً من خَراجه في السنة. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٦.

ولقاءِ السُّلْطان مُدَّةَ الأيَّام التي تَغيبُ فيها عن مدينةِ السَّلام وإلى أنْ تَعودَ بإذنِ الله، فإنني عاملٌ على أنْ أنظُرَ، فإنْ كان إصعادُنا يَقرُبُ احتبَسْتُك عندي إلى أنْ نصعَدَ في مَوضعٍ واحد، وإنْ كان لنا مقَامٌ يطولُ فرَغْتُ ممّا بيني وبينَك، واستودَعْتُكَ الله، وَرَددْتُكَ إلى بغدادَ ولله المشيئة.

نَعَم، وممّا ينبغي أن تَفرُغَ منهُ قبلَ انحدارِكَ إليَّ: إقامةَ خادمٍ بَوَّابٍ بغيضٍ جَلْد، لا يشرَبُ النبيذَ، ولا يَدخُلُ في الفُضولِ، وتَستحلِفُهُ أن يُلازِمَ البابَ، وتُسلِّمَ إليه الأقفالَ، وألّا يتصرَّفُ في قضاءِ حاجةٍ، ولا يُفارقَ مَوضِعَهُ، وَعلى أنني أظُنُّكَ قد أحكَمْتَ ذلك ولم تستجِزْ تأخيرَهُ مع ما نفَذَ عنّي فيه من الكتُبِ المهمَّةِ إليكَ وإلى أخي أبي العَلاء.

واعلَمْ - قدَّمَني الله قبلَكَ من كلِّ سوءٍ ومَحذور- أني لستُ أخُطُّ إليكَ خطّاً بعدَ هذا الكتابِ، أو يرِدُ عليَّ جوابُهُ بما أسكُن إليه وأقِفُ عنده إنْ شاء الله.

ولَعلِّي -أنا أفدِيك- أنْ أُدخِلَكَ إلى مَوْلانا مُعِزّ الدَّوْلة، وأجعَلَ لكَ رَسْماً في الوُقوف بين يديه، بل هذا متمكِّنٌ في نَفْسي مع ما قد استشعَرتُه.

وأُؤكِّدُ على سَيِّدنا في أمرِكَ وتصرِيفِكَ، فقد صِرتَ رَجُلاً أُعِيذُكَ بالله، وأنا في وقتي هذا على خلافِ ما عهدِتَني ضَعْفَ قلبٍ وجسم، وخوفاً ووَجَلاً، والحوادِثُ غيرُ مأمونة، ولا بدَّ لي من بلوغ ما في نَفْسي من هذه الوصيَّةِ، وأنْ آخُذَ بحظٍّ من النَّظرِ في أبوابِ البرِّ وإخلاصِ النيَّةِ في أسبابٍ أستأنفُها، وأمورٍ أعمَلُها بحسَبِ الإمكانِ إنْ شاء الله.

ولا تقدِّرْ -قدَّمَني الله قبْلَك- أنّ كتابي هذا صَدَرَ عن خاطرٍ ضعيف، ولا عن عارضٍ خفيف، ولا عن نيَّةٍ فيها فتور، ولا بصيرة فيها تقصير، بل بعد أشياءَ تكرَّرَتْ عَليَّ، وألْوانٍ طريفةٍ اتّفقَتْ لي، وطويَّةٍ صحيحةٍ أخلَصْتُها، وعزيمةٍ قويَّةٍ أمضَيْتُها،

فلْيكنْ عمَلُكَ بـحَسبِ ذلك.

ومن الأشياءِ الصَّغائِر التي أضعَفَتْ نَفْسِي: ما اتّفَقَ من غَرَقِ بَغْلِنا الأشهبِ بواسِط يومَ تحوَّلَتْ سَنتي الثّانيةُ والأربعون، نَسألُ الله بركتَها، فإنّه سَقَطَ بمركِبَهِ إلى وسطِ دِجْلَةَ وتَلِفَ، ثم أخرَجَهُ الغاَصَةُ فأخَذْنا المركَبَ سَالماً تامًّا ولله الحَمْد.

وقد كنتُ كتَبْتُ إليكَ في هذا المعنَى كتاباً أرجو أنْ يكون قد وَصَل، وعرَّفْتُكَ فيه آنّني لم أغتَمَّ على البغلِ، بلِ اغتَمَمْتُ لاتفاقِ مثلِ ذلك يومَ تحوَّلَتْ سَنَتي، ورَسَمْتُ لكَ أنْ تتقدَّمَ إلى أبي الحسن المنجِّم بتحويلِها والحكمِ عليها وشَرْحِ ذلك، ليكونَ معك إذا أنفَذْتُ إليكَ الزَّبْزب وأذِنْتُ لكَ في الانحدارِ حَدَرْتَهُ إليَّ معَك. فافعَلْ -أنا أفديكَ- ذلكَ، وقدِّمْهُ ولا تؤخِّرْهُ، ولا تُشغِلْ قلبَكَ بالبغلِ، فقد ابتَعْتُ لكَ بغْلةً شعرةٌ منها خيرٌ منه وبه فداكَ الله يا سيدَ أبيه، وحسبُنا الله ونِعْم الوكيل.



ملحق رقم (١)

نصوص نثرية

لأبي إسحاق الصّابي



الطبيعةُ تعمل في تخالُف الناس على المذاهب والمقالات والآراء والنِّحَل[1]

سمعتُ أبا إسحاق الصّابي الكاتب يقول لأبي الخطّاب الصّابي[2]: اعلم أنّ المذاهبَ والمقالات والنِّحَل والآراء وجميعَ ما اختلف فيه النّاس وعليه كدائرةٍ في العقل، فمتى فُرض فيها قولٌ وجُعل مبدأً لأقوالٍ انتهى منه إلى آخر ما يمكن أنْ يقال، فليس من قولٍ إلّا وقد قيل أو يقال، وليس من فعلٍ إلّا وقد فُعل أو سيُفعل، وليس من شيءٍ إلّا وقد عُلم أو سيُعلم، وهكذا في الظنّ والرأي وغير ذلك، وأمثال هذا بيّن في كلّ ما أردته، وذلك أنك لا تشير إلى رأي أو نِحْلة إلّا أمكنك أنْ تظنّ به كلّ ما ظُنّ ويُظن، وتقول كما قيل ويُقال، وإنّما يضيق مجمّ أحدنا، وينفسح مشرب الآخر، لأن الخاطر يسنح مرّةً ولا يسنح مرّة، والقلبَ يتّسعُ تارةً ولا يتّسع تارة، واللّسان ينطق وقتاً ويمسك وقتاً.

قال أبو الخطّاب: هل للخواطر والألفاظ والآراء والمقالات نسبةٌ إلى المزاج والطينة والهواء، وإلى العناصر بالجملة؟

فقال: نعم، لها نسبةٌ قوية، وعلاقةٌ شديدة، ورباطٌ متين، إلى هذه الأمور التي تنظر فيها، أو تطيف بها، أو تطلّ عليها، ولا سَبيل مع ذلك إلى اتفاق النّاس في حالٍ من الأحوال، وسَبيلٍ من السُّبُل، ولو أمكن ذلك لوجد ! ألا ترى أنّه لا سَبيل إلى أنْ يكون

---

(١) هذه المقابسة الحادية عشرة من مقابسات أبي حَيّان التوحيدي، المقابسات، ص١٥١. وضعتها هنا لزيادة الفائدة.

(٢) ابن عم أبي إسحاق الصّابي.

النّاس كلّهم طِوالَ القُدود أو قِصارها، وضِخام الرؤوس أو صغارها، وفُصحاء الألسنة أو لُكْنها، أو على مذهبٍ واحدٍ أوحد، ومقابلةٍ واحدة؟ كيف يكون هذا أو يظنّ والطبيعة إنّما تعطي صورتها لكلّ شيءٍ بحسب قبوله وتهيئته ومُواتاته؟ فليس الزندُ من عطية الطبيعة، ولكن على قدر قبوله، وصَلابة الحجر من عطيّة الطّبيعة، ولكن على قدره، فاختلافُ الصّور إنما ينشأ من اختلاف المواد، وهذا أصلٌ لا أصل له، وعلّةٌ لا علّة لها، لأنّه لم يفعله فاعل على ذلك، بل صورة من شأنها هذا، والمادة من شأنها ذلك، والأمر مسبب على سنن ما ترى، فعلى هذا كلّ أحدٍ ينتحل ما شاكَلَه مزاجُه، ونَبَض عليه عرقهُ، ونَزَع إليه شوطُه، وعجن به طينه، وجرى بعد ذلك على دأبه ودَيْدنه.

إنشاء الكلام الجديد
أيسر على الأدباء من تَرْقيع القديم[١]

سمعتُ الخوارزمي الكاتب يقول لأبي إسحاق إبراهيم بن هِلِّيل الصّابي[٢]: لِمَ إذا قيل لمصنِّفٍ أو كاتبٍ أو خطيبٍ أو شاعرٍ، في كلمةٍ من كلام، وقد اختلّ شيءٌ منه، وبيتٍ قد انحلّ نظمُه، ولفظٍ قلق مكانه: هاتِ بدل هذا اللّفظ لفظاً. ومكان هذه الكلمة كلمة، وموضع هذا المعنى معنى؟ تَهافتت قوّتُه، وصَعُب عليه تكلّفه، وبعل بمزاولة ذلك رأيه؟ ولو رام إنشاء قصيدةٍ مفردة، أو تَحبير رسالةٍ مقترحة، كان عُسْرُها عليه أقلّ، وكان نُهوضُه بها أعجل؟!

فقال: وقع ما وهي يحتاج إلى تدبيرٍ قد فات أوّله من جهة صاحبه الأول، ومَن كان أولى به، وكان كالأب له، وذلك شبيهٌ بعلم الغيب، وقلّ مَن ينفذ في حُجب الغيب مع العوائق التي دونه، وليس كذلك إذا افترع هو كلاماً، وابتدأ فعلاً، واقتضب حالاً، يستقلّ حينئذٍ بنفسه، ولا يحتاج فيه إلى شيءٍ كان من غيره، أو يكون تعلّقه بيقظته يعطيه تمام ما قد فتح عليه سدّه، وقدح عليه زنده، ولم يكن هكذا حاله في كلامٍ مَعْروض عليه لم يهجس قطّ في نفسه، ولا أعدّ له شيئاً من فكره، فقد يعجزه ما لم يتأهّب له، ولم يَرُض نفسه عليه.

نوفي الجملة: كلّ مبتدىءٍ شيئاً فقوّة البدء فيه تُفضي به إلى غاية ذلك الشيء، وكلّ متعقِّبٍ أمراً قد بدأ به غيره فإنّه بتعقيبه يُفضي إلى حدّ ما بدأ به في تعقيبه ويصير ذلك مبدأ له، ثم تنقطع المشاكلة بين المبتدئ وبين المتعقِّب.

---

(١) هذه المقابسة الثانية عشرة من مقابسات أبي حَيّان التوحيدي، المقابسات، ص١٥٣. وضعتها هنا لزيادة الفائدة.

(٢) في الأصل: لأبي إسحاق الصابي هيثم ابن هلال.

جمع أبو إسحاق إبراهيم بن هِلِّيل الصّابي من كلام الحكماء فقراً

فمنها[1]:

الملك القادر أولى بالتأنّي في حكوماته، والتثبُّت في عزماته؛ لأنّه إنْ أخذها على شبهة، وأمضاها على غير بيّنة، لم يكن له دافعٌ عنها، ولم يخل أيضاً من مساعد عليها.

الملك المنعم إذا أفاض المكارم، واغتفر الجرائم، ارتبط بذلك خُلوص نيّةِ مَن قَرُب منه وهم الأقل، وانفساح الأمل ممّن بَعُد عنه وهم الأكثر؛ فيستخلص حينئذ ضمائر الكلّ من حيث لم يصل معروفه إلّا إلى البعض.

الملك تلزمه الحقوق بأيسر سَعْي السّاعي لها، وأقصر أمد الجارين إليها ؛ لأنّه إن انتظر بهم أنْ يعقدوا عليه المِنَن الجمّة، وأنْ يسبغوا عليه النِّعْمة الضخمة، لم يكن لهم بذلك طاقة، ولم يكن به إليهم فاقة، لكنّ المحلّ الذي حلّه، والمكان الذي تبوّأه يوجبان عليه أنْ يكون على القليل من الذِّمام محافظاً، وبعَيْن الرّعاية لهم ملاحظاً.

الملك إذا وعد وفى، وإذا أوعد عفا.

الملك إذا استكفى أحد ثقاته أمراً تشكل عواقبه، وتشتبه أعجازه، فانتشر ذلك الأمر عليه من حيث لم يأل جهداً في طلب نظامه، والسّعْي لالتئامه، فواجبٌ أنْ يحمده، أو أنْ يذمّه ؛ فإنه إنْ ذمّه قبضه وقبض نُظراءه عن الدأب في المصالح، والطلب للمناجح، ولحقهم من قصور الهمم ما يعود وهنه عليه، وتتعلّق شكايته به ؛ لأنهم

---

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج١، ص٣٠٣.

يشغلون عن التوصّل إلى ما يرومه، بالتحرّز عما يضرّهم.

الملك يتوصّل إليه كلّ مَن تنكّر له، وتعتّب عليه، وهم طبقات ثلاث: فمنهم مَن ذنبُه مقرونٌ بعذره قد أماطه عنه، وأخرجه سليماً منه، ويقال أقرّ بالذنب طاعة، وأمسك عن العذر هيبة، ولا يحسن أنْ يقتصر بمَن هذه حاله على أنْ تسقط اللّائمة عنه دون أنْ تجب المحْمَدة له. ومنهم مَن ذنبُه واضحٌ، وعذرُه معوز، ولكنه فردٌ لا أخ له، وفذّ لا توأم معه، والأولى به أنْ يقال إذا اعترف بالحوبة، وأخلص في التوبة. ومنهم المتردّد في هفواته والمتكرّر في عثراته، الجارية عادته أنْ يكسر التوبة إذا تاب، ويفسخ عقد الإنابة إذا أناب، فذلك الذي يُعاقَب بالاطّراح، ولا يُطمع منه بالفَلاح.

الملك بمَن غلط من أتباعه فاتّعظ أشد انتفاعاً منه بمَن لم يغلط ولم يتّعظ، فإنّ الأول كالقارح الذي أدّبته العَثْرة، وصلحته النّدامة، والثاني هو راكبٌ للغرّة، وراكنٌ إلى السَّلامة. والعرب تزعم أنّ العظم إذا جُبر من كسره، عاد صاحبه أشدّ بطشاً، وأقوى يداً.



ملحق رقم (٢)

وزراء البويهيين

الذين لهم ذكرٌ في رسائل الصّابي[١]

(١) هم في حقيقة الأمر وزراء تنفيذ، وبعضهم كُتّاب يجرون مجرى الوزراء.



١. أبو مُحَمّد الحسن بن مُحَمّد بن هارون بن إبراهيم المهلَّبي (ت٣٥٢هـ/ ٩٦٣م).
٢. أبو الفضل مُحَمّد بن الحسين بن مُحَمّد بن عبيد الله الكاتب، ابن العَميد (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).
٣. أبو الفتح عليّ بن مُحَمّد بن الحسين ابن العَميد، ذو الكِفايتَيْن (ت٣٦٦هـ/ ٩٧٦م).
٤. أبو القاسم إسماعيل بن عَبّاد، الصّاحب (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م).
٥. أبو الفضل العَبّاس بن الحسين الشِّيرازي (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٤م).
٦. أبو الحسن مُحَمّد بن أحمد الجَرْجَرائي (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٤م).
٧. أبو الفرج مُحَمّد بن العَبّاس بن فَسانْجِس (ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م).
٨. أبو مُحَمّد عليّ بن العَبّاس بن فَسانْجِس (ت؟).
٩. أبو عليّ الحسين بن مُحَمّد الأنْباريّ (ت؟).
١٠. أبو طاهر مُحَمّد بن مُحَمّد بن بَقيّة، نصير الدَّوْلة (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م).
١١. أبو القاسم المطَهَّر بن عبد الله (ت٣٦٩هـ/ ٩٧٩م).
١٢. أبو منصور نصر بن هارون النَّصْراني (ت٣٧٢هـ/ ٩٨٢م).
١٣. أبو الرَّيّان حمد بن مُحَمّد الأصْبَهاني (ت٣٧٥هـ/ ٩٨٥م).
١٤. أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سَعْدان (ت٣٧٥هـ/ ٩٨٥م).
١٥. أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف (ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م).
١٦. أبو منصور مُحَمّد بن الحسن بن صالحان (ت٤١٦هـ/ ١٠٢٥م).
١٧. أبو نصر سابور بن أرْدَشير (ت٤١٦هـ/ ١٠٢٥م).
١٨. أبو علي الحسن بن أبي الريان حمد بن مُحَمّد الأصْبَهاني (ت؟).
١٩. أبو العلاء صاعد بن ثابت (ت؟)



ملحق رقم (٣)

معتقدات الصّابئة

وعباداتهم وطقوسهم وهياكلهم وأعيادهم

نصوصٌ من :

- كتاب الدّلائل للحسن بن البهلول (أواسط القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)
- مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)
- كتاب الفهرست للنديم (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)
- الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)
- المسالك والممالك للبكري (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)
- تاريخ ابن الوردي (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)
- الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)



أعياد الحنفاء الحَرّانيين
المتسمّين بالصّابئين التي يعملونها بحَرّان[١]

نيسان[٢]

في أوّله: يجعلون عند رؤوسهم تمراً وزبيباً، ويكحل الرجال والنساء أعينهم، ويطبخون قدراً، ويشوون شواء، ويأكلون ويشربون، ويقولون: إن عالم الغوامض يحيى[٣]. ويزعمون أنّه كما يجدّ الإنسان، كذلك يكون في سائر السنة، ممتلئة أو فارغة.

وفي ستة منه يقولون: إن الله يشرق في نصف النهار، ويسرجون السُّرُج، ويبخّرون. ويعترض[٤] النساء والرجال على الآلهة.

وفي ثمانية منه يقولون: إن سنن الآلهة نزلت. ويخرج إلى الدير المعروف بكدا[٥] يتوقعه جميعهم.

وفي عشرين منه، يخرجون إلى دير كدا، ويرمون الشياطين، زعموا على رؤوس عيون الماء.

---

(١) الباب الأربعون من كتاب الدلائل للحسن بن البهلول، ص٢٤٧-٢٦٠.

(٢) تبدأ سنتهم بنيسان، وشهورهم بالمندائية: نيسان، أيار، سيوان، تموز، آب، أيلول، تشرين، تشروان، كانون، طابيث، شباط، آذار.

(٣) يحيى بن زكريا، أو يوحنا المعمدان، إليه ينتسبون، أو على الأقل فرقة منهم.

(٤) كذا بالأصل. ولعلّ الصواب: يُعرض.

(٥) قال محقق الكتاب: لم يرد بهذا الشكل، إنما (دير كاذي بحَرّان)، وهو غير كداء وكدى (معجم البلدان، ج٢، ص٥٢٩). والأصح ما جاء في الفهرست للنديم، ج٢، ص٣٧٢. دير كادي، على بابٍ من حَرّان يسمى باب فندق الزيت.

وفي اثنين وعشرين منه، تدخل سنن الآلهة من دير كدا، ويجلس في موضعه في نصف النهار، يلهبون السُّرُج، ويصنعون طعاماً واسعاً على موائد، ويطوفون حوله، ويسجدون.

وفي ثلاثة وعشرين منه، يصعدون إلى الجبل، ويعملون النذور والذبائح إلى آخر الشهر.

أيار

في اثنين منه، يعملون عيداً ينسبونه إلى عيد السلم، وفيه نذور كثيرة، ويتناغمون. وكل واحد يعطي دراهم، ويأخذ خمراً يشربه في أجّانته. ثم يجتمعون إلى موضع الحجارة التي يسجدون لها.

وفي ستة، لهم عيدٌ كبير، ينسب إلى ملك، يحلقون فيه رؤوسهم. ومَن كان له تيس أو جدي ذبحه. ومَن لم يكن له، ذبح ديكاً. ومَن لم يحلق، اغتسل وتطيّب. ويشدّون في رداء شعيراً وخبيصاً ورأس الشيء الذي يذبح، أعني التيس أو الجدي أو الديك. ويجعل في أجاجين فخار. ويخرج مستلقياً من موضع، يقال له بيت ماري هلفي، نحو المشرق، ويذبحون بني[1] سليم منهم كباشاً كثيرة، لأنهم أحبار هذا الصنم المسمى أبو ملك.

وفي سبعة منه، عيد صبوح الإلاهات والأصنام الإناث.

وفي خمسة عشر منه، عيد الصبوح لسيد الآلهة، وهو المشتري[2].

---

(١) هكذا وردت، وصحيحها: ويذبح بنو.

(٢) للصابئة أفكار خاصة بالأبراج والكواكب السيّارة، تشبه ما كان لقدامى سكان بلاد ما بين النهرين. وأسماء أبراجهم وما يقابلها من شهور: أمبارا (الحمل لشهر نيسان)، تورا (الثور لأيار)، صلما (الجوزاء لحزيران)، سرطانا (السرطان لتموز)، أريا (الأسد لآب)، شمبلتا (السنبلة أو العذراء لأيلول)، قينا (القناة أو الميزان لتشرين الأول)، أرقبا (العقرب لتشرين

حزيران

في سبعة منه، تلبس النساء حليهن، ويرقصن، وينحن، وينزعن الذهب، وينحن على الصنم المدعو تموزا[١]. ويزعمون أن الكتب وردت بعمل قتل تموزا وموته.

وفي أربعة وعشرين منه، عيد الطراميس[٢]. وكلّ مَن صام في تموز ثلاثة أيّام، أخذ كسرة من ذلك الطرموس، وشرب جرعة من كأس، وأخذ تفاحة.

تموز

في خمسة عشر منه، عيد الألحان لمرتان[٣]، وتسخرها لسنين، وتوضع على المائدة كلّ فاكهة توجد في ذلك اليوم، ويحتجون أنها ألحان تنطق فيها الصبايا.

آب

في عشرة منه، تعمل مائدة بانوا، ويذبح في هذا العيد كباش، ويقصفون قصفاً جليلاً، ويحضر خلق كثير من كفر الأحبار، وكفر ثمانين، وسائر القرى[٤]، ويدخلون،

الثاني)، طبا (القوس لكانون الأول)، كديا (الجدي لكانون الثاني)، دولا (الدلو لشباط)، نونا (الحوت لآذار). انظر: مراني، مفاهيم صابئية، ص١٤١.

(١) إنّه دموزي أو تموز، أحد آلهة قدامى سكان بلاد ما بين النهرين، الأمر الذي يدعم رأي القائلين أن للصابئة جذوراً فكرية ودينية قديمة. بشأن تموز، انظر: عشتار ومأساة تموز للدكتور فاضل عبد الواحد علي، بغداد، ١٩٧٢.

(٢) جمع (طرموس) أي: خبز الملة، وتقول العامّة: (طلموس)، آرامية – مندائية – سريانية.

(٣) لفظة آرامية، بمعنى (سيدتنا)، ولعل الألحان مستمدة من كتابهم (القلستا).

(٤) قال محقق الكتاب: لعلها: أنواء، كفر الأحبار، كفر ثمانين، لدى البلدانيين، ونظنّها كلها قرب حَرّان.

ويأكلون، ويشربون، ويرسلون الديوك لآلهة الخلائق.

وفي ثلاثين منه، عيد الزُّهَرة، وتذبح الديوك والدجاج، ويكون قصف جليل.

وفي أربعة وعشرين منه، يجتمعون إلى الباب الذي يسمى البرسي، ويسجدون هناك، ويدخلون بين الدار.

أيلول

في ثلاثة عشر منه، عيد القرع، تمضي النساء إلى الجبّ، ويسبحن عند البئر التي تسمى للسيد الإله المشتري، ويقصفون، ويملأون المائدة.

وفي خمسة عشر منه، يصومون إلى الليل صوم الصبغة[1]، ويسمى لقاليا، ويأكل كل واحد على شهوته، وتذبح فيه الديوك.

وفي أربعة وعشرين منه، يسمى: عيد خروج سيد الآلهة، ويطبخون، ويجيء كل إنسان يأكل، ويصعد جُلّ الشعب إلى رأس التل في المدينة، ويسبحون. ومن خاف منهم استلب الماء من بئر بيت الفرسان، ويبيت تحت الكواكب، ويبكر، فيغتسل في بيته، ويعملون تعاويذ واسعة، ويأخذون معهم الماء من بئر التل، ويبيعون الكوز منه بخمسة أفلس[2]، والأسف بخمسة أفلس، والتعويذ بخمسة أفلس.

والتعاويذ إنما فيها كسرات خبز، قد حيطت فيه من الصنم المعروف بالبخت[3]

---

(١) (الصبغة) أي: الغسل، والغمس أو الارتماس في الماء، فهو العماد، فاللفظة آرامية مندائية: (صبا)، بمعنى صبغ: غمس في الماء من أجل التطهير، وقال ابن منظور في لسان العرب إن (صبا) تعني: خرج من دين إلى دين آخر، كما تصبأ النجوم، أي: تخرج من مطالعها.

(٢) أي: فلوس.

(٣) أي: الحظ والنصيب والقسمة.

الجيد، والفراته من بيت صنم سين[١]، وتصرّ في صرر، ويعقد النسب، ويعلّق على الصبيان في أعناقهم.

وهذا الشهر كلّه، يعملون فيه أطعمة للموتى، وتحرق بالنار، ويجيئون بكوز ماء يشرب به، وإبرة ما خيط بها، وكأس لم يشرب به، ويعملون سلّماً من عجين ويضعون عليه كل فاكهة، وما لم يوجد من أصناف الفاكهة يعملون مكانه من عجين، والديوك التي تذبح في طعام الموتى لا تشقّ، ولا تقطع أرجلها، لأنهم يقولون: إن هذا يحمل الميت ويوصله إلى قورا[٢]، ثم يحفرون حفرة في الأرض، ويجيئون بجنازة ويقلبونها عليها، وجهها إلى أسفل، وقوائمها إلى فوق، ويضعون بين يدي الجنازة وسادة، ويجيئون بأجانة، ويمزجون شراباً، وكل من يودّ ذلك الميت، يدخل، ويمزج في تلك الأجانة خمراً باسمه، ويرشّ من تلك الخمرة، وتبقى تلك المائدة من العشى إلى غدوة، ثم يضعون باقات حطب في تلك الحفرة، وتشعل فيحترق ذلك أجمع، فإذا احترق طمّوا[٣] الحفيرة، وعفّوا أثرها.

والتاسع عشر منه، يخرجون إلى قرية سبا[٤]، ويسمّونه تاسع عشر سلمين إله سبا.

تشرين الأول

من أوله إلى ثلاثة عشر منه، يعملون دعوة لصنم فورا، ولا يأكلون كرنباً، ولا

(١) أي: القمر، وأيضاً: إله القمر.

(٢) كلمة آرامية بمعنى (القبر)، أو هو (فورا) أحد آلهتهم.

(٣) طم الإناء: ملأه، يستعملها العامّة عادة في العراق.

(٤) ليست سبأ التي في أرض اليمن، بل هي قرب حَرّان.

عدساً، ولا جاورشاً، وأصحاب هذا الصنم يأخذون ورق الآس، ويخلطونه بالتراب، ويسمونه حنانا[١]، وتطوف النساء، ويقسمونه في البيوت، ويعطون الخمر واللحم والحنطة والتوابل وغير ذلك، فإذا انقضى العيد، حملن من ذلك الذي يأخذنه إلى بيت أحبار هذا الصنم المسمى فورا.

وفي عشرة منه، يجيئون بخبز وحشيشة ورمان مفتوت عليها، ويحصلون على كسرة خبز من ملح، وعلى كسرة أخرى بقل وبيضة مسلوقة، وزعروراً وعنباً أبيض، ويجيئون بباقات حطب، ويحرقون ذلك كله، ويصبّون عليه خمراً عتيقاً باليد اليسرى، ويقولون: هذا للشَّمْس، هذا لسين، هذا لقوز[٢]، هذا لأنفس الموتى، والخمر يمزجونه مقلوباً، يصبّون الماء، وبعده الخمر، وتقول النساء والرجال والصبايا والصبيان قصائد بألفاظ شنعة يستبشعها الفسّاق، وينكرون استماعها، ويفتخرون بما يلفظونه من الألفاظ المنكرة القبيحة بين يدي النساء، وكذلك النساء يخاطبن الرجال بمثل ذلك، ويشرب الرجال مع النساء، والنساء مع الرجال والصبايا، ويعملون صورة من كلس، ويسمّونها ديماطنو، ويجتمعن ويكنسن أمامها، ويأكلن ويشربن.

تشرين الأخير

يعملون دعوة ينسبونها إلى دقاما.

وفي السابع منه، يعملون عيداً للبانية.

وفي الثامن عشر، يمضون ويسبحون بناحية منبج في عين، ويطرحون فيها

---

(١) لفظة آرامية من الفعل (حن) بمعنى الحنان، والمقصود: رفات أو تراب يؤخذ للتبرك.

(٢) هكذا وردت، ونظن صوابها (لفورا) الصنم الذي تقدم ذكره.

الفلوس والخواتيم، ومَن لم يقدر أنْ يمضي إلى مَنْبِج، مضى إلى سَروج وما وراءها، ويذبحون الذبائح. ومَن لم يقدر أنْ يمضي، مضى إلى الذهابية[١]، ويعملون صنماً صغيراً من فضة في صورة امرأة، ويسمّونها بسيّدتنا الزُّهَرة، ويطرحونها في مجمع الماء والعيون التي تجري.

وفي خمسة وعشرين من تشرين الأخير، عيد أوملك، يحلقون رؤوس الصبيان.

كانون الأول

يعملون في إملاكات ثلاثين، ويذبحون فيه الديوك، ويضعونها على الموائد مع التمر.

وفي عشرين منه، يصنعون مائدة للصنم المسمّى المريخ، وتجتمع الشياطين إلى بيت الأصنام، ويأكلون هناك ويشربون.

وفي ثمانية وعشرين، تجتمع الشياطين التي في تلّ المدينة كلّها، وهو عيد السهام، ويذبحون الكباش، ويأخذون دماءها في إناء، ويخلطون به حبّ الرمان وبطماً وسمسماً وكراثاً، ويملأون به مبعراً كبيراً، ويشوونه، ويجيئون إلى الصنم أولاً ليأكل، وينادون ويقولون: أيها الشياطين مالحونا[٢]، والباقي يخرج الشياطين والموتى، ويمزجون الخمر ويخرجون، ويرشّونه على قبور موتاهم.

وفي يوم الثلاثين مه، كل رجل يدخل إلى بيت إله الرجال، ينحر ديكاً كرامة لديسما، ويسمّوه الشهر الأعلى، ولا يعطون منه لامرأة، ولا يطلقون لها الدخول.

---

(١) كذا في الأصل كما قال محقق الكتاب، وعند ياقوت (الذهبانية)، معجم البلدان، ج١، ص٤٩٣.

(٢) بمعنى: لنتقاسم الخبز والملح.

كانون الأخير

أوله يوم يسمّونه يوم الرجالة، لا يعملون فيه عملاً.

وفي الرابع منه، عيد ثلاثين.

وفي الثاني عشر منه، يذبحون فيه الديوك، ويحملون ذرقها إلى بيت الأصنام.

من خمسة عشر في كانون الأخير إلى تسعة عشر، لهم دعوةٌ لصاحب التل، يعملون الخبيص، ويذبحون الديوك والكباش.

وفي ستة عشر منه، يعملون عيد الرب التيمن، المسمى بعل شَمْس، ويسمّونه مار جورجس صفا[1]، ويعملون نحراً[2] ومأدبة، ويمضون جوقة جوقة تحمل النذور إلى بعل شَمْس.

وفي عشرين منه، يعملون مأدبة صنم يسمّونه السيدة دخلت، وإلى أربعة وعشرين منه، ويصعدون التلّ، ويصلّون ويسجدون الليل كلّه.

وفي خمسة وعشرين، يعملون مأدبة السنة، ويذبحون الكباش في بيت بعل شَمْس، ومنهم من يذبح الجدي أو العجاجيل، ويفركون الخبز في الزيت، ويبلّون الشعير بالخمر، ويذبحون الديوك، ويأخذون دماءها على أقراص متخذة، ويبخرون لصاحب البيت، ويُجزّىء ذلك كسراً، ويعطون كل إنسان كسرة للبركة، زعموا.

---

(١) هذه التسمية، كبعض المعلومات والعادات والأفكار، تؤيد رأي القائلين إن هؤلاء الحرّانيين أخذوا بخليط معتقدات وأفكار وعادات، فجاء مذهبهم مركباً وخليطاً. فهو عيد الرب التيمن، وهي لفظة مشتقة من (تيمنا) أي: الجنوب، وهو بعل، وشمش، كما أنّه مار جرجس، أي: كوركيس الشهيد، وهو في الوقت عينه شمعون الصفا أو بطرس رئيس الحواريين.

(٢) في الأصل: فحر.

شباط

في شباط، إذا شربوا الخمر في كؤوسهم، يهرقونها، ويقولون: هذا لكرامتك أيها الشَّمْس.

في ثلاثة عشر منه، عيد لبيت ماري[١].

وفي عشرة منه، يضربون لحجلة الشَّمْس.

وفي ثمانية عشر منه، تحمل الأخبصة إلى سدية الشَّمْس، ويطرحون منها في جميع بيوت الأصنام بحَرّان، وتكون مأدبة لتل الشيخ المنحل، والصنم التي يقال لها سيدة القضاء، مثل سائر الأصنام.

آذار

اليوم الأول منه، يمضون إلى بيت إله الرجال، كما يفعلون في اثنين من نيسان، ويصومون ثلاثة أيّام، ويطرحون طرموس، ويسمّى عيد هرمس.

في تسعة منه، يصوم جميعهم، ويأكلون في الصحراء في تسع ساعات خبز شعير، وملحاً وبصلاً.

وفي عشرة منه، يحملون الخلّ والميبختج[٢] إلى بيت إله الرجال. وكل مَن يفطم ابنه، ففي هذا العشر يفطمه، إن تقدّم أو تأخّر.

وفي اثني عشر منه، عيد، يذبحون فيه الخنانيص[٣]، ويأخذ كلّ إنسان منها شيئاً يسيراً للبركة.

---

(١) لعلّ المقصود: السيد أو الرب، ويبدو أن عُدّة مواضع قرب حَرّان كانت قد قامت إثر الأعياد والاحتفالات، على شبه المزارات الدينية.

(٢) عقيد العنب، وهو الرُّبّ أيضاً. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، ج١، ص٤٨٦.

(٣) الخنانيص، جمع خنوص: ولد الخنزير. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣١ (خنص).

نِحْلة الصّابئين

السّاكنين بالجامِدة والحوانيت وسترايا من أعمال واسِط[١]

قال أبو علي[٢]، رحمه الله:

هؤلاء هم الذين يلقب الحَرّانيون بنبزهم[٣]، وهم المذكورون في القرآن، وذمّتهم صحيحة، وليس بينهم وبين الحَرّانيين الحنفاء مناسبة ولا مقاربة في شيء من الشرائع، بل يباينونهم في كلّ حال[٤].

وحضرني نفرٌ منهم بمدينة السَّلام، أيّام كتبتي لسارة بنت المعتضد بالله، رحمه الله، وكتبتي لوالدتها، ولصفية أختها[٥]. وكنتُ استقطعت لوالدة سارة بالجامدة بيادر تعرف باليهودي والدول بالصَّليق، سكانها جميعاً صابئون، فاستكشفت أمرهم، واستقصيت مسألتهم عنه، فوجدتهم ينتحلون دين شيث بن آدم عليه السَّلام، ويقولون أنّه نبيهم.

---

(١) هذا هو الباب الحادي والأربعون من كتاب الدلائل للحسن بن البهلول.

والجامدة: قرية كبيرة جامعة من أعمال واسط، بينها وبين البصرة، والحوانيت: بليدة تحت واسط يقال لها: الصينية أو صينية الحوانيت. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٩٥، ج٣، ص٤٤٠؛ ويبدو أن سترايا موضع قريب منها.

(٢) يحيى أبو غالب أو أبو علي إسماعيل بن مُحمّد الخياط، تلميذ ما شاء الله، من القرن ٣هـ/ ٩م، وضع كتاب المواليد ومصنفات أخرى سزكين، تاريخ التراث العربي، ج٧، ص١٢٠-١٢١). كما رجّح محقق الكتاب.

(٣) نبزه أي: لمزه بكذا، أي: لقّبه به.

(٤) يخص ابن البهلول هؤلاء الصّابئة بوصفٍ يميّزهم عن الحَرّانيين.

(٥) دليل واضح على سكنى ابن البهلول مدينة بغداد، وقيامه بخدمة حرم الخليفة المعتضد.

ويعترفون بيحيى بن زكريا، ولهم كتابة وحروف نبطية قديمة على هجاء أبجد، وليس لهم أ ب ت ث، ولهم كتاب يسمّونه الزبور الأول، وهو مائة وعشرون سورة كباراً وصغاراً، وبه يصلّون، وقبلتهم بيت المقدس، ولهم كتب أحكام، بعضها منسوب إلى يحيى بن زكريا، وبعضها إلى شيث بن آدم، ويقرّبون قرابين من خبز وماء وشراب وماء الزبيب، ويعظّمون يوم الأحد، ويصومون في السنة ثمانين يوماً في الشهر الفارسي المسمى ديماه وفي الشتاء، ويوم فطرهم عيد يرفعون فيه علماً طويلاً من خَزّ أبيض، والمتديّنون منهم يعيّدون في كلّ يوم أحد، ويقرّبون فيه القربان.

وجُمهورهم، فلهم[١] ستة أعياد، لا يتخلّفون عن حضورها، وهي: النيروز الأول، والنيروز الثاني، والـمِهْرَجان الأول، والـمِهْرَجان الثاني، وديماه، في أوله، والفطير[٢].

ولم يحرم عليهم شيء من الأطعمة والحيوان في صوم ولا غيره.

ولا يقولون بقيامة الأجساد، ولكن الأرواح، وأن لها جزاء جنة، وجزاء نار[٣].

وإذا توفي أحدهم، تولّى الرئيس وتلاميذه دفنه مع أوليائه، وتركه لورثته، وللرئيس فيها الثلث، ينفقه على المسجد، ويسمّونه أبا[٤] الخباء أو الهيكل.

ويدلّ اتفاق صومهم في الشتاء، على أنهم يكبسون ما كانت الفرس تكبسه قديماً من شهر في كل مائة وعشرين سنة.

ويبخّرون في مصلاهم في يوم الكندر وغيره، ويسرجون بالليل، ولا يسرجون بالنهار، وليس لهم موضع مخصوص بالقربان.

---

(١) الفاء زائدة.

(٢) كذا، ولعل القراءة الأصح: وفي أوله الفطر.

(٣) وردت: جزا نارا.

(٤) القراءة اجتهادية.

والرئيس في الهيكل، وتلاميذه، يدخلونه في كل يوم، والعوام منهم يدخلونه في كل يوم أحد، بعد أن يغتمسوا في الماء، ويتنظفوا.

ولا يأكلون خبز أحد، ولا يعاشرونه، لأنهم يتجنّبون الحائض، ولا يستعملونها، وإذا لحقتها العلّة، اعتزلت، إلى أن تطهر وتغتسل، ثم تخالطهم، ومتى لحقتها العلّة في طريق ما، رشّ خلفها الماء حتى تبلغ الحجرة التي تعتزل فيها، ولا يثقون أن أحداً من النّاس يسلم من مخالطة حائض، وأن تخبز لهم أو تطبخ، فيتجنبونهم[1] لهذه العلة، ومتى حضروا مجلس ومنزل رجل غريب، لا امرأة له، ولا معه، فتنظف، وخبز بين أيديهم، أو ذبح دجاجة أو جدياً أو غيرهما، أكلوا معه من ذلك سريعاً معه في كوز جديد.

ولا يختتنون، ولا تخفض نساؤهم، وصلاتهم بالنبطية القديمة، وبها كلامهم. ويرون لبس الزنانير البيض في أوساطهم، ويسمّونها همايين، واحدها هميان، وجميعها بيض، وربما كانت أعرض من زنانير النصارى. ويغتسلون من الجنابة ولا يصافحون جنباً، ولا يقربون مَن أصابته جنابة حتى يغتسل.

وشهورهم شهور الفرس.

وإذا كان أحدهم في غربة، واضطر إلى أكل الخبز، لم يأكله، إلا بعد أن يغسله بالماء[2].

---

(١) الصحيح: فيجتنبوهن.

(٢) تقول الكتابات المندائية إن العلم أتى شيثاً بن آدم ، الغرس الطيب والأب الذي يقوم على التعميد، وأعظم رسالة، في نظر المندائيين، رسالة يحيى أو يوحنا بن زكريا، أشرق الإيمان في ضميره، فقام على الأردن بصبغ النّاس، وكتابهم الكبير (سيدرا آدم) أو (كنزاربا)، أما (أدر أفشاد هيي) أو (سدرا ديهي) فتعاليم يحيى، كما لهم كتاب (القلستا) أي: الفرح، وكتب أخرى. وأهم فرائضهم (التعميد) أو (الصباغة)، والصّلاة، والرسم بالماء، أي: الوضوء والتبريكات،

وهذه حروف أبجدهم[١]:

ولفظها لفظ ميزة مبيونة

ولهم ثمانية مزدوجة ان

للاثنا موصولة وهي صورة المفردة وجملتها اثنان

وعشرون حرفا يعني الثنا المفرده

والتضحية أو القربان، والزكاة والصيام. والعيد الكبير هو (نوروز ربا)، والصغير (نوروز الثاني)، وعيد البنجة ذكرى الأيّام الخمسة التي تكبس بها السنة. انظر: دراوور، الصابئة المندائيون، ص٦٥-٧٥؛ مراني، مفاهيم صابئية، ص١٠١-١٢٥؛ الحسني، الصابئون، ص٥٢-٥٧، ١٢٨.

(١) هذه الحروف كما وردت في المخطوطة، وضعها المحقق كما هي، ويمكن الرجوع إلى معجم ماسخ لضبط الحروف والتعرف على اللغة المندائية – الآرامية. انظر:

R. Macuch; Handbook of Clasical and Modern Mandaicn, Berlin, 1965.

واللغة المندائية أو (المندعية) من (مندا) الآرامية، وتعني المعرفة والعلم والإيمان، سياق حرفها أبجدي (مراني، مفاهيم صابئية، ص١٦٣-١٧٠).

ذكر البيوت المعظّمة والهياكل المشرّفة للصّابئة وغيرها وغير ذلك ممّا لحق بهذا الباب واتصل بهذا المعنى[١]

هيكل العقل والعلة الأولى

للصابئة من الحَرّانيين هياكل على أسماء الجواهر العقلية والكواكب، فمن ذلك هيكل العلة الأولى، وهيكل العقل، وما أدري أأشاروا إلى العقل الأول أم الثاني، وقد ذكر صاحب المنطق في كتابه في المقالة الثالثة من كتاب النّفس العقل الأول الفعَّال، والعقل الثاني، وذكر ذلك تامسطيس في كتابه في شرح كتاب النّفس الذي عمله صاحب المنطق، وقد ذكر العقل الأول والثاني الإسكندر الأفرودوسي في مقالة أفْرَدها في ذلك قد ترجمها إسحاق بن حُنَين.

جملة من هياكلهم

ومن هياكل الصّابئة هيكل السلسلة، وهيكل الصورة، وهيكل النفس، وهذه مُدَوَّرات الشكل، وهيكل زُحَل مسدس، وهيكل المشتري مثلث، وهيكل المريخ مربع مستطيل، وهيكل الشَّمْس مربع، وهيكل عطارد مثلث الشكل، وهيكل الزُّهَرة مثلث في جوف مربع مستطيل،وهيكل القمر مثمن الشكل وللصابئة فيما ذكرنا رموز وأسرار يخفونها.

وقد حكى رجلٌ من ملكية النصارى من حَرّان يُعرف بالحارث بن شباط للصابئة الحَرّانيين أشياء ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان ودخن للكواكب يبخرون بها

---

(١)من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، ج٢، ص٢٦٢-٢٦٦.

وغير ذلك ممّا امتنعنا عن ذكره مخافة التطويل.

الذي بقي من هياكلهم المعظمة في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين ثلاثين وثلاثمائة - بيت لهم بمدينة حَرّان في باب الرَّقّة يعرف بمغليتيا، وهو هيكل آزر أبي إبراهيم الخليل عليه السَّلام عندهم. وللقوم في آزر وابنه إبراهيم كلام كثير ليس كتابنا هذا موضعاً له.

ولابن عيشون الحَرّاني القاضي - وكان ذا فَهْم ومعرفة، وتوفي بعد الثلاثمائة - قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحَرّانيين المعروفين بالصّابئة، ذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراديب الأربعة المختلفة لأنواع صور الأصنام التي جعلت مثالاً للأجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الأشخاص العلوية، وأسرار هذه الأصنام، وكيفية إيرادهم لأطفالهم إلى هذه السراديب وعرضهم لهم على هذه الأصنام، وما يُحْدِث ذلك في ألوان صبيانهم من الاستحالة إلى الصُّفْرة وغيرها لما يسمون من ظهور أنواع الأصوات وفنون اللّغات من تلك الأصنام والأشخاص، بِحِيَل قد اتخذت ومنافيخ قد عملت: تقف السدَنة من وراء جُمُرٍ فتتكلم بأنواع من الكلام، فتجري الأصوات في تلك المنافيخ والمخاريق والمنافذ إلى تلك الصور المجوفة والأصنام المشخصة، فيظهر منها نطق على حسب ما قد عمل في قديم الزّمان، فيصطادون به العقول، وتسترقُّ بها الرقاب، ويقام بها الملك والممالك.

ومما ذكر في هذه القصيدة قوله:

إنّ نفـــيس العجائـــب بيـــتٌ لهـــم في سرادب
تُعبـــد فيـــه الكواكـــب أصْـــنامُه خلـــف غائـــب

ولهذه الطّائفة المعروفة بالحَرّانيين والصّابئة فلاسفة، إلا أنهم من حشوية الفلاسفة،

وعوامه مباينون لخواص حكمائهم في مذاهبهم، وإنما أضفناهم إلى الفلاسفة إضافة سبب لا إضافة حكمة، لأنهم يونانية، وليس كل اليونانيين فلاسفة، إنما الفلاسفة حكماؤهم.

ورأيت على باب مجمع الصّابئة بمدينة حَرّان مكتوباً على مدقة الباب بالسريانية قولا لأفلاطون فسره مالك بن عقبون وغيره منهم وهو: «من عرف ذاته تألّه».

وقد قال أفلاطون: الإنسان نبات سماوي، والدليل على هذا أنّه شبيه شجرة منكوسة أصلها إلى السماء وفروعها في الأرض. ولأفلاطون وغيره ممّن سلك طريقه في النّفس الناطقة كلام كثير في: هل النّفس في البدن أو البدن في النفس، كالشَّمْس أهي في الدار أو الدار في الشَّمْس، وهذا قول يتغلغل بنا الكلام فيه إلى الكلام في تنقل الأرواح في أنواع الصور.

القول في تنقل الأرواح

وقد تنازع أهل هذه الآراء ممّن قصد هذه المقالة في النقلة على وجهين، فطائفة من الفلاسفة القدماء اليونانين والهند - ممّن لم يثبت كلاماً منزلاً ولا نبياً مرسلاً منهم أفلاطون ومن يمم طريقهم - حُكي عنهم أنهم زعموا أن النّفس جوهر ليست بجسم، وأنها حية عالمة مميزة لأجل ذاتها وجوهرها، وأنها هي المدبرة للأجسام المركبة من طبائع الأرض المتضادة، وعرضها في ذلك أن تقيمها على العدل وما تتم به السياسة المستقيمة والنظام المتسق وتردّها من الحركة المضطربة إلى المنتظمة.

وزعموا أنها تلذُّ وتألم وتموت، وموتها عندهم انتقالها من جسد إلى جسد بتدبير، وبطلان ذلك الشخص الذي فسد ووصف بالموت، لأن شخصها يفسد، ولأن جوهرها ينتقل.

وزعموا أنها عالمة بذاتها وجوهرها عالمة بالمعقولات من ذاتها وجوهرها وفيها قبول علم المحسوسات من جهة الحس.

ولأفلاطون وغيره في هذه المعاني كلام يطول ذكره، ويعجز عن وصفه وإظهاره لاعتياصه[1] وغموضه، وكذلك صاحب المنطق وفيثاغورس وغيرهما من الفلاسفة ممّن تقدم وتأخر، لأن الطالب لعلم هذه الأشياء والإحاطة بفهمها وبلوغ غايتها لا يحرك ذلك لما نصبوا من الكتب، ورتبوا من التصنيف للعلوم المؤدية إلى معرفة علومهم وأغراضهم التي إليها قصدوا في كتبهم وهي معرفة الألفاظ الخمس، وهي: الجنس. والفصل، والنوع، والخاصّة، والعرض.

المقولات

ثم معرفة المقولات، وهي عشرة: الجوهر، والكمية، والكيفية، والإضافة - وهي النسبة - وهذه أربع بسائط، والست الأخر مركبات، وهي: الزّمان، والمكان، والجِدة - وهي المِلْكُ - والوضع، والفاعل، والمنفعل، ثم ما بعد ذلك ممّا يترقى فيها الطالب إلى أن ينتهي إلى علم ما بعد الطبيعة من معرفة الأول والثاني.

عود إلى الكلام عن الصّابئة

ثم رجع بنا الإخبار عن مذاهب الصّابئة من الحَرّانيين، وذكر مَن أخبر عن مذاهبهم وكشف عن أحوالهم. فمن ذلك كتاب رأيته لأبي بكر مُحمّد بن زكريا الرازي الفيلسوف صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره، ذكر فيه مذاهب الصابئة

---

(١) الاعتياص: الصعوبة.

الحَرّانيين منهم، دون من خالفهم من الصّابئة، وهم الكيماريون، وذكر أشياء يطول ذكرها ويقبح عند كثير من النّاس وصفها، أعرضنا عن حكايتها، إذ كان في ذلك خروج عن حد الغرض من كتابنا إلى وصف الآراء والديانات.

وقد خاطبت مالك بن عقبون وغيره منهم بشيء ممّا ذكرنا وغيره عنه كتبنا، فمنهم مَن اعترف ببعضه، وأنكر بعضاً من ذكر القرابين وغيرها من الآراء، مثل فعلهم بالثور الأسود، فإنه يضرب وجهه بالملح إذا شدت عيناه ثم يذبح، ويُراعى كل عضو من أعضائه وما يظهر منه من الحركات والاختلاج على ما يدل ذلك من أحوال السنة وغير ذلك من أسرارهم ومحالاتهم وأحوال قرابينهم.

قال المسعودي: وقد ذكر جماعة ممّن له تأمل بشأن أمور هذا العالم والبحث عن أخباره أن بأقصى بلاد الصين هيكلاً مدوراً له سبعة أبواب، في داخله قبة مسبعة عظيمة الشأن عالية السمك، في أعالي القبة شبه الجوهرة يزيد على رأس العجل تضيء منه جميع أقطار ذلك الهيكل، وأن جماعة من الملوك حاولوا أخذ تلك الجوهرة فلم يَدْنُ أحد منها على مقدار عشرة أفرع إلّا خَرَّ ميتاً. وإنْ حاول أحد منهم أخذ هذه الجوهرة بشيء من الآلات الطوال كالرماح وغيرها وانتهتَ إلى هذا المقدار من الذَّرْع انعكست وعطلت، وإنْ رُميت بشيء كان كذلك، فليس شيء من الحيل يؤدي إلى تناولها بوجه ولا بسبب، وإنْ تعرض لشيء من هَدْم هذا الهيكل مات مَن يروم ذلك. وهذا عند جماعة من أهل الخبرة لقوةٍ دافعةٍ منفردةٍ قد عملت من أنواع الأحجار المغناطيسية. وفي هذا الهيكل بئر مسبعة الرأس متى أَكَبَّ الإنسان على رأس البئر إكباباً متمكناً تهوَّر في البئر فصار في أسفلها على أم رأسه، وعلى رأس هذه البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم أراه بقلم المسند: هذه بئر تؤدي إلى مخزن الكتب وتاريخ الدّنيا وعلوم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما يأتي منه. وتؤدي هذه البئر أيضاً إلى خزائن وغائب هذا

العالم، لا يعمل إلى الوصول إليها والاقتباس منها إلّا مَن وازت قدرته قدرتنا، واتصل علمه بعلمنا، وصارت حكمته كحكمتنا، فمن قدر على الوصول إلى هذا المخزن فليعلم أنّه قد وازانا، ومن عجز عن الوصول إلى ما وصفنا فليعلم أنّا أشد منه بأساً، وأقوى حكمة، وأكثر علماً، وأثقب راية، وأتم عناية، والأرض التي عليها هذا الهيكل والقبة وفيها البئر أرض حجرية صلبة عالية من الأرض كالجبل الشامخ لا تُرام قلعته، ولا يتأتى نقب ما تحته. فإذا أدرك البصر ذلك الهيكل والقبة والبئر وقع للرائي عند رؤيته ذلك جَزَع وحزن واجتذاب للقلب إليه وحنين على إفساده وتأسف على إفساد شيء منه أو هدمه، والله أعلم بذلك.

حكاية في الرأس[١]

قال الرجل المقدم ذكره[٢]، أنّه رأس إنسان صورته عطاردية، على ما يعتقدونه في صور الكواكب. يؤخذ ذلك الإنسان، إذا وجد على الصورة التى يزعمون أنها عُطاردية، بحيلة وغيلة، فيفعل به اشياء كثيرة، منها يقعد في الزيت والبورق مدة طويلة حتى تسترخي مفاصله وتصير في حالة إذا جذب رأسه انجذب من غير ذبح فيما أرى. ولذلك يقال: فلان في الزيت، مثل قديم. هذا إذا كان في شدة، يفعلون ذلك في كل سنة، إذا كان عطارد في شرفه. ويزعمون ان نفس ذلك الإنسان تتردد من عطارد إلى هذا الرأس، وينطق على لسانه ويخبر بما يحدث، ويجيب عما يسئل عنه. لأنهم يزعمون أن طبيعة الإنسان أليق وأشبه بطبيعة عطارد من سائر الحيوان، وأقرب إليه بالنطق والتمييز، وغير ذلك ممّا يعتقدونه فيه. فتعظيمهم لهذا الرأس وحيلتهم فيه وما يعلمونه قبل اخذه عن الجثة وبعد ذلك وما يتخذونه من جثته أيضاً بعد أخذ الرأس عنها، طويلاً مثبتاً في كتاب لهم يلقب بالكتاب الحاتفي[٣]. لهم فيه عجائب من النيرنجات ورُقىً وعقد وصور وتعليقات من أعضاء حيوان مختلفة الأجناس، مثل خنزير وحمار وغراب وغير ذلك، وتدخينات وتماثيل حيوانات تنقش على فصوص الخواتيم، تصلح بزعمهم لفنون. وشاهدت أكثرها منقوشاً على فصوص خواتيمهم إلى هذه الغاية. وسألتهم عنها فزعموا أنهم يصيبونها في قبور موتاهم القديمة يتبركون بها.

---

(١) من كتاب الفهرست للنديم، ج٢، ص٣٦٥-٣٧٨.

(٢) هو أبو يوسف إيشع القَطيعي النَّصْراني.

(٣) في الأصول بغير نقط.

نُسْخة ما قرأته بخط أبي سَعيد وهب بن إبراهيم النَّصْراني[١] من القُرْبانات

يوم الأحد للشَّمْس واسمها ايليوس.

يوم الإثنين للقمر واسمه سين.

يوم الثلاثاء للمريخ واسمه اريس.

يوم الأربعاء لعطارد واسمه نابق.

يوم الخميس للذمشترى واسمه بال.

يوم الجمعة للزُّهَرة واسمه بلثى.

يوم السبت لزحل واسمه قرنس.

معرفة أعيادهم

أول سنتهم نيسان، أول يوم من نيسان والثانى والثالث يضرعون لآلهتهم بلثى وهي الزُّهَرة، يدخلون في هذا اليوم إلى بيت الآلهة جماعة جماعة، متفرقين ويذبحون الذبائح ويحرقون الحيوان أحياء.

ويوم السادس منه يذبحون ثوراً لآلهتهم القمر، ويأكلونه آخر النهار.

ويوم الثامن منه يصومون ويفطرون على لحوم الخراف، ويعملون في هذا اليوم عيدا للسبعة الآلهة، والشياطين والجن والأرواح، ويحرقون سبعة خرفان للسبعة الآلهة وخروفاً لرب العميان، وخروفاً للآلهة الشياطين.

ويوم الخامس عشر منه يعملون سر الشمال وقربان وتشميس وذبائح وإحراقات، ويأكلون ويشربون.

---

(١) كاتب الخليفة المطيع لله.

ويوم العشرين منه يخرجون إلى دير كادي، وهو دير على باب من أبواب حَرّان يسمى باب فندق الزيت، ويذبحون ثلاثة زبرخ، الزبرخ فحل البقر واحداً لقرنس الإله وهو زحل، وواحداً لآريس وهو المريخ، وهو الإله الأعمى، وواحداً للقمر وهو السين الإله، ويذبحون تسعة خرفان، سبعة للسبعة الآلهة، وواحداً لإله الجن، وواحداً لرب الساعات، ويحرقون خرفاناً وديكة كثيرة.

وفي يوم ثمانية وعشرين يخرجون إلى ديرٍ لهم في قرية تسمى سبتى، على باب من أبواب حَرّان يقال له باب السراب، ويذبحون ثوراً كبيراً لهرمس الإله، ويذبحون تسعة خرفان، للسبعة الآلهة ولإله الجن ولرب الساعات، ويأكلون ويشربون، ولا يحرقون في هذا اليوم شيئا من الحيوان.

أيار

أول يوم من أيار يعملون قربان السر للشمال وتشميس، ويشمون الورد، ويأكلون ويشربون.

وفي يوم الثاني يعملون عيداً لابن السَّلام ونذوراً، ويملئون موائدهم كل طرفة وفاكهة وحلواً ويأكلون ويشربون.

حزيران

يوم سبعة وعشرين منه، يعملون تشميس السر للشمال، للإله الذى يطير النشاب، وينصبون في هذا اليوم مائدة ويجعلون عليها سبعة أقسام للسبعة الآلهة للشمال، ويحضر الكمر قوساً فيوترها ويجعل فيها نشابة فيها بوصين في رأسه نار، وهو خشب ينبت في أراضي حَرّان، عليه زئبر تشتعل النار فيه كما تشتعل في الشمع، ويرمي

الكمر اثنى عشر سهماً، ثم يمشي الكمر على يديه ورجليه كما يمشي الكلب، حتى يرد تلك السهام. يفعل ذلك خمس عشرة مرة وهو يقصم أي يتفأل، إنْ طفى ذلك البوصين فعنده أن العيد غير مقبول، وإنْ لم يطفا فقد قبل العيد.

تموز

في النصف منه عيد البوقات، يعنى النساء المبكيات، وهو تاوز، عيد يعمل لتاوز الإله، وتبكى النساء عليه كيف قتله ربه وطحن عظامه في الرحا، ثم ذراها في الريح. ولا تأكل النساء شيئاً مطحوناً في رحا، بل تأكلن حنطة مبلولة وحمصاً وتمراً وزبيباً وما أشبه ذلك.

وفي سبعة وعشرين منه يعمل الرجال سر الشمال للجن والشياطين والآلهة، ويعملون طرموساً كثيراً من دقيق وبطم وزبيب ميس وجوز مقشر، كما يعمل الرعاة، ويذبحون تسعة خرفان لهامان الرئيس أبي الآلهة، وقرباناً لنمزيا. ويأخذ الرئيس من كل رجل منهم في هذا اليوم درهمين، ويأكلون ويشربون.

آب

في ثمانية أيّام منه، يعصرون خمراً حديثاً للآلهة، ويسمونه بأسماء مختلفة كثيرة، ويضحون في هذا اليوم بصبى طفل حين يولد، للآلهة أولى الأصنام. يذبح الصبى ثم يصلق حتى يتهرى ويؤخذ لحمه فيعجن بدقيق السميذ وزعفران وسنبل وقرنفل وزيت، ويعمل منه أقراصاً صغاراً مثل التين، ويخبز في تنور جديد، ويكون لأهل السر للشمال، لكل سنة. ولا تأكل منه امرأة ولا عبد ولا ابن أمة ولا مجنون. ولا يطلع على ذبيحة هذا الطفل وعمله إذا عمل، إلّا الثلاثة كمريين. وما بقى من عظامه وأعضائه وغضاريفه وعروقه وأوراده، يحرقونه الكمريين قرباناً للآلهة.

أيلول

في ثلاثة أيّام منه يطبخون ماء يستحمون به سراً للشمال لرئيس الجن وهو الإله الأعظم، ويطرحون في هذا الماء شيئاً من طرفاء وشمع وصنوبر وقصب وشيطرج. ثم يغلونه، ويجعلون ذلك قبل أنْ تطلع الشَّمْس، ويصبونه على أبدانهم مثل السحرة. ويذبحون في هذا اليوم ثمانية خرفان، سبعة للآلهة وواحداً لإله الشمال، ويأكلون في مجمعهم ويشرب كل واحد سبعة كاسات من خمر. ويأخذ الرئيس منهم لبيت المال من كل رأس درهمين.

وفي يوم ستة وعشرين من هذا الشهر يخرجون إلى الجبل. ويعملون استقبال الشَّمْس وزحل والزُّهَرة. ويحرقون ثمانية فراريج وديوك عتق، وثمانية خرفان. ومن كان عليه نذر لرب البخت يأخذ ديكاً عتيقاً أو فروجاً ويشد في جناحه بوصينا قد أشعل طرفيه بالنار، ويرسل الفروج لرب البخت، فإن احترق الفروج كله فقد قبل نذرة، وإن انطفى البوصين قبل أنْ يحترق الفروج فلم يتقبل منه رب البخت النذر ولا القربان.

وفي يوم سبعة وعشرين ويوم ثمانية وعشرين لهم أسرار وقرابين وذبائح وإحراقات للشمال وهو الرب الاعظم وللشياطين والجن الذين تدبرهم وتوقيهم وتعطيهم البخت.

تشرين الأول

في النصف من هذا الشهر يعملون إحراق الطّعام للموتى، وهو أن يشترى كل واحد منهم من كل شيء يؤكل ممّا وجد في السوق، من صنوف اللحوم والفواكه الرطبة واليابسة، ويطبخون أصناف الطبيخ والحلوى، ثم يحرق جميع ذلك بالليل للموتى، ويحرق مع هذا الطّعام عظم من فخذ جمل، ويجعل ذلك لكلب الموذية حتى لا ينبح على

موتاهم فيفزعون.

ويصبون أيضاً لموتاهم على النار خمراً ممزوجاً ليشربوه كما يأكلون الطّعام المحرق.

تشرين الثاني

يصومون في أحد وعشرين يوما منه، تسعة أيّام آخرها يوم تسعة وعشرين لرب البخت، ويفتون في كل ليلة: الخبز اللين ويخلطون معه الشعير والتبن واللبان والآس الرطب، ويرشون عليه الزيت، ويخلطونه ويبددونه في منازلهم. ويقولون: يا طراق البخت هاكم خبزاً لكلابكم، وشعيراً وتبناً لدوابكم، وزيتاً لسروجكم، وآساً لأكاليلكم، ادخلوا بسلام واخرجوا بسلام، واتركوا لنا أجرة حسنة ولأولادنا.

كانون الأول

في اليوم الرابع منه، ينصبون قبة يسمونها الخدر لبلثى وهي الزُّهَرة الإلهة برقيا، ويسمونها السحمية، وينصبون هذه القبة على الرُّخامة التى في المحراب، ويعلقون عليها أصناف الفاكهة والرياحين والورد الأحمر اليابس والأترج والدستبويه وسائر ما يقدرون عليه من الفاكهة اليابسة والرطبة، ويذبحون الذبائح من كل الحيوان الذي يقدرون عليه من ذوات الأربع والطير، بين يدى هذه القبة، ويقولون هذه ذبائح آلهتنا بلثى وهى الزُّهَرة. يفعلون ذلك سبعة أيّام. ويحرقون أيضاً في هذه الأيّام إحراقات كثيرة من الحيوان للآلهة والإلاهات المستورات البعيدة النائية ونبات الماء.

وفي ثلاثين يوماً منه، رأس شهر رئيس الحمد يجلس في هذا اليوم الكمر على منبر مرتفع يصعد إليه تسع مراقي ويأخذ في يده قضيباً من طرفاء، ويمر به سائرهم فيضرب كل واحد منهم ثلاثة بالقضيب أو خمسة أو سبعة، ثم يخطب خطبة لهم يدعو فيها لجاعتهم بالبقاء وكثرة النسل والإمكان والعلو على جميع الأمم، ويرد دَوْلتهم وأيّام

ملكهم إليهم، وبخراب مسجد الجامع وبخراب كنيسة الرُّوم والسوق المعروفة بسوق النساء، لأن هذه المواضع كانت فيها أصنامهم فقلعها ملوك الرُّوم لما تنصروا، وبإقامة دين عزوز التي كانت في مواضع هذه الأشياء التس وصفنا. ثم ينزل عن المنبر فيأكلون من الذبائح ويشربون، ويأخذ الرئيس من كل رجل في هذا اليوم لبيت ماهم درهمين.

كانون الثاني

في أربعة وعشرين يوماً منه، ميلاد الرب الذى هو القمر، يعملون فيه سراً للشمال، ويذبحون الذبائح ويحرقون ثمانين حيواناً من ذوات الأربع والطير، ويأكلون ويشربون ويوقدون الداذى، وهو قضبان الصنوبر للآلهة والإلاهات.

شباط

يصومون فيه سبعة أيّام أولها يوم التاسع منه، وهذا الصوم للشَّمْس وهى الرب العظيم رب الخير، ولا يأكلون في هذه الأيّام شيئاً من الزفر ولا يشربون الخمر ولا يصلون إلّا للشمال والجن والشياطين.

آذار

يصومون يوم الثامن منه ثلاثين يوماً للقمر، وفي عشرين منه، يقسم الرئيس خبز شعير على جماعتهم لأريس الإله وهو المريخ، وفي ثلاثين يوماً منه، رأس شهر التمر، أعني القسب، وهو عرس الإله والإلهات، ويقسمون فيه القسب ويكحلون فيه أعينهم ويدعون تحت المخاد التى تحت رؤوسهم في الليل سبع قسبات باسم السبعة الآلهة وكسرة خبز وملح للإله الذى يمس البطون. ويأخذ الرئيس من كل واحد منهم لبيت المال درهمين.

ويخرجون في كل يوم سبعة وعشرين من الشهر، أعني شهر الهلال إلى دير لهم يعرف بدير كادي، فيذبحون ويحرقون إحراقات لسين الإله وهو القمر ويأكلون ويشربون.

ويخرجون في يوم ثمانى وعشرين إلى قبة الأجر، ويذبحون ويحرقون خروفاً وديوكاً وفراريج كثيرة لهرمس الإله وهو المريخ.

وإذا أرادوا أن يذبحوا ذبيحة كبيرة مثل الزبرخ وهو فحل البقر، أو خروف، يصبون عليه الخمر وهو حي فإن انتفض قالوا: هذا قربان يتقبل، وإنْ لم ينتفض قالوا: الإله غضبان لا يقبل هذا النذر. وسبيلهم في الذبيحة من أي الحيوان كان، أنْ يقطعوا رأسه دفعة واحدة، ثم يتأملون عينيه وحركتهما وفمه واضطرابه وكيف يختلج، فيزجرون عليه ويقصمون ويتفاءلون بما يحدث ويكون.

وإذا أرادوا إحرق الحيوان الكبير مثل البقر والغنم والديوك وهي أحياء، يعقلونها بكلاليب وسلاسل ويمده جماعة منهم على النار من كل ناحية حتى يحترق، وذلك عندهم القربان الكبير الذي يجمع الآلهة والإلهات ويذكرون أن هذه النجوم السبعة التى هي الآلهة، ذكور وإناث، وأنها تتناكح وتعشق بعضها بعضاً، وأنها تنحس وتسعد.

فهذا آخر ما كتبناه من خط أبي سَعيد وهب.

ومن خطّ غيره في أمرهم من آلهة الحرنانيين

رب الآلهة، الرب الأعمى المريخ، روحاً شريراً. بيل شيخ الوقار. فسفر؟ الحبر الكامل، قوسطير، الشيخ المنتخب، ذات جناح الريح. صارح، ابنة الفقر التى خرج هؤلاء من بطنه، وحباب الفارسية أمهم التى كان لها ستة أرواح شريرة، وكانت توجه بهم إلى ساحل البحر. اقورم ربة الثل التي قيلت تمورا، ارو الرب، بلثى الإلهة.

فأما ربة الثل التي جعلت تحفظ المعزى المحرمات التي لم يطلق لأحد منهم بيعهن، بل يقربونها ذبائح، ولا تقربهن امرأة حامل ولا يدنون منهن.

ومن آلهتهم صنم الماء الذى سقط بين الآلهة في أيّام اسطه وطرينقوس، وخرج زعموا هارباً قاصداً إلى بلد الهند، وخرجوا في طلبه وسألوه وتضرعوا إليه أن يرجع ولا يتأخر، فقال لهم: إني لا أدخل بعدها مدينة حَرّان، ولكني أجيء إلى ها هنا، ومعنى ها هنا بالسريانية كاذا، وهو ممّا يلي الشرق من حَرّان، وأتعهد مدينتكم وأفاضلكم وردهم، فهم إلى يومنا هذا يخرجون في كل عشرين يوماً من شهر نيسان، الرجال والنساء معاً يتوقعون ورود صنم الماء وقدومه عليهم، ويسمى المكان، كاذا.

ومن طرائف ما لهم أنهم يحتفظون بالجناح الأيسر من الفراريج التي تكون في سر بيت الآلهة، الرجال، يعرقونه على الاستقصاء ويعلقونه في أعناق الصبيان، وقلائد النساء، وعلى أوساط الحوامل. ويزعمون أن هذا حفظ وحرز عظيم.

وقال الثقة: وقد كان فيهم قديماً مقالات وبدع ولا أعلم اهى فيهم اليوم أم لا. منها أن طائفة منهم يسمون الروفسيين، كانت نساؤهم لا يلبسن ولا يتحلين بذهب البتة ولا يلبسن خفاً أحمر، وكان لهم في كل سنة يوم يضحون فيه الخنزير، ويقربون لآلهتهم، وكانوا يأكلون في ذلك اليوم كل ما وقع في أيديهم من لحوم الخنازير، وطائفة أخرى مذهبهم أن يلزموا بيوتهم، ويحلقون رؤوسهم بالمواسي أو بالنورة. وكان فيهم نسوة إذا هن تروجن الأزواج يحلقن رؤوسهن على مثل ذلك.

تاريخ رؤساء الصابئين الحرّانيين الذين جلسوا على كرسى الرياسة في الإسلام منذ عهد عبد الملك بن مروان وذلك في سنة أربع وألف للإسكندر

أولهم ثابت بن احوسا، رأس أربع وعشرين سنة. ثابت بن طبون، رأس ست عشرة سنة. ثابت بن قرثيا رأس سبع عشرة سنة. ثابت بن إيليا، رأس عشرين سنة. قرة بن ثابت بن إيليا، رأس إحدى وعشرين سنة. جابر بن قرة بن ثابت، رأس عشرة سنين. سنان بن جابر بن قرة بن ثابت بن إيليا، رأس تسع سنين. عمروس بن طيبا، رأس سبع عشرة سنة. ميخائيل بن اهر بن بقراريس، رأس ثلاث عشرة سنة. وتقين بن قصرونا، رأس خمس سنين. مغلس بن طبيبا، رأس خمس سنين عثمان بن مالي، رأس أربع وعشرين سنة. قرة بن الأشتر، رأس تسع سنين. القاسم بن القوقاني، رأس تسع سنين، وكان هذا الرجل (أعني القاسم) مسافراً ثم عاد فرأس أربع سنين. قسطا بن يحيى بن زونق، رأس اثنتين وأربعين سنة. وبعد هؤلاء ممّن لم يجلس على كرسي، وكان مطاعاً يجري مجرى الرؤساء، سعدون بن خيرون من بنى هرقليس، حكيم بن يحيى من بني هرقليس.

حكاية أخرى في أمرهم

وقع إليّ جزءٌ قد نقله بعض النقلة من كتبهم، ويحتوى على أسرارهم الخمسة. فأما أول السر الأول فسقط منه ورقة، وآخر كلمات فيه هذه الكلمات بلفظ الناقل، كالخروف في القطيع والعجل في الباقر وكحب اثه؟ (كذا) الرجال المعزمين الرعفانيين الاقربائين المرسلين إلى بيت البغداريين، ربنا القاهر ونحن نسره.

فأول السر الثاني، هو سر الأبالسة والأوثان، فمن كلامهم، يقول الكاهن: لأحد الغِلْمان، أليس الذي أعطيتني قد أعطيته، وما سلمت إلى منه فقد سلمته، فيجيب

فيقول: للكلاب والغربان والنمل، فيجيب قائلاً له: وما الذى يجب علينا للكلاب والغربان والنمل، فيجيب قائلاً: ياكمراه إنهم إخواننا والرب للقاهر ونحن نسره.

وآخر السر الثاني، أيضاً كالخراف في الغنم والعجاجيل في البقر، ومثل حداثة الرجال الرعن الافراريين الداخلين في بيت البوغداريين، بيت القاهر ونحن نسره.

أول السر الثالث، ويقول أيضاً: انتم بنو البوغداريين أي القول والنظر، فيجيب مَن اتفق ويقول من خلفه نحن ناصتون.

وآخر السر الثالث، وقد يتظهر مثل الخراف والغنم والعجاجيل في قطيع البقر، ومثل حداثة الرجال يترددون إلى بيت البوغداريين ربنا القاهر ونحن نسره.

وأول السر الرابع، يقول الكاهن: من بعد ذلك يا بني البوغداريين كونوا سامعين فيجيب من خلفه مَن اتفق قائلا: نحن ناصتون فينادى كونوا ناصتين فيجيبون قائلين: نحن سامعون.

وآخر السر الرابع، المترددين إلى بيت البغداريين ربنا القاهر ونحن نسره.

وأول السر الخامس، يقول الكاهن: يا بني البوغداريين كونوا سامعين فيجيبون قائلين: نحن راضيون فيقول: كونوا ناصتين فيجيبون ايضا قائلين: نحن سامعون فيبتدى قائلاً: وأبى فانى قائل ما أعلم وما أقصر عنه.

وآخر السر الخامس، المتوجهين إلى بيت البوغداريين ربنا القاهر ونحن نسره.

قال صاحب الكتاب: وعدد الأمثال التي تُقال من الكاهنة في هذا البيت في هذه السبعة الأيّام، اثنان وعشرون مثلاً تقال فيهم على سَبيل أحدوثة تنشد وترتل.

فأما الغِلْمان الذين يترسمون بالدخول إلى هذا البيت فإنهم يقيمون فيه سبعة أيّام، يأكلون ويشربون، ولا تنظر إليهم امرأة في هذه السبعة الأيّام. ويأخذون الشراب من السبعة الكاسات المصفوفة التي يسمونها يسورا، ويمسحون ذلك الشراب على

أعينهم، ومن قبل أن يقولوا أو يلفظوا بشيء يطعمونهم خبزاً وملحاً من تلك الا كأس، ومن تلك القرص والفراريج. وفي اليوم السابع فإنهم يأكلونه عن آخره. وقد يكون أيضاً في ذلك البيت قدس من شراب موضوعاً في زاوية ويسمونه فاعاً فيقولون لرئيسهم: فيقرأ مبدع يا كبيرنا، فيجيب قائلا: لتملأ الإجانة مسطيراً انتقطا الوتر، فهو سر السبعة الغير مقهور.

قال مُحمّد بن إسحاق النديم: الناقل لهذه الأسرار الخمسة كان عفطياً غير فصيح بالعربية، أو أراد بنقلها على هذا النسيج والردائة، الصدق عنهم والتحرى لألفاظهم، فتركها على حالها في بعد الائتلاف وتقطع الكلام.

وقد كان هارون بن إبراهيم بن حماد بن إسحاق القاضي[1]، لما كان يلي حَرّان وأعمالها القضاء وقع إليه كتاب سرياني فيه أمر مذاهبهم وصلواتهم، فأحضر رجلاً فصيحاً بالسريانية والعربية، ونقله له بحضرته من غير زيادة ولا نقصان. والكتاب موجود كثير بيد النّاس. وأحسب هارون بن إبراهيم حمله إلى أبي الحسن علي بن عيسى[2]. وفي ذلك الكتاب أمرهم مشروح، فلينظر فيه فإنه يغني عن كثير من الكتب المعمولة في معناه.

---

(١) عنه، انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السَّلام، ج١٦، ص٤٥.

(٢) أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الكاتب، وزير الخليفة المقتدر والخليفة القاهر. توفي سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م. الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السَّلام، ج٤، ص٣١٧.

هياكل الصّابئة[1]

كانت لهم هياكل وأصنام بأسماء الشَّمْس معلومة الأشكال، كما ذكرها أبو معشر البَلْخي في كتابه في بيوت العبادات مثل هيكل بعلبك، كان لصنم الشَّمْس وحَرّان، فإنها منسوبة على القمر وبناؤها على صورته كالطيلسان، وبقربها قرية تسمى سلمسين، واسمها القديم صنم سين، أي: صنم القمر، وقرية أخرى تسمى ترع عوز، أي: باب الزُّهَرة، ويذكرون أن الكعبة وأصنامها كانت لهم وعبدتها كانوا من جملتهم، وأن اللات كان باسم زحل والعزى باسم الزُّهَرة، ولهم أنبياء كثيرة أكثرهم فلاسفة يونان كهرمس المصري، وأغاذيمون وواليس وفيثاغورس وبابا وسوار جد أفلاطون من جهة أمه، وأمثالهم، ومنهم من حرم عليه السمك خوفاً أن يكون رَعّادة والفرخ لأنّه أبداً محموم والثوم لأنّه مصدع محرق للدم، أو المني الذي منه قوام العالم، والباقلاء، فإنه يغلظ الذهن ويفسده، وأنّه في أول الأمر إنما نبت في جمجمة إنسان. ولهم صلوات ثلاث مكتوبات أولها عند طلوع الشَّمْس ثماني ركعات، والثانية قبل زوال الشَّمْس عن وسط السماء خمس ركعات، والثالثة عند غروب الشَّمْس خمس ركعات، وفي كل ركعة في صلواتهم ثلاث سجدات، ويتنفلون بصلاة في الساعة الثانية من النهار، وأخرى في التاسعة من النهار، وثالثة في الساعة الثالثة من الليل، ويصلون على طهر ووضوء، ويغتسلون من الجنابة، ولا يختتنون إذ لم يؤمروا بذلك زعموا، وأكثر أحكامهم في المناكح والحدود مثل أحكام المسلمين، وفي التنجس عند مس الموتى وأمثال ذلك شبيهة بالتوراة، ولهم قرابين متعلقة بالكواكب وأصنامها وهياكلها وذبائح يتولاها كهنتهم وقانتوهم.

---

(١) من كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبي الريحان البيروني، ص٢٠٥-٢٠٦.

ذكر بيوت الصّابئة[1]

وكانت للصّابئة هياكل، منها هيكل العلّة الأولى، وهيكل العقل، وهيكل الصورة، وهيكل النفس، مستديرات الأشكال، وهياكل الكواكب والنّيرين على أشكال مختلفة من التسديس والتربيع والتثليث، وكانت لهم فيها دخن وقرابين يطول وصفها. والذي بقي من هياكلهم المعظّمة الآن:

بحرّان بيت في باب الرقّة يعرف بمغليتيا، وهو هيكل آزر أبي إبراهيم، ولهم في آزر وابنه كلام كثير. وتحته سراديب أربعة لأنواع صور الأصنام التي على صور الأشخاص السّمائية وما ارتفع عن ذلك من الأجسام العلويّة وما يظهر من أنواع أصواتها وفنون لغاتها بحيل قد اتّخذت ومنافخ قد عملت ومخاريق قد وصلت، تقف السّدنة من وراء الجدار وتتكلّم بأنواع الكلام فتجري الأصوات في تلك المنافخ والمخاريق إلى تلك الصور المجوّفة، فيظهر منها نطق على حسب ما دبّر في قديم الزمان على هيئة كيفيّة هندسته. والصّابئة حشوية الفلاسفة وإنّما يضافون إلى الفلسفة إضافة وليس كلّ يوناني حكيماً.

وعلى باب مدينة حرّان مكتوب بالسّريانية قول أفلاطون وهو: من عرف ذاته تألّه. وهذا يشبه قوله: الإنسان نبات سماوي. ولأفلاطون كلام في النفس كثير: هل النفس في البدن أو البدن في النفس؟ كالشَّمْس: هل هي في الدار أو الدار في الشَّمْس؟ وكيف انتقالها من جسد إلى جسد بالتدبير وبطلان ذلك الشّخص الذي تنتقل عنه وهي في ذاتها لا تفسد ولا يستحيل جوهرها؟

---

(١) من كتاب المسالك والممالك للبكري، ج١، ص١٧٣.

والصّابئة من الحرّانيين يقرّبون في بعض قرابينهم في وقت ما ثوراً أسود تسدّ عيناه ثمّ يضرب وجهه بالملح ثمّ يذبح ويراعى كلّ عضو من أعضائه، وما يظهر من الاختلاج والحركات فيكون ذلك دليلا على أحوال السّنة. ولهم في قرابينهم أسرار ومخبّآت.

صحيفتا إدريس[1]

رأيت صحيفتين من صُحف الصابئين ولكنها عن إدريس.

الأولى منهما (**صحيفة الصّلاة**). فمنها:

أنت الأزلي الذي ترتبط به الرياسات رب جميع المكونات المعقولات والمحسوسات رئيس البرايا، وراعي العوالم رب الملائكة ورؤساء الملائكة، منك تنزلت العقول إلى مدبري الأرض، لأنك السبب الأول، أحاطت قدرتك بالكل وأنت الوحدانية التي لا تحد ولا تدرك، مدبر سلاطين السماء، وينابيع النور الدائمة الإنارة، أنت ملك الملوك، الآمر بالخيرات كلها، المتقدم لكل شيء بالوحي والإشارة منك تنبث المخلوقات، وبرمزك ينتظم العالم بأسره، ومنك النور وأنت العلة القديمة السابقة لكل شيء نسألك أن نزكي نفوسنا ونوفقها لاستحقاق نعمتك الآن، وفي كل أوان إلى الأبد يا ظاهراً متعالياً عند كل دنس أحلل عقالنا وعافنا من كل مرض، وبدل أحزاننا أفراحاً بك نعتصم ومنك نخاف نسألك أن توفقنا لتمجيد عظمتك التي يشار إليها، ولا ينطق بها منك الكل، وبك يستنير الكل، وأنت رجاء العالمين، ومعين النّاس أجمعين.

وفي هذه الصحيفة عبارة فلسفية لا يجوز في ديننا إطلاقها على الباري سبحانه وتعالى عما لا يليق بجلاله.

والثانية (**صحيفة الناموس**) فمنها:

لا يجرين أحد منكم في معاملة أخيه إلى ما يكره أن يعامل بمثله، وإيّاكم والتفاخر والتكاثر، لا تحلفوا بالله كاذبين، ولا تهجموا على الله باليمين، واعتمدوا الصدق حتى

---

(١) من كتاب تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٦٩-٧٠.

يكون نعم من قولكم نعم، ولا لا، وتورعوا في تحليف الكاذبين بالله جل ذكره، فإنكم تشركونهم في الإثم، إذا علمتم منهم الحنث، وليكن الأسر في نفوسكم إن تكلوهم إلى الله عالم السرائر فحسبكم به من حاكم يعدل وناطق يفصل لا تلهجوا بهجر الكلام وسوء المقال، ولا تتفاوضوا الأضاليل والأباطيل، ولا تكثروا الهزل والضحك والهمز واللمز، لا تبدر منكم عند الغضب كلمة الفحش، فإنها ترديكم العار والمنقصة، وتلحق بكم العيب والهجنة، وتجر عليكم المآثم والعقوبة، من كظم غيظه وقيد لفظه ونظف منطقه وطهر نفسه فقد غلب الشر كله، استشعروا الحكمة، وابتغوا الدِّيانة، وعودوا نفوسكم الوقار والسكينة، وتحلوا بالآداب الحسنة الجميلة، ترووا في أموركم، ولا تعجلوا، ولا سِيَّما في مجازاة المسيء، إن تكن من أحدكم فرطة، وارتكب منكرة، فليقلع عنها، ولا تحمله السَّلامة منها على المعاودة لها، فإنها إن سترت عليه في الدّنيا فإنه يفتضح بها على رؤوس الأشهاد يوم الدين.

وهما طويلتان.

* * *

وللصابئين عبادات منها سبع صلوات، منهن خمس توافق صلواتنا، والسادسة الضحى، والسابعة في تمام الساعة السادسة من الليل، ولصلاتهم نية، ولا يخلطها المصلي بشيء من غيرها، ولهم الصّلاة على الميت بلا ركوع ولا سجود، ويصمون ثلاثين يوماً، وإن نقص الهلال صاموا تسعاً وعشرين، يراعون في فطرهم وصومهم الهلال، بحيث يكون الفطر، وقد دخلت الشَّمْس للحمل، ويصومون من ربع الليل الآخر إلى غروب قرص الشَّمْس، ولهم أعياد عند نزول الكواكب الخمسة المتحيرة بيوت أشرافها، والمتحيرة: زحل والمشتري والمريخ والزُّهَرة وعطارد، ويعظمون بيت مكة،

وبظاهر حَرّان مكان يحجونه، ويقولون إن أهرام مصر أحدهما قبر شيث بن آدم، والآخر قبر إدريس، وهو خنوخ، والآخر قبر صابىء بن إدريس الذي ينتسبون إليه، ويعظمون يوم دخول الشَّمْس الحمل، فيتزينون ويتهادون فيه.

قال ابن حزم: الدين الذي انتحلوه أقدم الأديان على وجه الدهر، والغالب على الدّنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث، فبعث الله إليهم إبراهيم خليله عليه السَّلام بالدين الذي نحن عليه الآن.

قال الشهرستاني: والصابئون يقابلون الحنيفية، ومدار مذهبهم التعصب للروحانيين، كما أن مدار مذهب الحنفاء التعصب للبشر الجسمانيين.

الصّابئة[1]

وفي مدينة حَرّان مجمع الصابئين، وقد درج أكثرهم وبقيت إلى اليوم منهم هناك بقية، وأخبر من رأى بقيتهم وذكر أنهم يستقبلون الكعبة في صلاتهم كما يستقبل المسلمون، وذكر أنهم من ولد صاب بن طاط بن خنوخ، كان من أهل الحكمة والفلسفة والعلم بالنجوم، وهو أول من نزل بابل واتخذ بها هيكلاً، وكان فيه كاهن يسمى كرمن ومعناه بلسانهم العالم الكبير، ووضع لأهل العصر نواميس يعملون بها وأحكاماً ينتهون إليها، وكان قد أحكم في الصقع الذي كان نازلاً به من أرض بابل بناء بطالع قد ارتصده ووقت قد اختاره، وأثبت فيه من غوامض العلوم ما بقي أثره للصابئة، ونقش بلاطات الهيكل بضروب الصناعات وصور فيها جميع المهن وصور أهلها، وسن للصابئة أن متى أدرك لأحدهم ابن وصلح أن يتصرف، أتى به والداه إلى ذلك الهيكل وقربا عنه فيه قرباناً ومشى الغلام داخل الهيكل، فإذا كان عند الصباح وفرغ أهل الهيكل من ناموسهم قصد به السادن إلى تلك البلاطات المزبور فيها جميع المهن وأراه إيّاها، فما مالت إليه نفس الغلام من هذه الصناعات والمهن أمر أبويه أن يسلماه فيها فيحذق في تلك الصناعة.

وكان لهم في القرابين أشياء أحدثها لهم صاب من جملة ما يقربونه في صلاتهم وتقديسهم من أمور وضعها لهم صاب وهي تهليل وتحميد وتسبيح، ولم يزالوا برهة من زمانهم جارين على ما وضع لهم من ذلك وعاملين بما نهج لهم إلى أن انبعث فيهم مركيون فأحدث لهم أشياء وحَدَّ لهم حدوداً ومال بهم نحو الكواكب، فابتدع لهم

---

(١)من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري، ص١٩١-١٩٢.

ضروباً من الهياكل ونصب فيها أصناماً ووقت لهم في الصلوات أوقاتاً، وهيئة صلاتهم هو أن يدخل الهيكل وقد وضع يديه معاً على صدره ثم يستقبل القبلة عليه لباس من صوف القرابين، ثم يبسط يديه معاً مادهما وجامعاً بينهما، ثم يسجد برأسه قائماً ويزمزم، ثم يمشي القهقرى خطى يسيرة ويخرج.

وهم يجمعون في مواقيت صومهم ومناسكهم بين الشهور الشَّمْسية والقمرية، ويسمون الشهر الهلالي بما يتفق أن يقع فيه من شهور السِّرْيانيين، فيقولون: هلال تشرين الأول، هلال تشرين الثاني، وكذلك في جميعها، ويكبسون في ثلاث سنين شهراً ويجعلونه نصف آذار ويسمونه هلال آذار الثاني فتصير شهور تلك السنة ثلاثة عشر شهراً من أجل الأحد عشر يوماً وربع التي بين الشَّمْسية والقمرية.

* * *



الكشافات العامة(*)

(*) هذه الكشافات لا تشمل المقدمة، ولا الهوامش، ولا الملاحق.



القرآن الكريم

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الآية ٦] ج٢: ٢١١

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [الآيتين ٩، ١٠] ج٢: ٢٢٧

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الآية ٥٨] ج٢: ٣٥، ٢٢٧

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [من الآية ٥٨] ج٢: ١٢٢، ٢١٥

﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ [من الآية ٥٨] ج٢: ٢٢٦

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [من الآية ٥٩] ج٢: ١٥٣، ١٥٨، ١٨٨، ١٩٤

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [من الآية ٥٩] ج٢: ٢٢٩

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [من الآية ١٠٣] ج٢: ٢٨، ١١٥، ١٨٨، ١٩٤

﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [من الآية ١٠٣] ج٢: ٢٢١

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [الآية ١٠٥] ج٢: ٦٢، ٢٢١

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الآيتين ١٠٥-١٠٦] ج٢: ٢٣٨

﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [الآية ١٠٧] ج٢: ٦٥

﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [من الآية ١٢٣] ج٢: ٣٣

﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [من الآية ١٢٨] ج٢: ٥٢

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الآية ١٣٥] ج٢: ٨١

﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [من الآية ١٣٥] ج٢: ٢٠٩

سورة المائدة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [من الآية ١] ج٢: ٣١، ١١٨، ٥٣٩

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [من الآية ٢] ج٢: ٣٦، ٦٦، ١٢٣، ٢١٣

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [من الآية ٢] ج٢: ٢٢٤

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [من الآية ٨] ج٢: ٦٤

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية ٣٣] ج٢: ١٢١

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [من الآية ٤٤] ج٢: ٣٩، ٦٧، ٢١٤

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [من الآية ٤٧] ج٢: ٢٢٩

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [من الآية ٧٩] ج٢: ٣٤

﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [من الآية ٩٠] ج١: ٤٨

سورة الأنعام

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [من الآية ١٦٤] ج١: ٨٥

سورة الأعراف

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الآية ٥٨] ج٢: ١٢٤

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [من الآية ٨٥] ج٢: ٢١٢

سورة الأنفال

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [من الآية ٢٥] ج١: ٨٥، ج٢: ١٥٩، ٢٧٣

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [من الآية ٤٦] ج٢: ٢٥٣

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الآية ٥٨] ج٢: ٦٦، ٢١٣

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [من الآية ٦٠] ج١: ٤٨، ج٢: ٣٩، ١٢٧

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [من الآية ٦١] ج٢: ٣٢

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [من الآية ٦٣] ج١: ٧٦

﴿ وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [من الآية ٧٥] ج٢: ٢٤٢

سورة التوبة

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [الآية ١٨] ج٢: ١١٥، ١٩٣، ٢٠٢، ٢٣٥

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الآية ٦٠] ج٢: ١٢٦

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الآية ١١١] ج١: ٤٦، ج٢: ٣١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الآية ١١٩] ج٢: ٢٩، ٦١، ٦٥، ١٩٧، ٢٠٥، ٢١٢

﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [من الآية ١١٩] ج٢: ١١٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الآية ١٢٣] ج١: ٤٧

سورة يونس

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [من الآية ٥] ج٢: ٩١

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [من الآية ٢٣] ج١: ٤٣٤، ٤٤٧

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [من الآية ٨١] ج١: ٣٧

﴿لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [من الآية ٨١] ج١: ٩٧

سورة يوسف

﴿لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [من الآية ٥٢] ج١: ٣٧

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [من الآية ٥٢] ج١: ٩٧

سورة إبراهيم

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [من الآية ٧] ج٢: ٥٣

سورة النحل

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [الآية ١٢٨] ج١: ص٨

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [الآية ١١٢] ج١: ١٨،

سورة ص

﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [من الآية ٣] ج٢: ٦٠٣

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [من الآية ٢٦] ج٢: ٢٦

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [من الآية ٢٦] ج٢: ٣٧

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[الآية٢٦] ج٢: ٨٠، ١٢٢، ٢٢٣، ٢٣٨

سورة الزمر

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [من الآية ٧٥] ج١: ٣١٩

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [من الآية ٧٥] ج١: ٣٣١

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الآية ٣٠] ج٢: ٦

سورة غافر

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [من الآية ١٤] ج١: ٢٤

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [الآية ١٩] ج٢: ٦٤٠

سورة فصلت

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [من الآيتين ٤١، ٤٢] ج٢: ٧٩، ١١٤، ١٩١، ١٩٨، ٢٢١، ٢٣٧

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [الآية ٤٢] ج٢: ٢٧، ٦١

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية ٣٣] ج٢: ١٩٢

سورة الشورى

﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [من الآية ١٣] ج٢: ١٥٣

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [من الآية ٢٣] ج١: ص٦

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [من الآية ٢٣] ج٢: ١٩٩

سورة الزخرف

﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [من الآية ١٩] ج٢: ٦٤، ٢١١

سورة الفتح

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [من الآية ١٠] ج٢: ١١٨

سورة الحجرات

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الآية ٦] ج٢: ٨١

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ [من الآية ٩] ج١: ٢٢١

الحديث النبوي الشريف

الأعلام

الأقوام والجماعات والطوائف والملل

الأماكن والبلدان

الوظائف والألقاب والمصطلحات الحضارية

الكتب الواردة في متون الرَّسائل

الأمثال

فهرس الشعر

صدر البيت	قافيته	بحره	قائله	عدد الأبيات	الصفحة
ولَعمري	النساءَ	خفيف	البحتري	١	ج١: ٦١٥
ما أمَلي	بمَكْذوبِ	رمل	البحتري	٤	ج٢: ٥١٤
كلّ شِعْبِ	أديبِ	رمل	أبو تمام	٢	ج٢: ٥٦٩
سُمِّيتَ	والحِقَبُ	بسيط	الصّابي	٥	ج٢: ٤٧٨
ولستَ بمُسْتَبْقٍ	المهذّبُ	طويل	النابغة الذبياني	١	ج٢: ٦٠٦
أعيذك	انسكابا	وافر	الصّابي	٢٥	ج١: ٥٩٩
ولمّا التقَيْنا	مطالِبُهْ	طويل	الصّابي	٤	ج٢: ٥٦٩
إنّا مَدَحْناك	ممدوحُ	بسيط	الصّابي	٦	ج٢: ٣٥٥
يُريغُ	فنصطلحُ	بسيط	البحتري	١	ج٢: ٥٣٠
تهنّأ	وَعْدِ	طويل	الصّابي	٧	ج١: ٥٢٣
سُؤالنا	العَضُدِ	بسيط	الصّابي	٢	ج١: ٦٠١
وليس	واحدِ	رمل	أبو نؤاس	١	ج٢: ٦٧٠
مُحَمّدٌ	مَسدودُ	بسيط	الصّابي	٩	ج٢: ٤٨٢
....لّ	السَّعيدا	مجزوء الرمل	الصّابي	٩	ج١: ٥٢٠
تَعـوَّدتُ	الصَّبْرَ	طويل	أبو العتاهِية	١	ج٢: ٤٨٥
يعزّ	نُضارُ	وافر	الصّابي	١٨	ج١: ٥١١
فإنْ أنا	فَجْرُ	طويل	الصّابي	٣	ج٢: ٥٤٢
فمَن لِيَ	تَنْظُرُ	طويل	أبو العتاهِية	١	ج٢: ٥٥٣
هُمُ كتموني	وبَكّروا	طويل	العباس بن الأحنف	١	ج٢: ٥٦٨
بغاث	نزور	وافر	مختلف النسبة	١	ج١: ٦٢٦
المرءُ	رَمْسِهِ	كامل	أبو فراس	٢	ج١: ٦٢٥
قد كنتُ	أعْطُو	مجزوء الرمل	الصّابي	٨	ج٢: ٥٦٣

صدر البيت	قافيته	بحره	قائله	عدد الأبيات	الصفحة
ما أنْ	طائعِ	الرجز	إبراهيم بن المهدي	١	ج١: ٣٧٩
بعثُ	المتاعِ	مجزوء الرمل	الحداد المهدوي	١	ج٢: ٥٧٤
وفرسان	دروعُها	طويل	البحتري	٣	ج١: ٣٢١
فإن كانت	تقشع	طويل	مختلف النسبة	١	ج٢: ٢٩٠
أيا ربّ	بصَديقِ	طويل	الصّابي	٧	ج٢: ٥٢٩
لسانيَ	مُوثَقُ	طويل	الصّابي	٢	ج٢: ٤٧١
مُرجّيك	يهنّيكا	هزج	الصّابي	٤	ج١: ٥٠٦
هَلِ المجدُ	نَوالِكا	طويل	الصّابي	٢٣	ج٢: ٤٩٨
مرحباً	نُعْماكا	رمل	الصّابي	١	ج٢: ٥١٧
أيُّهذا	دونَكْ	متدارك	الصّابي	٢	ج٢: ٤٧٣
قلْ للهُمام	الجليلِ	مجزوء الرجز	الصّابي	٧	ج١: ٢٨١
فوق	نزلوا	الكامل	المتنبي	١	ج١: ٤٩٤
يقولُ	ونَوازلُ	طويل	الصّابي	٧	ج٢: ٥٣٨
قد نابَ	البهْمُ	بسيط	المتنبي	١	ج١: ٢٧٨
يُهدي	قَلَمُهْ	بسيط	الصّابي	٧	ج١: ٥١٧
وما كنتُ	أجْذَما	طويل	المتلمس	٢	ج١: ١١٦
لعَمْري	مُتَقسّما	طويل	الصّابي	٣	ج٢: ٣٥٣
نعمَةُ الله	تدوما	متدارك	أبو تمام	٢	ج٢: ٤٩٣
وقد تخرجُ	ضَنينِ	طويل	أعرابي	١	ج٢: ٥٣٣، ٥٧٤
أيا جَبلاً	حِصْنِ	طويل	الصّابي	٩	ج٢: ٥٣٧
دخلتَ	مُمتَحنِ	طويل	الصّابي	٣	ج٢: ٥٤٧
أهدي	دِرْهمَيْنِ	مجزوء الكامل	الصّابي	٣	ج١: ٥١٥
شَفَيْتُ	شَفانِي	وافر	قيس بن زهير	٢	ج١: ١١٧
وقَدْ يجمع	تلاقيا	طويل	قيس بن الملوح	١	ج٢: ٥١٩

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١. **الآبي**، أبو سعد منصور بن الحسين الرازي (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م). **نثر الدرّ في المحاضرات**، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤.

٢. **ابن الأثير**، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق أحمد الحوفي وآخر، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٣.

٣. **ابن الأثير**، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧.

٤. ــــــــــــ. **اللباب في تهذيب الأنساب**، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٥. **ابن الأثير**، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م). **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩.

٦. **الإدريسي**، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمّودي (ت٥٦٠هـ/ ١٢٥٢م). **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٧. **ابن اسفنديار**، بهاء الدين محمد بن حسن الكاتب (ت٦١٣هـ/ ١٢١٦م). **تاريخ طبرستان**، تصحيح عباس إقبال، چاب دوم، انتشارات بديدة (خاور)، طهران، ١٣٦٦.

٨. **الإسنوي**، عبد الرحيم بن الحسن بن علي (ت٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م). **نهاية السول شرح منهاج الوصول**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

٩. **الاصطخري**، إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). **مسالك الممالك**، باعتناء دي خويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧.

١٠. **الأصفهاني**، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد المرواني الأموي القرشي (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م). **الأغاني**، تحقيق سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

١١. **الأصبهاني**، أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف البغدادي (ت٢٩٧هـ/ ٩٠٩م). **الزهرة**، تحقيق إبراهيم السامرائي ونوري القيسي، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، الزرقاء / الأردن، ١٩٨٥.

١٢. **ابن أبي أصيبعة**، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م). **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

١٣. **ابن الإفليلي**، أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري (ت٤٤١هـ/ ١٠٤٩م). **شرح شعر المتنبي**، تحقيق مصطفى عليان، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢.

١٤. **الأنطاكي**، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٧م). **تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس / لبنان، ١٩٩٠.

١٥. **البحتري**، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م). **ديوان البحتري**، باعتناء عبد الرحمن البرقوقي، الطبعة الأولى، مطبعة هندية، القاهرة، ١٩٢١.

١٦. **ابن بسام**، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م). **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا/ تونس، ١٩٧٨-١٩٨١.

١٧. **البصري**، أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م). **الحماسة البصرية**، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

١٨. **البعلي**، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م). **المطلع على ألفاظ المقنع**، تحقيق محمود الأرناؤوط وياسين الخطيب، الطبعة الأولى، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ٢٠٠٣.

١٩. **البكري**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م). **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢.

٢٠. **البلاذري**، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). **أنساب الأشراف**، مختلف المحقق، مختلف سني النشر.

٢١. ــــــــــــــ. **فتوح البلدان**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨.

٢٢. **البَلَوي**، محمد بن أحمد الأندلسي (ت٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م). **العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل**، مخطوط، صورة منه بحوزة المحقّق.

٢٣. **البنـاكتي**، داود بـن أبي الفضـل محمـد (ت٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م). **روضـة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب (تاريخ البنـاكتي)**، ترجمـة محمـود عبـد الكريم علي، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧.

٢٤. **ابن البهلول**(*)، الحسن الطّيرهاني (أواسـط القـرن الرابـع الهجـري/ العـاشر الميلادي). **كتاب الدلائل**، تحقيق يوسف حَبّي، مراجعـة محمـد عبـد الهـادي أبو ريدة، الطبعة الأولى، معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٩٨٧.

٢٥. **البوصـيري**، أبـو العبـاس أحمـد بـن أبي بكـر بـن إسـماعيل بـن سـليم الكنـاني (ت٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م). **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشـرة**، أشرف عـلى تحقيقه ياسر إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٦. **البيروني**، أبو الريحان محمـد بـن أحمـد الخـوارزمي (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م). **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، تحقيق ساشاو، ليبزك، ١٩٢٣.

٢٧. ـــــــــــــ . **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولـة في العقـل أو مرذولـة**، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.

٢٨. ـــــــــــــ. **القانون المسعودي**، الطبعة الأولى، مطبعـة مجلـس دائـرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن – الهند، ١٩٥٤.

٢٩. **ابن البيطار**، أبو محمـد عبـد الله بـن أحمـد المـالقي (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م). **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

٣٠. **ابن تغري بردي**، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن سيف الدين الأتـابكي اليشبغاوي الظّاهري (ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م). **المنهل الصّافي والمسـتوفي بعـد الوافي**، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب، القـاهرة، ١٩٨٤.

(*) لعلّه المذكور في الرسالة الواردة في ج١، ص٦٠٤، ج٢، ص٥٨٧ باسم أبي الحسن بن البهلول!

٣١. ــــــــــــــــ. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).

٣٢. **أبو تمام**، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م). **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**، تحقيق محمد عبده عزام، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

٣٣. **التنوخي**، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم البصري (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م). **الفرج بعد الشدة**، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨.

٣٤. ــــــــــــــــ. **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق عبود الشالجي، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.

٣٥. **التوحيدي**، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت٤١٤هـ/ ١٠٢٣م). **أخلاق الوزيرين** (مثالب الوزيرين)، تحقيق إبراهيم الكيلاني، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق / دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨.

٣٦. ــــــــــــــــ. **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية، بيروت / صيدا (صورة عن طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)، القاهرة، ١٩٩٣.

٣٧. ــــــــــــــــ. **الصداقة والصديق**، تحقيق إبراهيم الكيلاني، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق / دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨.

٣٨. ــــــــــــــــ. **المقابسات**، تحقيق حسن السندوبي، الطبعة الثانية، دار سعاد الصباح، (د.م)، ١٩٩٢.

٣٩. **الثعالبي**، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م). **أحسن ما سمعت** ، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

٤٠. ــــــــــــ. **تتمة يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ملحق بكتاب يتيمة الدهر كجزء خامس.

٤١. ــــــــــــ. **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، الدار العربية للكتاب، (د.م)، ١٩٨١.

٤٢. ــــــــــــ.**ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.

٤٣. ــــــــــــ. **خاص الخاص**، تحقيق حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

٤٤. ــــــــــــ. **سحر البلاغة وسر البراعة**، تحقيق عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

٤٥. ــــــــــــ. **غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (تاريخ غرر السير)**، باعتناء المستشرق الفرنسي زوتنبرغ، المطبعة الوطنية، باريس، ١٩٠٠(*).

٤٦. ــــــــــــ. **فقه اللغة وسرّ العربية**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي (د.م)، ٢٠٠٢.

٤٧. ــــــــــــ. **المنتحل**، تحقيق أحمد أبو علي، المطبعة التجارية، الإسكندرية، ١٩٠١.

(*) هذا الكتاب ليس للثعالبي، إنما هو منسوبٌ إليه خطأ، والأصح أنه للمرعشي أو المرغني.

٤٨. ــــــــــــ. **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق مفيد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

٤٩. **الجاحظ**، أبو عثمان بن عمرو بن بحر الكناني البصري (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م). **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨.

٥٠. ــــــــــــ. **الحيوان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٥١. **جوزجاني**، أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد (ت بعد ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م). **طبقات ناصري**، بتصحيح عبد الحي حبيبي، چاب أول، دنْياي كتاب، چابخانه دو هزار، تهران، ١٣٦٣.

٥٢. **ابن الجوزي**، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م). **غريب الحديث**، تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

٥٣. ــــــــــــ. **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، (د.ت).

٥٤. ــــــــــــ. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

٥٥. **الجوهري**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م). **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.

٥٦. **الحاتمي**، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر (ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م). **الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره**، تحقيق فؤاد أفرام البستاني، نشرت في مجلة المشرق، أعداد السنة ٢٩، ١٩٣١.

٥٧. ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م). **الفلك الدائر على المثل السائر**، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت).

٥٨. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م). **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

٥٩. ــــــــــــ. **رسائل ابن حزم**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠-١٩٨٧.

٦٠. ــــــــــــ. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).

٦١. الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري القيرواني (ت٤٥٣هـ/ ١٠٦١م). **جمع الجواهر في الملح والنوادر**، تقديم عبد العزيز البشري، المطبعة الرحمانية بمصر، (د.ت).

٦٢. ــــــــــــ. **زهر الآداب وثمر الألباب**، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

٦٣. ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م). **التذكرة الحمدونية**، تحقيق إحسان وبكر عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦.

٦٤. الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السَّبْتي (عاش في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي). **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، مؤسسة ناصر للثقافة، (د.م)، ١٩٨٠.

٦٥. ابن حوقل، محمد بن علي الموصلي النصيبي البغدادي (ت بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م). **صورة الأرض**، بريل، ليدن، ١٩٣٨.

٦٦. ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت نحو ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م). **المسالك والممالك**، باعتناء دي خويه، بريل، ليدن، ١٨٨٩. (صورة عنها، دار صادر، بيروت).

٦٧. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م). **تاريخ بغداد**، المسمّى (**تاريخ مدينة السلام وأخبار محدّثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها**)، تحقيق بشار عواد، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢.

٦٨. ــــــــــــ. **التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم**، بعناية بسام الجابي، الطبعة الأولى، دار ابن حزم / الجفان والجابي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩.

٦٩. الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الحلبي (ت٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م). **سر الفصاحة**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.

٧٠. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م). **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مختلف المحقق، دار القيروان، تونس، مختلف سني الطبع. (نشرة الأستاذ إبراهيم شَبُّوح).

٧١. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

٧٢. **الخوارزمي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت٣٨٧هـ/ ٩٩٧م). **مفاتيح العلوم**، تحقيق إبراهيم الإبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، ١٩٨٩.

٧٣. **ابن دريد**، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م). **الاشتقاق**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

٧٤. ـــــــــــ. **جمهرة اللغة**، تحقيق رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.

٧٥. **الدميري**، أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن علي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م). **حياة الحيوان الكبرى**، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٧٦. **ابن الدَّيْبَع**، عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني الزَّبيدي (ت٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م). **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زَبيد**، تحقيق يوسف شلحد، دار العودة، بيروت، ١٩٣٨.

٧٧. **الذهبي**، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣.

٧٨. ـــــــــــ. **سير أعلام النبلاء**، مختلف المحقق بإشراف شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

٧٩. ـــــــــــ. **العبر في خبر من عبر**، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤.

٨٠. **الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م). **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٨١. **الرافعي**، عبد الكريم بن محمد القزويني (عاش في القرن ٦هـ/ ١٢م). **التدوين في أخبار قزوين**، تحقيق عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

٨٢. **ابن رشد الحفيد**، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد القرطبي (ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م). **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤.

٨٣. **الروذراوري**، أبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين (ت٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م). **ذيل تجارب الأمم**، ملحق بكتاب تجارب الأمم لمسكويه، تحقيق أبي القاسم إمامي، الطبعة الأولى، دار سروش للطباعة والنشر، طهران، ٢٠٠١.

٨٤. **الزَّبيدي**، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م). **تاج العروس**، طبعة الكويت.

٨٥. **الزبير بن بكار** بن عبد الله القرشي الأسدي المكي (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م). **الأخبار الموفقيات**، تحقيق سامي مكي العاني، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦.

٨٦. ـــــــــــــ. **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، (د.م)، ١٣٨١هـ.

٨٧. **الزمخشري**، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الخوارزمي (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م). **الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعرفة / لبنان، (د.ت).

٨٨. ـــــــــــ. **المستقصى في أمثال العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

٨٩. **ابن الساعي**، أبو طالب علي بن أنْجب بن عُبيد الله البغدادي (ت٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م). **الدر الثمين في أسماء المصنفين**، تحقيق أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي، الطبعة الأولى، الخزانة الحسنية، الرباط، ٢٠٠٧.

٩٠. ـــــــــــ. **المقابر المشهورة والمشاهد المزورة**، تحقيق إحسان الثّامري، الطبعة الأولى، دار الفاروق، عمّان، ٢٠١٤.

٩١. **سبط ابن الجوزي**، أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م). **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، مختلف المحقق، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، بيروت، ٢٠١٣.

٩٢. **السبكي**، أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م). **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).

٩٣. **السبكي**، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي (ت٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م). **فتاوى السبكي**، دار المعارف، (د.م)، (د.ت).

٩٤. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م). **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

٩٥. السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت٤٨٣هـ/ ١٤٣٩م). **المبسوط**، تحقيق خليل محيي الدين الميس، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

٩٦. السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الأصفهاني (ت٥٧٦هـ/ ١١٨٠م). **معجم السفر**، تحقيق عبد الله البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، (د.ت).

٩٧. السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م). **الأنساب**، تقديم عبد الله البارودي، الطبعة الأولى، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨.

٩٨. السنيكي، أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ/ ١٥١٩م). **أسنى المطالب في شرح روضة الطالب**، دار الكتاب الإسلامي، (د.م)، (د.ت).

٩٩. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م). **المخصّص**، تحقيق خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦.

١٠٠. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م). **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر، (د.م)، ١٩٧٩.

١٠١. **الشابشتي**، أبو الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م). **الديارات**، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥١.

١٠٢. **الشافعي**، محمد بن إدريس المطلبي القرشي (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م). **الأم**، تحقيق رفعت فوزي عبدالمطلب، الطبعة الأولى، دار الوفاء، المنصورة، ٢٠٠١.

١٠٣. **الشريف الرضي**، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م). **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، تحقيق علي محمود مقلد، الطبعة الثانية، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦.

١٠٤. ـــــــــــــ. **ديوان الشريف الرضي**، باعتناء أحمد عباس الأزهري، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠٧.

١٠٥. **الشهرستاني**، محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م). **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢.

١٠٦. **الشيرازي**، أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف (ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) **رسائل الشيرازي**، تحقيق إحسان الثامري، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت ٢٠١٠.

١٠٧. **الشيزري**، أبو الغنائم مسلم بن محمود (ت بعد ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، **جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام**، تحقيق محمد حُوَّر، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٥.

١٠٨. **الصّابي**، أبو إسحاق إبراهيم بن هِلّيل بن إبراهيم بن زَهْرون (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م). **ديوان رسائل الصابي**، نشرتنا هذه.

١٠٩. ــــــــــــــ **رسائل الصابي والشريف الرضي**، تحقيق محمد يوسف نجم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦١.

١١٠. ــــــــــــــ . **مجموع نفيس في علم النجوم**، صورة منه بحوزة المحقّق.

١١١. ــــــــــــــ **المختار من رسائل الصابي**، باعتناء شكيب أرسلان، المطبعة العثمانية، بعبدا / لبنان، ١٨٩٨.

١١٢. ــــــــــــــ **المنتزع من كتاب التّاجي**، تحقيق محمد حسين الزبيدي، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٧.

١١٣. **الصّابي**، أبو الحسين هِلّيل بن المحسِّن بن إبراهيم (ت٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م). **تاريخ الصابي**، نُشر ملحقاً بذيل تجارب الأمم لأبي شجاع (انظر كتاب رقم ٨٣ من هذه القائمة).

١١٤. ــــــــــــــ **تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، (د.م)، (د.ت).

١١٥. ــــــــــــــ **رسوم دار الخلافة**، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤.

١١٦. ــــــــــــــ **غرر البلاغة**، تحقيق أسعد ذبيان، الطبعة الأولى، دار الكلمة، بيروت، ١٩٨٣.

١١٧. **الصاحب بن عباد**، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس الطالقاني (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م). **المختار من رسائل كافي الكفاة الصاحب بن عباد**، تحقيق إحسان الثامري، منشورات جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمّان، ٢٠١٤.

١١٨. **الصالحي**، محمد بن يوسف الشامي، (ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م). **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد**، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣.

١١٩. **الصفدي**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الألبكي الفاري (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م). **أعيان العصر وأعوان النصر**، تحقيق علي أبو زيد وآخرين، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت / دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨.

١٢٠. ــــــــــــ. **نكت الهميان في نكت العميان**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧.

١٢١. ــــــــــــ. **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠.

١٢٢. **الصولي**، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت٣٣٥هـ/ ٩٤٦م). **كتاب الأوراق (أخبار الراضي بالله والمتقي لله)**، تحقيق ج هيورث دن، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٥.

١٢٣. **الضبي**، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (ت نحو ١٦٨هـ/ ٧٨٤م). **أمثال العرب**، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٣.

١٢٤. **الطبري**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م). **تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

١٢٥. ـــــــــــــــ. **جامع البيان في تأويل القرآن** (تفسير الطبري)، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠.

١٢٦. **الطحاوي**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م). **شرح مشكل الآثار**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٢٧. **ابن الطقطقى**، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م). **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، تحقيق عبد القادر محمد مايو، الطبعة الأولى، دار القلم العربي، بيروت، ١٩٩٧.

١٢٨. **ابن طيفور**، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر البغدادي (ت٢٨٠هـ/ ٨٩٣م). **كتاب بغداد**، تحقيق إحسان الثامري، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩.

١٢٩. **العبّاس بن الأحنف** بن الأسود الحنفي (ت١٩٢هـ/ ٨٠٧م). **ديوان العباس بن الأحنف**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥.

١٣٠. **العبّاسي**، أبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (ت٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م). **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

١٣١. **ابن عبد الحق**، صفي الدين عبد المؤمن القطيعي البغدادي (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م). **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٣٢. **ابن عبد ربه**، أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب الأندلسي (ت٣٢٨هـ/ ٩٤٠م). **العقد الفريد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٣٣. **ابن العبري**، أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م). **تاريخ مختصر الدول**، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، الطبعة الثالثة، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٢.

١٣٤. **العبشمي**، محيي الدين محمد بن أحمد القرشي (ت٦١٠هـ/ ١٢١٣م). **ترتيب الأمالي الخميسية للشجري الحسني الجرجاني المتوفَّى سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م**، تحقيق محمد حسن محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.

١٣٥. **أبو العتاهية**، إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني (ت٢١١هـ/ ٨٢٦م). **ديوان أبي العتاهية**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤.

١٣٦. **العتبي**، أبو النصر محمد بن عبد الجبار (ق٤-٥هـ/ ١٠-١١م). **اليميني**، تحقيق إحسان الثامري، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤.

١٣٧. **ابن العديم**، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي الحلبي (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦١م). **بغية الطلب في تاريخ حلب**، مخطوطة محفوظة في مكتبة أحمد الثالث، اسطنبول.

١٣٨. ـــــــــــ. **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

١٣٩ . ـــــــــــ **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، تحقيق خليل المنصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، يروت، ١٩٩٦.

١٤٠ . **ابن عراق**، محمد النعمان بن محمد علي (ت بعد ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م). **الجواهر المفتخرة من الكنايات المعتبرة**، مخطوط محفوظ في جامعة ليدن بهولندا برقم OR. 1053.

١٤١ . **عريب بن سعد القرطبي** (ت٣٦٩هـ/ ٩٨٠م). **صلة تاريخ الطبري**، منشور في ذيول تاريخ الطبري، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ.

١٤٢ . **العسكري**، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعد بن إسماعيل (ت٣٨٢هـ/ ٩٩٢م). **تصحيفات المحدّثين**، تحقيق محمود أحمد ميرة، الطبعة الأولى، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٢.

١٤٣ . **العسكري**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت نحو ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م). **جمهرة الأمثال**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

١٤٤ . ـــــــــــ **ديوان المعاني**، تحقيق أحمد سليم غانم، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣.

١٤٥ . **ابن العماد**، عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكَري الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م). **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب**، تحقيق محمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق / بيروت، ١٩٨٦.

١٤٦ . **ابن العمراني**، محمد بن علي بن محمد (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م). **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق قاسم السامرائي، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١.

١٤٧. العمـري، أحمـد بـن يحيـى بـن فضـل الله القـرشي العـدوي (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م). **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، المجمع الثقافي، الطبعة الأولى، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ.

١٤٨. العَميدي، أبو سعد محمد بن أحمد بن محمد الكاتب (ت٤٣٣هـ/ ١٠٤١م). **رسائل العَميدي**، تحقيق إحسان الشامري، الطبعة الأولى، كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٣.

١٤٩. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطُّوسي (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م). **التبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

١٥٠. ــــــــــ. **الوسيط في المذهب**، تحقيق أحمد محمود إبراهيم وآخر، الطبعة الأولى، دار السلام، القاهرة، ١٤١٧هـ.

١٥١. الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت٣٥٠هـ/ ٩٦١م). **ديوان الأدب**، تحقيق أحمد مختار عمر، دار الشعب، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٥٢. الفارقي، أحمد بن يوسف بن الأزرق (عاش في القرن ٦هـ/ ١٢م). **تاريخ الفارقي**، تحقيق بدوي عبد اللطيف، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت).

١٥٣. أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي (ت٣٥٧هـ/ ٩٦٨م). **ديوان أبي فراس الحمداني**، شرح نخلة قلفاط، مكتبة الشرق، بيروت، ١٩١٠.

١٥٤. ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (ت٣٦٥هـ/ ٩٧٥م). **البلدان**، تحقيق يوسف الهادي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦.

١٥٥. **ابـن فنـدق**، أبـو الحسـن عـلي بـن زيـد بـن محمـد بـن الحسـين البيهقـي (ت٥٦٥هـ/ ١١٦٩م). **تاريخ بيهق**، ترجمة وتحقيق يوسف الهادي، الطبعـة الأولى، دار اقرأ، دمشق، ١٤٢٥هـ.

١٥٦. ـــــــــــــ. **تاريخ حكماء الإسلام** (وهو تتمة صوان الحكمة)، تحقيق ممدوح حسن محمد، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦.

١٥٧. **ابـن الفـوطي**، عبـد الـرزاق بـن أحمـد بـن محمـد الصـابوني البغـدادي (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م). **مجمـع الآداب في معجـم الألقـاب**، تحقيـق محمـد الكاظم، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة والإرشاد، طهران، ١٤١٦هـ.

١٥٨. **القاسم بن سلّام**، أبو عُبيد الهَرَوي البغدادي (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨م). **كتـاب الأموال**، تحقيق خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

١٥٩. **القاضي عبد الجبار**، أبو الحسين عبد الجبار بن أحمد بن عبـد الجبـار الهَمَـذاني الأسد آبـادي المعتـزلي (ت٤١٥هـ/ ١٠٢٤م). **تثبيـت دلائـل النبـوة**، دار المصطفى، القاهرة، (د.ت).

١٦٠. **ابن قتيبة**، أبو محمـد عبـد الله بـن مسـلم الـدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م). **الشعر والشعراء**، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

١٦١. ـــــــــــــ. **عيون الأخبار**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

١٦٢. ـــــــــــــ. **غريب الحديث**، تحقيق عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ.

١٦٣. **قدامة بن جعفر** بن قدامة بن زياد البغدادي (ت٣٣٧هـ/ ٩٨٧م). **الخـراج وصناعة الكتابة**، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشـيد للنشـر، بغـداد، ١٩٨١.

١٦٤ . **ابن قدامة**، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد الجماعيلي المقدسي الحنبلي (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م). **المغني**، مكتبة القاهرة، ١٩٦٨.

١٦٥ . **القرشي**، عبد القادر بن محمد بن نصر الله الحنفي (ت٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م). **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، نشر مير محمد كتب خانه، كراتشي، (د.ت).

١٦٦ . **القزويني**، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م). **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، (د.ت).

١٦٧ . **ابن القطاع**، أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي الصقلي (ت٥١٥هـ/ ١١٢١م). **الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة**، تحقيق بشير البكوش، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥.

١٦٨ . **القفطي**، أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م). **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، دار الآثار، بيروت، (د.ت).

١٦٩ . ــــــــــــــ. **إنباه الرواة عن أنباء النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، صورة عن الطبعة الأولى لسنة ١٩٧٣، صورتها ونشرتها كطبعة ثانية دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥.

١٧٠ . **القلقشندي**، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق يوسف علي طويل، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧.

١٧١ . ــــــــــــــ. **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق إبراهيم الإبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري / دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢.

١٧٢. ـــــــــ. **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثانية، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥.

١٧٣. **القمي**، الحسن بن محمد بن الحسن (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م). **تاريخ قم**، ترجمه من العربية إلى الفارسية حسن بن علي بن حسن بن عبد الملك القمي سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م، تصحيح سيد جلال طهراني، جاب دوم، انتشارات طوس، طهران، ١٣٦١.

١٧٤. **القونوي**، قاسم بن عبد الله بن أمير علي الرومي الحنفي (ت٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م). **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، تحقيق يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤.

١٧٥. **قيس بن الملوح** بن مزاحم العامري (ت٦٨هـ/ ٦٨٨م). **ديوان مجنون ليلى**، تقديم عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨.

١٧٦. **ابن قيّم الجوزية**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م). **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعارف السعودية، (د.ت).

١٧٧. **الكاساني**، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي (ت٥٨٧هـ/ ١١٩١م). **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.

١٧٨. **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر للطباعة والنشر، (د.م)، ١٩٩٧.

١٧٩. **الكرديزي**، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود (ت٤٤٢ أو ٤٤٣هـ/ ١٠٥٠ أو ١٠٥١م). **زين الأخبار**، ترجمة عفاف السيد زيدان، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٢.

١٨٠. **الكلاعي**، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي (عاش في القرن ٥-٦هـ/ ١١-١٢م)، **إحكام صنعة الكلام**، تحقيق محمد رضوان الداية، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.

١٨١. **الكوهي**، أبو سهل ويجن بن رستم (ت٣٩٠هـ/ ٩٩٩م). **رسائل واستخراجات لأبي سهل الكوهي**، مخطوط، صورة منه بحوزة المحقّق.

١٨٢. **ابن ماجه**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ/ ٨٨٦م). **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).

١٨٣. **الماوردي**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).**الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي**، مختلف المحقق، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤.

١٨٤. **مجهول** (من القرن ٤هـ/ ١٠م). **حدود العالم**، ترجمه عن الفارسية يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢.

١٨٥. **المراكشي**، محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوْسي (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م). **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الخامس، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥.

١٨٦ . المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م). **معجم الشعراء**، تحقيق كرنكو، مكتبة القدسي / دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.

١٨٧ . المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م). **الأزمنة والأمكنة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

١٨٨ . المسعودي، علي بن الحسين بن علي بن عبد الله بن مسعود (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). **التنبيه والإشراف**، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، (د.م)، (د.ت).

١٨٩ . ــــــــــــــ . **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

١٩٠ . مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م). **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تحقيق أبو القاسم إمامي، الطبعة الأولى، دار سروش، طهران، ١٩٨٧.

١٩١ . مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م). **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

١٩٢ . مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري (ت٢٣٦هـ/ ٨٥٠م). **نسب قريش**، تحقيق ليفي بروفنسال، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

١٩٣ . المطرزي، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي (ت٦١٠هـ/ ١٢١٣م). **المغرب في ترتيب المعرب**، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، الطبعة الأولى، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ١٩٧٩.

١٩٤ . المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، بعناية دي خويه، الطبعة الثانية، مطبعة بريل، ١٩٦٧.

١٩٥ . المقدسي، أبو نصر المطهر بن طاهر (ت نحو ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م). **البدء والتاريخ**، باعتناء كلمان هوار، باريس، ١٩٠٣.

١٩٦ . المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م). **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

١٩٧ . مهيار الديلمي، مهيار بن مرزويه (ت٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م). **ديوان مهيار الديلمي**، تحقيق أحمد نسيم، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٥.

١٩٨ . ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الإفريقي المصري (ت٧١١هـ/ ١٣١١م). **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.

١٩٩ . المواعيني، أبو القاسم محمد بن إبراهيم (بن خيرة) الإشبيلي (ت٥٦٤هـ/ ١١٦٨م). **ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب**، مخطوط، صورة منه بحوزة المحقّق.

٢٠٠. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٥١٨هـ/ ١١٢٤م) . **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

٢٠١. ميرخوند، محمد بن خاوند شاه بلخي (ت٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م). **روضة الصفا**، باهتمام عباسي زرياب، چاب دوم، چابخانه مهارت، تهران، ١٣٧٥ .

٢٠٢. النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر الغطفاني (ت ١٨ق.هـ/ ٦٠٥م). **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق محمد زكي العشماوي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠ .

٢٠٣. ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد القيسي الدمشقي (ت٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م). **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣ .

٢٠٤. النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م). **الفهرست**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩.

٢٠٥. نشوان الحميري، نشوان بن سعيد بن سعد بن أبي حمير اليمني (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٨م). **الحور العين عن كتب العلم الشرائف دون النساء العفائف**، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨ .

٢٠٦. ــــــــــــ. **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق حسن العمري ومطهر الإرياني ويوسف محمد، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت / دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩ .

٢٠٧. **النويري**، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم البكري (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م). **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٢٠٨. **الهمذاني**، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد (ت٥٢١هـ/ ١١٢٧م). **تكملة تاريخ الطبري**، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، الطبعة الأولى، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨.

٢٠٩. **ابن الوردي**، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد المعري الكندي (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م). **تاريخ ابن الوردي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.

٢١٠. **الوطواط**، برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي (ت٧١٨هـ/ ١٣١٨م). **مباهج الفكر ومناهج العبر**، تحقيق عبد الرزاق الحربي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢١١. **ياقوت**، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي البغدادي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م). **الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة**، تحقيق يحيى زكريا عبارة ومحمد أديب جمران، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٨.

٢١٢. ــــــــــ **معجم الأدباء**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.

٢١٣. ــــــــــ **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.

٢١٤. **أبو يوسف**، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد الأنصاري (ت١٨٢هـ/ ٧٩٨م). **الخراج**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، (د.ت).

ثانياً: المراجع

٢١٥. **الأحمد نكري**، عبد النبي بن عبد الرسول (القرن ١٢هـ/ ١٨م). **دستور العلماء**، عرب عباراته الفارسية حسن هاني فحص، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

٢١٦. **بدوي**، عبد الرحمن. **موسوعة المستشرقين**، وزارة الثقافة، عمّان، ٢٠١١.

٢١٧. **البغدادي**، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي (ت١٩٢٠م). **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، وكالة المعارف الجليلة، إسطنبول، ١٩٥١.

٢١٨. **الثامري**، إحسان. **الحياة العلمية زمن السامانيين**، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١.

٢١٩. **الحديثي**، نزار. **الحدود الشرقية للوطن العربي عبر التاريخ**، موسوعة الحدود الشرقية للوطن العربي، جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق، بغداد، ١٩٨١.

٢٢٠. **الحسني**، عبد الرزاق. **الصابئون في حاضرهم وماضيهم**، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٥.

٢٢١. **الدوري**، تقي الدين عارف. **عصر إمرة الأمراء في العراق**، جامعة بغداد، ١٩٧٥.

٢٢٢. **الدوري**، عبد العزيز. **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**، الطبعة الرابعة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩.

٢٢٣. **دوزي**، رينهات بيتر آن. **تكملة المعاجم العربية**، ترجم الأجزاء ١-٨ محمد سليم النعيمي، الجزئين ٩، ١٠ جمال الخيّاط، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٩-٢٠٠٠.

٢٢٤. ديوارنت، وليام جيمس. **قصة الحضارة**، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت / المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٨.

٢٢٥. سباهي، عزيز. **أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية**، منشورات المدى، دمشق، ١٩٩٦.

٢٢٦. الشرقي، علي طالب. **قصور العراق العربية والإسلامية**، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١.

٢٢٧. صديقي، أمير حسن. **الخلافة والملكية في إيران في العصر الوسيط**، ترجمة إحسان الثامري، تقديم عبد العزيز الدوري، الطبعة الأولى، دار الجمل، ٢٠٠٧.

٢٢٨. ضيف، شوقي. **تاريخ الأدب العربي**، ج٥، (عصر الدول والإمارات)، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

٢٢٩. ــــــــــــ. **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، الطبعة ١٣، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)

٢٣٠. ظفر الإسلام خان. **التلمود وتاريخه وتعاليمه**، الطبعة الثامنة، دار النفائس، (د.م)، ٢٠٠٢.

٢٣١. عبادة، عبد الحميد. **مندائي (الصابئون الأقدمون)**، بغداد، ١٩٢٧.

٢٣٢. الغصن، عبد الله صالح. **دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية**، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٤هـ.

٢٣٣. غيفونتيان، آرام دير. **الإمارات العربية في أرمينيا البقرادونية**، ترجمة الكسندر كشيشيان، مؤسسة فاروجان سلاطيان، حلب، ٢٠١٣.

٢٣٤. فوك، يوهان. **تاريخ حركة الاستشراق**، ترجمة عمر لطفي العالم، وزارة الثقافة، عمّان، ٢٠١٤.

٢٣٥. فولتز، ريتشارد، **الروحانية في أرض النبلاء** (كيف أثّرت إيران في أديان العالم)، ترجمة بسام شيحا، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم - ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧.

٢٣٦. فون زامباور، إدوارد. **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، ترجمة زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٠.

٢٣٧. قلعجي، محمد رواس، وحامد صادق قنيبي. **معجم لغة الفقهاء**، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٨.

٢٣٨. الكُرْوي، إبراهيم سلمان. **البويهيون والخلافة العباسية**، الطبعة الأولى، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢.

٢٣٩. لسترنج، كي. **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

٢٤٠. مبارك، زكي. **النثر الفني في القرن الرابع**، المكتبة العصرية، صيدا / بيروت، (د.ت).

٢٤١. المحيميد، علي بن صالح بن علي. **العلاقات السياسية بين الدولة السامانية والقوى السياسية في المشرق الإسلامي إبان القرن الرابع الهجري**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٤٢. مراني، ناجية. **مفاهيم صابئية مندائية**، شركة التايمس، بغداد، ١٩٨١.

٢٤٣. مرعي، عيد. **اللسان الأكادي**، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٢.

٢٤٤. المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩.

٢٤٥. مهرين، مهرداد. **فلسفة الشرق**، ترجمة محمود علاوي، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

٢٤٦. موستراس، س. **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**، ترجمة عصام محمد الشحادات، الطبعة الأولى، الجفان والجابي / دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢.

٢٤٧. النقشبندي، حسام الدين. **أذربيجان في العصر السلجوقي - دراسة في أحوالها السياسية والإدارية والعسكرية**، الطبعة الأولى، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣م.

ثالثاً: مقالات

٢٤٨. سترشتين، كارل فلهلم. **بنو بويه**، دائرة المعارف الإسلامية.

٢٤٩. سلتسنا، بغداد. **السراسرة أو الزراورة**، مجلة المقتبس، دمشق، العدد ٦٦ لسنة ١٩١١.

٢٥٠. شيخو، لويس. **هلال الصّابي وتآليفه**، مجلة المشرق، بيروت، السنة السادسة، ١٩٠٣.

٢٥١. كرنكو، فريتس. **الصّابي**، دائرة المعارف الإسلامية.

٢٥٢. كارّا ده فو، برنارد. **الصّابئة**، دائرة المعارف الإسلامية.



Edited Text Series

DIWĀN RASĀ'IL AL-ṢĀBI'

THE REGISTRY OF AL-ṢĀBI' LETTERS

By ABŪ ISḤĀQ IBRĀHĪM AL-ṢĀBI' (384 AH/ 994 CE)

VOLUME 2

Compiled, Edited and Studied by:

IHSAN DHANOUN AL-THAMIRI



Al-Furqān Islamic Heritage Foundation
Centre for the Study of Islamic Manuscripts



AL-FURQĀN

ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION

Centre for the Study of Islamic Manuscripts

22A Old Court Place

London W8 4PL, UK

Tel: + 44 (0) 203 130 1530

Fax: + 44 (0) 207 937 2540

Email: info@al-furqan.com

Url: www.al-furqan.com

First Edition: 2017 CE / 1439 A.H.

ISBN: Set number: 978-1-78814-719-4

Volume number: 978-1-78814-717-0



DIWĀN RASĀ'IL AL-ṢĀBI'

THE REGISTRY OF AL-ṢĀBI' LETTERS

By ABŪ ISḤĀQ IBRĀHĪM AL-ṢĀBI' (384 AH/ 994 CE)

VOLUME 2

Edited Text Series



AL-FURQĀN
ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION
Centre for the Study of Islamic Manuscripts

DIWĀN RASĀ'IL AL-ṢĀBI'

THE REGISTRY OF AL-ṢĀBI' LETTERS

By ABŪ ISḤĀQ IBRĀHĪM AL-ṢĀBI' (384 AH/ 994 CE)



VOLUME 2

COMPLILED EDITED AND STUDIED BY

IHSAN DHANOUN AL-THAMIRI


ISBN 978-1-7881471-9-4